

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق مريوش

بسم الله الرحمن الرحيم

سوره ال عمران

هذه السوره مدنيه بالإجماع وذكر انها نزلت بعد سوره البقره والانفال ومنهم من ذهب أنها قبل الانفال لكن نجد أنها تناولت ذكر بدر وواقعه احد وهذا يعني أن بعضا منها نزل متأخرا

وقد ورد أن الايات من بدايه السوره الي بضع وثمانين ايه نزلت بشأن نصاري نجران الذين حصل بينهم مناظرة مع الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن عيسى صلوات الله عليه وانتهى الأمر بالتحدي لهم بالمباهله فترجعوا وسلموا الجزيه

القسم الاول من المقطع الاول من هذه السوره

(الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراه و الانجيل من قبل هدي الناس وانزل الفرقان أن الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أن الله لا يخفي عليه شي في الارض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر ا لا أولوا الألباب ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه أن الله لا يخلف المعياذ أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كذاب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الي جهنم وبئس المهاد قد كان لكم ايه في فئتتين التقتا فنه تقاتل في سبيل الله وآخرين كافره يرونهم مثليهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشأ ان في ذلك لعبره لأولي الأبصار)

اولا

ارتباط النصوص بما قبلها وبسوره البقره:-----

أن المتأمل لما اختتمت به النصوص في سوره البقره وهو قوله تعالى (فانصرنا علي القوم الكافرين)

وهذا كان دعاء المومنون في نهايه سوره البقره بعد أن بين الله لهم دورهم في حمل رأيه الهدايه للعالم أجمع وهو ما يفهم منه أن الجماعه المومنه قد فهمت المطلوب منها فطلبوا العون والمساعدة من الله لقد أدركوا أنهم في معركه مع الباطل وان أهل الشر قد تجمعوا في قالب واحد وإن اختلفوا فيما بينهم البين فهم قد تجمعوا والتقوا حول هدف كراهيه الحق ومحاربتة ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يخاطب المومنون أن الواجب عليهم لمواجهه الأعداء ربط كل حركه وفعل بالتوحيد فقال تعالى (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم)

فالنصوص جاء فيها الواحدنيه لله ونفي عن غيره الألوهية وإثبات صفه انفراده سبحانه وتعالى بالالوهيه وحده لا شريك له وأنه الحي الذي لا يموت ولايفني وأنه القائم بذاته والقائم بتدبير شؤون الخلق ومصالحهم وهذا بعد الحروف المقطعه التي سبق وذكرنا أنه لا يعلم معناها الا الله وحده ويجب الإيمان بها وأن لها معني يعلمه الله وبالوقوف علي الآيات نجد أنها تتناول الآتي

الأمر الأول

ان الحق سبحانه وتعالى يقول للمومنين الذين طلبوا أن يمدهم بالنصر عليكم أن تربطوا كل حركه تتحركون بها بـ التوحيد فذلك هو أساس انطلاق الحركه عليكم بالشعور والاحساس انكم في رعايه الله فلا تنهزموا ولا تنسحبوا

امام الضجيج الاعلامي الذي هو سلاح سوف يلجأ إليه الأعداء للاستيلاء علي عقولكم فالمعركة الفكرية مع أهل الشر خطيره وتتطلب ازاحه الشبهات من عقولكم اولا لتحظوا بالنصر حيث ورد أن الايات نزلت بمناسبة قدوم نصارى نجران الي المدينة المنورة وانهم احتجوا علي المسلمون بأن القرآن الكريم ذكر ولاده عيسى بدون اب فقالوا إنه ابن الله وكذلك احتجوا بقيام عيسى بأحياء الموتى والاكمه والابرص وكذلك احتجوا بقول الله تعالى في كتابه فعلنا وامرنا وخلقنا... فقالوا لو كان الله واحد لقال فعلت وامرت... ليذهبوا لعنهم الله للقول إن الله ثالث ثلاثة هم الله وعيسى ومريم فنزلت الآية للرد عليهم وازاحه وازاله تلك الشبهات

حيث ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم أستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا يشبه أباه قالوا بلي قال لهم أستم تعلمون أن الله حي دائم لا يموت قالوا بلي قال ولستم تعلمون أن عيسى يأتيه الموت والفناء قالوا بلي قال اولستم تعلمون أن ربنا قائم علي كل شي ويرزقنا ويطعمنا جميع مخلوقاته قالوا بلي قال فهل يملك عيسى ذلك قال اولستم تعلمون أن الله لا يخفي عليه شي من أحوال المخلوقات الا أحاط به علما قالوا بلي قال فهل يعلم عيسى كل شي وقال لهم اولستم تعلمون أن الله يخلق المخلوقات ويصورها وهي اجنه قالوا بلي قال اولستم تعلمون أن عيسى حملته امرأه ووضعته كما تضع النساء واطعمته كما يطعم الصبيان قالوا بلي قال فكيف يكون عيسى اله وبعدها تحدهم بالمباهله فترجعوا وسلموا الجزية

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن اللازم علينا أن نفهم أن أول خطوات الوصول إلى الفلاح والنصر هو العرفان ب الله تعالى من خلال الوقوف على انعامه وآياته برؤية كمال صفاته وأفعاله سبحانه وتعالى وذلك بالتفكير في مخلوقاته وما نتلقاه من الوحي ولهذا نجد أنه وصف سبحانه وتعالى نفسه بأنه المألوه الذي يالهه الخلائق بالحب والتعظيم والاجلال فقال (الله لا اله الا هو)

بنفي عن غيره ذلك فهو المنفرد بالربوبية والالوهية والمستحق وحده لا شريك له بالعبودية ثم ذكر الصفه الثانية (الحي) وال هنا تفيد الاستغراق اي الحياه الكامله فهو الاول الذي لا يبداه له والآخر الذي لا يزول فكل حي ماسواه ناقص فجاءت النصوص فيها استغرق فيه كمال الصفات

ولأن الحي قد يستعمل معاون مثل وزير يساعده لعجزه في القيام بالأفعال ولهذا نجد أنه تعالى يضيف إلى الحي (القيوم) القائم بذاته ومصالح المخلوقات وتديبره لكل شئ وهو ما يجمع فيها كمال الأفعال له سبحانه وتعالى فيه اعلام أن الله قائم علي كل شي يغرس في النفوس الشعور

١ ان الله غني عنا وأنا نحن الذين نحتاج الى الله سبحانه وتعالى فالكون كله محتاج لله تعالى فهو المدبر والمتحكم في حركة الكون والناس

٢ ان هذا الكمال لله في الذات والصفات والأفعال يتطلب منك الامتثال لأمر الله والسعي الي رضاء الله تعالى فانت بحاجة إلى الله تعالى والله غني حميد

٣ التحذير من المغالاة في حب الصالحين والأنبياء لدرجه اتخذه ندا لله فالله يقول إن المستحق للحب العظيم هو الحي الدائم الذي لا يموت أما مادونه فهم مكتوب عليهم الفناء فابراهيم قال عندما اقل القمر (لا احب الا فلين)

ثانيا

يلفت المولي سبحانه وتعالى انتباه المخاطبين الي أن رعايه الله تعالى وتديبره للخلائق أمر واضح بالنظر إلى حركة الكون ومكونات المخلوقات ف الله اعطي كل مخلوق من الخصائص ما يكون به القيام بالمهمه التي خلق لأجلها ولما كانت مهمه الإنسان هي عماره الأرض بالعمرا ن والتحسين الذي يقوم علي احترام الإنسان وصيانه

كرامته فقد جاءت رساله الاسلام تحمل قواعد وأسس ذلك فحضاره الاسلام تقوم علي

العلم بالماده والعلم بخالق الماده فلانسان مخلوق من جزء اراضي الماده الجسد وجزء سماوي الروح فقد سخر الله للإنسان مافي الارض جميعا لتلبيه احتياجاتهم الماديه بعد أن انعم علينا بالرعايه من قبل ولادتنا ولهذا فإن حضاره الاسلام تحمل القيم الروحانية التي تغذي الروح...لأن الحضاره الماديه كلما ازدادت تقدم فاننا نري فيها انحطاط بالقيم والمبادئ الروحانية ولهذا يخبرنا الله تعالى أنه قام برعايه امه الاسلام من أن تصاب بالانحطاط الذي أصاب الأمم السابقة التي حملت رايه الهدايه ثم حصل لها الانحدار نتيجه طغيان الماده وفقدان القيم وهنا يقول لنا الله أن نزول القران منجما علي فترات زمنية بحسب الأحداث هو لتزويد المومنين بالقيم الروحانية التي تمدهم بالطاقه الايمانيه فقال تعالى (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه)

١

أن المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباه المخاطبين الي أن من مظاهر قيوميه الله وتديبره لأمر الخلق ورعايه مصالحهم أن نزل القرآن الكريم منه الله تعالى فيه القيم الروحانية التي تصلهم بالخالق سبحانه وتعالى وفيه بيان الحلال والحرام وطريق الهدايه الي الحق فاستعمل لفظ (نزل) للرد على ما اثاره الكفار وبالذات اصحاب الكتب السماوية الذين حاولوا التشكيك بالقران لانه لم ينزل جمله واحده مثل التوراه والإنجيل فذكر الخالق هنا أن نزوله منجما حسب الحوادث والمناسبات يعود إلي المهمه التي يحملها منهج القران فهو منهج لجميع الناس للعالم أجمع فكان نزوله مناسباً لمرحلة النضوج البشري ولذلك ذكر أن انزال التوراه و الإنجيل جمله واحده كان لأن البشريه كانت في طور الطفوله فكان ذلك المنهج لمعالجه أحوال الناس في فتره زمنيه معينه والي امم محدده فاستعمل لفظ من قبل كي يمنع التوهم الذي قد ينتج عن سوء الفهم لدي البعض فيتصور أن احكام التوراه والإنجيل مستمر العمل بها

٢

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن اللازم علينا أن نتخلص عن العصبية ولهذا أطلق اسم هذه السوره ال عمران فيقول لنا ينبغي أن تكون حركه المسلم قائمه على أساس الشعور بالانتساب الي مدرسه الايمان بغض النظر عن اللون أو الجنس فانتم تحملون رساله الاسلام للعالم أجمع ولهذا استعمل نزل التي تفيد الحركه والتفريق اي أنه يتطلب منك أن تتحرك والمهم أن تعقل ماهيه الحركه بحيث تكون قادرا على احسان الإتياع بتنزيل الأحكام و الوقائع في موضعها يقول لنا الله تعالى أن الإسلام هو الورايت لجميع الأديان السماوية عموما وان علينا أن ندرك أن الأديان بمثابه سلسله ترتبط ببعضها البعض وقد كانت فيها احكام ثابتة لاتتغير ولا تتبدل وهي التي حملتها جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام وهي الدعوه الي التوحيد لكن هنالك احكام متعلقه بأمور البشر كانت تختلف من أمه الي أخري فقد كان يرسل الرسل لمعالجة الأمراض الجديده ويأتي بتشريعات تعالج تلك القضايا تتطور مع مراحل تطور البشرية ولهذا فإن القران جاء يحتوي على كل جديد وهو المكمل لك ماسبق فصار هو في المقدمه ولهذا نجد أن الايه جاء فيها الاشاره الي هيمنه القران علي كل الكتب السماوية وأنه أخذ مكانتها فاستعمل لفظ (الكتاب) لبيان رفعتة ومكانته بأنه له صفه الكمال واستخدم لفظ (عليك الكتاب) لتقديم الجار علي المفعول لبيان ضخمة المهمه التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه بأنها لم تاتي لتلغي تاريخ الرسالات الأخري بل هي امتدادا طبيعيا لها فهي الورايت لجميع الأديان السماوية فقال تعالى مصدقا لما بين يديه...ايه مطابق لما حملته الرسل والأنبياء السابقين بالاشارة الي دور المنهج الرباني في تربية الناس ودلهم علي طريق النجاه والسلامه بعد أن بين أن نزوله جاء متلبسا بالحق وفيه احكام الصدق والحق والعدل

٣

يخبرنا الله تعالى أنه مثلما انزل التوراه و الإنجيل الهدايه الناس هدايه البيان وتمهيدا لمجي رسول الله صلى الله

عليه وسلم في اخر الزمان فقد جاء القرآن الكريم مطابق للعلامات المذكوره في التوراه و الانجيل وكل الكتب السماوية عموما التي أخبرت عن امارات وعلامات نبي اخر الزمان وان المعجزه هي عين المنهج الرباني وهذا معلوم في الكتب السماوية كلها فلا يعد نزول القران منجما عيبا ولا نقص بل هو مناسب لنضوج البشرية وجميع أهل الكتب السماوية يعلمون أن هذا الكتاب له مهمتين فيه المعجزه والبيان وهو عين المنهج الذي فيه تربيته وتهذيب الناس فذكر مساله من يحصل على الهدايه الخاصة التوفيق والنجاح أن من قبل بدايه البيان رزقه الله النور الذي يفرق به بين الحق والباطل بين الشر والخير بين الهدايه والضلال (أن تتقوا الله يجعلكم فرقانا)وهنا قال تعالى (وانزل الفرقان)

حيث أن استعمال لفظ الفرقان جاء بصيغه الإنزال اي انزل الفصل والفرق بين الحق و الباطل وهو منزل في الفرقان

فدل أن في القران المعجزه التي تحدي بها هولاء سواء النصاري من نجران الذين كانوا يتكلمون العربية أو غيرهم من المشركين فابتداء بالحروف المقطعه مبينا أن آياته في الكون متعدده فمفعولات الله تعالى في الكون شاهده على إبداع الخالق وانفراده في الخلق والأمر وأنه غالب علي امره وعلي قدرته وان الجميع عبيده وفي قبضته لا ينكر ذلك إلا احمق لا عقل له أو جاحد مكابر يريد أن يستر الحق فقال تعالى (أن الذين كفروا لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام)

فالنصوص ترسم لنا مشهد للانقسام الناس في مواجهه ايات الله حيث دلت النصوص أن المومنون سوف ينصرهم الله اما المكذبون فهو لا أعداء الله ولهذا يتوعدهم الله بالعذاب المومل الموجه فذكر قدرته بأنه لا يغلب ولا يعجزه شي وانتقامه من المجرمين (انا من المجرمين منتقمون)واستعمل ذو انتقام ولم يقل ذو الانتقام وهذا فيه تقييد الانتقام بالمجرمين

٣

تبين لنا النصوص أن القرآن الكريم هو سلاح المعركه الفكرية مع الأعداء لأن الفرقان غالبا ما تستعمل في المعارك والمعني أن المعركه بين الحق والباطل فيه القرآن هو السلاح الوحيد الذي يكون هو سبيل الهدايه ودليل العمل و التعامل مع الحياة وتحولاتها واطرادها فإذا اخذتم بهدايه الدلالة سوف تحصلون علي هدايه التوفيق ونور الفرقان والله سوف يقف معكم قاهرا اعداءه فاستعمل لفظ عزيز ذو انتقام... لتطمئن المومنين ولتهديد الكفار بالاشارة الي قدره على تحقيق الجزء والعقاب لأن العاجز لا يصح أن يصدر التهديد منه بالجزء ولهذا فإنه إذا علم المجرم أنه لن يستطيع الإفلات أو الهروب من العقاب فإنه لن يرتكب الجريمة ولأن ايقاع العقاب يتطلب أن يشعر الشخص انه لن يستطيع اخفاء جريمته فوجد أن التهديد بالعقاب يكون مقرونا بالقدرة والعلم ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول (أن الله لا يخفي عليه شي في الارض ولا في السماء)

فيه بيان كمال واحاطه علمه بكل صغيرة وكبيرة حصلت في الظاهر أو الخفاء يقول لنا الله أن كل شي تعمله معلوم لله فأنت مكشوف لا يخفي علي الله شي واستعمل لفظ (شي)ليبيان ان احاطته تعالى علما بكل شي فهو يعلم بالكليات والجزئيات وأدق الأمور حتي وان كانت اصغر من الذره لبيان استغراق علمه بكل شي من شؤون مخلوقاته التي تتجاوز نطاق عالم الإنسان ليشمل كل العوالم الموجوده في الكون الأرض والسماء في كل زمان فاستعمل الفعل المضارع (لا يخفي عليه شي)ليبيان كمال علمه وان الجميع مخلوقاته فلا يوجد في العالم العلوي ولا في العالم السفلي من يستحق أن يكون الها او ابنا او شريك له فالكل مخلوقاته وهم يتحركون وفق اراده الله ومشيئته فلا يوجد شي الا بعلمه فالمسألة ليست فوضي ولهذا جاء التعبير بعد نفي الخفاء ليغرس في النفوس الشعور بالمسؤولية عن افعالهم فانتم تسجل اعمالكم فالجزء يكون بناء علي علم بما تفعلون وهذا فيه تحقيق العدل لأن الثواب والعقاب يكون بناء علي تسجيل الأعمال إيقاعه هو من القوي الذي لا يقهر والقادر على إيقاع العذاب فذكر دليلا آخر من اداله قدرته ومظاهر محسوس (هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء)

وهو تصوير الإنسان في الرحم فيقول لهم أن الله هو الذي أعطي كل الناس بمن فيهم عيسي الصورة لأن التصوير من الابداع والتحويل فالله هو الخالق لعيسي عليه السلام وبالتالي فإن قيام عيسي بخلق من الطين كهثيه الطير لايعني ذلك أنه إله وان اختصاصه بأحياء الموتى لايعني اطلاعه علي كافة أمور الغيب بل إن ذلك كله هو باذان الله فعيسي مخلوق وليس اله لانه ليس له صفات الكمال وان الله هو العزيز الذي لا يغلب ولا يعجزه شي وهو حكيم فيما ينزل من تشريعات وهذا فيه رد أيضا علي مساله نزول القران منجما بخلاف ماكانت عليه الكتب السماوية السابقة وكذلك فيه رد علي مساله جعل المعجزه القرآنية هي عين المنهج فأخبرهم الله أن القرآن الكريم فيه المعجزه والبيان وذلك لأن حكمه الله اقتضت وقف العمل بالمعجزه الماديه لأنها لم تعد لها جدوي مع تطور البشرية فقد انزال القران الكريم فيه المعجزه فهو يخاطب العالم كله العربي والهندي والافريقي الخ وقد جاء القرآن بمعجزه البيان التي تحدي بها الأولين والآخرين أن ياتوا بمثله وفيه أيضا المعجزه العلميه والايات الكونيه المظموره في الأرض فهي في علم الله وهذه الآيات تكشف كلما تقدم الإنسان في العلم ومنها أيضا الآيات في تكوين الانسان نفسه (سنريهم آياتنا في..... الي قوله (حتي يتبين لهم انه الحق) ولهذا يلفت انتباه المخاطبين الي النظر والتأمل في الكون السماء والأرض بالنظر إلى الدليل الكوني المحسوس كيف يتحرك الكون هل يتحرك دون نظام ام أن له نظام وقوانين تحكمه فالله يقول لنا أنه المسؤول عن حركة الكون فكل شئ يتم بعلمه ومشيئته ففي مفعولاته اداله ترشدك الي أن هذا الانضباط في حركة الكون له اله واحد فرد لا شريك له فهو له كمال قدره والإبداع ولك أن تتأمل في أطوار تكوين الجنين في بطن الام لتري جمال الله وجلاله وعطائه وإحسانه وقوته وقدرته وكماله فهو لا يعجزه احد ولم يخلق شيئا إلا لحكمه فهو الحكيم الذي يستحق العبوديه وحده لا شريك له

ثالثا

(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابهه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الأبواب... الخ

أن المتأمل للنصوص يجد أنها ابتدأت بالضمير (هو الذي)

وهو عائدا علي ما قبله اي أن الله تعالى الذي لا يخفي عليه شي في الارض ولا في السماء والذي خلقكم فأحسن تصوريكم وهو العزيز الحكيم الذي لا يغلب ولا يعجزه شي وهو الحكيم الذي جعل لكل مخلوق وظيفة وحكمه يسعي إلي تحقيقها في حركته فانتم تشاهدون أن كل شي في الكون مخلوق لغايه ووظيفه وقد جعل الله النواميس تحكم حركه الكون وفق نظام محكم دقيق نظام الحق سبحانه وتعالى ولهذا يقول لنا الله أنه هو الخالق للإنسان مثل الكون ومهمه الإنسان تتطلب المنهج الرباني الذي يحصل به الانسجام بين حركه الإنسان والكون ولهذا يخبرنا أنه تعالى انزل القرآن الذي هو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياة وتحولاتها واطرادها فذكر أن أنه انزل في القران(هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات.... الخ

فذكر الله أنه انزل في القران الكريم نوعان من الآيات ا

المحكمه التي تعني أنها مضبوطة المعني واللفظ مفهومه وواضحه لاتحتمل الامعني واحد وهو الأحكام المتعلقة ب الاحكام الربانيه بالحركه افعل كذا واترك كذا والحلال والحرام بالاشارة الي أن القرآن الكريم هو المنهج الذي يكون فيه تربيته وتهذيب الناس مثلما أنه المعجزه فالله له الخلق وله الأمر وقد انزل للناس القران الكريم الذي فيه صلاح معاشهم ومعادهم والمحكم يطلق على التنزيل أنه من عند الله تعالى اي فصله عن الاشتباه بما ليس منه والأحكام في التأويل والمعني بتمييز الحقيقه المقصوده عن غيرها بوضوح

وذكر الآيات المتشابهة التي يجب الإيمان بها وهي لها معاني متعددة أو تكون غير مفهومه ويجب الإيمان بها مبينا
انقسام الناس في استقبال الآيات الي راسخ في العلم وأهل الزيغ لبيان الاتي

الأمر الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن القرآن الكريم فيه المنهج الرباني والمعجزه التي فيها السلامه والنجاه فهو
منزل من عند الله اي فصله عن الاشتباه بما ليس منه فالآيات فيه محكمه والأحكام تعني أنها مضبوطة فلا يمكن
أن يتسلل إليها الباطل باي شكل من الأشكال فهي قطعيه الدلاله والمراد بهذا أن الآيات المتعلقة ب الحركة في
الحياه هي مضبوطة اللفظ والمعنى فالذي احكمها هو الله تعالي الذي خلق الناس والمخلوقات كلها فجاء الضمير
عائدا ومرتببط بالجمل قبله من التصوير للإنسان الذي خلقه الله وصوره فذكر نعمه الابداع والتميز الذي اختص به
لإنسان مقدمه لبيان انزال القران بعد نعمه الابداع

المفهوم الاول

أن علينا الثقة بما أنزل الله لكم من القرآن فهو نعمه أعظم من نعمه الابداع والتحويل التي رعاكم الله بها وانتم
في بطون امهاتكم فقد انعم الله عليكم بالعلم النافع الذي يرشد الناس الي الطريق المستقيم فالله لم يترك الناس
يتخبطون

فقد احكم الآيات التي تتعلق بحركه الناس وجعلها واضحه فبين ماهو المطلوب منك أن تفعله وبين مايجب عليك
أن تتركه لتكون حركتكم مضبوطة فالذي انزل اليكم القرآن هو العزيز الذي لا يغلب فإذا اردتم العزه والكرامه و
الرفعه فعليكم الأخذ بمنهج الله فهو منزل من العزيز الحكيم الذي ينزل من الأحكام مايحقق الحكمه والغاية من
الوجود الإنساني وبدونه يكون الهلاك والضياع فالفرقان يكون من معاني إنزاله ا

المفهوم الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يخبرنا ان علينا أن نفهم أن لعقولنا حدود لاينبغي تجاوز تلك الحدود فيخبرنا
أن هنالك آيات أسماها متشابهة يجب الإيمان بها حيث وان عقل الإنسان محدود في بعض المسائل مثل الأمور
الغيبية والمتعلقة بالذات الإلهية فالالفاظ الورداه في النصوص هي لتقريب الصورة للإنسان لانه لا يوجد مخزون
عقل الإنسان الفاظا للتعبير عنها مثل الجنة والنار والملائكه والكراسي والعرش ومذكر الله من الاستواء علي
العرش فالله لاتدركه الأبصار فلاتتوهمه لانك إن فعلت ذلك تكون قد اشركت مثلما فعلت النصاري عندما جعلت
لله ولد فالتصور بالوهم شرك لان كل موهوم محدود والله لايجاد بوهم ولايصح لك أن تتهم الله في افعاله بأن
تقول لماذا فعل الله كذا ولماذا أمر بكذا فتقول ماشان هذا الأمر إلا يكون كذا واهكذا وان هذا لا يكون لانه هذا
يتناقض مع اعتقادك بعدله لأن هذا القول منك فيه اتهام لله بأفعاله بظن عدم الحكمه فيها والله قد اخبرك أنه
(العزيز الحكيم) فيجب عليك الايمان بكل ما نزل الله دون الخوض فيما لم يرد معناها مثل ماسبق

المفهوم الثالث

ولما كان من ضمن ماذهب إليه المفسرون أنها من الآيات المتشابهة التي لانعلم معناها ونومن أن لها معني عند الله
هي الحروف المقطعه التي ابدات بها السور مثل الم كهيعص والمر الر ص ق الخ حيث أن اليهود اردوا أن
يتخذوا من هذه الحروف وسيله لمعرفة حساب مده الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته وغيرها من الأمور الغيبية
وهو الطريق الذي سلكه البعض من فرق المسلمين فانحرفوا فقد جاءت النصوص للتحذير من الخوض في ذلك
مبينا أن هذا الطريق هو طريق الباطل المضطرب حيث أن الباطل يبادر بالاوهام ويجعل صاحبه يذهب خلف الأ

أوهام والخرافات بمزاعم طلب الاسرار فيشق لنفسه طريقا وعرا لانه ينشغل بالباطل والأوهام عن الحق وعندها يتكون حجابا مانعا البصيره من رؤيته للحقيقه فهذا يحصل منه الحيوان عن مذهب الحق والميل نحو اهوائهم الباطله فقال تعالى (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابهه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله)فهؤلاء سكن قلوبهم الشك فاتبعوا أهوائهم فاردوا من التأويل صرف الناس عن الحق الي الباطل اردوا أن ينالوا من ثقه المومنون بكتاب الله تعالى واردوا تطويع الشرع للمصالح الذاتية من خلال تحريف تفسير القران

فأراد الله بهذا تحذيرنا من ذلك التأويل الفاسد لما ليس له دليل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مثل تأويلات الشيعة بأن المراد بالبقرة المأمور بني إسرائيل بذبحها بقوله تعالى (أن الله يامرکم أن تذبحوا بقره)بأنها عائشه رضي الله عنها وكذلك كل تأويل يخالف النصوص

بالظاهر بدون دليل

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن الآيات المحكمه هي اصل القران الكريم الذي يجب الرجوع إليها فقال (آيات محكمات هن ام الكتاب) حيث نجد أنه ورد ذكر جمع آيات وافرد ام ولم يقل امهات الكتاب وهذا فيه بيان أن الآيات في اجتماعها كأنها ايه واحده اي المرجع يكون إليهن جميعا كما قال تعالى (فإن تنازعتم في شي فردوه الي الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) اي ان المرجعية أن يكون تفسير القران بالقران والسنة النبويه وان الآيات المحكمه هي اصل الكتاب الذي فيه عماد الدين اي ان اللازم علينا أن نبني عقيدتنا علي الربط بين الجزئيات والكلييات ونربط ذلك بأساس التوحيد افكار المسلم ليست مبعثره بل هي متربطه مع بعضها البعض فالإسلام هو دين منزل من الله تعالى

الأمر الثالث

ثم عطف بقوله (واخر متشابهات)والمتشابهه هي

١

التي تكون لها عدده معاني حيث نجد لها في موضع معني وفي آخر معني اخر

٢

مايعجز العقل البشري عن معرفه معناها وهي الأمور الغيبه التي لا تدرك بالعقل مثل الصفات لله تعالى فيجب الإيمان بها

٣

الآيات المنسوخه التي نسخ أحكامها وبقي تلاوتها

٤معاني غير مفهومه للمسلمين في زمن من الازمنه مع امكانيه حصولهم علي معانيها مثل الآيات المطموره في الأرض حيث أن المسلمون آمنوا بها كما هي دون أن يعرفوا مافيها وقد عرف حقيقه بعضها منها بعد مضي الف وأربعمائة سنه باكتشاف العلم الحديث لها (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم انه الحق...الخ

٥

آيات بالفاظ من لغات العرب لكن لاتعرف عند من نزل عليهم القران من المهاجرين والأنصار

٦مصطلحات جديدة لم تكن معروفة في لغة العرب مثل الحروف المقطعة وكذا لفظ المنافقون وغيرها من المصطلحات ولهذا نجد أن الله يخبرنا

المفهوم الاول

أن منها مايجب التوقف علي ماجاء من الله تعالى بشأنها لأن الوحي هو المصدر الموثوق به في الاخبار عن المسائل الغيبية والقرآن منه أمر ومنه اخبار والأمر يكون الايمان والعمل به وأما الاخبار فيجب الإيمان به كما جاء ثقه بالناقل فلا وسيله لنا لمعرفة الغيب الا عن طريق الوحي الإلهي ولانخوض في تأويل مايعجز العقل البشري عن إدراكه فالوحي قد اختصر لنا الطريق الموصل الي معرفه تلك الأمور من خلال الأمور النظرية العلمية التي أخبرنا الله عنها في القران الكريم بتعريفنا ب الله واسمائه وصفاته والطريق الموصل إليه وما ينتظر المومنون من النعيم وما أعد للكفار من الجحيم فلاسلام قد جاء لصيانته العقل البشري من الضياع فيما لايمك أدواته فأوضح الله لنا كل ماغاب عنا في القران الكريم

المفهوم الثاني

يقول لنا الله تعالى أنه لم ينزل القران دفعه واحده بل انزل القرآن والتشريع الإسلامي علي مراحل تعاقبت مع استعياب كل مرحله منها ثم ترك التفاصيل الجزئية للتطور مع الزمان مع تطور الحياة وتحولاتها واطرادها حتي يسترشد المسلمون من القواعد الاصوليه الي ما يتناسب مع كل عنصر من قواعد تفصيليه ولهذا فإذا أردنا أن تكون احكامنا صحيحه ومنطقيه علي الواقع المتحرك يجب أن تكون مفاهمنا متحركه بقدر تحرك تجاربنا وتحرك الواقع الذي نريد تطوره من خلال احسان تنزيل الأحكام علي الواقع من خلال احسان التشخيص العله لمعرفة الدواء باختيار القاعده الشرعيه التي تناسب العله

المفهوم الثالث

يخبرنا الله أن هنالك آيات متشابهه وهي لاتعني أنه لايمكن معرفه معناها لكن تلقي الناس لها وأهدافهم من قراءتها تختلف وينقسمون إلي قسمين بحسب القلوب التي تتلقي الآيات فالقلوب المعلوله المريضة من المنافقون أو غيرهم من الكفار تختلف أهدافهم في البحث عن معناها عن اهل القلوب السليمه من المومنون فابتدا الله بذكر ذم تلقي المرضي الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق بأنهم يريدون من ذلك أن يفتنوا الناس في دينهم فهم طلبوا التأويل للفتنه والتحريف وذكر بأسلوب المدح القسم الثاني وهم الراسخون بالعلم اي العلم النافع مع الإيمان بأنهم يوفقون إلي معرفته وهم يومنون بالمحكم والمتشابه لمن قال إن الواو عاطفة في (ومايعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم)

فدل أنه يمكن معرفتهم لتلك الآيات لأن الله تعالى يأمر بتدبر القران الكريم كله ولم يستثني شي (أفلا يتدبرون القران)وانما ذم من اتبع المتشابهة بقصد ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله والله يقول (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتتهم تأويله)اي كذبوا بالقران الذي لم يحيطوا بعلمه ولما ياتتهم تأويله بعد فهنالك فرق بين الاحاطه بعلمه وبين تأويل آياته فقد يحيط بعلمه دون معرفه تأويله

حيث أن آيات الاحكام الأمر والنهي هي للعمل والحركة والآيات الاخبار يجب الإيمان بها ونضرب لذلك مثال أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين تلقوا الآيات القرآنية المتعلقة بالانجاز الكوني دون أن يعرفوا ماتعني حتي اكتشف العلم الحديث ما أخبر عنه القران عندما تتطور العلم وقد ساعدنا علي تأويل بعض آيات القرآن فهل معني هذا أن نصوص الآيات تتغير لا فهي تبقي كما هي وكل ما حدث هو أننا نكتشف تفسيرات أكثر لهذه الآيات أما الإي مان بها وانها من عند الله فهو إيمان راسخ وثابت وعميق سواء عرفناها كماهو حالنا نحن أو لم نعرفها كما امن بها الصحابه رضوان الله عليهم فالإيمان ملزم لنا سواء عرفنا تفسيرها أو تشابه علينا فالمراد بالراسخون بالعلم هم

الذين استقر الايمان في قلوبهم باليقين الجازم الذي لاشك فيه فهو الذي عرف ربه وعرف حاجته وافتقاره الي الله فالراسخ يستعمل في تعريف الشيء اذا ثبت واستقر وهو الذي يكون واثقا بالمصادر التي ينقل عنها علومه فليس فيه اضطراب لأن الاضطراب يكون في الاناء الفارغ الذي ليس فيه شيء فتسمع منه الضجيج بدون فائده منه أما الاناء المملو فهو راسخ وثابت لاتسمع له ضجيج لكن فيه الفائدة للجميع وهذا يكون اذا صاحب العلم ايمان فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال بشأن الراسخون في العلم من برت يمينه وصدق لسانه واستقامة له قلبه و.... وقال (يقولون امانا به كل من عند ربنا)

رابعا

يقول الله لنا أن طريق العزة والكرامة والرفعة والاستعلاء هو باتباع القران الكريم فهو منزل من الله الذي لا يغلب و لا يعجزه شيء والحكيم الذي يعلم ما يصلح أحوال الناس واوضاعهم وقد وصف القران بانه الفرقان الذي يفصل بين الحق و الباطل وأنه فيه العلاج لأمراض الناس والشفاء فهو فيه حياه الأرواح والاجساد وهو نور يقذفه الله في قلوب المومنون فالله يقول (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا.... الخ فالقران متضمن العلاج والدواء لأمراض الناس والشفاء المعاصي من داء الشبهه والحيره والشكوك فقد أوضح الله أن مهمه القران الكريم هي التفريق بين الحق و الباطل فقال تعالي بعد ذكر أنه نزل القرآن وانزل التوراه و الانجيل وانه انزل الفرقان وقيل إنه القران مبينا أنه منزل من الله العالم بكل شيء ولا يخفي عليه وأنه يعلم بمصالح الناس الذي فيه حياه الأبدان والأرواح وهنا يقول لنا أن اختلاف الناس في استقبال القران الكريم هو السبب في انتفاع البعض به وعدم الانتفاع بما فيه فقال تعالي (فما الذين زيغ قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابهه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تأويله ا لا الله... الخ

الأمر الأول

ابتدأت النصوص بذكر أحوال الفريق الذي لا ينتفع بهدايه دلاله البيان وهم الكفار أصحاب القلوب القاسية و المنافقون أصحاب القلوب المريضة لبيان امراض قلوب هؤلاء هي المانع من انتفاعهم بهدايه القران فهم وان كانوا أهل علم لا ينتفعون لأن قلوبهم جدهاء صحراوية لا حياه فيها فهي ميتة ومظلمه لانهم لا يرغبون بالحق ولا يريدونه ويكرهون الحق ولما كان المحكم واضح فهو فيه ما يجب فعله وما يجب تركه وهذا يتعارض مع مصالحهم الشخصية ولهذا فإن هؤلاء قد أعلنوا الحرب ضد الحق فهم يتركون المحكم وياخذون بالمتشابه كي يصرفوا الناس عن الحق ويطلبون تأويله بما يتوافق مع اهوام الباطله فهي قلوب لاحياه بها فهو اذا جاء الحق كذبه وسعي الي التشكيك بالحق ولهذا فهؤلاء محرومون من النور الرباني الذي يكون به كشف المستور رؤية الحقيقة فقال تعالي (وما يعلم تأويله الا الله)

يقول الله أنه لا يبرزهم النور الذي يبصر به الحق من الباطل فتلتبس عليه الامور فيري الباطل حقا والحق باطلا ويتجرا علي الخوض في الذات الإلهية ويكون غير قابل الحق لأن الاخلاط الرديئة التي تسكن قلبه تكون حائلا ومانعا من قبول الحق ومانعا من دخول النور إليها لانقطاع الصله بينهم وبين الله تعالي فقد ورد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قوله (لو طهرت قلوبنا لما خالفنا كتاب الله

فالله يقول إن علمه نور لا يرزق لعاصي قلبه ميت لاحياه فيه فهذا المحل غير صالح لاستقبال نور الله فالله يقول (اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) وقال (سمعون للكذب سمعون لقوم آخرين... الخ لبيان ان العوام مقلدون فاستحقوا عقوبه الحرمان من هدايه السداد والتوفيق كما قال بشأن قوم ثمود (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي عن الهدى)

الأمر الثاني

أن ابتداء النص بذكر أصحاب القلوب القاسية والمنافقون جاء مناسباً لما وصف به نفسه وما بين فيه مهمه القرآن و الكتب السماوية عموماً وهو هداية الناس وبعد أن بين لهم أنه تعالي خلق الخلق لعبادته ومعرفته ومحبتته سبحانه وتعالى وتحقيق هذه الغاية تتطلب معرفه اسماء الله الحسنى وصفاته وأمره ونواهيته والمسائل الغيبية التي تربط القلوب بربها وتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم بحيث يكون القلب خالياً مما سواه تعالي ولهذا يخبرنا الله تعالي أن الخروج عن هذه الغاية واغلاق منافذ الهدايه يشكل مانعاً من رؤيه الحق ويؤدي الي الانحراف والزيغ يعني كما قلنا الميل والحيدان عن الحق الثابت الي الأهواء والبدع المظطربة الفارغه الكاذبه وهو ما يعني أن انحرافهم كان بعد معرفه الحق فأراد بهذا بيان أن الإيمان مرتبط بالعلم لتحصل الفائدة فقد يوجد العلم لكن غياب الايمان باصوال الايمان الستة يفقده المعرفه والعلم النافع ويحرم من هداية التوفيق ليشمل النص الكفار من اليهود والنصارى و المنافقون والمشركون فهم أن كانوا يؤمنون بالنوراه والإنجيل مثلاً ولم يؤمنوا بالقران حقيقه ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم فإن العصبية التي في قلوبهم تؤدي الي الزيغ والانحراف فيكون في حاله حرب مع الله ومع الاسلام

م

ولهذا فإن علوم هؤلاء سطحية لا يكون منهم التعمق في مدلولات النصوص لأن أغراضهم هو صرف الناس و التشكيك بالإسلام وان حصل منهم التعمق فهو تعمق بطريق الأوهام والخرافات بمزاعم طلب الاسرار كما حصل من اليهود من الحساب الحروف المقطعه بأن جعلوها ترمز لارقام رياضيات قاصدين بذلك معرفه متي تنتهي دولة التوحيد دون دليل ولاعلم ولابرهان

الأمر الثالث

بعد ذلك يقول تعالي (والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب)

وهذا فيه مدح لهؤلاء حيث ذهب البعض للقول إن الواو عاطفة علي ما قبلها (وما يعلم تأويله الا الله) لمن قال ب الوصول فيكون المعني كما أوضحنا سابقاً أن الراسخون بالعلم والايمان باليقين الجازم هؤلاء يكون لهم معرفه المعني ومنهم من قال إن الواو استئنافيه وان الايه قبلها فيها وقف عند كلمه (الا الله) وقالوا أنهم آمنوا به كما جاء وان لم يفهموا معناه فذكر وا أن المحكم والمتشابه كل منزل من الله وانهم آمنوا به... وهذه الصور المتعدده تعني أنه يمكن حمل النص علي المعنيين والتوفيق بينهما حيث يعمل بالمعني الثاني بموضعه وذلك في مسائل الغيب وما استأثر الله به نفسه من أمر الساعه وما ذكر بشأن عيسى وغيرها والروح ف الله يقول ويسلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما اوتيتهم من العلم الا قليلاً... الخ ويعمل بالمعني الاول في موضعه ويرجح المعني الاول اي العطف للاتي

المساله الاولى

لأن النصوص وردت بعد ذكر انزل الكتب السماوية للهدايه وأشار مهمه القرآن الذي أسماه الفرقان وجاء بالوعد و الوعيد لمن يكفر بآيات الله فذكر قدره والعلم اللتان يحصل بهما الجزء حيث اتبع تهديده (والله عزيز ذو انتقام) بالآخبار بالقدره والعلم لبيان انه عادل في حكمه فهو لا يخفي عليه شي لبيان احصاءه للأعمال ثم ذكر أنه قادر فالإنسان في قبضته من قبل خروجه من بطن أمه فليس المراد بالآخبار القدره المجرده ولا العلم المجرد لكنه بقدره وعلم بإيقاع الجزء فقال تعالي تعقيباً على ذلك (والله عزيز حكيم) فهو لا يعجزه شي ولم يخلق شيئاً عبثاً وانما لحكمه فانتم سوف تحاسبون علي اعمالكم فيبقي الجزء (العذاب الشديد) المذكور بالايه قبلها (أن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام) موقوفاً علي مشئيه الله وما عليك إلا أن تعود إلي الله بالتوبه ف الحسنات يحسون السيئات والله يقول إنه لم يترك الناس يتخبطون فقد انزل المنهج الرباني الواضح الذي فيه طريق النجاه والسلامه ومبين طريق الهلاك والضياع

المسالة الثانية

انه تعالي دعاهم الي التفكير والتأمل في آيات القرآن المقروه والايات الكونيه المرثيه للتفريق بين الحق الباطل وان الذين جعلوا لأنفسهم اهداف لحياتهم من اخواهم حصل لهم الضلال والبعد عن الهدايه وأما الذين آمنوا بالله بـ الحق فقد صدقوا وامنوا وانتفعوا بهدايه القران التي أيقظت فطرتهم فالقران موافق للفطره السليمه فالرسل جميعا لم يأتي لتغيير الفطره أو تبديلها وانما لازاله التلوث الذي أحدثه الحضارات في الفطره واحداثت فيها خلالا في القراءة والاستنتاج بالبعد عن الهدف الذي كان الوجود الإنساني لأجله ولهذا عقب الله بقوله تعالي (ومايذكر الا أولوا الألباب)

واللب هو من خلاصه الشي تعني الافهام

وخص الانتفاع بالهداية أصحاب القلوب السليمه الذين سماهم الراسخون في العلم وهم الذين استقرت في قلوبهم حقيقه الهدف والغايه من الوجود الإنساني وهو معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده فهؤلاء ينطلقون في الحياه من هذه المعرفه التي تحقق لهم معرفه الله بما اخبرهم به في كتابه عن نفسه سبحانه وتعالى ومشاهده أفعاله الداله علي الواهيتة وربوبيته وعطفه وإحسانه عليهم لاشريك له فالمفعولات داله علي الأفعال والافعال داله على الصفات والمفعول يدل علي فاعله ويستلزم وجوده وقدرته وعلمه فهو الإله المعبود الحق الذي تخضع له وتجنه وتلتزم بأمره وبالتالي فهو لاء يدركون أن سعادتهم متوقف بقيام كل جزء من أجزاءهم وكل عضو من اعضاءهم وكل ملكه من ملكاتهم بتحقيق الغايه والهدف من وجوده في معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده فتكون مفتوحه لاستقبال نور الله فالله سبحانه وتعالى يقول لنا في موضع (أن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد) فأنت عندما تتلو القران عليك أن تنظر مع من قلبك وانت تتلوه هل هو حاضر شاعرا بوجود الله غير غائب ام منشغل بالشهوات والملذات الأموال والأولاد كما تبين النصوص تبعا أسباب هلاك الكفار فـ لا يسهو القلب ولا العين ولا الاذن عن التدبر والتفهم والمراد بهذا الاشاره الي عقل القلب لاعقل المخ لانه ذكر قبله ميل القلوب الي الأهواء والبدع الباطله فهو لاتسيقظ فطرتهم نتيجته الانحراف

المسالة الثانية

يخبرنا الله تعالي عن أوصاف الراسخون فقال (امنا به كل من عند ربنا) يعلمون أنه منزل من عند الله ومقتضي الربوبيه أنه عنايه ورعايه لهم فـ الله لاينزل كتابا يكون فيه اختلاف بالشك والاشتباه فهو منزله فالرسوخ يكون بـ التعمق في العلم من خلال معرفه أغوار العلم واختيار زهره الأحكام فالمراد بالعقل ومايذكر الا أولوا الألباب...عقل التصرف والرشد وهذا يختلف عن عقل التصور والإدراك ولهذا فالعقل هنا لا علاقه له بالذكاء حيث أن عقل التصرف والرشد محله القلب بينما التصور والإدراك محله المخ والله يقول (لاتعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) فالقلب هو الذي أن صلح صلح الجسد كله وأن فسد فسد الجسد كله

فالعقل مقدمه للايمان لكنه لا يكون وسيله لفهم ماغاب عنه وانما هو مترجم لاراده القلب عقل التصرف والإرشاد أو الفسادلهذا يقول الله لنا أن الوصول إلي السلامه امر يتطلب معرفه المحبوب والمكروه والوسيلة لجلب المحبوب ووسيله دفع المكروه وهو يتطلب أن لا يكون القلب في القلب غير حب الله تعالي وأن يكون المقصود من الفعل التقرب الي الله ونيل رضاه فهو المعين علي ذلك لبيان ان الأمر متعلق بالانسان نفسه فهو اذا كان قلبه متعلق بغير الحق وبغير الله فإنه يحصل له الضلال من حيث كان الهدايه للمؤمنين فذكر لنا كيف كان انتفاع المومنون بأنه بـ اليقين الجازم التصديق بالله والإخلاص

المسالة الثالثه

يقول لنا الحق أن القلب يحتاج الي اخراج الاخلاط الرديئة وان المسألة تحتاج إلى اراده القلب الخلاص من الأ

أسر نتيجته التعلق بالدنيا والشهوات والملذات فإذا وقع الإنسان في أسرها صار مسجون فابتداء بذكر القلوب الفارغه لبيان أن فقدانها قوتها يعود إلي الاخلاط الرديئة التي مصدرها النفس فهي ان تغلبت عليه منعت القلوب من الوصول إلى ربها ويحصل لها الهلاك (فما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه... الخ فالنفس تدعوه إلى الطغيان وتجعله ينشغل بالباطل والأوهام والخرافات والأمانى الفارغه الكاذبه

المساله الرابعه

أن المولي سبحانه وتعالى يعرض علينا حال الذي يهتم بتربيته نفسه وتزكيتها (أصحاب النفوس المطمئنة) من خلا ل التخلص من الجهل والظلم التي اتصفت به نفس الإنسان فالطمأننه تعني السكون والاستقرار فهي راسخه ثابتة لأنها سكنت لربها واحبته وعرفته وتتغذي بطاعته ولهذا قالوا (امنا به كل من عند ربنا) بأن الايمان غذاء نافع و القرآن هو الدواء

فالفطره تعرف ربها وأساس الانحراف من الغفلة الناتجه عن الجهل والاستغناء بما لدي الإنسان من قوه ومال فذكر حصر الاستيقاظ باولو الافهام الذين كانت قلوبهم خاليه من الاخلاط الرديئة ثم ذكر الدعاء منهم (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)

١

أنهم لايفترون عن ذكر الله تعالى علي الدوام وانهم مخلوقات لعباده الله فهو يانس بالاتصال ب الله يطلبون من الله العون والمساعدة للتوفيق والسداد فهم يحبون الله فهم قد تذوقوا حلاوه الايمان ويخافون من أن يضلوا في الطريق بالزيغ والانحراف يعرفون حقيقه أنفسهم وحاجتهم الي الله تعالى أن يرشدهم الي الصواب فنحن نقول (اياك نعبد واياك نستعين)

فطريق السعاده تتطلب معرفه المحبوب ووسائله التي تساعد الي القيام به ومعرفه المكروه ووسائل اجتنابه ف الحب والغضب لا يكون إلا في الله ولهذا يطلب من الله أن يشملهم برحمته وعطفه فلا يحصل منهم زيغ برفض أوامر الله ولا يحصل منه زيغ بالوسائل كان يفعل الخير ولكن لا يقصد به وجه الله فالمراد بهذا التوفيق والإخلاص للعمل باراده وجه الله تعالى ولا بد من تعظيم الأمر والنهي الذي تحمله النصوص

٢

تبين النصوص لنا أن اللازم علينا أن نفهم أننا بحاجة إلى عون الله لنا ورعايته بالثبات على الحق فقوه القلب وثباته وشجاعته وصموده إنما يكون بالتقرب الي الله لتحظي بحب الله ورضاه فيمدك بعوامل تقويه القلب علي الثبات والصمود ويقوي عزيمته وهمته وينصره مثلما أعطاه السلطان والحجه بأن يصرف عنه وسوسه الشيطان ف ال تعالى في موضع آخر (من كان يريد العزه فالله العزه جميعا)

٣

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي أن العون والمساعدة الالهيه إنما تكون بالشكر الذي تشعر وتحس فيه بنعمه الايمان والهداية وان الايمان هومنه ونعمه من الله لأن بدايه الزيغ يكون باستكثار الطاعه والمن من المخلوق بطاعته لله أو بكثره أعماله فالله يقول لنا أنه ليس بحاجه لطاعه العبد وبالتالي فأنت ايه العبد من يحتاج الي الله أن يردك بأن يوفقك الي طاعته فأنت بذلك تحصل علي الكمال وتزكية النفس

فعليك أن تستعين بالله علي الدوام والحرص على أن لاتضعف ولا تخور طاقتك ولا تنسحب من حركه العمل الإسه لامي في اي مرحله من مراحل فتهون عليك المصاعب والمتاعب مهما كانت بالشوق الي لقاء الله

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن العبد لا يعرف مصلحتك وإنما الله تعالى هو الذي يعرف مصلحتك فوق الخالق لك وللمخلوقات كلها وان المخلوقات غير قادره علي تحصيل المصالح لك اذا لم يقدر الله تعالى لك ذلك فأنت وكل المخلوقات ضعاف ومضطربين الي الله في كل الأحوال فأنت بحاجة إلي الله والله يهب لك الرزق والنصر فهو ذوا القوه المتين وكل شي ملكه ولهذا فإن المومنون الراسخون في العلم أصحاب النفوس المطمئنة و القلوب السليمه يسألون الله أن لا يقطع عنهم الهدايه وان يبعد عنهم كل أسباب الزيغ الذي لحق بالامم السابقه الذين كانوا علي الحق فانحرفوا فقد قال تعالى في موضع آخر (فلما زغوا ازاغ الله قلوبهم) في وصف اليهود

طلبوا من الله أن يحفظهم من الزيغ بعد الهدايه وان يصونهم عن الاغترار بالأعمال والاعجاب بالنفس فطلبوا أن يحيطهم برحمته فالقلوب بين يدي الرحمن وعليك أن تطلب حفظها من التقلب فهم يسألون الله أن يثبتهم فلا يقبلون الا الحق فاستعمل صيغه المبالغه انك انت الوهاب

المساله الخامسه

وكانهم بعد أن تناولوا حالهم في الدنيا التفتوا الي الاخره فقالوا ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه أن الله لا يخلف المعياذ) الاشاره فيه اهميه محاسبه النفس وعدم إهمالها بالشعور برقا به الله وانهم مسؤولون عن أعمالهم فمن أهمل محاسبه نفسه حصل له الخساره والنقصان(ولتنتظر نفس ما قدمت لغد)(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت ... الخ ال عمران

فالمومن يري الدنيا دار عمل وان الدار الحقيقيه هي الدار الاخره يري أنه في الدنيا غريب فهو ابن الاخره وهي مسكنه فهو مومن باليقين الجازم بالحساب والعقاب ولذلك يكسر أنفه نفسه ويجعلهم تخضع أردته لله طوعيا شوقا لما عند الله والي لقاءه فهو يعلم أنه مسافر إلي الله والدار الآخرة

فيكون راسخا لا يقبل الا الحق فهو ينظر إلي الإعلام التي توصله الي الله والدار الآخرة ولأن هذه المسألة من أهم دعائم الايمان والصبر والثبات وعدم التزعزع نجد أن الايه ابتدأت بالمخاطب ربنا انك جامع الناس... ثم كان الا لتفات الي الغائب (أن الله لا يخلف المعياذ) ولم يقل انك لا تخلف المعياذ وهذا الأسلوب لشد الإنتباه إلى اهميه الأمر فلم يأتي علي نسق واحد لخدمه هذا الهدف لانه لو جعلها علي نسق واحد فإن السامع قد لا يهتم وتمر الاشياء عليه دون تركيز فمجي هذا الأسلوب هو لغرض شد الإنتباه لاهميه الأمر في الوصول إلي حسن اختيار الأحكام و الثبات والصمود لأن الخشيته توجب اليقظه علي الدوام والشعور بالرقابة الالهيه والشوق الي لقاء الله والزهد عن الدنيا وترقب الموت فيبادر الي المشاركه بالطاعه وبهذا يحصل لهم الرسوخ والاطمئنان قال تعالى (يايتها النفس المطمئنة... الخ

رابعا

تنتقل سياق النصوص الي بيان البواعث والدوافع التي أدت إلي زيغ الكفار وتقرير مصيرهم وتلقين الرسول صلى الله عليه وسلم كيف يرد علي الكفار الذين اغتروا بما لديهم من الغني والافتدار ثم يلفت انتباه المخاطبين الي أن في واقعه بدر دليل واضح علي تايد الله بنصره لاوليائه فقال تعالى (أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم و الله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الي جهنم وبئس المهاد قد كان لكم ايه في فئتين التقتا فنه تقاتل في سبيل الله واخري كافره يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشأ أن في ذلك لعبره لأولي الأ بصار)

الأمر الأول

تبين النصوص أن الحضارة عندما تقوم علي الماده والتعلق بالعاجله فإنها تفقد القيم والمبادئ الروحانية فهي تصاب بالانحطاط لأنها تري أن الاستعلاء والسلامه والأمان وضمان عدم التعرض للهلاك يكون بجمع الأموال والأولاد اي مصادر القوه فيرون انه بجمع ذلك يكون تأمين الحياه من الضعف والعذاب ولهذا فإن هولاء ينظرون إلى من يحمل القيم والمبادئ والأخلاق الحميدة التي تربطهم بالله بأنهم حمقاء وانهم لو سلكوا طريقهم فإنهم يفقدون القوه لانهم اختاروا الطرف الضعيف الذي لايمك اي مصدر من مصادر القوه بنظرهم ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن هولاء قد خرجوا عن دائره الإيمان وان كانوا أهل كتب سماويه مثل اليهود والنصاري الذين يدعون انهم أهل كتب سماويه لانهم قد زاغوا عن الحق المذكور في كتبهم بشأن النبي صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته وكذبوا ووجدوا الحق ورسالته لخوفهم من فقدان الامتيازات والمصالح ولانشغالهم بجمع الأموال و القوه والجاه والعصبية ولهذا جمع الله هولاء في النص ليشمل الكفار في كل زمان والنص يعم الكفار بمن فيهم النصاري فقد ورد أن حارث بن علقمه الذي كان من ضمن قاده وفد نصاري نجران قال لأخيه اني لأعلم أن محمد النبي المنتظر لكن أن تبعته فإن الروم ستقوم بأخذ ما اعطوني من مال وقوه فجاءت النصوص بإطلاق لفظ الكفر عليهم كلهم ليشمل كل مكان وزمان مبينا لهم أنهم لن يستطيعوا الإفلات من عذاب الله وقوته فليس المال ولا القوه بالاولاد والعصبية أو غيره يمكن أن تقف حائلا ومانعا أمام عقاب الله تعالي (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا)

عليكم تصحيح تصورتكم الفاسده فهي إن كانت تنفع في الدنيا بأن تمنع معاقبه المجرم مايمك من مال وماله من انصار فهي لاتنفع أمام قوه الله وقدرته سبحانه وتعالى

فاستعمل اسم الاشاره اولئك والتي تستعمل للبعد لبيان بعد ماعلقوا عليه أموالهم وطموحاتهم من أن كثره الأموال والأولاد تمثل قوه تمنع عنهم العذاب أو أنها تمنحهم حمايه أمام الازمات في المستقبل ولبيان بعد أقوالهم تلك مبينا حقيقه ان الغني والاقنتدار هو ابتلاء من الله لعباده المستكبرين باوليائه الضعفاء لينظر كيف يعملون فليس ع لامه علي أن لهم منزله وفضل في الاخره ولا أنه حمايه لهم من عذاب الله بل إن تلك النعم تكون سببا في هلاكهم فهم حطب نار جهنم المستعره

الأمر الثاني

تنتقل النصوص الي استعراض مصير المكذبين الذين اغتروا بما لديهم من عوامل وعناصر القوه الماديه من أهل الكفر الذين أخبرنا أنهم لن تنفعهم أموالهم ولا مالديهم من الجاه والسلطان والقوه التي اغتروا بها فيقول للمكذابين الذين من ضمنهم اليهود والنصاري أنظروا الي الفراعنه الشداد الذين تعرفون قوتهم وماكان لديهم من مال ومن سبقهم من الأمم السابقة التي لم يذكر من هي وجاء النص مبهم يقول اقرؤ التاريخ وانظروا الي حال الأمم في الخير والشر وأسباب العزه والكرامه والرفعه والاستعلاء التي حظي بها أهل الخير وانظروا الي أسباب الهلاك و الضياع والعذاب الذي لحق بأهل الشر أنظروا الي عاقبه المكذبين فقال تعالي (كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب)

المساله الاولى

الايه الكريمه ترسم صورته لمشهد حال الكفار وحركتهم جميعا في كل زمان ومكان بأنهم مغترون بالقوه الماديه فهم يسعون إلى جمع الأموال والحصول على مصادر القوه بنظرهم من كثره الأموال والأولاد والأنصار والجاه والسلطان لأنهم يرون أنها فيها الضمان لهم في الدنيا من الازمات وكذلك يرون أنها لهم قوه بالآخره ولذلك فقد سعي وعمل هولاء وكدحوا بلا انقطاع من أجل تأمين أنفسهم بما يرونه أنه يمنع عنهم القهر والذل والمهانة

ولهذا استعمل المولي سبحانه وتعالى (الكاف) في كذاب لتشبيه حال الكفار في كل زمان بحال من سبقهم لأن نفوسهم تلاقت علي معارضة الحق والوقوف بوجهه وكراهيه الحق وعلي التعلق بالدنيا والتشبث بها فقد جعلوا منها هدفا وغايه لحياتهم لأنهم يرون أن فيها القوه التي تمنع عنهم الاذي وتجعلهم غير محاسبين لافي الدنيا ولا في الاخره عن افعالهم فولدت فيهم الطغيان والضلال والميل نحو اهوائهم الباطله الفارغه لتحصيل أكبر قدر ممكن من الملذات

ولهذا جمع المجرمون كلهم في كل زمان ومكان بغض النظر عن أوطانهم وازمنهم لأن الزيف والاعجاب بالنفس و المال والقوه تولد فيهم الاستخفاف بقوه الطرف الآخر والمغاله في تقدير القوه الذاتيه ولا ينظر الي مافيه أسباب هلاكه فتكون حركات هولاء وسيعهم حركه سلبيه الفاعليه انانيه تقف ضد الحق لانه يتعارض مع مصالحهم الشخصيه فهم يغترون بما لديهم من مال وقوه ويستعلون بها علي المستضعفين من المومنين الذين ابتلاهم الله ب الفقر ونقص الاعداد فيحسبون أن الرضا والسخط بكثره المال والأولاد جهلا بموقع الفتنه والاختبار في مواضع الغني والاقتدار وقد قال الله تعالى (ايحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات... الخ ف الله يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم باوليائه المستضعفين في أعينهم

المساله الثانيه

وهنا يعيبيهم الله هذا المثال المضروب الذي ابتداء به (كذاب آل فرعون) وهو مثال معروف لليهود ذلك أن فرعون عدو اليهود اللدود والخطاب جاء فيه تشبيه حال اليهود والنصاري في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بحال الفراعنه وهذا فيه الآتي

١

انقطاع الصله بينهم وبين موسي عليه السلام ومن كانوا معه من المومنين الذين وجهوا فرعون لانهم أصبحوا تابعين لمدرسه الشيطان الذي ينتمي إليه ال فرعون وقوم صالح وقوم هود وقوم نوح وقوم شعيب فكلهم ينتمون إلى مدرسه الشر فالجميع كذب بالرسول نتيجه الكبر والغرور والاغتراب بالمال والجاه والسلطان والقوه الماديه وكان ذلك سببا لهلاكهم وزوال ملكهم

٢

الخطاب فيه انذار المكذبين برسالة الاسلام نتيجه استخفافهم بفقر المسلمين وقله أعدادهم وضعفهم خاصه اليهود والنصاري بأن عليهم أن ينظروا الي حال بني إسرائيل فقد كانوا في ضعف وذل وهوان مستعبدين لدي الفراعنه فكيف كانت العافيه فيقول اعتبروا بما أصاب المستكبرين من قبلكم كيف اصابهم الله عندما كذبوا بآيات الله فقد كان التكذيب سببا جلب عليهم الهلاك والدمار

٣

يخبرنا الله أن الاعتزاز بالحق والاستعلاء ب الله فيه العز والتمكين والكرامه وان الاغترار بالمال والقوه الماديه فيه الذل والهلاك ولهذا خص بالذكر ال فرعون لأن فرعون كان له القوه والمال وكل عناصر القوه الماديه التي جعلته يستخف بموسى الذي دخل هو وأخيه هارون علي فرعون وهما يلبسان ثياب رثه لايملك الا عصاه فشرطا علي فرعون أن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه عندها تعجب فرعون من ذلك والتفت لمن بجواره الا تعجبون من هذين الشرطان لدوام عزي ومبكي وانتم تزون حال هولاء بالفقر والضعف ساخرا منهم استغناء بالمال الذي لديه والملك فقال (ولي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ام انا خير ام هذا المهين ولايكاد يبين) ثم قال فهلا القيا إليهما اساوره من ذهب اعظاما الذهب وجمعه واحتقارا لملابس موسي ف الله يقول

أنظروا ما الذي جعل موسي يدخل علي فرعون ولم يبالي بما لديه من قوه أنه الاعتزاز بالحق وموسي لم يكن صاحب قوه ولا الانبياء من قبله لأن الله يريد امتحان عباده ومعرفه صبرهم ولو جعل للانبياء قوه فإن ايمان الناس سيكون اضطراري ولن يبقي محل للجزء علي خير اوشر ولكن الله جعل رسله أولي قوه بالعزائم وضعف بماتراه الأعين من حالاتهم مع قناعه تملأ قلوبهم كما ذكر الإمام علي و

المساله الثالثه

لهذا يأمرنا الله أن ننظر الي الأسباب التي كان بها نجاه المومنين ويقول احذروا من طريق هولاء الممتده جذوره الي مدرسه الشر فلا تنظروا الي المال والجاه والسلطان فاما كان فيه فرعون يفوق مالمديكم فهل نفعه ذلك لقد اهلكه الله فجاءت النصوص تبين سنه الله باهلاك كل من يكذب بالآيات سواء المعجزات أو الأحكام الداله على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

فاستعمل الأخذ بالعقاب (فاخذهم الله بذنوبهم) وهذا فيه

١

ترسم في الذهن صوره مؤلمه المأخوذ فجاء المفصحه لحال من كذب بالآيات بعد بيان اغترارهم بالباطل وأسباب استغناءهم عن الحق بأن ذلك يعود إلي استعلاءهم بالاموال والأولاد فذكر أنها لن تغني عنهم شيئا فذكر أن مثل هولاء كمثله الفراعنه الشداد ومن قبلهم فالنفوس واحده للكفار في تكذيب الحق فجاءت إلقاء لبيان ما قبله (كذبوا باياتنا) أن الاخذ سببه التوكذيب للآيات

١٢ استعمل إلقاء للإفصاح عن سنه الله في معاقبه المجرم وأخذه تعني قهره وبدون رضاه لبيان عدم جدوي المال و الجاه والسلطان والقوه فهي استدراج لهم توجب عليهم سنه العقاب والتاريخ ملئ بالشواهد ولهذا يذكر المولي السبب والعله التي أوجبت لهم العذاب فقال تعالي (بذنوبهم)

فالباء هنا امانها سببيه تعني أن ذنوبهم هي التي أوجبت لهم العقاب وهي اشاره الي كفرهم وتكذيبهم الرسل فإن وجود هذا السبب يفسر لنا النهايه التي انتهت إليه الأمم السابقة المكذبه رغم امتلاكها القوه الماديه التي تفوق قوه المومنين فالجريمه توجب العقاب

أو هي المصاحبه (الباء) فيكون المفهوم ان أخذهم مصاحبه ومنتلبس بالجريمه اذا لاعتقوبه الا بفعل مجرم وهو التوكذيب فالجريمه منبعضها الاغترار بالقوه الماديه التي تجعله يستخف بغيره من المستضعفين ويوجه الحق وأن ذلك بعد امهاله لأن لفظ دأب تعني التتابع في السير في طريق الجريمه دون تراجع حتي يحل العذاب فناسب لفظ أخذهم بالشده القويه بما يتناسب مع شده الجريمه فذكر سبحانه وتعالى أنه شديد العقاب لبيان انه أخذهم بالشده القويه التي جعلتهم عاجزين عن المقاومة فلم تنفعهم أموالهم ولا أولادهم فالنص فيه التحذير بإيقاع الجزء و التظمن للمومنين بأن الله سوف ينصرهم

الأمر الثالث

(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الي جهنم وبئس المهاد)

أن الخطاب موجها من الله تعالى الي نبيه أن يبلغ الكفار بهذا الخبر أنهم سوف يغلبون ويقهرون في الدنيا وانهم سوف يجمعون ويحشرون ويسوقون الي جهنم البئر العميقه المشتعله بالنيران.... وبالوقوف علي الايه الكريمه ومدلولاتها نجد الآتي

لفظ قل تدل ان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه بإعلان هذا الأمر للكفار قاطبه والمعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أرسل لانداز الكفار وأنه يبلغ ما في القرآن كله فلماذا جاء النص هنا بلفظ قل الجواب بالآتي

١

تأكيد عبودية الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه يبلغ ما يومر به من الله والمراد بهذا تأكيد أن الكلام ليس من عند النبي صلى الله عليه وسلم وإنما يبلغهم بكلام الله لتأكيد سنته في اهلاك المكذبين التي ذكرها في الآية قبلها مثلما قال في الانفال(قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وأن يعودوا فقد مضت سنة الأولين)

وهذا فيه تحقيق مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم في البشارة للمومنين بالنصر والتمكين والكرامه (كتب الله لا غلبن اناورسلي)وقوله تعالى (انا لنصرنا رسلنا والذين آمنوا في الحياه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ذلك أن الخطاب كان في وقت فيه المسلمون ضعاف وقله غير قادرين علي مواجهه الأعداء من حيث القوه الماديه ومع هذا جاء الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أن يرد علي هولاء بأن مصيرهم الهزيمة والقهر في الدنيا والجمع والسوق الي جهنم

٢

أن ابتداء النصوص بقل يعني أن الموضوع محل الايه يحتاج الي الاهتمام والعناية منكم ف جاء استئناف الحديث لانتقال من المثال المضروب الي الانذار الواثق بأن مصير الكفار الذين اغتروا بما لديهم من أموال وقوه فيقول لهم وهو خطاب عام يشمل جميع الكفار سواء اليهود الذين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم بعد بدر لا يغرنك يامحمد انك انتصرت علي قومك من قريش فهم لاخبره لهم بالقتال وأما نحن فلن تقدر علينا فنحن أهل قوه وعتاد ومال....فاخبر الله نبيه وهو خطاب لكل المومنين في كل زمان أن يتوجهوا الي الكفار واثقين بنصر الله في الدنيا والآخرة بأن الكفار سوف يغلبون ويقهرون فهذا وعد الله للمومنين والذي طلبوا من الله فقالوا (ربنا فانصرنا علي القوم الكافرين)

وهنا يقول لنا الله أن هذا الوعد للمومنين بالنصر يتطلب أن يكون منهم الايمان وعدم الشرك والإخلاص (وعد الله الذين آمنوا منكم لستخلفنكم في الأرض...الخ وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره) وقال تعالى (يعبدونني ولا يشركون بي شيئا) وهنا ابتداء (الله لا اله الا هو الحي القيوم) أن تكون نقطه الانطلاق من التوحيد وأفراد الألوهية والربوبية والعبودية لله وحده وبالنظر الي حال امه الاسلام اليوم يجد فيها الضعف والهوان لأنها تركت عقيدتها وتخلت عن مصدر الهامها وقوتها بالارتباط والاستعلاء بالحق فهي أصيبت بداء الاغترار بالمال والجاه والسلطان ولم تصبح تعزز بالحق فاصابها ما أصابها

المسالة الثانيه

أن المولي سبحانه وتعالى يلقي نبيه أن يرد علي هولاء أن أموالهم وأولادهم لن يمنعوا تحقيق وعد الله بنصر الحق فقال (ستغلبون وتحشرون الي جهنم وبئس المهاد)

وذكر أمرين الغلبه والقهر بالدنيا...والخشر والسوق والجمع للكفار جميعا في نار جهنم وبالوقوف نجد الآتي

انه استعمل السين في ستغلبون وهذا في وقت كان المسلمون في غايه الضعف وهذا فيه تأكيد وقوع النصر للمومنين علي الكفار وفيهاللقاء الرعب في قلوب الكفار بالخسارة بالدنيا والآخرة

١٢ التهديد والوعيد للكفار جميعا وان اختلفت طرقهم فهي تجتمع علي الاغترار بالمال والقوه والسلطان الذي

يقلل رشدهم فالله يخبرهم أن مآلهم لن يعصمهم من الله وانهم سوف يقهرون في الدنيا والآخرة سوف يسوقون ويجمعون في نار جهنم

٣

انه فيه اخبار لما سيقع وفعلا هزم اليهود وقتل منهم في يوم واحد ستمائة وإخراج بني النضير وبني قينقاع وغيرهم فهذا الاخبار من اعجاز القرآن الذي أخبر عن وقائع لم تقع بعد فيه انتهاك لحاجز الزمان

٣

ذكر الله الغلبة بالسيين (ستغلبون) ولم يذكر ذلك في (تحشرون) فلم يقل ستحشرون وذلك لأن هؤلاء كانوا مغترون بقوتهم فلم يتصوروا أن يقهروا علي يد المسلمين ولهذا فإن ما حصل لهم من القهر في الدنيا دليل علي وقوع السوق والجمع في جهنم مع من سبقهم من الكفار لأن ثبوت صدق ماخبرهم به الرسول من الهزيمة في الدنيا يوجب الايمان بالحشر

ذكر أن جمعهم وسوقهم الي جهنم ودم ذلك المصير لانهم اساءوا التقدير فتصوروا أن الأموال والأولاد والأنصار و الجاه والسلطان سوف يوفر لهم الماوي والمهد الذي يستريحون فيه لانهم تصوروا أن الله خصهم بذلك لانهم لهم منزله عنده كما قال صاحب الجنة (ولئن رددت الي ربي... الخ ف الله يتهكم عليهم بأنها مهد قبيح فالنار ملتفه عليهم من كل جهه فاي راحه وهم بذلك الحال فليس المال ولا القوه في الدنيا تكون اداه توفير الراحة والفراش الطيب بل الأعمال هي التي تمهد لك الفراش الطيب أو الفراش المذموم فالنار مبعثها اعمالك في الدنيا أن كانت طيبه كانت الراحة والسعادة وان كانت قبيحه كنت انت السبب في المصير المذموم فقبح ما مهدت لنفسك من فراش مذموم

الأمر الرابع

قد كان لكم ايه في فنتين التقتا فئه تقاتل في سبيل الله واخري كافره يرونهم مثلهم راى العين والله يؤيد بنصره من يشأ أن في ذلك لعبره لأولي الأبصار)

الخطاب في قوله قد كان لكم ايه...ذهب المفسرون الي اراء متعدده بالمقصود بالمخاطبين فمنهم من قال إن المخاطبين هم المومنين ومنهم من قال إن المراد بذلك هم اليهود ومنهم من قال إن المراد بذلك مشركي قريش وكذلك فإن الواقعه محل الايه منهم من قال إنها بدر ومنهم من قال إنها مفترضة ولهذا سوف نتناول شرح الموضوع وفقا لتلك الآراء

المبحث الأول

إذا اخذنا برأي من قال إن المخاطبين هم اليهود أو الكفار بشكل عام باعتبار هذا استثناء في انتقال من الانذار الورد بالايه قبلها الي التهديد والوعيد المشفوع بالدليل والبرهان الذي يحتوي علي إثبات سنه الله في نصر أوليائه وهزيمة أعدائه وهنا

١

يحتمل أن المثال المضروب للفته المومنه التي قاتلت الكفار هي مفترضة باعتبار أن التاريخ ملئ بتلك الشواهد ف اليهود تعرف قصه جيش طالوت الذي كان قله من حيث العده والعتاد مقارنة بجيش جالوت كما عرفنا من سورة

ويحتمل أن المراد بالواقعة هي واقعه بدر كما ذهب البعض حيث أن اليهود بعد هذه الواقعة حصل من البعض الا هتزاز وأدركوا أن النبي صلى الله عليه وسلم هو النبي المنتظر وهوو باتباعه ولكن قادتهم رفضوا ذلك... الخ

وقيل أيضا أنه عندما انتصر المسلمون في بدر خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم اليهود يدعوههم إلى الإسلام وهددهم بالقهر والخذلان والفشل في الدنيا والآخرة وهم قد اغتروا بما لديهم من مال وقوه فقالوا يامحمد لا يغرنك انك انتصرت على قوم لأعلم لهم بالقتال أما نحن فنحن أهل شراسة في القتال ومعرفه ولدينا كل عناصر النصر وكثره الاعداد.... فجاء الرد من الله بأنكم سوف تغلبون وتحشرون معطوفه عليها لبيان ان أموالهم وأنصارهم لن تنفعهم فيقول لهم أنظروا إلى قتال المسلمين ولا تغتروا بقله أعدادهم وضعفهم وكثره اعدادكم فإنهم قد اقدموا علي قتال المشركون في بدر وهم يفوقون أعدادهم ثلاثه مرات فقد كان عدد المسلمون ثلاثمائة واربعه عشر والمشركون تسعمائة وخمسون ولم يكن مع المسلمين دورع وثلاث.... فهم رغم رؤيتهم ذلك التفوق المادي للعدو أقدموا علي القتال فهم لايهابون الموت لأن قلوبهم مملؤه بالإيمان وارتباطهم بالله واثقين بنصره وقد كان لهم النصر علي المشركين فهذا وعد الله للمومنين به وعليكم أن تأخذوا العبره للانتقال من صفوف الكفار لتكونوا في صفوف الايمان أن كان لكم عقول... وهذا الرأي لمن قال إن الخطاب موجه للكفار وتحديدا اليهود لأن التاء في (ستغلبون...تحشرون) تدل ان المخاطبين في (قد كان لكم ايه في فئتين)هم الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أنهم سوف يقهرون وان هذا علامه علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم معروف لديهم لأن بدر هي يوم الفرقان وقد صدق الله وعده وانهزم اليهود وطردوا من المدينة كما ورد في سوره الحشر فقد ورد فيها بيان القهر لهم وهزيمتهم وتخريب الديار بأيديهم وأيدي المومنين وغنم المسلمون الفئ وذكر الله أن ذلك هو الخساره في الدنيا وان العذاب ينتظرهم في الآخرة

المبحث الثاني

أن الخطاب موجه لكل مكلف ومن ضمن من شملهم الخطاب المومنين الذين طلبوا في سوره البقره من الله تعالى أن ينصرهم علي القوم الكافرين وهي ما اختمت به السوره فقالوا (ربنا وانصرنا علي القوم الكافرين)

وهنا نجد أن الله يقول لنبية أن يخاطب الكفار الذين جمعهم كلهم في الخذلان والذل والمهانة والخساره والقهر (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون... الخ وهو خطاب لكل المومنين ولكل من يأتي خطابه ممن يأتي بعد واقعه بدر بأن الله ينصر أوليائه عليكم أن تثقوا بذلك وهذا وعده الذي حققه في بدر فقال (قد كان لكم ايه في فئتتين التقتا فئه تقاتل في سبيل الله.... الخ

المساله الاولى

يقول الله لنا أن واقعه بدر علامه داله علي صحه الاسلام والا كيف غلبت الفئه القليله الفئه الكثره وقد صرح في ايه آخري أن واقعه بدر هي معركه الفرقان بين الحق و الباطل (وما انزلنا علي عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان)وقد ذكر أن موقعه بدر بينه يعرف كل واحد مصيره فيها فقال تعالي (ليهلك من هلك عن بينه ويحي من يحي عن بينه)ولهذا استخدم (كان) ولم يقل كانت لأن لفظ ايه تانيثها غير حقيقية بل مجاز وقد ردها الي البيان اي قد كان لكم بيان فذهب إلى المعني وترك اللفظ بعد حصول الابلاغ عن حركه الكفار في الدنيا والآخرة بالخذلان والخساره في الدنيا وجمعهم وحشرهم وسوقهم في الآخرة باختلاف أفكارهم

ف الله يقول لكل مكلف أن هذه المعركة فاصله بين الحق والباطل فيها إيدانا بديابه عهد التمكين والعز الذي وعد الله به المومنين وان الكفر وأهله كلهم من مشركين ويهود ونصاري وغيرهم قد تجمعوا في قالب واحد خاسر فيه القهر والغلبه والذل والمهانة في الدنيا والآخرة... لأن الله يقف بصف المومنين وهذا وعده لهم وهم قد طلبوا منه أن ينصرهم علي القوم فأخبرهم في بديابه هذه السوره أن تحقيق النصر وحصول العون الإلهي يتطلب

١

أن تكون الحركة خالصه لله تعالي لاتريد لنفسك شي فأنت تبيع نفسك ومالك لله لاشريك له فالنقطه التي تنطلق منها هي التوحيد لله بالالوهيه والعبوديه والربوبيه (الله لا اله الا هو الحي القيوم) والثقه بالله والاطمئنان بنصره والتوكيل عليه ايمان اليقين والتصديق الراسخ فوعد الله للمومنين (وعد الله الذين آمنوا منكم ليستخلفنكم... الخ اشترط فيه (يعبدونني ولايشركون بي شيئا)

٢

أن يكون الهدف من الحركة هو السير في طريق الله تعالى قتال أو جهاد النفس أو غيره ليس له طريق غير إرضاء الله تعالي وهذا الأمر يتطلب منك أن تنتظم في الصفوف وتتبع القيادة فقال تعالي (هو الذي نزل عليك الكتاب به الحق مصدقا لما بين يديه... الخ فاللازم احترام القيادة والهيكل التنظيمي فذكر نزل القران الكريم علي النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره القائد الذي اصطفاه الله لهذه المرحله وكرر ذلك بعد نفي انتهاء العمل بالتوراه والإنجيل بأنها أصبحت فاقده الصلاحيه للعمل بها فقال (وانزال التوراه و الانجيل من قبل هدي للناس) وذكر بعدها أنه انزل الفرقان كما ذكر في سوره الحديد (وانزل الحديد... الخ لبيان ان هذه المرحله سوف يجتمع فيها أهل الكفر في قالب واحد ضد الحق الذي هو الورايت لجميع الأديان السماويه في القران و اشار الي تحقيق نصره وهزيمة الكفار الذين يرفضون الحق وان كانوا أهل كتب سماويه

موضحا أن البشريه انتقلت الي مرحله النضج وأنه لابد لاهل الحق أن ينتظموا في الصفوف تحت قياده الاسلام لمنع التضاربت في التوجيهات ف الله يعلم أن المرحله تتطلب رسول واحد ومنهج واحد للعالم اجمع لإصلاح الخل في الأرض ولهذا ذكر علمه وقدرته وحكمته وان في هذا القران العزه والكرامه والرفعه والاستعلاء للإنسان الذي خلقه الله وصوره فاللازم عليكم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومرعاه الأولويات بتنفيذ التوجيهات في الآيات المحكمه والايمان بالمتشابهه وتغليب المصلحه العامه الحاليه علي المصلحه الذاتيه فذكر فساد الذين يتبعون المتشابهه نتيجته تداعي القلوب الي الأهواء والبدع الباطله والميل للدنيا والتنافس عليها مبينا أن هؤلاء محرومون من النور الرباني لأن يسعون الي اعاقه عمل المنهج لا يريدون النظام وانما يريدون الفوضى والعشوائيه فهم فاسدون ومحاربون القدوه الصالحه لانهم مغترون بالمال والقوه والسلطان والوفره الماليه والعسكريه من شعور الا ستغناء لغياب العنصر الإيماني فمن الطبيعي أن يولد فيهم الطغيان فقال تعالي (أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله... الخ مبينا أن التاريخ ملئ بالنماذج التي أصيبت بالاغترار وكيف أنها تودي بصاحبه الي الكارثه فقد ادي اغترار فرعون ومن قبله وخص ال فرعون لأن الفراعنه صفه الاستبداد السياسي والوثني منها اشاره الي فرعون ومنها الي من سلك نهجه من بعده الي عصر الإسلام لأن ابوجهل سمي أنه فرعون هذه الامه فهو من ال فرعون ف الله يقول (وجعلنهم ائمه يدعون إلى النار) فهو كان في بدر يعيش نشوه ونخوه السكر وحب الرئاسه فلم يستطيع تقدير الأمور علي حقيقتها فهزم تحت تأثير الفرح لانهم خرجوا بطرا رنا الناس فذكر الله أن صفه الكفار واحده في الاغترار والنتيجه واحده هي الهلاك فصاحب الجنه قال (وماظن الساعه قائمه ولئن رددت الي ربي لاجدن خيرا منها منقلبا) والنتيجه واحده هي الهلاك والضياع لانهم لايشعرون بالرقابه بعكس المومنون فهم يخافون الله لأنهم يدركون أنهم سوف يعودون الي الله ولهذا يأتي الخطاب موجه للجميع أن عليكم أن تنظروا الي أنفسكم في الصفوف سوف تقفون فلا يوجد حياذ وكان الخطاب موجها الكفار بانهم سوف يغلبون

ويقهرون ويحشرون ويسوقون الي جهنم فذكر أن معركة بدر فاصله في تاريخ الخير والشر وهنا يقول لنا أنها ايه وعلامه علي تحقيق وعد الله ولهذا فإن حال المسلمين اليوم يعود إلي مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن منهجه فإذا أرادوا النصر عليهم العوده الي الله

المسالة الثالثة

هذه المساله هي امتداد للنقاط الوراده في المسألة الثانية وهي تشير الي أن النصر يتطلب المشاركة في المعركة ضد الباطل كلا بحسب القدرات والمهارات والمهام الموكلة إليه فقال تعالي (قد كان لكم ايه في فئتين التقتا فنه تقاتل في سبيل

١

أن لفظ فنه تدل على اجتماع الناس في جماعه موحده لها اهداف وغايات تسعى إلي تحقيقه فهي جماعه منتظمه لها اعمال منتظمه كما يفهم من سياق النصوص ويدل علي أن هنالك صراع بين الحق والباطل فقد ذكر التقا الفئتين والمسألة تحتاج إلى تظافر الجهود فليس الواحد قادر علي القيام بالمهمة وحده فالله يقول لنا أن نصركم يكون بـ التوحد ونبد الفرقة وعليكم ترك التنافس وانتم بحاجه الي الاداره الرشيده في هذه المواقف فالله يقول (ياايها الذين آمنوا إذا لقيتم فنه فاثبتوا واذكروا الله كثيرا . . . الخ وقال (ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا . . . الخ

٢

فيقول لنا الله أن أول شي للنصر هو تحديد الهدف والغاية من القتال فقال في وصف الفئه الاولي (تقاتل في سبيل الله) لبيان ان هذا الهدف فيه قوه وهو من ضمن العده والعتاد التي تكون من أسباب النصر والنجاح فوضوح الهدف هنا يعني التخلص من التشبث بالدنيا والشهوات وايضا تشعر بالقوه لان من تقاتل في طريقه هو القوي العزيز الذي لا يغلب ولا يعجزه شي لبيان القتال لا يكون إلا في طريق الله

ولهذا جاء رفع فنه ووصفها بأنها تقاتل في سبيل الله اشارة الي أنها فنه كامله ولهذا لم يذكرها بانها مومنه كما ذكر الفئه الأخرى بأنها كافره لأن تحديد هدفها يدل علي الكمال الايماني لها في ذلك مدحا يعني عن البيان كما أن تحديد هدفها جاء بالفعل تقاتل في سبيل الله ولم توصف الفئه الكافره بأنها تقاتل في سبيل الطاغوت بما يقابل الفئه الاولي فيه تحقير لشانهم وان قتالهم خاسر واسقاطا لقتالهم وانهم مغترون بقوتهم فناسب ذلك أستخدام الا سم كافره مثلما ناسب استعمال الفعل بالنسبه للفئه المومنه بأنها تقاتل في سبيل الله للاشارة الي أن القتال متجدد باستمرار مع الباطل ولا بد أن يكون هدفكم هو أن يكون القتال في سبيل

المبحث الثالث

ذكرت النصوص الرؤيه (يرونها مثلهم راي العين)

والسؤال منهم الذين يرون ومنهم المرئيون وهل الرؤيه بالمشاهده ام العلم ام القلبيه وكيف يكون الجمع بين النص وماورد في سوره الانفال بقوله تعالي (إذ يريكموهم الله في أعينكم قليل ويقللكم في أعينهم ... الخ وماهي المثليه هنا وهذا ماتناوله من خلال الآتي

١

أن الذين روا يجوز فيه أن المراد بهم المومنون فهم شاهدوا الكفار فالميم والهاء في مثلهم تعود علي الكفار فيكون المعني هنا أن المسلمون روا الكفار ضعف ماهم عليه بمعني صاروا يرونهم حولي الفين فالله يقول أنظروا

إلى الأمر العجيب الذي لا يتفق ومنطق الأسباب الواقعية فإذا كان الكفار ثلاثة اضعاف اعداد المسلمين بالواقع وهم يرونهم ضعف ما هم عليه فانظروا كيف أن النصر كان للمسلمين مع قتلهم وفي هذا اشارة الي أن عناصر القوه في المعركة تختلف عن نظرتكم انتم ايه الكفار الذين اغتريتم بالمال والقوه الماديه فالنصر بنظر هؤلاء غير متعلق بالكثره ولكن باراده الله ونصره وتايده فالقتال بنظرهم ليس سببا للنصر ولكن مشيئته الله وحكمته ولهذا فقد اضيف الي عناصر القوه لديهم القوه المعنويه التي لاتوجد لديكم وهذا ما يفسر لنا عدم وجود التعارض بينها وبين ماورد في الانفال (اذا يركهوههم في أعينكم قليل.... الخ بأن هذه الايه الكريمه جاءت بمناسبة تناول مثال علي السيطره المعنويه علي الأحداث أثناء سير المعركة حيث أن النصوص وردت بمناسبة اغترار اليهود بالقوه الماديه في ردهم علي دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم الي الاسلام بعد أن أظهرت واقعه بدر علامه صدق نبوته فقالوا يامحمد لا يغرنك انك انتصرت على قوم لأعلم لهم بالقتال وهم قله.... الخ

٢

بينما الايه الأخرى في الانفال تتحدث عن الشجاعه في الإقبال على المعركة فذكر أنه قتل عدد المسلمين بنظر الكفار. فاغرمهم علي القتال لانهم نظروا أن عدد المسلمين قليل وهم قد ذكر الله أنهم خرجوا بطرا ورثا ومن أجل أن يقال وهذا جعلهم يستخفون بالمسلمين ولم يستعدوا لهم فلم يقوموا بالتخطيط الجيد نتيجة ثقته الزائده بـ النفس والاستخفاف بالمسلمين وهم من البدايه خرجوا نتيجة الاغترار فقال تعالي (ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطر ورثا الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس) فكان التقليل في بدايه الامر لأجل اغراءهم علي التجرد علي القتال ليكون لهم الهلاك وبفس الوقت فيه تثبيت للمومنين وتقويه العزيمه لديهم خاصة وأنهم قد وصل الي علمهم قبل ذلك عندما أمسكوا برجل في بدر وسالوه عن اعداد المشركين فقال هم كثير وباسهم شديد وأنه بعد ذلك سأل الرسول صلى الله عليه وسلم كم تذبحون فعرف أنهم الف كما ورد في السيره النبويه فعندما وصلوا الي ساحه المعركة ورواهم قليل أعطاهم ذلك اقدام علي القتال وقد ورد عن ابن عباس أنه قال عندما ريناهم في بدايه الامر لاحظنا أنهم مثلنا لايزيدون علينا الا واحد لكن عندما حصل الالتحام نظر المسلمون فروا اعداد المشركين ضعف وكذلك كان حال المشركين فقد شاهدوا اعداد المسلمين ضعف وهنا حصلت المفارقة لأن المسلمون لم يتفاجوا بالعدد فهم قد سبق لهم من أخبار الرجل وما استنجاه الرسول صلى الله عليه وسلم أن اعداد العدو بحدود الف مقاتل فكانت تلك إشارات انذار تحذيريته جعلت المسلمون قادرين علي مواجهه الازمه فلم تتحدث لهم تشويش في استقبال ما شاهدوا من رويه ضعف العدد فهو كان متوقع

بينما الكفار تفاجوا واصابهم الضعف والوهن وذكر الله أنهم يقاتلون بدون فقه فتلك عله الهزيمه (يايها النبي حرض المومنين علي القتال أن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائه يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون)

فكان هذا التقليل في بدايه الامر لأجل اغراءهم علي القتال وايضا فيه تزويد المومنين بقوه اقدام علي اقتحام الصفوف بينما رويه ومشاهده اعداد الكفار ضعف كان لغرض التفوق في السيطرة على الأحداث من خلال ما أمرهم الله من الصبر والثبات (ولاتنازعوا فتفشلوا... الخ وأمرهم بطاعه الرسول والقائد في المعركة وان كثره الا عداد كانت متوقعه لديهم وهو مالم يتوقعه الكفار

٣ أن ذلك كان بتدبير الله حيث جعلهم يملكون عامل السيطره علي مجريات المعركة فذكر الله لنا أن عناصر القوه ليست ماديه فحسب بل هنالك عناصر معنويه وتوفير الظروف ولو بدون اسباب ظاهره تجعل أهل الإيمان القله يسيطرون علي الأحداث وينتصرون لبيان ان النصر يكون بتايد الله وعليكم أن تشاهدوا هذا من خلال الواقع المحسوس لتنظروا كيف نصر الله الفئه القليله امام الفئه الكثيره فكل شئ بمشيئه الله وهنا يقول (إن في ذلك لعبره لأولي الأبصار)

استخدم اسم الاشارة لبيان في هذه الواقعة العظه والعبره وهي من العبور تعني الانتقال من مكان الي اخر فيقول إن هذا الدليل المحسوس هو لتفقهوا كيفيه العبور من التشبث بالدنيا والشهوات والملذات التي تجعلك تنظرون للأشياء من نظره ماديه فهذه الايه فيها الدليل علي عطاء الله وهدايته ورحمته ونصره لاوليائه وعلي منع أعداءه وعذابهم وضلالهم فالهدي والفضل والنعمه والرحمه متلازمات لاينفك بعضها عن بعض كما أن الضلال والشقاء و الخذلان والفشل متلازمات لاينفك أحدهما عن الاخر

ولهذا فإن أهل البصيره هم الذين ينتفعون بالعبر وينتقلون من الكفر الي الايمان بالعزيمه أنها اداه تعبر بهم من حاله التشبث بالدنيا والأسباب الي رؤيه قدره الله وأنه تعالي بيده الأسباب كلها وينصر أوليائه ولو بما هو خارج عن المألوف فيمنحهم من الأسباب ما لا تخطر علي البال يجعلهم يسيطرون علي الأحداث ولهذا فإذا وجدت في نفسك عدم اعتبار واتعاظ بالأحداث التي فيها دلالة علي تدخل قدره الالهيه فاعلم انك ضعيف البصيره أو معدوم البصيره وان المساله تعود إلي ضعف النفس نتيجة تعلقها بزينه الحياه الدنيا ولهذا يقول لنا تعالي في

القسم الثاني من ايات هذا المقطع

(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطره من الذهب والفضة والخيل المسومه والانعام و الحرث ذلك متاع الحياه الدنيا والله عنده حسن الماب قل أؤنبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وازواج مطهره ورضوان من الله و الله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا امننا فأغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)

اولا

بعد أن ذكرت النصوص قبلها ما كان من اليهود الذين اغتروا بالاموال والأولاد وماحصل من علقمه بن الحارث الذي رفض اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم خوفا أن يسلبه الروم الجاه والمال والسلطان وبعد أن حث الله المومنين علي القتال تأتي النصوص بقوله تعالي (زين للناس)

فذكرت النصوص

الأمر الأول

تكشف النصوص لنا عن البواعث والدوافع التي جعلت اليهود والنصاري يرفضون الحق رغم علمهم بصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر لنا أن اغترار هؤلاء بالاموال والأولاد ورفضهم الحق يعود إلي أن الفطره البشريه ابتلاها الله تعالي بأن خلقها وجعل فيها أشتيه بعض الاشياء فهي مرغوبه للنفس وخص بذلك سبع اشياء النساء ..والبنين . والقناطر المقنطره..والذهب والفضة والخيل المسومه والانعام والحرث فهي من الأمور التي يستمتع ويستلذ بها الإنسان في الحياه الدنيا...مبيننا لنا أن الناس في حركتهم لا يخرجون عن نطاق هذه الملذات فهي تجمع جميع الشهوات وكلا له شهوه يسعي في حركته للحصول وان هذه الغرائز هي ابتلاء وامتحان من الله عز وجل لقوله تعالي (انا جعلنا ما علي الارض زينه لها لنبلوهم ايهم احسن عمالا)فالمزين هو الله تعالي أما تزين الشيطان فهو في الوسوسه عليها لبيان ان جحود اليهود والنصاري يعود

الأمر الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا اهميه صيانه النفس ورعايتها باليقظه الدائمه حتي لانصاب بداء اليهود والنصاري الذين اغتروا بالاموال والأولاد.. فيقول لنا الله

أن النفس البشرية فطرت علي حب التملك وإشباع الشهوات

وسماها بذلك لبيان شدة الاشتهي لها من الإنسان وفي هذا اشعارا من الله لخطوره هذه البواعث التي فطرت عليها النفس البشرية فهي تحتاج اتخاذ موقف منك بمواجهه تلك البواعث والاخلاط الرديئه التي تسكن نفس الإنسان لا نك في معركه مع الباطل بصفه مستمره ومتجدده وهذا الأمر يتطلب منك أن تجاهد في سبيل الله وانك سوف تجد عوائق تمنعك من الحركه لأن النفس لاتستطيع مفارقه الزوجات والأولاد وهي منشغله بجمع الأموال وحب الرئاسه وملذات الدنيا فالله يقول لنا انتبهوا أن تصابوا بالغفله الناتجه عن النظره الماديه للحياه كما حصل من اليهود والنصارى الذين انشغلوا بالملذات والشهوات وجمع وتحصيل أكبر قدر ممكن من ذلك فاستعمل لفظ الزينه للتفسير من ذلك الاعجاب الذي يتجاوز الحد الفاصل المباح كما قال تعالى في سوره التوبه (قل إن كان اباكم وابناءكم وازوجكم احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في.... الخ

فدلت الايه أن حب الاشياء المباحه لها حدود معينه فإذا تجاوزت هذا الحد فانها تصير محرومه وان كانت مباحه فالله يقول لنا انتبهوا من أن تفشلوا في الامتحان وتنشغلوا بالشهوات والملذات فانتم مطلوب منكم أن تكونوا في يقظه وازاله الغفله

الدرس الثاني

أن المولى سبحانه وتعالى يقول لنا أن الناس يختلفون في نظرتهم الي مافي الدنيا وزينتها نظرا للمعيار الذي يقيسون به الاشياء والبواعث التي يشاهدون بها الي الاشياء فالإسلام لا يصدر المباح والتمتع بمافي الأرض من وسائل المتاع لكن يحذر من النظره التي تجعل من تلك الأشياء حسنه لدرجه ان تأسر القلوب التي تتعلق بها وتجمد حركته نحو حياته الابدائيه الاخره فاستعمل المولى سبحانه وتعالى لفظ (زين) تعطينا معني أن هذا التزين قد تجاوز الحد الفاصل المباح للمتعه لأن لفظ زين تعني أنه فيه خداع العين فتراي شيئا قبيحا جميلا ولأن المراه قد تكون جميله لكن عندما تتزين تظهر بمظهر اجمل ولهذا قيل للحلاق أنه مزين فالنص فيه التحذير من الميل نحو هذه الأهواء التي سماها شهوات لبيان ان منبعها الأهواء حيث تودي الي الزيغ عن طريق الحق اذا جعلتها غايه لحياتك ولهذا نجد أنه تعالى ذكر الآتي

١(حب الشهوات من النساء)ولم يقل حب النساء لأن الأخير قد يكون محمودا أما الأول فهو يشير إلي أن الميل الي النساء ليس لبقاء النوع بالافتران الشرعي وانما يشير إلي أن هذا الميل يكون سببا في مخالفه منهج الله وخروجا عن الكمال الإنساني الذي يميزه عن سائر المخلوقات وبالتالي فإن هذا يشير إلي سهوله وقوع الإنسان في فتنه النساء اذا لم يقوم بتربيته نفسه لأن في نفس الإنسان ميل نحو التلذذ بالنساء والرسول صلى الله عليه وسلم يقول ماتركت فيكم فتنه اشد علي الرجال من النساء) فالمراد التنبيه من نزوع النفس لتلك الشهوه ولهذا قدم النساء لا ن الرجال اشد حرصا علي هذه الشهوه

٢

ذكر شهوه الاولاد والمراد بهذا أنه يفتن بكثرة اولاده بالتفاخر والتباهي والتكبر بتلك القوه وإلا فإن حب الاولاد مطلوب خاصه اذا كان يهدف إلي معاونته في طاعه الله ولذلك ذكر البنين لانهم كانوا يستعيرون من البنات وهو ما يفهم منه إن المراد من الذم هنا النظره الفاسده للاولاد بما يخالف منهج الله بأنها تنقلب من حاله طبيعه الي شهوه مزينه تجعلك تري الشئ مغاير لحقيقتها

٣

ذكر القناطر المقتطره وهي المال الكثير حيث أن الروم كانوا يعتبرون من يملك مل الجلد من الاموال هي

القناطر والمقنطره هي التي تجمع بعضها فوق بعض وهذا فيه اشاره الي ذم حب التعلق بجمع المال اذا أصبح غايه وإلا فإن جمع المال بحد ذاته ليس عيبا ولكن لاينبغي أن يكون تقديس المال والانشغال به عن أداء حق الله

٤

ثم خص ذكر الذهب والفضة وهي من المجوهرات التي يعشقها الإنسان وهو أمر مباح لكن المحرم أن يصير ذلك غايه حياتك فتكون منشغل بهذه الشهوه فهنا يكون التزين المعبر عن السقوط في الغفله

٥

ثم يذكر الخيل المسومه والمعلوم أن الخيل اذا استعملت في الجهاد فهي مباحه وكذلك الترحال مباح لكن المنهي عنه هنا هو التفاخر والتباهي بها واستعمل الخيل وهي من الخيلاء ولاشك أن ركابها يري نفسه فوق الناس خاصه مع قوله المسومه اي الحسنه والرائعه في منظرها كما هو حال من يركب السيارات الفارهة في الوقت المعاصر بقصد التفاخر فهذا هو التزين الذي يفسد الإنسان ويجعله يتخذ لحياته هدفا وغايه تخالف منهج الله والهدف من الوجود الإنساني علي الارض

٦

الانعام جاء بلفظ العموم وهو يشمل الثمانية الأزواج المذكورة في الانعام البقر والابل والماعز والضان وهو أمر مباح ومن حقه أن تعجب بذلك لكن لاينبغي أن يكون ذلك أمر يمنعه من القيام بأمر الله

٧الحرث

الامر الثاني

يقول لنا الله (ذلك متاع الحياة الدنيا)

أن جميع مافي الارض من متاع لا يخرج عن هذه الأشياء السالفه الذكر وهي فانيه وتزوال فسامها المتاع بمعني أنه موقت وان الحياه هي الدنيا اي العاجله من السفلي وفي ذلك الدرس الاول

أن الله تعالى يقول لنا أن الدنيا لاتستاهل منكم هذا الانشغال بها فهي السفلي وهنالك حياه ابدايه فيها الرافعه (و الله عنده حسن الماب) يقول لنا أن الحياه التي فيها المتاع الحقيقي هي عند الله فعليكم إن تتخلصوا من التشبث بالدنيا والشهوات وان القلب اذا مرض بالشهوات لاتنفعه المواعظ فهؤلاء اليهود والنصاري والكفار رغم الآيات لم يأخذ العبره من موقعه بدر ولاغيره رغم علمهم بالحق لأن قلوبهم منشغله بالشهوات فهي محجوبه عن رؤيه الحق لأن هولاء انشغلوا بدنيا تزين لهم ونفوس اماره بالسوء وشيطان يوسوس لهم وتركوا العلم فقد قال تعالي (فما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه... الخ وهم لاعقول لهم وقد أخبرنا الله أنهم لم يتعظوا (أن في ذلك لعبره لأ ولي الأبصار)واخبرنا أنهم اشركوا ب الله لانهم استغنوا بالاموال والأنصار عن الله ولهذا فهم اتبعوا الهوي وتركوا الحق فهم بهذا قد حجدوا الحق برغم علمهم به

الدرس الثاني

يقول لنا الله تعالى انتبهوا من الرضا بالدنيا والغفله عن آيات الرب لأن اليهود وغيرهم ممن ذكرهم الله في الآيات بأنهم هلكوا إنما كان ذلك بسبب الغفله عن آيات الله (قد كان لكم ايه في فئتتين التقتا... الخ وايضا نتيجته طول الا مل بالدنيا وهذا يولد قسوه القلب لانه إنما يوجد ذلك في قلب من لايرجو لقاء الله ومن لايومن بالمعاد وهو مهما كان لديه علم وماتشاهدون من ادعاء الحكمه فانه لاتوجد فيهم لاحكمه ولاعلم طالما أن قلبه متعلق بالشهوات لأن

العلم والحكمة والمعرفة لابد أنها تجعل صاحبها يترك الغفلة ويكون قلبه عامر بالخشيه والزهد عن الدنيا لانه يدرك أن مرجعه الي الله وماعنده احسن واجمل وافضل وحسن المنقلب

ثانيا

تأتي النصوص لتفسير ماهو الذي أخبر أنه عنده تعالي خير مرجع يرجعون إليه لأن الماب تعني المرجع (قل أو نبيكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين...الخ

أن أول مايشد الإنتباه أن الخطاب جاء بصيغه (قل) فالله تعالي يأمر نبيه أن يتوجه بهذا البيان الي الناس بذكر ماهو افضل واجمل من متاع الدنيا الفانية وهذا فيه طلب الاهتمام بالموضوع محل الخبر واتبعه بقوله (أؤنبكم) اي اخبركم واعلمكم والبناء يستعمل لأمر عظيم ولهذا سمي النبي بهذا الاسم والله يقول (عم يتساءلون عن النبء العظيم) وهذا التشويق المسبوق بالهمزه التي فيها تقرير حكم إنما جاء بهذه الصيغه لأن في الايه دروسا عظيمة ومهمه في حياه المومنين

الدرس الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يعلمنا كيف ننظر الي الدنيا والآخرة فيقول لنا أن الإنسان مطبوع علي حب العاجله و التمسك بما ينفع بما يراه حاضرا أمامه ويفضل ذلك علي اللذه الغائبه والنفع الأجل الا إذا تبين له أن الأجل الذ اطعم ليحصل تقويه الرغبه والاشتهاء للاجل علي العاجل وان ضعف الرغبه يعود أما إلي عدم العلم بالفضل للاخره عما في الدنيا أو يعود إلي عدم الرغبه به وإن كان عالما ولهذا خص بالذكر من هو صاحب الخير بهذا فقال (للذين اتقوا عند ربهم)

أن الأمر يتطلب وجود الخشيه واليقظه ومحاسبه النفس علي الدوام والزهد عن الدنيا فخوف الله وطاعته و الشعور بالرقابة الالهيه وانك مسافر إلي الله والدار الآخرة هو مفتاح وبوابه هذا الخير العظيم الذي يفوق كل خير وافضل وأعظم من كل الملذات

الدرس الثاني

أن النص فيه الحث على الزهد عن الدنيا بأن هنالك ماهو افضل منها وفيه بيان أن المتقون هم اشرف الناس ف الله خصهم بالخير بصيغه التشريف العنديه عند ربهم ..والرب هو المربي والذي يراكم الرعايه الخاصه لكن مجئ النص بقوله (بخير من ذلكم)فيه الاشاره الي أن ماذكر من حب النساء والبنين والقناطير المقنطره من الذهب الخ. فيه خير وهنا قد يقول كيف يذكر بأنه خير وقبله ذكر أنه متاع الدنيا للذم

والجواب أنه هنا يشير إلي أن مساله تناول هذه الملذات تختلف باختلاف افكار الناس في تناولها حيث أن الفاسدون من الناس تناولوا هذه الملذات علي من وجه الهوي والرغبه في التمتع التي اخرجتها عن الغرض منها ف الله يقول في موضع آخر (اذهبتم طبيبتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها...الخ

اي أنهم تمتعوا بها بخلاف مامروا به فانقطعت لذتها عنهم في الدنيا والآخرة لانه ليس هنالك لذه تدوام في الدنيا أما المتقون فقد تمتعوا بها من الوجه الذي دعاهم الله إليه ليساعدهم علي طاعه الله والوصول إلى الجنه

الدرس الثالث

يقول لك الله أن عليك أن تنظر إلى الدنيا وسرعه زوالها وان مافيها لايدوم وينقطع وعمره محدد فيها ونهايه الزينه الي الفناء وبعدها سوف تموت وتعود الي الله

وعند الله الحياه الابديه التي فيها نعيم لاتنقطع من بساتين كتيفيه الأشجار والمياه المتدفقه والخلود فيها والا زواج التي مطهره من الدنس والحيض وتحظي بالفردوس تحت العرش وتنعم بالنظر الي وجه الله تعالى وقد علمت ما أعد الله للمكذابين من عذاب

فالعاقل سوف ينظر إلى الآخرة ويفضلها على الدنيا ولهذا سوف يسلك طريقها ويكره كل ما حرم الله لأنه يخاف من سخط الله وسوف يتقرب إلى الله بحب عمل كل ما يحب الله ليحظي برضوان الله لأن الحياه الحقيقيه هي في الآخرة فهو لايعول على مصالح الدنيا لأنها زاله وهذا يتطلب العلم والايمان باليقين انك مسافر إلى الله والدار الآخرة عندها سوف تتولد الهمة العاليه والعزيمه فهذا هو سلاح الوصول إلى الله والصبر والصدق والإخلاص وإصلاح السريره فينظر الي اقبال الآخرة فهي مستقبله وينظر الي ادبار الدنيا وزوالها فتسلا عليه الشهوات ويزهد عن الدنيا ويسارع الي طاعه الله عز وجل لأن الجنه حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات كما ورد بالحديث في الجنه لاتنال الا بكسر رغائب النفس وقمع الشهوات ولهذا نجد تذييل النصوص بقوله (والله بصير بالعباد) لبيان انه بقدر طاعه الله وإخضاع الارده لله تعالى يكون التوفيق من الله وان الله يعلم اعمال العباد ونواياهم ويعلم بمن يستحق الثواب والعقاب فهو لا يخفي عليه شي

ثالثا

(الذين يقولون ربنا اننا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)

الأمر الأول

أن الآيه وردت بعد اخبار الله سبحانه وتعالى الخير الذي يحظى به المتقون وكأنه قيل منهم هولاء ما اوصافهم فقال تعالى (الذين) فالخبر يعود إلى قوله (الذين اتقوا) فأخبرنا الله أن هولاء المتقون يقولون ربنا اننا صدقنا وامنا بك ورسلك وكتابتك والملائكه... الخ وطلبوا الغفران بأن يستر ذنوبهم ويتجاوز عن العقاب وطلبوا الوقاية من النار وما يوصل إليها.... وجاء بين اوصافهم وبين الجملة العائد إليها (الذين اتقوا) بجملة معترضه (والله بصير بالعباد)

بأنه تعالى يعلم من يستحق أن يحظي بهذه المنزلة والمكانه

فهي لاتثبت لكل العباد بل اختص الله بها البعض وهنا يقول (الذين يقولون ربنا اننا امنا) وهذا فيه

الدرس الاول

المولى سبحانه وتعالى يقول لنا أن الوصول إلى مرتبه الكمال (التقوي) لها ابواب وأسباب للوصول إليها لأنها لا تثبت لكل العباد فجاءت جملة الاعتراض (والله بصير بالعباد) لبيان انه تعالى يعلم من هو مستحق أن يكون متقي ف الله يقول لنا

أن الإيمان ليس مجرد قول باللسان بل هو اعتقاد بالقلب منتج لاثاره بما يعبر عن صدق الايمان....

فابتداء بذكر القول (يقولون) لظهار أن إيمانهم ناشئ عن وفور الرغبه وكمال النشاط وذلك ناتج عن تأثر قلوبهم وقولهم ثمره هذا الإيمان فالقرار ناتج عن مقتضى الايمان بالوهبه الله وربوبيته وعبوديته بمعرفه الطريق الموصل الي الله تعالى فهو إيمان صحيح اعتقاد وقول وعمل

الدرس الثاني

كما ان مجئ الجملة المعترضه بين اوصاف احوال المتقون وقوله (للذين اتقوا)

فيها اخبار من الله بكيفية الوصول إلى مرتبه الكمال التقوي

ف الله يقول للعباد أن المساله شاقه فلا يكفي الإقرار بوجود الله بل المطلوب منك أن تشعر بوجود الله تشعر برقابة الله علي الدوام وانك في قبضه الله لأن هذه العقيدة يكون فيه قيام عقيده التوحيد بدورها في الحياه فليس مجال التوحيد أن يبقي مخبي في النفس بل لابد أن يخرج الي الحياه ويقوم بدوره كمنهج يضبط الحركه والفاعلية والناس يتفاوتون في الفاعليه نتيجه التفاوت بالشعور برقابه الله ووجوده فأنت بحاجة إلى الشعور بوجود الله علي الدوام والاحساس برقابه الله لفاعلك لتصل الي مرتبه (الاحسان) أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فهذه هي درجه الكمال التي أخبرنا الله وأمرنا أن نحاسب أنفسنا علي الدوام فقال (والله بصير بالعباد)وهنا يقول لنا الله أن من اثار الاحساس بوجود الله تعالى أن هولاء يقولون ربنا اننا امنا...الخ

الدرس الثالث

يقول لنا الله تعالى أنه يتطلب لقيام عقيده التوحيد بدورها وفعاليتها في الحياه أن يستحضر العبد في كل حركه أنه في قبضه الله يشعر انه في افتقار وحاجه الي رعايه الله وعنايته وتوفيقه ولهذا ابتداءت النص أن دعاءهم ابتداء (ربنا) وهذا فيه الشعور منهم ان الايمان هو من رعايه الله وعنايته بهم وهو من فضل الله ورحمته ومن انعام الله ولهذا يطلبون من الله أن يتولي رعايتهم بزايده الايمان ليصلوا الي اعلي مرتبه التقوي (اننا امنا) ولهذا يسألون الله أن يتولي تزكيه أنفسهم من كل ما يمنع وصولهم إلى مرتبه الكمال التقوي فهم يخافون أن يفسد التقصير إيمانهم وتزوال عنهم هذه النعمه يخافون من أن تحصل لهم الفضيحه بالفشل والخذلان اذا لم يستترهم الله إذا قصرُوا يخافون من أن يصيبهم غضب الله وسخطه

فالذنوب من لوازم النفس وبالتالي فإن الإنسان بحاجة الي هدايه الله وعفوه في كل لحظه كي لايتزحلق عن الطريق وينحرف أنه يحتاج الي نعمه الله عليكم ورحمته بهدايته في الكثير من تفاصيل الأمور والأشياء ومايتفرع عنها من جديد فالعلم لاينفع اذا لم ينتج اثاره في العمل ولهذا نجد أن السؤال تضمن أن يقيهم من النار وشبه ذلك باللباس الواقى من المخاطر وهذا يكون بصرف أسباب العذاب التي توجب النار والمراد بذلك أن يصرف عنهم سخط الله لأن النار منبعا غضب الله وقد ذكر أن من أوصاف المتقون أنهم يحظون برضوان الله ولهذا خص بذكر الوقايه من عذاب النار اي مايجب الوصول إليها وهي الأعمال القبيحه التي تغضب الله لأن من زحزح عن النار فقد فاز من العذاب ومنبعا غضب الله وهي تنشأ كأثر من أعمال الإنسان فدلّت النصوص أنهم في يقظه دائمه

الدرس الرابع

اهميه محاسبه النفس وتربيتها علي الدوام بالشعور بالمسؤولية والاحساس برقابه الله تعالى لك والشعور بالحاجة والافتقار الي الله تعالى ولهذا فإن المومن يحرص علي تصفيه نفسه من الإعجاب بالطاعه ويتهم نفسه بالتقصير لمنع الهبوط والانحدر من مرتبه الكمال بنقص الايمان فهو لا يطلب العذر لنفسه بل يطلب من الله أن يقويه وهو يتعهد مراجعه نفسه ويتفقد أخطاءه ويطلب من الله المغفره(فاغفر لنا ذنوبنا)

والفاء هنا سببيه وهنا تفيد أنه يتوسل بالأعمال الصالحة عند الله تعالى كوسيله لطلب المغفره والغفر هو الستر و الوقايه ومنه الغفر الذي يلبسه المحارب علي رأسه ليستر رأسه من السهام وهو ما يفهم أنهم طلبوا سترها عن الناس فلا تحصل لهم الفضيحه وايضا أن يعفو عن عقوبتها وهذا يدل علي اليقظه والخوف فهو يدعو الله ويتضرع إليه أن لا يكله الي حسناته فهو يخاف من كفران نعم الله والتي أعظمها نعمه الهدايه الايمان ولهذا يسأل الله أن يعفوا عن تقصيره وان لا يعاقبه الله علي ذلك وأن يمدّه بأسباب العمل الذي يحمو به الأخطاء لأن الوقايه

تكون بصرف العبد عن المعاصي والتوفيق للتوبه وعدم العقاب بالعفو لماورد في الحديث

ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال (أن الله تعالى يقول للعبد قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم)
يعني لاجازيك عليها

الأمر الثاني

دلت الايه الكريمه علي يقظه هولاء وحذرهم من العاقبه وماهم صائرون إليه (وقناعذاب النار) فأخبرنا الله أن ذلك يتطلب منك اذا اردت ان تصل إلي ماوصلوا إليه أن تقدم لنفسك حرزا يمنع عنك سوء العاقبه وهذا الحرز هو العمل الذي يحفظ النفس من سوء العاقبة فانت سوف تواجه أعداء كثر هم النفس والهوي والشيطان والشهوات و الرغائب فقال تعالى (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)

النصوص جاءت بأسلوب وصف بالفتح (الصابر بن)الباء فهو إما علي سبيل المدح أو علي القول إنه استئناف بياني وهذا التغيير في الحركات يراد به لفت انتباه المخاطبين بما يحدث في الذهن من شوق لمعرفة سبب هذا الاختلاف فيكون تهئية السامع لفهم المراد بالوصف فهو يفهم بالمعني أن في ذلك مزيه لأن المقام هو مقام مدح فالله يشهد لهم أنهم امتازوا بهذه الأوصاف علي سائر المومنين... والغرض من ذلك رسم الطريق الموصل الي الكمال التقوي وبيان الوسائل والأسباب التي تساعد المومن علي الوصول إلى مرتبه المتقين الذين يحظون برضوان الله تعالى

يقول لنا الله هل تريدون أن يكون لكم الارتقاء لدرجه المتقون وتحظون بقوه تجعلك قادرا على تجاوز العوائق التي تمنع وصولك لهذه المرتبه وتلتحق بموكب اولئك الذين حظوا برعاية الله ورضوانه فإذا أردت ذلك فهذه هي أو صاف من استحقوا الفوز فانتم بحاجة الي مواجهه المصاعب

الصبر

حبس النفس والصبر يكون في ثلاثه امور

الصبر علي الطاعه....والصبر علي المعصية...والصبر علي الاقدار

لأن للنفس قوتان قوه الحب وقوه الغضب....وهما يتنازعاان الإنسان إذا غاب المنهج الذي يضبطهما وحاجه الإ نسان لهما مهم للقيام بأمر الله

ومساله الحب والبغض اذا لم يوجد معيار وضابط يمنع الإنسان من الحركه والفعل القائم علي اساس الحلال و الحرام

تحدث الفوضي فالمنهج الرباني يأتي فيه الأوامر بالفعل والنواهي التي توجب الاجتناب عن الفعل وهنا يختلف الناس في استقبال هذه الأوامر والنواهي لعدة عوامل منها النفس التي ترغب في الشهوات والأهواء فتحس بمشقه في طاعه الله فالنفس تميل إلى الفوضي والعشوائية والمنهج فيه الانضباط...وبعض التكاليف تكون شاقه علي النفس مثل الجهاد وإخراج المال في سبيل الله فالنفس تكره اخراج المحبوب وتكره أن المتاعب (كتب عليكم القتال وهو كره لكم) واذا حصلت كراهيه الطاعه فإن النفس تضعف وتخور العزائم وتحجم عن الفعل وكذلك فإن من دواعي ضعف قوي الغضب الكراهية أن النفس تميل إلى ماتراه جميلا وان كان قبيحا لأن الغرائز تزين المعاصي فيكون داعي المعاصي اقوي من داعي الترك لها لأن له اصل في النفس ولهذا لابد من قوه تغرس كراهيه الحرام لتقويه قوي المنع فتحدث النفور من الفعل المحرم فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (سبعه يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله...وذكر منهم رجل دعت امره ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله...الخ

وكذلك فان قوه الإنسان تكمن بالثبات أمام المصائب لأن قوه اثر الازمه التي تقتل مادي الإنسان من مواهب وتشل حركته إنما تكون نتيجته عدم التوقع وعنصر المفاجاه وتشويش الذهن فتحدث الاربك لدي المرء ولهذا نجد الكثيرون ممن يؤمن بالله وآياته وكتبه وزوجره واوامره لكنهم ضعفاء في التوكل علي الله وفي القضاء والقدر ويصابون بالفزع والجزع فهم وان كانوا حسن النوايا الا أنهم لايعلمون الطريق الموصل الي الله ولهذا يقول الله لنا

الدرس الاول

يقول لنا الله أن أول وسيله هو الصبر فهو مفتاح الثبات والصمود وبوابه قوه العزيمه والهمه واداه كسر وقمع الشهوات والأهواء وهو يتطلب أن تكون صادقاً بإيمانك لأن أساس ضعف العزائم يعود إلي ضعف الارده والتردد الناتج عن تنازع قوي الإنسان الحب والكراهية للأشياء والصبر من دعائم الايمان فنحن نفعل المعاصي وندعي اننا نؤمن بالله واليوم الآخر والسؤال هنا كيف نفعل ذلك ونحن نعلم أن الله تعالى يعلم بأعمالنا وأنا سوف نعاقب علي ذلك.... وهذا يدل اننا لم نكن صادقين بالإيمان الذي اعلن من قبلنا اي أن الإيمان لم يصل الي درجه اليقين ف العلم لا يكفي اذا لم يصل الي اليقين الذي ينتج اثاره فيحصل مطابقه القول للعمل اي ان يكون نقل صورته هذا العلم من النفس إلي الخارج بحيث يكون مطابقاً لها لأن عدم مطابقتها لمراد الله تعالى وما يحبه ويرضاه يعني أن الإيمان ناقص كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (لايزني الزاني وهو مومن) أو منافق كما قال تعالى (ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين)

فالله يقول انتبهوا من مخالفه القول للعمل فانتم بحاجة الي معرفه أوامر ونواهيته لأن المخالفه تكون احيانا ناجمه عن فساد من جهه العلم لانه يتصور أن فعله مشروع وهو غير كذلك أو فساد من جهه القصد لايقصد به وجهه الله ولهذا قال تعالى (والصادقين)

لأن اصل الأعمال للقلوب هو الصدق واضدها الفجور والكذب والغش والرياء والعجب والكبر والبطر.. كلها أصلها من الكذب فكل عمل صالح منشوه الصدق بالظاهر والباطن وكل عمل فاسد منشوه الكذب في الظاهر والباطن ولهذا يبين الله لنا أن الصدق من أسباب الوصول إلى مرتبه الكمال التقوي ورضوان الله وان الكذب من أسباب الخذلان والخساره فالله لا يوفق الكاذب (فإذا عزم الامر فلو ا صدقوا الله لكان خيرا لهم

الدرس الثاني

يقول لنا الله تعالى أن العبد ليصل إلى الكمال الإنساني التقوي بحاجة الي تعهد قلبه بالرضاء باختيار الله له عليه وامتثال أو أمر الله أن يعلم أن ميل النفس ليس هو المقياس الحقيقي الذي يعرف به النافع أو الضار لأن النفس قد تري شي تحبه أنه نافع وهو ضار وقد تكره شي فتراه ضاراً وهو في الحقيقة نافع فالله يقول في موضع آخر (وعسي أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسي أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)

ولهذا فالله يقول لنا أن من أهم أوصاف المتقون أنهم (والقانتين)

اي المطعين لله الذين يواظبون علي العبادات علي الدوام وفي معني المدوامه والمواظبة بيان استمرارهم بالصبر والصدق فيقول لنا الله أن امتثال أمره في البدايه سوف يكون شاقاً لكن عواقبه رضوان الله هكذا ينظر إليه المومن الصادق فالنهي الخير والمسرات وان كرهته نفسه فالصبر علي اللذاه اخف مما تتوجه العقوبه

ثم إن لفظ القانتين تعني الخضوع والادعاء والقبول والخشوع فهو لايقترح علي ربه وفوض امره لربه ورضي باختياره فامده الله بالصبر والعزيمه

الدرس الثالث

يقول لنا الله أن الوصول إلى مرتبه الكمال التقوي ورضوان الله تتطلب منك أن تعرف نفسك بضعفك وافتقارك لله

وان كل شي ملك الله وتعرف ربك بقوته ووبره وكماله وإحسانه ورحمته فتقف بنفسك عند حدها فتكون بهذا صادق الايمان ومواظب بصفه دائمه علي طاعه الله مقبلا عليه سبحانه وتعالى فتقدره حق قدره بالتعظيم بأن تكون نفسك وكل ما عندك كلك لله خالصا له سبحانه وتعالى... وايضا تعرف حق الناس عليك (والمستغفرين)

اخراج المال لوجه الله تعالى وانفاقه في سبيل الله كما ذكر في سورة البقره

فالانتفاع بالعلم والايمان إنما يكون لمن عرف نفسه ووقف عند حدها وعرف ربه في الشده بالصبر وفي الرخاء بالشكر علي انعامه فتحدث له النعم انكسار وخشوعا وخضوعا ومحبه لله وخوفا فقال تعالى (والمستغفرين بالا سحار)

فهم يدعون الله في أوقات الخلوه للتعبير عن شده الامتثال لهم فهذا الوقت تكون النفس في صفاء وبعيدا عن الرياء والعجب فهو وقت التجلي كما ورد في الحديث أنه تعالى ينزل الي السماء الدنيا في الثلث الاخير من الليل فيقول... هل من مستغفر فاغفر له..... الخ

الأمر الثالث

أن الله تعالى يقول لنا عليكم تعهد أنفسكم فهذه الاوصاف مجتمعه يحصل بها الوصول إلى الكمال الذي تصل به الي التقوي ورضوان الله فإذا كنت طالبا النفوذ الي الله والدار الآخرة فعليك

١

أن تترك الحرص والطمع في طلب الزيادة من الدنيا ولا يعني ذلك أنك تترك الدنيا والحركه فيها بل المطلوب أن تكون حركتك فيها محمولا علي محبه الاخره فتكون لك عاملا مساعدا للوصول إلي الزيادة في الاخره لتصل الي مرتبه التمتع بالنظر إلى وجه الله فقد ذكر الخلود في الجنه بالتقديم علي رضوانه لبيان تفاوت المراتب في اليوم ا لآخر

٢

أن الرغبة والطمع في زياده اسباب الوصول إلى اعلي المراتب في اليوم الآخر يعني زياده الحرص علي الأعمال التي توصلك الي الجنه ولقاء الله والرغبه فيها فتولد الهيجان في ذلك وتقتل الشراه والحرص علي الدنيا وهذا يتولد عنه قوه الصبرنتيجه الاشتياق الي ما أعد الله لهم في الاخره وعندها تقمع الأهواء وتخالف العدو فتكون صابرا علي الحق

٣

يقول لنا الله أن قلبك بحاجه الي رؤيه احوال يوم القيامه أن انت خالفت أمر الله فتري الفارق بينه وبين الالم الدنيا عندها إذا امننت بصدق باليقين بانك إذا ارتكبت المعصيه سوف تحرق النار جلدك الرقيق فإنك لن ترتكب المخالفه ذلك أن المذنب عندما يرتكب معصية لا يكون صادقا بايمانه اي الإيمان باليقين أنه سيعذب فلو كان كذلك لم يرتكب المعصيه ولا امتثال أمر الله تعالى نتيجه الاشفاق من عذاب النار فالقلب العامر بخوف الله يكون في يقظه فهو يري الموت مقبلا عليه في أي وقت ولهذا يحرص علي أن لا يموت الا وهو مسلم خاضع لله فهو مقبل علي الله يسعي جاهدا الي تطهيره من الأوساخ التي تحجب الرؤيه فيخرج المال في سبيل الله

٤ ان عليك أن تحس بنعمه الايمان والهداية والاتصال بالله فعليك أن تحرص على الدعاء لله فهو وسيله من وسائل الوصول إلى الله فعليك أن ترجع بشكرك وصبرك الي ربك واستعن به وانقطع إليه واستانس بذكره واقبل عليه في أوقات الخلوه ففي هذا الوقت محطه يكون فيها صفاء النفس (والمستغفرين بالاسحار) لأن المخالطه

يكون فيها فتنه الانشغال بالناس الذين قد يكون مخالطتهم سببا للتقصير فالله يقول (وجعلنا بعضكم لبعض فتنه
اتصبرون... الخ وقد ذكر أن أوصاف المومنون الناجحون (والعصر أن الإنسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتوصوا بالحق وتوصوا بالصبر) فأنت بحاجة إلي محاسبه نفسك في وقت الصفاء بعيدا عن الناس
وتستغفر الله عن التقصير لتحظي برضوان الله

رابعا

بعد بيان أوصاف المتقون الفائزون وأحوالهم يقول لنا الله أن ثمره التقوي أن تري الله عزو جل في مخلوقاته
وتنطلق من عقيدته التوحيد فذكر حقيقته التوحيد وحقيقة الاسلام فقال تعالي (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الاسلام

المبحث الأول

الايه (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم)

وشهد لها معاني متعدده حيث ذهب الزجاج للقول أنها بمعني بين... وقال مجاهد أي حكم وقضي... وهي
تستخدم بمعني اعلم... وقال البعض ان شهاده الله الاخبار والإعلام وان شهاده الملائكة والمومنون الإقرار

وشهاده الله تكون بالقول وتكون بالفعل... فشهادته سبحانه وتعالى هنا لذاته بانفراده بالالواهييه والربوبيه وأنه
المستحق للعبوديه وحده لا شريك له مثل شهادته لبيبه بانه انزل القرآن الكريم بعلمه فقال تعالي (لكن الله يشهد
بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون... الخ

وقد ورد عن ابن عباس أنه قال إن الله شهد لنفسه قبل أن يخلق الكون حين كان ولم يكن لاسماء ولا ارض ولا بحر و
لا بحر

وجميع ما ذكر من معاني هو صحيح للاتي

الأمر الاول

أن الايه الكريمه جاءت بمناسبه دعوه الناس الي اختيار الزيادة في أسباب الاخره علي طلب الزيادة في أسباب
الدنيا للوصول إلي المرجع الحسن عند الله تعالى فخص ذلك يكون بالمتقين فذكر اوصافهم لبيان ان تقوي هولاء
هو تقوي من قد عرف ربه وقدرته وامن به واقر له بالواحدنيه والازاليه وانه لا شريك له واقر له بالابديه عارفا
بربه.... وهنا يقال كيف لنا أن نعرف الله تعالى لأن الله لاتدرکه الأبصار... فيقول الله لنا ان له سبحانه أفعال نظريه
وأفعال واضحه محسوسه ولأن الله هو عالم الغيب والشهادة فهو تعالي الشهيد الاول في كل قضيه ولهذا فإن
شهاده الرب واعلامه تاره تكون بالقول وتاره بما يرسل به الرسل والكتب التي فيها الاخبار عن الله واسماءه
وصفاته والطريق الموصل إليه وهذه أمورا نظريه يجب الإيمان بها كما وردت(ولله الاسماء..... الي قوله (فادعوه
بها وذروا الذين يلحدون في اسماءه)

فلا تسأل عن الذات الإلهية فيما وصف به نفسه (يد الله فوق أيديهم) وغيره فلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل لماذا
لأن الله امرك أن تومن بذلك حسبما أخبر به عن نفسه وهو له صفات الكمال وحده لا شريك له فقد قال (ينزل الملا
نكه بالروح من امره علي من يشأ من عباده أن انذروا أنه لا اله الا انا فاعبدون)

أما الشهاده بفعله ٖ:

فهذه هي المفعولات المحسوسه التي يدركها جميع الناس بدون اختلاف فيها فهذه هي الاداله التي يوكد الله للناس أفعاله النظرية وهي الاداله العقلية التي تظهر لك عند مشاهدته ملكوت الله فتري شواهد سلطانه (لو كان فيهما الههالي قوله لذهب كل اله بما خلقالخ

فالايات والشواهد الكونية تدل علي ربوبيته سبحانه وتعالى ونفاذ مشيئته الله وأحكام صنعه وكمال قدرته وحسن تدبيره فهو له الخلق والأمر

الأمر الثاني

وهنا تأتي النصوص مبينه أن منتهي الكمال للمخلوقات تتمثل بإقرار هذه المخلوقات لله تعالي بالتوحيد والايان بـ اليقين الجازم فذكر الملائكة أنهم يشهدون بالواحدية لله تعالي وخصهم بالتقديم لانهم لايعصون الله ماامرهم ويفعلون ما يومرون ولأن الناس يعظمون الملائكة ويرون أنها صفة مدح فأنت عندما تقول لشخص هذا ملك يعني أنك تمدحه أنه أفضل من البشر (قلن حشا لله ما هذا بشر أن هذا إله ملك كريم)

وكذلك لأن البعض عبد الملائكة... فأخبرهم الله أنهم اي الملائكة شهدوا لله بالتوحيد فهم مخلوقات

ثم ذكر إقرار أولوا العلم بالتوحيد ومسأله أولو العلم اختلف فيها المفسرون فمنهم من قال إنهم الانبياء والمرسلين لانهم حملوا الكتب السماوية ومنهم من قال إنهم الانبياء والمرسلين والصالحين والعلماء ..ومنهم من قال إنهم علماء أهل الكتاب الذين آمنوا المهم هنا أن اضافه أولو العلم فيه اشعار بكمال هؤلاء ووصولهم الي مرتبه الكمال التقوي فذكر المولي سبحانه وتعالى أن الكمال يكون بالتوحيد الألوهية وإثبات اسماء الله الحسنى وصفاته وكماله والايان بكتبه ورسله وأمره ونواهيته وآياته الكونية والايان بربوبيته وقضائه وقدره والقبول بحكمه والتوكل عليه لأنهم يرون أن قيوميته وكل ما يأتي من الله فيه العدل علي القطع الذي لاشك فيه (قائما بالقسط) فاحكامه وتكاليف الله لعباده وجزاه سبحانه وتعالى كلها عدل في جميع الأمور فهو له كمال أفعاله بعد بيان كمال ذاته فذكر العزه والحكمة لتلائم القيام بالقسط

الأمر الثالث

يخبرنا الله أن منتهي الكمال الإنساني هو أن يكون الإنسان لله وحده يبتغي بكل حركه إرضاء فهو يبتغي نجاته بـ التضحية بنفسه بإخلاص العمل والاستسلام لله تعالي فقال تعالي (لا اله الا هو العزيز الحكيم أن الدين عند الله الا سلام)

فالايه فيها تقرير حكم بينما الاولي كانت شهاده قدمها علي الدعوي ثم جاء بالحكم المتضمن أن معرفه الله لها منهجين منهج استنتاج الاداله العقلية من معايينه مفعولات الله في الكون فتصل الي الحكم من تلك المعايينه أن الله واحد احد لا شريك له فهو الفرد الصمد المهيمن على الكون له صفات الكمال لايعجزه شي فهو المستحق للعبادة وأنه لم يخلق شيئاً عبثاً فهو مدبر حكيم فالكون والمخلوقات كلها شاهده على إبداع الخالق وانفراده في الخلق وا لأمر... أن مقتضي أنه مدبر حكيم أنه لم يترك العباد دون منهج يصلهم بالله فالمنهج العقلي مقدمه للايمان ولا بد بعد ذلك من المنهج الروحاني الذي يلبي حاجه الروح للاتصال بالله فالإنسان مفطور علي طلب معرفه معبوده فذكر لنا المولي سبحانه وتعالى انه جعل الاسلام هو الدين اي المنهج الذي يكون به الوصول إلى منتهي الكمال الذي تصل به الي العالم الروحاني فقال تعالي (أن الدين عند الله الاسلام) اي الاستسلام والخضوع والاذعان و التسليم والقبول بأمر الله بأن يكون ذلك اداه إحراق حياتنا السفلي ففري العز بالعبودية لله تعالي نحرق الهتنا

الباطل بتصفية وتنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الهوي وكل محبه لغير الله بالإسلام يطرا الموت علي ميولنا النفسانية من حب الشهوات والأهواء والملذات...بالإسلام تكون الاستقامه التي تنشأ بها حياه جديده لنا تصلنا ب الله فنعبده شاعرين أنه يرانا وهذا يعني حصول انتقال من الإقرار بالواحدنيه لله الي معرفه توجب الحياء والخشيه والخوف من الله معرفه تشعر فيها بوجود الله أن هذه المعرفه تعني رؤيه احسان الله وإحسانه وحسنه بما أنعم علينا تعني أن حياتك كلها مرتبطه بمشاعر واحساسيس أن كل شي يتحرك وفق تدبير الله فتري عظمه الله في كل لمح بصرتي به شي او موقف فأنت حينها تكون محبا وعشقا لله بالخضوع والاجلال والتعظيم و المحبه والاذعان لله تعالي تكون اردتك تهدف إلي تحقيق مسينه الله واردته حتي تصبح اصل اصول حياتك كلها

الأمر الرابع

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن العلم النافع الذي يرفع صاحبه هو ذلك العلم الذي ينتج اثاره وهو الاستقامه الناتجه عن الخشيه من الله (إنما يخشي الله من عباده العلماء) وهذا إنما يكون بالتخلص من الظلم الذي الشرك هو اعلي المراتب فيه (أن الشرك لظلم عظيم)

يكون بإعلان التوحيد لا اله الا الله.. وهذا فيه اخراج الأصنام والأهواء من القلب فالمراد من هذا العلم تنقيه اوعيته وملكاته من الأوساخ والأهواء والشهوات فلاستقامه الكامله إنما تكون حاله من الصدق في الظاهر والباطن ف الله خصهم بالشهادة علي أعظم مشهود عليه دون سائر العباد وجعلهم أولوا علم فهم المتصفون بذلك الوصف جعلهم شهداء علي الناس وإلزام الناس بالعمل بالأمر المشهود به اعطاؤهم منزله فقرنهم بذاته وملائكته لأن افضل علم هو التوحيد فهو أساس واصل كل العلوم التي يتفرع منها سائر العلوم وحاجه العباد للتوحيد أهم من الاكل و الشرب ولهذا يخبرهم الله أن يبدوا بذكره في كل حركه فكرر التوحيد لبيان ان هذا هو الحكم فلا شريك لله لبيان انحراف من وصفوا بأنهم أهل دين من علماء اليهود والنصاري الذين جعلوا لله شركاء فدللت النصوص أن الذي يقول بأن عيسي ابن الله أو انه إله أو يعتقد بالتثليث أو من يقول إن عزيز ابن الله ..أو من يعطل اويشبهه الله ..أو يحرف منهج الله أو يرفض امتثال أمر الله أو يرفض تطبيق منهج الله أو من جعل العقيدته للدين عصبية أو قوميه اوسلاله بأن هولاء لم يعودوا أهل علم فهم ليسوا من أولي العلم لأن أولو العلم لايتوهمون الله ولايشركون به ولا يتهمونه في عدله فجاء الحكم(قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فأراد بهذا بيان أن كل من يخالف هذه القاعده لا يكون عالما مثلما قال (كالذي اتنياه آياتنا فانسلك منها. الخ ذلك أن الرؤيات تذكر ان سبب النزول أن رج لان من نصاري الشام مر بالمدينه فقالا أن هذه المدينه تشبه مدينه النبي الخاتم فجاء الي الرسول صلى الله عليه وسلم فقالا انت محمد قال نعم انت احمد قال نعم قالا نسالك عن شهاده ان أخبرتنا امنا بك فقال سلامي فقالا أخبرنا باعظم شهاده في كتاب الله فنزلت الآية فامنا الرجلان ... ولهذا يقول الله لبقية علماء أهل الكتاب انكم إذا أردتم أن تكون من أولوا العلم فعليكم بالإيمان والاستقامه علي الدين الاسلام فهو الدين المرضي عند الله تعالي فإسلام هو التوحيد كما فسره البعض وهو الطاعه وهو الخشوع والخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله ...وخص بذلك أنه الدين المعتمد عندالله بعد أن بين لنا أن طريق الاستعلاء يكون بالحق بالتوحيد فلا تخاف الا الله واذا اردت العزه فالعزه من الله اطلبها وان الله قد وضع كل شي بحكمه فهو الحكيم وهو ما يفهم منه أنه توطئه لبيان ان الاسلام والقرآن منزل من عند الله فقد وضع الله فيه أحكاما تناسب أحوال الناس واوضاعهم فيه استقرار الناس فهو المنهج الرباني الذي أنزله الحكيم فمن تمسك به كان له الصواب والعزه والكرامه والاصح للناس والسلامه من الفساد فناسب ذلك صيغه حصر الدين أنه المعتمد عند الله بوصفه بالعنديه اعتبار وعنايه لبيان ان هذا فيه الطريق المستقيم فهو المعتمد عند الله فكان ذكر الشهاده والتوحيد مقدمه لقوله (أن الدين عند الله الاسلام)فأساس الاسلام هو التوحيد وليس المراد هنا بمعني الاسلام الورد في حديث جبريل عندما سئل عن الإسلام والإيمان وانما المراد به الاخبار عن الدين المعتمد عند الله بصفه العموم. لانه ذكر بعد عرض الأديان السماويه وبيان أن الأصل فيها انها جميعها تحمل التوحيد ومهام الكتب السماويه هي هدايه الناس (وانزال التوراه و الانجيل من قبل هدي للناس)

وان جميع الرسل والأنبياء كانوا يمهدون لبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فالإسلام يعني أنه الكمال الإنساني فيه اصلاح أحوال الناس واوزاعهم جميعا فاللفظ فيه بيان أن هذه الرساله عالميه تتجاوز حدود الزمان والمكان ذلك أن الأديان السابقه كانت تنزل لأمم وازمنه وامكنه محدوده لأن العالم لم يكن متصلا ببعضه وكان في مرحله الطفوله البشريه لكن هذه الرساله جاءت لتناسب حاله النضج البشري حيث تطور التفكير الإنساني وتوسعت مداركه فجاء الاسلام يخاطب العقل ويحرره من الخرافات والأوهام وجاء بمنهج فيه تزكيه النفس واصلاحها جاء بقواعد وقيم ومبادئ تضمن حقوق الفرد والجماعه وتصون حاله اجتماع الناس وتمنع الفوضى والعشوائيه فمبد الشوري مثلا مرتبط بعقيده التوحيد ولهذا اعتبر أن هدم هذا المبدأ بعد صفين ادي الي غياب دوله الموحدين ولهذا فإن قوله (قائما بالقسط)فيه أن اساس دوله التوحيد العدل والمساواة والعدل تنبثق عنه سائر القيم من المساواه والكفاهه في تولي المناصب والشوري والاخوه والحرية والحكم الخ فأساس كل شي هو التوحيد والتوحيد يقوم علي ازاله الظلم والتخلص من الجهل

المبحث الثاني

وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الأمن بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب)

الأمر الأول

تتناول النصوص بيان حال اختلاف الطوائف والملل من الامم السابقه فما هو الاختلاف المراد به هنا ولهذا سوف نتناول ذلك من خلال الآتي

الوجه الاول

أن المراد بهذا بيان حاله الاختلال التي أصابت الذين أعطوا التوراة والإنجيل فجاء بصيغه الحصر لبيان سبب اختلافهم وكان الاختلاف معلوم السامع فتضمن الأسلوب بيان سببه التحذير من الفرقه والاختلاف والانقسام بأن ذلك يولد العصبية والوثنيه الدينيه حيث أن اليهود والنصاري انقسموا الي شيع وأحزاب متناحره فحصل التقليد ا لأعمى للقاده وحصل الاقتتال بينهم وسفكت الدماء باسم الدين وكل يدعي أنه يمتلك الحقيقه وذلك جعلهم يبتعدون عن الدين وأصبح الدين لديهم وسيله لجلب المصالح فحصل تشويه المعلومه وتحريف الدين وان ذلك لم يكن عن خطأ بالاجتهاد بل كان عن قصد وعلم بالحق فكل فريق كان يريد تطويع الدين لفكرته الباطله فذكر العله (بغيا بينهم)اي ظلما وعدوانا وحسد وهذا مانراه اليوم في حياه العالم الإسلامي اليوم حقيقه ... حيث كانت البدايه بالتفريط بمبدأ الشوري الشرعيه الدستوريه في اختيار الخليفه الذي سار عليه الخلفاء الراشدين بعد الرسول صلى الله عليه وسلم الي أن تم ذبح الشوري بتسليم الحكم الي يزيد والتضحية بالمشروعيه الدستوريه مقابل الحفاظ علي وحده الامه لتكون النهايه التفريط بالوحده علي يد العباسيين وتمزيق المسلمين ولهذا فإن هذا الاختلاف يعد خروجا عن مدلول الاسلام الذي هو الاستسلام

الوجه الثاني

أن المراد بيان اختلاف هولاء عن دعوه التوحيد (الاسلام)الذي هو دعوه جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام بأن هولاء جميعا دعوتهم باطله كلهم لانهم خرجوا عن منهج التوراه و الانجيل وقاموا بالتحريف بالافراط والتفريط و المغالاه فجعلوا من رسلهم والصالحين الهه تعبد مع الله فهم فعلوا ذلك عن قصد وعلم بالحق فقد عمدوا للقول إن عيسي هو الله وقولهم أنه ابن الله... الخ وكل ذلك اختلاف عن مانزل الله فالنص فيه التحذير من البدع والتقليد بدون دليل فبين أن الحامل لهم في ذلك هو الظلم والعدوان بغيا بينهم وان الصراع بينهم هو صراع باطل مع باطل فبين أن الخلل الذي تراه لدي هولاء يعود إلي ترك المنهج الرباني وما احدثوا من التحريف فجاء النص فيه توبيخ لهؤلاء برسم صوره الاختلاف والبواعث لها للتحذير منها

الوجه الثالث

بيان الحالة النفسيه التي جعلت هولاء يرفضون القبول بالإسلام والتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم بأن المساله ليست نتيجة نقص البيان أو غياب المعلومه بل هم يعلمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو النبي الخاتم وان الإسلام هو دين الحق لكن الاختلاف وعدم القبول بالحق يعود إلي البغي الحسد لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن منهم فهم يكرهون الاسلام لان قلوبهم مريضه والا فإنهم يعلمون بصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فهولاء تركوا الاسلام واعرضوا عن الآيات الواضحه برغم معرفتهم لها فالنص لتسليه الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان يحرص علي ايمان هولاء فالله سبحانه وتعالى يقول إن كفر هولاء ليس لنقص الادله و البراهين بل لوجود البغي لدي هولاء لتشنيع جريمه هولاء وان السبب هو طلب الرئاسة لا لشبهه وخفاء الدليل

الأمر الثاني

تبين النصوص عقوبه من يكفر بآيات الله فقال تعالي (ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب)

يخبرنا الله أن الذي يجحد ايات الله سواء الآيات القرآنية المتعلقة بالاحكام افعل أو لاتفعل أو الكفر بآيات الله الكونيه أو انعام الله أو الامارات الدله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء بأسلوب الشرط ومن يكفر بآيات الله... ولم يقل يكفر ب الله لأن الكفر يعني التغطية وهولاء كانوا يقرون بوجود الله وأنه الخالق لكن يرفضون الإنذاع لأمر الله والكفر يكون بالتكذيب والجحود كما حصل من المشركون وقد يكون بالاستكبار والعناد كما فعل ابليس فهو لم يكن مكذب بوجود الله ولكن رفض تنفيذ الأمر استكبارا واليهود والنصاري كذبوا وكفروا بآيات الله التي أخبرتهم بصدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ومن المؤكد أن ذلك ناتج عن استبطاء العقاب ولهذا جاء الجواب(فإن الله سريع الحساب)ا

يقول لكل من يستبطا العقاب أو من اصابه طول الامل انتبه فإن حساب الله يأتي قريب في الدنيا لأنها زاله وهي قصيره وكذلك سريع الحساب في الاخره يحاسب الجميع في الوقت القصير فالعاقل يحاسب نفسه قبل أن يحاسب ...

القسم الثالث

تأتي سياق النصوص بسرد القواعد التي يكون فيها مواجهه أهل الكتاب في قضية الاسلام وامثال أمر الله ونواهييه بعد أن بيان حقيقة الإسلام وحقيقه اختلاف الطوائف والملل والباعت وهو البغي وهنا يخبرنا الله بالاتي

المبحث الأول

(فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)

الدرس الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن المعركه الفكرية مع هولاء لن تتوقف عند بيان حقيقه الاسلام والتوحيد بل سيكون هنالك جدل وخصام المحاجه يطرح كل طرف حجته مع هولاء وانتم مطلوب منكم أن تدرکوا حقيقه المعركه مع الباطل ولهذا جاء الخطاب موجها من الله الي نبيه (فإن حاجوك) اي إذا حاجك يامحمد الذين يدعون انهم أهل دين من اليهود والنصاري في أمر عيسى أو في أمر الاسلام في كونه هو دين الله او في أمر القران الكريم واياته أنه منزل من عند اللهفيقول لنا الله أن عليكم أن تعرفوا أن الجدل ليس أساسه طلب الحق فهولا ء ليس هدفهم من الجدل والنقاش معرفه الحقيقه لا بل يهدفون من هذا الضجيج أن يوقع فيكم الهزيمة النفسية لأن غرضهم طمس الحقائق واللجاجه بالباطل فهذا يريد الدفاع عن فكرته الباطله فهم يأتون بالاقاويل الباطله و

المغالطات لدحض الحق برغم علمهم أن جدالهم باطل بعد قيام الحجة عليهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) ف الله يقول لنا أنه في مثل هذه الأحوال لافائدة من الجدل والنقاش مع هؤلاء لان الحجة واضحة فيكون قطع المجادله مع هؤلاء

الدرس الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن علينا أن نحرض على أن يكون القصد من الجدل والنقاش هو معرفه الحقيقيه وابتغاء إرضاء الله تعالي وهذا يتطلب تنقيه الاوعيه من الأوساخ والأهواء والشهوات ولهذا يعلم الله رسوله كيف يكون تنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية (فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني) كما قال لليهود (قل ياهل الكتاب تعالوا الي كلمه سواء بيننا وبينكم الخ ومعني ذلك أنك إذا أردت أن يكون للجدل ثمره فينبغي أن يكون الغرض ابتغاء وجه الله تعالي في ذلك النقاش وعباده الله تعالي ليكون ذلك هدف النقاش والحوار اي ليس للنفس غرض ولا عصبية ولا قومية ولا حسد فذكر أساس النقاس أنه يكون اسلام الوجه لله اي مقبلا عليه ومستسلم لله في جميع أمورهِ وأسلم الوجه لله فيها جماع الاسلام فهي تعني تمام العبودية لله وفي هذا ابطال الشرك وفيها اخلاص النوايا والقول والعمل من الشوائب فلا يريد شهره ولا رياء في عمله . وفيها امتثال أمر الله وان يكون طالبا معرفه الحق ومعاملته وحركته تقوم علي اساس التوحيد

الدرس الثالث

أن عقيدة الاسلام تقوم علي اساس التوحيد وان الإنسان لا بد أن يتحرك ولا بد أن يكون مساهم في الحياه وله دور فيها لكن ذلك لا بد أن يكون له ضابط يحدد له الهدف يعرف المصدر الذي يتوجه إليه بالفعل فقال تعالي (فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني) هو أن فعله يكون مستحضرا فيه أن يصل الي الله فهو مبتغاه فالوجه هو القصد والعمل ف الله يقول لنبيه أن يخبر هؤلاء الكفار بشكل عام ان هذه هي طريقه وهي تصديق خبر الله وامتثال اومره واجتناب نواهيه وهذا الطريق هو طريق المومنين الذين يقتدون بالرسول صلى الله عليه وسلم لأن محبه الله توجب اتباع الرسول فهو يحمل الوحي من الله والمحبه لله تعني اخراج كل حب من القلب وإخضاع اردتك لارده الله طوعيه فمن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم يجعل الهوي تابعا للهدى أما الذي يتبع الهوية فهو لا يعمل للهدى وانما يكون تابعا وعاملا للهوي وخص الوجه بالذكر لانه اشرف جزء بالبدن ومعني ذلك أنه لا يخضع إلا لله تعالي و لا يخاف الا من الله ويكون قاصدا بعمله الله وحده لا شريك له

الدرس الرابع

ف الله يعلمنا كيف نهتدي بدلاله القران وان ذلك يكون بالتسليم والاذعان والقبول بأمر الله تعالي فالنصوص يفهم منها أن الرد الذي لقن الله رسوله (فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني) هو لاهل الكتاب الذين لجأوا الي المجادله ؛ الباطل وبعد أن ذكر قبلها أن المعرفه ب الله نوعان معرفه توجب الإقرار بالواحدنيه لله تعالي وربوبيته وعبوديته وحده لا شريك له وهذه تعني العلم بوجود الله فذكر (واولوا العلم قائما بالقسط) أن المطلوب هو المعرفه التي توجب خشيه الله والشعور بوجوده فقال تعالي (أن الدين عند الله الاسلام)

بأن المراد من معرفه الله هو الوصول إلى مرتبه الكمال بالخضوع والاجلال والتعظيم والمحبه والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله وطاعته وعبادته وتوحيده وليس مجرد الإقرار بوجوده فمن شهد بالوحدنيه لله بقوله (اشهد ان لا اله الا الله) ورفض الاحتكام لمنهج الله فهو ليس مقر بالشهاده فذكر أن اختلاف الطوائف والملل ليس عن جهل وانما عن علم فهم يعلمون بوجود الله ولكن لا يشعرون بوجوده ويستبطنون عقابه فقال تعالي (أن الله سريع الحساب) فأهل الكتاب يعلمون بوجود الله ولهذا فإن الجدل ناتج عن عدم اردتهم أن يخرج التوحيد الي الحياه ليكون هو منطلق الحركه والفاعلية وهنا يقول لنا الله أنه لا حاجة للجدل لأن هؤلاء دخلوا نفق مظلم ويعلمنا كيف

ننقل المعرفة التي نقر بوجود الله الي مرحله المعرفة التي توجب الشعور بوجود الله لأن هذه المعرفة وماتوجهه أساس الفاعلية الإيجابية والحركة لأنها تنقل الإنسان من سجن الغرابه والذات الي الانس ب الله والتوكل عليه وتقطع المسافه التي بين قلبك وبين الله تقطع المسافه الفاصله بين عملك وبين الجبهه التي تقصد بها أن تقبل به عليه وهو ابتغاء مرضاه الله فقال تعالي (فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعني) أن ذلك المقام روحاني لايعرفه من تعصب لفكره أو قوميه اوسلاله أن الجدل لدي هولاء نتيجة عن تلوث اروحهم بتلك القاذورات التي تقطع الطريق عليهم وتمنعهم من القبول بالحق فمن أراد ان يستعيد فاعليته وان يساهم في صناعه الخلاص للامه واستعادة دورها فعليه أن ينتقل من المعرفة التي توجب الإقرار بالواحدنيه لله الي المعرفة التي توجب الاتصال ب الله فلا يشعر بمشقه الطاعه وهذا إنما يكون بالمحبه لله والخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله ومحبه الله توجب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وبالشعور بالمسؤولية فتلك مقدمه الوصول إلى هدايه التوفيق والنجاح والفلاح

ح

الدرس الخامس

تأتي النصوص بعد ذلك ببيان الخطوه التي تلي ذلك بالأمر الإلهي يعلمنا كيف ندعو الي الاسلام (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)

تحدد للنبي صلى الله عليه وسلم مهمته وهو أنه بعد وضوح الحق ظهور البيئه علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فعليك أن تبلغ النصاري واليهود والاميين الذين لم يصلهم كتب سماويه أو لايعرفون القراءه العرب او المشركون أن عليهم أن يصححوا أفكارهم الباطله وان يترك الشرك

لأن الاداله والبراهين واضحه (أسلمتم)والاستفهام فيه حكم تقريري وهوان عليكم أن تسلموا لله لانه لم يبقي بعد هذا عذر فلا حازه الي اظهار مزيد من الاداله للاقتناع بعد هذا الوضوح فذكر الاستفهام وهو التعجب من حالهم كيف لايسلمون بعد ظهور الحق وظهور المعني ووضوحه فلا فائده من الجدل لانه لم يعد هناك خفاء فقد قامت الادله فيتعجب من انكارهم الحق بدون مبرر ثم يعلمنا الله كيف ندعو الي الاسلام

١

أن المساله فيها اختيار منهم (فإن أسلموا فقد اهتدوا) فإن هم قبلوا دلالة البيان وقبلوا بالإسلام والتوحيد يأتي جواب الشرط (فقد اهتدوا)حصل لهم الهدايه الخاصة هديه التوفيق والانتفاع بهدايه البيان لأنها اداه العبور الي الفوز والنجاح والفلاح

٢

وأنه إذا حصل منهم الرفض وعدم قبول هدايه البيان واعرضوا عن الإسلام فعليك أن تدعهم وشانهم لأن مهمتك ليس إجبارهم علي الإيمان وانما مهمتك هي البلاغ وإظهار الحجه وقد اديت ماعليك (ليس عليك هداهم)

٣

يأتي التعقيب (والله بصير بالعباد)لبيان ان الله يعلم من هو طالبا للحق ومن لديه استعداد وقابليه للايمان ومن هو لايريد الحق وليس لديه استعداد ولا قابليه للايمان وذلك لأن البلاغ فيه هدايه عامه هدايه البيان وأما الهدايه الخاصة فهي تختلف لأنها تعني هدايه التوفيق والإرشاد وهذه هدايه من الله والله يقول إن لها أسباب وهي أن يوجد في القلب قابليه واستعداد لقبول الحق فيخبرنا أن المساله بيد الله فهو يعلم من هو اهلا لها كما قال بشأن أبا طالب (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)

المبحث الثاني

ينقل الله المومنين الي معاينه مشاهد احداث التاريخ المعبره عن أخلاق الذين يرفضون الحق نتيجه العناد و المكابره والتقليد يحذرنا من تلك الاخلاق السلبيه فقال تعالي (أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم)

الأمر الأول

حيث نجد أنه سبحانه وتعالى أطلق لفظ عموم الكفار وأطلق عموم الآيات ونحن نعلم أن الآيات منها ما هو آيات مرثيه في الكون ومنها آيات مسموعه القران الكريم الداله علي المعجزه وايضا يطلق لفظ الآيات علي عين المنهج لأحكام الشرعية والأوامر والنواهي وجميع آيات القرآن الكريم وهذا العموم الذي ابتداء به وصف اعمال المكذبين لبيان كراهيه هولاء للحق فذكر أن هولاء الذين كذبوا بآيات الله سواء في القران الكريم أو الآيات التي عندهم في التوراه و الانجيل بشأن علامات وامارات النبي صلى الله عليه وسلم لبيان

١

أن هولاء يكرهون الحق ولايقبلون به وان جادلهم يعود إلي كراهيه الحق وهم يريدون تطويع الشرع للمصالح الذاتية

٢

يبين للمومنين أن هولاء بعيدين عن التدين فهم لم يؤمنوا بالتوراه والإنجيل وقد حرفوه تلك الكتب فلو أنهم كانوا ملتزمين بالتوراه والإنجيل لما حصل منهم التكذيب

الأمر الثاني

يقول الله لنا أن الكفر بحد ذاته ينزع عنهم صفه التدين وانهم أهل كتاب ولهذا نجد أنه سبحانه يأتي بسجل أسلا فهم وجرائم وفضائح اليهود يكشف حالهم ويفضح ماحصل من أسلافهم يقول انهم ارتكبوا بجانب الكفر قتل الانبياء فهم لم يحترموا الانبياء عندما حمل إليهم الانبياء دعوه التوحيد وقاموا بتصحيح التصورات والأفكار الفاسده فيهم فقد ساد الصراع وكانت الاغلبيه منهم في صف الفاسدين الذين يريدون من الدين وسيله لكسب المصالح وعندما يحصل التعارض بينها وبين ما جاء به الانبياء فقد كان منهم قتل الانبياء فقد ذكر أن بني إسرائيل قتلوا في بدايه نهار يوم واحد ثلاثه وأربعين نبي فقام مائه وأثناء عشر رجل من الصالحين يامرونهم بالمعروف وينهونهم عن ذلك المنكر فقتلهم بني إسرائيل في نهايه اليوم...وقد مر علينا في سوره ياسين مساله قتل الرجل الذي جاء من أقصى المدينه يدعوهم الي طاعه المرسلين...الخ

الأمر الثالث

أن النصوص تتحدث عن جرائم بني إسرائيل وماحصل من أسلافهم والخطاب موجه لمن كانوا في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهم لم يقتلوا الانبياء...والمراد بهذا الوصف بيان أن تلاقي قلوبهم ونفوسهم وعقولهم علي محاربه الحق وانهم رضوا بذلك السلوك وان افعالهم التي حاولوا بها قتل النبي صلى الله عليه وسلم هي امتداد لذلك السلوك القبيح كما أن هذا الوصف فيه تشنيع أفعال بني إسرائيل وقطاع العذر عنهم فهم قد رضوا بجرائم أسلافهم الذين وصل بهم الحال الي قتل الانبياء وقتل الدعاه وعدم التفكير بعواقب الجريمه ففعلهم هذا يدل علي قساوه قلوب هولاء فليس غريبا عنهم تكذيب الحق ومحاولة التمويه بالجدل العقيم فهو سلوك قديم لديهم فلا تستغرب إصرارهم علي الكفر

الأمر الرابع

تأتي النصوص بالتعقيب (فبشرهم بعذاب اليم)

واستخدم لفظ البشاره والتي تعني الخبر السار الذي يقبل علي الشخص وهو هنا استخدم بأن يبشرهم بعذاب موجه اي ان اقبالهم هو في نار جهنم ودخلت إلقاء فبشرهم مع أنه خبر لانه بمعني الجزء بأن يبنذهم بالعذاب الموجه يوم القيامة لانهم رضوا بمافعله أسلافهم فكان هذا علي سبيل التهكم والسخرية منهم

الأمر الخامس

تبين النصوص اهميه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقرنت من يقومون بذلك بالانبياء فقد ذكر الحسن أن القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الخوف يلي منزلتهم في التعظيم منزله الانبياء وقد سأل رجل الرسول صلى الله عليه وسلم اي الجهاد افضل فقال الرسول صلى الله عليه وسلم افضل الجهاد كلمه حق في وجه سلطان جائر وقد أخبرنا الله أن من أسباب ما حل باليهود من الخذلان والذل والمهانة والخساره (أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) لأن كل من يأمر بالمعروف كان يقتل والسبب أن هولاء حرفوا التوراه حتي لم يبقي منها سوا الاماني الكاذبة التي يتباهون بها زاعمين انهم ابناء الله واحباءه

المبحث الثالث

تأتي النصوص مبينه أن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين آمنوا ويأمرون بالعدل بأن هولاء خاسرون الدنيا والآخرة فاستعمل لفظ الاشاره (اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصر بن)

اي ان اولئك الذين اتصفوا بتلك الصفات القبيحه حبطت اعمالهم لأن هولاء يدعون انهم متدينون ويأملون أن يحصدوا الثواب في الدنيا والآخرة من الأعمال الصالحة ف الله يقول إن أعمالهم حبطت والحبوط اسم استخدم ل لابل التي تأكل الاعشاب السامه تريد أن تنتفع بذلك الغذاء ويحصل انتفاخ لبطنها ثم تموت بدل الانتفاع بما تغذت والمراد بهذا التشبيه أن حالهم مثل تلك الإبل لأن الأعمال هي الغذاء الذي يدخره الإنسان لنفسه فإنها تبطل وتضيع ولايجد ثمرتها وقت الحاجه حيث أنه في الدنيا بدل الثناء يجد اللعن والذم وفي الاخره يجد النار المحرقه ولايجد من بمنع عنه العذاب والهلاك

المبحث الرابع

أن المولي سبحانه وتعالى يعيظنا هذه الصوره عن حال من يكفر بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرن بالقسط من الناس...مبيننا ضياع الأعمال الصالحة التي عملوها والايات وردت بعد أمر نبيه أن يتوجه بالبلاغ الذي شمل أهل الكتاب والاميين فذكر الدليل التاريخي لحركه من فقد الفاعلية الإيجابية...ليقول لنا أنه لافايده ولامنفعه من الإقرار بوجود الله إذا لم يترتب على ذلك الوصول إلى المعرفه التي توجب الشعور بوجود الله لأن المعرفه الثانيه هي التي يكون بها توجيه الحركه نحو الفعل المأمور به فجاء بصيغه العموم (أن الذين يكفرون بآيات الله) ثم ذكر أوصاف اتصفت به اليهود وهي معرفه لديهم والمراد بهذا ليس مجرد الاخبار عن اليهود والنصاري بل هو فيه تحذير لنا بأن العلم المطلوب منكم ينبغي أن يكون مختلف عن تلك الأحوال البشعه التي عاشها هولاء فانتم ايه المسلمون وأمه العرب اختصكم الله بحمل رايه الهدايه وانتم اميون وقد علمكم الله طريق الهدايه والنجاح وهو بالخضوع لله واتباع سنه رسول الله وان معرفه الله توجب محبته وعبادته وتوحيده وان تكونوا في يقظه وخشيه من الله لأن فائده العلم والايمان إنما يكون بالعمل والحركه فعليكم الشعور بالمسؤولية وان تكون كل حركه عباده لله يقول لنا الله أن القرآن منهج ومعجزه تتجاوز حدود الزمان والمكان فهو منهج للبشرية الي قيام الساعه وان البشريه تمر بأحداث ضبابيه تمنع الإنسان من الرؤيه وعندها سوف يبعث الله

مجدد يقوم بازاله الاغطيه التي تمنع الرؤية وهنا يجب عليكم اتباع هولاء المجددين لانهم يقومون بمهمه الانبياء (ومن اتبعني)

واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم نوعان هو اتباع جميع الناس بالاقْتداء به واتباع العلماء والمجددين الذي يحملون علي عاتقهم التبليغ وتربيته الناس فطريقهم هو منهج الله والخضوع والاستسلام لأمر الله طالما أنهم يأمرون بالعدل والمعروف وينهون عن المنكر فعليكم احترام القاده فذكر حال اليهود لانهم كانوا يرسل إليهم أنبياء يطالبون العمل بالتوازه ويحاولون ازاله ما حدث فيه من تحريف وانهم كانوا يقتلون لأن هنالك من يري أنهم يمثلون خطر عليهم ومن المؤكد أنهم كان لهم نفوذ وسلطان فالقتلة من المؤكد أنهم أهل السلطه سواء الدينيه أو القدرية الرئاسة فدللت النصوص أن الكفر والقتل والاضطهاد أساسه الوثنيه المتعلقه بحب الاستعلاء والرئاسة وهنا تشير النصوص الي مساله متعلقه بمستقبل المسلمون بأنهم سيكون لديهم مجددون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.. وانهم سوف يجدون من يرفض البلاغ ممن يدعون انهم أهل الدين وحراسه لأن الجماعه التي حملت رايه الهدايه لفته سابقه نتيجته ظهور أمراض كان وجودها ودورها محمود في تلك الفترة أنها تجد نفسه بعد الوصول إلى السلطه الدينيه غير قابله أن تسلم الرايه للمجدد الجديد فتسعي الي محاربتة والتنكيل بالدعا لآنها تريد احتكار أمر الدين وهكذا تقف عائقا أمام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتري أنها بذلك تعمل الخير فذكر الله التهديد والوعيد بالعذاب المولم الموجه ثم ذكر حبوط العمل وضياعه لبيان اهميه أن تكون طالبا للحق اينما وجد فعليك أن تقبله وان تدعن للحق لأن الجدل كثير مايدور لدي الذين يدعون انهم علي الحقيقه دون غيرهم حيث يولد فيهم التعصب الأعمى ولايقبلون باي شي مهما كانت حجيتة ويسعون الي تطويع الشرع لأجل اظهار أنهم علي الحق واخفاء الحقيقه ثم يكون البطش والتنكيل باسم الدين لاهل الحق فجاء النص للتحذير من طريق المغضوب عليهم

ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول (الم تر الي الذين أتوا نصيبا من الكتاب يدعون الي كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولي فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيام معدودت وغرهم في دينهم ماكانوا يفترون فكيف إذا جمعناهم ليوم لايريب فيه

الأمر الأول

يقول الله تعالى لنبيه(الم تر) اي الم تعلم بحال اليهود والنصاري كيف صاروا وضعهم عندما فقدوا مصدر الإلهام لديهم فهم أصبحوا يتحركون في دائره مغلقة غير قادرين على التعاطي مع مصادر القوه والطاقه التي تمكثهم من استرداد الفاعليه التي سلبت عنها فذكر الله أن ذلك الوضع شي عجيب ومستنكر أن تصبح نموذجا للتخلف و العجز وانت تملك ادوات الخلاص من ذلك الوضع المهين فذكر أن هولاء أعطوا حظا قدرا من العلم (نصيبي من الكتاب) اي المنهج الرباني الذي فيه كيفيه التعامل مع الازمات والتحديات ودليل العمل والتعامل مع الحياه وتحولاتها واطرادها وذكر أن القدر الباقي الغير محرف اشاره الي ماحملته التوراه من الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأحكام الشرعيه التي تتطابق مع القران ووجه التعجب لها اراء متعدده مرتبطه بقوله (يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم

١

أن هولاء إذا دعوا الي الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم المذكور في كتبهم وان يحكم القران أوضاعهم فإنهم يلجأون الي التكذيب والجحود والعصيان والإنكار ولهذا خص بوصف القران الحكم مثل ماوصف بأنه بشيرا ونذير حيث وردت الرؤيات أن من أسباب النزول هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل عليهم في مدراس اليهود فدعاهم الي الاسلام فقال الحارث اي دين انت يامحمد قال مله ابراهيم فقالوا كانوا ابراهيم يهوديا فقال هلموا الي التوراه فهي الحكم بيني وبينكم فرفضوا فنزلت الآيه

يقول لنا الله أن العلم واعطاءهم التوراه كان يفترض أن تكون حاملا علي الاهتداء لكنهم استكبروا ورفضوا القبول بحكم الله بما أمر في القران فالاصل أن النسخ التوراه بمجي القران يوجب عليهم القبول بحكم الله فيه لأن في ذلك الخلاص من حاله الجمود الذي أصاب هؤلاء واسترداد فاعليه امه أهل الكتاب التي انتهت صلاحية العمل بما لديها وهي تعلم ذلك لكنها لم تقبل بذلك

أن مساله تعامل هؤلاء مع مصدر الإلهام لديهم التوراه أمر عجيب فهم يسعون الي تطويع احكام التوراة لرغباتهم حيث ذكر أن من أسباب النزول أن رجلان زتيا من اليهود فاردوا أن يتخلصوا من حكم التوراه بالرجم فلجاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم ليحكم بشأنهم طمعا أن يكون التخفيف عليهم بالحكم فلما حكم الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم بالرجم غضب اليهود من ذلك لأن المحكوم عليهم من أشرف القوم فقالوا لقد جرت علينا يامحمد فقال بيني وبينكم التوراه فاتوا بها فأحضر عبدالله بن سوريا التوراه فعندما وصل الي حكم الزنا للمحصن والمحصنه غطاها بكفه فقال ابن سلام لقد غطاها فعندما كشفت وجد فيها أن حكم الزني المحصن الرجم فنزلت الآية الكريمة لبيان ان حال هؤلاء عجيب فهم اذا كانوا لايحترمون أمر الله بالتوراه فلا تستغرب إصرارهم علي الكفر وتكذيب نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا انتبهوا من هذه المقابح التي اتصف بها هؤلاء فالمنهج الرباني يجب أن يكون هو الباعث والمحرك الذي نتحرك به في كل حركه نتحركها وانه في حاله الاختلاف في أي أمر فاللازم أن نرجع الي كتاب الله ليحكم بيننا بحكم الله فالنص فيه التحذير من سلوك اليهود الذين كانوا يرفضون القبول بالحق ويعرضون عنه دون النظر إلى مصدر ذلك الحكم بأنه الله للاشاره أن الإيمان الكامل هو الذي يكون فيه الانتقال من المعرفه التي توجب الإقرار بالواحدنيه لله الي المعرفه التي توجب الشعور بوجود الله والشعور بعظمه الله وتقديره حق قدره فأنت عندما تجد ان كتاب الله تضمن حكما فاللازم عليك أن تقبل به وتعمل به برضا واذعان وتسليم فذكر الله أن من مظاهر القبح لهؤلاء هو الأعراض وقبل ذلك أشار إلي التوالي لبيان ان التوالي قد يكون لسبب طارئ وليس لرفض الحق لكن مجئ (وهم معرضون) دلت أن السبب هو عدم قبولهم بحكم الله واستعمل قبلها (ثم) والتي تفيد التراخي لبيان أنهم عندما يقبلون بمبدأ الاحتكام لمنهج الله إنما يكون ذلك ناتجا عن تصورهم أنهم قادرين علي تطويع الشرع لاهواهم فإذا وجد من ينفذ حكم الله بالحق فسرعان ماينكشف أمرهم بـ التوالي والاعراض ففهم أنهم تولوا معرضين بقلوبهم واجسادهم

الأمر الثالث

يقول لنا الله تعالي ان التوالي والاعراض المعبر عن عدم القبول بحكم الله يعني أن هؤلاء لم يفهموا حقيقه الاسلام والتوحيد فذكر لنا العله (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيام معدودت وغرهم في دينهم ماكانوا يفترون) ان اردتهم تطويع الشرع لاهواهم ورغباتهم يعود الي (ذلك) استعمل للإشارة أن سبب التوالي والاعراض أن هؤلاء اغتروا وانخدعوا عندما بنو عقيدتهم علي الاماني الكاذبة فقالوا انهم ابناء الله واحبائه وأنهم لن يعذبوا الا أربعين يوماً علي ماكان منهم من عباده العجل فقط وهذا فيه

الأمر الثالث

يقول لنا الله انتبهوا من أن تصير العقيدة قائمه علي الاماني الكاذبة كما فعل هؤلاء انتبهوا أن تسلل اليكم امراض العصبية والقومية والوثنيه الدينية فيكون الدين لديكم قائما علي تمجيد وتقديس انساب فهؤلاء قد حرفوا التوراه

وادخلوا فيها الأكاذيب والباطيل التي كانت سببا لهلاكهم ولهذا فاحذروا أن يكون منكم تحريف التفسير لمدلولات النصوص كما فعل هؤلاء فقد كان ذلك سببا لهلاكهم

يقول لنا الله أن التصور الخاطيء لدي هؤلاء عن عدل الله وعن عقابه وثوابه كان سببا اوصولهم الي الهلاك والضياع فهم في سكرات الأوهام والخرافات غارقين في الاماني الكاذبة التي افقدتهم الشعور بالمسؤولية عن الأفعال وأنه سبحانه وتعالى عدل لا يظلم احد فلا محاباه فالخسب والجزاء بالقسط وان هؤلاء مصابون بالغفله ولا يتوقعون حقيقه اليوم الآخر وما فيها من احوال وشدائد فقال تعالي (فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه..

كيف حالهم عندما يتفاجوا بالموقف في ساحة الحشر ويكون لهم الفضيحة أمام الخلائق أجمعين حيث يكون الجزء علي الأعمال فمن عمل خير كان له الثوب ومن عمل شر كان مصيره الي النار واستعمل (ووفيت كل نفس) لبيان انه الوساطه ولامحسوبيه فالمسؤوليه فرديه لنفي مزاعم انهم سوف يشفع لهم أجدادهم الصالحين ف الله عدل لا يظلم احد

ف الله يقول لنا أن الشعور برقابة الله والمسوليه عن الأعمال والشعور بالحساب والعقاب هو الذي يحقق ايجابيه الفاعليه فأنت لو عرفت باليقين الجازم انك إن فعلت أمر محرم أنه سوف ينزل بك العقاب فلن تتجراً علي القيام به الفعل مهما كان فإذا شعرت أن العقوبه سوف تحل بك وتلسعك النار فلن تفعل لكن الاماني الكاذبة تصور الأمور علي غير حقيقتها فهو وإن أكن ب الله والعقاب فإن حاله الغرور وبناء العقيدته علي الاماني الكاذبة تجعله يستخف ويستعين بالمعاصي ولا يتعامل بالجديه لانه لا يشعر بالمسؤولية عن أعماله ف الله يقول احذروا من ذلك السلوك القبيح الذي فيه الهلاك

القسم الرابع

(قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشا وتذل من تشا بيدك الخير انك علي كل شي قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب

المبحث الأول

أن أول مايلفت الإنتباه هو أن النصوص أبتدأت بالخطاب الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم (قل) بعد أن تناولت النصوص قبلها موقف اهل الكتاب من القرآن الكريم ورفضهم القبول بالاحتكام لكتاب الله مبينه أن ذلك منهم يعود إلي الغرور بأنهم ينتسبون الي الانبياء والصالحين فهم قد رفضوا الحق وحاولوا جاهدين لدحض الحق بتلك الأقاويل الفاسده وان الذي حملهم علي ذلك الجحود هو أنهم لم يقبلوا بانتقال النبوه والقياده الي امه العرب الاسلام حسدا من انفسهم لأنهم يرون أن السيادة لهم فقط ولهذا فإن ابتداء النصوص (قل) تهدف الي الاتي

الأمر الأول

اعلان انتقال القيادة لاه الإسلام بعد أن كانت في بني إسرائيل..وتضمن هذا الاعلان البشاره للمومنين بأنهم سوف يكون لهم العز والتمكين والكرامه ويخبرهم الله أنه سيكون لهم ملك كسري والروم ذلك أن المشركون كانوا يسخرون من الرسول صلى الله عليه وسلم فيقولون اين ملكه اذا كان يدعي أنه نبي من الله فأخبر الله المومنون أن النصر والعز بيد الله تعالي والخطاب أيضا فيه التهديد للمكذبين بأن عليهم جميعا أن يقروا التاريخ لينظروا الي نفاذ مشئبه الله وارادته يقول أنظروا كيف أن قدره الله غيرت أوضاع كان من الصعوبة بمنطق البشر أن يكون لهم النصر نتيجته ما بهم من ضعف (ونريد أن نمن علي الذين استضعفوا....الي قوله (ونجعلهم الوراثون) قد شهد التاريخ أن بني إسرائيل كانوا في ضعف وهوان بينما فرعون وقومه كانوا في عز وتمكين وقد أزال الله ونزع ملك فرعون...لأن الفراعنه كانوا ظالمون وغارقون في ظلمات الجهل والكفر والجحود والعصيان والتكذيب فجاء

موسي مرسلًا من ربه لازاله تلك الظلمات التي غطت علي حياه الناس فجعلهم في ظلام دامس يقول لنا أنه عندما تزداد ظلمات الكفر فإنه الله يرسل الرسل الذين يحملون انورا تزيل ظلمات الليل(أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) فهذه الانوار يكون فيها اخراج الاحياء من مجتمعات ميته (فما أمن له الاذريه من قومه علي خوف من فرعون... الخ وفي المقابل فإن حركه الإنسان في الأرض أنه بعد الكمال يحصل النقصان حيث يأتي من المومنون الذين لهم حياه الأرواح خلف يتخلون عن المنهج الرباني الذي فيه حياه أرواحهم (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاه.... الخ

الأمر الثاني

ف الله يقول لنا أن كل شي بمشئته سبحانه وتعالى فليس غريبا أن ينصر الله امه الاسلام وان يكون العربي المتوحش مهذابا بينما نري اليهودي والنصراني الذي كان صاحب علم قد صار جاهلا مثل المشرك الذي لم يتلقي اي حضا من العلوم فشبه ذلك (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي)يقول لنا لاتستغربوا تحقيق وعد الله بالتمكين وان يكون لكم ملك كسري والروم حيث كان المنافقون يسخرون من وعد الرسول صلى الله عليه وسلم للمومنين في الخندق فقالوا إنه محاصر لا يستطيع أن يتحرك خارج نطاق الخندق ويوعده أصحابه بذلك ف الله يقول لنا أن الملك كله هو لله فاستخدم (مالك الملك) فاستخدم ملك بالضم وهي غير ملك بكسر الميم لأن الاخيره تعني أن للانسان ملك علي اشياء فذكر ملك بالضم لبيان انه مالك الملكوت وكل مايملك الناس اي ان جميع ماترون من سلطان وملك للبشر في الأرض سواء كان ذلك ناتج عن السلطه المباشره او أنه يملك القوه ولهذا فإن اللفظه بالضم ملك تعطينا المعني الذي وضعت للدلاله عليه وهي قادره علي الإيحاء بالزويه التي روعيت أثناء إطلا قها علي مسمي بعينه حيث أنها تعطي معني اللفظه وظل المعني فالمعني مراد به ملك جنس الملك والتصرف اي الملك الحقيقي له سبحانه لبيان ان ملك الإنسان هو علي سبيل العاربه فأخبرنا الله أنه هو الذي يعطي الإنسان الملك وهذا الملك يكون بالتصرف (أن الملوك اذا دخلو قريه افسدوها)

أما ظل المعني فهو أن تفهم أنه ملك وهو القوه علي تولي ذلك مثال قوله تعالي (إذ جعل منكم أنبياء وجعلكم ملوكا)

ولهذا نجد أن الله يخبرنا أن ملكه مطلق فهو الملك لكل شئ وعلينا ان نفهم أنه له ضبط الشئ المتصرف به في الحكم فليس من حق أحد أن يسأل لماذا يفعل الله ذلك فهو لايسال عما يفعل وانتم تسألون ..

يقول لنا الله ان مقتضي ملكه المطلق. انه هو الذي يعطي ويمنح من يريد الملك وهو ينزعه منه وهو يعز من يريد ويهين من يريد فذكر قدرته التي تشير إلي عدم وجود مايمنع قوته ونفاذ مشيئته الله وحكمته وارادته سبحانه وتعالى واعطانا مثال لذلك بالنظر إلى حركه الكون لتري ابداع الله وقدرته في تدبير شؤون الخلائق وذكر أنه الرزق فلا يعجز الله شي فهو قادر علي نزع الملك من الفرس والروم وتمكين المسلمين وهو ما تحقق فعلا

الأمر الثالث

تعليم المسلمين كيفيه الاستعلاء بالحق فيقول عليكم أن تنطلقوا من التوحيد في كل حركه فذكر الله م وهي ماكان العرب يستخدمون لبيان حقيقه انتقال القياده الي امه العرب لحمل رايه الهدايه فذكر ربوبيه الله ملك الملك...يقول لنا الله أنظروا الي امه العرب فهي لم تكن تعرف الدول ولا الانظمه وقد انتصرت وكان لها التمكين والعز صاروا ملوكا وهو سبحانه بهذا يريد أن تغزو عقيده التوحيد المناطق الداخليه للإنسان ليكون الضمير الديني هو الذي يقود عربيه السياسه فالهيمنه هي للتوحيد ولهذا يعلم رسوله الكريم أن يلجأ إلى الله في كل الأحوال وهو توجيه للمومنين فذكر

قل لتربيه المومنين أن عليكم أن تتجهوا الله بالتعظيم والاجلال والمحبه والاذعان والتسليم فذكر تقرير حقيقه الأ

ألوهية الواحد لله تعالي (قل اللهم) لبيان اهميه اخراج كل الأهواء والاصنام من القلوب بحيث لا تتعلق الاب الله فذكر أن الحقيقه الناشئه عن الإيمان بالله الواحد الذي لا شريك له فقال (مالك الملك) مقررا

المساله الاولى

أن الملك التصرف والتدبير والقوه كلها بيد الله وان جميع ما يملكه المخلوقات هي ملك لله مع المخلوقات التي تملك سواء السلطه أو الجاه أو المال أو أي عنصر من عناصر القوه فهي ملكيه منحها الله له عاربه فهو سبحانه يستردها متى شاء لانه المالك فالمستعير ليس له ملكيه اصيله وانما عاربه ولهذا ليس له أن يتصرف بها علي هواه وانما اللازم علي المستعير أن يخضع لارده المالك الحقيقي ولهذا فهو أن خالف قانون الله في ملكه يكون تصرفه باطلا

المساله الثانيه

أن الايه فيها تنبيه وإرشاد المومنين الي شكر نعمه الله بأن اصطفاء النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الامه لحمل رايه الهدايه بعد أن كانت لدي اليهود فذكر بعد تقرير حقيقه الألوهية الواحد لله تعالي التي نري فيها جمال الله وجلاله ذكر حقيقه الملكيه المطلقه لله في التصرف والتدبير فذكر حقيقه القوامه لله علي البشر فذكر أنه المعطي والمانع والمعز المذل وأنه بيده الخير مقرر أنه بيده القوه والقدرة المطلقه والتدبير للكون ولهذا فاللازم عليك مشاهده كل ذلك لتري حسن الله وإحسانه وتدييره للكون والبشر فتعرف أن كل شي يتحرك وفق ارده الله تعالي فعليكم أن تنقوا بالله وان كل شي بمشيئة الله تعالي وتدييره

المساله الثالثه

يحذرنا الله من الانحراف الناتج عن تسييس الأمور اذا انحرفت السياسه عن مفهوم التوحيد حيث أن استلام الهوي قياده السياسه يكون سببا لذل الأمم ولكم أن تشاهدوا حال المسلمون اليوم عندما قادها الساسه الذين يتصورون أن الملك خاص بهم وانهم يملكون القوه التي تمنع نصره المظلومين منهم لقد كان نتيجه ذلك سقوط امبراطوريه المسلمين تحت الاحتلال لاهون خلق الله

ف الله يقول لنا

١

أن منح الله وعطائه للمخلوق الملك والقوه والسلطان لا يعني ذلك أنه استطاع الوصول لذلك بدون ارده الله لا بل ذلك بارده الله ومشيئته (توتي الملك من تشاء وتنزع الملك... الخ فكل شيء يتم وفق ارده الله فقال (بيدك الخير) لبيان ان ذلك بقبضه الله وملكه وهنا قد يقول قائل كيف يسلم الملك لظالم ويكون في ذلك خير... الجواب أن ذلك يكون عندما يخرج الناس عن طاعه الله فيكون مجئ السلطان الظالم عقوبه من الله للناس علي ذنوبهم

٢

يقول لنا أن إعطاء الحاكم الظالم ومن في حكمه القوه والسلطان فيه تربيته وتهذيب للناس لأن الازمه هي كير اخراج الذهب من الشوائب وبه تنضح الذات ولأن الرحمه تتنكر احيانا في ثياب الشده كما عرفنا من قصه الخضر وموسي حيث إن قتل الطفل بنظر موسي جريمه لانه لم يطع علي حكمه الله التي اطلع عليها الخضر فيقول لنا الله أنه لا يقدم لعباده إلا خير ومانراه غامضا أو ظالما وقاسيا ليس كذلك في الحقيقه

٣

يقول لنا الله أن الالم ضروري للحياه لانه لو لم توجد الالم لركدت حياه الناس ولحصل الجمود وتوقفت الحياه ولهذا يخبرنا الله أن علينا أن ننظر الي اثار قدره الله في حركه الكون أنظروا كيف أن الظلام يدخل في النهار تدريجيا دون أن تدرك فكذلك يكون بعد الكمال حصول الانحراف في حياه الناس وحينها يكون رغبه الناس ب الخروج من ظلمات الكفر فيرسل الله أنواره التي تزيل تلك الظلمات ولكن بالتدريج مثلما أن النهار بضوءه الساطع يزيل ظلمه الليل ويخرج المومن من الكافر والعكس ف الله يقول لنا لابد من الحركه لأن الجمود يعني الموت وليس الحياه الا حركه ونمو دائم

فيقول لنا الله أن اللازم علينا الاستعلاء بالحق

المبحث الثاني

يبين للمومنين أن الله هو المستحق للعبوديه وحده لا شريك

وأنه سبحانه هو المالك اي القادر والملك تعني القدره والقوه

ومعناها أنه قادر علي كل شي وأنه يتصرف كيف يشاء فهو سبحانه يملك كل شي وهو يدبر الأمر ويملكه ولهذا فهو الذي له الكمال بينما مادي الإنسان هو عطاء من الله

فقال تعالي توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشا وتذل من تشا بيدك الخير انك علي كل شي قدير

يقول لنا

الأمر الأول

ان الايه تبين لنا اهميه العمل علي أن يكون للموحدين دوله تنفذ حكم الله فذكر هذه الايه عقب ذكر رفض اليهود القبول بحكم الله وهم قد حاولوا الانتقاص من المسلمين بأنهم جهلاء ليس لديهم خبره في اداره الدوله ف الله يقول إن الحقيقه الناشئة عن أفراد الألوهية لله انه بيده الملك والتصرف به وتدير شؤون البشر فيقول أنظروا الي حال العرب كيف أن الله اعدهم وارثاء بعقولهم وجعلهم قادرين على قياده العالم لانهم فوضوا أمرهم الي الله بقوه الارداه وحسن استقبال المنهج وفي المقابل ازاله الملك عن اليهود والنصاري والفرس والروم حيث أن الدعاء لله فيه أنه يملك الملك كله لان الملك يكون نوعان ملك سلطه وامتلاك ادوات القدره كما قال تعالي بشأن النمرود الذي حاج ابراهيم فقال تعالي (الم تري الي الذي حاج ابراهيم في ربه أن أتاه الملك) والثاني متعلق بالنبوه اي فدلّت النصوص اهميه الدوله بالنسبة للمسلمين وأنه تعالي يقول لنا أن التوحيد لم يوجد ليبقي في النفوس فلا بد أن تكون له دوله للموحدين فتاتي النصوص تحت المومنين علي النضال والكفاح لنيل وعد الله بالتمكين فذكر المولي سبحانه وتعالى أن من اثار حقيقه التوحيد

المساله الاولى

أن مساله عطاء الملك سواء السلطه أو الجاه أو القوه والمال هي منه تعالي لمن يشاء من خلقه واستخدم لفظ (توتي) الذي هو مجرد الاعطاء علي التملك الموزن به فهو قال توتي ولم يقل تملك لأن ما يكون للعبد هو من عطاء الله إياه سلطه علي الشي وفق منهج الله فهو لا يتصرف بها وفق اردته بل عليه أن يلتزم بشروط المالك الحقيقي وذكر أن ذلك يعود لحقيقه مشيئة الله تعالي لبيان ان مادي الناس هي ملكيه ناقصه لأن المالك لها هو الله تعالي وهو قادر علي نزعها منهم

المساله الثانيه

أستخدم لفظ تنزع وهي تفيد الزوال والمنع انه يمنع الملك عن البعض أما المعني الازاله فهو معني يفهم من الايه قبلها بأنه اعطي الملك فيقول لنا عليكم تفويض الأمر كله لله فعليكم عدم الانهزام والقبول بالأمر الواقع لأن هذا الظالم لديه قوه وملك فانتهم مطالبون بالعمل علي زوال هذا الظالم واثقين بنصر الله أن أخذتم بالاسباب لأن الله هو الذي إعطاه الملك وهو بيده إزالته ولذلك استعمل لفظ النزاع الذي مأخوذ من القلع الشديد لأن الملك و السلطان والقوه والمال يكون له أثرا في النفس البشرية ويصعب تسليم الشخص للملك بسهولة وانما يكون مفارقتة له بقوه شديده فنحن نشاهد أن كثير من أسباب الحروب والدمار في المجتمعات ترجع الي شهوه الملك و الرئاسه لأن الحاكم يظل متشبث بالسلطه ويرفض القبول بالتخلي عنها مهما كانت الظروف والاحوال فالله يقول لنا تقوا بالله واعملوا بالاسباب فهما كانت قوه الظالمين فإن ماديهم هو من عطاء الله وان الله قادر علي نزع ذلك منهم متي ما وجد منا الطاعه والصبر والإخلاص فالله بيده إزالته فذكر النزاع وتكرر كلمه الملك اشارة الي يأخذ منه ذلك بعد استغرقه لبيان انه تعالي يأخذه من حيث لا يحتسب أخذ عزيز مقتدر فلا تتصور أن إعداده للتحسينات التي ينظر إليها أنها تمنع زوال ملكه فهو يعز من يشاء وبذل من يشأ

المساله الثالثه

وتعز من تشاء وتذل من تشاء

الاعزاز

يكون في الدنيا والآخرة وهو يكون بمعني التقويه اي يمدده بالنصر فيكون غالب علي غيره فيكون عزيز اذا علا وقهر وغلب غيره

*

ومقابل ذلك الذل وهو بمعني التضعيف فيكون مقهور ومغلوب

وللعز والذل عدم مفاهيم

الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يبين لنا أن الناس ينقسمون الى فريقين فالذي يعتز بالحق ويأخذ بأسباب ذلك يكون له العز والكرامه والرفعه والاستعلاء لأن العزه تبدأ من النفس فمن استطاع أن يضبط نفسه كان له العز والكرامه و الرفعه والاستعلاء ومن انهزم أمام النفس وضعف أمام الشهوات والأهواء اذلته نفسه واستحق أن يعيش ذلال ومهان أما الذي يتغلب علي الشهوات والأهواء وقمع الرغائب لتخضع لاراده الله فإنه يعيش في عز فمن اعتز ب الله اعزه الله ومن اعتز بالقوه والشهوات اذاله الله كما ورد بشأن المنافقون (ليخرجن الاعز منها الاذل والله اعزه و لرسوله.... الخ فذكرت أن العزه لله والرسول والمؤمنون ومن اعتز بغير الله اذله الله وهذا فيه ان علينا أن ندرك أن طريق العزه تكون بالخضوع والاجلال والتعظيم والمحبه والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله فالمومن لا يخضع لغير الله والتاريخ الاسلامي يعطينا نماذج لضعفاء من الناحية المادية مثل بلال وصهيب وعمار لكنهم كانوا أهل عز فلم يقبلوا الذل لأن قلوبهم كانت معتزه بالحق فالله لا يعطي العزه لمن كانت قلوبهم فيها اوساخ الشهوات ومن كان عبد الشهوات يكون ذليل وتعييس

الثاني

أن التمكين والغلبه بيد الله فيكون العز بأن يمدك بأسباب القوه سواء السلطه أو الجاه أو المال وبيده إذلال البعض بأن يكون ضعيف لا سلطه لديه أو فقير فهذه الأمور كلها بيد الله فيقول لنا اطلبوا العزه من مصدرها وهو الله ولا تطلبوها من البشر العاجزين

يقول لنا الله أن أسباب العزه هي الايمان والاستعداد وخوف الله والصبر علي الابتلاء فالله يمدك بالطاقه و النشاط وان أسباب الذل هي الكفر والاعجاب بالنفس والخوض بالباطل والضعف أمام الشهوات ولهذا نجد عمق المعني بالاطباق تعز وتذل لتلائم هدف الشعور بقيومه الله تعالى علي البشر ليكون ذلك حافزا علي الأخذ بوسائل وأسباب العز والابتعاد عن أسباب الذل

الامر الثاني

يقول لنا الله عليكم تفويض الأمر كله لله فعليكم عدم الانهزام أمام الأعداء فعليكم إن لا تخضوا الي الأمر الواقع أن اصابكم ضعف فقال تعالي (بيدك الخير) أن الله لا يختار لكم الا ما هو خير فأشار بذلك أن بيده الخير فهو في قبضته والخطاب موجه للمؤمنين يقول لهم أن الخير بقبضه الله لا بيد أحد من البشر فلا يقدر عليه إلا الله وغيره عاجزون عن مدكم بالنفع أو غيره وجاء بالتذيل (انك علي كل شيء قدير)أشاره الي أن الملكيه كلها لله والعطاء و المنع والاعزاز والإذلال وتدبيره لكل شئ فهو سبحانه وتعالى لها كمال قدره والمشيئه المطلقه وهذا فيه بيان الآ تي

١

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يغرس في نفوسنا الاحساس والإدراك بأن كل شيء في ملك الله وحده لا شريك له وان علينا تفويض الأمر لله وان نحذر الحسد الذي كان سببا مانعا لليهود من القبول بحكم الله لانهم كانوا يريدون أن يكون النبي الخاتم منهم وان السبب يعود إلي كراهيه هؤلاء أن يختص الله هذه الامه بالخير كما ذكر في سوره البقره (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم)

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا هنا أن الخير بيده واستعمل لفظ اليد هنا لتقريب الصورة لذهن الإنسان بأن الله هو المالك لكل شئ فليس لأحد الاعتراض على امر الله ونقله الملك الي امه العرب ونقل النبوه الي الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بيده الخير ويعطي من يشاء ويمنع عن من يشاء فهو سبحانه لايسال عما يفعل

٢

يقول لنا الله أن الخير بيده فهو لايعجزه شيء (أن الله علي كل شيء)بعد أن ذكر كمال تصرفه في نوع الملك بالا ستغراق للجنس اشاره الي أن كل ما هو في الكون ملكه وأنه سبحانه وتعالى قد جعل للعطاء والمنع والاعزاز والإذلال أسباب وهو سبحانه يدبر أمور الخليقه بالقسط والعدل فذكر عطاءه لمن يشاء ونزعه اي ازاله هذا العطاء عن من يشاء والازاله تكون بازاله الشيء من مكانه وتستعار لازاله الصفات والمعاني (ونزعا ما في صدورهم من غل) تشبيه المعني المتمكن بالذات المتصله بالمكان وتشبيهه إزالته بالنزاع اي تزيل وصف الملك ممن تشاء... فذكر الا عزاز والإذلال وهي صفات ومعاني ليقول لنا أن له التصرف والأمر له فهو سبحانه له الوحي ويصرفه من بني إسرائيل الي النبي صلى الله عليه وسلم وله الملك فهو له أن يصرفه من أمه الي امه ومن شخص الي اخر فليس من حق أحد أن يعترض علي أمر الله فهو له القدره المطلقه للرد علي اعتراض اليهود علي انتقال الرساله للنبي صلى الله عليه وسلم والرد علي المشركون الذين قالوا لولا نزل القرآن علي رجلين من القريتين عظيم

...ف الله سبحانه وتعالى يقول انه بيده الخير وهو يختص به من يشاء من عباده فذكر الشواهد الداله علي قدره الله تعالى فقال تعالي(تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) فيقول أنظروا الي إيلاج اي دخول الليل في النهار حيث يزيد طول الوقت الليل وتعاقب الليل والنهار وإخراج الميت من الحي مثل اخراج البيضه من الدجاجه وإخراج الدجاج من البيض فيها دليل تصرفه وتدبيره لأمر الخلائق وهي من مظاهر قدرته سبحانه وتعالى ليقول لنا أن من قدر علي ذلك قادر

علي اعزاز من يشاء وإذلال من يشاء وايتاء الملك لمن يشاء وإزالته ممن يشاء فهذا بيان لقدرة الله علي نزع سلطان الفرس والروم وايتاء المسلمون الملك والقوه فذكر أن عطاؤه بغير حساب عندما يشاء فهو يعطي من غير تقترولاتضييق فهو لا يحاسب علي فعله ولا يسأل عن عطاءه (ويرزق من يشاء بغير حساب) وقال ابن عباس أن الحساب بالرزق ورد في القرآن بثلاثة معاني ...بمعني العدد(إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)....وبمعني المطالبه (فامنن أو امسك بغير حساب) وبمعني التعب (ويرزق من يشاء بغير حساب)وهنا نفهم أنه يرد علي اعتراض اليهود لأن رساله الاسلام اختص الله بهذا الفضل والخير امه الاسلام العرب فيقول لهم أن الله لا يحاسب علي عطاءه ولا يسأل وأنه يعطي من اقتضت حكمته الرزق بلا حساب

الأمر الثالث

يقول لنا الله أن تفويض الأمر لله والايامن بالقضاء والقدر والتوكل على الله لايعني التوقف عن الحركه والاحتجاج بالقضاء والقدر فعليكم الأخذ بالاسباب والنواميس والسنن

فلا يكون تبرير عجزكم وقعودكم الي قضاء الله وقدره فلا تنصور أن رساله الاسلام تعني القعود والجمود عن الحركه بل عليكم الفرار من قدر الله الي قدر الله عليكم تذكر تدبيره الأمور واقامه ميزان الحق فالله مالك الأ سباب وهي الأسباب التي يستمد الإنسان الخير فالله قد أقام نظام الكون علي قوانين ونواميس الهيه فالكون محكوم بنواميس الله لا يشاركه فيها أحد فانظروا كيف أن الله جعل تعاقب الليل والنهار حيث أن تلك الحركه تخبرك عن أن ذلك ناتج عن حركه الشمس ودورانها خلال السنه فظاهره النهار ناتج عن دوران الشمس وأن الظاهره الثانيه الليل تكون ناتج عن حركه القمر في فلكه خلال شهر فالعمله تتم بدقه متناهيه لا يكون لأحدهما السبقه في الحركه فلا يسبق الليل النهار لأن ذلك محكوم بنواميس و سنن وقوانين الهيه فأنت مطلوب منك أن تتحرك وفق منهج الله تعالي وانت بحاجة الي معونه الله ومدده لك ولكن عليك أن تفهم أن لكل شئ سنن سياسيه او اجتماعيه او عسكريه فالوصول الي عطاء الله له سنن ينبغي أن تأخذ بها والمنع وازاله النعم لها أسباب فعليك الحذر منها فأنت بحاجة إلي قراءه الدليل التاريخي وتفسير الظواهر الكونيه لتري النهايه التي سوف تصل إليها فأنت بحاجة إلى الوحي الإلهي الذي يعيطك الحياه فالوحي هو أساس استرداد الامه فاعليتها ومعادوه إخراجها مرهون باستدعاء معرفه الوحي واستصحابها كدليل عمل وبوصله هدايه وحسن انزالها علي الواقع من خلال أ بصار سننها فيقول الله أنظروا كيف أن الكون محكوم بالسنن وكذلك فإن انتقال القيادة والملك من أمه الي أخري له سنن ولايجوز القفز عليها وهو خطاب لليهود بأن الله لايعجزه شي فهو قادر أن يخرج من امه العرب ألميته لأنها لم تحظي باي علوم أناس قادرين علي حمل رأيه الهدايه وان يخصصهم بالخبرات التي تؤهلهم وتمكينهم من معرفه السنن التي فيها حياه الناس مثلما أنه أخرج من الدجاجه الحيه من البيضه الميته وأنكم اصابكم الحسد الذي جعلكم جهلاء كأنكم لاتعلمون شيئاً (وقالت اليهود ليست النصرى على شئ وقالت النصرى ليست اليهود علي شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم...الخ فقال لهم أن حالكم مثل حال البيضه الميته التي تخرج من الدجاجه الحيه فانتم كنتم أهل علم فاصبحتم جهلاء فانتم مثل الاموات لأن الحسد أصاب قلوبكم فلم تنظروا أن النبوه فضل ورزق من الله يختص به من يشاء من عباده ولهذا فإن ضعف قراءه الدليل التاريخي يوصل الي موت الأمم وزوالها فالتمثيل بذكر مثال قدره الله وماختم من أنه يرزق من يشاء بغير حساب يهدف إلي توجيه المومنين للأخذ بالاسباب والنواميس والسنن وان لاينهزموا أمام الضجيج الاعلامي للأعداء

الأمر الرابع

أن استخدام الايلاج تولج الليل في النهار...الخ

وهو ادخال شي في شي فيه

الإشارة إلى الدخول المتدرج فالليل لا يدخل دفعه واحده فأنت تري دخوله لحظه بلحظه حتي يغطي الليل بظلمته فالله يقول لنا أن الصراع بين ظلمات الأرض وأنوار السماء يكون فيه ابتداء الظلمات بالتدرج حيث يكون تفكيك عري أنوار الله عروه عروه حتي يعم الظلام الأرض وانه في هذا الوقت تكون انوار السماء تتجهز لازاله الظلام ولكن بمثل تغظيه الانوار بالتدرج فان الضوء يظهر تدريجيا فذكر (وتولج النهار في الليل) فيقول لنا انه في هذه الأثناء يرسل الله من يحمل انوار السماء للقضاء علي ظلمات الأرض وهم الرسل والمجددون وان هولاء قد يظهرون من مجتمعات ميته ويحملون منهج الحياه كما قال تعالي (وكذلك اوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري مالعلم ولا الايمان الخ

فلا تستغربوا أن يكون اختيار الله لامة العرب لحمل رايه الهدايه وأنه سلبت منكم القيادة فانتم قد حصل انفصال بينكم وبين انوار الله التي انزالها علي موسى لانكم تخليتم عن نعمه الله بما اعطاكم وانعم عليكم فصرتم اموتا من سلالة احياء فكان نسبكم مرتبط بالكفار من امه العرب الذين رفضوا القبول بدين الإسلام وكان المومنون نسبهم متصل بالذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين فقد صار نسبهم متصلا بالنسب الذي انقطع عنكم وهم المومنون الذين منهم موسى ويعقوب فهم يجمعهم والمسلمين نسب الايمان وهو فضل يرزقه الله من يشاء ومن لديه استعداد وقابليه للايمان فظهور الاسلام هو لازاله الظلمات التي غطت الكون وفيه ظهور الهدي والانوار والحياه لامة العرب الميته بدل امه اليهود التي كانت حيه فصارت ميته

أن أستخدم الايلاج الذي يعني التدرج فيه توجيه الأنظار لمشاهده عظمه الخالق وإبداعه وكماله لتري تدبير الله للكون فهو لم يخلق شيئاً عبثاً وانما لحكمه فانتم عليكم أن تعرفوا أن ذلك فيه حكمه عظيمه متعلقه بنصالح العباد فكيف لو أن الليل دخل فجاءه وبدون مقدمات والعكس فكان ذلك فيه فائده للانسان وكذلك فإن تغير الفصول بـ التدرج فيه فائده فلوان فصل الشتاء البارد انقلب فجاءه دفعه واحده الي صيف حار أو العكس لادي ذلك إلي اختلال نظام الكون فالله يقول لنا أن تصرفه في الكون وتديبره لشؤونه محكوم بسنن ونواميس وكذلك فإن تصرفه سبحانه بشؤون الناس مثل تصرفه بالليل والنهار وإخراج الميث من الحي والحي من الميث فإذا كان الكون محكوم بالسنن والنواميس فإن هذا يدل علي حاجه الإنسان للمنهج الذي يحكم حياته وان عليه أن يأخذ بالسنن و النواميس التي توصله الي خير الله وعطائه وإحسانه سبحانه وتعالى

المبحث الثالث

يقول لنا أن علينا أن نطلب الرزق من الله تعالي والتعفف عما في أيدي الناس فالله بيده الخير والرزق وبيده القوه فماذا بقي للمخلوقات لتخاف منها وهي لاتملك شيئاً فلماذا تقوم بمولاه الكفار فقال تعالي (لايتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المومنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شي الا أن تتقوا منهم تقاء ويحذركم الله نفسه والي الله المصير)

الأمر الأول

أن مساله الولاء المنهي عنه هنا له معاني متعددة فذهب المفسرون الي اراء متعدده منها مافيه مغالاه ومنها ما فيه تفريط وافراط وبالوقوف علي مدلولات النصوص والأسلوب الذي وردت فيه يتضح لنا أن المراد بالنهاي بقوله تعالي (لايتخذ المومنون الكافرين أولياء... الخ

ليس نهى عن المودة التي يكون فيها تعامل المسلم مع الكافر بالاحترام المتبادل فتلك بحد ذاتها ليست أمرا منبوذا إذا لم يكن فيه ضررا علي دينك لأن الله ذكر في موضع آخر (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين.....الي قوله (أن تبروهم وتقسطوا إليهم) فدللت النصوص أن هذا الأمر ليس محرم في الإسلام طالما أنه لا يعود بالضرر علي الاسلام والمسلمين بل إن الإسلام يشجع مثل تلك العلاقات فهو دين السلام والحب ويدعو المسلم الي البر بالإنسانية وان يفتح علي الآخرين لكن يضع الضوابط لتلك العلاقات فيقول لنا لا ينبغي أن تصل بك المودة لدرجه تتخذ أي تصطنع علاقه تضر بمصلحة دينك يقول انتبه فلا تكون تلك العلاقه علي حساب الدين ف لا تضحي بدينك ولا تكون علي حساب التنازل عن القيم والمبادئ التي أمر بها الاسلام لا تكون علي حساب التفریط برابطه الايمان أو الأضرار بمصالح المومنين ودوله الايمان واحذر أن تكون تلك العلاقه علي حساب علاقتك باخونك المومنين ومصالحهم العليا فلا تقدم مصلحه علي قضيه الايمان

فالمسألة التي تطرحها الآيات بين أيدينا متعلقه بقضيه جوهرية اساسيه تمس كيان الامه أفرادا وجماعات تهدف إلي تربيته المومنين وربطهم بقضيه الايمان علي الدوام فلا تغيب عن أذهانهم قضيه الايمان في زحمه حركه الإ نسان في الحياه فيها بناء شخصية المسلم المتعبده المومنه المتقيه المسؤوله ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد ذكر الوهيه وهيمته علي الكون كله وأنه المالك الحقيقي لكل شئ والمعطي والمانع والمعز المذل والقادر على كل وأنه المدبر والمتحكم في حركه الكون وأنه الرزق والمعين والناصر وهذا فيه

١

لفت انتباهه المخاطبين الي أنه إذا كان كل ذلك بيد الله فما بقي للمخلوقات كي يكون منكم ترك ولايه الله وسلطانه لتذهبوا الي ولايه المخلوق الضعيف الذي لا يملك شي فما الذي يدفعكم الي ذلك بعدما علمتم أن كل شي بيد الله وامركم باللجوء إليه فمن الغباء والحماقه أن يترك العبد ولايه الله ويتعلق بولايه الكفار وذلك لأن البعض كان يدخل في الإسلام من ضعفاء الايمان ويغتر بعزه الكافرين ويرى قوتهم فيري أن يتخذ من العلاقه معهم قوه تمنحه قوه وعز ولو كان ذلك علي حساب مصالح الدين ومصالح الامه العليا ف الله يقول لهم مادام كل شي بيدي فاياكم أن تولوا اعدائي لبيان حقيقه ان المراد بالولاء والبراء أن يكون الحب في الله والبغض في الله بأنه نهى عن اتخاؤهم اعونا وأنصارا تعتز بقوتهم فتبيع دينك وعقيدتك ووطنك مقابل تلك العلاقه التي تري انك سوف تجني بها المصالح الشخصية فيقول الله (لا يتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المومنين) وللفظ يتخذ من الاتخاذ والاصطناع اي فلا تكون المدهنه فيها تمكين الكفار من الاسلام فلا تكون تلك العلاقه فيها الأضرار بالمومنين أما إذا كان ذلك فيه مصلحه للإسلام والمومنون فلا مانع لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام حلف مع خزاعه ب الحديبيه ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم استعار درع صفوان ابن اميه وكذلك ذكر الله فرح المومنين بنصر الروم علي الفرس (ويومئذ يفرح المومنون) لأن العدو كان مشترك لنا ولهم أما إذا كانت تلك العلاقه معونه للكفار ضد المسلم فلا يجوز ولهذا قال تعالي (لا يتخذ المومنون) فالنهي باداه الجزم لا والفعل بعدها محرم ليفهم أن مخالفه ذلك يعني زوال صفه الإيمان عنه

٢

النهي هنا للتحذير من استيلاء العدو علي مركز القيادة في ديار الإسلام فقال تعالي (لا يتخذ المومنون الكافرين أولياء) ولم يقل لاتتخذوا يذكرهم برابطه الايمان ويربط العلاقه بهذا الرابط ويهدد بزوال تلك الصفه عنهم اذا خ الفوا النهي المأمور به فيقول لنا لاتسمحوا أن يتسلل الي عقولكم افكار هولاء نتيجته الحب والمودة لهم فتحصل القناعه لديكم كما هو حال الكثيرون من شباب هذا الزمن أن التقدم والنهضة يكون بالتخلق بأخلاق الغرب ومنع الا سلام من حكم امه الاسلام واستبداله بقانون الغرب والعلمانية فعندما صارت العلاقه بين المثقفين العرب مع الغرب علاقه ينظر إليها العربي بالانبهار وينظر لنفسه أنه لا يفهم شئيا ويستحي أن ينسب الي الاسلام ويتباهى بما لدي الكفر من حضاره ماديه عندها شاهدنا كيف أن العربي صار تلميذا أمام الكافر الأوروبي والأمريكي يتلقي منه

دعوه حقوق الإنسان وغيرها من الأمور المراد بها التسلل الي عقلك علي أنها فيها التقدم والنهضة عندها دخلت الي مجتمعاتنا اوساخ الشذوذ وقذورت الغرب صار الكثيرون يتباهون بعلاقاتهم مع اهل الكفر وبيري أن فيها عز فيمد إليهم يده ويمتنع عن اقامه علاقه مع المومنون فكان ذلك سببا لتخلف الامه وما أصابنا اليوم من الذل والهوان إنما يعود إلي الغباء والحماقه التي أصابت النخبه من هذه الامه عندما انقطعت الصله بينهم وبين الله فأصاب الامه ماصابها

٣

أن المتأمل لحال المسلمين اليوم يري كما نحن بحاجة الي استدعاء تطبيق حقيقه الايه الكريمه هذه لنخرج من ازماننا حيث وان مصائب الامه اليوم تعود إلي مخالفه احكام هذه الايه لنفهم معني قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والي الله المصير.... وقوله فليس من الله في شي نجد اننا حرمانا من عون الله ورعايته وحمايته لنا لأننا خرجنا عن ولايه الله الي ولايه العدو عندما قام حكام أمتنا الإسلامية بتقديم التنازلات لاهل الكفر في دينهم فضحوا بمبدأ الاخوه الصله التي تربطهم بالمومنين أن التاريخ يشهد كيف أن الحكام والملوك العرب باعوا العراق وأمريكا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا والبرتغال ووووووقاموا بالاستعانة بهم في بدايه الامر ضد دوله ذات شعب مسلم ثم بعد ذلك سلموا لهم الأرض والإنسان يعبثون بهم كيفما يريدون وقبل ذلك أفغانستان وبعدها وصل تامر البعض ضد المقاومه الفلسطينيه مع اليهود من أجل البقاء علي الكرسي ف الله يقول لنا انتبهوا من ذلك فانتم قد علمتم أن كل شي بيد الله فهو بيده الخير كله فإذا اردتم أن تحظوا برعايه الله وحمايته فلا تقدموا علي فعل التآمر ضد المومنين ولا تقيموا علاقتكم علي حساب مصالح إخوانكم في الدين فإن ذلك يعني زوال صفه الإيمان عنكم وتلتحقون بالكفر ولا تجدون حمايه الله التي وعد بها المومنون

٤

يقول لنا بهذا الخطاب الموجه للمومنين أن مقتضي الايمان يوجب عليك تقديم ولاءك للمومنين علي كل مصلحه ويلزم أن تتخذ الكفار أعداء فمولاه الكفار تعني انسلخ اصل أساسي يقوم عليه اصل الايمان وكما له لأن الولاء و البراء يكون لله فمجي الحكم متعلقا بوصف يدل أن اتخاذ الكفار أولياء في حين تقطع علاقتك باخونك المومنين يعني بعدك عن الله بمقدار بعدك عن الإيمان وأن هذا الأمر يعني انقطع العلاقه والصله بينك وبين الله (فليس من الله في شي) قال تعالي ذلك لمن يقوم بمخالفه أمر الله تعالي ويقوم بمولاه الكفار علي حساب المومنين فنحن نقول فلان ليس مني يعني أنك تنبرا منه فعليك أن تدرك أن الله يخبرك أن قمت بمولاه الكفار علي حساب علاقتك باخونك المومنين أنه قد أعلن براءته منك فهل لدي الكفار قوه تحميك من سخط الله وقد عرفتم أن كل شي بيد الله

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يفرس في نفوسنا الاحساس بالمسؤولية المترتبة عن الإيمان بأن علينا أن نشعر أننا أصحاب قضيه هذه القضيه هي الايمان والتوحيد فكل حركه وفعل نقوم به يجب علينا أن نهدف منه الوصول إلى هذه الغايه فجاء النهي الجازم عن مولاه الكفار الذي يضر بعلاقتك بالمومنين وان نحمل هم قضيه الايمان في كل حركه فقال تعالي(من دون المومنين)!

اي لاتجعلوا ابتداء الولاء من مكان دون مكان المومنين فلاتغفروا بقوه الكفار فهي قوه بلا شرف ولا تحظي بحمايه أما المومنين فإن التمسك بالاخوه معهم والاعتزاز بها والانطلاق في أي قضيه من هذا المنطلق فيه الشرف فأشار الي مكان المومنين بالاستعلاء ليقول لك عليك اتخاذ من ذلك قضيه لخدمه الايمان حيث نفهم أن قوله من دون المومنين اشاره الي اتخاذ المفهوم من الفعل لتري العزه بالإيمان وان الكفر هو ادني لانه بلا شرف ف الله يقف ضدهم

وهنا يقول لنا أن هنالك ظروف وأحوال يكون فيها الغلبه لاهل الكفر وتجد نفسك مضطرا الي المدهنه مع اهل الكفر لدفع المضره عن نفسه ا و عن المسلمين فإن ذلك يكون فيه الوقايه من تلك المخاطر لكن ينبغي أن يكون ذلك منك مصحوبا بحمل قضيه ومشروع المطلب الرباني الايمان والتوحيد فقال تعالي (إلا أن تتقوا منهم تقيه) وهذه المساله قد ذهب فيها الفرق الاسلاميه الي اراء متعدده منها مافيه تفريط وافراط حيث أن الخوراج أنكروا ذلك بينما ذهب الشيعه الي الإفراط فجعلت من ذلك عقيدته ودين تبرر فيها أفعالها القبيحه وتهدف من ذلك الطعن في ولايه ابي بكر وعمر وعثمانلكن الله قد حدد لنا متي تكون التقيه وما الهدف منها

١

أن النص يشير إلى أن أنها ضروره لاتكون الا في حاله الخوف من بطش الكفار مايعني أن الغلبه لهم فأنت مضطر للحفاظ على دينك وعقيدتك فالنص فيه التخفيف لهم من ضواغط الحياه فأنت اذا كنت خائف علي دينك وعقيدتك ونفسك ودفع المضره فهي لاتكون الا مع خوف القتل (الا من إكراه وقلبه مطمئن بالإيمان) فاطهرت لهم الولاء باللسان فإنه لا مانع لكن يجب أن تضر لهم العدو والبغضاء في القلب

٢

أن التخفيف عليكم هو لأجل حمل قضيه الايمان ف الله لا يريد أن يستأصل أهل الإيمان ولهذا نجد أن النص جاء فيه التفات من الغيبه الي المخاطب ولم يجري استخدام الخطاب علي مجري الكلام الورد في النهي عن المولاه للكفار لأن ذلك مستقبح فلم يوجه عباده بخطاب النهي بل جاء النهي في كلام أسند الفعل المنهي عنه بضمير الغائب ولما كانت المجامله باللسان جائزه لعذر وهو اتقاء شرهم حسن الإقبال عليهم خطابهم الله بضمير المخاطب برفع الحرج ومن جهه ثانيه لتنبه هولاء بأنهم يحملون قضيه الايمان فهي رخصه مرتبطه بالمشروع الرباني ومحكوم به بطروف معينه وباوقات معينة حيث نجد أن الله ذم الذين آمنوا ثم فتنوا لانهم كانوا مستضعفين (قالوا انا كنا مستضعفين.....قال أولو لم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا إليها) فمن كان بيده القدره علي الفرار بدينه ف لا يعفي ولايسمح له بالتقيه كما نعرف من سوره النساء وانما كان العذر هو للعاجزين الغير قادرين علي الحركه أما لمرض أو لعدم وجود المال للهجره وترك ديار الكفر أو النساء فإذا زالت الظروف والوقت رفع الاستثناء

٣

جعلها مشروطه بالضروره والظروف والأوقات وان يكون باللسان فقط ولايستحل حراما ولايحرم حلال ولايضر به المسلمين فلا تتخذوا ذلك دينا ولاتكون التقيه من أجل مصالح ماديه كان تكون هنالك معاملات تجاريه بينك وبينهم فتظهر لهم الولاء لأجل تلك المصالح ولايكون بمقدورهم النيل منك ومن دينك وعقيدتك فهذا ليس تقيه

الأمر الثالث

الفرق بين الولاء وبين التقيه

لمعرفه هذا لابد أن نعرف أن المولاه لاتخرج عن أحوال ثمانية كما ذكر ابن عاشور في التحرير والتنوير

الحاله الاولي

أن يتخذ المسلم الكافر او طائفه كافره أولياء له في باطن امره

فهذا كفر

لحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم سال عن مالك بن عتبان فقال رجل ذلك منافق لا يحب الله ورسوله فقال الرسول صلى الله عليه وسلم للقائل اما سمعته يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله فقال القائل الله ورسوله أعلم فإنما ربت جهده ومصحبته المنافقين... فجعل الرجل الصداقه بين مالك والمنافقين دليلا على ان جهته مع المنافقين فلولا أن الرسول صلى الله عليه وسلم براهه مالك لكان بنظرنا أنه منافق

الحاله الثانيه

الركون الي الكفار وطوائفهم دون ميل الي دينهم في وقت يكون الكفار متجاهرين بالعدواه للإسلام والاستهزاء بـ الدين وهذا الركون منه مع عدم انقطاع الصله بينه وبالمومنين وهذا فيه من ذهب أنه لا يوجب كفر صاحبه إلا أن ارتكابها إثم عظيم وهو علي وشك أن يلحق ضررا بالإسلام واللازم اظهار الحميه والغيره علي الدين وهي كما قال تعالي (ياايها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء)

الحاله الثالثه

مولاه طوائف من الكفار غير متجاهرين بالعدواه للإسلام مثل علاقته مع اهل الذمه كما هو حال النصارى العرب (لتجدن اقربهم موده للذين امنوا الذين قالوا انا نصاري) فذكر الفخر لاتوجب الكفر إلا أنه منهبي عنه إذا أخذ مجري الي استحسان مالديهم من مساوئ

الحاله الرابعه

اتخاذ الكفار أولياء لنصره المسلمين علي أعدائه وهذا محل خلاف بين من أباح ذلك ومن منع واداله المانع أن عباده بن الصامت في عرض علي الرسول صلي الله عليه وسلم أن يستعين باحلافه من اليهود فرفض الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الجواز فقد استدلوا بأن الرسول(ص)استعار درع صفوان بن أمية وهو كافر

الحاله الخامسه

أن يتخذ المسلم واحد كافر يتعامل معه بالود من غير اضرار بالإسلام والمسلمين فهذا غير ممنوع

الحاله السادسه

المعاملات التجاريه والاستثمارية والاقتصادية وتبادل المعلومات مع الكفار فهذا يخضع لطبيعه احكام تلك المعاملا ت ويشترط أن لاتكون تلك المعاملات مدخلا للنيل من سياده الامه كما هو حال بنك النقد الدولي اليوم الذي يعين الوزراء لبعض البلدان العربيه نتيجته العقود المبرمة معه

الحاله السابعه

استخدام الكفار لأجل الاضرار بطائفه من المسلمين وهذا فيه تفاوت بالاحكام بين مانع ومن أجاز وربط ذلك بنوع الاستعانه

الحاله الثامنه

حاله اظهار المولاه لاتقاء الضرر

وهذا يعني التقيه اي انك انك تواليهم في دينهم باللسان وتضمير العدواه والبغضاء في قلبك

بعكس الولاء المنهبي عنه وهوانك تواليهم في دينهم وتظهرهم علي عورات المسلمين فهذا هو الفارق والله اعلم

أن التحذير بقوله تعالى (ويحذركم الله نفسه والي الله المصير)

جاء بعد النهي عن مولاة الكفر واباحة ذلك في حاله الضرورة وبالشروط التي تتفق مع الاستثناء كما أوضحنا و التي قلنا إن التقيه تكون اظهار الولاء للكفار باللسان وان تضرر لهم العدو والبغضاء في قلبك ولهذا جاء التحذير مناسبا لذلك لبيان

١

أن الحق سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا انتبهوا من أن تقبلوا علي هذا السلوك بانشرح الصدر اي تحب وتميل الي الكفر وأهله وتقول انا استخدم التقيه فأنت مطلوب منك أن تبغض الفعل حتي لا تتلاءم مع اخلاق الكفر فلا بد أن يظل قلبك حيا محبا لمنهج الايمان وأهله

٢يقول لنا الحق انتم ملزمون باليقظه واستحضار قوه الله وقدرته وانه بيده كل شي فلا يودي بك استخدم رخصه التقيه الي التطلع إلى مزيدا من التعامل مع الكفار فتحب أخلاقهم فلا بد أن تقوي اخلاق الضغط التي تجعلك تستحضر قدره الله تعالى علي الدوام وانك مسافر إلي الله والدار الآخرة فلا تؤثر فيك المصالح الماديه علي حساب مصالح الدين فأنت مطلوب منك أن تعرف لماذا تفعل ذلك وهل فعلك موافق لمنهج الله وحدود الرخصه وهل فيه خدمه لدين الله فلا تجعلوا التقيه سببا لأمر مرغوب لأنفسكم

٣

أن ذلك مناسبا لما تكون فيه نفوس الضعفاء في هذه المرحلة الحساسة من حياتهم لأن الذين يولون الكفار في تلك الأحوال والظروف يظنون أن ذلك من دواعي الأمن والاستقرار وهذا قد يودي الي الركون الي الكفار والشعور أنهم بأمان ويصبحون راغبين بذلك لما يجدون من حمايه ومصالح فكان هذا التحذير فيه التهديد والوعيد العظيم ليغرس في النفس قبح المخالفه وذكر النفس لتعلم أن المحذر منه عقاب يصدر منه تعالي فهو عقاب شديد لطاقه لك عليه فهو محيط بكم علما وانتم في قبضته ومرجعكم إليه (والي الله ترجع الامور)فأنت تقول (حذرتك نفسي زيد)تعني بذلك أن المخالفه بعد التحذير ستكون عقوبتها عظيمه في شدتها

٤

فيه بيان اهميه اثاره الاحساس لدي المخاطبين واستحضار رقا به الله واطلاعه علي احوالكم فذكر التحذير لغرس الخوف من الله في اعماق النفوس وعطف ذلك بقوله (والي الله المصير)اي المرجع وذكر لفظ الجلاله بالاظهار ولم يستعمل الاظمار فلم وإليه المصير والمراد بهذا تربيته المهابه في النفوس وإدخال الروح إليها فلا يكون الانفتاح و المرونه المسموح بها عند الضرورة سببا للتلاقم مع الكفار والميل الي دينهم وأفكارهم

المبحث الرابع

بعد التحذير من المخالفه لأمر الله والتلويح بالعقوبه تنتقل النصوص الي بيان أوصاف الله بالقدره والعلم (قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله علي كل شي قدير)

الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم أن يخبر المومنين بعدم مولاة الكفار وان لاتستغلوا الرخصه بالتقيه لخداع المومنين ففتحتوا صدوركم لاهل الكفر فتظهروا ذلك باقولكم وافعالكم فينالكم عقاب الله فهو محيط بما في

الضماير وماتسرون وتخفون وماتعلنون في جميع الأزمان والامكنه والبحار والجبال والكواكب والمجرات وهو قادر علي معاقبتكم فلا تستطيعون الإفلات منه تعالي

فذكر سبحانه كمال علمه وشمول علمه بكل شئ وشمول قدرته وهذا لأن الجزء والعقاب يرتبط بامرین بالعلم بأفعال من يلزم عقابه والقدرة علي معاقبته فناسب ذلك ربط التهديد بالجزء بالعلم والقدرة

كما أن التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم أن الله يعلم ما يخفون في صدورهم وما يظهرهم بألسنتهم من الكفر تهدف إلى اهمية الشعور برقابة الله تعالى وخص الصدر بذلك لانه مكان الخواطر النفسانية والافعال وفيه ارشاد باهميه اصلاح الخواطر فالقلب محل العلوم والتدبير والعقل فالرسول (ص) يقول إلا أن في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله الا وهو القلب والتحذير من أن يدخل إليه حب ومولاه الكفار شي الي قلوبهم فالله يقول في موضع آخر (من كفر من بعد إيمانه الا من إكراه وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الله ولهم عذاب عظيم)

فالله يأمر نبيه الي ارشاد العباد بالشعور بالمسؤولية وبرقابه الله تعالى عليهم ومعرفة ربهم لانك اذا علمت أن الله محيط علما بعملك وأنه قادر علي كل شي فإن ذلك يدفعك الي الاتجاء الي الله في كل شي وتعتمد علي الله فلا تخاف الا الله وايضا يمدك بقوه نفور من المعاصي فلا ترتكب الذنوب التي نهى الله عنها

المبحث الخامس

بعد اثبات صفة العلم والقدرة المطلقة لله تعالي يبين الله أن يوم العقاب والجزء المرتبط بذلك هو يوم القيامه فقال تعالي (يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرا محضرا وما عملت من شر تود لو ان بينها وبينه أمد بعيد ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد)

أن في هذا اليوم يكون مشاهده الأعمال في الصحف فتري عمك حاضرا امامك أن خير فخير وان شرا فشر كما قال ال (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فاستعمل ظرف الزمان يوم لترسم لنا حال كل طرف لأن رؤيه صحف اعمالك وفيها خير تتمني تعجيل دخول الجنه لأن فيه مسره ولهذا اكتفي ببيان سوء حال الكفار وحسرتهم فقال تعالي (تود لو ان بينها وبينه أمد بعيد)

نفي المسراه فاعمالهم لاتسرههم ولا يريدون رؤيته ويتمنون تباعد النفس وبين السوء وان يكون بينه زمن طويل لا نهم كانوا في يتلذذون بالمعاصي ويستعجلونها ولهذا يقول انتبهوا فإن تلك المسراه سوف تكون حسره في وقت لاينفع الندم

ثم يكرر التحذير (ويحذركم الله نفسه) انتبهوا من سخط الله وغضبه فعليكم استحضار قوه الله وسخطه فلا سبيل للخلاص من ذلك إلا بتنقيه القلوب من الأوساخ وإصلاح النوايا فتكون اعمالك كلها متوجها بها الي الله وتحذر مخالفه أوامر الله ثم عقب ذلك بعد الترهيب بالترغيب (والله رؤوف بالعباد) بأن هذا التحذير من احسان الله ورحمته وعطفه بكم أن بين لكم المحاذير وبنفس الوقت يبين لنا أن تبني عقيدتك علي الخوف والرجاء لأن البعض يظن أنه ينال رحمه الله ويرتكب الجرائم فالله يقول عليكم استحضار الخوف من الله مع الرجاء لتحفظوا برحمه الله وعطفه ورعايته

المبحث الخامس

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فإن تولوا فان الله لا يحب الكافرين)

الأمر الأول

ابتدأت النصوص بقوله تعالى (قل) يخاطب نبيه (ص) وهذا يدل أن هنالك امر كلف الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغه للناس وبالنظر الي ارتباط الايه الكريمه بما قبلها نجد أنها وردت بعد عرض الخالق سبحانه وتعالى الاله والبراهين العقلية الشاهده علي الخالق سبحانه وتعالى وانعامه وإحسانه وملكه لما في السموات والأرض وكل شي مقمرا أنه لا يملك أحد ولو مثقال ذرة في السموات والأرض ويستوي في انعدام الملكية جميع المخلوقات سواء كان ملكا مقربا أو نبي كريم او مومن صالح أو كافر فاجر فلا يملك أحد شي فقال تعالى (قل اللهم مالك الملك... الخ فالجميع يعيشون في ملك الله وياكلون ويشربون ويتنفسون من عطاء الله (وترزق من تشاء بغير حساب) فذكر سبحانه أنه اوجد وخلق الكون كله لعبادته وجعل عباده السموات والأرض أن تخضع للسنن و النواميس التي أوجدها الله لتكون حركتها مسخره لخدمه الإنسان وليعيش بصورة ملائمه تتلائم مع النظام الذي إبداعه الله فالهدف من الوجود هو معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي المنهج الذي يحقق الانسجام بين حركه الإنسان والكون لتحقيق الهدف من الوجود الإنساني علي الارض وجعل الله لتحقيق ذلك منهجين العقلي وهو الذي أمر نبيه أن يذكرهم بوجوده وتدييره لأمر الخلاق فقال تعالى (قل اللهم مالك الملك.. الخ وقدرته وعلمه (أن تخفوا مافي صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم مافي السموات ومافي الأرض والله علي كل شي قدير) فالآيات والشواهد الكونية فيها الدليل الحسي العقلي علي وحدنيه الله الذي أخبرنا الله به فقال تعالى (شهد الله أنه لا اله الا هو... الخ لتكون هذه الآيات مقدمه للعقل فالعباده تقوم علي أمرين المعرفه و الحب وغايه الفهم والمعرفة محدوده ولهذا فإن هذه المقدمه التي أمر الله بها نبيه أن يذكر عباده علي الدوام بوجوده وان يشعروا بوجوده هي مقدمه تكون ثمرتها الايمان بالقلب والفكر والاعلان باللسان وهي مساله مهمه لكن لا بد ان تنتقل الي الفعل المترجم لصدق ذلك ولهذا نجد أن الله يأمر نبيه أن يضع أمامهم منهاجا للسلوك فإن قبلوا هذا الأمر فليتبعوه وهنا قال (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين)

الأمر الثاني

فدلت النصوص أن هذا المنهج مرتبط بغذاء الروح لأن الطاقه التي تحرك تيارات الحركه مصدرها النفس فالمنهج ا لاول دليل الفكر والثاني اداه الحركه والعمل وهو الوسيلة الوحيدة التي نعرف صدق اعلان فكر الايمان باللسان حيث ورد أن البعض قالوا اننا نحب ربنا ...وان أهل الكتاب قالوا اننا نحب الله وأننا ابناء الله واحباءه ف الله يقول لنا أن فاعليه عقيدته التوحيد هي التي يحتاجها المسلم لا معرفه وجود الله وحدها فلا بد بعد المعرفه أن تصل إلي محبه الله فلا بد أن يدخل التوحيد أخص خصائص النفس أي يدخل منطق المشاعر الداخلية للإنسان فيحب في الله ويكره في الله لانه بهذا الدخول يودي التوحيد دوره الطبيعي في تحقيق الهدف من الوجود الإنساني فيقول لنا أن التوحيد ليس فكره يكون اكتنزها في المخ والعقل فلا بد أن تنتقل الي الحياه وتقوم بأداء دورها فلا بد من العمل الذي يظهر أثره في الحياه فلا بد لعقيده التوحيد أن تقوم بدورها في تنظيم المجتمع واعاده ترتيب أوضاع وخلق من جديد علي الصورة التي يرضاها الله تعالى لعباده ولهذا كان التعقيب (والله لا يحب الكافرين) بعد أمرهم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو اتباع القران وأحكامه وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم فلا بد أن يترجم ذلك إلي عمل فلا يمكن الفصل بين الفكره (التوحيد) والعمل ف الله يقول لنا أن التوحيد وشهادتك بكلمه لا اله الا الله... ليست مجرد قولا بلا عمل فلا بد أن تنتقل الي مرحله الحركه فلا يكره الإنسان العدل ويحب الظلم فمن يرفض طاعه الرسول واتباع منهج القران فهو يكره العدل في نفسه ويوجد به. فهو يحب الظلم فهذا ليس صادقا في محبه الله فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الشرك اخفي من دبيب النمل علي الصفاء في الليله الظلماء وادناه أن تحب شي من الجور وان تبغض علي شي من العدل وهل الدين إلا الحب والبغض وتلا الايه الكريمه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله... الخ

ولهذا جعل الله علامه صدق محبه الله هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما جعل السلف يطلقون عليها ايه المحنه اي أنها ايه الامتحان والاختبار ربطت بالهدف والغاية من الوجود وهو عباده الله تعالى (معرفته ومحبه وعبادته وتوحيده) فالله يقول لنا أن ميزان الحكم الذي يعرف به الصادق من الكاذب هو اتباع الرسول لأن الدعوي وحدها لا تكفي فلا بد من الدليل وهذا هو الدليل واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يكون بما عليه من شريعه قولاً وفعلاً وعقيداً وحركه وان ذلك يستوجب الطاعه والامتثال لأمر الله (قد كان لكم في رسول الله اسوه حسنه لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) وذلك لأن الرسول هو المعلم الذي اختاره الله لقياده وتربيته الناس في هذه المرحله من تاريخ البشرية

٢

أن النصوص تبين ارتباط التوحيد بالحركه وان تكون أعمالنا وحركتنا كلها نابعه من قلب محب للتكاليف التي أمر نبيه أن يبلغها الي الناس من تدمر ولا كسل فالله أخبرنا أن من أوصاف المنافقين أنهم إذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي... يطلب منا أن نقبل علي الحركه ونحن نطلب رضاء الله فيكون اتباعنا للرسول صلى الله عليه وسلم عن علم واستحضار الشعور في كل حركه وعمل اننا متبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فقد جعل الله ذلك دليل صدق التوحيد لأن حصول ذلك يمدنا بالطاقه والنشاط فلا تشعر بمشقه الطاعه ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ذكر قبل الأمر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الشواهد الكونيه التي نري بها جمال الله وجلاله وعطائه وإحسانه وقوته وقدرته وكماله ووعدده ووعده ليخبرنا أنه سبحانه وتعالى أن ذلك يكفي لمحبه الله فانتم قد عرفتم الله من مخلوقاته وانعامه فلا يوجد كمال حقيقي إلا لله تعالى فهو المستحق للمحبه وحده وأنه تعالى مع انعامه التي لاتحصى لم يجبر الإنسان أن يلتزم بالتوحيد بل ترك له الاختيار وهو سبحانه وتعالى يرزق الجميع البر والفاجر المومن والكافر لماذا لأنه يريد توحيداً خالصاً نابعاً من ارداه حره ولهذا جعل اتباع الرسول علامه صدق إخضاع هو لاء البشر اردتهم لارده الله طوعيه

٣

ولهذا بعد عرض انعامه وإحسانه وملكه وقدرته وكماله يقول لنا أن الكمال الحقيقي لله فهو الإله الذي ياله المخلوقات فهو المستحق للحب وحده وان ذلك يقتضي أردته وطاعته والقرب منه فذكر عطائه وانعامه وإحسانه للإنسان ابتداء من إيجاد الكون المسخرة لخدمه الإنسان ومن خلق الانسان وتصويره وتكوينه وتهئية اسباب السكن والعيش له علي الارض اي نعمه الابدان والامداد والرعايه فاخبرنا أن حبه سابق لحب الإنسان لأن الناس اعتادوا أن يكون طلب الشخص من آخر أن يحبه أن يسبقه هو بالحب ولله المثل الاعلي فهو يخبرنا أن حبه الإنسان سابق علي وجوده وان هذا المنهج القران الكريم هو نعمه وعطاء الله لنا فيه دليل أنه (رؤف بالعباد) وهذا يبين الارتباط بين النصوص لأن ذلك كان تعقيب الايه قبلها المهم هنا يخبرنا أن هذا المنهج والإختيار للنبي صلى الله عليه وسلم هو من انعام الله وجماله وجلاله وعظمته وهو من رحمته بالناس فذكر أنه غفور رحيم وذلك لأن ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (ومارسناك الا رحمه للعالمين) فالله اقتضت رحمته وحكمته أن لايعذب الناس حتي يبعث رسولا وإلا فإن الإنسان يعرف ربه بالفطره ولهذا يخبرنا أن ارسل الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال المنهج هو من مظاهر حب الله للإنسان وانعامه التي لا تعد ولا تحصى لكن هذه المحبه متوقفه علي مقابله الإنسان لانعام الله فهو اذا جحد أمر الله ورفض اتباع منهجه ورفض القبول بأمر الله فالله لا يحب الكافرين... فهو يدخل في سخط الله وغضبه وهو سبحانه يقول (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه.... الخ حيث ذكر أن الحب والبغض في الله فيكون الذين يحبهم الله ويحبونه اذله علي المومنين... واعزه علي الكافرين

الأمر الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أن قيمه دخول عقيدته التوحيد الي منطقه المشاعر الداخليه للإنسان

مهمه جدا ليكون للتوحيد دوره في تنظيم أحوال الناس فلا بد للموحدين من دوله تحكم سائر أحوال الناس واوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعبادات وفي كل شي وهذا يتطلب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم اي يكون عمله عن علم واقتداء لا ابتداء واتباع الهوى فلا بد من ضابط يضبط ميل النفس بحيث يكون هواها تابعا لمنهج الله وهذا يتطلب الإقبال على امر بالاذعان والتسليم والقبول بعشق التكليف الذي يأمر به الله بحيث يشعر بلذه الطاعه وان كان فيها مشقه فالرسول صلى عليه وسلم يقول ثلاث من كن فيه وجد حلاوه ا لايمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما أن يحب المرء لا يحبه الا في الله وان يكره أن يعود إلي الكفر كما يكره أن يقذف في النار...)

فالمراد أن تكون الطاعه والامتثال لأمر الله غذاء روحاني يرتقي بالانسان ويخرجه من سجن الذات والغربه فهو عندما يعرف أن له ربه اغدق ويغدق عليه بالعطاء وأنه ليس وحده في الكون فإن الاتصال بالله يكون له غذاء يمد به بالقوه والطاقه والنشاط فتكون حركته لها فاعليه ايجابية لا يبتغي شي سواء القرب من الله ونيل رضاه ف الهدف لديه أن يتقرب إلي الله بعمله وان يصل الي حب الله وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (أن الله إذا احب عبدا دعاء جبريل فقال اني احببت فلان فاحبه ثم ينادي جبريل في السماء أن الله احب فلان فاحبه فيحبه أهل السماء فيحبه أهل الأرض)

ولما كان اليهود والنصاري قد ادعوا انهم ابناء الله واحباءه فالله يقول لهم أن علامه ذلك اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والاتحاق بركب وجماعته المومنين فهذا علامه صدق ادعائكم لأن المحب يطبع محبوبه ويمتثل امره ويحرص علي أن لاتنقطع الصله بينهم وبالتالي من غير المنطقي أن تدعوا أن الله يحبكم وانتم ترفضون امره باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الذي في طاعته طاعه الله وتجدون امره فكيف يحبكم الله وهو يكره ويبغض الكافرين فالحب انكسار القلب وجوهر الأديان هو الحب وهو خشوع القلب وإعلان اللسان وبتترجم ذلك العمل بخضوع الجوارح وبالتالي فإن رفضكم أن يحكم القران حياتكم كفر وكسر لقانون الخلافه الذي فيه الوصول إلي رضا الله فانتم بحاجة الي تنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية لديكم من الأوساخ كي تحظوا بحب الله ورضاه وهذا يكون باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والمنهج الرباني الذي حمله من الله فهو وسيله يوصلكم لحب الله فجاء جواب الشرط (يحبكم الله) وفيه تنقيه الاوعيه من الأوساخ لتكون اهلا للاتصال بالله (ويغفر ذنوبكم) يمحو الذنوب ويسترها ولهذا فإن رفضكم طاعه أمر الله باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم و القبول بأن يحكم القران حياتكم حاجز يمنعكم من الاتصال بالله فكيف تدعون محبه الله فلو كان اعتقادكم صحيح لما حصل منكم هذا الاضطراب والتوالي (فإن تولوا) لكن انحرفكم عن الطريق الذي رسمه الدين لكم (اتباع الرسول وطاعته) يدل علي انكم لاتخبون الله وأنكم تسيرون في طريق الكفر فانتم بذلك تبتعدون عن الله و الطريق الذي يكون القرب منه والله لا يحب الكافرين

المقطع الثاني من سوره ال عمران

القسم الاول

(أن الله اصطفى ادم ونوح وال ابراهيم وال عمران علي العالمين ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم وإذ قالت امراه عمران ربي إنني نذرت لك مافي بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت ربي إنني وضعتها انثي والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثي واني سميتها مريم واني اعيزها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانباتها نباتا حسنا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم اني لك هذا قالت هو من عند الله

المقدمه

بعد أن تناولت النصوص في المقطع السابق التوحيد لله بالالوهيه والعبوديه والربوبيه وكمال الصفات والافعال له تعالي واخبرنا الله أن الدين المرضي عند الله هو الاسلام وان انحراف أهل الكتاب ورفضهم القبول بالإسلام ليس لجهل حقيقه الاسلام وانما الحسد والبغي وذكر الله انه مالك الملك وبيده العطاء والمنع والاعزاز والإذلال وتديبره لكل شئ وأن الايمان يقتضي مولاه المومنين ومعاذه الكافرين ثم أمرهم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته وان هذا هو طريق الوصول إلي رضا الله ومحبه وعبادته وتوحيده وبعد هذا يقول الله تعالى

(ان الله اصطفى ادم ونوح وال ابراهيم وال عمران علي العالمين ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم)

اولا

لرد على اولئك الذين رفضوا اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب حسدا من عند أنفسهم لأن الله اختار نبي اخر الزمان من امه العرب وليس من بني إسرائيل ولأن الله اختص هذه الامه بحمل رايه الهدايه في هذه الفتره الزمنيه تحديدا .. وكذلك للرد على المشركين الذين اعترضوا علي بشريه الرسول ... ولهذا يخاطب الله هولاء ويحاور عقولهم باداله الحدث التاريخي فابتداء بذكر اختيار الله واصطفاه لادم عليه السلام اب البشر... ثم نوح عليه السلام الاب الثاني للبشر... ثم ذكر ال ابراهيم وال عمران أسرتين في الصلاح والتقوى بالتفضيل لهم علي عالم زمانهم مبينا اتصال هولاء بصله الايمان كانهم اسره وحلقه مترابطه بغض النظر عن أوطانهم وازمنهم.... ف الله يقول لكل من يأتي خطابه الاتي

المفهوم الاول

أبتدأت النصوص بالأخبار الإلهي أن الله اصطفى....يقول فيها لكل اولئك الذين تكبروا بشرف العنصر والماده و الذات لانهم انتسبوا الي الانبياء والصالحين فيقول لهم أن مساله الاختيار والاصطفا للرسل والأنبياء والمومنين و الصالحين الذين يحملون رايه الهدايه وتفضليهم علي عالم زمانهم أمر يعود إلى ارداه الله ومشيتته فلا معقب علي حكمه فهو المتصرف في ملكه كيف يشاء فهو يعطي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء وبيده الاعزاز وا لإذلال وتديبره لأموال الخلائق أجمعين فيقول لهم ما الغريب أن الله اصطفاه النبي صلى الله عليه وسلم لحمل رساله الاسلام للعالم أجمع وما العجيب في اختيار امه العرب لتكون البقعه التي تنطلق منها رساله الاسلام اذا كان الله قد اختار ادم واصطفاه علي عالم زمانه

يقول لهم تأملوا الي بدايه نشاه البشريه لتعرفوا حقيقه اصطفاه الله وقاعدته فقد كان اختيار الله واصطفاه لادم عليه السلام (علي العالمين)اي عالم زمانه وهم جميع المخلوقات فأخبر الله الملائكة أنه اختار ادم خليفه في الأ رض وفضله وأمرهم بالسجود لادم وادم مخلوق من التراب الذي تدوسه الاقدام....وبسبب هذا الاصطفاء انقسم المكلفين إلي قسمين ملائكه اطاعوا أمر الله تعالي وسجدوا تكريما لادم والقسم الآخر هو الشيطان الذي رفض

امتثال أمر الله ورفض الاعتراف بالفضل لادم فقال (انا خير منه) فهو لم يكن منكرا لوجود الله وربوبيته ولكنه رفض تنفيذ أمر الله ورفض الاعتراف بالفضل لادم وقام بتسييس الأمر مثلما فعلتم انتم عندما رفضتم الاعتراف بالفضل الذي اختص الله الرسول الخاتم ورفضتم اتباعه فإن ذلك كفر مثل كفر ابليس ف الله لا يحب الكافرين وقد طرد ابليس من رحمته بينما الملائكة نفذت أمر الله

وان ذلك كان بعد أن تسالت الملائكة عن السر الذي استحق به ادم هذا التكريم فأخبرهم الله أنه يعلم ما لا يعلمون وبعد ذلك علم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فعجزوا عن الأخبار باسماءهم ووقف ادم معلما لهم فكان التميز لادم هو العلم الذي رفض ابليس الاعتراف به

وان الله قد رتب علي اختبار ادم ..وتفضيله قانونا قسم فيه المكلفين من الانس والجن إلي قسمين وأساس ذلك التقسيم يعود إلي المنهج الأبوي المدرسه الابويه ...

لانه سبحانه وتعالى لم يوكل لادم نقل أوامر الله لابناءه من بعده فكان العهد (فما ياتينكم مني هدي... الخ ف المومنون الذين يلتزمون بمنهج الله سواء كانوا من بني ادم ام الجن فهؤلاء يكون التسلسل اي الارتباط بينهم متصل لا بمدرسه الابوه الايمانيه لانهم التزموا بمنهج الله واقامه العهد

حيث وان المخاطبون يعلمون قصه نوح عليه السلام مع قومه ذلك أن البشريه انحرفت بعد ادم واصابها الشرك و الوثنيه فأرسل الله نوح الذي فضله الله علي زمانه بأن اطال عمره وجعل ذريته هم اصل البشريه الثاني بعد أن اهلك أعداء الله وجعل السفينه له وللمومنين وسيله النجاه والسلامه من الطوفان الذي اغرق الأرض وأنه سبحانه وتعالى قال له عندما طلب النجاه لابنه (أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح)

وكذلك نعلم أن الله اجتبي واصطفاء ال ابراهيم وال عمران وخص ذكرهما بصيغه البيوت اشاره الي صله الصلاح والتقوى والايمان فهم بيوت صلاح (وجعلناهم ائمه يهدون يأمرنا لما صبروا) وكذلك اصطفي مريم علي نساء العالمين

فالله ضرب الامثله بهذه النماذج لبيان حقيقه الاصطفاء وقاعدته بأنه يتصرف في ملكه كيف ما يشاء ويعقب (ذريه بعضها من بعض) لترسم الايه الكريمه لنا الصله التي تربطهم انها صله التسلسل الايماني اي من اهتدي بهديهم وتناسل منهم اي علي منهجهم فمدرسه الابوه الايمانيه مترابطه مع بعضها في المراحل المتلاحقة رغم تباعد مسافاتهما وازمانها يقول لنا الله انه ليس العبره في المدرسه الابويه بالتسلسل العرقي وانما اتباع المنهج ولهذا فإن الذين يتبعون المنهج الشيطاني ويرفضون القبول بالحق فهؤلاء ينقطع الارتباط وينفصم التسلسل وان كانوا من سلاله الانبياء والصالحين ويصبحون تابعين لمدرسه الشيطان فذكر الله اصطفاء نوح ليخبرنا كيف انقطعت العلاقه بينه وبين ولده كنعان فقال له الله (انه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح) ثم بين أنه تعالي اصطفاء ال ابراهيم وإبراهيم كان أبواه كافرا والله قد أخبر ابراهيم عندما طلب الامامه لذريته فقال تعالي (لاينال عهدي الظالمين) فالظلم مانع من موانع الابواه الإيمانيه ولهذا عبر عن ال ابراهيم وال عمران بأنهم الإتياع الذين يتصلون برابطه الايمان فهم ينتسبون إليهم برابطه المنهج والايمان والصلاح فالله يقول (أن أولي الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المومنين) فمدرسه الاسلام الحق هي مدرسه الانبياء والرسول ومن اهتدى بهديتهم وتناسل منهم علي منهجهم

المفهوم الثاني

يبين الله للناس قاعده اختيار واصطفاء الله للرسول فيقول لهؤلاء أن الرسل بشر فعلا ولكن اصطفاء الله واختياره لهم هو الذي اعطاهم المنزله والمكانه

وان هذا يعود إلي تكليف الله لهم بحمل المنهج الذي يحقق الغايه والهدف من الوجود الإنساني علي الارض
(وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)

ومساله معرفه النافع والضرار والحلال والحرام يعجز العقل البشري أن يدركه ولهذا فإن البشريه بحاجه الي بعته
الرسل والأنبياء وبحاجه الي المنهج الذي يرشدك الي مراد الله وأمره ونواهيه فيقول لمن اعتراض علي بشريه
الرسول من المشركين ومن اعتراض علي اختيار الرسول من امه العرب (اليهود والنصاري) فالله سبحانه وتعالى
لم يوكل لادم نقل أوامر الله تعالى الي ذريه ادم جيلا بعد جيل بل جعل لذلك قاعده وهي ارسال الرسل عندما
ينحرف الناس عن التوحيد فإن الرسل وحدهم هم الذين يتصلون بالوحي ومعرفه أوامر الله ونواهيه ذلك أنه
عندما يفقد الإنسان التمييز بين الأضداد لكتافه ضبايه الأحداث واختلاط الكثير من الأمور فإن الله يصطفي من
يحمل المنهج الرباني لازاله الشر وأهله فذكر الله لنا أنه اصطفي نوحا بعد ادم يدعو الناس الي التوحيد

وهنا يقول لهؤلاء ما المانع أن يختار الله ويصطفي نبيه الخاتم محمد (ص) ويختار امه العرب لحمل رايه الهدايه
في هذه الفترة الزمنية من تاريخ البشرية

فيقول لليهود والنصاري هل المشكله لديكم التفاخر بالانساب وأنكم من سلاله الانبياء والصالحين وأنكم أهل علم
ومعرفه بالاديان وان امه العرب لاتعرف القراءة والكتابه وهي امه اميه ولهذا تنظرون لأنفسكم انكم افضل منهم
وان النبؤه لكم

اذا كان الأمر بهذه النظره فعليكم إن تتذكروا حقيقه ان ادم من التراب الذي تدوسه الاقدام وان الملائكه تسالت
عن سر تفضيل ادم فقالت (أتجعل فيها من يفسد فيها و... الخ فأخبرهم الله (اني اعلم ما لاتعلمون)... ثم علم الله
آدم الاسماء كلها ثم عرضهم علي الملائكة فحجزوا عن الأخبار باسماءهم وبعدها أمر الله آدم أن يخبرهم بأسماء
تلك الأشياء فأظهر الله فضل ادم وبعدها أمرهم بالسجود اعترفا بالفضل لادم فسجدوا الا ابليس رفض وقال (انا
خير منه)

المهم هنا أن علم ادم الذي فضله الله به كان مصدره ما أعلمه الله به.... وكذلك فإن نوح عندما كان يصنع السفينه
علي اليابسه ويري أنها وسيله النجاه وفي المقابل كان الكفار يملكون به ويسخرون منه لانه لا يوجد بحر فالفرق
بين علم نوح وعلم الكفار أن مصدر علم نوح هو الوحي بينما الكفار علمهم هو غايه فهم العقل والعقل محدود ف
الرسول هم المصدر الموثوق به في الاخبار عن اوامر الله تعالى ونواهيه لانهم يتبعون مدرسه الخير والابواه والا
سره التي ينتمون إليها هو ابوه الايمان لان الله قد جعل للخير اهلا مثلما جعل للشر اهلا فذكر (ال ابراهيم وال
عمران) لبيان انهم يتبعون مدرسه الايمان التي تصل إلي ادم وان اصل حركتهم هو الاصطفاء وان سر اختيارهم
هو علمه سبحانه وتعالى بحقيقه أمرهم فالله يقول (الله اعلم حيث يجعل رسالته) ويقول(الله يصطفي من الملا
ئكة رسلا ومن الناس)

ولهذا فإن اختيار الله للنبي صلى الله عليه وسلم أمر ليس من حقكم الاعتراض عليه فهو اختيار من الله مثلما
اختار اسماعيل واسحاق ويعقوب فعليكم المبادره والمصارعة للايمان

المفهوم الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يقول للمخاطبين ان دين الإسلام هو المرضي عند الله فهو الوريث لجميع الأديان
الساويه من ادم حتي اليوم وقد جاء يحمل منهجا لقياده العالم فهو ينبذ العصبية وان أسلافنا هم المومنون من
ادم الي قيام الساعه ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول (ذريه بعضها من بعض) والمقصود بهذا الاشاره الي شدة
الاتصال بينهم فكلما منهم متصل بالآخر فالقرباه التي تربطهم ببعض هي قرباه العمل الصالح الايمان والغرض تذكير

اليهود بالانتساب الي ابراهيم وهو نفس النسب الذي ينتسب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فلاصل أن تكون تلك القرابه دافعا للالتحاق بالجماعه المومنه وهذا فيه بيان وحده الانسانيه ووحده النبوه فجميع الانبياء حملوا دعوه التوحيد وبالتالي فمن يريد أن تستمر صله القرابه التي تربطه بالصالحين فعليه الالتحاق بالإسلام يقول لهم أنظروا إلى ماكان عليه هولاء فسوف تجدون أنهم كانوا علي الاسلام والايمان فأساس الاصطفاء الإذعان والتسليم لأمر الله فإذا كنتم صادقين بادعاءكم الانتساب الي الانبياء والصالحين فإن ذلك يوجب عليكم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعه الله تعالى ورسوله فالله يسمع اقوالكم ويعلم بنواياكم

ثانيا

بعد بعد أن ذكرت النصوص في المقطع السابق التوحيد لله بالالوهيه والعبوديه والربوبيه وكمال الصفات والافعال وبنيت أن محبه الله وطاعته إنما تحصل باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته اي اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبيئت أن الذي يرفض ذلك كاذب في ادعائه حب الله....وهنا يعطينا الله نماذج تبين لنا حقيقه من يحبهم الله تعالى للرد علي مزاعم اليهود الذين كانوا يدعون انهم شعب الله المختار.....

ويزعمون أن ذلك يجعل امتداد الامتيازات الي نسلهم وان لم يمتثلوا أوامر الله فذكر الله هذه النماذج للرد عليهم ولتصحيح تلك التصورات الخاطئة فالله يقول لهم أنظروا إلى هذه النماذج لتعرفوا حقيقه الاصطفاء وقاعدته فهي مرتبطه بحقيقه الاتصال ب الله عن صحه العلم بالتوحيد وصحه العلم بالطريق وصحه الارده وصحه الفعل وإ لا فإن العبد يكون منقطعا عن الله وان كان عالما بأسماء الله وصفاته وأفعاله حتي تتصل أردته ومحبه بوجهه الا علي....وهذا ما يفسر لنا أنه ابتداء بذكر التوحيد (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكه واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) فأول الأمر التوحيد وآخره السلوك العمل (لايتخذ المومنون الكافرين أولياء من دون المومنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شي)

ثم قال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله و الرسول فإن تولوا فان الله لا يحب الكافرين)

وهنا تكشف لنا النصوص حقيقه الاصطفاء الذين يحبهم الله فيقول لنا أنهم كانوا مطيعين لله بالاذعان والتسليم و المحبه والاجلال والتعظيم لله تعالى فانظروا إلي ادم ونوح وأهل الايمان الذين سماهم ابراهيم المسلمين وال عمران....كيف أنهم كانوا مطيعين لله...ثم يقول لنا إذا أردتم أن يكون لكم امتداد الذريه الصالحه فإن هذا يعني ا لاتصال بمدرسه الخير وأهله التي تمتد الي ادم عليه السلام وهذا يتطلب منكم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته فالنسب للمومنين هو الانتساب الي مدرسه الايمان

وهنا يضع الله بين أيدينا مجموعه قصص ابتداها بقصه ام مريم فقال تعالى (وإذ قالت امراه عمران ربي إنني نذرت لك مافي بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت ربي إنني وضعتها انثي والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثي واني سميتها مريم واني اعيزها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانباتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

الأمر الأول

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لكل السامعين وبالذات اولئك الذين يتفاخرون بالانتساب الي الانبياء والصالحين فيقول لهم هل تريدون أن تعرفوا كيف يكون اتصال الآباء والأمهات والابناء ب الله جيلا بعد جيل ويكون القرب من الله فانظروا إلي حال هذه المراه وخذوا من قصتها العبر والدروس

ابتدأت النصوص بقوله (وإذ قالت امراه عمران)

يقول الله لنبيه اذكر لهم قصه زوجه الرجل الصالح عمران ذلك أن (إذ) ظرفيه وعمران هذا هو اب مريم وليس عمران والد موسى لأن النصوص واضحة ومرتبطة بقصه مريم ومولد عيسى

فإن الله يأمرنا أن نعيش القصة بفصولها كأننا كنا نعيش فيهم لناخذ الدروس ولهذا ابتد القصة بالظرف (وإذ) فيقول أنظروا كيف أن الله تعالى استجاب لدعوه ام مريم واصطفاء الله ابنتها لتكون افضل نساء العالمين وكيف أنها كانت سببا في تمجيد ال عمران الي قيام الساعه فعليك أن تقف مع نفسك وتسألها لماذا استحقت كل هذا الثناء و القرب من الله ما هو العلم النافع الذي كان لديها وما هو العمل الصالح الذي اوصلها الي رضوان الله ومحبهه ام أن ذلك كان بسبب النسب

الأمر الثاني

أن هذا المثل المطروح بين ايديكم هو لامراه استحقت القرب من الله تعالى وإذا أردتم معرفه السر تجدون أنه يعود إلي أنها كانت تحمل المشروع الرباني الذي حمله ادم ونوح وال ابراهيم وجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام أنه مشروع الدعوه الي معرفه الله ومحبهه وعبادته وتوحيده وتحقيق الغايه والهدف من الوجود الإنساني (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

فهي لم تكن تدعي معرفه الله ومحبهه وعبادته وتوحيده بالقول وانما كان القول منها اعلان التسليم والاذعان والا جلال والتعظيم والمحبه لله تعالي فقالت (ربي) استعملت اسم الربوبيه الذي يعني الخضوع والاذعان له فهو مالکها وسيدها خضوع بالاجلال والتعظيم والحب فهي شاعره بحاجتها الي الله وافتقارها إليها سبحانه وتعالى

*يقول لنا الله أن سر اصطفاء ام مريم هو انها

تعلم أن الطريق الموصل الي محبه الله هو تنفيذ أمر الله واجتناب نواهيه فهي تعلم أنه للاتصال ب الله لابد ان تتصل اردتها ومحبتها بوجهه الاعلي وان تتعلق به وحده فهي أحبت الله محبه اجلال وتعظيم بدليل أنها عشقت التكاليف الربانية لأنها تري أن التكاليف فيها الارتقاء بالعبد والغذاء الذي يعيظها قوه الاستعداد للوصول إلى حب الله وان التكاليف فيها تنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ ولهذا تلزم نفسها بالنذر والنذر ما يكلف الإنسان به نفسه زياده عما امره الله تعالى

فقالت (إني نذرت لك ما في بطني) للتعبير عن عشقها لامثال أمر الله وحمل المشروع الرباني فهي امتثلت لأمر الله وزدات علي ذلك أنها تلزم نفسها بالنذر فهذا مظهر من مظاهر حب الله

الأمر الثالث

يقول لنا الله أن صدق الطلب وقوه الارده وكمال الانقياد هو دليل المحبه وبه يكون اتصال العمل بامر الله ونهيه ولهذا نجد أن ام مريم تعبر عن ذلك بقولها (إني نذرت لك ما في بطني محررا)

اي خالصا لوجهك الكريم من كل الاغراض الدنيوية لأنها كانت من بيئه تتفاخر بالاولاد... وهذا السلوك مذموم لأن فيه انحراف عن الغايه والهدف من التناسل الذي يهدف إلى امتداد النسل وبقاء النوع الإنساني لأن ذلك فيه انقطاع الذريه في الحقيقه لأن ذلك الامتداد يبتعد عن أهل الإيمان وعن الله فذلك من الزينه المذمومه كما أوضحنا في تأويل (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين

...الخ

فهي تقول إن ذلك ليس هدفها لأنها تعرف الهدف المحمود في التناسل والامتداد وهو أن يكون امتداد لحمل المشروع الرباني كما قال تعالي عن زكريا (يرثني ويرث آل يعقوب واجعله ربي رضيا)

فهي تقول إن هدفها من النذر هو طاعة الله وعبادته وتنفيذ امره فقالت محررا لبيان أنها لاتريد لنفسها اي غرض من أغراض الدنيا وهي كانت تظن أن مافي بطنها ولد ذكر فهي تحمل المشروع والمطلب الرباني (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)

الامر الرابع

يقول لنا الله أن عليكم ان تنتبهوا من العوائق التي تقطع الطريق أمام وصول العمل الي الله فانتم بحاجة الي اليقظه لأن حقيقه اتصال العمل بامر الله ونهيه يتطلب زوال العلل الباعثه علي الفعل والترك من الأغراض و الحظوظ النفسانية العاجله يقول لنا أن صاحب الرساله ومن يحمل المشروع الرباني عليه أن يكون في يقظه من ذلك فانظروا إلي حال ام مريم بعد أن حددت الهدف من النذر وصار الأمر واضحا أمامها أن ينتهي به المسار الذي تريد أن تصل إليه تلجأ إلى الله بالدعاء والتضرع (فتقبل مني إنك أنت السميع العليم)

تطلب من الله أن يتقبل نذرها فهي بذلك ازاله الاعجاب وهي دعوه كل الصادقين في طلب رضاء الله تعالى

فهي حريصه علي إرضاء الله تريد أن يأخذ الله نذرها بالقبول والرضاء خالصا لوجهه الله

ف الله يقول لنا أن النفس في هذه الأحوال والظروف تميل الي الاعجاب بالأعمال الصالحة فالشيطان يجد مدخلا لابطال الأعمال الصالحة ولهذا فإن عليكم أن تعلموا أن طريق نيل رضاء الله وقبول العمل منه تعالي يتطلب منكم اتهام النفس بالتقصير والشعور بالحاجه والافتقار الي الله لمنع اعجاب النفس ومنع الاغترار بالعمل كان تقول فعلت وفعلت كذا وكذا فكان الدعاء دليلا على صحه العمل والتوحيد وسلامه الارده والعلم بالطريق بأنها في افتقار وحاجه الي الله مثلما قال إبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت (ربنا تقبل منا)ولهذا كان التعقيب (انك انت السميع العليم)

فهذا اشاره الي محاسبه النفس وتربيتها لأن الله يقول لنا في موضع آخر (إنما يتقبل الله من المتقين)

ولهذا فهي تبين صدق نواياها أنه ناتج عن علمها بحقيقه أن الله يسمع أقوالها وأنها سوف تحاسب علي ماتقول وتعلم أن الله يعلم بنواياها فهي تقول إن ذلك العلم قد جعلها حريصه أن تكون أقوالها مطابقه لأعمالها وسلامه النوايا. فهي تخاف الله وترجوا من الله قبول نذرها أنها محبه لله مع الخضوع وهذه هي العبوديه التي خلقت الجن والانس لأجلها فغايه الحب مرتبط بغايه الذل ولهذا فهي تظهر الذل لله وتجد في ذلك اللذه لانها تابعه للمحبه وهو مايتفق مع أمر الله (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفرلكم ذنوبكم.. الخ فالذل تابع للمحبه وبه تجد اللذه مع الشعور بعظمه الله تعالى وعطائه وإحسانه وقوته وقدرته وكماله وجماله وجلاله وعظمته

الأمر الخامس

يقول لنا الله إذا أردتم أن تحظوا بحب الله ورضاه فعليكم استحضار قوه الشعور بانعام الله والاتصال الدائم بالله والشعور أن كل شي يتم وفق تدبير الله لكل شئ يقول لنا عليكم الرضا والاعتناع باختيار الله وإحسانه فهذا أمر مهم لاستمرار النعم فيجب أن يكون قلبك مرتبط بالله وهنا يعرض لنا الله تعالى مشهد آخر من القصة (فلما وضعتها قالت ربي إنني وضعتها انثي والله اعلم بما وضعت

١

اي لما وضعت النذيره (ام مريم) مولودتها أصابها الروع وكرهيه ما حصل في بدايه الامر عند ولادتها لأنها كانت تظن أن مولودها سيكون ذكرا ولهذا لجاءت الي ربهائها قائله (قالت ربي إنني وضعتها انثي)

فهي لم تقول ذلك للاعلام لأن الله يعلم مافي بطنها من قبل أن تحمل بها ومن قبل أن تلد ولكنها اردت الاعتذار

فقال ربني وضعها انثي... للتعبير عن تحسرها فهي أردت أن يكون مولودها ذكر يقوم بخدمة الدعوه وحمل المشروع الرباني

والمنطق البشري أن الانثي أقل حظا من الرجل في هذا الأمر فهي تحيض وقدرتها وطبيعتها لاتساوي قدرات الرجل وإمكانياته وهنا نجد أنها بادرت الي الاعتذار وحتى لايفهم كلامها بالخطأ قالت(والله اعلم بما وضعت)لمن قرأ بضم التاء(وضعت) بأن الكلام منسوب لام مريم ففي ذلك دليل علي استحضر الله وارتباطها به علي الدوام فهي خافت أن يظن أن قولها (واني وضعها انثي)أنه للاعلام فاردات ازاله هذه الشبهه لأن الله يعلم مافي بطنها من قبل أن تلد ومن قبل أن يوجد الإنسان فعلم الله ازاله

٢

وفي هذا ايضا التعظيم والتوقير منها لله تعالى وتنزيهه الله عن النقص فهو له الكمال سبحانه وتعالى فهي تقول انها قابله لاختيار الله لها فلا اعتراض منها فهي تعرف ربها بأسماءه الحسني وكمال صفاته وأفعاله تعرف أن أفعال الله سبحانه وتعالى كلها فيها حكمه عظيمه ورحمه وعدل ومصلحه لها فأردت بذلك اظهار الاحتراس مع التعظيم لله تعالى والاعتذار وأنها تقبل باختيار الله وبينت أن حسرتها تعود إلي طبيعه البشر أنهم ينظرون إلي الرجل أنه اقدر علي القيام بالمهمه في خدمه الدعوه وخدمه الله فقالت (وليس الذكر كالانثي)وان انفعالات البشريه دفعتها الي قول ذلك ولهذا اردت الاعتذار

الأمر السادس

يقول لنا الله أن الوصول إلى مرتبه اصطفاء الله يتطلب منك القبول والاطمئنان لاختيار الله وقبول انعامه وإحسانه وشكر الله عليها مهما كانت لأن نظرتك محدوده والإنسان لايدرك مالمديه من فضل واحسان الا إذا قبل باختيار الله وفوض امره لربه ورضي باختياره فهو سبحانه وتعالى يعطي أكثر مما تطلب اذا أخلصت النوايا وكنت صادق بالتوجه إلى الله وصدقت في الطلب وكانت اردتك سليمه وعملك خالي من الشوائب فيقول لنا الحق سبحانه وتعالى أنظروا الي ام مريم فقد كانت مخلصه في طلبها وصادقه عندما نذرت أن يكون مافي بطنها خالصا لله يقوم بخدمه الدعوه والكنسيه فهي لذلك اردت ولد

ولهذا فقد كافئها الله باكثر مما كانت تطلب فقد رزقها الله مريم بدلا عن الولد الذي كانت ترغب ..ومن ينظر لذلك بمنطق البشر يري أن ما رغبت به ام مريم لن يتحقق فمولودتها انثي تعجز عن القيام بالمهمه لكن الذي ينظر إلي ماتعقب ذلك وكيف أن مريم كان لها دور عظيم في تاريخ البشريه وخدمه المشروع الرباني فقد التحق اسمها بسلسله الذين أنعم الله عليهم بالاصطفاء والإختيار

فالله يقول لنا أن لله تعالى حكمه قد لايرها الناس فيقول أنه تعالى جعل مافي بطنها انثي لتحقيق هدف عظيم اكبر من الذي تريد ام مريم فقد جعلها حلقة وصل في سلسله مسيره العقائد يقول لنا أنه سبحانه وتعالى خالق الأ سباب والمسببات ولهذا اختصها بمهمه أعظم من مهام الذكور (والله اعلم بما وضعت)لمن قرأ بالسكون فاعتبر أن ذلك خبر من أن الله تعالى

فالله يقول لنا هل تريدون أن تعرفوا لماذا استحق هؤلاء الاصطفاء من الله تعالى أن ذلك يعود إلي حرصهم علي الخير وعباده الله ونشر دينه حرصهم علي الاتصال بالله والالتجاء الي الله وطلب العون والمساعدة والحماية من الله حتي لايسلكوا طريق الشر وأهله ومعلم الشر الشيطان فيقول الله أنظروا الي ام مريم عندما ولدت انثي فقد ادركت أن لله حكمه في ذلك واذعن وخضعت لأمر الله فقد استغرقت في معرفه جلال الله وجماله فقالت (وليس الذكر كالانثي) أن مطلوبه ليس الذكر لأجل التباهي والتفاخر فهذا ليس مطلوبه كالانثي التي هي موهوبه

لله تعالي اي أنها أدركت أن لله حكمه في فعله فقوه العلم والمعرفة بالله ومحبتها لله جعلها تجد لذه في استعمال هذه القوه لذلك تنادي ربها بما يفيد القبول بأمره بالشعور أنها في مقام العبودية لله في كل الأحوال فتقول يارب اني اسميتها مريم وهذا الاسم يعني العابده المطيعه فأردت بهذا مناجاه ربها بأنها قابله ومطمئنه لاختيار الله وأنها تجد في الازعان والتسليم والقبول بأمر الله اللذه لأن هدفها التقرب من الله تعالى وطاعته وتطلب من الله أن يعصمها حتي يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا لجاءت بالدعاء والتضرع الي الله أن يتولي رعايته وذريتها فهي في مقام العبودية لله واول شي يعترض العبودية هو الشيطان (وأما ينزغك من الشيطان نزغا فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) ولهذا نجد أن مريم تدعوا الله (واني اعيزها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) فهي تلجأ إلى الله تطلب الحمايه من الله لابتنتها وذريتها من الانحراف لأن حمايه الله لعباده مانع من سلطان الشيطان علي من يحميهم الله فهو تعالي يقول (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان الي قوله (وكفي بالله وكيفا)

وهذا هو المراد من المعاذ والالتجاء الي الله من قبل ام مريم وليس ماذكر البعض من القول بان اي مولود يولد يمسسه الشيطان فيبكي الا مريم وابنها وقالوا إن عدم مس الشيطان لها وابنها استجابة لدعوة ام مريم ونسب في ذلك حديث برؤيه ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشأن فإنه وإن صح الحديث فقد يكون المس معنوي خاصه وان الاعاذه من ام مريم كانت بعد ولادتها لمريم وليس قبل ذلك حتي يقال ذلك ... فضلا عن أن هذا الحديث من احاديث الاحاد وهويتحدث عن أمور الغيب ولاياخذ بالاحاد في الغيب لأن الاحاد ظن والله يقول (وان الظن لا يغني عن الحق شي)

ثالثا

مايوكد أن الاعاذه هي طلب الحمايه من الله تعالي لمريم وذريتها وان يصرف عنها الشيطان الرجيم وليس ماذكر البعض من مس الشيطان كل مولود عدي مريم وابنها كما أوضحنا سابقا هو الجواب في الايه بعدها حيث تضمن الجواب أمرين قبول النذر (فتقبلها ربها بقبول حسن) وقبول استجاره ام مريم بالله التجاهه ومعاذها الي الله أن يحمي ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم فقال تعالي وانباتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

وفي هذا السياق لابد أن نقف علي مدلولات النصوص والدرس المستفادة منها من خلال الوقوف على الاتي

الدرس الاول

ابتدأت النصوص بالاخبار الإلهي الذي يعيطك جواب لدعاء مريم (فتقبل مني إنك أنت السميع العليم) فالله يقول لنا أنه سبحانه وتعالى استجاب لدعوه ام مريم فقبل النذيره (فتقبلها ربها بقبول حسن)

فالله يقول لك ايه السامع أن قبول العمل الصالح منك أمر موقف علي قطع المسافه بين العمل والقلب وبين سير القلب الي خالقه فهو بحاجه أن يقطع المسافه بين القلب والخالق ليتصل بربه فقطع المسافه هو بالقلب لا البدن ... ولهذا فإنه لقبول العمل لابد من تنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ والأهواء والشهوات فهي تقطع الطريق أمام وصول العمل الي الله تعالي ولهذا يجب طرد الاعجاب بالعمل من النفس كان تري أنها قامت بعمل طيب لتتباهي به وارده المدح عليه

فالله يقول لنا أنظروا إلى الأسباب التي كانت وراء التوفيق والنجاح والقبول لنذر ام مريم فهي أنجبت انثي وبرغم أن مريم اول نذيره توهب الكنسيه فقد قبلها الله واقامها مقام الذكر حيث لم يكن يقبل انثي قبلها فقد اخذها الله بالنظره الراضيه المستحسنه يقول لنا أن ذلك يعود إلي دعاء ام مريم (إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم)

فالله يقول لك اذا اردت زوال اعجاب النفس التي تفسد قيمه العمل وتبطله وان كان صالحا فعليك الشعور به
الحاجة والافتقار الي الله تعالى في كل وقت عليك استحضار ذلك عند الدعاء من بدايه العمل وأن تستمر تلك
النيه معك الي تمام العمل وبعده خالصا لوجهه الله تعالى فام مريم ترجوا من الله أن يتقبل نذرها وهي خاضعه
ذليله وبنيه خالصه فقالت (فتقبل مني إنك أنت السميع العليم)

وكذلك نجد أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام استعمل نفس العبارة في مناجاه الله وهما يرفعان القواعد من
البيت (ربنا تقبل منا) فلم يفتروا بالعمل والعبادة عليك مراقبه الله ومحاسبه نفسك بالشعور والاحساس برقابة الله
وانك مسؤل عن قولك وفعلك وسلامه النيه من الادران والاوساخ فالله سبحانه وتعالى يسمع اقوالكم ويعلم
بنواياكم فإذا راي زوال الاعجاب عن العمل قبله واذا لم بزوال الاعجاب فإنه لايقبله فالله يقول (إنما يتقبل الله
من المتقين)

فالتقوي أساس قبول العمل الصالح وهي مساله يتفاوت فيها الناس وهنا يقول لنا الله تعالى أنه قبل نذر ام مريم به
القبول والرضاء بالوجه الحسن للتعبير عن الرضاء والاستحسان لبيان أنها عندما نذرت مافي بطنها كانت صادقه
في قولها ومخلصه في نيتها عن قوه علم ومحبه لربها فكانت تلك القوه هي الباعث الذي وفر لديها استعداد
وقابليه لطاعه الله فهي تلذذ في عباده الله تعالى وتجد فيه غذاء تتصل بخالقها

وهنا يذكر لنا أن ذلك كان سببا لقبول نذرنا بالقبول الحسن وهو مايشعر أنه قبول فيه رضاء واهتمام كبير
فاضاف الي مريم (ربها) لبيان التيسير لها من الأسباب التي توصلها الي الكمال اللائق. في الدنيا والآخرة فالرب هو
المالك والمربي الذي ربها ورعاها

الدرس الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى بقوله تعالى (فتقبلها ربها بقبول حسن) باضافه اسم الربوبيه الي مريم يريد أن يغرس
في النفوس اهميه الشعور بتدبير الله لكل شئ وأنه بيده تسهيل الأسباب اذا أراد فعليك إدراك ذلك واستحضار
تلك الحقائق علي الدوام فانظر كيف سهل لمريم الأسباب وجعلها افضل نساء العالمين

فدل هذا على قبول النذر ثم عطف بقوله تعالى (وانباتها نباتا حسنا) دليل على قبول دعاء ام مريم عندما دعت الله
(واني اعينها بك وذريتها من الشيطان الرجيم)

يقول الله تعالى لنا أنظروا الي عنايه الله تعالى بمريم لتروا أن الله يستجيب لدعاء عباده فلم يمسه الشيطان ولم
يكن له سلطان عليها فالدعاء مخ العباده فعليكم الاستعانة بالدعاء والتضرع الي الله بنيه خالصه فهو المعاذ و
الملجأ فانظروا كيف أن الله خص مريم بالرعاية والاهتمام والحماية فقد كان نموها النفسي والروحاني يكبر كل
يوم مثل الشجره المثمره التي يرهاها الزارع بالماء والسقي والحرث وقلع واستصال الأخلاط التي تمنع نموها
لتمنو علي اكمل وجه فكذلك رعي الله مريم وجعل غذاءها الروحي والنفسي والعقلي متصلا بمعرفه الله تعالى و
التعلق به ومحبتة وعبادته وتوحيده وطاعته فقد اختارها الله لتكون من الخواص الذين يطلعهم علي أسراره
وكشوفاته فقد زال عنها الحجب

فجاء بدليل القبول الحسن لمريم والاهتمام والحماية لها (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا قال.... الخ

حيث أن ام مريم عندما ولدت انثي خافت من أن يكون رفض نذرنا فأخذتها في الخرفه اي الثوب الذي لفت به
المولوده وذهبت بها مسرعه الي الكنسيه وهي تتطلع أن يقبل الكهانه نذرنا الغير معتاد فلم يسبق أن قبل انثي
لخدمه الكنسيه فما الذي حصل.....

لقد كانت المفاجأة التي لم تتوقعها ام مريم حيث كان اجتماع الكهنة والرهبان يتنافسون ايهم يأخذ مريم فكل واحد منهم يريد أن يكون له الشرف للقيام بتربيته مريم المولوده التي توفي والدها قبل أن تولد ولذلك سمتها امها بهذا الاسم وهذا التنافس في وقت كان هنالك اعداد كبيره من الذكور الذين تم احضارهم الي الكنسيه لذات الغرض فلم يحصل الاهتمام بهم مثلما كان التنافس علي مريم فكان ذلك بتدبير من الله فقد خصها بهذا الفضل الذي كان تنافس الرهبان شهره لها وفضل علي تلك الأعداد من الذكور ففي هذا بيان القبول الحسن من الله لها

ثم كان تدبير الله تعالى لمساله رعايتها العنايه بها وتربيتها حيث كان اتفاق الاحبار علي القرعه برمي الأقلام في النهر (وماكنت لديهم إذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم) فقد استقرت القرعه علي زكريا فقال تعالى (وكفلها زكريا) وهو متزوج خالتها فالله يقول لنا انه المدبر لذلك فأمره أن يكن يكون استقرار القرعه علي زكريا هو استجابة لدعوة ام مريم أن يبعد عنها الشيطان الرجيم فقد قام زكريا بتربيته مريم وقام ببناء غرفه لها في المسجد محصنه لايمكن لأحد أن يدخلها في مكان يستحيل لأحد التسلل إليها له درج وسلم وكان لها سبعة ابواب اذا اراد ان يدخل إليها لابد أن يفتح السبعة الابواب باب ويليه باب وهكذا كل باب يدخل الي الآخر حتي لايتصور البعض أن لها سبعة ابواب اي متفرقه من جهات مختلفة لا بل ابواب متتاليه فانت لابد أن تفتح السبعة الابواب لتدخل إليها وكان زكريا يغلق عليها السبعة الابواب وتولي تربيتها فدل ذلك أنها نشاءت في بيئه طيبه وفي ولايه الرحمن فهي منقطعه لعباده الله وبعيده عن ولايه وسلطان الشيطان

الدرس الثالث

أن الحق سبحانه وتعالى يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه استشعار مسؤوليه الاهتمام بالطفل ورعايته وتربيته وضرورة حمايه الطفل المحضون فلا يوضع لدي شخص عديم الاخلاق أو عديم المسؤوليه أو في بيئه فاسده فلا بد من مراعاة صلاح الحاضن الذي يكفل الطفل وقدرته على القيام بالمهمه لأن مساله نشاه الطفل مهمه فهي المرحله التي ينبت فيها وتنمو روحه ونفسه فما أن تتغذي علي الخير أو الشر فالله يقول لنا أنه مثلما جعل للخير اهلا وأنصار فقد جعل للشر اهلا وانصارا وان أهل الخير هم الذين يكونون في ولايه الله وسلطانه وان أهل الشر هم الذين يكونون في ولايه الشيطان وتحت سلطانه فهو سبحانه وتعالى يقول لنا ان من مظاهر استجابة الله تعالى لدعوته ام مريم أن يحمي ابنتها وذريتها من الشيطان الرجيم ويصرفهم عن ولايته أنه سبحانه وتعالى ضمها الي زكريا لرعايتها وتربيتها فهي الأسباب لذلك فدللت النصوص أن الكافل المستقيم يكون من أسباب صلاح الطفل المحضون واستقامته

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول لنا (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

يعطينا الله مشاهد حيه ترسم في أذهان السامع عده امور متعلقه بالحاضن المستقيم ودوره في تربيته وتهذيب الطفل المحضون ويتضح ذلك من خلال الآتي

الأمر الأول

ترسم لنا النصوص لوحه معبره عن اهتمام زكريا بتربيته مريم وأنه كان شاعرا بالمسؤولية الملقاة على عاتقه (كلما دخل عليها زكريا المحراب) فهو قد بني لها غرفه في المسجد كما أوضحنا سابقا أن لها سبعة ابواب ويقوم بإغلاقها عليها فدل ذلك علي اهتمامه بتهيئه الأسباب الفنيه الماديه التي تحقق الهدف الذي كان تقديم مريم من أجله الكنسيه فدللت تلك الأوضاع علي كمال العفه والأدب والحشمه فالمحراب يطلق علي أفضل المجالس ويطلق علي مكان العباده فذكر (كلما دخل عليها المحراب) فلفظ دخل يعطيك مدلول أنه محرز ومغلق وليس مكان مفتوح لمن هب ودب وبالتالي فهو ليس المحرب الذي يكون في مقدمه المسجد لا بل غرفه خاصه وهي التي بناها زكريا لمريم كما قال تعالى عن دوا (إذ تسورا المحرب) يعني غرفه العباده وسمي المتعبد فيه محارب للشيطان والمراد

من هذا بيان إنها انقطعت للعباده

الأمر الثاني

تبين النصوص اهتمام زكريا بتربيته مريم في كل وقت فقال تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب) فهو كان يتردد عليها ويتابع أحوالها ويسألها عن الرزق الذي يأتيها من ابن مصدره سواء كان ذلك طعام أو علم أو فكر فلم يكن مهملا في مهمته... فالسؤال منه دليل حرصه علي أن لا يخرج مريم عن الهدف وهو الانقطاع للعباده ولهذا كان تقديم الظرف والمفعول علي الفاعل (كلما دخل عليها) لظهار انقطاعها للعباده وكمال العناية بأمرها ونصب المحرب علي التوسع وكلمه كلما ظرف تفيد أنه في كل وقت يدخل عليها

الدرس الثالث

يخبرنا الله تعالى باهميه القدوه والمربي الذي يربي المرید ويغرس فيه معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده ويبين له أوامر الله ونواهيهِ وان علي المعلم اعتماد المنهج الذي يحدث في النفوس والقلوب اثاره لتكون عبادته وعلوم المرید قائمه علي برهان ودليل والابتعاد عن التقليد الاعمي

حيث نفهم من سؤال زكريا يامريم اني لك هذا اهميه التدقيق في شون المتعلم من قبل المعلم في معرفه مصدر الأرزاق سواء كان طعام أو علم أو فكر أو خواطر ف الله يقول لنا أن زكريا كان يجد لدي مريم رزق كلما دخل عليها المحرب وأنه يسألها من اين لك هذا أو كيف وصل اليك هذا

١

فاذا قلنا إن الرزق الذي كان زكريا يتفاجا بوجوده عند مريم هو الطعام من غير أسباب فإن هذا فيه بيان اهميه محاسبه المتعلم وتربيته المتعلمين علي الاحساس بالمسؤولية عن مصدر دخله كيف وصل اليك هل هو حلال ام حرام فلا تأكل الا ما هو حلال وكذلك فإن هذه الايه الكريمة جاءت بقاعده ومبدأ من اين لك هذا

قاعده الذمه الماليه فكل شخص يقوم بخدمه عامه عليه عند تولي المهمه أن يقدم كشف بأمواله وممتلكاته ليكون بعد ذلك محاسبته عن مصادر الأموال التي تكون زياده عما ورد في إقرار الذمه الماليه للإسلام اول من وضع هذه القاعدة

٢

والسؤال من زكريا كان في إطار معرفه احوال مريم وظروفها ومنع أي اعوجاج عن الهدف الذي من أجله كان إقامتها في الكنيسة فهي امراه منقطه للعباده ولخدمه دين الله وهي مغلق عليها الابواب ولاكسب لها إلا مايصل إليها من زكريا

فالسؤال فيه تعجب زكريا من حال مريم ولا يوجد في القران مصدر يفيد أنه كان يجد لديها فواكه الصيف بالشتاء والعكس وانما ذلك من الاسرائليات ومن الأخطاء الفادحه التي وقع بها المفسرون هو الاعتماد علي تلك المصادر وإضافتها الي كتبهم فكتاب الله ليس بحاجه الي ذلك فإذا لم يذكر أمر ا ولم يوجد مايمكن أن يحمل عليه من النصوص فاعلم أن الأمر ليس مهم والا كان الله ذكره فالذي ناخذمن السؤال هو اهتمام زكريا بها.... هذا من جهه ومن جهه أخرى فان اعجاب زكريا بها كان باعثا لطلب الذريه الطيبه واجابه مريم علي سؤال زكريا (قالت هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

يعطيك معاني الرزق الذي كان زكريا يتفاجا بوحدوه عند مريم وهو ان مريم كانت شاعره بانعام الله عارفه بربها فقد غرس الله فيها قوه علم ومعرفه بربها فعرفه ربها بجلاله وجماله فاحبت ربها فكانت قوه العلم وقوه الحب

غذاء روحاني اوصلها بأعالي المقامات الروحانية فهي تجد اللذة في قوه العرفان بالله ومحبته وعبادته وتوحيده وطاعته فقد كان زكريا كلما دخل عليها المحرب لمناقشتها ومعرفه استيعابها الدرس السابق أنها تناقشه وتطرح معاني ومفاهيم لم يسبق له أن قام بتعليمها إياه فسألها من أين حصلت علي هذا الرزق الحسن فهو لم يعلمها ذلك بعد فياتي الجواب منها يفصح عن ارتباطها بالله فهي تحمل المشروع والمطلب الرباني تحمل قضيه الايمان فتخبره أن ذلك رزق من الله أنها نعمه من انعام الله تعالى عليها فهي في خلوتها وانقطاعها عن الناس تتفكر في آيات الله فتري جمال الله تعالى وجلاله وعظمته وإبداعه فالله اذا احب عبد اشهده مننه وعرفه بها ورزقه شكره وازال الحجب التي تمنع عنه الرؤية فتكون تلك قوه يري فيها ما لايري الآخريين يرزقه الله الكشوفات والالهامات فلما راي زكريا تلك القوه لدي مريم اشتاق الي الولد فجعله يأخذ العبر والدروس من ام مريم وعندها لجأ إلى الله بالدعاء والتضرع أن يرزقه الولد الصالح

القسم الثاني

(هنالك دعاء زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادت الملائكة وهو قائم يصلي في المحرب أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمه من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقرا قال كذلك يفعل الله مايشاء قال رب اجعل لي ايه قال ايتك الا تكلم الناس ثلا ته ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار)

تنتقل النصوص الي نموذج آخر من نماذج اصطفاء الله لاوليائه متربط بالقصه السابقه ارتباطا لايقبل التجزئة ف الجملة أبتدأت بقوله تعالي هنالك بعد ذكر اجابه مريم علي سؤال زكريا يا مريم اني لك هذا....ولفظ هنالك تحتل معني الزمان أنه في تلك اللحظه التي ردت فيه مريم علي سؤال زكريا...وتحتل معني المكان اي المحراب الذي كان فيه زكريا عند مريم....وهي تحتل معني المقام اي انه في الموقف الذي شاهد فيه زكريا م الذي مريم من رزق بلا سبب مألوف الذي تكرر كلما دخل عليها زكريا المحراب وبعد أن سألها عن المصدر وردها انبهر وأعجب وتحركت لديه بوعث الطمع والرغبه بالولد والذريه الطيبه فما هو المحرك الذي إشعال نار الرغبه في الذريه الطيبه في نفس زكريا هل ماشاهد من رزق لدي مريم بدون سبب ام أن ردها هو الذي لفت انتبه زكريا خاصه وأنه ذكر أن مشاهدته للرزق لدي مريم كان أمر متكرر كلما دخل عليها فدلّت النصوص أن ذلك لم يكن هو بحد ذاته الذي حرك الرغبه لديه بالذريه الطيبه وانما جوابها عندما قالت (من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب) حيث يفهم أن هذا الجواب كشف عن سر الرزق الذي لدي مريم فكان ذلك محركا وباعثا لطمع زكريا بالولد والذريه الطيبه ولم يتأخر عن اللجوا الي الله بالدعاء والتضرع فبادر في الموقف وبالحال بالدعاء فقال تعالي (هنالك) وهذا مايدل علي أن الرزق الذي وجده زكريا عند مريم ليس عائدا الي مشاهدته فوكه الصيف بالشتاء و العكس فنحن لاننكر الكرامات لاولياء الله لكن الأمر اكبر من ذلك ولهذا فإنه لمعرفه ماهو الرزق الذي كان يجده عند زكريا بلا سبب مألوف والذي اكتشفه سره من جواب مريم كان باعثا ومحركا لمناجاه زكريا ربه طالبا الذريه الطيبه فإن ذلك يتطلب منا الوقوف على الاتي

*

الغرض الذي ذكره زكريا في طلبه الذريه الطيبه والربط بينها وبين الموقف والمقام والجواب الذي جعله يطلب من الله تعالي الذريه الطيبه حيث نجد ذلك واضحا في سوره مريم بقول زكريا (ربي اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا.....الي قوله تعالي (واني خفت الموالي من ورائي فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي رضيا)

أن النصوص تبين لنا أن مصدر الطمع والرغبه بالولد من زكريامع كبر سنه وزوجته العاقر وهو أمر لايمكن حدوثه حسب ما اعتاد عليه البشر...فهو يطلب من الله الذي لايعجزه شي

وان هذا الطلب مرتبط بالهدف الذي يرغب به زكريا وهو ليس امتداد النسل العرقي بل أراد استمرار التسلسل والا رتباط الذي يربط ماضي امه الايمان بحاضرها وهو ورثه الكهانه والعلم والدعوه الي معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده فذكر أنه ورث هذا الأمر من آل يعقوب اشارة الي أهل الصلاح فهو يريد أن يرزق مولود يحمل فكره التوحيد التي حملها يعقوب وأهل الصلاح من بعده حتي وصلت إليه فبين أن ربطه الصلاح والاستقامة هو الا رتباط والتسلسل الذي يربط أهل الإيمان في المراحل المتلاحقة وان تباعدت مسافاتهما

بعد أن بين خوفه أن يتسلل الطامعون الذين لا يتبعون منهج الله ولا يحملون فكره التوحيد من الذين يريدون المتاجره بالدين فهم يريدون أن يصلوا الي رئاسة القياده الدينيه ومصادره قرارها يخاف من انقطاع التسلسل الأ بوي للمنهج بعد ما فسدت القياده الحاكمه في السلطه ونظام الدوله فقد كانت الكنسيه هي المؤسسه التي بقيت من إرث موسي وهارون فزكريا كان يخاف أن تفقد دورها ويصادر قرارها لأن هناك مؤمراه ورغبه لدي السلطه الحاكمه مع بعض الكهنه للسيطره علي الرئاسه الدينيه وجمع السلطتين في قبضتها وان هناك من الكهنه من يتبع السلطه وهم ينتظرون موت زكريا الذي بلغ مائه وعشرين سنة ولهذا قال (واني خفت الموالي من ورائي فهب لي)

فخوف زكريا من انقطاع حركه الدعاه والعلماء اذا مات وورث هولاء الفاسدون من الرهبان المتربصين به سلطه المعبد فهم ينتظرون موته للسطو علي المعبد ومصادره قرارها فالحكام كانوا يتضايقون من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولعل ذلك هو سبب قتل يحي بعد ذلك

فخوف زكريا هو من أن يقبض العلم وان يتخذ الناس رؤوسا جهال كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله لا يقبض العلم انتزعا ينتزعه الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتي إذا لم يبقي عالما اتخذ الناس رؤساء جهال فسلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا

وهذا فيه بيان حقيقة الباعث والمحرك الذي جعل زكريا يدعوا الله أن يرزقه الذريه الطبيه..وحقيقة الرزق الذي كان يجده عند مريم كلما دخل عليها المحرب أن ذلك مرتبط بقبول مريم من الله فهو اصطفاء وهو أخبرنا أنه (وابنائتها نباتا حسنا وكفلها زكريا)

فقد أخبرنا أنه تعالي اعطني بتربيتها وتغذيتها الغذاء الروحاني والنفسي والعقلي الذي يتناسب مع اصطفاها لها وقبوله لها القبول الحسن وأنه سبحانه وتعالى جعل القائم علي تربيتها النبي الصالح زكريا فهو كان يتردد عليها لتربيتها وتعليمها فهو الساقى الذي كان يعتني بمريم ويرعاها لتنمو وتتغذي علي طاعه الله ومعرفته ومحبه سبحانه وتعالى وعبادته وتوحيده عن علم ومعرفته

وهنا نجد أنه سبحانه وتعالى يعطينا نبذه مختصره عن نمو مريم جسديا وعقليا ونفسيا وكيف أنها كانت لديها مؤهلات تدل علي عنايه الله تعالي بها فذكر لنا أن زكريا كان يدخل عليها لأجل إلقاء الدروس عليها وتربيتها ومعلوم أن المعلم قبل إلقاء الدرس يبدأ بمناقشه ما سبق علي التلاميذ لمعرفة مدي استيعاب المتعلم لما سبق وتمهيدا للانتقال الي الدرس الثاني وهنا كان زكريا يطرح علي مريم بعض المسائل والأسئلة وعندها يجد أن اجابتها تحمل مفاهيم وافكار طبيه أكثر من المعلومات التي تلقنتها منه وتدل أنها لديه معرفه بربها وقدرته ولطفه وإحسانه وأفعاله وكماله وتجليه علي خلقه (معرفته الخوص)...وان ذلك تكرر منها كلما دخل عليها المحرب عندها فأعجب وانبهر بذلك زكريا فهو لم يصادف مثلها من قبل وهنا سألها

من اين لك هذا العرفان والعلم ب الله وكماله وجماله وجلاله وعظمته وإبداعه فأنا لم أعلمك بعد كل هذه المعلومات

فجاء الجواب منها

أن هذا رزق من عند الله تعالي اشارة أنها تتلقي ذلك الهامات وكشوفات من الله تعالي فهي انقطعت للعباده

ولخدمه دين الله و اردت التقرب من الله فهي تعلق قلبها بالله والشوق الي لقاءه وخشيته والفرار من الخلق الي الله تعالى

فقوه العلم والمعرفة بالله لديها ولدت قوه استعداد لتلقي الكشوفات والالهامات الربانية وقوه الحب لله غذاء روحاني ولد لديها طاقه تجد فيها لذه بتنفيذ أمر الله تعالى

فكانت هذه الكشوفات اصطفاء وفضل من الله اختص به مريم وهو نوع من الاصطفاء الذي يرزقه الله أوليائه فتقول لذكريا لماذا تتعجب فهو يرزق من الله تعالى وفضل يوتييه من يشأ من عباده

فدلت اجابتها أن مالمديها من معرفه ومحبه هو الغذاء الروحاني الذي أنبت الله بها مريم...عندها تحركت البواعث والدوافع عند ذكريا لما راي اصطفاء الله لمريم بالالهامات والكشوفات فقد راي فيها مؤهلات ورائه المعبد لكنها انثي ولانبؤه للإناث عندها تذكر ذكريا دعاء ام مريم ربها بقبول نذرها وحمابتها من الشيطان الرجيم فعرف أن هذا الاصطفاء لها يعود إلي تضرع ام مريم لربها فلجأ في هذا المقام الي مناجاه الله بالدعاء أن يرزقه الله الولد الصالح الذي يحمل الدعوه الي الله من بعده فهو قد بلغ من العمر ما بلغ وموقن بقدره الله تعالى أن يرزقه الولد من أمرته العاقر فقال تعالى (هنالك دعا ذكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذريه طيبه انك سميع الدعاء)

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه استشعار انعام الله واستلهام الدروس من الأحداث التي نعيشها أو تقرها فيقول لنا عليكم استشعار انعام الله وعطفه سواء عليكم أو علي أوليائه فعند ملاحظتك ذلك أو قراءة القصص يستوجب منك أن تنتفع بذلك فالحكمه ضاله المومن اينما وجدها فهو أحق بها فهذا ذكريا عليه السلام عندما شاهد ما اختص الله به مريم من الكرامات والكشوفات والالهامات التي رزقها الله مريم ازداد إيمانا بالله ويقينا ثم نظر إلى العمل الذي كان وسيله للوصول إلى تلك المنزله والمكانه عند الله تعالى فعرف أنه دعاء ام مريم فكان ذلك دافعا له باللجوء الي الدعاء في نفس اللحظة التي فهم فيها السر الذي كان وراء اصطفاء الله لمريم ونموها عقليا ونفسيا وروحيا بالعفه والطهاره والقرب من الله بهذا الشكل المتسارع فعلم أن ذلك يعود إلي تضرع ام مريم أمام الله أن يتقبل نذرها خالصا لوجهه الله تعالى وان يبعد عنها الشيطان ولهذا استفاد ذكريا من الدرس فلجأ الي الله بالدعاء في تلك اللحظه والمقام (قال رب هب لي من لدنك ذريه طيبه انك سميع الدعاء)

اي يارب اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد وغير مألوف لدي الناس فامرتي عاقر..ولدا مباركا طيبا يكون وربنا يحمل منهج الله يتصل بأهل الخير والصلاح والايمان ويرتبط بتلك السلسله الإيمانية من أهل الإيمان مهما تباعدت ف الله يقول لنا في موضع آخر (رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين)

فأراد أن يكون وربته مومنا بالله وان يحمل هم الدعوه خاضعا لله ويامر بالمعروف وينهي عن المنكر لمنع وصول الفاسدين الي مركز الموسسه الدينيه لانهم سوف يفسدون في الأرض أن تم ذلك

المفهوم الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يغرس في نفوسنا الاحساس والإدراك باهميه الدعاء في تحقيق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض فالدعاء وسيله من وسائل النجاح والتوفيق فانت تطلب معونه الله ومدده وهنا نجد أن الدعاء هو من نبي الله ذكريا لماذا

لانه قد يقول قائل اذا كان كل شي مقدر ومكتوب عند الله فلماذا الجا الي الدعاء طالما أن ماهو مكتوب لي سوف يتحقق واذا لم يكون مقدر لي أن احصل عليه فلن يتحقق

أن هذا القول فيه اساءه للخالق سبحانه وتعالى فمن يقول بذلك القول كانه يقول إن أمر الله تعالى عباده بالدعاء

بقوله (ادعوني استجب لكم) بأنه والعياذ بالله أمر بلافائده فكيف يأمر الله بالدعاء بلافائده

ولهذا ف الله يقول لنا أن الدعاء هو طريق الاصطفاء والقرب من الله تعالى فهؤلاء أنبياء الله ورسله وصفوه الناس يلجأون إلى الله بالدعاء فكيف بالعوام فالكل محتاج إلى الله لافرق في ذلك بين المومن والنبي والملايكة والانس والجن وهنا يقول لنا الله اهميه اظهار الافتقار إلى الله تعالى فقال تعقيبا علي ذلك (انك سميع الدعاء)

والدعاء هو وسيله الاتصال بالله فأنت عليك أن تخضع لله وان تستحضر افضل الاسماء والصفات لله تعالى وتتناسب مع حاجتك فتنادي بها ربك فالدعاء مخ العباده

المفهوم الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يخبرنا باهميه اظهار الافتقار إلى الله تعالى بالدعاء وهذا يقتضي معرفه الإنسان نفسه بضعفه وحاجته إلى الله تعالى ومعرفه ربه بغناه وجماله وجلاله وعظمته وعطائه وإحسانه وقوته وقدرته وكماله فالاجابه بمقتضي الربوبيه التي تعني أنك ملك الله تعالى وان من مستلزمات ذلك أن تعرف أن الله يسمع ويتكلم وهو حي دائم لا يموت وقريب يجيب دعوه الداعي وان الناس متساون في ذلك فاللازم علي الجميع أن يلجأوا إلى الله تعالى فلا تقول ان لك منزله عند الله وانك من أولياءه فتقول انك لست بحاجه إلى الدعاء ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أنظروا إلى زكريا فهو نبي من أنبياء الله ومن خواص الخواص

فهو يتضرع إلى الله تعالى يظهر الافتقار والحاجه الله ويتودد لربه طالبا استجابة دعائه وقد انتقاء الألفاظ والا سماء الحسنی والصفات التي تتناسب مع طلبه فعليك أن تقتدي بزكريا فعليك الوقوف مع العبارات التي استعملها زكريا ودعائه لتعرف اهميه ذلك في قبول الدعاء

١

لقد ابتداء بقوله (رب) يعني مالكي ومعبودي فالرب يعني الذي يربيك ويرعاك ويعتني بك فهو معترف بربوبيه الله علي كل شي وأنه له الكمال والملك وأنه فعال لما يريد فهو المالك لكل شيء ثم قال (هب لي)

والهبة عطاء بلا مقابل أو بلا ثمن بعد أن توسل بالرب المالك لكل شيء وهو بذلك يعترف بملكيه الله المطلقة فهو المعطي والمانع والمعز المذل وان ملكيه الناس هي عطاء الله علي سبيل العاربه وان عطاء الله بلا مقابل وهو لا يعد ولا يحصي فهو يجد طعم المحبه بالتودد إلى الله

٢

أضف العنديه في طلبه (من لدنك)

اي من عندك وهذا فيه الثناء على الله فهو عنده كل شي وفيه اظهار الخضوع والاذعان والتسليم لله تعالى وهذا يتناسب مع الطلب أن يكون الموهوب من عند الله اي يارب اعطني هذا المولود عطاء بلا سبب الا اردتك ورحمتك فالأمر خارق لما هو مألوف لدي البشر

وفيه أيضا معني أن يكون هديه منك لان هديه الكريم اكرم فأراد بذلك ان يكون الموهوب صالحا لأن الله خلق الأرواح الطيبه قابله لذكره وشكره ومحبتة وتعظيمه وتوحيده وخلق الأرواح الخبيثه غير قابله لذلك ولهذا قال بعدها (ذريه طيبه)

واراد بالذريه يحي واستعمل لفظ الجمع فأراد بذلك امتداد الذريه ليكون اتباع يحي المومنون فيكون امتداد في الصلاح والاستقامة والايمان ذريه ينتسبون إليه باعتبار أن الصلاح والايمان هو النسب والتسلسل الذي يربطهم

بعضهم البعض وان تكون ذريه مباركه اي نباتها حسنه مرتبطه بالله مثلما كان اعتناك ورعيتك لنمو مريم طيبه
كما قال تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته باذان ربه والذي خبت لا يخرج إلا نكدا)

فهو طلب أن يكون هذا المولود من المستطاب الذي يستطاب أقوله وأفعاله فلا يكون منه شي مستخبت

٣

عقب بقوله (انك سميع الدعاء)

فهو يتضرع لربه بأنه يسمع دعاءه وإخلاصه وغرضه فهو يخشي علي الدعوه من الفاسدين فهو يريد قبل موته
تسليم المهمة لوريث يسير علي المنهج الذي سار عليه الصالحين وأن يلتحق بموكب المومنين ويكون قدوه
التابعين بعده وحلقه وصل تربط المومنين بالمراحل اللاحقه بالصالحين من الأمم السابقة وان تباعدت مسافاتهما
وازمانها فالمنهج الايماني هو الذي يربط المومنين من ادم الي قيام الساعه

ثانيا

تأتي النصوص مبينه استجابة الخالق سبحانه وتعالى لدعاء زكريا (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحرب أن
الله يبشرك بيحي مصدقا بكلمه من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين)

حيث نجد أن النصوص تبين لنا

الأمر الأول

ابتدأت النصوص (بالفاء) وهذا يفيد ان الاجابه من الله تعالى كانت سريعه وان زكريا كان مازال في المحراب
(فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحرب)

وهو ما يفهم منه أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أنظروا الي سريعه اجابه الدعوه فهو سبحانه وتعالى يسمع
الدعاء وقريب يجيب دعوه الداعي

يقول لنا أنظروا إلى عناية الله تعالى بأوليائه فالله يعتني بعباده فعليكم الالتجاء الي الله صادقين في ذلك وإخلا
ص النيه لله بالدعاء

يقول لنا أن اللازم علينا الشعور بالمسؤولية في حمل مهمه نشر دين الله وان نخاف عليه وندعو الله أن يسهل الأ
سباب لنصر المومنين فما ندعو الله به ينبغي أن يكون فيه صلاح الدين والدنيا فيقول أنظروا إلى زكريا فهو يحمل
رساله فأراد بالذريه أن تحمل بعده إرث الدعوه لدين الله فهو لم يدعو الله لطلب مصالح شخصية دنيوية مجردة
فقد كان صادق النيه ولاشك أن اصطفاء الله لبعض عباده فيه خير يعود علي الناس كافة ..

فعليكم إن تطلبوا صلاح الدين والدنيا وان تومنوا باليقين الجازم الواثق باجابه الله فهو يسمع الدعاء يسمع
اصوات النداء فذكر الاجابه بمايتناسب مع ذلك (فنادته الملائكة)

فذكر أن الملائكة ارسلها الله تحمل البشاره لزكريا باستجابة الله لدعاء زكريا بالجمع مع أن المراد بهذا وفقا لأغلب
ماورد بأقوال المفسرون هو جبريل لانه يجوز استعمال الجمع لمعني الواحد كما قال تعالى (الذين قال لهم الناس
أن الناس قد جمعوا لكم)مع أن القائل إنما هو واحد

المهم هنا أن الجمع فيه رسم لصوت الملائكة بالجواب علي دعاء زكريا بأنه كان نداء من جميع الجهات من أعلي
وأسفل ومن الامام والخلف والجنب لبيان اهميه الثقة بالله واليقين بالاستجابة من الله فهو قريب يسمع دعوه

الداعي

الأمر الثاني

أن الابه الكريمه ترسم لنا صوره تعبر عن حال زكريا عندما تلقي البشاره فذكر مصدر النداء وهم الملائكة الذين حملوا البشاره لترسم في الذهن صوره تجعلك تعيش تلك اللحظات فتري زكريا وهو يسمع اصوات من جميع الجهات في المكان الذي هو فيه لبيان اهميه الموضوع الذي تحمل الملائكة البشاره لزكريا بالنداء وهنا يكمل لك الصوره فيخبرك عن حال زكريا في تلك اللحظه (وهوقائم يصلي في المحراب)

انه كان في مقدمه المسجد أو في خلوته في المحراب الذي يتعبد فيه أو في المحراب عند مريم

فالنصوص تبين لنا أنه كان في مقام العبودية ومناجاه خالقه أنه في مقام الاتصال بالله فالصلاه تتطلق علي الشعائر الدينية المعرفه وهي الحركات المعبره عن الخضوع والاذعان والاستسلام لله تعالي وتطلق علي الدعاء أو التفكير في صنع الله وإبداعه وعظمته وكماله وجماله وجلاله وعطائه وإحسانه سبحانه وتعالى فالله يقول لنا

أنظروا إلى زكريا فهو كان خاضعا لله تعالي ومنقادا لأمره وقلبه مطمئن بالإيمان ومستقرا بالوصول إلى الله فاستحق هذا الاهتمام من الله تعالي فقد أراد الله أن يشهد زكريا ويرى ممن الله وفضله وإحسانه وعطائه عليه يقول أنظروا إلى عطاء لاوليائه

١

ففي هذا الموقف يسمع زكريا اصوات الملائكة من كل الجهات تبشره بقبول الله دعاءه وأنه سوف يرزقه المولود الذي طلبه وهو يحي

(أن الله يبشرك بيحي)

والبشري بالتشديد الشين وضم الياء من البشاره وهو الخبر الذي يسر صاحبه فيكون معناها علي وجه التبشير لأن الإنسان يفرح ويظهر علي وجه السرور ان تلقي خبر جميلا وهذا يتفق مع من قرأ بفتح وضم الشين فيكون معناها أن الله يسرك بولد يهبه لك

٢

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أنه إليه المنتهي فاجعل غايتك أن تصل إلي الله عندها يحصل اطمنان القلب واستقراره لانك تعيش نعم الطاعه ونعم اللذه فزكريا حين حملت إليه الملائكة البشاره كان في حال نعم الطاعات فهو قائم يصلي فاضاف اليه احساس التلذذ بنعم اللذات لانه عابد لله فكانت البشاره ثمره اللذه الناتجه عن الغذاء الروحاني والنفسي بالقرب من الله تعالي

٣

تبين النصوص لنا أوجه البشاره التي تسر زكريا فماهو الشيء الذي يفرحه هل مجرد الولد من دمه ام أمور أخرى ف الله يقول لنا أن الذين يصطفاهم الله بالقرب منه يجدون السرور واللذه في القيام بأمر الله تعالي يجدون السرور بأحياء الرابطة التي تربط المومنين بالمراحل السابقه فالله يقول لزكريا لقد أردت مولود يحمل منهج الله تعالي بعدك ولهذا فقد استجاب الله لدعاك ورزقك مولود سماه الله يحي اي عبده احياء الله بالإيمان وسيكون به احياء الارتباط التي تصله بالمومنين (يرثني ويرث من آل يعقوب) فهو سيكون به تمهيد امتداد واتصال أهل الإيمان فلا تخاف من قبض العلم وموت العلماء فهو سوف يقوم بأحياء الفكره وتحمل الإرث بمسؤولية فهو سوف يعيش

بينهم لله ولدينه خالصا فهو قابلا للنعمة عارفا بربه ويعرف الطريق الموصل الي الله وسوف يموت لله لأن الشهداء احياء... ففي ذلك اشاره الي انه سيكون ممهدا لظهور نبي اخر يحمل شريعته ومنهج فقال تعالي (مصدقًا بكلمه من الله)

سؤاء كان المقصود بذلك أنه مصدق بالتوحيد أو أنه عارفا بالحلال والحرام أو مصدق بكتب الله أو انه دليلا علي قدره الله لأنه ولد من امراه عاقره باعتبار أن اليهود امه لها عشق بالفكر المادي وغلبيظه الحس أو كان المقصود أن ذلك تمهيد وتؤطئه لمولود عيسي فهو مولود من ام غير صالحه للانجاب وعيسي مولود بلا أب فهو مثل ادم خلقه بكلمه كن فيكون

فإن ذلك فيه الاخبار أنه قد تحققت الاجابه (يرثني ويرث من آل يعقوب)

المساله الثانيه

يبين الله له أن هذا المولود سوف يكون سيداوفي ذلك بيان انه سوف يكون له شرف السيادة في العلم والعباده و الحلم لأن الحلم لقاح العلم وبه يكون ضبط العلم النافع (أن ابني سيد يصلح الله به بين فئتين عظيميتين من المسلمين)

فالله يخبرنا أن السيادة رزق من الله سؤاء بالعلم أو الحلم أو الورع فالسيد الذي لا يغلبه الغضب ولا تستولي عليه الشهوات

والمناسبه مرتبطه بما قبلها فذكر التصديق بكلمه من الله تعني أنه سيكون عارفا بالله ومحباً لأمره وأنه سوف يورثه علي نفسه وشهوته لبيان انه سوف يحكم قلبه وعقله وهواه لانه سوف يجعل منهج الله هو الذي يقوده ولهذا ذكر

* (وحوصرا)

والحضور من الحبس لبيان انه ممنوع من ارتكاب الحرام فهو مسيطر علي نفسه ولا يشتهي النساء مع قدرته لانه حبس نفسه عن المحرمات والشهوات مع قدرته وليس كما ذهب البعض أنه كان عاجزا فهذا أمر لا يليق أن يقال عن نبي من أنبياء الله وهي من الاسرائليات

فالنصوص تبين عفته وزهده لا عجزه اشاره الي حبس نفسه عن الشهوات مع القدره لأن الحصر تعني الحبس عن الشي مع القدره

* يخبره الله أن هذا المولود سيكون نبيا يوحى اليه (ومن الصالحين)

وهنا لابد أن نفهم معني ومن الصالحين... لأن الانبياء كلهم صالحين وبالتالي فإن من هنا لا يقصد بها التبويض الذي قد يجعل ضعف الفهم يقول إن هذا يعني أن هنالك أنبياء غير صالحين فهذا القول غير صحيح فجميع الا نبياء صالحين

ولكن المراد هنا تطمئن زكريا بأن طلبه (ويرثني ويرث من آل يعقوب) بأن هذا المولود سوف يلتحق بأهل الصلاح لأن الله قد جعل لاهل الحق والخير اهلا وهم الصالحين والمومنين الذين ينتسبون الي مدرسه الايمان وأنه جعل للشراهل ينتسبون الي مدرسه الافساد في الأرض

والله يقول لزكريا أن ابنك سوف يتصل بأهل الصلاح فهذه الرابطة التي تربطه بمن سبقوه من أهل الصلاح وان تباعدت بينهم المسافات والازمنه استجابته لدعا زكريا (يرثني ويرث من آل يعقوب) فقد أراد زكريا أن يرتبط ابنه

بنسب الصلاح والاستقامة والايمان لانسب السلالة فجاء الجواب أن الله استجاب لدعوته فقد جعل له مرافقه السعداء في حياته وبعد موته كما قال يوسف (انت ولي في الدنيا والآخرة توفي مسلما والحقني بالصالحين)

ثالثا

تنتقل النصوص الي بيان كيف استقبل زكريا البشاره التي فيها انعام الله وإحسانه وعطائه فيقول لنا الله تعالى أن زكريا قال (قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقرا)

الأمر الأول

تدل الآيات أنه عرف ان الله سبحانه وتعالى يريد أن يعرفه بانعامه وإحسانه ويرشده الي الطريق الذي يستجلب بها نعمه الله التي يرجو حصولها وهو ينتظرها ولمنع افه الاعجاب من تكون سببا لشروء النعمه وهنا بادر زكريا الي الاستفسار لمعرفة كيف تحصل هذه النعمه العظيمه وانا في هذا السن والعمر أنها معجزه وهل سيكون تحقيق البشاره بحمل زوجتي العاقر ام من امراه أخري فهو سؤال الواصل بالله الموقن بتحقيق أمر الله وليس فيه استنكار أو شك معاذ الله ولكن أراد أن يطلعه الله علي سر تحقيق ذلك أراد معرفه الكيفيه مثلما أراد ابراهيم رؤيه كيفيه خلق الموتي (ارني كيف تحي الموتي) فهو لم يشك ولكن أراد المعرفه التي يصل بها الي قلبه الي منتهي الاطمئنان فقال تعالى (اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) ولعل زكريا أراد معرفه الكيفيه لحصول ذلك لأجل أن يبين لقومه كيفيه حصول هذه الخارقه فهم لديهم غلاظه الحس المادي فالأمر غير مألوف لدي الناس فأنا كبير ب السن وامرتي عاقر غير صالحه للانجاب فارشدني الي معرفه كيفيه حصوله للرد على استفسارات الناس

ولهذا نجد الجواب الإلهي (قال كذلك يفعل الله مايشاء)

أن الله تعالى خالق الاشياء والأسباب والسنن وفطرها وخالق الناس فهو سبحانه وتعالى لايعجزه شي فالاسباب وكل شي تنتهي إليه سبحانه ومثلما خلقتك من العدم وخلق ادم من التراب فهو سوف يجعل زوجتك العاقر تنجب ابنك يحي الذي سيكون ايه علي قدره الله فالله (لايسال عما يفعل)

الأمر الثاني

أن زكريا في هذا الموقف عرف ان الله تعالى عندما عرفه بانعامه عليه المنتظره ومننه وإحسانه أراد أن يجعله يشهد رؤيه قدره الله فأخبره بالخبر الذي يسره قبل وقوعه ليشهد ذلك فيمنع عنه الاعجاب الذي يتسلل الي النفس حال وقوعه فيكون هذه البشاره تهنئه له لاستقبال نعمه الله ..يقول له الله أن الكرامات والكشوفات و العطاء ابتلاء من الله مثل السلطان والملك والرئاسة فأنت بحاجة إلى معرفتها لأن عليها واجب الشكر وان تشعر ب النعمه وان ترعاها حق رعايتها فالله سبحانه وتعالى يقول (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا أليس الله اعلم بالشاكرين)

فهو لاء هم الذين عرفوا النعمه وقدرها وقبلوها وقاموا بوجوب الشكر

وهذا ما دفع زكريا الي النداء لربه فقال (رب اجعل لي ايه)

والايه العلامه أو الاماره الداله علي وقت حصول الشئ هنا اي علامه علي أول وقت الحمل

فطلب زكريا هنا للعلامه دليل حرص زكريا أن يقوم بواجب النعمه من اول لحظه لأن الإنسان قد يكون في نعمه و لايشعر بها ولهذا فإن من تمام النعمه أن يرزقه الله معرفتها ليقوم بواجب الشكر

ولهذا يدعو الله طالبا منه أن يعيظه علامه عند أول وقت حمل امرأته قائلا يارب اني اريد بهذه العلامه أن أقوم

بوجب الشكر فهو لا يريد أن يفوت عليه الشعور بالنعمة من اول لحظه ليكون معها الشكر من تلك اللحظة فهو يطلب من الله أن يعطيه العلامه ليعيش في نطاق الشكر وليس أنه يشك في قدره الله ولا مذهب إليه البعض من القول إنه أراد التأكد أن النداء هو من الملائكة وليس من وسوس الشيطان لأن هذا القول لا يستقيم وحقيقه أن زكريا نبي وهويتلقي الوحي بواسطه الملائكة ولهذا فذلك القول فيه طعن بنبوه زكريا وهو أمر لا يليق ولا يصح إضافته إلى كتاب الله ولهذا فإن طلبه العلامه دليل علي حرصه علي معرفه أو ل وقتها للقيام بواجب الشكر فهو لا يريد أن ينشغل بأمور أخرى عن شكر الله علي انعامه خاصه وان المساله فيها نعمه عظيمه وبالتالي فهو يشعر أن عظمه وضخمه النعمه تتطلب استعداد وشكر عظيم يتناسب مع عظمتها فهي ابتلاء كما قال تعالى (هذا من فضل ربي ليبلوني اشكر ام أكفر... الخ

ولهذا يأتي الرد من الخالق سبحانه وتعالى (قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثه ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار)

يعيطه علامه حصول ذلك بأنه سوف يصبح اخرس غير قادرا على الكلام من غير مرض أو نحوه الا بالاشارة وبين له كيف يشكر الله بأن يذكره كثيرا ويثني عليه وقت الغروب وعند طلوع الشمس وهذا فيه عدّه مفاهيم

المفهوم الاول

يقول الله تعالى لك ايه السامع اذا كنت قد بشرت بنعمه منتظره ترجوها فعليك أن لاتنشغل بالنعمة ولكن عليك الا نشغال بالمنعم لتحظي برعايه الله وإتمام نعمته عليك فاعلم انك قد تكون في نعمه وانت لاتعلم بها ولاتشعر بها حتي تشرد منك بالمعاصي وعدم الشكر

ولهذا فعليك أن تأخذ الدرس من زكريا بعد اخباره بما يسره وهو النعمه المنتظره التي يرجوا حصولها .. فهو لم ينشغل بالتفكير بالنعمة والتفاخر بما أخبرته الملائكه خاصه مع حاله فهو محروم من الإنجاب وعمره مائه وعشرين سنة وزوجته عاقر عاحزه عن الإنجاب فلم ينشغل بالفرح بذلك بل لجاء الي الله داعيا أن يتم نعمته عليه بأن يعرفه بها عند حضورها ليس للاحتفال بها لي بل ليقوم بواجب الشكر لله تعالى من اول لحظه فقال تعالى (ربي اجعل لي ايه)

اي اعطني يارب علامه اعرف بها نعمتك واستعمل لفظ الربوبيه لبيان ان ذلك من رعتك وعنايتك بي ي الله أن ترزقنا ذلك فدلنا الايه أن من تمام نعمته علي عبده بأن يعرفها به... كي يعيش النعمه من اول لحظه ليقوم بقبدها ومنعها أن تشرد وهذا القيد هو الشكر فطلب زكريا ودعاءه ربه أن يرزقه العلامه التي يعرفها به عندما تأتي لانه كان خائفا أن لايشعر بها فتشرد عنه

فأخبره الله تعالى أنه قد استجاب لدعاءه واتم نعمته عليه بأن جعل العلامه التي يعرف بها حضور النعمه عندما تحل أنه سوف يصير عاجز عن الكلام مع الناس اي اخرس من غير مرض ثلاثه ايام مع لياليها الا بالاشارة والايماء وأنه سيكون قادرا على ذكر الله تعالى والثناء عليه والتسبيح عند غروب الشمس وعند طلوع الفجر فاعطاءه الله العمل الذي يشكر الله فيه ليعيش النعمه من اول لحظه منشغلا بالمنعم لا النعمه

المفهوم الثاني

يقول الله تعالى لك اخي الحبيب انك بحاجه الي اليقظه وحضور قلبك علي الدوام فعليك أن تستعين بالله ب الدعاء والتضرع أن يرزقك تمام نعمته بأن يعرفك بنعمته ويوفقك الي شكره

فالله سبحانه وتعالى يقول لك أن النعمه ابتلاء من الله تعالى لعباده لينظر من يشكره ومن يجحد انعامه والكفر نوعان كفر بإنكار الخالق سبحانه وتعالى أو رفض منهجه واوامره ونواهييه..وهناك كفر النعم والكفر قد يكون

حجود النعم مع العلم بها أو قد يكون ناتج عن عدم الشعور بها فتكون خفيه عليك لاتشعر بها إلا بعد زوالها مثل
نعمه الصحة والعافيه فهي من انعام الله تعالى عليك فإذا لم تشعر بها إلا بعد مرضك فاعلم أن ذلك يعود إلي خلل
في الاحساس لديك ولمعالجه ذلك المرض فاعلم انك بحاجه اجراء عمليه جراحيه لاثاره الاحساس لديك واعاده
ترتيب أوضاعها وذلك يكون من خلال الآتي

١

أن فقدان الإحساس بإحسان الخالق سبحانه وتعالى وعطفه إنما يعود إلي الجهل والغني التي تولد الغفله فالجاحد
لانعام الله ومن لايشعر بها إنما يعود ذلك لاستغناءه بما لديه من قوه وصحه ومال وغيره فينشغل بها عن رؤية
المنعم ف الله يقول (أن راه استغني) فالانشغال بالنعمه والاعجاب الذي يغرس في النفس التفاخر ونسبها الي
نفسه يفتح أبواب استقبال وسوس الشيطان فيعسر بعد ذلك إخراجها منها ولهذا فيجب عليك

الاحتراز من إعطاء النفس تمام مطلوبها من حب الثناء واحذر من الاصابه بداء العظمه فتشعر أن النعمه من مال
اوغيرها هي نتيجته تمتعك بالذكاء وخبرتك فتنسبها لنفسك (إنما اوتيته علي علم عندي .. وكذلك فإن حب مدح
الناس لك يبيلد الاحساس ويقتلها فلا تحس ولاتشعر بانعام الله وذلك يكون سببا لزوالها

ولهذا عليك أن تعرف ربك وان تنشغل بالمنعم ليرزقك الله معرفه النعمه انت بحاجه للشعور بالافتقار الي الله علي
الدوام بحاجه لتعرف نفسك بضعفها وحاجتها لربها

٢

يقول الله لك أن اللازم عليك أن تطلب قلبك عندما تري ايات الله وانعامه وإحسانه فتري جمال الله وجلاله
وعطائه وإحسانه وقوته وقدرته وكماله سبحانه وتعالى وان اصل التصورات والارادات يكون من التفكير ولهذا
فأنت بحاجة إلي الخلوه مع الله تعالى فنجد أن المولي سبحانه وتعالى جعل علامه حضور النعمه لذكريا هو أنه
سوف يصبح عاجزا عن الكلام مع الناس يقول له انت بحاجه الي خلوه وتفكر مع الله غير مائل مع لذه المدح

ف الله سبحانه وتعالى يقول لك ايه القارئ عندما تري نعمه الله فانت بحاجه الي أن يحضر قلبك فانت بحاجه الي
خلوه تبعد به عن الناس ليحضر قلبك أثناء خلوتك لتري جمال الله فإذا لم يحضر قلبك فاعلم انك مخذول فأنت
بحاجة إلي اصلاح المحل لاستقبال نور الله وانعامه فاللازم عليك رعايه نفسك وتربيتها لتكون اهلا لاستقبال نعمه
الله

٣

انه مطلوب منك أن تشعر انك واقف بين يدي الله بحيث يستقر قلبك ويسكن ويطمئن بمعرفه الله وينتهي بمحبه
الله وحده لا شريك له الحب العظيم فاعلم أن كل قلب لايتصل ب الله فهو شقي محجوب عن سعاده وخلصه

٤

فاللازم أن تصل إلي الله بالدعاء والتضرع والتودد له سبحانه وتعالى حتي يكون كل محبوب تحبه هو لأجل
إرضاء الله وكل عمل مرداك إرضاء الله وقبوله بحيث تكون قابلا للنعمه وعارفا بها وبحقوقها وواجباتها في شكر
الله ولهذا نجد أن النصوص تبين لنا الاتي

المساله الاولى

اهميه الخلوه مع الله لرؤيه انعام الله التي انعمها عليك لتدرك انك في موقف عباده لله شاعرا بافتقارك لله

وحاجتك له سبحانه وتعالى لتري جمال الله وجلاله وعطائه وإحسانه فتكون تلك الخلوه مقدمه لنيل رضاء الله ومحبتة فترزق معرفه نعمته ثم يرزقك الله من الأعمال ما يكون قيذا يقيدها فتكون تلك الأعمال فيها شكر الله علي انعامه وتتجنب المعاصي التي تكون سببا لشروء النعمه

المساله الثانيه

تبين النصوص اهميه ذكر الله تعالى علي الدوام فلا تنسي أنه تعالى المنعم فهو سبحانه يأمر نبيه زكريا بذلك فقال تعالى (واذكر ربك كثيرا)

فذلك يجعلك تدرك أن كل شي هو عطاء الرب فيه عنايه ورعايه منه سبحانه وتعالى... والذكر يكون باللسان ولكن الخلاف هو هل يكون قبل حضور القلب ام بعده حيث أن الايه الكريمه ذكرت حبس زكريا عن الكلام مع الناس إلا بالايماء والإشارة فدللت أن الخلوه سابقه فهي تعني تهئيه القلب ليحضر فالفكر هو الذي يولد الذكر باللسان

وهناك من قال إن المراد بهذا أن عليك الذكر باللسان حتي يحضر قلبك في مده الحبس عن الكلام مع الخلق فقد جعل الله له شكره علي نعمته في كل حال فقالوا إن الإنسان قد يكون في غفله فالذكر باللسان واستمراره في الذكر كثيرا يودي الي استقامه القلب فيكون حاضرا المهم هنا أن المطلوب هو حضور القلب

المساله الثالثه

يقول الله تعالى لنا أن اللازم علينا أثناء مشاهده النعم أن نري جمال الله وجلاله وعطائه وإحسانه وإبداعه لتعرف أن لك ربا يقوم برعيتك والعنايه بك

وأنه سبحانه وتعالى لم يخلقك عبثا فتري جمال الله وجلاله فاللازم عليك الثناء على الله تعالى (وسبح بالعشي وا لآبكار)

والعشي وقت الغروب والابكار مصدر من ابكر من مطلع الفجر فالمراد تعظيم الله بعبادته في كل حركه طلوع الشمس وغروبها فكل شئ يتم وفق تدبير الله تعالى ومشيتته

فانت بحاجه الي ملاحظه حركه الكون لتري أنه سبحانه وتعالى هو المسؤول عن حركه الكون فهو خالقه وخالق الناس والسنن والنواميس وفاطرها فانت تري جمال الله وتدرک انك لست وحدك فالكون كله يعبد الله تعالى حينها تخرج من غربتك وتانس بالقرب من الله وتطلق طاقتك في عباده الله وطاعته واتباع سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهذا تكون محبا لله تعالى

المفهوم الرابع

يخبرنا الله انه يجوز التعبير عن الارده بالإشارة والايماء سواء بالشفيتين أو حركه الحواجب أو الرأس باي حركه تعبير عن ماتريد وماترغب فيه فهو دليل معبر عن الارده والرضاء والقبول بالذات الاخراس ف الله أمر زكريا بذلك (الارمزا)

القسم الثالث

بعد أن تناولت النصوص اصطفاء الله للرسل والأنبياء من ادم ونوح وال ابراهيم وال عمران وتناولت النصوص اصطفاء الله لمريم وقبولها وإقامتها مقام الذكر وتربيه زكريا لها ثم بين كيف أن الله اعطني بها وجعل غذاءها عباده الله تعالى فرزقها الكشوفات والالهامات الربانيه التي حركت لدي زكريا الطمع والرغبه بالولد والذريه الطيبه فدعاء الله فاستجاب الله تعالى لدعاءه وبشره بيحي.... وأمره بذكر الله والثناء عليه سبحانه وتعالى

وهنا نجد أن النصوص تأتي معطوفة علي ما قبلها فقال تعالي (وإذ قالت الملائكة يا مريم أن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك علي نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين)

اولا

انه بالوقوف علي الارتباط بين النصوص وما قبلها نجد انها جاءت معطوفة بحرف العطف الواو(وإذ قالت الملائكة) بعد أن تناولت النصوص رده فعل زكريا بعد أن كشف له سر الالهامات والكرامات التي اكرم الله به مريم عندما قالت له (هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

عندها طلب زكريا من الله أن يرزقه الولد الصالح الذي يرث حمل مشروع الدعوه الى الله تعالي.. وعرفنا بعد ذلك استجابة الله لدعوه زكريا وكيف كان اخباره بتلك النعمه من الملائكة وتعريفه بها ومن ثم الأمر له بأن يقوم بواجب الشكر (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار)

كان عوده السياق الي الحديث عن مراحل اعداد وتربيته مريم اي أنها تتعلق بمريم فالعطف بالواو فيه الاخبار عن اصطفاء مريم وإعدادها لمهمه ضخمه وشاقه وان الحديث عن زكريا... هو جزء من تلك القصة...لانه ورد بمناسبة قولها إن الرزق الذي كان يأتيها هو من عند الله وهذا فيه الاتي .

الأمر الأول

أن نداء الملائكة لمريم هو اخبارها بأنها في نعمه حاضره تعلم بها وهي نعمه العباده والطاعه لله تعالي فالله هو الذي اختارها واجتباها بشرف الايمان والصلاح وطاعه الله تعالي وعبادته فكان هذا الاصطفاء الاول الذي أبلغته الملائكة لمريم لبيان ان الايمان هو من انعام الله تعالي...وهذا الاصطفاء من أنواع الرزق الذي يرزقه الله من يشاء ويختار من عباده وهو لا يمنع أن يوجد معها في هذا المجال أشخاص آخرين يصطفاهم الله كما قال تعالي (أن الله اصطفى ادم ونوح وال ابراهيم وال عمران علي العالمين) فدل ذلك على أن هذا التخصيص للاصطفاء يمكن أن يشترك معه آخرون بذلك الفضل لكن فيه تفاوت لمن يختارهم الله بالدرجات والكمال (تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض...الخ

فالنصوص فيه أمتنان الله عليها بالإيمان والطاعه بأن ذلك نعمه من انعام الله تعالي عليها. وتعريف

من الله لها بالنعمه التي هي فيها بأنه عباده الله تعالي هو العز الحقيقي فطاعه الله هي الغذاء الروحاني التي تنشأ بها علاقه روحانيه مع الله تعالي فثمره العباده والطاعه هي التي توصل الي النفس المطمئنة حيث يكون خمود الشهوات النفسانية ويكون قتل الالهة التي بداخل الإنسان ويحصل النفور الحقيقي إزاء الرغبات والأهواء حيث يطرأ الموت علي الميول النفسية وبالذات يحدث الاتصال ب الله...وبعدها تغسل النفوس وتتطهر من الأوساخ والأهواء يقول لها الله تعالي أن تلك الالهامات والكشوفات التي اكتشفها زكريا فيك كلما قام باختبار الذكاء عندك التي كشفت عن وجود قدرات للمبادره علي تغيير الواقع الجامد الذي كان يعيش فيه بني إسرائيل وعن المعرفة الجيده التي تتفق مع دور الذين يحملون المشروع الرباني والإصلاح الديني إنما كان ناتج عن العناية الالهيه التي اسعفتك لتتألي الطهارة الحقيقيه فقال تعالي (وطهرك)

اي طهرك من الدنس الحسي وهو الحيض فهي كانت في المسجد وايضا المعنوي وهو أنه طهرها من سفاف الاخلاق ودميم الصفات فالله براءها من افتراءات اليهود الذين اتهموها بالزنا

فالله يقول لها لقد طهرك الله من مما يستقدر في الأقوال والافعال والهواجس...فان هذه النعم التي أنت فيها وهي حاضره تعلم بها...هي لأن الله سبحانه وتعالى اختارك لمهمه ضخمه وشاقه فقال تعالي (واصطفاك علي نساء العالمين)...أن ذلك كله لمهمه ضخمه فيها الخير للبشرية كلها لم يخبرها بماهي (ولاده عيسي)التي لم تحدث بعد

فجاء الخبر أنها مهمه عظيمه سوف تجعلك افضل النساء ولم يخبرها ماهي هذه النعمه العظيمه المهم انه يقول لها أن ماسبق من اصطفاء الله لك بالعباده والطاعه والتطهير والإعداد والتربيه هي تمهيد وتؤطئه وتهنيه لمهمه عظيمه اختصك الله تعالى بها دون سائر نساء العالمين ولهذا كان هذا الاصطفاء غير الاصطفاء السابق الذي فيه اصطفاء التنزيه وهو أمر يمكن أن يشترك فيه معها آخرون أما هذا فهو اصطفاء تفضيل فاستخدم (علي) لأنها هي الوحيدة التي سوف تختص به دون غيرها فهي ستكون وابنها ايه وخارقه شاهده علي قدره الله فهي سوف تقوم بوظيفة فيها ايه عجيبه لايمكن أن تتكرر ولم يسبق ذلك وهو ولاده عيسي بدون اب مثلما خلق الله آدم من التراب

الأمر الثاني

أن ماسبق يتطلب منا الوقوف علي الغرض من ذكر مناجاه الملائكه مريم مشافهه وهي ليست نبيه لأننا نعلم أن الله تعالى قال (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى إليهم) ... فالغرض يفهم من سياق النصوص وذلك للاتي

المساله الاولى

أن مشافهه الملائكة لها يهدف إلي تربيته مريم وإعدادها للحدث العظيم اي تمهيد وتوطئه لها لاستقبال النفخه العلوية المرتبطه بحدث خارقه ولاده عيسي عليه السلام ... فاستعمل لفظ يامريم لشد انتباه مريم ليغرس فيها اهميه الخبر الذي سوف تخبره بها لتوفير الذهن الصافي القادر علي فهم متطلبات المرحله والاحساس بالمسؤولية والشعور أنها مكلفه بمهمه فالمهمه ضخمة فلم يخبرها بها وانما أخبرها بالنعمة التي هي فيها لتشعر أن ولادتها انتي برغم أن أمها عند نذرها كانت تتمني أن يكون ولد لأن الذكر له القدره للقيام بالمهمه افضل من الانثي ... ف الله يقول لها أن ذلك تم بتدبير من الله فهو تعالي اختارك لمهمه عظيمه تميزك علي سائر نساء العالمين ثم إن قبلك بـ القبول الحسن وحصول القرعه علي زكريا لتربيته والالهامات والكشوفات التي جعلت زكريا يري فيك التميز و السرعه في الفهم كل ذلك هو من الله تعالي فجعلك مطعبه لله تعالي وطهرك من الهواجس لأجل مهمه عظيمه وفعل عظيم اختارك الله لمهمه عظيمه لم يخبرها به وهذا لأجل أن يغرس الشوق في نفسها والتطلع لاستقبال الأمر العظيم ... فالمولي يعرفها بالنعمة الحاضره لتشعر بها ويخبرها أن هنالك نعمه منتظره اختصها الله به عليها أن تستعد لها فدلها علي الطريق الموصل الي ذلك فأمرها أن تستمر بالخضوع والاستسلام لله تعالي فقال تعالي (يامريم اقتني لربك)

والقنوت يعني لزوم الطاعه والاستمرار علي الاستقامه والخضوع والاذعان والتسليم التام المطلق لله تعالي

فهو سبحانه وتعالى يقول لها أن طريق الوصول إلى الله والاتصال به تعالي يكون بالخضوع والاستسلام لله تعالي فعليك الاستمرار فيما انت عليه فاضاف إليها لفظ الربوبيه لبيان ان ذلك تربيته لها من الله فهي بحاجة إلي الاستعداد لتحصل علي الفضل الذي فيه نعمه عظيمه لها وللشربيه كلها فهي ترجوا حصولها ف الله يدلها علي الطريق والوسائل التي تساعدنا لتحظي بتلك النعمه

ثم يقول لها (واسجدي)

أن المقام هو مقام عبوديه لله تعالي وهذا فيه الشرف الحقيقي والعزة والكرامة وانت في نعمه حاضره فالله اصطفاك بطاعته سبحانه وتعالى وطهرك بأن اسعفك بالعنايه التي طهرتك من الرجس والدنس فاللازم عليك أن تشكر الله تعالى علي ذلك فعليك الشكر لله فالله أخبرك بنعمته وهو يعيطك من الشكر ما يكون قيذا يقيدها

ثم يامرها (واركعي مع الراكعين)

ولم يقل مع الراكعات وفي هذا اظهار لمعني ارتفاعها عن النساء الذي دل عليه السياق بأنه تعالي اصطفاها علي نساء العالمين واذن لها بالصلاه مع الجماعه وهذه خصوصية لها دون سائر النساء اظهار لمعني ارتفاعها عن النساء

المسالة الثانية

أن المولي سبحانه وتعالى يخبرها بما أنعم عليها ومبيناً لها علو درجاتها وكمال قربها من الله تعالى هو اصطفاء من الله ولهذا فإن عليها الاعتناء للحفاظ علي تلك النعم بالاستمرار بطاعه الله بالقنوات والشكر وان تكون في كل حركه كانك في صلاه فأنت اختصك الله بكرمته وجعلك من أوليائه وهو اختصك بنعمه عظيمه لم تحقق بعد فعليك الاجتهاد للحفاظ علي ذلك والوصول الي النعمه المنتظره

المسالة الثالثة

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن اصطفاه لأوليائه سبحانه وتعالى إنما يكون لمن يعلم الله أنهم اهلا لاستقبال انعامه وإحسانه فيقول لنا أن اختيار مريم لذلك كان لأن الله تعالى يعلم أنها طاهره عفيفه مستعده لتلقي نعمته سبحانه وتعالى فهي كانت كثيره العباده لله ومطيعه وعباده له تعالى فأخبرنا أنها كانت تعيش منقطه للعباده وأنها في كل حركه كانت خاضعه لله فهي قانته لربها ومحبه له سبحانه وحياتها كلها صلاه وعباده

المسالة الرابعة

أن الله تعالى يقول لنا أن اصطفاء الله لاوليائه واختياره لهم لايعني ذلك أنهم يشاركون الله في الوهيته وربوبيته وعبوديته لا بل هم عبيد لله وانما استحقوا ذلك التكريم لانهم كانوا خاضعين لله تعالى فمريم كانت عابده لله وليست الامخلوق من عباد ف الله يقول لنا أن الخوص من عبادته هم خلقه سبحانه وتعالى ويجب عليهم عبادته الله تعالى

ولهذا يقول الله لنا أن من اعتقد أنه مكرم فعليه أن يجتهد للحفاظ علي كرامته ليكون الشكر لله قيذا يقيدها من أن تشرذم ولهذا ذكر القنوات الذي هو الاستسلام والخضوع والاذعان لله تعالى أذهان القلب واللسان فذكر السجود دليل الشكر والمقام مقام شكر ثم ذكر الركوع عمل الجوارح وفيه المشاركة مع جماعه الايمان في مافيه طاعه الله تعالى

المسالة الخامسة

تبين لنا النصوص أن الانتقال الي مرحله ولاده عيسي عليه السلام سبقها اعداد وتهيئة الظروف لذلك ابتداء بولاده مريم وقبولها وإقامتها مقام الذكر ثم تربيتها فنجد أن هنالك مراحل مرت بها مريم لتهيئة مريم للمهمه ومراحل مر بها المجتمع لاستقبال هذا الحدث

فيخبرنا الله أنه هي الظروف لإعداد مريم لاستقبال النفخه العلوية لولاده المسيح عليه السلام فذكر تدبيره سبحانه وتعالى لقيولها وأنه اوكل لذكريا تربيتها ثم ذكر سبحانه وتعالى الكرامات والكشوفات والالهامات الربانيه التي كانت مقدمه لنداء الملائكة فذكر أن زكريا كان كلما دخل عليها المحرب يجد ان لديها رزقا تخبره بها وعندما سألتها قالت (هو من عند الله أن الله يرزق من يشاء بغير حساب)

ثم يذكر بعد ذلك قصه زكريا فهي فيها تهيئه لاستقبال مريم النفخه العلوية لأنها لا بد انها شاهدت حمل خالتها البالغه من العمر ٩٨ سنة وهي عاقر وبالتالي فإن هذا يجعلها مستعده للانتقال إلى المرحلة الثانيه من الاعداد لتكون قادرة علي القيام بالمهمه فذكر المولي مناجاه الملائكة لمريم مشافهه اي كان الانتقال من الالهامات الي النداء مشافهه لتعريفها بنعمه الله عليها الحاضره وهي أنه جعلها مطيعه عابده لله وأنه طهرها من الدنس ثم اخبرها بنعمه منتظره اختصها بها لم يبين لها ماهي فكان ذلك تمهيد وتوطئه لقول الملائكة أن الله يبشرك بغلام... وكذلك

فإن ولاده يحيى كانت تمهيد لولاده المسيح فهو مولود من ام عاقر واب غير قادر علي الانجاب وعيسي مولود بلا أب فهو مثل ادم خلق من العدم

ثانيا

أن المولي سبحانه وتعالى استخدم اسلوب العطف علي ما قبلها والخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم (وإذ قال الت الملائكة... الخ

اي واذكر يامحمد قصه نداء الملائكة لمريم فالله يقول إن هذه القصه لابد من إظهارها واشهارها فلماذا يطلب الله من نبيه اشهار هذه القصه

الامر الاول ن

ان السوره من بدايتها الي بضع وثمانين ايه نزلت بمناسبة قدوم نصارى نجران الذين كانوا قد زعموا أن مريم ث الث ثلاثة وان عيسي اله وأنه ابن الله..... فالله يقول إن في هذه القصه

الدليل الذي يفصح عن حقيقة أن مريم إنما هي مخلوقه من مخلوقات الله كانت عابده مطيعه لله تعالي وليس كما زعم هولاء الناس أنها ثالث ثلاثة..وعبدوها مع الله مثلما أنهم عبدوا عيسي وقالوا إنه ابن الله. ففي ذلك دخص لتلك المزاعم الكاذبة

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن هذه القصه وغيرها من القصص مثل قصه زكريا وغيرها من القصص فيها اخبار عن المغيبات الماضيه فهذه التفاصيل الدقيقه عن مراحل تربيه مريم فيها معجزه تؤكد صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من عند الله فقال تعالي (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم إذ يلقون اقلا مهم ايهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ هم يختصمون)

فالرسول صلي عليه وسلم كان امي لايعرف القراءه والكتابه ولم يتم سماعه ذلك فهو لم يجلس الي معلم ولم يشتهر عنه ذلك فالله يقول (تلك آيات الله نوحياها اليك ماكنت تعلمها انت ولاقومك من قبل)

وهنا يقول الله لنا أنظروا الي دقه التفاصيل المتعلقة بالقصه لدرجه انك حين تسمعها تشاهد فصولها كان الرسول صلى الله عليه وسلم كان حاضرا أثناء الواقعه لما اشتملت عليه من ذكر تفاصيل حاول علمائهم اخفاءها فلا يعلمها الا نخبتهم الخاصه وبالذات واقعه رمي الأقلام أثناء القرعه بعد الخلاف بينهم ايهم يتولي تربيه مريم فطالما ان الرسول صلى الله عليه وسلم امي وبينه وبين تلك الواقعه زمان طويل يمتد الي مايقارب ٦٢٠سنة ليبدل دلاله قاطعه علي صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم فهي معجزه تؤكد صدقه

الأمر الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا عليكم قراءه اداله الحدث التاريخي ذلك أن تطور الدين يتطلب الاستفادة من تجارب لماضي الامه المومنه من بدايه نشاه البشريه الي قيام الساعه انتم بحاجه الي ربط الماضي بالحاضر انكم بحاجه الي القوه الداخليه التي تمكنكم من اعاده تشكيل أنفسكم وموكبه التطور الإنساني بالموازانه بين القيم و المبادئ الروحانيه والحضارة الماديه فأنت ايه المسلم مطلوب منك الاستمرار والتقدم لتحقيق الهدف والغايه من الوجود الإنساني والقيام بأعمال الخلافه علي الارض بما يمنع الفساد فيها فأنت مطلوب منك أن تتحرك بسرعه تتفق مع الإمكانيات المتاحة وهذا لاينبغي أن يكون له انفصالا عن الماضي لأن ذلك يشكل خطوره علي حركه التغيير فخلق المجتمعات واعاده تشكيلها لايعني انفصاله عن ماضيه فدراسه ماضي أهل الإيمان هو أساس سمات

هذا الامتداد المتجدد بالتاريخ فالوصول إلى مرحلة النضج البشري التي هي مرحلة أكثر ارتقاء في التطور الإنساني سبقتها مراحل متعاقبة لأهل الإيمان فهي مثل مرحلة ظهور الجهاز العصبي المركزي في التطور العضوي وبلوغ هذه المرحلة الأرقى في ذاته كانت مهمه شاقه سبقها ارهاصات مهدت لها ابتداءً من ولاده عيسى عليه السلام وانتهاءً ببعثه النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسل رحمه للعالمين ولهذا نجد اهتمام القرآن الكريم بذكر هذه القصص لتكون لنا الماضي الذي نربط مستقبلنا به

القسم الرابع

تعود النصوص الي استعراض مشاهد تهئيه مريم لاستقبال النفخه العلوية المرتبطه بولاده عيسى عليه السلام فقد عرفنا أن الملائكة ابلفتها أن الله اصطفاها بالعبادة والطاعة له وطهرها من الدنس بأنواعه واخبرتها أن الله اصطفاها واختارها لمهمه عظيمه تميزها عن سائر نساء العالمين ولم يبين لها ماهي (واصطفاك علي نساء العالمين)

وهنا يقول تعالي أن الملائكة حملت البشاره لمريم بهذا الاصطفاء الذي يميزها ويخصها بالفضل فقال تعالي (اذ قالت الملائكة يامريم أن الله يبشرك بكلمه منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أن يكون لي ولد ولم يمسنني بشرا قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فأنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل ورسولا الي بني إسرائيل اني قد جئتكم بايه من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئه الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذان الله وابري الاكمه والابرص واحي الموتى باذان الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أن في ذلك لايه لكم إن كنتم مؤمنين ومصداقا لما بين يدي من التوراه ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بايه من ربكم فاتقوا الله واطيعون أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

اولا

أن أول ما يشد الإنتباه هو أن الآيات تتوالي عن الخوراق التي سبقت ولاده عيسى عليه السلام حيث نجد أنها أخذت طابع التدرج في التصاعيد فابتدأت بالالهامات والكشوفات التي اختص الله بها مريم فكانت هذه الخطوه مقدمه أبهرت زكريا عندما وجد لديها الرزق والكرمات وعندما سألها أجابت أنه من عند الله....هو رزق وفضل يختص به من يشاء من عباده عندها تحركت في نفس زكريا الرغبه في الذريه الطيبه برغم كبر سنه وزوجته عاقر فكانت تلك معجزه فيها نقله نوعيه

للمجتمع ليري ويشاهد أفعال الله الخارقه لما هو مألوف ثم ذكر بعد ذلك اخبار الله أنه أمر الملائكة

أن تخاطب مريم مشافهه بأن الله اصطفاه لعبادته وطاعته ومحبتة فطهرها بأن جعل قلبها محلا صالحا لاستقبال نور الله واسعفها بعنايته وفي ذلك امتنان بانعامه وإحسانه ورعايته لها من ولادتها وماحصل من إقامتها مقام الذكر وأمره أن يكون زكريا قائما بتربيتها.....واخبرتها الملائكة أنه تعالي اختارها واجتباها بشرف عظيم نعمه مرجوه عليها انتظارها (واصطفاك علي نساء العالمين)

فهو سبحانه وتعالى لم يبين لها عندما أرسل الملائكة ماهي هذه النعمه العظيمه التي اختصها بها فكانت تلك مقدمه فيها تهئيه مريم لاستقبال النفخه العلوية حيث أن ذلك جعلها في شوق لاستقبال هذه النعمه العظيمه التي تنتظرها وترجو حصولها والله قد اخبرها أن عليها أن تستمر بالخضوع والاستسلام لأمر الله فهي الوسيله للوصول الي النعمه المنتظره

وهنا يقول تعالي

(إذ قالت الملائكة يامريم أن الله يبشرك بكلمه منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن

المقربين يكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين)

الأمر الأول

ابتدأت النصوص بذكر إن الملائكة حملت البشارة لمريم

والبشارة هي الخبر العظيم السار الذي يكون فيه خير كثير يفرح صاحبه الذي يتلقي الخبر....

واستعمل هذا اللفظ لأن مريم كانت منتظرة لنعمة ترجو حصولها فقد أخبرها الله عن طريق الملائكة أنه اختارها واجتباها بشرف عظيم نعمه مرجوه لها فيها تفضيل لها علي نساء العالمين (واصطفاك علي نساء العالمين)

وهنا يقول لها أن هذه النعمة العظيمة المنتظرة

ولم يبين لها ماهي وأمرها أن تستمر بالخضوع والاستسلام لله تعالى لتحصل على النعمة

هي أن الله اختارك واجتباك لتكوني أما لمولود عظيم له شأن كبير وخير يعود علي البشرية

والخطاب هنا موجه لمريم البتول الطاهرة التي لم يسبق لها الزواج اي أن الأسباب المادية لولاده هذا الطفل منعدمة بالمنطق البشري لأن إنجاب الطفل يتطلب اقامه علاقه مع رجل وهي منقطعه للعباده فقال تعالى (أن الله يبشرك بكلمه منه)

لم يبين ماهي هذه الكلمه منه....وهذا فيه احتمالان

الاول

أن الكلمه المبشر به هو الأمر الإلهي (وكان أمر مفعولا) اي أن الله تعالى أخبرها أنه سوف يخلق منها ولد من غير بعل ولا فحل كما قال تعالى (أن مثل عيسي عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)

اي أنه مخلوق بلا أب بكلمه من الله من غير وسطه الأسباب المادية

ويحتمل أن المراد بالكلمه البشاره وهو ما قاله تعالى (إنما المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الي مريم)

فيكون المراد بهذا الصيغه والوسيلة التي حصلت بها البشاره لمريم وهو القول إنه يخلق منك المسيح بلا أب فهو البشاره التي سوف تجعلك مميزه علي نساء العالمين التي اخبرك بها سابقا

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعاليعيطنا هذه القصة وتفاصيل اخبار الملائكة بها لمريم بأن الله سوف اختارها لتكون أما لو لاده خارقه عظيمه سوف تهز البشرية وهو ولاده عيسي يقول لنا أن عيسي ابن مريم وأمه مخلوقات من مخلوقاته سبحانه وتعالى وليس كما يزعم هولاء الضالون...فهو سبحانه وتعالى يقول صحيح أن ولاده عيسي كانت تمثل خارقه عظيمه لم يسبق حصولها الا مره واحده قبلها وهي ولاده ادم من العدم وهذا لايعني أنه وامه كانا الهين...وهنا يضع الله بين أيدينا مشاهد مشافهه الملائكة مع مريم لتتهيئتها لاستقبال النفخه العلوية...فنجد أن المولي سبحانه وتعالى يخبرنا

أن الملائكة أخبرت مريم باسم المولود ولقبه وكنيته (اسمه المسيح عيسى ابن مريم) الاسم عيس واللقب المسيح وهذا الاسم معروف لدي القوم لانه كان من عادته الانبياء في بني اسرائيل أن يمسح براس من يخلفه في ذلك فسمي المسيح..

واسمه عيسى وكنيته ابن مريم فقد بين نسبه أنه

ينتسب إليها فهذا هو الفضل الذي سبق أخبرها به أن عليها أن تنتظرها

وفي ذكر نسبه نفي لافتراءات النصارى الذين زعموا أنه ابن الله فاضاف نسبه الي امه

٢

وصفه ومكانته من ربه ومن الناس (وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين)

يقول لنا الله أن حقيقه عيسى ومنزلته من الله هي ماخبرت الملائكة مريم قبل ولادته فهو ليس شريكا لله تعالى و لا الها ولا ابن فهذا افتراء وبهتان ..وانما منزلته أنه تعالى جعل له شرف ومنزله وكرامه ومكانه فقد جعل الله له مكانه في القلوب والاحترام في النفوس عنده وعند المومنين لكن ذلك لا يعطيه صفة الألوهية... وأنه سبحانه جعل له منزله في الآخرة بالشفاعة لمن يشاء الله وبما أعد له من الفردوس الاعلى الذي يسكن فيه المقربين من الله... والإشارة بذلك لأن القرب من الله إنما يكون لمن عبد الله واطاعه وتقرب الي الله بالأعمال الصالحة والإخلاص فنال رضا الله لبيان انه عبد من عبيد الله

٣

تخبر الملائكة مريم أن ولادته سوف تكون مصحوبة بمعجزه عظيمه (ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين)

فهذا فيه تطهير مريم من افتراءات اليهود الذين اتهموها بالزنا...ف الله يقول لها أن ابنك هذا سوف يتحدث مع الناس وهو في المهد اي الفراش الذي يعد للمولود حديثا وهذه خارقه عظيمه

فالكلام هنا أمر غير مألوف ولم تبين الايه ماهو الكلام لكن ذكرت في موضع آخر (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال أنا عبد الله اتني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اين ما كنت واوصاني بالصلاه والزكاة مادمت حي وبر بوالدتي)

وهوما يفسر لنا كلامه في المهد بأنه سوف يكون من كلام العقلاء أصحاب العقول التي قد خاضت تجارب (وكهلا) اي كانك تستمع لكهل له خبره في ما يتحدث به فكلامه ليس كلام الطفل في صباه بلا معني بل الكهل الصالح

وهذا لأن كلامه كان لتبراه امه من افتراءات اليهود..ومن الحكمة عدم استمرارها حتي لاتكون مالوفه للناس وتفقد قيمتها . ولهذا فإنه يفهم أن حديثه لم يستمر بعد ذلك فقد عاد إلي طبيعه البشر أن المولود يتدرج في طفولته خطوه خطوه مثل بقيه الناس

ثانيا

تنقلنا النصوص الي مشهد استقبال مريم لهذه البشاره التي انتظرتها طويلا فهي نعمه كنت ترجوا حصولها وتشتاق لمعرفة ماهي هذه النعمه العظيمه التي اخبرتها الملائكة أنها نعمه عظيمه تميزها عن سائر نساء العالمين ولم تبين لها ماهي لتبين أن ذلك كان في مرحله لاحقه

فجاء الجواب منها (قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسنني بشرا)

أن الجواب منها ابتداء بلفظ الربوبية فهي تعلم أن البشارة من الله وان ذلك فيه فضل ورعايه لها من الله ولهذا فإن السؤال ليس فيه استنكار ولاشك وانما كان السؤال علي سبيل الاستثبات وزيادة الطمئينه فأردت معرفه الكيفيه فالامر خارج عن مألوف البشر فهي لم تتزوج وليست باغيه فالمس بمعني الجماع (اذا طلقتم النساء مالم تمسوهن لان الأسباب الماديه تقوم علي سنن ونواميس فهي تسال كيف سيكون حدوث ذلك الحمل بدون علاقته مع رجل اردت معرفه السر الذي يحصل به الأمر فكان سؤالها رغبه منها في اعاده تشكيل نفسها مع هذا التطور الذي سوف تخوض تجربته تريد معرفه السر لتكون قادره علي التلائم مع الحدث

وهنا يأتي الجواب الإلهي لها

(كذلك الله يخلق مايشاء اذا قضي أمرا فأنا يقول له كن فيكون)

أن الهدف من هذا الخلق إبراز قدره الله للناس واثبات مشئيه الله المطلقة وأنه تعالي لايقف أمام مشئيته شي يقول لها أن ذلك من اسرار الله التي لايعلم بها احد فلا يمكن للبشر رؤيه يد الله وهي تعمل ...

يقول لها ان الإنسان محدود الإدراك والفهم والمعرفة وله حدود لايتجاوزها...وان هذه المعجزه من الله لأن هذا المجتمع قد ابتعد عن الحق فهم قد أصيبوا بمرض الالتزام بقوانين المنطق اللفظي والسنن والنواميس فهم يريدون أن يطبقوا قانونيهم علي قدره الالهيه ويريدون تجنيب المشئيه الالهيه وتدبيره لشؤون البشر والكون نتيجته الطبيعه النفسيه وقساوه القلوب فهم ينكرون القيم والمبادئ والأخلاق الروحانية فقد ازدهرت ثقافه المروغه والرياء والكفر ووصلوا الي موت القلوب والأرواح التي تبعت حياه الأرواح

فهذا المخلوق اوجده الله لاعاده الروح والحياه للناس الذي يكون بالاتصال ب الله فهم أجساد بلاروح

يقول الله أن امره نافذ فذكر (اذا قضي أمرا) والقضاء هو الأحكام لتمثيل الارده المطلقة لله تعالي بأن امره بين الكاف والنون لسرعه حصوله دون تريث وأنه يتم بسرعه

الأمر الثالث

أنه بالوقوف علي الأسلوب الذي وردت فيه النصوص للوصول إلى تناول القصة وتبشير مريم نجد فيه أنه جاء بأسلوب فيه توالي الخوراق بالتصاعيد والتدرج فيها وفق مراحل متتاليه تهدف كلها لتحقيق هدف واحد في النهايه فهي كلها كانت مقدمه لولاده خارقه عظيمه وهي ولاده عيسي عليه السلام فذكرت النصوص الأساليب و الوسائل التي تم تهئيه مريم لاستقبال النفخه العلوية ابتداءً بأن أقامها الله بالقبول الحسن وتربيتها التربيه الحسنه ومن ثم اختصها بالالهامات والكشوفات والكرمات وهو ما أصاب زكريا بالانبهار وتحركت بواعث الرغبه في الذريه الطبيه فدعي الله فجاء الولد الصالح يحي معجزه لانه مولود من اب عمره ١٢٠سنه ومن زوجه غير قادر علي الا نجاب .

ف الله يقول لنا ان إدخال مفاهيم الي حياه الناس تتطلب من الدعاه تهئيه الناس وتوفير الظروف التي تهئ الا استعداد لديهم حتي لا يكونوا غرباء عنهم ولهذا ابتداءً بذكر إن الله فعال لما يريد بالاشارة لقصه يحي التي كانت متزامنه مع ولاده عيسي عليه السلام فهو سبقه بسنه اشهر ف الله يقول لنا انكم بحاجه لمهاره تفقد العدو توازنه وقدرته علي مواصله صناعه الازمات فلا بد من التدرج في تفكيك الازمه ولنا في قصه يحي مثال كمقدمه سبقت و لاده عيسي وبعدها كلام عيسي وهو في المهدي لتبرئته امه فهذه المقدمه لتهئيه المجتمع وايضا فقد كان لسبق مشافهه الملائكة لمريم تزويدها بالطاقه والتجربه التي تجعلها قادرة على استيعاب الموقف خاصه وأنه سبحانه وتعالى أمر الملائكة أن تخبرها بنعمه الاصطفاء التنزيه بالعباده والطاعه والتطهير والإعداد والتربيه...وان تخبرها

بنعمه الاصطفاء التفضيل علي نساء العالمين دون أن يبين لها ماهي ليغرس فيها الشوق لاستقبال النعمة العظيمة التي ترجوها ولهذا كان استقبالها لتبشير الملائكة طبيعي فلم تحدث لديها الصدمة فقد كان التدرج والتنسيق مناسباً لذلك وكان الرد علي مناسباً (كذلك الله يخلق مايشاء) فقال تعالى أنه يخلق بينما ذكر في الرد على زكريا (كذلك الله يفعل مايشاء)

وذلك لأن واقعه زكريا كانت تمهيد وتوطئة لولاده عيسي فهي وان كانت ولاده يحي معجزه لانه مولود لام عاقر عاجزه عن الإنجاب إلا أنه يعد فعل يظهر أنه تعالي فعال لما يريد فهي مقدمه اي فعل لانتقال الناس الي خطوه عظيمه وهي ولاده عيسي التي كانت معجزه وخارقه غير مألوفة بكل المقاييس فناسب ذلك صيغه (يخلق) لانه يوجد من العدم مثل ادم

ثانيا

لقد كانت ولاده يحي تفتيت لازمه اولئك الذين انبهروا بالماده وابتعدوا عن القيم الروحانية فكان بدايه ذلك بكسر السنن المتعلقة بالافعال فكان إنجاب يحي من ام عاقر لظهار أن الله فعال لما يريد ثم كان حدوث الخارقه لإثبات أن الله خالق الإنسان والأسباب وفاطرها وخالق الناس والسنن والنواميس وأنه سبحانه وتعالى بيده كل شي ليقول لاتغفروا بالحضاره الماديه فعليكم الاهتمام بالقيم والمبادئ الروحانية ليحصل التوازن الذي يحقق حياه الأرواح لأن المنهج الرباني الذي يحمله الرسل فيه حياه الأرواح وهنا يقول الله تعالى لمريم أن ابنها سوف يكون به اعاده احياء المجتمع اليهودي ولا بد أنها تسالت كيف يكون ذلك فهي تعلم أن هولاء قلوبهم قاسيه وهم غلاظ الحس ولهذا يقول لها الله (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل ورسولا الي بني إسرائيل

المبحث الأول

من الموكد أن مريم عندما أخبرها الله تعالي أن خلق عيسي معجزه وخارقه لأجل احياء امه اليهود التي انحرفت عن منهج الله وأنه دليل شاهد علي قدره الله وهوسر من اسرار الله يشهد علي قدره الله وإبداعه وعظمته وكماله سبحانه وتعالى فقال لها (كذلك الله يخلق مايشاء... الخ

لابد أنها اردت أن تعرف مستقبل ابنها الذي اخبرها الله أنه سيكون وجيها كيف يتم ذلك وكيف سيكون وقوفه أمام علماء بني إسرائيل المنحرفون الذين استغلوا هذا العلم لإفساد حياه الناس فقد اتخذوا الدين وسيله للمتاجره وليس كما ذكر أنها كانت في هم مواجهه الناس من الملائمه فهذا القول لاينسجم مع النص الذي جزم أن المساله فيها بشاره من الملائكه التي تبلغ ذلك عن الله والبشاره تسر ولا تأتي بالحزن خاصه من مريم التي تتعامل مع الله وانما الحقيقه أنها اردت معرفه الوسائل التي سوف يمنحها الله لمولودها ليكون وجيها في الدنيا والآخرة فجاء

الأمر الأول

(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراه والإنجيل)

يخبرها أنه سبحانه وتعالى سوف يعلم المسيح فالضمير يعود إلي المسيح والفاعل هو الله تعالي

يفهم منه أن مصدر العلم الذي لدي المسيح هو من عند الله تعالي (عالم الغيب فلايظهر علي غيبه أحد إلا من ارتضي من رسول)

والتعليم قد يكون بالالهام أو الوحي أو التوفيق أو اي وسيله.. فذكر أنه سبحانه سوف يعلمه اربعة اشياء يعلمه الكتاب.. ويعلمه الحكمة.. ويعلمه التوراه ويعلمه الانجيل وهذا فيه اربعة مسائل

المسالة الاولى

أن المهارة الاولى التي سوف يتسلح بها هو أن الله سوف يزوده بمهاره الكتابه التي سوف يعلمه الله تعالى إياها وهي لها معنيين مرتبطين بواقع اليهود ولهذا يصح الاستدلال بكلا المعنيين فالمعني الاول يقصد بها تعليمه الكتابه ف الله يقول إنه سوف يعلمه الكتابه وهو الخط الجميل كما علم ادم الاسماء فكان هذا اشاره الي التفضيل الذي يمنحه الكمال والتفوق علي اليهود الذين كانوا يتباهون بالخط الجميل باليد فهي عندهم من أوصاف الكمال فالمراد أنه تعالى سوف يعلمه الكتابه بلا معلم من البشر وهنا قد يقول قائل اذا كانت القراءه والكتابه من أوصاف الكمال فكيف وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه امي لايعرف القراءه والكتابه... فاعلم ايه المومن أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فيه كمال بحقه... وهو عيب بحق غيره أما الكمال بحقه فهو كما أوضحت الايه الكريمه في القسم السابق أن اخباره بالمغيبات وما جاء به القرآن من أحكام ونظم وقصص وقواعد يستحيل أن تصدر عن شخص امي لايعرف القراءه والكتابه وانما تدل ان ذلك هو كلام الله وأنه معجزه عظيمه

واما المعني الثاني

فهو أن الله سبحانه وتعالى علمه علوم الكتب السماوية السابقه بأنه سبحانه وتعالى متكفل بتعليمه الكتب السماوية والرسالات السابقه وهذه بشاره لها عن حياه ابنها

المسالة الثانيه

يبشرها أنه سبحانه وتعالى متكفل بتعليمه الحكمه... وهي كما نعرف حاله نفسيه تزود صاحبها بمهاره وضع كل شي في موضعه وهي تأتي عن إدراك الصواب من الخطأ فهي نور يرزقه الله عباده... فهي العلوم المختلفه التي ترتبط بالعلم الصحيح الذي يكون محركا وباعثا للارده بالتوجه نحو الأعمال الصالحه النافعه يفهم ويفطن للحقائق وأسرارها فيري ما لايره الآخرون فيضع كل شي في موضعه فهي ترمز للعلم النافع الذي يحكم صاحبه حيث يقوي الارده علي الهوي فيكون عمله وقوله كله حسن فهو العلم الذي يقود الي الايمان (ادعو الي سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنه)

المسالة الثالثه

انه سبحانه وتعالى سوف يعلمه التوراه وهو الألواح التي نزلت علي موسى عليه السلام ف الله يقول إن عيسي لن يلغي دور التوراه وانما هنالك تعديل سوف يحمله عيسي علي التوراه ولهذا يخبرها أنه سوف يعلمه التوراه فهي تعلم أن النبي المبشر به يحتاج الي معرفه التواره فجاءها الجواب

المسالة الرابعه

يخبرها أنه سبحانه وتعالى سوف يعلمه الانجيل وه الكتاب الذي ارسل به عيسي وهي تعلم من دراستها للتوراه أن هنالك نبي سوف ياتي حاملا كتاب الانجيل هو كتاب لإحياء روح التوراه وإعادتها لأداء دورها في الحياه فالتوراه قد تعرضت للتحريف نتيجة قساوه القلوب لدي بني إسرائيل وغلاظتها فقد جاءت الانجيل فيها بعض التعديلات التي تهذب أخلاقهم ونفوسهم

الأمر الثاني

تستمر النصوص بذكر البشاره لمريم بالتكريم الذي اختص به ولدها بعد ذكر تعليمه الكتابه والكتب السماوية السابقه والتوراه والإنجيل يقول لها بالمهمه التي اختص به ابنها (ورسولا الي بني إسرائيل) فالمهمه هي احياء روح التوراه في نفوسهم واخرجهم من حاله الجمود فهم أصحاب قلوب قاسيه مجتمع

اصبحت فيه دور التوراه شكليه والتمسك بها من قبلهم يخفي وراءه مطالب ومصالح ماديه ولأجل أن تكون قوه قاهره تضغط على العوام للخضوع للاكابر والرهبان....ولهذا فمهمه عيسي اصلاح أحوال اليهود وإخراجهم من حاله التمسك بقشور احكام التوراة الي الأخذ باللبب ومن جمود التقليد الي غذاء الروح فهم كانوا لا يؤمنون بقدره الرب ويتمسكون بالاسباب الماديه فقد شكل التقدم والازدهار في العلوم الماديه والطب سبب لانحطاط روح القيم الروحانية فيهم ولهذا نجد أن الايات جاءت معطوفه علي ذكر تعليم الله له الكتابه والكتب السماوية....الخ

فذكرها كحيثيات اعداد عيسي للمهمه وفيها لفت انتباه الدعاه في كل زمان بأهميه دراسته أحوال المجتمعات الماضيه لاعادته تنظيم وتشكيل الأمم فالنصوص تعطينا هذا النموذج كي نتعلم مايجب أن نعد به أنفسنا لاجداث التطور الفعلي بالاستفادة من تجارب الدعاه في هذا المجال فالله يخبرنا أنه قبل أن يرسل عيسي علمه الكتب و الرسائل السابقه مبينا اهميه استيعاب احتياجات المخاطبين والعلل والأمراض وتشخيص امراضهم فأخبرنا أنه علمه الحكمه والتوراه ليكون خلق مجتمع قادر علي الإنتاج فلا يشكل مالمديه من ثقافه عوامل ضغط مانعه من التطور فالداعيه مطالب أن يستعين بنظريات واضحه قادره علي معالجه الأمراض وتلبيه احتياجات التطور واعادته تشكيله ونموه بسرعه واهميه عرض البدائل بمهاره تدل علي خبره القادره علي القيام بأحداث التطور في حياه المستهدفين فقال (والانجيل) بأنها الاداه لاجداث التغيير في حياه بني إسرائيل وهنا يقول المولي سبحانه وتعالى (ورسولا الي بني إسرائيل)لبيان الآتي

١

انه رسولا يحمل شريعته ومنهج التوراه

وذلك لأن أنبياء بني إسرائيل كانوا لا يحملون الشرائع وانما يأتيون محددين لدعوه عيسي فهم مثل علماءنا

٢

أن مهمته احياء روح الإيمان فما جاء به من التوراة هو امتداد لماقبلها وليس إلغاء تاريخ التوراه فهي احياء روح التوراه باخراجهم من حاله الجمود

٣

أن مهمه عيسي تبليغ الانجيل وإصلاح أحوال بطون بني إسرائيل الاثنا عشر القبيله أبناء يعقوب حيث واول رسول من بني إسرائيل هو يوسف وآخرهم هو عيسي

المبحث الثاني

تنتقل النصوص الي استعراض مشاهد تتحدث عن قيام عيسي بعرض المعجزات علي بني إسرائيل وعرض دعوته عليهم (اني قد جئتكم بايه من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهئيه الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذان الله وابري الاكمه والابصر و احي الموتى باذان الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أن في ذلك لايه لكم إن كنتم مؤمنين... الخ

الأمر الأول

أن أول مايشد الإنتباه أن الخطاب جاء علي لسان عيسي اي أنه فيه التفات من البشاره لمريم عن مستقبل مولودها الي الحديث بلسان عيسي مباشره بقوله تعالي (اني قد جئتكم بايه من ربكم) يخبرهم فيه.... أنه جاء إليهم بعلا

امه ودليل قاطع وبرهان ساطع علي صحه نبوته....وهذا فيه بيان الاتي

١

انه من شروط قبول الدعوي أن تقترن بالدليل الموكد صحته فلا تقبل دعوتي بلا دليل ولما كانت سنه الله في ارسال الرسل أن ينزل معهم معجزه وخارقه شاهده علي صدق نبوته والمنهج الرباني الذي يعالج امراض المجتمعات فقد ذكر الله أنه سوف يعلمه التوراه والانجيل فذكر ماهو المنهج الذي ينظم أحوال الناس وواضعهم وشؤون حياتهم بأن ذلك سيكون معتمد علي التوراه في بعض الأحكام وان الأحوال الأخرى التي حمل فيها رساله تعديل سوف يطبق الانجيل وهنا لابد أن مريم تسالت ماهي المعجزه فذكر المعجزات التي جاء بها عيسي

٢

ولما كان من شروط المعجزه أن يعلم أنه اتى به من ظهر عليه لانه لو لم يعلم أنه هو الذي اتى بالمعجزات وظهر ذلك من جهته لم يمكن أن يستدل به علي نبوته

لانه لو تلقي رجل منه سوره فاتي بها بلدا أو أمه وادعي ظهورها عليه وأنها معجزه لم تقم الحجه عليهم حتي يبحثوا ويتبينوا أنها ظهرت عليه

ومن هنا نفهم معني أن وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه امي بحقه كمال وليس نقص وفي حق غيره نقص لانه عندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالقران وظهر عليه وعلم أنه لايعرف القراءه والكتابه ولم يجلس لمعلم وهو الذي اتى بالقران وظهر من جهته فإن ذلك اكبر دليل علي أنه معجزه فكان علما علي صدق نبوته فصارا علمنا بهذا بالضروره فصار حجه علينا

ولهذا فقد أراد أن يبلغهم انه جاء حاملا المعجزه ليعلم الناس أنه اتى حاملا المعجزه من الله فيقيم الحجه عليهم

الأمر الثاني

أنه استعمل لفظ ايه برغم أنه ذكر عده معجزات من خلق من الطين كهنيه الطير..وشفاء الاعمي والبرص...واحي الموتى والانباء عن مسائل من الغيب (اني قد جئتكم بايه)

المراد بهذا بيان صدق رسالته وايضا قوله (جئتكم) فيه استعمال (جاء)تستعمل للقرب الزماني والمكاني بعكس اتى فهي تستعمل للبعد الزماني والمكاني...ومن الموكد أن كل ايه جاء بها في زمن مختلف عن الأخرى فاستعمل لفظ ايه مفرد أنه عرض عليهم الآيات في أوقات وازمنه متقاربه فكأنه جاء بهن في وقت واحد والمراد بهذا أنه قد جاء بالعديد من المعجزات الباهره لإقناع هولاء لبيان انه رغم كل ذلك فقد كان هنالك قوه قاهره تجذبهم نحو السفول كأنها تسحبهم قهرا كان هنالك قوه خفيه وراء ذلك تشكل ضغطا قاتلا فهي قوبلت بإصرار عجيب تدل ان امه اليهود فقدت قدرتها على المبادرة بالتغيير فوجد تذييل النص بالتعقيب (أن في ذلك لايه لكم إن كنتم مؤمنين)

وقال بعدها (ومصدقا لما بين يدي من التوراه ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجيئتكم بايه من ربكم)

فانتم بحاجه الي التقوي وخوف الله لاعاده ترتيب الاحساس لديكم لتشعروا بالمسؤليه لأن القوه القاهره التي غرسها في نفوسكم الفاسدون الذين حرفوا التوراه وادخلوا فيها الأكاذيب والباطيل وجعلوا منها عقيدته تمنعكم من القبول بالحق واتباعي ليس هو الطريق المستقيم الذي حمله جميع الرسل (أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

الأمر الثالث

يخبرهم أن الآيات هي من ربهم (ايه من ربكم)

ليبان ان ماجاء به ليس من عنده فهو مبشر ونذير وان هذه المعجزات من الله اعتناء بكم ورعايه منه سبحانه وتعالى فهي خوراق من الله لبيان ان مهمته هز الانذار وأنه قد أقام عليهم الحجه لأن الغالب علي حياه بني إسرائيل في زمن عيسي هو التقدم في الحضاره الماديه وأنه واكب ذلك انحطاط في القيم الروحانيه فارهم من المعجزات من جنس مالديهم بالاختراعات والطب ويتضح أيضا أن تأثير الحضاره قد جعلتهم لايومنون باراده وقدره الخالق سبحانه وتعالى ومشيتته وانهم يتمسكون بالاسباب الماديه والسنن ولهذا فقد كانت مجموعه معجزاته التي ايده الله بها فيها اعلان بطلان تلك الأسباب وإعلان لقوه الله وارادته ومشيتته المطلقه وأنه فعال لما يريد وان فيها تربيته وتهذيب للناس وإعاده تشكيل عقولهم ونفوسهم وتنقيته من الأوساخ ليكونوا قادرين على التعاطي مع مصادر القوه والطاقه الحقيقه والخروج من حاله الانخلاع الناتجه عن التعلق بالماده

المبحث الثالث

يبدأ عيسي عليه السلام بعرض المعجزات التي ايده الله بها فذكر معجزه انشاء الحياه وعلاج وشفاء امراض مستعصية (الاكمه والابرص) واعاده حياه الموتى والانباء عن مسائل الغيب المتعلقة بحياتهم الشخصيه ولايطلع عليها احد لقطع الأعدار عليهم وبالوقوف علي مدلولات تلك المعجزات نجد

المعجزه الاولي

(اني اخلق لكم من الطين كهئيه الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذان الله)

حيث نجد أن النصوص تبين لنا مراحل تلك المعجزه ...

١

أن عيسي عليه السلام يصنع لهم من ماده الطين تمثال بشكل طائر من الطيور

٢ ان عيسي ينفخ فيه

٣

انه بعد ذلك يشاهد الطير يطير ويكون له الحياه مبينا أن ذلك يعود لارده الله ومشيتته

الأمر الأول

أن النصوص تبين لنا أن هنالك فرق بين خلق الخالق سبحانه وتعالى وخلق المخلوق ذلك أن الخلق يعني اليجاد و الإبداع والابتكار ولهذا فإن قول عيسي لهم (إني اخلق لكم) وهو مخلوق

لايراد به الخلق بمعني التكوين والإبداع وانما هو يقصد معني التقدير والتسويه لكم اي اقدر أن أشكل لكم صورته مثل صورته الطيرحيث أن خلق الخالق سبحانه وتعالى تعني اليجاد من العدم...أما المخلوق فاخترعه للشي انما يكون من موجود من ماده موجوده أما خلق الله فهو من لاشي ولهذا نجد أن عيسي يقول لهم انه سوف يصور لهم من الطين شكل مثل الطير...وهذا يعني أنه من ماده الطين وليس من العدم وأنه اي عيسي نفخ فيه فهل تلك النفخه هي التي وهبت الحياه للطير لا

وانما ارده الله واذنه فقال (فيكون طيرا باذان الله) ولهذا يقول الله تعالى في موضع آخر (فتبارك الله احسن الخالقين)

الأمر الثاني

أن النصوص فيها اعلان قدره الله وكماله وابطال ماتعلق به اليهود من الأسباب والسنن والنواميس فهو يقول أنظروا إلى معجزه الله التي ايد بها عيسي فكل إنسان قادر علي صناعه تمثال فهل يستطيع أن يعطيه الحياه الحقيقيه ؟

الجواب يأتي من عيسي فهو يبين لهم ان دوره مقتصر علي عمليتين تشكيل صورته كهيئة طير من الطيور من ماده الطين ثم النفخ فيه ..ولكن ماصنعه ليس طيرا في الحقيقه وانما هو تغير الاشياء وتحويلها فلم اتي بشي من عندي وان ذلك أمر باستطاعه اي انسان أن يقوم به فهو ليس معجزه وانما المعجزه هو أن تدب فيه الحياه فيصير طيرا يطير وهذه الحياه التي سرت في الطير إنما كانت بارده الله ومشيئته واذنه فقال (فيكون طيرا باذان الله) حينها يصير طيرا تشاهدونه يطير فمن الذي أعطاه الحياه الجواب هو الله تعالى

الأمر الثالث

أن قوله تعالى (فيكون طيرا باذان الله) فيه إثبات أن قوه الله وقدرته هي المؤثره وليست الأسباب ولهذا نجد أن عيسي يقول ا مشاهده الناس للطير

وهي تطير ليس لأنه صنع الصورة وانما المعجزه في النفخ وهذا فيه تطهير عيسي وأمه من افتراءات اليهود (ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) فالنفخ هنا هو المعجزه فقد صار الطائر يطير ولهذا اعترف عيسي بأن ذلك (باذان الله)للدلاله أنه صناعته وانما هو من قوه الله

وبالتالي فان الله سبحانه وتعالى أراد بهذا الفعل الخارق للعادة والغير مألوف للبشر اظهار معجزه عيسي عليه السلا م وإعلان ابطال الأسباب الماديه التي تعلق بها اليهود وإظهار أن قوه الله هي المؤثره

الأمر الرابع

فيه إثبات أن عيسي عبد من عبيد الله وان الله أرسله الي الناس لإصلاح أوضاع البشرية وإعادتها الي الإيمان وأن يمتثل الناس أمر الله تعالى فهو يقول إنه قام بتصوير شكل الطير من الطين باذان الله وفيه إذن شرعي واذن كوني وأما الاذن الشرعي أن المومن لايفعل شي الا بعد أن يجد الاذن الشرعي الذي فيه بيان أنه حلال وليس محرما

لمن قال بحرمة التصوير...وايضا فيه إذن كوني وهو أن حصول المعجزه هو لاعاده الناس الي التوحيد فقد أراد الله اظهار كماله والتجلي بقوته وقهره ليري الناس كمال الله تعالى حيث أن الخارقه كانت معجزه بكل المقاييس ابتداءً من إيجاد الطير فهو مخالفا للعادة فالطين لا يولد طيرا وانما تفقس البيضة ولا يطير الا بعد مده حيث يترعرع وتقوي الاجنحه...ولان ذلك من قوه الخالق سبحانه وتعالى نجد أنه ذكر (الا باذان الله)فجاء هذا القيد حتي لا يظن ظان أن عيسي يخلق فجاء القيد لمنع ذلك التصور الخاطئ

الامر الخامس

أن المولي سبحانه وتعالى يقول للدعاه أن عليهم الاهتمام بالاساليب والوسائل لعرض الدعوه ويجب أن تستعين بما هو معروف للناس ومالوف لهم للوصول إلي ما هو غير مألوف لهم لان غياب التدرج والأساليب والوسائل قد تجعلك غريبا عنهم فتكون عاجزا عن القيام بالمهمة ولهذا نجد انه خص ماده الطين أنه يشكل صورته الطير)

والله قادر علي أن يحقق ذلك بكلمه كن فيكون

فإن هذا يعود إلي حكمه الله لتعليم الإنسان وغرس القيم والمبادئ فيها باستعمال وسائل وأساليب قادره علي تحقيق الغرض

لان علم الانسان محدود وإدراكه للأشياء لا يخرج عن نطاق الحس فعندما يسمع كلام يبحث في مخزون عقله عن معاني تلك الأشياء كي يرسم لها صورته في ذهنه فإذا لم يجد لها صورته يحاول الاجتهاد فيحاول الاستعانه باي شي يعرفه قريب من الشئ الذي لا يجد في مخزون فكره صورته له وهذا الأمر قد يشكل خطوره علي الإنسان ولهذا فإن من لطف الله وعطفه وإحسانه ورحمته أنه سبحانه وتعالى أن لا يظهر قدرته للإنسان الا بطريق التدرج ف الطين ماده معروفه لدي الناس وهي ماده يمكن أن يتم تشكيل صور واشكالها لاي نوع من الكائنات (النحت)

فتكون تلك الصوره المنحوتة قريبه الي الذهن فهي تعطيهم صورته تقريبه لكيفيه نشاه الحياه فهذا الجسد مصنوع من التراب فهو لا يكون مخلوقا حقيقه لانه جماد...فماهي المعجزه أنها النفخ فهو عندها تراه صار طائر يطير في الهواء تشاهده قد دبته الحياه...فعملية تشكيل صورته طير من الطين يقدر عليها عليها كل انسان لكن المعجزه هي النفخ وهذه قدره اختص الله به نفسه

ولهذا يعترف عيسي أن ذلك هو باذان الله لبيان ان الفعل ليس من صنعه فهو بشر وانما من صنع الله فهو فيه تجلي قدره الله أمامهم لازاحه ما فيهم من شبهات فالداعيه لا بد أن يعرف امراض المجتمعات ويأتي بمنهج لعلاج تلك الأمراض وان عليه أن يتدرج في عرض الفكره واحسان استعمال الوسائل السليمه فهذه المقدمه الاولييه التي قام بها عيسي هي لإيصال الفكره وذلك لأن بني إسرائيل كانوا متمسكون بالاسباب والسنن والنواميس ولهذا كانت تلك المقدمه الاولييه للوصول إلي تحقيق الهدف من خلال وسائل معروفه لهم لمنع الصدمه فكان ذكر ماده الطين وتشكيله الطير منها مقدمه لإثبات أن الله تعالى له الكمال وأنه خالق الكون والأسباب وفاطرها وهو فعال لما يريد يقول لهم بمثل ما خلق الله الحياه في الطير بالنفخه وخلق آدم من التراب فإنه تعالي خلق عيسي بلا أب فلا توجد أسباب تقف أمام قوه الله وقدرته فهو فعال لما يريد

المعجزه الثانيه

(وابري الاكمه والابرص)

ذكر أن الله سبحانه وتعالى أعطاه معجزه وخارقه أنه تكون علي يده شفاء امراض مستعصية والاكمه قيل بأنه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل وقيل إنه الاعمي المولود مضموم العينين والابرص مرض يصيب الجسم بفقدان ماده اللون للجسم فيصير ابيض وهو يخبرهم أنه قادر علي علاج تلك الأمراض وهي في زمانهم لاعلاج لهما ولا يقدرن عليها

ولهذا فقد كانت المعجزه مناسبه لزمانهم فهم أيضا كانوا يعرفون الطب وأساراه فهو لم يتحددهم فيما لأعلم لهم به

وهنا قد يتبادر الي ذهنك سؤال فتقول إن هذه المسألة من العلوم التي ترتبط بالسنن واكتشاف الدواء نتيجته البحث والتجربه فكيف أطلق عليها معجزه وخارقه

الجواب

أن أساس الاختراع والعلاج هو استعمال مواد وعقاقير وإجراء عمليات جراحية مثل استبدال القرينه وغيرها لتجعل شخص اعمي يري بينما علاج عيسي كان بالدعاء الي الله تعالى فهل يقدر الأطباء علي علاج الاعمي والا برص أو حتي مرض الحمي بكلمه الدعاء

فالله يقول لنا أن مالدي الناس من الاختراعات والاكتشافات العلميه فانها تقوم علي معرفه الاسباب والمسببات بـ البحث والدراسة والتحليل

أما معجزه الله فهي تكسر قوانين السنن والأسباب لانه تعالي خالقها فعندما نعرف أن معجزه عيسي كانت أنه يعالج تلك الأمراض بالدعاء والتضرع لله فاننا ندرك أنها كانت معجزه وخالقه بكل المقاييس

المعجزه الثالثه

(واحي الموتى باذان الله)

نجد أن هذه المعجزه المتعلقة باعاده الموتى الي الحياه أسند فيها الفعل الي قدره الله تعالي بخلاف ذكره علاج الا كمه والابرص...وذلك لأن الشخص عندما يري علاج مثل هذه الأمراض قد يتصور أن ذلك يعود لعلم لدي عيسي ف العقل لايستبعد قدره الشخص علي العلاج لأمراض مستعصيه ويرجع ذلك لعلم اكتشفه المعالج لكن عندما يشاهد معجزه احياء الموتى أمامه فإنه يدرك أنه لاقيمه للأسباب أمام قدره الله ولهذا اتبع قوله باذان الله (واحي الموتى باذان الله)

المعجزه الرابعه

(وانبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم)

اي اخبركم بما تأكلون من الاطعمه في حال اننا لم اشاهد كم ولم أكن معكم ولم يخبرني به أحد وما تخبونه غيبا علمني الله إياه من غير حساب ولاعرفه ولاتنجيم ولا كهانه فاستعمل لفظ النبء لبيان ان اخباره بالغيوب يختلف عن اخبار الكاهن والعراف والمنجم

لأن الكاهن والمنجم لايد له من مقدمات يرجع إليها وهم يستعنون بواسطه النجوم وعلم الحساب وواسطه الجن فهم أيضا يلجأون إلى الأسباب المتاحه لهم وهم قد يصيبون وقد يخطئون

أما اخبار الغيب هنا فهو وحي من الله تعالي بلا حساب ولا مقدمات ولا واسطه

المبحث الثالث

تأتي النصوص بالتعقيب علي ماسبق بقوله تعالي علي لسان عيسي عليه السلام (أن في ذلك لايه لكم إن كنتم مؤمنين)

أن هذه الايات من إنشاء الحياه والعافيه واعاده الحياه للموتي واخبار الغيوب هي علامه واضحه ودليل علي صدق نبوته وبرهان ساطع علي وحدانيه الله

أن هذه الايات والمعجزات كفيله بإبطال تعلقكم بالاسباب والنواميس والسنن الماديه كفيله بأن تجعلكم عارفين بـ الله وكماله وجماله وجلاله وعظمته وإبداعه وقدرته وان قوته هي المؤثره والفاعله وان الأسباب الماديه لاقيمه لها أمام قدره الله حتي الأسباب الطبيعيه في الأحوال العاديه فهي بيد الله

ولهذا يبين أن مسألة كفرهم وجحودهم ليس لنقص الدليل ولا غموضه وانما يعود إلي عدم الاستعداد منهم لقبول الحق فالذي فقال (إن كنتم مؤمنين) كما قال تعالي (وماتغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

رابعاً

(ومصدقا لما بين يدي من التوراه ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم وجيئتمكم بايه من ربكم فاتقوا الله واطيعون)

المبحث الأول

تبين النصوص أن الداعيه بحاجه الي حسن اداره الازمه التي تعيق حركة العمل الايماني من خلال التعامل السليم مع العناصر المؤثره في صناعه الازمه والعناصر التي يمكن أن تشكل قوي داعمه في احتواء الازمه وتفريغها والحد من قوه آثارها ولهذا نجد

الأمر الأول

أن عيسي عليه السلام يقول لقومه

(أن في ذلك لايه لكم إن كنتم مؤمنين)

فهو يحاول تفتيت عناصر الازمه فالناس ينقسمون الي فريقين مومن مذعن لأمر الله وفريق كافر جاحد وهنا نجده يخاطب بني إسرائيل الذين سبق وأن قال لهم (اني قد جئتكم بايه من ربكم) فقال (جئتكم بايه)لانه في موقف الانذار وفي الثانية قال (لايه لكم) يكررها لأجل أن ترسخ في أذهانهم فيقول إن الآيات واضحه وهي تكفي لإخراج ما في نفوسكم من شبهات فلم يعد هنالك حجه

يقول لهم أن مقتضي الايمان الذي تدعون أنكم عليه وهو التوراه يوجب عليكم اتباع أوامر الله فالإيمان يقوي الفكر ولا يضعفه فهذه المعجزات والأمور العظام توجب عليكم اتباع ماجيئكم من دعوه الحق التي فيها اعاده روح الإيمان الي قلوبكم

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه تحرير النفوس من القيود المفروضة عليها من خلال تحطيم تلك القيود وان ذلك يحتاج الي حركه متانيه لأن الحركه السريعه قد تودي الي اثار سلبيه وتفاقم المشاكل ولهذا نجد أن عيسي وجد عناد من قومه رغم المعجزات وزعموا انهم ليس لهم حاجه بكتاب جديد فهم عندهم التوراه (نومن بما أنزل علينا ويكفرون بماوراءه)

ولهذا فقد كانت حاله جمود افكارهم نتيجته التحريف التي وضعها أصحاب المصالح في التوراه وشكلت قيود منعتهم من قبول ماجاء به عيسي ف الله يقول لنا أن انزال بعض الأمور منزله العقيدته تشكل قوه قاهره للمعتقدات وهي تخفي وراءها ضغطا قاتلا يريد من وضعها أن تشكل قلب يمنع احداث حركه التغيير ولهذا لابد من تحطيم هذه القيود التي يضعها أعداء الحق

وهنا نجد أن عيسي عليه السلام

يقول لهم أن أعراضهم يتنافي مع ادعي الايمان بالله وانهم علي دين موسي يقول لهم كيف يكون الحديث عن حب الخير الذي حمله موسي والحديث عن الأخلاق في نظام يرفض القبول بدين الله الواضح (إن كنتم مؤمنين) فالإيمان يوجب القبول بأمر الله فما هو سبب هذا التردد والاضطراب منكم فهو أمر غير مقبول ممن يدعون المعرفة بالاديان

يقول لهم (ومصدقا لما بين يدي من التوراه ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) أن الانجيل جاء موافقا للتوراه مع تعديلات بأحوال ترفع عنكم القيود التي وضعت عقوبه لكم وقد جئتمكم بمعجزه تثبت صدقي نبوتي فلماذا هذا الجحود منكم (وجئتمكم بايه من ربكم) ثم يدعوهم الي خوف الله وخشيته وأتباعه (فاتقوا الله واطيعون أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)

ليان ان طاعته هو خضوع واذعان وتسليم لله فالتوحيد هو الدعوه التي حملها جميع الرسل والأنبياء عليهم السلا م وان الغايه من ذلك والهدف واحد لهم جميعا وهو معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده سبحانه وتعالى فهذا هو الطريق الوحيد الذي يصل فيه العابد الي الله

الأمر الثالث

أن النصوص تبين اهميه المصارحه ومواجهه المستهدين بالحقائق فعيسي يقول لقومه أن الإيمان يوجب عليكم القبول بالدعوه الي التوحيد ولهذا يقول لهم أن حقيقه المحرك لما انتم عليه من الاضطراب وما أنتم فيه من حاله الجمود وسكون أو حركه سلبيه الفاعلية أو نضال يعبر عن البلاده والغباء ناتج عن الخوف النابع من الشعور بفقدان المصالح الماديه والامتيازات التي يحظي بها البعض من المتاجره بالدين

ولهذا يقول لهم ماهو وجه الاعتراض منكم هل هو المنهج الانجيلي وقولكم أن التوراه تشكل قوه ضاغطة تمنعكم من القبول بالانجيل وأحكامه وان ايمانكم بالتوراه تفقدكم القدره علي التغيير وتمنع التوافق مع المشروع الذي جئت به اليكم من الله

فإن هذا القول منكم كلام في غير محله لأن هذا المنهج هو من عند الله الذي أنزل التوراه وهو متفق مع التوراه وليس فيه مايتعارض معها (مصدقا لما بين يدي من التوراه) فالقاعده التي أمرت أن أقوم بإصلاح احوالكم هي احكام التوراه فهي قاعده الصمود التي توفر قوه الثبات والصمود وبوابه بناء الحضاره والارتقاء بكم (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم) فهذا التعديل لمواكبة التطور الذي طرأ على امه بني إسرائيل وإصلاح أحوالكم التي فسدت فهو فيه الارتقاء بكم فالله اراد ان يعيطكم منهجا يرتقي بكم ويصلح سلوك اليهود الناتج عن الإفراط في استخدام قوه الغضب فهو عنايه لكم من ربكم

فدلت النصوص أن الانجيل جاء مكملا للتوراه وان الأديان كلها تهتم بجميع شؤون الحياه فقد كانت التوراه لها دور في الحياه في شريعته عيسي وكان للانجيل دوره أيضا وليس كما يصور البعض أن النصرانيه دين اخلاق فقط بدليل قوله (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم)

الأمر الخامس

تبين النصوص أن علي الداعيه معرفه احوال وافكار المستهدين وإدراك كفيته التخاطب مع الجماهير بمعرفه الخلل لديهم

ولهذا نجد أن عيسى عليه السلام يناقش الموضوع من جميع جوانبه فهو يبين أن الانجيل منهج يتفق مع التوراه ومكملها للارتقاء بهم فهم بحاجة الي التسامح وقوه الحب والسلام فحاءت الانجيل بأحكام ترفع عنهم القيود في هذا المجال لأن شريعته التوراه جاءت لرفع معنويات اليهود الذين عاشوا في الذل والمهانة في مصر فكان الا هتمام بتقويه قوه الغضب وبعد أن كان منهم المغلاة في استخدام هذه القوه جاء عيسى بشريعته التسامح وتقويه قوه المحبه ولأن اليهود قد فسدت لديهم قواهم نتيجة ذلك

فهم اردوا أن يطلقوا صفات الخالق علي البشر بالتشبيه والتعطيل لصفات الخالق سبحانه وتعالى وانكروا القيم الروحانية والأخلاقية يخبرهم عيسى أن التعديل هو للارتقاء باليهود فهذه الفروع مهمه لبناء الحضاره الجديده ولهذا يقول لهم أن المعجزات التي أيدت رسالته فيها اظهار كمال قدره الله تعالى فاللازم عليكم العوده الي التوحيد وترك التشبيه والتعطيل لصفات الخالق سبحانه وتعالى فهو ليس كمثله شي وهنا يرتب علي ذلك الأمر الذي يلزم بالشعور بوجود الله يقول (فاتقوا الله واطيعون) أن استعاده فاعليتكم ودوركم في حمل رأيه الهدايه لتكونوا مومنين حقا يقتضي عليكم الانتقال من معرفه وجود الله الي مرحله الشعور بوجود الله والعرفان باطلاعه علي كل شي وهذا العرفان يقتضي خشيه الله والخوف من مخالفه الله يعني الحياء من رفض أمر الله وانت تعيش في انعامه وإحسانه وملكه أن رؤيتك قدره الله ومعجزته والتي منها معجزه ولاده عيسى توجب الشعور بقوه الله وقدرته وبالتالي

محبه سبحانه وهذا يوجب طاعه الرسول وأتباعه والاقتداء به وعيسى هنا يبين أنه رسول له حق الإلتباع (فاتقوا الله واطيعون)

ثم ختم بدعوتهم الي الإقرار بالتوحيد لله بالاعتقاد بالقلب واللسان والجوراج فقال (أن الله ربي وربكم فاعبدوه) فمعرفه الله هي اساس الدين لكن هذه المعرفه تستوجب محبه الذل والانكسار والوقوف أمام الخالق بمشاعر الا فتقار والحاجه الي الله مبينا أن هذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى الله واليوم الآخر فأنت مسافر إلي الله والدار الآخرة والطريق الموصل لذلك هو المنهج الرباني الذي يحمله الرسل لاقومهم فجميع الرسل حملوا رساله الاسلام الدعوه الي التوحيد فمن يعرف الله من دون تنزيه تكون معرفته ناقصه وهي معرفه لاقيمه لها فكمال التصديق تكون بالإيمان بالله ايمان العارف بالله بالقول والفعل بامتنال أمر الله وافراده بالالوهيه والعبوديه والربوبيه وكمال الصفات والافعال بدون تشبيه ولا تعطيل نومن باسماءه وصفاته التي أخبرنا بها في كتابه فهذا هو الطريق المستقيم

القسم الخامس

(فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الي الله قال الحوريون نحن أنصار الله امنا ب الله واشهد باننا مسلمون ربنا امنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذا قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الي يوم القيامه ثم الي مرجعكم فانبئكم فيما كنتم فيه تختلفون فما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم والله لا يحب الظالمين)

اولا

أن أول مايشد الإنتباه أن النصوص وردت في معرض بيان رده فعل بني إسرائيل علي دعوه عيسى لهم الي التوحيد والاستسلام لأمر الله تعالى وترك التعلق بالاسباب والماديات والقبول بالتعديل الذي حملته الانجيل لإحياء روح التوراه والتجديد لها ورفع القيود التي فرضت عقوبه لهم علي ما حصل منهم.. وان ماجاءت به الانجيل فيه تحقيق النمو والتطور واستعادة فاعليه بني إسرائيل المفقود وكان ذلك بعد أن عرض عليهم المعجزات التي تبطل تعلقهم بالماديات وماكان منهم من تعطيل الصفات والافعال للخالق .. فجاءت المعجزات تعلن قدره الله المطلقه

تهدف إلى استجلاب الاقتناع منهم بعقيدته التوحيد التي حملها جميع الرسل والشعور بعظيمه الله وتدبيره لكل شئ والتوقف علي اسماءه وصفاته التي وصف به نفسه وأن عليهم أن يتوقفوا عن إطلاق صفات البشر علي الخالق سبحانه ف الله ليس كمثل شي فقال لهم (فاتقوا الله) أن عليهم الشعور بقوه الله ورقابته... وامتثال اوامره واجتناب نواهيه سبحانه وتعالى.. وان ذلك يكون باتباع الرسول (واطيعون) فهو يحاول إقناعهم بالفكره وبشخصه فيبين لهم أنه ليس له اي غرض مادي وان ماحاء به هو المنهج الرباني الذي حمله جميع الرسل فقال (أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) فجميع الرسل حملوا رساله التوحيد والدعوه الي معرفه ومحبتة وعبادته وتوحيده (ومارسنا قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)

ولابد أن كل من يقرأ الآيات ينتظر معرفه ماهو رده فعل بني إسرائيل من دعوه عيسي هل آمنوا ام كذبوا

فالنصوص لم تذكر رده فعلهم صراحه وانما طرحت للسامع أن يفهم ذلك من خلال عرض موقف تذكر فيه أن عيسي عليه السلام احس منهم الجحود والتكذيب والكفر فقال تعالي (فلما أحس عيسي منهم الكفر)

والاحساس هو شعور وجد فيه عيسي ذلك وهو يطلق علي العلم بالسمع كان يكون قد سمع منهم الكفر والجحود وقد يكون سمع منهم كراهيه الحق والاحساس يوحى أن هنالك خطر محقق علي الدعوه وشخص عيسي وانه مستهدف وقد يكون بالنظر الي أفعال الناس ما يفهم معه أنهم غير قابلين للدعوه وانهم يقومون بأفعال تهدف إلي إلحاق أضرار بالدعوه والدعاه المهم هنا أن النص فيه أن عيسي وجد من بني إسرائيل الكفر وهو ماجعلنا ندرك حقيقته رده فعل بني إسرائيل

وهذا الأسلوب يهدف الآتي

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يعيطننا هذا النموذج الذي يعرض قصه تعامل سيدنا عيسي مع رده فعل بني إسرائيل يهدف إلى تربيته الدعاه في كل زمان علي كيفية حمل دعوه الحق الي الناس فيقول لهم أن علي الداعيه أن يكون في يقظه وفطنه من خلال معرفه حقيقه العدو الذي سوف يقف في وجه الدعوه وفهم المرحله وان تدرك أن للباطل أنصار وأهداف وغايات وسياسات وأدوات فعليك أن تدرك أنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي أما م دعوه الحق فهم سوف يصنعون الازمات التي تفتك بالدعوه والدعاه ويحاولون تغيير مسار اتجاه الدعوه أو اعاقه حركتها و القضاء على عناصرها

ومن تكمن اهميه معرفه القوي المضاده المتسببه في الازمه والصناعه لها وقدرتها وإمكانياتها فهو أمر مهم لاحتواء الازمه قبل حلولها

فيجب عليك دراسته أحوال المستهدفين وظروفهم لمعرفة حركتهم واغرضهم ولهذا نجد أن النصوص تبين أن عيسي فهم من احوال بني إسرائيل مايدل علي الجحود والتكذيب والكفر فقال تعالي (فلما أحس عيسي منهم الكفر)

مع أن هنالك من امن كما نعلم من موضع آخري من القرآن

فأراد الله بهذا اظهار فهم عيسي لرده فعل القوي المؤثره في حياه بني إسرائيل حيث أن النصوص ترسم الصوره التي تشكلت في ذهن عيسي عليه السلام عن صانعي القرار في بني اسرائيل بأنهم رافضون للحق وهو هنا يشير إلي العلماء والاحبار والقاده الذين لهم قوه تأثير على الاغلبيه من الناس فنسب إليهم الكفر وان عيسي فهم ذلك فعرف منهم صانعي الازمه والمتسببين فيها فأدرك أنهم مكذبون وهو ما جعله يشعر بخطوره الموقف فلجاء الي التخطيط لمواجهة التحديات واحتواء الازمه والحد من آثارها

المفهوم الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لكل مسلم انت داعيه لدين الحق ولهذا مطلوب منك أن تكون في يقظه تجعلك قادرا على ااداره الازمات التي سوف يصنعها الأعداء في طريق الدعوه فأنت تحمل هدف الايمان ولا بد أن أصحاب المصالح التي تتعارض مع هدف اخراج الناس من ظلمات الكفر الي نور الايمان سوف يستغلون مالداهم من قوه تأثير علي المجتمع لصناعه أزمات تفتك بالدعوه والدعاه ويحاولون شل حركة العمل الايماني من خلال الدعايه الا علاميه وإعلان الحرب المسلح فعليك الاحساس انك في معركه مع الباطل وان هذه المعركه تقتضي منك جمع المعلومات عن العدو وتحركاته وتحليل ذلك بما يتفق مع المنطق للوصول إلي الاستنتاج السليم الذي تعرف به النتائج من خلال الوقوف على المعطيات المتاحة لتعد الخطط المناسبه لمواجهه التحديات قبل وقوعها

ثانيا

أن من أهم الأغراض التي تطرحها الآيات علي الداعيه وكل مومن من خلال الوقوف على الأسلوب الذي وردت فيه النصوص (فلما أحس عيسي منهم الكفر.... الخ هو تربيته المومنين من خلال الاستفادة من تجارب الذين حملوا المشروع الايماني ولهذا ينبغي علينا أن ندرك الاغراض والدروس التي تعطينا إياها النصوص

الدرس الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن الازمات التي يصنعها الأعداء ضد أهل الحق يسبقها عاده إشارات انذار تحذيرية فيقول لنا أنه يجب عليكم التقاط تلك الإشارات سواء كانت مبكره أو متزامنه مع الازمه أو متقدمه فانتم بحاجه الى التقاط الإشارات لتصويب الخلل وسد الثغرات والفجوات التي يريد الأعداء النفوذ منها ولتكون في حاله استعداد لمنع حدوث الكارثه وآثار الازمات التي يصنعها الأعداء....ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى اكتفي بذكر إن عيسي احس من بني إسرائيل الكفر لبيان رده فعل بني إسرائيل علي دعوه عيسي لهم الي التوحيد وإصلاح أوضاعهم الفاسده.... فقال تعالي (فلما أحس عيسي منهم الكفر)اي وجد رده فعل بني إسرائيل ما علم وفهم منهم الكفر والتكذيب

والاحساس يعني معرفه الشي بالحاسه حيث قيل إنه سمع منهم الكفر ومايفيد كراهيه هولاء للحق فإدراك أنهم يعدون أنفسهم لاستئصال ومنع انتشار الدعوه فأحس أنهم يدبرون المكاييد فأنتم تقول هل تحس من فلان خير فقد ذكر أنهم كانوا يجتمعون عليه ويسخرون منه فيقولون أنظروا ماقال أنه يعلم ما اكلت يافلان علي سبيل الاستهزاء وهو ما فهم منه عيسي كفر هولاء فالاحساس بالادراك يجري مجرى المشاهده (فلما أحسوا باسنا إذ هم منا يركضون) والاحساس يطلق على إدراك ذلك علي ماتشاهد من ملامح وجه الكافر وهو يسمع الآيات فالله يقول (تري في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون.... الخ حيث دلت الايه انك تري علي الكافر وهو يسمع تلاوه البعض لآيات الله في وجه النفور والبغض والكراهية فتري ملامح البغض الداله علي أردته أن يببطش بالذي يقرأ القرآن

فهذه إشارات انذار. علم منها عيسي عليه السلام كفر بني إسرائيل والكفر هو التغطية والستر فقد فهم عيسي محاوله فريق صناعه الازمات(الذين بيدهم سلطه القرار في بني اسرائيل) اختراق الجماعه المومنه من خلال استهداف القائد عيسي عليه السلام بقتله وصلبه وانهم يدبرون المكاييد ويخططون لتنفيذ المكيد بعد طرده وأمه لتغطيه نور الحق وسترها عن الآخرين فهم أنهم يريدون تغييب دور الانجيل وعيسي في تصحيح أوضاع بني إسرائيل..وهنا التقط عيسي عليه السلام الإشارات وقام بالاستعداد وسد الثغرات وتحصين الثغور لمواجهه التحديات واحتواء الازمه فقال (من انصاري الي الله)

الدرس الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى عندما حثنا علي التقاط الإشارات التي تحمل انذرات تحذيرية لمواجهة التحديات التي يصنعها الأعداء يقول لنا أن ذلك يقتضي منك التخطيط لمواجهة التحديات واحتواء الازمه بسلاح يناسبها وترتيب الأولويات فقال تعالى أن عيسي عندما أدرك خطورة الموقف وعرف أن العدو يريد استئصال الدعوه من جذورها بقتله وصلبه بحيث لايسمح بعد ذلك ظهور من يحمل منهج التجديد الذي حملته الانجيل بعده لأن الصلب في شريعته التوراه يعني إخراجهم من ملكوت الله وإلحاق اللعنه به فقد لجاء عيسي الي التخفي واعد استراتيجيه لا حتواء الازمه فقال (من انصاري الي الله)

١

أن الخطاب منه يدل أنه قام بإعداد فريق عمل وتجهيزه لهذا الفريق بعد أصبح مطارده ومطلوب لادراكه أنه يحتاج فريق عمل يشاركه في معالجه الازمه وموصله نشر الدعوه ولهذا نجد أن الخطاب منه والجواب يبين لنا أنه أراد أن يطلعهم علي حقيقه الازمه التي يقوم الأعداء بصناعتها لأن خطوره الازمه تكمن في المفاجاه التي تشوش الذهن فتصيب المرء بالعجز عن مواجهه التحديات ولهذا فإن فقدان الازمه لعنصر المفاجاه فيه احتواء المكيد و الحد من قدرتها وعدم اثارها السلبيه بل إن ذلك عنصر لتحويل المحنه الي منحه

٢

اهميه أن يكون هنالك هدف وغايه دقيقه في الخطه التي يتم وضعها لمواجهة الازمات ولهذا نجد أن عيسي عليه السلام يحدد الهدف من طلبه منهم العون بقوله (من أنصاري الي الله) اي من يكون عوني في نصره الله ودين الله فهذا الهدف قادر علي احتواء المكيد التي خطط لها الأعداء لمنع انتشار الدعوه .. وهذا الخطاب يتناسب مع المرحله فهو يحدد أن دعوته لله ولا هدف له سواء إرضاء الله فلا تخافوا الأعداء لأن الله قد وعد بنصره أوليائه فقد قال تعالى (أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وهذا يعطيهم قوه تحصنهم أمام الازمات عندما تحدث فلا يتفاجي الدعاه بحدوثها فلا يصيب أذهانهم اضرار التشويش التي تحدثها الازمه

٣

أن عيسي قد وضع الاستراتيجيه القادره علي مواجهه التحديات ويربط ذلك بالغايه والهدف من دعوته وكيفيه الوصول إلي تحقيق الهدف فقال (من انصاري الي الله)

فحدد أن الغايه والهدف من طلبه وهي أنها تنتهي الي الله فقال (الي الله) أن النصره المطلوبه تكون غايتك هي الوصول إلى الله فلم يقل (من انصاري من الله)

فهو يقول لهم أن تحقيق النصر والنجاح وموجهه التحديات يتطلب منك أن تعرف انك مسافر إلي الله انك تعمل مع الله تعالى...وهو ما يقتضي منك أن تشعر بهذه الصله وأن تعرف أن الوصول إلى الله يستوجب الاخلاص وتنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ والأهواء والشهوات فلا تطلب من ذلك مصلحه شخصية أو دنيوية.....

فالمسألة تتطلب الثبات والصمود وبوابه النصر الإيمان باليقين الجازم فلا تردد ولا ريب لأن ذلك فيه انتقاص العزيمه والهمله وانفساخها ثم عودها وانفساخها فهو في مرحله تقتضي تنقيه الصفوف فمن كان يريد المصالح فيجب إخراجهم من الصف فهو يقول لهم أن الإبتاع القادرين علي القيام بالمهمه ونصره الله ودينه قبل خوض المعركه مع الأعداء لابد أن تكون قلوبهم سليمه خاليه من الأوساخ فيقول للدعاه عليكم تربيته الأنصار علي الاخلاص وان تكون الغايه هو الوصول إلى الله لتكون القلوب سليمه فاللازم الابتعاد عن أخطاء ربط التابعين بالمصالح لأن ذلك يولد ضعف العزيمه وظهور التذمر وقت الازمات فلا بد من وضوح الأهداف وتربيتهم علي الاخلاص فنجد أن الله سبحانه وتعالى يقول لنا في سوره الصف (ياايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال

عيسي ابن مريم للهورين من انصاري الي الله قال الحوريون نحن أنصار الله امنا ب الله... الخ

وايضا لأن ازمه بني إسرائيل ورفضهم القبول بدين الله ودعوه عيسي كان باعث الكفر هو الخوف علي المصالح ولامتيازات التي يحظي بها أصحاب القرار منهم والمؤثرين منهم لأن العوام تابعين لهم ولاراي لاغلبيتهم ولهذا نجد أن النصوص ذكرت فهم عيسي كفر بني إسرائيل من معرفه احوال أصحاب القرار المؤثرين في المجتمع فدل أن الذين توجه إليهم عيسي بالخطاب من انصاري الي الله هم الخالص وهم قله قام عيسي بدعوتهم سرا وتربيتهم

الدرس الثالث

تبين النصوص اهميه اختيار فريق العمل الذي لديه خبره ومهاره للقيام بالمهمة بعد تحديد الهدف والغاية... واهميه تقدير الموقف وتغيير أسلوب العمل بما يتناسب مع المرحلة

وهذا أمر واضح بالنظر الي خطاب عيسي في التبليغ حيث نجد أنه خطاب عام أما بعد أن أدرك أصبح مطارد ومطلوب للأعداء ويشكو قله الأنصار فقد توجه بالخطاب الي النخبه فريق العمل الذي أعده سابقا لهذه المرحلة وهم اصفياء القوم فقال (من أنصار الي الله)

فأراد معرفه فهم أصحابه للغايه والهدف ووسائل تحقيقه وتبصيرهم بالمهمة وتحديد الوسائل لمواجهة التحديات والصعوبات التي يخطط لها الأعداء فالنداء هنا للخلص من تلاميذه وليس بني إسرائيل فعرفهم الله بأنهم الحوريون (قال الحوريون) وتعددت التفاسير بشأن معني هذا الاسم لكن الذي يفهم أنها صفة اتصف بها تلاميذ عيسي النجباء الذين اصطفاهم الله حيث يطلق هذا اللفظ علي البياض الناصع فالاسم فيه اشارة انهم سموا بهذا إسلامه قلوبهم ونفوسهم وعقولهم من الأوساخ فدل علي خلو قلوبهم من السود الذي يرمز للاوساخ فدل ذلك علي سلامه قلوبهم

فهي سمه تميزهم عن غيرهم بعدما ذكر رده فعل بني إسرائيل بأنها الكفر اي أن الأغلبية الساحقة منهم كفروا لأن الله وان عيسي لجاء الي الدعوه سرا وإعداد من يحمل منهج الله تعالى بعده لقوله تعالى (وإذ اوحيت الي الحوريون أن امنا بي وبرسولي...)

فدل النصوص أن عيسي لجاء الي هولاء الفئه التي آمنت بالهام من الله وطلب منهم النصر أن يكونوا حاملين الدعوه بعده وان هولاء الذين طهر الله قلوبهم من اوساخ بني إسرائيل فقد كانت قلوبهم ببيضاء طاهره صالحه لا ستقبال نور الله مثلما قال تعالي عن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في سورة محمد (محمد رسول الله و الذين الي قوله (سيماهم في وجوههم من اثار السجود)

لقوله تعالي (كما قال عيسي ابن مريم من انصاري الي الله) فقد اكتفي بهم بالخطاب والدعوه الي نصره الله ودينه ومنهجه من خطر قادم بعد أن أدرك أنه مقصود ودعوته لاهل الكفر فالدعوه أصبحت في خطر فلجاء إليهم طالبا منهم أن يحملوا الثقل معه والقيام بمشاركته في نشر دين الله وان لايتوقفوا عن ذلك

الدرس الرابع

اهميه اختبار الفريق الذي تم إعداده لمواجهة التحديات والصعوبات ليكون قادرا علي القيام بالمهمة حتي بعد وفاه القائد فلا يكون ارتباطهم بشخص القائد سببا لانقطاع العمل عندما يحل به الاذي كما قال تعالي (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم... الخ

ولهذا نجد أن عيسي عندما عرف أنه مقصود للأعداء وان غرضهم القضاء علي منهج الله الذي جاء به من ربه تلقي هذه الإشارات فلم ينتظر حتي تحل الازمه فلجاء الي ترتيب الصفوف طالبا من تلاميذه أن يكونوا أنصار الله ودينه ومنهجه فلايشكل استهدفه سببا للتوقف عن العمل فلا بد أن تستمر مسيرته للوصول إلى الله

فأراد عيسي أن يبين لهم الغايه والهدف من أعدادهم وتربيتهم وهو أن يحملوا الثقل بعده وهو إيصال الدعوه الي بقيه الافخاذ من بني إسرائيل فعيسي كما نعلم أنه أرسل الي بني إسرائيل (ورسولا الي بني إسرائيل) فهم اثنا عشر فخذ بحسب عدد اولاد يعقوب عليه السلام

وذكرت الرؤيات أن الذين بعث فيهم عيسي كانوا ثلاثه أفخاذ فقط وأن البقيه كانوا في مناطق متفرقة في أوروبا وتركيا وانطاكيه وغيرها فالمهمه هي تبليغ الانجيل الي بقيه الافخاذ وايضا التبشير بالرسول الخاتم الذي يأتي في اخر الزمان بعد أن بين لهم أنه مقصود للأعداء وان الله سوف يحميه ويمنع صلبه وقتله ويرفعه اليه وأنه سوف ينزل في اخر الزمان مع امه محمد امه الشاهدين لقتل الدجال يأمرهم بازاحه الشبهات التي يريد الأعداء أن يلحقوا بها الاذي بعيسي وبالذعه بالزعم انهم قتلوه وصلبوه (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله..... الخ (وماقتلوه وماصلبوه

فانتم مكلفون بمهمه الانبياء وتبليغ الدعوه وهذه

المهمه لم يسبق للعلماء القيام بها من قبل وان هذا فضل لكم يربطكم بامه الاسلام التي تشهد علي الأمم كلها فهي الامه التي يقوم العلماء فيها بمهمه الانبياء وتبليغ الدعوه الي الناس الذين يموت النبي الخاتم قبل أن يبلغهم دعوته وهو مرسل الي العالم كله ومبيناً لهم الوسائل وايضا معرفه ردهم واستعياهم للدور المناط بهم أراد صقل المواهب والقدرات العقلية والنفسية والعقلية لديهم ومعرفه قدرتهم علي الصمود بعده واستمرار الفكره في الا نتشار بعده حتي يحقق الله نصره وكان نتيجته ذلك

الأمر الأول

(قال الحوريون نحن أنصار الله)

أن لفظ (نحن) تشير الي التزامهم منهم في الرد وانهم أطلقوا الاجابه بلسان جماعي في وقت واحد دون تلكوه فيه اشاره الي

١

انهم كيان قوي متماسك كلمتهم واحده قادرين علي الصمود في مواجهه عواصف الازمات إذا حلت فدل علي اهميه تربيته التلاميذ علي التماسك فدل النصوص أن قلوبهم خاليه من الحسد والبغي الذي اتصف به بنو إسرائيل فهم يتسابقون علي نصره دين الله

٢

أنهم انقياء القلوب فنفسهم غير متعلقه بمصالح الدنيا فهم حريصون علي تغليب امر الله علي المصالح العاجله و الشخصية.....

٣

الاعتزاز بالحق والاستعلاء بالله بعزيمه وهمه عاليه لأن (نحن)تعني لاغيرنا لأن الجمله مكونه من مبتدأ وخبر وهي جمله اسميه طرفاها معرفه وهي تفيد الحصر فهم

يحترمون الهيكل التنظيمي والقياده الرشيد حريصون علي تنفيذ امر الله فهم يقولون: نحن أنصار الله ورسوله ودينه واردوا اظهار احترام أمر القياده وإظهار الانضباط في استقبال الأمر فهم يعلمون انه الله ينصر من ينصر دينه ورسوله (أن تنصروا الله ينصركم) فلم يقولوا نحن انصارك بل قالوا نحن أنصار الله

الأمر الثاني

اهميه احترام قياده وان يكون ذلك مترابط بامثال أمر الله تعالى بالشعور بوجود الله والرغبة بنيل رضا الله وان نتوجه إليه في كل عمل نعمله فلفظ (نحن) يشير إلي أنهم اردوا اظهار احترامهم لأوامر قياده وإظهار الانضباط في استقبال الأمر مع بيان العله التي تجعلهم يخضعون لاداره فقولهم (نحن) اي لم يتخلف منهم أحد فالجميع قال نحن أنصار الله فتناسب هذا مع قوله تعالى (واذا اوحيت الي الحوريون أن آمنوا بي وبرسولي قالوا امنا وشهد باننا مسلمون) فالإيمان بعد أمر الله والوحي هنا هو الإلهام فناسب هذا الاخبار بالمتابعة بالإيمان (امنا بالله واشهد باننا مسلمون)

١

فدل انم فهموا الهدف وهوانهم سوف يقومون بنشر دين الله عرفوا أن عيسي هو رسول الله وان نصره الرسول هي نصره لله فلم يقولوا نحن انصارك بل قالوا نحن أنصار الله فالمهمه هي نصر دين الله فعرفوا أن طريق ذلك هو الاخلاص بالقول والفعل بامثال أمر الله تعالى واصطحاب ذلك الي نهايه الفعل وبعده بتنقيه النفوس من الشوائب والاوساخ لأن طلب الشهره والرياء تبطل العمل وأن كان صالحا وكذلك العمل والنصره للعصبيه لا قيمه لها فنحن نعلم أن ابو طالب نصر الاسلام لكنه لم يكون مومن بالله ولهذا لاقيمه لعمله ولهذا قالوا (امنا بالله واشهد باننا مسلمون)

إقرار باللسان بالواهيته لله وحده لا شريك له وأنه الفرد الصمد المهيمن على الكون كله

٢

انه بعد إعلان الشهاده كان اعلان الخضوع والاذعان والاستسلام لله وأمره واشهد باننا مسلمون اي منقادون وخاضعون لله تعالى وحده لا شريك

٣

قالوا واشهد يا عيسي علي صدق إيماننا بالله وخضوعنا لأمر الله فالإيمان يوجب النصره لدين الله فأرادوا تأكيد اخلاصهم وصدق انقيادهم لأمر الله باشهاد عيسي وإلا فإن كل رسول يشهد علي امته لقوله تعالى (لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيد)

الأمر الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن التوحيد لايعني الإقرار باللسان بل لابد أن تكون عن علم وان يترجم ذلك إلي عمل فاسلام الوجه لله تعالى لابد أن يتبعه انطلاق في الكون بفاعليه الايمان في جميع جوانب الحياة ولهذا نجد انتقال هؤلاء من الاعتراف بالواهيته الي الاعتراف الكامل بربوبيه الله تعالى بالتححرر الكامل من كل سلطان سؤه ولأن معرفه ما يرضي الله وما يسخطه لا يكون إلا بالمنهج الذي يحمله الرسل والأنبياء عليهم السلام الي الناس فنجد أنهم يعلنون التصديق بالمنهج والقبول به (ربنا امنا بما أنزلت) وهو التواره والإنجيل لأن الانجيل مكه لا لها والايمان يعني القبول بأحكامه وشريعته وهذا إنما يتحصل باتباع الرسول (واتبعنا الرسول)

وبالرجوع الي دعوه عيسي نجد أنه دعاهم الي التوحيد والإيمان بالتوره والانجيل وان عليهم الشعور بوجود الله فهو أساس فاعليه العقيده (فاتقوا الله) ثم أمرهم بطاعته (واطيعون)وعيسي قد بشرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال تعالى علي لسان عيسي (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد)

وهنا يتضرعون الي الله (فاكتبنا مع الشاهدين)اي اكتب اسماءنا مع اسماء امه محمد الذين يشهدون علي الامم كلها (وكذلك جعلناكم امه وسطا لتكونوا شهاداء علي الناس)فهم امه تشهد بالوحدانيه لله وتومن بجميع الرسل فطلبهم دليل على فضل هذه الامه أن التزمت المنهج وهي امه الاسلام التي أخبرهم عيسي أن هنالك ارتباط بينهم وبين امه الشاهدين فهم يقومون بدور يشبه دور امه الاسلام فالله يقول في سوره الصف (ياايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسي ابن مريم للهورين من انصاري الي الله قال الحوريون نحن أنصار الله انا ب الله واشهد باننا مسلمون فامنت طائفه من بني إسرائيل وكفرت طائفه فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)حيث دلت الآيات أن الحوريون قاموا بتبليغ الرسالة الي بقيه الافخاذ من بني إسرائيل وأنه استجابة لهم طائفه وكفرت طائفه...وان الله ايد المومنين فهذه الرابطة التي تربط امه الاسلام بهؤلاء هي مهمه حمل الدعوة و المنهج الرباني فهي رابطة تبعيه للمنهج والمهمه تربط المومنين الذين يحملون ثقل الدعوة الي الله ودينه ومنهجه بالحوريون وهذا سبب طلبهم أن يكتب أسماءهم بجانب اسماء امه الشاهدين اضافة الي أن عيسي أخبرهم أنه سوف ينزل في اخر الزمان لقتل الدجال وأنه سوف يتبع الاسلام ويصلي صلاتهم ويكسر الصليب الذي تحدته النصاري بعده وحينها يتبعه النصاري في الالتحاق بالإسلام (وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته)فأراد هو لاء النخبه أن تكتب أسماءهم بجانب اسماء امه الشاهدين

ثالثا

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)

لم تبين النصوص ماهو المكر الذي مكره اليهود ولا ماهو مكر الله باليهود ولكن يفهم هنا أن المكر يعود علي الذين كفروا بدعوة عيسي وهم الذين أحس عيسي منهم الكفر فالايه معطوفه علي قوله تعالي (فلما أحس عيسي منهم الكفر)ولايصح القول إنها معطوفه علي الذين قالوا(ربنا انا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين)

الأمر الأول

أن المكر

هو تخطيط وتدبير يتوصل فيه الماكر إلي تحقيق هدفه بالاضرار بمن يريد إلحاق الضرر به أو الانتقام من خصمه بالخداع بأسباب مخفيه غير متوقعه بحيث لايشعر بها الخصم

وقد أخبرنا الله تعالي أن مكر اليهود هو (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله)وقوله تعالي (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبهه لهم)

فالذي يظهر ان اليهود حاكوا خطه مرسومه لقتل عيسي عليه السلام ولم يكتفوا بذلك بل إنهم اردوا أن تحقق هذه الخطه اضافة الي مقتل عيسي أن يتخلصوا من دعوه عيسي وان يلحقوا به لعنه تجعل الناس يخافون من اعتناق المسيحية ويتخلوا عن الانجيل...فقد اردوا القضاء علي الدعوه وهذا ما يفسر لنا قول عيسي عليه السلام (من انصاري الي الله) فالنصوص تبين أنه يريد نصره دين الله وان يحمل معه ثقل الدعوه فتوجه بالخطاب الي المومنين أن يحملوا الثقل معه والقيام بمشاركته في نشر دين الله

وتقوم هذه الخطه علي:

أن يقتلوا عيسي عليه السلام ويصلبوه ليصرفوا الناس عن اتباع دعوته بعد مقتله لأن شريعته اليهود تعتبر

المصلوب ملعون ومطروود من رحمة الله وأنه غير مسموح له بدخول ملكوت الله وان هذا من قبيل العقاب العاجل في الدنيا فقد ورد في التوراه (ملعون من علق على الخشبه)

فهم يعتبرون المصلوب عقوبه تعود عليه باللعنه فعندما جاءهم عيسي بدعوه التوحيد وحاء بشريعه التسامح وتقويه قوه المحبه وهم كانوا ينتظرون المسيح الذي يعيد مجد سليمان فروا أن عيسي ليس المسيح الذي ياملونه فاردوا أن يصلبوا عيسي من جهه اردوا أن يتأكدوا أنه هو المسيح المنتظر فهم في شك وريب ومن جهه اردوا أن يلحقوا به اللعنه لمنع انتشار الدعوه التي حملها إليهم

فما الذي حدث لقد دبروا الخطط والمكايد ورتبوا لها ووضعوا لها الخطه المحكمه

فابطل الله تدبيرهم ورد كيدهم في نحورهم فاستدرجهم الله بذلك فهم اردوا أن يخرجوا عيسي من ملكوت الله فاخرجهم الله من ملكوته وصب عليهم غضبه ولم يقتلوه ولم يصلبوه ولكن صلب صاحبهم الذي وشي بعيسي فجعلهم في شك وريب فقالوا اذا كان هذا صاحبنا فأين عيسي وإذا كان هذا عيسي فأين صاحبنا فالله نجى عيسي وجزاءهم علي مكرهم الجزء العدل

الأمر الثاني

أن من الأمور المهمة التي تبني عقيدتك بها أن تعرف أن المكر من المخلوقات خبت وخديعه

أما مكر الله فهو تدبير مقابل لتدبير أعداء الله فهو استدراج الكافرين لياخذه الله بغته من حيث لايتوقع فهو سبحانه أخبرنا أنه ينعم علي الناس في موضع الغني والافتقار حتي إذا نسوا الشكر عليها وركنوا الي النعمه ووجدوا أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر من حيث لايشعرون

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أن مكر الله خير لارتباطه بالجزء وبه يحقق العدل وينصر المظلوم من الظالم يقول لنا أن كل أفعال الله سبحانه وتعالى فيها الخير للبشرية فهو سبحانه وتعالى يمهل الظالم حتي اطمئن أتاه الله من حيث لايتوقع فقد علمنا أن فرعون كان يذبح أبناء بني إسرائيل المواليد لأن المنجمون أخبره أنه من سوف يولد فيهم رسول يزيل ملك فرعون فكان نجاه موسى برمييه في البحر ووصوله الي قصر فرعون ...

فالله سبحانه وتعالى يذكر لنا تدبيره الذي يرعي ويحمي أوليائه وهو القوي سبحانه وتعالى وفي هذا تطمئن المومن والانس به سبحانه وتعالى ليعلموا أنه اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه يقول لاتخافوا وان صبت عليكم المصائب فعليكم اللجوء الي الاستجاره ب الله بالعلم واليقين الجازم أن ازمه الأمور بيد الله ومصادرها من قضاءه سبحانه وتعالى فعليك الاستعلاء بالحق فمن يقف الله معه كيف يخاف من البشر ومكرهم فالله اقدر علي إيصال الضرر باعداءه سبحانه وتعالى من حيث لايحتسبون في موضع الاضرار ولتربيته المهابه

الأمر الثالث

أن مما يجب عليك أن تعلم ايه المسلم وانت تقرا الآيات القرآنية (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)

أن تعلم أنه ليس من اسماء الله الحسنى وصفاته أنه ماكر أو مخادع والعياذ بالله... فلا تتصور أن ذكرها بالنص تعني إطلاق الوصف علي الخالق سبحانه وتعالى وإنما هذا اذا أمعنت النظر هي في باب المقابله اللفظيه لا المعنويه مثل قوله تعالى (فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه)

واما مازهد إليه البعض من الاستدلال بقوله تعالي (فمن يامن مكر الله) بأنها في غير مقابله فهذا القول غير سليم

ومن هنا نفهم أن المكر اذا ورد علي سبيل الاطلاق فهو نقص ...

أما إذا ورد في مقام المقابله اي في حال مقام المشاكله للمكر فهو مدح وصفه كمال فوصف الله نفسه بالمكر في مقام المكر من صفات الكمال فهو يختلف عن المكر الذي يكون علي سبيل الاطلاق فنحن نفهم أن الخداع صفه ذم عند ذكرها علي سبيل الاطلاق لكن إذا قيدت بالحرب فإن ذلك من صفات الكمال لأن الحرب خدغه كما نعلم انه قاعده وأساس القوه في الحرب فهو فيه اظهار قدره الله تعالى لتربيته الكتابه في النفوس والقلوب أنهم لا يستطيعون الوقوف أمام قوه الله وقدرته فهو يقول في قصه موسي والتدبير التي أوصلت موسي الي قصر فرعون (لنري فرعون وهامان وجنودهما

ف الله يقول للمكذبين ان مالدكم من حيل وما تحكون من خطط للقضاء علي نور الله يفتقد الخبره والمهاره أمام قوه الله وقدرته وتديبره (وان كان مكرهم لتزوال منه الجبال)

فذكر أن مكرهم مع شدته التي تزيل الجبال لا يستطيع الصمود أمام تدبير الله تعالى لبيان عجزهم عن الوقوف أمام تدبير الله وهنا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول لنا (والله خير الماكرين)

لبيان ان نصره لأوليائه فيه الخير والصلاح فهو سبحانه وتعالى في أفعاله كلها الخير فهو لا ينصر أوليائه الا لتحقيق العدل فذلك مرتبط بالجزء ولهذا فالمكر مقيد بالجزء

رابعا

إذ قال الله يا عيسي اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الي يوم القيامه ثم الي مرجعكم ف

المبحث الأول

أن (إذ) ضمير صله عائد علي قوله تعالى (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين)

فدل ذلك أن الله ابطل مكر وتديبر اليهود الذين اردوا قتل عيسي وصلبه لأجل القضاء على الدعوه التي حملها رساله الانجيل ومنع انتشارها

ف الله سبحانه وتعالى يعطينا الجواب لكيفيه ابطال الله مكر وتديبر اليهود بعيسي . فهو يقول إنه أخبر عيسي

(اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا)

الأمر الأول

أخبره بأنه متوفيه والوفاه هنا محل خلاف بين العلماء فمنهم من قال إن الوفاه هنا النوم لقوله تعالى (الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها)

ومنهم من قال إنها تعني أنه قبضه وأخذه اي قبضك واخذك الي باعتبار أن ذلك ماخوذ من قولك وفيت فلان حقه إذا أخذه وقبضه

ومنهم من قال إن الوفاه هنا تعني حقيقه الموت وارتفاع روحه الي السماء لقوله تعالى (فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم)

وقد رد عليهم من قال أنه لم يميت وأنه رفع جسدا وروح وان المراد هو النوم بأن جعله ينام نظرا لأن مسافه الارتفاع للسماء تتطلب ذلك مستدلين بما ورد من احاديث تتكلم عن نزول عيسي احر الزمان وقتل الدجال وكسر الصليب... فرد عليهم الآخرون بأن الحديث من أخبار الاحاد... والخلاف متعدد في هذا الشأن

الامر الثاني

ان الواجب عليك وان تقرا النصوص أن تفهم أن الخلاف الورد بين المفسرون بشأن هذه الايه الكريمه أمر لا اهميه له لان المهم ليس مساله وفاته بالنوم او الموت.. فهذا لا يغير في جوهره القضيه التي سيقت لأجلها النصوص

وهو أن الله نجي عيسي فلم يحصل قتله ولاصلبه فهذا هو جوهر القضيه التي تهمننا وبها زياده الايمان ونقصانه ذلك أن الذين يعتقدون بقتله وصلبه يعني أنهم ينكرون حقيقه تدبير الله ورعايته لنبيه.. ومن يعتقد بذلك يعني أنه يعتقد أن تدبير اليهود قد تحقق فهم اردوا أن يصلبوا عيسي لأجل أن يلحقوا به لعنه الصلب التي هي تجريم ديني لديهم في التوراه فالمصلوب ملعون

ولهذا يقول الله (ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا)

أنه حصل رفعه إليه سبحانه وتعالى وهذا للتصميم والتعظيم لعيسي فهو تعالي يمتنع كونه في المكان ومطهرك اي منظفك من قذورات الكفار وافتراؤتهم فقد اردوا بصلبه أن يخرجوه من ملكوت الله فصب الله غضبه عليهم وطردهم من رحمته فاستحقوا اللعن

المبحث الثاني

من هنا نفهم أن الخلاف بشأن موت عيسي أو إنه نام أمر ليس مهم في حقيقه الامر وهو من الأمور التي يجب الإيمان بالايه دون الخوض في ما وراء ذلك فالمهم أن نعتقد أن عيسي لم يقتل ولم يصلب وايضا لانستبعد أنه سوف ينزل في احر الزمان لانه لامشكله في ذلك لأن ولادته كانت معجزه وبالتالي فما الذي يمنع من نزوله في احر الزمان

خاصه وأنه سبحانه وتعالى يقول (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الي يوم القيامه)

حيث أن المفسرون قالوا في الرأي الغالب والراجح أن المراد بالذين أخبر الله أنهم فوق الذين كفروا الي يوم القيامه هم المسلمون لانهم الذين اتبعوا منهج الله التوحيد واتبعوا دعوه عيسي الي الايمان بالرسول والكتب السماوية كلها وهم الذين شهدوا بأن عيسي عبد الله ورسوله وهم الذين أخذوا بالبشاره وهم الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم

خاصه وان الحوريون قالوا (واتبعنا الرسول فاكبتنا مع الشاهدين)

حيث نعلم أن امه الاسلام هي امه الشاهدين ومن هنا ندرك اهميه ذكر قصه الحوريون والبيعه التي عقدوها مع الله والهدف من قيام عيسي طلب النصره من الحوريون عندما أحس أنه مقصود للأعداء وانهم يريدون قتله وصلبه لأجل منع انتشار المسيحيه فهم اردوا القضاء علي المنهج الرباني الذي فيه تعديل التوراه... ومعلوم أن عيسي عليه السلام ارسل الي بني إسرائيل (ورسولا الي بني إسرائيل)

وقد حمل الانجيل التي فيها نسخ لبعض احكام التوراه ونحن نعلم أن بني إسرائيل اثنا عشر فخذ بعدد اولاد يعقوب عليه السلام وقد ذكرت الرؤيات أن الذين كانوا في بيت المقدس هم ثلاثه أفخاذ فقط... ما يعني أن هنالك تسعه أفخاذ لابد أن يبلغهم عيسي الانجيل ولما إدراك خطوره المؤمره فقد طلب نصره دين الله ومنهجه من الحوريون فاخبارهم أنهم مكلفون بمهمه نشر الانجيل وحمل الرساله الي بقيه الافخاذ من بني إسرائيل وهم الذين

كانوا في أوروبا وتركيا وانطاكية وغيرها من المناطق ولم يكن معهودا ذلك في بني اسرائيل أن يقوم العلماء بهذه المهمة وهنا أخبرهم وبشرهم عيسى أن هذه المهمة فيها غرس فكره جديده سوف تجعلكم قدوه لامه الشاهدين التي اختصها الله بفضل عظيم هي امه اخر الزمان التي ستكون رساله نبيهم الي العالم أجمع ومن الموكد أنه سوف يموت قبل أن تصل رسالته الي العالم كله ولا انبياء بعده ولهذا فسوف يقوم علماءهم بتبليغ الدعوه وتحقيق نصره دين الله ومنهجه وهو ما قاله تعالي (يايها الذين آمنوا كونوا أنصار الله.... الخ

واخبرهم أنه سوف ينزل في اخر الزمان لقتل الدجال وهو ماهز اشواقهم الي أن يرتبط أسماءهم مع أسماء امه الشاهدين وكما أوضحنا سابقا في تفسير (فاكتبنا مع الشاهدين)

الأمر الثاني

أن الفوقيه هنا فوقيه حجه وبرهان لا فوقيه ملك وسلطان

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أنه سبحانه وتعالى جعل رسله أولي قوه في عزائمهم فليست القوه بالمال و السلطان يقول لنا انه تعالي لو أراد أن يبعث انبياءه بالكنوز وان يحشر معهم الوحوش تحارب معهم لفعل لكن الله تعالي لم يرسل الانبياء معهم قوه قاهره ترغم الناس علي الإيمان بل جعلهم يعانون ويتحملون الالم والمشقه في مسيره نضال وكفاح لأجل نشر دين الله الذي فيه اصلاح الأرض وعمارته وسعاده البشريه فكان قطع المسافات الطويلة بخطوات مرتبه فيها المعاناه والمشقه فقوتهم في العزيمه والقناعه بما عند الله فلو أرسل الله الا نبياء معهم قوه ترغم الناس علي الإيمان لفقد مبداء الجزء قيمته فقد أراد الله الإتباع لرسله والتصديق لكتبه و الخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله تعالي أمر معقود بالاخلاص والتوحيد بحيث لاتنفك اي حركه عنهما وهو ماعبر عنه الحوريون بردهم علي عيسى فالله اراد بالاختبار ترتيب الجزء علي مقدار الثبات والصمود وهو ما أفصحت عنه الايه (ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون)

أن الحكمة لما ترون من ضعف الانبياء والمرسلين والدعاه من حيث عناصر القوه الماديه في بدايه حركه العمل الا يمانى أمر ينسجم مع مبدأ الحساب والعقاب الوعد والوعيد لانه لوكان دخول الناس في الايمان اضطررا لبطل دور الجزء والثواب والعقاب

ولهذا يقول لنا الله أن الحكمة هي مراعاة هذا المبدأ حيث سوف يكون الي الله عوده الناس وعندها سوف يكون الحساب علي الأعمال فذكر الحكم أنه به يكون انقسام الناس الي كافر ومومن فقال تعالي (فما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم والله لا يحب الظالمين)

المساله الاولى

ذكر أن الذين كفروا وعقوبتهم وبأسلوب المخاطب المتكلم (فاعذبهم) بينما ذكر الخطاب مع المومنين بأسلوب الغيبه (فيوفيههم أجورهم)

لأن الكفر تغطيه وستر واخفاء الحقيقه والكفار قاموا بتغطيه آيات الله واشركوا ب الله فناسب ذلك خطاب المتكلم ليغرس في قلوبهم الخوف من الله أما المومنون فهم آمنوا ب الله باليقين الجازم بثواب الله فناسب ذلك صيغه الغيبه بالحديث معهم

المساله الثانيه

كما أن الكفر هو تغطيه الحق سبحانه وتعالى باخفاء آياته المسموعه والمرئية ولهذا ناسب الخطاب معهم بصيغه المخاطب فاعذبهم لبيان ان البعد عن الله فيه الالم والعذاب لانه يكون محجوب عن رؤيه انوار الحق سبحانه

وتعالى

فيقول لهم الله انتبهوا فانتم لن تجدوا السعادة بالبعد عن الله بل تجدون العذاب الحيره والقلق النفسي فناسب
نسبه العذاب لله تعالى لبيان قوته ثم كان تأكيد حصوله (عذابا) ثم ذكر وصفه بأنه شديد لبيان قوته بالشده التي
تجعلك غير قادرا على تحمله

المساله الثالثه

ذكر أن العذاب منشا الكفر اي الأعمال وأنها تبدأ مع العاصي من الدنيا وتنتقل معه الي الاخره (في الدنيا والآخرة)
ثم بين أنهم لا يجدون من يدفع عنهم العذاب فقال (ومالهم من ناصرين)

أما الفريق الثاني

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيههم أجورهم والله لا يحب الظالمين
ربط الايمان بالعمل الصالح فالله يذكر توفيه الاجر بدون بخس ولا نقصان فالله يكره الظلم ولا يرضي به فالله
يبغض الظلم واهله

وان حكم الله فيه العدل فهو تعالى لا يظلم احد وأنه يضع الموازين القسط بالحق فلا يظلم احد

القسم السادس

(ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم أن مثل عيسي عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون
الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله علي الكاذبين فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين

اولا

أن المتأمل للنصوص يجد أنها أبتدأت باسم الاشاره (ذلك)تعقيبا علي ماسبق ذكره من أحداث تاريخية مهمه في
حياه البشر من قصه زوجه عمران وقصه مريم وزكريا وابنه يحي وقصه ولاده عيسي وماوجه من تحديات كبيرة
من بني إسرائيل عندما دعاهم الي التوحيد والإيمان وماتعقب ذلك من استهدافه من اليهود وكيف أن الله نجاه
ورفعه الي السماء وطهره من دنس الكفار وماتعقب ذلك من ذكر الوعد والوعيد....

نجد أنه سبحانه يقول (ذلك نتلوه عليك)

اي أن ماسبق ذكره من الأحداث والقصص العجيبه نسردها عليك متتابعه شئيا بعد شي

وحيا من الله تعالى علي نبيه (ص) فالنصوص تبين لنا الآتي

الأمر الأول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه الموضوعات التي طرحتها القصص المشار

إليها بقوله (ذلك نتلوه عليك)

فاسم الاشارة (ذلك) للبعد ليغرس في النفوس عظيم شأن المشار إليه و بعد منزلتها ومكانتها وشرفها فهي وحيًا من الله تعالى علي نبيه صلى الله عليه وسلم فاستعمل لفظ نتلوه عليك مع أن التالي هو الملك جبريل لقوله تعالى (نزل به الروح الامين علي قلبك .. الخ

وهذا فيه تكريم وتودد لنبيه بنسب الفعل لنفسه تعالى مع أن ذلك تم بواسطه جبريل باعتبار أنه سبحانه من أمر جبريل بذلك لبيان ان ذكرها له أن اغراض وقضايا تعالجها فذكر أنها آيات وعلامات تثبت صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته وفيها المنهج الرباني الذي يدلك علي طريق السعادة وهذا فيه عده دروس

الدرس الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يعلمنا كيف نستفيد من دليل الحدث التاريخي والاستماع للقصص الواردة في القران الكريم فالله سبحانه وتعالى يقول لنا ان الفائدة منها إنما تحصل من خلال استحضار الصورة الحاصله التي تحكيها القصة تقرأها بتبصر وفطنه بالمشاركة الشعوريه تحب المومنين وأفعالهم وتقتدي بهم وتكره الكفار وتبغض أفعالهم فتعيش كأنك واحد منهم لتصل الي دقائقها ولهذا نجد التعبير بالمضارع (نتلوه عليك)

مع أن المراد الماضي (تلوناه) فالله يقول لنا أن حصول الفائدة إنما يكون بأن تعيش فصول القصة لترى عواقب وأحوال من كانوا في غفله وما حظوا به عند الإنتباه بأن يكون تاملك بمشاعر حب المومنين وأفعالهم وبغض وكراهيه الكفار وأفعالهم حينها تشهد وتري المومنون والأسباب التي كانت سببا لنجاتهم امامك لتقدي بهم وتسلك طريقهم وتشهد الكفار وأفعالهم بالبغض والنفور فتبتعد عن سلوك الكفار ولهذا نجد هذا الأسلوب الرائع لبيان هذا الغرض بقوله تعالى (ذلك) اسم الاشارة للبعد لبيان عظيم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف

الدرس الثاني

أن الله تعالى يقول لنا عليكم الإنتباه فهذه القصص مهمه وانت ايه المومن المستهدف بها فليس قراتها محصورا للرد النصارى الذين انحرفوا عن دعوه عيسي... فانت عندما تسمع القران الكريم يقص عليك هذه القصص يجب عليك أن تدرك أنك معني بالخطاب في كل حرف من حروفه ينبغي أن تكون شاعرا أنه وحيًا أنزل عليك لتحدث الا يه أثرها في النفس وتحرك السلوك وتستقر في القلب فقال تعالى (نتلوه عليك) مع أن التالي هو الملك فاسند الله تعالى لنفسه الفعل لانه من أمر جبريل ولأجل استجلاب الاعتناء منك بها فهي وحيًا من الله تعالى تحكي واقعا حقيقا لامزج فيه بالخيال كما هو حال القصص والروايات التي ينسجها الأدباء والكتاب من خيالهم

الأمر الثاني

بعد هذه المقدمة التي فيها شد الإنتباه للاعتناء بالقصص المذكوره وماورد فيها وقوله تعالى أن المشار إليها هي وحيًا من الله تعالى عليك أن تحس ان الذي يقص عليك هذه الأحداث هو الله تعالى وإن تدرك أنها لها اغراض ومواضيع تطرحها وقضايا تعالجها فليس ذكرها للتسلية أو أنها من باب الحكايات كما اعتاد الناس عند سماع القصص فالأمر ليس كذلك فهي وحيًا من الله علي نبيه فيها اخبار عن أمور الغيب عن قدره الله تعالى ووجوده وتدبيره لأمر الخلائق واعتناؤه بالعباد وملائكته والوعد والوعيد والجزاء وأنه سبحانه يرسل الانبياء يحملون الا دويه لأمر البشرو اعطائهم صورته تقريبه عن الغيب ليحصل لهم القوه التي يتوقف عليها كمال النفوس ... فالله يقول ان ذكرها تعالج الاتي

الموضوع الاول

أن الوظيفة الاولى اثبات نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته

ف الله يقول إن في هذه القصص آيات عجيبة تحكي واقعا تاريخيا بالخبر اليقين الذي فيه تفاصيل واقع تلك الأمم تجعلك تشاهد ذلك الواقع الماضي البعيد امامك حاضرا بكل تفاصيله ودقائق أحواله

وان هذا فيه الاعجاز القرآني الذي فيه هتك حاجز الغيب في الماضي وهو أمر لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه خاصة في ظروف الرسول صلى الله عليه وسلم الذي لا يقرأ ولا يكتب ولم يجلس الي معلم

وبالتالي فإن هذه الأخبار علامه علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه مرسل من عند الله فقال تعالي (ذلك نتلوه عليك من الآيات) اي علامه ومعجزه تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

فعليكم ايه المومنون الاطمئنان فما وصل اليكم هو الحق الغير قابل أن يتطرق إليه الباطل فهو معجزه تستوعب كل العقول والأجناس واللغات فهو يحكي واقع ماضي امم لم يعاصرها العرب ولاصله لثقافتهم بها وترسمه بأسلوب رائع بعيدا عن الخيال فهو كلام الله الممنوع من أن تسلل أو تتمزج به الاباطيل فهو لآياته الباطل من بين يديه ولا من خلفه

الموضوع الثاني

منهج تهذيب وموعظه وعبره

(والذكر الحكيم) معطوفا علي (من الآيات) فأخبرنا أنه منهج الله ووصف القران أنه الحكيم المحكم الذي لآياته الباطل ولا يتطرق إليه والمناسبه بهذا العطف أن الله تعالي يبين أن الاداله مهما كانت قوتها لاتجعل الضال يهتدي فهي تحقق البيان الهدايه العامه والانتقال الي دلالة الهدايه الخاصه الإرشاد والتوفيق يتطلب فتح نوافذ الهدايه لا استقبال نور الله فقال تعالي (والذكر الحكيم)

ف الله يقول لنا أن من وظائف القصص هو الموعظه التي يحصل بها الوصول إيقاظ الفطره وتأويل الحكمة ب الوصول الي دقائقها والاعتبار بأحوال الأولين وما كان نهايه الذين كانوا في غفله وما حظوا به عند الإنتباه....

ف الله يقول إن اللازم عليكم أن تنتفعوا بالعبر والعظات التي في القصص...وان الانتفاع بهذه الآيات يتطلب استعداد معرفه الوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع مسيره الحياه وابصار سننها وإيقاظ الوعي وهذا يكون بحضور القلب (أن في ذلك لذكري لمن كان له قلب ..الخ عند استماع القران

وان الأمر الثاني هو:

احسان تنزيل معرفه الوحي علي واقع الناس من خلال معرفه المنهج السنني فالوحي قد اقتصر لنا الطريق ووفر علينا الوقت والجهد بتقديمه لنا نماذج من الرسل الذين اصطفاهم نستلهم منهم الفاعليه ومعرفه السنن الالهيه لمواجهة التحديات والصعوبات بالتأمل في أحوالهم...فحسن انزال الوقائع على أحوال الناس يتطلب ادوات الفقه بالقصص واكتشاف العبر والعظات والدروس منها بحيث نضع كل شي في موضعه فقراءه التاريخ ودليل الحدث ليس التفاخر والتباهي بالماضي وإنجازات الأجداد بل الأخذ بالعبر والموعظة (والذكر) وان نضع كل شي في محله ف الله وصف القران (الحكيم) وهذا يعني أن يكون الذكر بحضور القلب ثم فقه وفهم كيفيه تطبيق مافيها من عبر وعظات علي أحوال الناس واوضاعهم بمعرفه متي وكيف يكون التطبيق بامتلاك الادوات والمهارات التي تجعلك تحسن تنزيل العبر والعظات علي المجتمعات بدراسه وفهم تجعلك قادرا علي تقويم واقع الامه بحيث تضع كل شي في موضعه وهذا يتطلب امتلاك ادوات معرفه السنن الالهيه فلا تتناول فيما لا علم لك به فاللازم عليك الفواص في مدلولات النصوص بمعرفه اللغه والفقه والأحكام الشرعية والأوامر والنواهي اذا اردت ان تصل إلي احسان انزال العبر علي الواقع بوضع كل شي في محله وموضعه

ثانيا

تنتقل سياق النصوص الي مناقشه قضيه خلق عيسي والتي ثار الجدل بشأنها حيث أن نصاري نجران دخلوا علي الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا ماشانك تذكر صاحبنا وتسبه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم من هو قالوا عيسي قال وما اقول قالوا تقول إنه أنه عبد الله قال الرسول صلى الله عليه وسلم اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الي مريم البتول الطاهرة العذراء فغضبوا وقالوا هل رايت انسان من غير اب قط ومن لا اب له هو ابن الله... فنزل جبريل علي النبي صلى الله عليه وسلم با الوحي (أن مثل عيسي عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين)

وهذا فيه

١

أن المولي سبحانه وتعالى يطلب حضور العقول ويضع مثلا يحاورها بها لحسم الخلاف بالدليل المنطقي حول المسائل التي اثارها هولاء بشأن عيسي فالله يقول صفه عيسي في حكم الله وتقديره مثل صفه ادم اي أنه خلق بلا اب مثلما خلق آدم بلا أب ولا أم فإذا كنتم متفقون أن ادم خلقه الله من التراب اليابس فما الغرابه أن يخلق الله عيسي بلا أب لأن خلق آدم اغرب منه

٢

ان قوله تعالى (أن مثل عيسي عند الله)اي في حكم الله وتقديره وهو ما يفهم منه أن ضرب هذا المثال لبيان ما غاب عنهم وانهم قد انحوفوا واطلقوا الأحكام الباطله عندما اعتقدوا أن عيسي ابن الله ونسبوا ذلك إلي الانجيل واساوا التقدير عندما أطلقوا الصفات البشريه علي الخالق سبحانه وتعالى فنسبوا عيسي الي الله فقالوا إنه ابن الله فاخبرنا أن هذا المثال هو لتصحيح التصورات الباطله فالله له صفات الكمال وتنزه سبحانه أن يكون له ولد وانما حقيقه عيسي عنده أنه مخلوق كحاله ادم فالله خلقه من تراب فخلق ادم من التراب اليابس ابلغ في الفكره وهو أمر غير مألوف وأعجب واغرب من خلق عيسي ولهذا تم الكلام بقوله (كمثل ادم)فيه الشبه الكامل ثم قال (خلقه من تراب)فالتراب ماده الطين لكن الخلق هو بالنفخ (كن فيكون)

فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للحجه وحسم لماده الشبهه ولهذا نجد أنه عدل الي المضارع.

فقال فيكون والمقتضي أن يقول فكان فأراد بهذا حكاية الحاله التي عليها ادم لتصوير اليجاد الكامل لينقل السامع الي ذلك الواقع فكانه يشاهده وكان الواقع تقع الان لقطع شبهه الخصم اذا نظر إلي ماهو اغرب مما استغرابه

الأمر الثاني

أن المقصود من هذا الدلاله علي أن عيسي عليه السلام مخلوق من مخلوقات الله فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الي مريم مثل ان ادم مخلوق

ولهذا يقول الله تعالى مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (الحق من ربك فلا تكن من الممترين)١

المساله الاولى

الخطاب من الله لنبيه (ص)بان الخبر الذي أخبره به ربه مما قص عليه من نباء عيسي عليه السلام من ربك لا من اقول النصاري فالله يقول إن ما ذكر من حقيقه عيسي وانه مخلوق مثل ادم هو الحق فالله لا يمكن أن تقيدته الأ سباب فهو خالق الإنسان والأسباب وفاطرها وخالق كل شي وهو فعال لما يريد فقد خلق ادم بكلمه فصار ينطق ويتكلم

فإن الله خلق عيسى بكلمه منه لاظهار قدرته بعدما تعلق الناس بالماديات

المساله الثانيه

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا لاتتطلبوا الحق من غير الله تعالى فهو مصدر الحق وحده فلاتطلبه من غيره
فما لدي الغير هو أباطيل وأساطير كاذبه

فما أخبر الله به فهو الحق وماحكم الله به وقضي فهو الحق

ذلك أن الحق وصف يلحق بالحكم ويلحق بالخبر فإذا وصف الخبر فهو بمعنى الصدق واذا وصف الحكم فمعني
ذلك العدل لقوله تعالى (وتمت كلمه ربك صدقا وعدلا)

المساله الثالثه

ولهذا يقول الله لنا أنه طالما قال الله أن عيسى مخلوق وعبد من عباد الله واجب علينا التصديق باليقين فلا
مجال للريب ولهذا جاء بتعريف الحق بال أن الله خلق كل شي بآرذته سبحانه وتعالى وماخبركم به هو الحق
الصدق الذي لاشك فيه

المساله الرابعه

أن المولي سبحانه وتعالى يقول للنبي صلى الله عليه (الحق من ربك) وهو خطاب لكل مومن فلفظ الربوبيه فيها
لفت انتباهك أن هذا الخبر الحق من الله عن عيسى هو من ربك الذي يرباك وهو مالكك وسيدك فالخبر فيه
رعايتك والعنايه بكم ولهذا يقول (فلا تكن من الممترين) والخطاب موجه الي النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يكون النبي صلى الله عليه وسلم شاكا اطلاقا فالمراد الاهتمام بأحكام هذه الايه الكريمه فالأمر مهم فإذا كان الله
قد خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغه التي فيها التهديد فكيف بك انت فاحذر من ايه المسلم من
أقاويل اليهود والنصاري في هذه المساله أن تأثر عليك فما يرددون هو من اقوال البشر الذين حرفوا الانجيل وما
لديك هو الحق من ربك

ثالثا

تأتي النصوص عقب ذكر اهميه الإيمان باليقين بأن العلم الذي أخبرنا الله به بشأن عيسى هو الحق يقول تعالى
(فمن حاجك فيه من بعد ما جاك من العلم)

أن الجدل مع المكذبين بعد وصول العلم الذي به اقترن بالإيمان بقدره الله وكماله سبحانه وتعالى فلا حاجة الي
المجادله مع هولاء فالجدل هنا يكون بدون جدوي ولهذا نجد أنه ذكر العلم (من بعد ما جاءك من العلم) فالمراد هنا
العلم الذي في القران المقرون بالإيمان. لان الكتب كثيره وأغلبها بمعزل عن العلم النافع فأراد بهذا العلم النافع الذي
أخبرنا الله به في كتابه فقال (الحق من ربك) فالله يقول إن الجدل في هذه الحاله لاجدوي منه ولهذا أمر نبيه أن
يدعوهم إلى المباهله فقال تعالى (فقل تعالوا ندع ابناءنا وبناءكم ونساءنا وبناءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل
فنجعل لعنت الله علي الكاذبين)

حيث ذكرت الرؤيات أن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا نصاري نجران فقال لهم أن نجتمع فريقين جماعة
المومنين واعز من عندهم وبناءهم ونساءهم وأنفسهم ثم يدعوا الله مجتهدين أن يلحق الطرد والغضب بالكاذب
من الفريقين فطلبوا المهله لليوم التالي وبعد أن تشاوروا خافوا من المباهله فرجعوا الي الرسول صلى الله عليه
وسلم وقبلوا بالجزيه

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا انكم علي الحق فلا يتصور أن يغامر الشخص باعز من عنده واحب الناس الي قلبه لولا لم يكن علي يقول أنظروا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يضع نفسه وجماعه المومنين كلها في هذا الموقف وهو يقول (تعالوا) هلموا والمراد منه المجي وأصله من العلو بالراي والعزيمه فدل ذلك أنه كان علي ثقه وهو يخاطبهم أن مصدر الثقه هو اتصاله بالله ولأن الله أمره بذلك فقال تعالي (فقل تعالوا ندع ابناؤنا)

فالدعوه هنا هزت النصاري وترجعوا ورفضوا القبول بالاحتكام الي المباهله ذلك أن هولاء يدركون كذب افتراءتهم أو أنهم في شك...ام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الواثق باليقين أنه علي الحق ولهذا فالموقف ناتج عن العلم والايمان الذي فيه الرفعه والثبات علي الحق فالله قد اخبره أنه علي وأمره بالثبات علي موقفه فقال تعالي (فلا تكن من الممتريين) وهنا تظهر قيمه الايمان باليقين بالله ونصره فهو أساس النصر

الأمر الثاني

يقول الله تعالي لنا اهميه مشاركته النساء في المسائل المتعلقة بالاجتماع للمفاضله الدينيه وهو مايدل علي دور المراه في معركه الحق مع الباطل وأنها طرف اصيل يجب عدم إغفاله ولهذا يجب تعليمهن والاهتمام بهمن فهن عنصر أساسي في المعركه فالله يقول (تعالوا ندع ابناؤنا وبناءكم ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله علي الكاذبين)

فقد جعل النساء عنصر أساسي مشارك في هذه المباهله مع الأعداء

رابعا

بعد الأمر بقطع الجدل والنقاش مع هولاء في مساله عيسي التي جاء الخطاب فاصلا بها بأنه مخلوق وعبد من عباد الله تعالي يقول الله

(أن هذا لهو القصص الحق)

أن ماقص الله في القران من نباء عيسي وانه مخلوق مثل ادم...وهو عبد من عباد الله هو القصص والقصص من تتبع الأثر (وقالت لأخته قصيه) هو الخبر الصدق وليس ما يقوله النصاري من أكاذيب

فالايه لنفي اكاذيب النصاري بشأن مايقولون عن عيسي أنه ابن الله أو انه هو الله...فالله يقول إن ما اخبرنا به فيه حصر الفصل في هذه القضية فهي اخبار صدق من الله ليست حكايات خياليه أو ممتزجه خيال وواقع بل هي حقيقه مطابقه للواقع الذي حصلت فيه تلك القصص ولهذا تأتي النصوص مبينه نفي الالوهيه عن غير الله فقال تعالي (وما من اله الا الله)

تفيد استغراق نفي الالوهيه عن سوي للرد علي افتراءات النصاري فالله يقول لا تلتفت الي افتراءات اليهود و النصاري فلا يوجد اله إلا الله وحده لا شريك

وان هذا الإيمان منك بالتوحيد لله بالاعتقاد والعمل والعباده ينبغي أن يكون هو نقطه الانطلاق في الكون بالتحري من كل الأصنام التي تقيد الحركه فعليك الاستعلاء بالحق سبحانه وتعالى في موجهه الباطل باستحضار قوه الله وعزته وحكمته فقال تعالي (وان الله لهو العزيز الحكيم)

فذكر كمال الوصف لله بالعزه والحكمة فهو الغالب الذي لا يقهر..والحكيم الذي يضع كل شي في موضعه

وهذا هو الكمال لله تعالى لأن العزيز اذا كان غالب وليس فيه حكمه فإن فعله يغلب عليه البطش لكن الله يوصف عزته التي يأمر المومنين الاستعلاء به بأنه حكيم فهو يضع كل شي في موضعه

ولهذا فإن هذا فلا حاكم الا الله فمن راي نفسه عظيما فقد جعل من نفسه صنم يعبد من دون الله لأنه يزاحم الله في ربوبيته..ومن استعلي بالمال والسلطان والجاه فقد صنع صنم يعبد من دون الله...ومن صنع للناس قوانين وتشريعات فهو قد جعل نفسه الها لانه تدخل في سلطه الله تعالى فقال تعالى (فإن تولوا)

اي أن أعرضوا ورفضوا دعوه التوحيد والحق بعد الذي قص عليك فأنت قد بلغت رساله الله واقمت الحجه عليهم فالأمر حينها يعود إلي الله لإنزال العقوبه عليهم فقال تعالى (فإن عليم بالمفسدين)

فهذا

اتهديد للمكذبين بأنهم في قبضه الله وهو محيط بهم ويسجل أعمالهم ويحصيها

٢ عرف فعل الذين رفضوا القبول بمنهج الله والتوحيد بأنه موصف بالفساد فمن وضع قوانين للناس بخلاف شرع الله فهو فعل فيه فساد فلا تتصور أن صياغه القوانين من تفكير البشر فيه اصلاح أحوالهم بل فيه إفساد الواقع ب الحقيقة

٣

أن أعمالهم سوف تكون نتيجتها وعواقبها الفساد في الأرض وسبب الافساد ف الله يقول (ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت ايدي الناس)

فذكر الوصف بلفظ العموم لبيان ان هذه الأفعال إفساد في الأرض وليس فيه اصلاح وان الله مطلع علي افعالهم و لا يخفي عليه شي فهو للتهديد

بعد أن ذكرت النصوص حقيقه عيسي عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله بالادله العقلية انتقلت سياق النصوص بعدها الي التحدي والمباهله والذي ظهر فيه عجز النصاري وتزلزلهم أمام قوه الثقه التي اظهرها الرسول صلى الله عليه وسلم بما يحمل من عقيدته بأنها. من عند الله في ظهر تززع النصاري وترجعوا وقبلوا بالجزيه عقب الله علي ذلك بأنه (عليم بالمفسدين)

ليبيان ان هولاء لا يريدون من الجدل اظهار الحق بل يهدفون من ذلك أن يدحضوا الحق بالباطيل

فحركه هولاء في الأرض باتجاه الافساد فيها وهم يريدون استغلال الدين لمصالحهم واهوهم وملذاتهم جاء فيه لفظ العموم بأن من أصيبوا بهذا الداء ليسوا النصاري بل هو مرض أصاب جميع أصحاب الملل من الأديان السابقه الذين حرفوا الكتب السماوية فقد اردوا تطويع الكتب السماوية لمصالحهم واهوهم وشهواتهم ولهذا يكشف الله لنا حقيقه خبث نفوسهم وابتعادهم عن المطلب الرباني الذي يحقق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض ويكون العمران وتحسين الحركه علي الارض بالعمل الذي فيه الإصلاح فقال تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمه سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولانشرك به شئيا ولايتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثالث من سورة ال عمران

القسم الاول

بعد أن تناولت النصوص الدلائل العقلية لإثبات بطلان اعتقاد اهل الكتاب لحقيقة عيسي عليه السلام فيما ذهبوا من القول إنه هو الله ومن قال إنه ابن الله ومن قال بعقيده الثالوث من النصاري .. فذكر الله أن فصل الخطاب في هذا هو أن حاله ووصفه مثل خلق آدم فهو مخلوق وعبد الله... وما تعقب ذلك من الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم بالتوقف عن المجادله بشأن عيسي بعد هذا فقال تعالي (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله علي الكاذبين) ثم ذكرت النصوص أن القصص الورده في الايات والتي تناولت بيان فساد اعتقاد هولاء بشأن عيسي هي الصدق والعدل فليس هنالك اله الا الله تعالي وحده لا شريك له فهو تعالي الغالب الذي لا يعجزه شي فهو القاهر الذي لا يغلب فليس بحاجة للولد وهو سبحانه وتعالى حكيم في أفعاله فخلق عيسي بلا أب له حكمه لابطال تعلق هولاء بالا سباب الماديه وأنه يرسل الرسل يحملون المنهج الرباني لتبليغ الناس بأمر الله ثم عقب (فإن تولوا فإن الله عليم بـ المفسدين)

وهنا ابتداء النصوص بقوله تعالي (قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمه سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شئيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

يا اهل الكتاب لما تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التواره والإنجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها انتم هولاء حاجتكم فيما لكم به علم فلما تحاجون ما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن حنيفا مسلما وما كان من المشركين أن أولي بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المومنين)

اولا

أن أول ما يشد الإنتباه أن الخطاب ابتداء بقوله (قل يا اهل الكتاب تعالوا ... الخ وهو ما يدل أنه فيه عوده ورجوع الي المجادله مع اهل الكتاب بعد انقطاعها بالمباهله

حيث أن قوله تعالي (قل) فيه خطاب من الله لنبيه صلي الله عليه وسلم وهو ما يفهم منه اهميه الموضوع الذي سوف تتحدث عنه الايات فالمسألة تحتاج إلى الاهتمام والعناية الخاصة منك لان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور بتبليغ كل ما ينزل عليه من ربه ولهذا فإن الابتداء بقل يعني أن الأمر له خصوصية يتطلب العنايه فهو مرتبب بمساله فيها صراع وجدل فكان تلقين الرسول صلى الله عليه وسلم الحجه التي تزيل الشبهات فيه رد قاطع وتلقين الحجه من أن الله تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم مقصود منها أن يتوجه به الي اهل الكتاب (يا اهل الكتاب)

وأهل الكتاب هم اليهود والنصاري وجمعوا بالنداء لأن امراضهم واحده .. فالنداء موجه اليهم

طالباً منهم المجي (تعالوا) اي أقبلوا هلموا نجتمع نحن وإياكم علي كلمه (سواء) فيها العدل والانصاف لا يميل أحدا عن صاحبه اي اتركوا التعصب الأعمى ودعونا نجتمع علي قاسم مشترك يجمع (بيننا) اي بين المسلمين (وبينكم) اي اليهود والنصاري كلمه فيها الإنصاف لكل منا ثم فسرها (الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شئيا ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله) دعاهم إلى عباده الله وحده ونبذ عقيدة الشرك و عدم طاعه الرؤساء والاكابر والقاده والساده

في معصية الله... ثم ذكر بعدها أنه إذا رفضوا ذلك فقد أقيمت الحجج ووجب عليكم إيه المومنون اعلان البراءه منهم والاعتزاز بالإسلام واعلان اقامه الحجج عليهم بصحه عقيدة الاسلام

وهنا لابد من الوقوف لمعرفة ما الداعي الي عوده المجادله بعد انقطاعها بالمباهله التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوقف عن المجادله مع اهل الكتاب بشأن عيسي فقال تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا... الخ فكيف يأمر الله نبيه بالتوجه الي مجادله أهل الكتاب ويلقنه الحجج التي تدحض مزاعم أهل الكتاب. وهل هنالك قضيه جديده ام انها نفس القضيه وماسبب جمع أهل الكتاب في النداء مع موضوع ماسبق كان مع نصاري نجران وماهي هذه القضيه وماهو ارتباطها بما سبق وما لحقها من النصوص والدروس التي تحتويها النصوص

الأمر الأول

أن المولي سبحانه وتعالى ذكر المباهلة في الايه الكريمه السابقه التي كان فيها قطع أمر المجادله بالدعا الي المباهلة لاقامه الحجج عليهم بضعف ثقتهم باحقيه اعتقادهم بشأن عيسي ومآثر بشأنه من شبهات من القول إنه ابن الله ومن قال إنه هو الله ومن اعتقد بالثالوث حيث ذكر الدليل العقلي الحاسم لهذه المسأله بضرب المثال بادم لإثبات بطلان اعتقاد هولاء بشأن عيسي وانه مخلوق مثل ادم فهذا فصل الخطاب في ما اتاره النصاري من شبهات حول عيسي وان عدم توقف ايان منهم بعد ذلك فهو معاند غير واثق من صحه عقيدته فحسم المساله بالمباهله وقد ظهر عجز النصاري وتزعزع عقيدتهم بخصوص ذلك

فذكر بعدها كذب الاقاويل والأساطير التي يروج لها هولاء بشأن عيسي عليه السلام ولو كانوا واثقين من صحه اعتقادهم لقبولوا التحدي فليس هنالك اله الا الله تعالى

الأمر الثاني

انتقلت بعد ذلك النصوص الي دعوه أهل الكتاب الي التصديق برساله الاسلام واقناعهم بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وما يحمل من أفكار ودعوه وترك الشرك وان عليهم المسارعه الي الاستسلام والخضوع لله تعالى اسلام الوجه لله تعالى فقال تعالى (أن هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم)

أن القصص التي ذكرتها النصوص بما فيها من دقه عاليه في التفاصيل وماورد فيها من أحداث تتبع في ذكرها حدثا بعد حدث كمن تتبع اثر الاقدام للوصول إلي صاحبه ليست احداث يرويها الرسول صلى الله عليه وسلم ويرتب مقدمتها ونتائجها انما هي وحي من الله الذي أحاط بكل شيء علما فاوحي لرسوله فهي الصدق بعينه لا مجال للخيال فيها فالاصل أن يسارع أهل الكتاب بعد هذا ألي الالتحاق برساله الاسلام ويؤمنوا بها وأن عليهم ترك ما هم عليه من عقائد فاسده فليس هنالك اله الا الله وحده لا شريك له كان يستوجب عليهم اسلام الوجه لله تعالى والخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله

فهم أهل كتاب والإسلام هو الورايت للأديان وهو ناسخ لما قبله

فعقيدته الاسلام تقوم علي اسلام الوجه لله وهي دعوه ابراهيم الذي يتفاخر به اليهود والنصاري والعرب فالله يقول (مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين.. الخ فالتسلسل وبقاء صفه الدين والتدين والايمان لاصقه بهم تتطلب منهم الالتحاق بالإسلام بعدما علموا أنه هو الحق

وهو ماكان يطمع فيه المومنون ان تكون نتيجة ظهور الحقيقه أمامهم أن يؤمنوا برساله الاسلام

الأمر الثالث

ولأن المسلمون كانوا حريصين على إيمان أهل الكتاب لانهم أهل كتب سماويه ونحن امه تومن بجميع الكتب السماوية والرسول ونقرأ التاريخ الإنساني علي أنه جزء من ديانته الاسلام من خلال ربط العمليات الإنسانية بالدين في اي زمن بالنظر الي موافقه ذلك المطلب الرباني فالتسلسل الذي نرتبط به هو تسلسل المنهج الرباني والايمان واقامه العهد

لهذا نجد أن النصوص تضمنت في ثناياها استعراض زيغ أهل الكتاب عن حقيقة اسلام الوجه لله تعالى ودعوتهم إلي ترك ونبد عقيدته الشرك فقد كان رده فعل اليهود أن قالوا إن محمد يريد منا أن نتخذه الها كما اتخذ النصارى عيسى الها وقالت النصارى أن محمد يريد منا أن نتخذه الها كما اتخذت اليهود عزيز الها ورفضوا القبول بدعوه الا سلام

مع علمهم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وادراكهم أنهم علي الباطل فأخبرنا الله أن المانع هو خوفهم من فقدان المصالح والامتيازات التي حصلوا عليها من الانتساب الي اليهودية والمسيحية فهم يرون أن دعوه الاسلام تفقدهم تلك الامتيازات التي منحتهم العلو في الأرض والنفوذ والجاه والسلطان والقوه فهم ينظرون أن الاستعلاء يكون بالمال والسلطان والجاه والنفوذ وانهم استمدوا ذلك من الرئاسة الدينية واحتكار نزول الوحي في امه بني إسرائيل وان الانبياء فيهم ويتفاخرون بذلك وبالانتساب الي ابراهيم وعندما دعاهم الرسول الي الاسلام الذي هو علي دين ابراهيم خافوا أن يجد الاسلام قبولاً لدي العرب الذي يحترمون ابراهيم فقد اصابهم الخوف علي الجاه و السلطان ولهذا نجد أنه تعالى يذكرهم (وان الله لهو العزيز الحكيم)

بأن مصدر العزه هو الله فعليكم الاستعلاء بالحق وبالله فهو قوي لا يغلب وليس القياده الدينيه والرئاسة ولأنهم رفضوا الاسلام برغم علمهم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم نتيجة الحسد لأن الله اختار الرسول الخاتم من امه العرب ومن نسل اسماعيل عليه السلام فالله يخبرهم أن هذا الأمر يخص الخالق سبحانه وتعالى وليس من حقهم الاعتراض علي اختيار الله لرسوله فهو اعلم حيث يجعل رسالته...وهو سبحانه وتعالى له حكمه في أفعاله فهو الحكيم الذي يضع كل شي في موضعه واختياره للرسول صلى الله عليه وسلم من بني إسماعيل له حكمه ..ومهمه المسلمين البلاغ (فإن تولوا) وليس اجبارهم علي الإيمان وهنا تنتقل النصوص الي بيان انقطاع صله هولاء بحمل رايه الهدايه بعد الان فاتجاه هولاء وحركتهم ليس اصلاح الأرض وعمارتها وفق منهج الله باعتبار هذا هو هدف الاستخلاف في الأرض ويقول الله أن انتساب هولاء الي الانبياء وانهم من نسل اسحاق الذي ينتهي الي ابراهيم عليه السلام لن ينفعهم لانهم قد خرجوا عن قانون الخلافه التي يكمن شرفها بالتزام منهج الله فالابوه هي أبواه المنهج لا النسب (مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين) وهنا يقول تعالى أن هولاء أصبح دورهم في الأرض بعد الان مشبوه (والله عليم بالمفسدين)فهم لم يعد لهم ارتباط بالاديان ولا بابراهيم عليه السلام الذي حاولوا اتخاذ الانتساب إليه وسيله للنيل من الإسلام بالزعم أن الإسلام مخالف للحنيفيه خوفا من انتشار الإسلام بين العرب الذين يحترمون ابراهيم وقالوا إن دعوه الاسلام الي اسلام الوجه لله تعالى ليست هي دعوه ابراهيم ولهذا

كان الرجوع للمجادله بعد انقطاعها للاتي

المساله الاولى

كشف خبث نفوس أهل الكتاب سواء اليهود أو النصار

بعد أن ذكر حقيقه أنه يعلم ما في نفوسهم من شهوات حب الرئاسة والقياده والجاه والسلطان والقوه فقال (والله عليم بالمفسدين) لبيان ان المانع من اتباع هولاء منهج الحق ورفضهم الإذعان والتسليم والقبول بأمر الله تعالى

وطاعته يعود الي الزيف الذي في نفوسهم وابتعادهم عن المطلب الرباني الذي به يكون تحقيق الغايه والهدف من الوجود الإنساني علي الارض..العباده لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون). يعود إلي إفساد هولاء القوام النوعي المنظم لقوه الحب والارده حيث أصبحت اردتهم تحت سيطره الشهوات والأهواء فهم يكرهون الحق يريدون استغلال الدين لمصالحهم واهواهم وشهواتهم ولا يريدون الإصلاح في الأرض بل أعمالهم فيها الا فساد في الأرض فهم وان كان لهم قوه فهي بلا شرف لانهم تخلوا عن القيام بمهمه الخلافه وزاغوا عن أمر الله فوقعوا في الغفله ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون كانوا حريصين علي إقناع هولاء برسالة الاسلام وان يتركوا عقيدته الشرك فقال تعالى (والله عليم بالمفسدين)

يقول لنا الله هولاء لا يؤمنون بشي لا يوافق اهواهم فهم لا يريدون الحق ولا يرغبون به ويكشف عن أسباب ذلك مبينا أن ما عندهم من التعصب الأعمى والتقليد اصابهم بالعمي عن رؤية الحق وحجب عنهم الرؤيه فهم لا يطلبون الحق لذات الحق بل يطلبونه لأنفسهم

فقد أفسدوا عقولهم بالشرك بالله فصاروا جهلاء لا علم لهم ولا منهج هدايه لديهم يعرفون به الحق لانهم يعتقدون أنفسهم أهل الكتاب ومنهم الانبياء وانهم ابناء الله واحباءه.... واتخذوا من ذلك اداه لجني المصالح والا متيازات ولهذا فهم يريدون تطويع الحق لمصالحهم واهواهم وشهواتهم بالخروج عن أمر الله تعالى وما حملته الا نجيل والتواره فقال تعالى (قل يا اهل الكتاب) والخطاب موجه للنبي صلى الله عليه وسلم أن يتوجه به إليهم ليعلموا أنه أمر من الله تعالى وليس من عنده

لتوبيخ هولاء لانهم أهل كتب من الله يفترض بهم أن يكون مالمديهم من علم باعنا ومحركا لهم الي المشاركه و القبول بالحق فمن العيب أن يكون منهم كل هذا الرفض لمنهج الله الاسلام والابتعاد عن الحق فهم عندما رفضوا الحق لم يرفضوه عن جهل بل نتيجةه العصبية فقد قال تعالى (وماتفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)

فهم غير جديرين بشرف الالتحاق بامه الايمان لأن التعصب الأعمى والتقليد اصابهم بداء كراهيه الحق نتيجةه الكبر والحسد وسوء الاخلاق فالغفله او قعتهم في ضعف قوه العلم فاعتقدوا أنفسهم أمر عظيم فاردوا العلوا في ا لأرض والفخر بين الناس بالرئاسة الدينيه والسلطان حتي وصل بهم الأمر الي مزاحمه الخالق في ربوبيته فقد ورد أن حاتم عندما سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقرا (اتخذوا احبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم اربابا من دون الله...الخ

فقال ماعبدناهم يارسول الله فقال إنهم كانوا يتبعون الاحبار والرهبان في التحليل والتحرير فالشرك ظلم وبالتالي فإن هذا مانع من التحاق هولاء بالإيمان

وان هولاء قد اتخذوا انبياءهم الهه تعبد من دون الله وهذا ناتج عن العصبية وهم غير قابلين لقبول دعوه الحق ولهذا يقول (قل ياايها الكتاب تعالوا الي كلمه سواء ب...الخ

طلب منهم الاجتماع حول كلمه العدل والانصاف التي نكون فيها متساون بعيديون عن التعصب الأعمى

المساله الثانيه

لاقامه الحججه عليهم بصحه عقيدته الاسلام فمجال هذه المجادله اقامه الحججه عليهم التي لا يجدون عنها موثلا بدعوتهم الي تخصيص الله بالعبادة ونبذ عقيدته اشراك غيره في الألوهية والربوبيه وهي مساله في غايه الاهميه ولهذا نجد

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنبيه (قل) وهذا فيه اشاره أن الموضوع يحتاج الي اهتمام وعناية منك لان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمور أن يبلغ كلام الله كله بدون أن تأتي كلمة قل ..ولهذا فإن ابتداء النص بلفظ قل يعني أن مابعد له خصوصية تتطلب منك العناية والاهتمام بها فهي مساله في غاية الاهميه.....وهو خطاب للمومنين بدليل قوله تعالى (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

وهذا لارتباط النص بدعوه الملوك والرؤساء والأمراء الي الاسلام لما ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم ارسل دحيه الكلبي الي هرقل فقال من محمد رسول الله الي هرقل عظيم الروم سلام علي من اتباع الهدي اسلم تسلم ياتيك أجرك مرتينثم قرأ (قل يا اهل الكتاب تعالوا الي كلمه سواء بيننا وبينكم....الخ

فالدعوه ابتدأت بقوله تعالي (تعالوا) اي هلموا والمراد بها طلب الاجتماع علي كلمه

فالرسول قام بتبليغ الدعوه وأمر الله وأقام عليهم الحججه

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يأمر المسلمون بإعلان البراءه من الكفر وأهله وان يلزموا هولاء بالحججه (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى بقوله (الانعبد الا الله) يطلب منك أن تستحضر مقام العبودية فالفرق بيننا وبين العربي حين نزول الوحي أنه كان بمجرد مايسمع كلمه عبد تتمثل أمامه صورته العبد لترسم له في ذهنه لوحه متحركه تشرح له ماهي وظيفه العبد فيري أنها طاعه سيده وامثال امره ومن الطبيعي أن تكون النتيجة طاعته فهو يدرك انه يعني أن يسلم نفسه لسيدة طاعه وتذل وهو يعتقد علو منزله سيده ويعترف بها

ولهذا نجد أن النص ابتداءً يطلب عباده الله وحده وأنها أمر متفق عليه بين جميع الرسل لأن الحكمة الشرعيه من الوجود الإنساني علي الارض هي عباده الله تعالي وهي كما قال الكثير من العلماء طاعه الله بفعل المأمور وترك المحذور وهذه هي حقيقه الاسلام لأن معني الاسلام الاستسلام لله تعالي المتضمن غاية الانقياد والذل و الخضوع

ولهذا فانه لو حصل منهم الاستجابة لهذا لكان منهم ترك ونبد الشرك بالله وترك حب العلو في الأرض لأن العباده تعني أن يذعن المرء لعلو احد وغلبته ثم يتنازل عن حريته ويترك إزاء كل مقاومه وعصيان وينقاد له انقيادا ولذلك فإن الذي يرفض هذا لا يكون له علاقه بالاديان فاللازم عليه الاعتراف أنه بعيد عن الأديان

المفهوم الثاني

أن عقيدة التوحيد هي التي جاء بها الرسل والأنبياء جميعهم كما قال شيخ الإسلام أنها تضمنت إثبات الالهيه لله وحده بأن يشهد أنه لا اله الا الله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل الا عليه ولا يوالي الا له ولا يعادي الا فيه ولا يعمل الا لأجله فهذه هي الكلمه التي فيها العدل والانصاف التي اجتمع عليها الرسل كلهم

المفهوم الثالث

أن مفهوم التوحيد بالربوبيه لايعني أن يكتفي بالاعتراف بأن الله خالق الكون والاعتراف لله بالاسماء والصفات واثباتها له سبحانه وتعالى بما يستحقه فليس مجرد هذا هو التوحيد وان نزه الله واقر بأنه وحده الخالق في التوحيد هنا أخص من هذا المعني لقوله تعالي (ومايؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

فالمراد بهذا أن يمتثل أمر الله بحيث تكون حركته كلها باتجاه اسلام الوجه لله في كل أمر من أموره فعليك قبل الفعل أن تعرض هذا الفعل علي منهج الله ما هو الحكم الشرعي له هل هو حلال ام حرام

فانت قبل أن تخطو اي خطوه عليك أن تستحضر مقام العبودية لله بانك عابد لله في هذا الفعل فإذا وافق منهج الله فعلت الفعل... ليس للاهواء منها شي وهذا يعني إعطاء الشريعة الدستوريه دورها في ضبط حركة الإنسان في الأرض بحيث تنسجم مع حركة الكون الذي يتحرك وفق نواميس الله وقوانينه وبالتالي فالذي يتناول علي سلطه التشريع فهو ينصب نفسه ربا يعبد من دون الله فالمنهج الرباني يهدف إلي تربيته الناس وإقامه الخلافه وفق منهج الله فعليك أن تعرف نفسك بضعفها وحاجتها لربها وتعرف ربك بغناه وإحسانه وملكه وقدرته وهيمنته ولهذا يقول الله بلسان الرسول(ولايتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله)فذكر بعضنا بعضاً يعني كلنا بشر ضعفا محتاجون الي الله فمن المعيب أن تتوهم نفسك عظيما لتزاحم الله في ربوبيته

المفهوم الرابع

أن قرأه التاريخ الإنساني يجب أن يكون مرتبنا بالاديان فلا يمكن فصل العمليات الإنسانية في الحضاره البشريه بعيد عن الأديان فالقراءه الصحيحه تكون من خلال ربط الأحداث والعمليات بالاديان وتفسير صلاح العمليات أو فسادها من خلال النظر إليها هل هي موافقه للمطلب الرباني الذي حمله جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام الي الناس ام فيها انحراف فإذا كانت هذه العمليه بعيده وباتجاه مخالف للمطلب الرباني عباده الله تعالي وتوحيده وطاعته... فإن هذه الحركه لاعلاقه لها بالاديان وان ادعي أصحابها الانتساب الي الانبياء والديانه في زمن ما... لآ ن تلك الجماعه أصبحت تابعه للمطلب الشيطاني فهي بعيده عن مدرسه الخير والصلاح والايمان التي تقوم علي التوجه في كل فعل باتجاه الله فهو خاضع لله بذل واستسلام في كل حال وعليه أن يدرك أن ابتعاده عن منهج الله وعن هدف التوحيد أصبح متمرد علي الله وبالتالي فهو كافر قد التحق بمدرسه الشيطان ولهذا نجد أن الله يقول (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

المبحث الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يعلمنا كيف نحاور الآخرين ويعطينا هذا المثال الذي يرسم لنا طريقه النقاش وعرض الا دله والبراهين للوصول إلى افحام الخصم ودحض حجته من خلال الآتي

الدرس الاول

اهميه اختيار القضييه التي تمثل قاسم مشترك بيننا وبين الذين نتحاور معهم ولهذا نجد أن الله تعالي أمر نبيه أن يتوجه الي أهل الكتاب طلبا منهم الاجتماع (تعالوا الي كلمه سواء بيننا وبينكم)

وتعالوا من التعالي يقصد أمرا بالصعود الي مكان عال تشريفا للمدعو... فهو يدعوهم الي ترك العناد والعصبيه فأراد بهذا طلب الاجتماع علي كلمه سواء وهو تمثيل جعل الكلمه المجتمع عليها تشبه المكان المراد الاجتماع عنده ف الدعوه فيها طلب القدوم والاجتماع عند هذه الكلمه

فالدعوه الي كلمه الإنصاف والعدل (سواء)اي نتساوي فيها نحن وانتم في الوقوف باحكامها وترك الجدل فلا ميل فيه لاي منا (بيننا وبينكم) اي بين لاميل فيه للمسلمين ولا النصاري واليهود الي عصبيه

فالله يقول هلموا الي قضييه عادله اشترك فيها جميع الانبياء والمرسلين فهي مساله متفق عليها لاختلاف فيها ثم

فسرها فقال تعالي (الا نعبد الا الله ولانشرک به شئيا ولايتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله)

فقد تضمنت الفقرة الاولى الدعوه الى عبادته الله ونبذ عقيدته الاشرک مع الله غيره وأن لايطيع أحدنا غيره من البشر في معصية الله في أي مساله من المسائل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعبادات أو أي أمر

فهذا هو القاسم المشترك الذي يجمع جميع الرسل والأنبياء فهم جميعا دعوا الي التوحيد وحملوا المطلب الرباني (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)فعقيدته التوحيد وعبادته الله وحده لا شريك له ونفي الشرك معه لما سواه هو الغايه والهدف من الوجود الإنساني علي الارض واصوال هذا المطلب أن علي العباد الانطلاق في كل شي من وحي السماء ومنهج الانبياء

ومساله معرفه القواسم المشتركه مبدأ مهم لإصلاح أحوال العالم فالرسول صلي الله عليه وسلم كان يحاجه الى التعامل مع كافة الأجناس والألوان فدين الاسلام عالمي يتجاوز حدود الزمان والمكان فالقاسم المشترك بين جميع الأديان هو الدعوه الى معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده في الوهيته وربوبيته وعبوديته وحده لا شريك وعمران الأرض وفقا للمطلب الرباني فهذه هي الكلمه التي فيها العدل والانصاف ويجتمع حولها جميع الأديان فجميع الرسل حملوها وجميع الكتب السماوية احتوت علي ذلك وهذه هي اصول الأديان السماوية كلها لأن عكس ذلك هو المطلب الشيطاني الذي يدعوا الي التمرد علي أوامر الله يدعو إلي عبادته الهوي وحب الرئاسة والتفاخر با لانساب والسلاله (انا خير منه)

وهدف اتباع هذا المطلب واصواله مخالفه المنهج السماوي وابطال التشريع الرباني والافساد في الأرض

ولهذا يقول لنا الله تعالي أن اتباع المطلب الشيطاني لايريدون معرفه الحق في جدالهم بل يريدون بذلك ابطال الحق. كما حصل من معلم ومؤسس هذه المدرسه الشيطان الرجيم الذي رفض القبول بفضل ادم وخلافته فقال اناخير منه...فاتباع هذه المدرسه لايقبلون بالحق والعدل

ولهذا فإنه إذا رفض هؤلاء القبول بدعوه العدل والانصاف فعليكم اعلان البراءه منهم والوقوف أمام أفكارهم الخبيثه وكشف فساد ادعاؤتهم الباطله وفضح اكاذيبهم لانهم أصبحوا. اتباع المدرسه الشيطانيه وقد قطع حبل الصله الذي يربطهم بمدرسه الانبياء والمرسلين المدرسه الإيمانية اذا رفضوا الالتزام بالمطلب الرباني الذي يقتضي التحرر من كافة الأصنام والأهواء التي تعبد من دون الله فقال تعالي (ولانشرک به شئيا) فلا نطلب شي الا من الله فهو الذي بيده كل شي ونظرا لأهمية المنهج الرباني الذي يحقق لنا معرفه الحلال والحرام ويدلنا علي الطريق الموصل الي عبادته الله ومايحب ويرضا وما الذي يسخط الله ويغضبه بما يجعل حركتك كلها تتجه نحو تحقيق الغايه والهدف من الوجود الإنساني فقال تعالي (ولانشرک به شئيا ولايتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله)اي أن نسمح لأحد أن يتناول علي سلطه الله تعالي في التشريع الرباني لقوله تعالي (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذان به الله)ولقوله تعالي (ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) في كل المسائل سواء العبادات والمعاملات أو السياسية أو الاقتصاد وفي جميع المجالات ثم يبين الله لنا كيف تتصرف عندما يحصل الأ عراض عن هذه الاصول التي حملها جميع الرسل والأنبياء فقال تعالي (فإن تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون) أن أعراضهم ورفضهم القبول بالاحتكام الي هذه الكلمه التي فيها العدل والانصاف يعني أنهم يعترفون أنهم لم يعودوا لديهم ارتباط بالاديان في الحقيقه وأنهم قد انحرفوا وخرجوا عن المطلب الرباني وانهم قد اتبعوا المدرسه الشيطانيه فقد انكشفت حقيقتهم وبعدهم عن الدين والتدين ولهذا فعليكم اعلان البراءه منهم (فقولوا اشهدوا باننا مسلمون)قولوا لهم لقد الزمناكم الحجه وعليكم الاعتراف بأننا علي الحق وأنكم علي الباطل

الدرس الثاني

عليك بعد اختيار القضية الجامعه الابتعاد عن المسائل الخلافية وترك التعصب للرأي فقد ورد عن سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه الي الله والرسول)

أن ذلك بالاخذ بما جاء في القرآن وبالنسبه للرد الي الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون بما أجمع عليه مما لا يختلف من سنته فيه اي أن يكون الأخذ بسنته الجامعه غير المفرقه لانه هناك سنن افتترقت فيها الآراء ولهذا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتنازل مع الخصم لازلزمه بالحجه فقال تعالي (سواء بيننا وبينكم) والحق لاشك فيه أنه مع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن من أجل إلزام الخصم الحجه امره الله بذلك فالجدل لاينبغي أن يكون فيه التفرقه فاللازم أن يكون النقاش فيما هو متفق عليه فلا ينبغي التعصب للرأي كما نري البعض ممن يحمل الفكر الإسلامي أنه لايقبل بالآخر اذا خالفه بالرأي في مسائل فرعيه ليست اصل من الاصول وهؤلاء لو وقفوا امام ما هذا الحوار الذي أمر به اكرم خلق الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعرفوا اهميه هذا المبدأ في النقاش فيما بيننا نحن المسلمون فلا ينبغي قطع الجسور بيننا لخلاف في مسائل خلافية بين علماء الإس لام

الدرس الثالث

أن تكون هذه القضية عادله وان لا يكون لك هدف شخصي من الجدل والنقاش حولها وانما يكون الهدف والغاية يحقق مصلحة للمجتمع كله حيث نجد أن دعوه الرسول صلى الله عليه وسلم لاهل الكتاب للاجتماع بدون ميل و لاتعصب من الطرفين الي قضيه عادله فيها انصاف الأطراف يقول لهم تعالوا هلموا اي اجتمعوا واتركوا العصبية ثم عليكم التفكير والنظر في هذه القضية التي اجتمع فيها كلا منا حولها وجميع الرسل والأنبياء حملوا هذه القضية فهي فيها الاستقامة بعيدا عن العصبية ثم فسرنا (الا نعبد الا الله) أنها كلمه التوحيد التي هي أساس الحركه الا نسانيه علي الارض فهي ترتبط بالعهد المقطوع علي ادم حين اوكل له مهمه الخلافه علي الارض فأساس كل حركه في الحياه ينبغي أن تنطلق من عقيدته التوحيد فالله وحده هو المستحق للعبوديه فهذا هو المطلب الرباني الذي حمله جميع الرسل والأنبياء لقوله تعالي (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وهذا فيه دعوه الي الاستسلام والخضوع والاذعان لله تعالي ليكون الانطلاق بعد ذلك بالتححرر من كافة القيود التي تشل الحركة وتصيبها بالجمود أو سلبه الفاعلية..

ولهذا فإن ايجابيه الفاعليه تتطلب التححرر من كافة الأصنام والأهواء فقال تعالي (ولانشرك به شئيا)

اخراج الأصنام التي بداخل كيان الإنسان مثل الرباء وطلب الشهرة وعباده الهوي وحب الرئاسة والتفاخر وغيرها من الأفق الضيقه ثم ذكر الدعوه الي التححرر من طاعة الرؤساء والاكابر في معصيه الله والتحذير هنا من أتباع الفاسدون في الرئاسة والقياده الدينيه والقدرية فقال تعالي (ولايتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله)حيث في هو لاء صلاح الناس أو فسادهم فهم أن فسدوا ادخلوا الباطل بالحق وافسدوا في الأرض ونصبوا العدوا لله وحاربوا المومنون ودين الحق

وهؤلاء يضيق صدرهم ولايقبلون الرجوع الي الحق ولايقبلون به (فإن تولوا)فأخبرنا الله أنه في هذه الحاله

فإن اللازم عليكم الاعتزاز بالدين والاستعلاء به وان لايوثر فيكم الضجيج الاعلامي الذي سوف يحاول الأعداء اللجوا اليه لتغطيه الفضيحه التي لحقت بهم بعد كشف خبث نفوسهم وبعدهم عن حقيقه التدين .فيجب عليكم الحذر من السقوط في مصيده الأعداء فلا تخجلوا من اعلان ما انتم عليه من الحق واشهاره بارداه وعزيمه قويه تغلنوا فيه الخضوع والاستسلام لله تعالي والاعتزاز بذلك فهذا هو اللازم عليكم بعد اقامه الحجه فهذا الاعلان

فيه اقامه الحجه عليهم بصحه عقيدة اسلام الوجه لله تعالي لاتخاف من بطش هولاء

ولا تخجل من حمل دعوه التوحيد للناس لأن الخجل يعني الانسحاب من ميدان العمل الايماني يعني العجز و التخلف فلا يمكن للايدي المرتعشه أن تبني وتعمر الأرض وكم نحن اليوم بحاجة الي تفعيل هذا المفهوم في حياتنا مع الأعداء بلا مغالاه ولا تفريط ولا إفراط لقد أصبح البعض يستحي أن ينسب الي جماعه العمل الايماني لأ ن البعض قدم صورته مشوهه عن الإسلام فصار ينظر إلي دين الحق أنه الإرهاب ودين سفك الدماء لدرجه انك تشاهد انسحاب الكثيرون من ميادين العمل الايماني نتيجته الصوره التي رسمتها أفعال البعض الذين ينسبون الي ا لاسلام وغياب القياده التي تدافع عن الدين بأسلوب سليم ودور الإعلام السلبي في تشويهه صورة الإسلام بغياب ا لإعلام المقابل الذي يوضح حقيقة الإسلام وبراءته من التهم التي يتعد أهل الكفر الصاقها بالدين الحنيف

ثانيا

تنتقل سياق النصوص الي معالجه قضيه اسلام الوجه لله تعالي التي هي دعوه الاسلام من زوايه أخرى متعلقه بازاحه الشبهات التي اثارها اليهود والنصاري حول المحاججه في ابراهيم فقال تعالي (يا اهل الكتاب لما تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراه والإنجيل الا من بعده أفلا تعقلون)

حيث يفهم من النصوص أن هنالك جدل كبير ثار بشأن ابراهيم فيما بين اليهود والنصاري من جهه والمسلمون من جهه اخرى والجدل متعلق بفكره الاسلام وارتباطه بابراهيم عليه السلام باعتبار أن أي رسول في بدايه الدعوه يبدا بإقناع الناس بالفكره التي يدعو الناس إليها وبشخصه قبل الانتقال الي الأمور السياسية والاقتصادية والا جتماعية والثقافية

وهذا ما اختتمت به الايه السابقه (واشهدوا باننا مسلمون) فكان النداء يا اهل الكتاب...واستنكار المحاججه منهم بشأن ابراهيم متعلق بهذه المسألة

ولا يوتر في ذلك ماذهب اليه المفسرون الي القول أن اليهود عندما التقوا بنصاري نجران تنازعوا حول ابراهيم وك لا منهما ادعي أن ابراهيم كان علي دينه فقال اليهود أن ابراهيم كان يهوديا وقلت النصاري أن ابراهيم كان نصرايا أو أن كلا منهما قال إن دين إبراهيم هو دينه وملته وان المولي سبحانه وتعالى أنزل الايه لدحض مزاعمهم وأن هنالك فتره زمنييه بين مجي موسي بالتوراه وبين موت ابراهيم تصل إلي الف سنه وان بين مجي عيسي بالا نجيل وموسي الف وستمائة سنه وان قولهم هذا يتعارض مع العقل فلا تناكر أن الايه فيها دخص مزاعم اليهود و النصاري ولكن لو أخذنا معيار البعد الزمني بين موت ابراهيم ونزول التوراه والانجيل بعده بتلك الحاله الحرفيه حسبما طرحها المفسرون فإن هذا يجعل القاري يقول ان القرآن هو أيضا نزل بعد ابراهيم عليه السلام بآلاف السنين

ولهذا فإن المساله متعلقه بشأن ما أخبر الله تعالي عباده أن فكره الاسلام تعود جذورها الي دعوه ابراهيم واسماعيل (ومن ذريتنا امه مسلمه) وأن القرآن جاء موافقا لصحف ابراهيم مثلما أنه جاء موافقا للتوراه والإنجيل لقوله تعالي (أن هذا لفي الصحف الاولي صحف ابراهيم وموسي)

ولهذا فإن المساله متعلقه بإعلان المسلمون أنهم علي دين الإسلام بقولهم (فقولوا اشهدوا باننا مسلمون)

حيث أن الله أمرنا بالاعتزاز بالإسلام فلا نخجل من إعلان اننا أهل دين الإسلام وان الذي أطلق علينا هذا الاسم هو ابراهيم عليه السلام لقوله تعالي (مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمون)

وهنا يتضح أساس الجدل وهوان اعلان المسلمون أن دينهم هو الحق وأنه مطابق للحنيفيه وان الذي أطلق عليه ا لاسم هو ابراهيم فالابواه هنا هي أبواه المنهج لا النسب

ولهذا لما شاع أن المسلمون علي دين الحنيفه فقد شكل ذلك مشكله لدي اليهود والنصاري وكانوا يطمعون أن ينتشر دينهم بين العرب بالذات النصاري فخافوا أن يسارع العرب الي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم يحترمون ابراهيم عليه السلام ولهذا فقد لجأوا الي

الادعاء ان مله ابراهيم وشريعته هي مطابقه للتوراه والإنجيل وانهم علي دينه

وايضا اردوا النيل من الإسلام من خلال

الزعم أن شريعته الاسلام فيها زياده عما جاء به إبراهيم أو أن الإسلام مخالفا لما جاء في دين إبراهيم فهم بهذه الدعوه اردوا ابطال حقيقته ان الاسلام موافق لدين ومله ابراهيم

وهنا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يرد علي هذه المزاعم من خلال الآتي

المبحث الأول

انكار المولي سبحانه وتعالى عليهم المحاججه بشأن ابراهيم والدعايه الاعلاميه التي اردوا فيها منع انتشار اعلان المسلمون (فقولوا اشهدوا باننا مسلمون)

يستنكر ادعاءات هولاء أنهم علي دين إبراهيم بدون برهان ولا دليل فجاء الخطاب فيه توبيخ لهم يا اهل الكتاب)

تبعه استفهام للانكار (لم)... ثم ذكر وجه هذا التوبيخ

(تحتاجون) وهي ماخوذه من المحججه التي تعني الاستدلال علي خصمه في دعوي يعتقد صحتها وهي تستخدم بين طرفين لأن كل واحد يدلوا بما لديه من حجه

فالله يقول ما كان يسوغ منكم هذه المحاججه التي زعمتم انكم علي شريعته ابراهيم فسريرته هي شريعتكم ومزاعمكم أن الإسلام مخرج عن شريعته ابراهيم

فالله يقول لهم كيف يكون ذلك وبين انزال التوراه وصحف ابراهيم الف سنه حيث كانت شريعته قد نسخت بـ التوراه وكذلك بين انزال الانجيل وإبراهيم الفين سنه واكثر فكيف كان منكم هذا القول الذي لايقوله عاقل فجاء بالاستفهام لنفي عنهم العقول (أفلا تعقلون)

ليبين قبح تصرفاتهم فالمراد نفي عقل الرشد عنهم لا عقل الإدراك لان الإدراك مناط التكليف بينما عقل الرشد مناط التصرف فأراد بهذا اظهار اساءه التقدير لدي هولاء للحقائق اشاره الي أنهم عندما قالوا ذلك القول الذي لا يتحدث به طفل إنما يعود إلي الاستخفاف منهم بالمومنين لانهم اميون لايعرفون القراءه والكتابه فقد تصورا أن ذلك سوف يمنع كشف سخافتهم التي لاتصدر عن انسان عاقل فهم لا منطقيه لديهم فيما يطرحون واستخدم الفاء التي تفصح أن فقدان العقل لديهم يعود إلي التعصب والتقليد والاستخفاف بالآخرين هو الذي ادي الي سوء التصرف منهم وفقدان العقل ولهذا كان الاستفهام والسؤال(افلاتعقلون) لتنبيه هولاء الي خطوره الموقف وان عليهم العوده الي جاده الصواب

المبحث الثاني

تعطينا النصوص صورا لفساد التصور لدي هولاء وانهم يطلقون الأحكام جزفا دون علم بها ودون الاحاطه بها علما ودون أن يصل إليهم العلم بها فيقول الله تعالي (ها انتم هولاء حاججتم فيما لكم به علم فلما تحتاجون ما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون)

أنهم عندما افتضح أمرهم وصاروا اضحوكة بين الناس بعدما تبين فساد تصورهم فيما ذهبوا إليه من الزعم أنهم علي شريعته ابراهيم ومحاولتهم نفي ذلك عن الإسلام

بعدها قالوا إن القرآن الكريم هو أيضا نزل بعد ابراهيم بازمنه متباعده... مثلما أن التوراه والانجيل كانت بعده بازمنه متباعده..وهنا يقول الله تعالى لهم موبخا لهم

١

(ها انتم هولاء حاجتكم)

ابتدأت بالهاء فيه التنبيه لانه عطف علي لمزهم بأنهم لاعقول لهم فالذي لاعقل له يحتاج الي تنبيه

فالنصوص ترسم لنا تخبط هولاء مثل المجنون بعدما افتضح أمرهم وهو فيه تنبيه لكل قارئ من أن يسلك سلوك هولاء فيقول انتبهوا انظروا كيف أن الحسد والغضب اعمي هولاء وحجب عنهم الرؤيه حتي من النظر في البدييات

٢

استخدم للتنبيه هذه الصيغه مع أن المشار إليه قريب للتنبيه للدلاله علي بلادتهم البلاده والغباء العظيمه فهم يحتاجون إلى التنبيه فهي للتبكيه والتوبيخ كانه يقول لهم وبرغم ما حصل منكم من كلام غير منطقي مازالتم تدعون العلم فإذا كان معرفه أن القرآن نزل بعد ابراهيم مثل التوراه والانجيل فإن هذا لايعيطكم الخوض في ما ليس لكم به علم بادعاءكم أن القرآن ليس علي دين ومله ابراهيم والحقيقه

لان المولي سبحانه وتعالى قد شهد أن القرآن موافقا لصحف ابراهيم وان الإسلام موافق لدين ومله ابراهيم فقد أخبرنا الله أن الحنيفه كان فيها حج البيت الحرام وكذلك الاسلام (وأرنا مناسكنا) وإبراهيم هو من بني الكعبه وان دين إبراهيم كان مطابقا للفطره والإسلام جاء متبعاً لملة ابراهيم فمصدر العلم الذي أخبرنا بهذا هو الله عالم الغيب والشهادة ويجب تقديم شهادته سبحانه وتعالى في كل قضيه

فالعلم يكون أما بالمشأهده من خلال الوقوف على آثار ذلك الواقع الانساني والتوراه والانجيل أنزلت بعد ابراهيم بألاف السنين فيستحيل عقلا معاصرتمك لما جاءت به مله ابراهيم .

واما ان يكون علم الغيب وهذا لا طريق له إلا بالوحي والله لم يذكر في التوراه ولا في الانجيل ان مالدیکم من شرائع علي مله ابراهيم

وبالتالي فإن نزول القران بعد ابراهيم بازمنه لاينفي وصول العلم لنا أننا علي دينه طالما أن الله أخبرنا بهذا فالعلم بالوحي فيه الدليل القاطع على صحه دعوه الاسلام أنه علي دين إبراهيم

لماذا ؟

لأن الله وحده هو الذي يعلم الغيب أما أنتم فلا تملكون معرفه الغيب فمن المعيب عليكم التناول بالقول فيما لا تملكون ادوات المعرفه له وكان يجب عليكم القبول بما اخبركم به الله تعالي فقال سبحانه و تعالي (والله يعلم وانتم لا تعلمون)

فطالما ان الله هو الشهيد الاول في كل قضيه فيجب تقديم شهادته في كل قضيه فهو عالم الغيب والشهادة أما البشر فعلمهم محدود

وهنا يقول هل تريدون معرفه حقيقه ابراهيم وماهي ملته فاسمعوا الي شهاده الله وأخباره واعلامه المتعلقة بحقيقه ابراهيم وملته فقال تعالى

١

(ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا)

نفي أن يكون ابراهيم علي دين اليهوديه أو النصرانيه فمله ودين ابراهيم لم يكن كذلك وهذا لابطال دعوي هولاء ومزاعمهم الباطله

٢

(ولكن حنيفا)

أن ابراهيم كان مائلا الي الحق لبيان منافاه اليهود والنصاري لذلك فهم متعصبون لايقبلون بالحق اذا عارض اهاهم

3

وصفه بالإسلام لله بالمحبه والخضوع والاذعان لله فهو كان خاضعا له منكسرا لربه فالمسلمون هم علي مله ابراهيم وايضا لبيان منافاه اليهود والنصاري لذلك لما فيهم من تمرد ومخالفه لمنهج الله

٣

ولم يكن من المشركين)

النص فيه إثبات أن اليهود والنصاري قد انحرفوا عن رابطة المنهج الرباني اصلا فلم يعد هناك رابطة تربطهم بالإيمان لانهم قد أفسدوا عقولهم بالشرك فصاروا جهلاء لأعلم لهم والمنهج هدايه يعرفون به الحق وكذلك فيه استدراك لنفي صله المشركون العرب بدين الحنيفه التي كانوا يزعمون أن ماهم عليه من الشرك أنهم علي دين ابراهيم

المبحث الرابع

تأتي سياق النصوص مبينه أن النسب لابراهيم بصله الدم ليست هي العلاقه المعتبره فهي لاقيمه لها لأن الاتصال إنما هي صله الايمان والابواه هي أبواه المنهج فقال تعالى (أن أولي الناس بابراهيم)

أن أحق وأجدر الناس قريبا بابراهيم عليه السلام هم الذين اتبعوا منهج الله تعالى اتبعوا ابراهيم بامثال أمر الله فقال (للذين اتبعوه)

ويدخل في هذا الذين اتبعوا ابراهيم في زمانه وأخذوا بشريعه الله التي جاء بها ..وايضا من اتبعوه بامثال منهج الله التي انزلها علي الرسل الذين جاءوا من بعده ولايمنع هذا من دخول في ذلك اتباع موسي وعيسي قبل التحريف للتوراه والإنجيل فالتبعية هي في طاعه الله تعالى ولايدخل في هذا الاحناف العرب مثل اميه بن عباده الصامت

ثم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم باسم الاشاره (وهذا النبي) لبيان شرفه وأنه له خصوصية فهو اتبع ابراهيم بـ

الملة والطاعة بعكس الآخرين فهو اتباع بالطاعة لله فقط ثم ذكر (والذين آمنوا) وهم نحن المسلمون

ليختتم الايه (والله ولي المومنين)

أن مصدر حمايه والنصره التي فيها السعاده مقرونه بالإيمان ف الله يقول لنا أنه لايعطي هذه القوه الا للمومنين وأنه كلما زاد الايمان لديك زاد قربك من الله وزدات حمايه الله ورعايته لك فإذا أردت المزيد من الرعايه الخاصه فعليك الإكتار من الذكر والطاعة لله تعالي لتكون حياتك كلها لله فأنت عابد لله في كل حركه تتحركها بالحياه طالبا رضا الله والقرب منه تعالي فمن يريد النصره والمعونه من الله فعليه التقرب الي الله بالأعمال الصالحه والإخلاص فهي تتفاوت بحسب تأثير الاسلام في سلوك المومن وحركته في الحياه

القسم الثاني

بعد أن ذكرت النصوص اثبات صحه عقيدته الاسلام وأنها الدين الحق وذكرت بالاداله أنه علي ملة ابراهيم وان اليهوديه والنصرانيه وجميع الملل قد انحرفوا عن طريق الانبياء والمرسلين الذين حملوا دعوه التوحيد والمشروع الرباني والتي فيها كلمه العدل والانصاف التوحيد فلم يقبلوا بالاجتماع علي هذه الكلمه عندما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إليها فهذه هي العلاقه التي فيها التسلسل الأبوي أبواه الايمان فأخبرهم الله أن الابواه هي للمنهج الرباني الذي فيه الاستسلام والخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله تعالي وليس العرق أو الدم فهم لو كانوا تابعين لابراهيم كما يزعمون لاتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم فهو يحمل دعوه التوحيد ومنهج الله تعالي لإصلاح الأرض والإنسان وهنا نجد الآيات تأتي بهذه المناسبه فقال تعالي (ودت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بأيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لما تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفه من أهل الكتاب آمنوا بالذي

اولا

أن الايات كما أوضحنا وردت بمناسبه قوله تعالي (فقولوا اشهدوا بانا مسلمون.... الي قوله تعالي (والله ولي المومنين)

ولما ذكرت النصوص حالهم بانهم رفضوا الاستجابة لدعوة الانتحاق بالإسلام أردف الله بذلك بيان أن هذا الرفض من أهل الكتاب يخرجهم من ولايه الله التي فيها المعونه والنصر والتوفيق والهدايه والسداد الي ولايه الطاغوت.... فناسب هذا ذكر وبيان حالهم لتعرف الأسباب التي تكون سببا للحرمان من ولايه الله الخاصه التي فيها الرعايه لاوليائه ف الله سبحانه وتعالى يقول (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور و الذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات)

وهنا يقول لنا الحق سبحانه وتعالى أنظروا إلى أحوال أهل الكتاب لتروا الأسباب التي كانت وراء حرمانهم من رعايه الله وحفظه لاوليائه فقال تعالي (ودت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون)

بأن طائفه من أهل الكتاب وهم اليهود والنصاري والطائفه جماعه منهم لأن الله تعالي يقول لنا (ليسو سواء من أهل الكتاب امه قائمه..... الخ

فأخبرنا أن هذه الطائفه التي تشمل الرؤساء والقاده والساده والاكابر منهم...ويدخل فيهم العوام لأن الله أخبرنا

أن الأغلبية اميون لايعلمون الكتاب الا امانى ومايتلقون من الاحبار والرهبانالمهم هنا أن هولاء يتمنون لو أن بمقدورهم أن يضلوا المسلمين بأن يعيدوهم الي الكفر وان يتركوا الهدايه فقال تعالى ودت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم)

مبيننا لنا أنهم في الحقيقه مايهلكون الا انفسهم بالانشغال بهذه المكائد فيزددون ضلال الي ضلالهم دون أن يفتنوا لذلك

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

أن المولى سبحانه وتعالى يريد أن يحذرنا من أن نسلك طريق هولاء يقول لنا أن نعمه الايمان هي افضل النعم التي انعم الله بها علينا فعلينا القيام بواجب هذه النعمه بالشعور والاحساس بالمسؤولية بحمل الامانه لنحظي برعايه الله فيقول لنا الله احذروا أن تفرطوا بهذه النعمه فيصيبكم ما أصاب أهل الكتاب فقد كانوا أهل كتاب سماوي وقد حملوا رايه الهدايه لفته زمنيه طويله وهنا نجد أن الله يقول لنا أنهم لم يعودوا لهم ارتباطا بمسيره الايمان

فقد حصر الله ولايته بالمومنين فقال تعالى (والله ولي المومنين)

واتبعها بقوله تعالى (ودت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم ومايضلون الا انفسهم ومايشعرون)

ليقول لنا أنظروا إلى حال هولاء لتعلموا الأسباب التي كانت وراء حرمانهم من نعمه الايمان ...فابتدات النصوص بقوله (ودت) والود شعور في النفس مرتبط بمحبه الشئ اي تمنى حصوله والسعي للوصول إليه فالنصوص ترسم لنا المشهد النفسي لهولاء والذي يعرف لنا من خلال الأعمال الداله أنهم جعلوا من تمنى اهلاك المسلمين واغرقهم ب الضلال واعادتهم الي الشرك أنهم جعلوا هذا هدفا لهم وغايه يسعون لتحقيقها (لو يضلونكم)

ف الله يقول لنا انتبهوا من الحسد والكبر والعناد فهذه أسباب سلب النعمه عن العبد فقد كان هذا الباعث سببا لا ضلال اليهود والنصاري (ومايضلون الا انفسهم ومايشعرون)

لماذا ؟

لأن الله يقول لنا (ذلك بأن الله لم يك مغير نعمه انعمها علي قوم حتي يغيروا ما بأنفسهم)

فهم عندما يغيروا الايمان الذي في نفوسهم بترك المأمور وفعل المنهي عنه فإن ذلك سببا لزوال النعم فكان العقاب لهم أن الحاقوا بأنفسهم الضرر

ف الله يقول لنا أن مافي نفوسهم من مشاعر منافيه ومناقضه لمبدأ محبه الله وطاعته وعبادته والتوكل عليه والإ خلاص له والشكر لله تعالى وكراهيتهم للحق وسعيهم لمحاربتنه ورغبتهم بنشر الشرك والبدع بدل الخير والهدايه ناتج عن وسخ الحسد والكبر

والرغبه باستمرار القياده الدينيه والرئاسة فيهم (لويردنكم كفارا من بعد ايمانكم حسدا من عند أنفسهم)

فهم كانوا يرون أنفسهم فوق مستوي العرب الأميين فعندما جاء الرسول من العرب كان هذا باعثا فيه اقتضاء الا ضلال لهم لأنهم نسوا الله وتركوا العلم النافع والعمل الصالح وانشغلوا بمحاوله اضلال غيرهم فطبع الله علي قلوبهم مزيدا من الضلال فحرموا ولايه الله ف الله يقول لنا في موضع آخر (اولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم)

وهو تعالي يقول (أن تبدوا مافي أنفسكم اوتخفوه يحسبكم به الله)

والله يقول لنا أن قوه الحب والغضب والعلم التي محلها القلب قد أفسدت لدي هولاء... فذكر خلل في التمني لديهم بماتفيد أنهم أصبحوا يكرهون الحق ويحبون الضلال ولهذا فإن هذا التغيير الذي طرأ في عقيدة هولاء كانت سببا لحرمانهم من الهدايه

فعليك أن تفهم أن التمسك بمنهج الله هو من أسباب الوصول الي ولايه الله التي تجعلنا في حصن منيع من محاولات الشيطان وعصبيته اغوانا عن الحق فالعبوديه لله فيها العز والكرامه والرفعه لأننا بذلك الإلتباع للرسول صلى الله عليه وسلم نصل الي ولايه الله (والله ولي المومنين)والله يقول لنا (إلا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياه الدنيا وفي الآخرة لاتبدل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)

فالله لا يخلف وعده وقد ذكر في المقطع الاخير من هذه السوره قول المومنون (ربنا واتنا ما وعدتنا علي رسلك و لاتخزنا يوم القيامه انك لاتخلف المعياذ)

الأمر الثاني

يعرض الله علينا مثال للذين كانوا في نور الايمان وتخلوا عن الإيمان كيف أن الله طردهم من رحمته فاستحقوا غصبه وسخطه سبحانه أنهم امه كانت في مرحله من مراحل البشريه تحمل المشروع والمطلب الرباني... لكنها صارت محرومه من ولايه الله الخاصه فهم مبعدون عن رعايه الله فهم أصبحوا عرضه للشيطان لأن الله قد قطع عهد فقال (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان... الخ

فأخبرنا الله أن هولاء لم يعد لهم ارتباط بالاديان السماويه في الحقيقه فهم قد أصبحوا دعاه المطلب الشيطاني فاستحقوا الاضلال فهم يقفون في وجه الدعوه ويخالفون المنهج فقد انخلعت عنهم صفه الإيمان فقال تعالي (و الله ولي المومنين) ثم ذكر حال هولاء لبيان أسباب فقدانهم ولايه الله الخاصه فأخبرنا أن مشاعر هولاء أصبحت منافيه لمشاعر المومنين فهم أصبحوا مطايا للشيطان وتابعين لمدرسه الشر فهم تمنوا عوده المسلمين الي الكفر ولم يكتفوا بذلك بل حاولوا استغلال كل فرصه سانحه لإلقاء الشبهات والشكوك في نفوس المسلمين لزعهه الايمان في قلوبهم فأخبرنا الله أنهم في الحقيقه الحقوا الهلاك بأنفسهم لانهم غرقوا في مزيدا من الضلال فوق ماهم عليه من الضلال دون أن يحسوا بذلك

وهذا فيه المفاهيم الاتيه

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى بمناقشه هذه القضيه يريد منا أن نعرف حقيقه المعركه بين الحق و الباطل وان مرجع أهل الباطل واحد هو الشيطان ابليس وموقفه من ادم مهما تعددت طرق الباطل ووسائله فهناك تلازم بين الشيطان والكفر فالله قد حدد منهم اولياء الله ومنهم أولياء الشيطان... فقال (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات)

فهذه هي القاعده التي نعرف بها من ينتسب إلى مدرسه الايمان الخير...ومن ينتسب الي مدرسه الشر ومؤسسها ابليس... فمن يحمل المشروع الرباني ويدعو الي الإلتزام بالمنهج الرباني فهذا ينتسب الي مدرسه الايمان والابواه هنا أبواه المنهج الرباني والعمل الصالح فالله يقول لنوح (أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح)

وهنا يعطينا الله هذا المثال الحي الذي يجسد لنا صورته لاولياء الشيطان يقول لنا أنظروا إلى هولاء فقد كانوا أهل كتاب لكنهم انحرفوا ولم يعودوا من اتباع الانبياء فلو كانوا تابعين لابراهيم كما يزعمون لاتبعوا النبي صلى الله

عليه وسلم محمد ولما رفضوا القبول بالحق

يقول لنا أن هؤلاء سلموا قياده أنفسهم الي الهوي والشهوات والشيطان .. فهم يجدون اللذه في نشر الضلال بين المومنين ويحاولون هدم عقيدة الإيمان واعاده المومنون الي الكفر

يقول لنا الله أن هؤلاء قد أفسدوا عقولهم بالشرك فصاروا جهلاء لا علم لهم ولا منهج هدايه لديهم يعرفون به الحق والله يقول (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فهذا هو المطلب الرباني وهؤلاء يقفون ضد مطلب الحق سبحانه وتعالى ويريدون نشر الضلال ومخالفه المنهج فقد أصبحوا دعاه المطلب الشيطاني فإذا أردت أن تحظي بولايه الله فعليك التزام المنهج الرباني الذي فيه الإرشاد الي طريق الحق فأنت أن أقبلت علي ذلك حظيت برعايه الله وحفظه لاوليائه ونلت التوفيق والنجاح ووصلت الي السعاده

المفهوم الثاني

يقول الحق لنا انتبهوا من سلوك هؤلاء فهم بعد أن كانوا حاملين لمطلب الحق سبحانه وتعالى لفتنه طويله أصبحوا دعاه إلى المطلب الشيطاني نتيجته الحسد والكبر فقد انحرفوا وجعلوا هدفهم نشر الضلال ومخالفه المنهج الرباني وإعادة العرب الي عباده الاصنام والاوثان ... فهم لم يعد لديهم علاقه بالاديان نتيجته ذلك السلوك فقد سقطوا في مصيده ومستنقع الشيطان الرجيم واصبحوا يلحقون الضرر بأنفسهم فقد أصيب بالفغله (وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون)

فقد فقدوا الاحساسيس واصيبوا بالبلاده أنهم يلحقون الاضرار بأنفسهم بهذا الفعل فلم لديهم علم ولو عرف أنه يلحق بنفسه الضرر بفعله لما فعله أنهم مع إيمانهم بالله واليوم الآخر يقدمون على هذه الأفعال فلو استحضروا عقوبه الله لما فعلوا ذلك فهؤلاء اعماهم الحسد فلم ينظروا الي أنفسهم كي يصلحوا عيوبهم بل انشغلوا بمحاربه الحق فاستحقوا العقوبه بأن غرقوا في الضلال وهم لا يحسون بذلك

المفهوم الثالث

أن الحق سبحانه وتعالى يقول لنا أن الجزء من جنس العمل ف الله خلق الانسان وكرمه بالعقل الذي يكون به الا حساس والإدراك والشعور فالذي يحي في الدنيا لأجل شهوه أو رغبه أو هوي فهذا يرفض أن يعيش الحياه بالشكل الذي خلق لاجلها حينها يسلب العلم والعقل ويعيش حياه البهائم فهذا عندما يبعد عن الحق بارداه اضلال غيره يولد في نفسه الشك فتصاب نفوسهم بالقلق والحيره بعد أن كان عالما بالحق

فيغرق في ظلمات الغفله يفقد انوار الايمان تدريجيا لتحيط به ظلمات الكفر من كل جهه فيكون مخذول لانه لا معين ولانصير له فالهالك الذي سعي لايقعه بالآخرين وقع فيه هو وذلك من مقتضيات إنكار الحق مع معرفته ومن يقف محاربا للحق أنه يجعل من يفعل ذلك غارقا في الضلال ويصاب بالبلاده والغفله وسكر لا يستطيع التميز بين الحق و الباطل بعدما كان صاحب علم

فالعلم اذا فيه الحياه اذا أخذ به أما إذا تركه فإن صاحبه لا يجد الحياه التي هي من ولايه الله ورعايته لاوليائه

فالحي هو الذي يجد اللذه بالطاعه وهو الذي يكون قلبه صالحا لاستقبال نور الله

أما الكافر فإنه يعيش في قلق وحيره فهو لا يحصل علي اللذه من فعله لانه عاجز عن إطفاء نور الله فالله متم نوره ولو كره الكافرون .. ولهذا فإن هؤلاء يلحقون الضرر بأنفسهم ولا يجدون اللذه المقصوده من الوقوف بوجه الحق ومحاولتهم اضلال المومنين ولهذا فهم بحكم الموتى لانه لا بد للحي من لذه أو الم وهؤلاء مقصودهم اللذه

فيما يفعلون وهي لن تحصل وبالتالي لا يحصلون علي مقصودهم وانما يحصل لهم الالم (وما يضلون الا انفسهم) والالم ليس مقصودا لفعالهم فأخبرنا الله أنهم لا يشعرون أنهم يضررون أنفسهم للاشارة الي فقدانهم الحياه والا حساسيس

المفهوم الرابع

أن المولي سبحانه وتعالى يريد منك ايه المومن أن تفهم انك مستهدف من عصبه العمل الشيطاني فذكر لك أن اتباع الشيطان يتمنون اغراقكم في الضلال وهم يطورون وسائلهم لاستهداف عقيدتك يريدون أن يزعزعوا ثقهم المسلمين بعقيدتهم وبرسولهم بناء حاجز بينكم وبين المنهج والقذوة (القران ..والنبي صلى الله عليه وسلم) فهذا الهدف جعلهم يضعون الخطط ويرصدون المسلمين وتحركتهم كي يجدوا ثغره في كيان الجسد المسلم فأخبرنا أن السلاح هو إلقاء الشبهات والشكوك في نفوس المسلمين بالمنهج وبالقياده

ليقول لنا أن هزيمه العدو يكون باليقظه والانتباه بمعرفه انك هدفا يسعى هولاء لإصابته بداء الهزيمه النفسيه كي تنسحب من حركه العمل الايماني

فيجب عليك تحصين نفسك ومجتمعك المسلم وسد الثغرات لمنع تسلل هولاء الي كيانك

أن هولاء يريدون أن يصنعوا لك منهجا يعيدك الي الجاهليه بوضع غطاء علي الحق ليظهر متلبسا بالباطل يريدون تغيب دور المنهج من القيام بدوره باخفاءه واستبداله بمنهج البشر لأجل أن يحدثوا فيك خلا في الوعي والا استقبال وضعف في القراءه والاستنتاج

فعليك الشعور بالمسؤولية والانتباه لسلاح العدو وأهدافه ...فهم يريدون اعدتك الي الخمول والجمود والسكون لحركتك أو أن تكون حركتك سلبيه الفاعليه يريدون اصابه عقلك بالشلل التام وأصابه نفسك بالشلل بالقائه الشبهات لاحداث احباط في المواقف والمدركات يريدون اجتناث الهمم والعزائم يريدون القضاء على القيم والمبادئ التي حملتها عقيدته التوحيد والإسلام واستبدالها بأفكار الجاهليه ...ليصبح نضالك وكفاحك في سبيل البلاده والغباء بأفاق ضيقه فقد شاهدنا كيف أن الامه الاسلاميه بعد مرحله الاستعمار لهذه الامه من قبل الاوربيين النصاري كيف أنهم قبل أن يخرجوا من هذه الاوطان زرعوا افكار الجاهليه من القوميات العربيه والقومية التركيه والكرديه والهنديه... في امه الاسلام وكذلك صنعوا الكثير من الجماعات التي نسبت للإسلام فصنعوا صورته قبيحه لترويجها بأنها هي الاسلام من عبده القبور أو من المغلايه وافرغوا منه القيم والمبادئ التي جاء بها الاسلام حتي أصبح الناس ينظرون للإسلام انه هو تلك الجماعات المشبوه وغاب دور الاسلام الحقيقي في حياه الناس واصبحنا جماعات متناحره كلا يدعي أنه علي الحق بل إن مانراه اليوم من هجوم علي الاسلام وارغام الحكام العرب اليوم علي الناس مناهج تعليميه بعيده عن قيم الإسلام ليأتي جيل لا يفقه ماهو دينه وماهو دوره في الحياه

ثانيا

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن هولاء منحرفون وفاشلون تخلوا عن شرف الخلافه والمنحرف يريد أن يكون الناس مثله بالانحراف

أن هولاء يعلمون بسنه الله في الاستخلاف علي الارض ويعلمون بشروط التأهيل للخلافه والتمكين الذي فيه التكريم فالخلافه شرف الإنسان ولا يثبت له بمجرد ولادته ...وانما يثبت لمن قام بالمهمه وسعي لها سعيها وهو مومن

والسعي يعني أنك في حركه والحركه نوعان أما حركه مستقيمه تخضع فيها لله وتنفذ امره وأما حركه فاسده فيها تمرد وعصيان ومخالفه منهج الله

والإسلام يأمر بالحركة المحموده التي تقوم علي اساس التوحيد القائم بمعرفتك لربك وما يحب من الأفعال وما يبغض فأنت بحاجة إلي السير في حركه مستقيم لتحقيق الغايه كي تنجح في الامتحان

والعقل عاجز عن إدراك كيف تقوم بذلك وبالتالي فإن المنهج مهم لإرشاد العباد الي الطريق المستقيم

حتي لاينحرف الإنسان بحركته او يصاب بالجمود والسكون

ولهذا فإن المنهج هو الحصن والسلاح الذي تحافظ به علي شرفك وقوتك التي يسعي هولاء لسلبها منك لتكون منحرفا مثلهم فهولاء قد فشلوا في الامتحان ولهذا كان انتقال القيادة الي امه الاسلام وهو ماجعلهم ينظرون إلي الاسلام أنه مصدر خطر عليهم لانه فيه الحق وهم صار علي الباطل فأنت قوي بهذا الحق ما تمسكت به فإذا تخلت عنه صرت فاقد القوه وكنت هدفا سهلا لهولاء ولهذا فإن تمسكك بالقران يصبيهم بالخذلان ويلحق بهم الهزيمة ويولد فيهم الشعور بالخيبه والعجز عن مواجهه المسلمين

ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يتوجه الي هولاء اليهود والنصاري بأسلوب حوار معهم فيقول (يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون)

المبحث الأول

ويقول لهم لماذا تنظرون الي الاسلام أنه مصدر خطر عليكم ولماذا تسعون الي إفسال المشروع الرباني وتقفون بوجه وقد اتضح لكم أنه فيه الحق فقال تعالى (يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون)

الأمر الأول

فاستعمل اداه النداء وخصهم بأنهم أهل كتاب (يا اهل الكتاب) بعد أن اختتمت الايه قبلها بنفي الشعور عنهم للايماء أنهم فقدوا العلم وما اتصلوا به من دين لانهم قد عبثوا بعقولهم وافسدوا فطرتهم عندما سلموا القيادة للهوي باصرارهم علي الضلال فزداهم ضلالا فوق ضلالهم فهم لم يحسبوا العواقب

ولهذا خاطبهم بهذا النداء لإنكار هذا الواقع منهم فهو لايتفق ومضمون العلم بالكتب السماوية التي يفترض أنها تدفعهم الي الايمان لا الكفر

ليس هذا السلوك يدل انكم لاتنظرون للعواقب وأنكم فقدتم الإحساسيس فجاء بالاستفهام (لم تكفرون)

لإنكار ذلك الواقع منهم ولبيان انهم اصبحوا لامنح هدايه لهم ولأعلم لأن واقعهم هذا يتعارض مع ما حملتها الكتب السماوية التوراه والانجيل التي توجب عليك القبول بالحق لانه ليس بعد الحق الا الضلال فأهل الكتاب يعلمون ماهو الحق وماهو الباطل فالله يقول (والذين اتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)

فالله يقول لهم انكم أهل علم واهل العلم يرون انزال الله بأنه الحق فيجب عليهم القبول بالحق فلا يسوغ منهم الكفر فالله سبحانه وتعالى يقول (افمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو اعمي قل لايستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يذكر أولو الأبواب)

أن الكفر منكم كان عن علم ودرايه بالحق وهذا الفعل القبيح منكم ناتج عن مشاعر نفسيه وهي ارده أن يسقط المسلمون في الامتحان مثلما كان منكم السقوط وبدل أن تبادروا الي القبول بالحق وتهتموا بانفسكم من خلال مراجعه ما كان سببا لانتقال قياده منكم الي امه الاسلام كي يكون منكم تلافي ماسبق وإصلاح عيوبكم ولتكونوا جزء من حركه العمل الايماني الجديد. فهذا هو الموقف الذي كان يقتضيه وصفكم انكم أهل كتاب

لكن أن تنظروا الي مساله انتقال القيادة الي امه الاسلام سببا لكراهيه الحق وإعلان الحرب ضده فإن هذا يدل

انكم انتم الذين هلكوا في هذه المعركة التي اعلنتموها ضد الإسلام والتي اردتم أن تهلكوا المسلمين فيها باغرقه بـ الضلال واعادتهم الي الشرك والاميه والحقيقه انكم اهلكتم أنفسكم ولم تنظروا للعواقب فانتم أهل كتاب وتعرفون من هو الخاسر الأكبر في هذه المعركة (وانتم تشهدون) لانكم خسرتم تزكيه الله فهو قد قال (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط...الخ

فقد كان الكفر منكم لفقدنكم هذه المنزله والمكانه التي قرنها الله بشهادته والمقربين منه فقد جعلكم شهودا في أعظم قضيه وهي التوحيد وأفراد الفعل المتضمن هذه الشهاده فلم يخص شهادتهم بفعل آخر غير شهادته فهو فيه دليل على شدة ارتباط شهادتهم بشهادته سبحانه وتعالى فقد زكهم الله وعدلهم لأن الله لا يشهد الا للعدول من خلقه فالعلم النافع هو الذي ينتقل إلي ميدان العمل وهذا يتطلب وجود المحبه للحق فأساس الارده هو المحبه التي تحرك تيارات الحركه لتسير خلف الإمام الذي يقودها نحو السعاده والعلم هو الامام والمرشد للارداه ولهذا ابتدأت النصوص بذكر المشاعر الداخليه لهؤلاء (ودت) لبيان أنها مشاعر فاسده ولهذا كانت حركتها منحرفه لبيان أنها فقدوا العلم واصبحوا جهلاء لامنهج هدايه يرشدهم الي طريق النجاه والسلامه

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى ينكر واقع هولاء فيقول أنظروا إلى حال هولاء عندما أعلنوا رفضهم الحق وحاربوه فقد أصبحوا دعاه المطلب الشيطاني باراده اضلال غيرهم فزدوا ضلال الي ضلالهم وفقدوا المشاعر الداخليه فهم لا احساسيس ولهذا تأتي النصوص بأسلوب الاستفهام الانكاري لواقعهم للتحذير من سلوكهم لأن الانحراف مع العلم يفقد صاحبه الاحساس ومهمها حاولت اثاره الاحساس لديهم فلا امل فيهم لبيان مخاطر رفض الحق مع العلم به فيقول لهم (يا اهل الكتاب) كيف يكون هذا حالكم كيف تجحدون بآيات الله

وايات الله هنا لها معاني متعددة منها

١

(ايات الله) بمعني العام وهي ما دعا إليها الرسل والأنبياء عليهم السلام كلهم من التوحيد والجنه والنار والأمر الغيبية والحساب والعقاب ولهذا قال مبينا العله لهذا التوبيخ (وانتم تشهدون) فأهل الكتاب يشهدون أن النبي صلى الله عليه وسلم اتى بمثل ما اتى به الانبياء فا الأمر بعباده الله وحده والنهي عن الشرك والاخبار عن الحساب والوعيد والجزاء والوعد والثواب والعقاب والجنه والنار والتكاليف والتوحيد ف الله يقول لنا في موضع آخر (قل كفي بالله شهيد بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وهذا هو العلم الذي فيه شهاده من عنده علم الكتاب حيث وان هنالك شرائع حملها جميع الرسل فلم ياتي أحد من الرسل والأنبياء بما يخالفها لا في الضروره ولا غيرها فهي اضافه الي التوحيد فقد حمل الرسل مهمه ازاله الشرك من الأرض وحرّم ذلك علي الناس وكذلك الفواحش والظلم المحض والقول علي الله مالاتعلمون فقال تعالي (قل إنما حرام ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله مالا تعلمون) فهذه الأشياء كلها محرمة في جميع الشرائع السماوية ولم ينسخ منها قط ولا في أي حال من الأحوال

٢

الآيات قد يقصد بها التوراه والانجيل حيث وان فيها مايدل أن الدين عند الله الاسلام ولهذا ذكر أن رفضهم الاسلام م هو كفر وخروج عن طاعه الله وهنا يستنكر عليهم وقوفهم ضد الحق مبينا أنه معروف لديهم فهو مذكور في التوراه و الانجيل لكن العائق أنهم لا يريدون الحق فذكر أن هذا العناد منهم رغم مشاهدتهم الحق إنما يعود إلي فساد قوي الحب والغضب فهي معكوسه لديهم ولهذا كان ذكر التوبيخ بعد ذكره تصوير ماديهم من رغبه قويه وشوق الي رؤيه هلاك المومنين بالضللال وانهم يبذلون أنفسهم وأموالهم للوصول إلي هذا الغرض ولهذا فهم

يخدعون أنفسهم من خلال إقناعها بخوض تلك المعركة بأن فشل المسلمين سوف يعيد لهم منزلتهم الدينيه ولهذا جاءت النصوص بأسلوب التوبيخ لهم لتحذيرنا من هذا السلوك

٣

أن المراد العلامات الداله على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فقد شاهدوا نعته والعلامات الداله على صدقه فهي موجوده في كتبهم فهي بمنزله المحسوس فكيف يكون إنكار نبؤه النبي صلى الله عليه وسلم وهم قد انتظروه وكانوا يستفتحون علي الناس أنه إذا خرج نبي اخر الزمان فإنهم سوف يقتلونهم مثل عاد وارم وهم أيضا يعرفون القران كما يعرفون أبناءهم

والله يقول (قل كفي بالله شهيد بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) حيث أن من ضمن ما يحتج به الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم أنهم يشهدون بما في كتبهم من نعته وذكر لصفاته ورسالاته وكتابه فهذه هي البراهين الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

فشهاده الله يعلم بها صدقه بالنظر الي آياته وبراهينه كمقدمه للعقل و الشهاده الثانيه يعلم بها صدقه بالخبر السمعي المنقول من الأنبياء قبله

ولهذا يذم الله هولاء فيقول كيف يكون منكم الإنكار وانتم تشهدون صدق ايات الله فما فيها من الوضوح والظهور يجعلها بمنزله الشاهد المحسوس لبيان ان ذلك يعود إلي المكابره منهم والعناد

المبحث الثاني

(يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون)

نجد أن الله تعالى يكرر التوبيخ لاهل الكتاب بإنكار الخالق واقعهم ومايحصل منهم من خلط الحق بالباطل...وكتمان واخفاء الحق....مع علمهم أن القرآن الكريم هو الحق وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو المذكور في كتبهم

وبالنظر إلى الآيات الثلاث نجد أن النصوص تكشف عن النوايا السيئه لاهل الكتاب تقول احذروا أن تسلكوا طريقهم فذكرت لنا أن العقل بحاجه الي الصيانه وضابط يضبطه والا فهو عقل مخادع مكار يزين لصاحبه الشر فيراه خيرا فلا تتق به مطلقا وان العلم لا بد له هو الآخر من ضابط ولا صار حجه عليك

ولهذا نجد

أن الايه الاولي اختتمت (وما يضلون الا انفسهم ومايشعرون) ذكر فقدان الشعور لديهم لماذا لانهم لأن اصل الشر هو الغفله والشهوه دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الي الاسلام وطاعه أمر الله باتباعه لكنهم فضلوا المعصيه علي الطاعه فقد رفضوا القبول بالحق مع انهم أهل علم فذكر أنهم رغبوا باذيه المسلمين فقال (ودت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم) ومن الموكد أن اضلال الآخرين معصيه وفيه مضره بالانسان نفسه فالاصل أن العاقل لايقبل ذلك لأنه لا يضر نفسه إلا مجنون أو جاهل لا علم له لكن هذا لديه علم فهو من أهل الكتاب لكن هذا سلم القياده للهوي فوق في الغفله فهو يعمل ضد مصلحته فرغبتة جعلته لايفطن للعواقب فقال تعالي (وما يضلون الا انفسهم ومايشعرون) ف الله يقول انتبهوا فإن العقل يخدع صاحبه في هذه الحاله ويصبح العلم حجه عليكم ولهذا فعليكم ايثار الطاعه علي المعصيه عندما تعرض المساله علي عقولكم حتي تبقي عقلك في محله وكذلك فانه لتجنب أن يتحول العلم الي حجه عليك وليس لك فإن اللازم عليك كف الاذي عن الآخرين بقطع الرغبه

وبذات السياق انتقلت النصوص الي بيان فساد عقول هولاء وان العلم صار حجه عليهم فذكرت الايه التوبيخ فقال تعالي (لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون)

اي كيف تكفرون بآيات الله وقد ظهر لكم بوضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم هو المذكور أوصافه في كتبكم فهو الحق بلا شبهه فهو بمنزله علم المشاهد المحسوس ..

أن هذا منكم أمر معكوس اذا كيف يكون مشاهده الحق ومع ذلك ترفضونه فانتم لا تنصفون الحق بعد معرفته وتفضلون الجهل الذي يردده أهل الجاهليه علي العلم فالعاقل يكون منه ايثار العلم علي الجهل والعلم يتطلب أن يكون فيه بذل الإنصاف الذي يعني قبول الحق

يقول الله لهم أن رؤيه الحق مشاهد امامكم يوجب عليكم استعمال العقل فالعقل زينته ترفع الإنسان ولكن هذه الزينه ينبغي أن يصحبها ايثار الطاعه علي المعصيه وإيثار العلم علي الجهل وإيثار الدين علي الدنيا فما الذي حصل منكم فذكر

الأمر الأول:..

لقد حصل منكم خلط الحق بالباطل من خلال وضع غطاء علي الحق لحجب رؤية الحق فقد اردتم تزيف الحقائق (لم تلبسون الحق بالباطل)

فكيف يكون منكم القيام بذلك وانتم أهل كتاب أن ما حصل منكم من محاوله تزيف الوعي لدي الناس من خلال وضع اغطيه ولابس علي الحقيقه حتي يكون اخفاءها عن الناس باستغلال ثقته الناس فيكم انكم أهل كتاب وعلم بـ الاديان هو جريمه لانكم تريدون نشر الجهل بدل العلم

وإدخال الباطل كان بالتحريف لكتبهم وايضا بالتاويل الفاسد للنصوص ومن ضمن هذه المفاهيم ما حصل من البعض الذين يدعون الانتساب الي الاسلام فهولاء قد صنعوا صورته مشوه عن الإسلام باختزال الدين بسلاله واسره مدعين أن سلطتهم مستمده من الله فهم اردوا من هذه الخطه أضعاف مدراك الناس من أجل مصالح ماديه أي أنهم فضلوا ايثار الدنيا علي الاخره وهو ما لايمكن لعاقل أن يقبل ذلك فالدنيا فانيه وزائله أما الاخره فهي دار البقاء فالعاقل ينظر إلي الفارق بينهما وحينها يفضل الاخره علي الدنيا ولهذا فإن العقل اذا لم يصاحبه ذلك فإنه عقل مكار يخدع صاحبه

الأمر الثاني

كتمان الحق الذي عندهم فهم يعملون علي اخفاء الدليل والبرهان الذي عندهم عن صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وهذه الجريمه ترتكب من قبل العلماء عاده فهي من أعظم الجرائم والأصل أن العلم يصاحبه الخشيه من الله ولهذا فالنصوص تبين أن فساد هولاء فهم يخافون من ظهور الحقيقه فيحاولون وضع اغطيه تكسوها لمنع الآخريين من رويه الحقيقه

الأمر الثالث

أن فعلهم هذا مع علمهم أنه الحق (وانتم تعلمون)

فيقول لهم أن هذا العلم اصبح حجه عليكم

فانتم قد اردتم اظهار اللبس الي ادخلتموهم باللبوس الحق .. ليظهر الباطل بمظهر الحق

واصل اللبس ادخال شي بشي مثل لما تلبس انت الثياب

واخفاء الدليل الذي لديكم وهو شاهد علي نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم هي محاولات منكم

تدل علي انكم فضلتم الجهل علي العلم فضلتم المعصيه علي الطاعه فضلتم الدنيا علي الدين ولهذا لافائده لعقولكم وان ما حصل منكم من الاستجابة للربغه الكامنه في نفوسكم الخبيثه للقيام بمحاوله اضلال المسلمين وعدم ظهور اثار العلم علي افعالكم فلا خشيه فيكم ليدل دلاله قاطعه علي أن العلم صار حجه عليكم

القسم الثالث

تنتقل سياق النصوص الي ذكر احوال هولاء الفاسدون والبواعث الكامنه وراء رفضهم الحق فقال تعالي (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولاتؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدي الله أن يوتي احد مثل ما اوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشأ والله واسع عليم يختص برحمته من يشأ والله ذو الفضل العظيم)

اولا

أن النصوص جاءت تشرح لنا بعض أفعال هولاء ومحاولاتهم اضلال المومنين وصرفهم عن عقيدة الاسلام فقال تعالي (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)

الأمر الأول

تبين النصوص أن الاكابر والعلماء منهم اجتمعوا وتشاوروا لدراسه الموقف من انتشار الإسلام وإعداد الخطط و المكاييد لمنع العرب من الدخول في الإسلام فقال (وقالت طائفة) فأراد بهذا بيان أن العلماء منهم وأهل الرأي هم الذين اجتمعوا فناسب ذلك ما ذكر في الايه قبلها (وانتم تعلمون) حيث أن العلم في الأصل أنه يوجب خشيه الله وكف الاذي بقطع الربغه لكن هولاء فاسدون ... ف الله يقول لنا أن صلاح الناس وفسادهم يكون بصلاح العلماء والأمر أو فسادهم

المهم هنا أن هولاء اجتمعوا وبعد التشاور توصلوا الي خطه لصرف الناس عن الإسلام

حيث تقوم الخطه علي تكاليف مجموعه منهم بأن يعلنوا إسلامهم باللسان (آمنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا) يعني اعلنوا اسلامكم في المرحله الاولي واظهروا انكم مومنون بالقران وبالرسول حتي إذا صرتم مثلهم وجزء منهم بنظر الناس عندها عليكم ترك الاسلام والعوده الي اليهودية

واما الهدف من الخطه (لعلهم يرجعون)

اي أن هذا يهدف إلي احداث خلل فيهم فيقولون إن خروج هولاء من دين الإسلام بعد اعتناقه إنما كان لانهم اكتشفوا أن فيه نقصه وعيب فتركوه

وهذا فيه

الدرس الاول

ان عليك أن تدرك أن العدو يتربص بك وان لديه مراكز دراسه أحوال المسلمين وظروفهم وثقافتهم يهدفون من خ لال ذلك معرفه جوانب الضعف فيك ليجدوا لأنفسهم ثغره بنفذون منها اذا لم تحتاط وتسد الثغور

عليك أن تدرك أن للعدو اهداف وغايات وسياسيات ووسائل وأساليب فهم يهدفون إلي احداث خلل في الوعي وا لاستقبال لديك يريدون احداث اضطراب في الصف المسلم يريدون احداث زعزعه في ثقته بالمنهج وبالقياده لتصير لقمه سائغه فعليك الإنتباه لذلك

فهم قد عرفوا أن الثغره ونقطه الضعف التي يمكن أن ينفذوا منها هي أن العرب تنظر إلي اليهود أنهم أهل علم ومعرفه بالاديان فاردوا استغلال هذه الثغره لاحداث ضجيج اعلامي يودي الي احداث أثره في النفوس ليحدث ا لانسحاب من حركه العمل الايماني فقالوا (لعلمهم يرجعون) اي لعلمهم يصنعون كما صنعتم

الدرس الثاني

عليك أن تدرك أن العدو سوف يلجأ إلي وضع خطط في غايه الدقه للنيل من الإسلام فاللازم عليك أن تكون ذو فطنه فلا تثق بالعدو فهو يحاول استغلال ما يحظي من سمعه طيبه لدي الامه لنشر سمومه وما أحوج الامه اليوم لإدراك ذلك فهم يسعون لجعل أنفسهم معلمين لأمتنا ويريدون أن يجعلوا منك التلميذ فقد عمد اليهود الي الدعايه الاعلاميه بين الناس أنهم أهل علم بالاديان لكسب منزله عند الناس وفعلا صار العرب ينظرون إليهم من تلك الزويه فهم عرفوا ثقافه المجتمع العربي فاردوا أن يستغلوا ذلك لنشر سمومهم فقالوا (آمنوا بالذي انزل علي الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره) اي ادخلوا في الإسلام واستعمل وجه النهار اي في بدايته الصباح لان الوجه هو أول مايري من الإنسان ونحن نعلم أن التاجر عندما يقوم بتجهيز سلعته يقوم بتوجيه السلعه بأن يجعل الوجه هو افضل ما في السلعه ويقصد من ذلك الغش والخداع فاستعمل الوجه لبيان المكر والغش فيهم وقوله واكفروا آخره لايراد به أنه بنفس اليوم لا وانما ذلك الرجوع يكون بعد كسب الثقه وانما استعمل هذا التعبير لبيان النيه المبيتة أنه لاينوي الاستمرار كثيرا فبمجرد ما يجد الفرصه يبادر بالمسارعه الي الرده

فذكر الهدف من هذه العمليه (لعلمهم يرجعون)

أن هولاء سوف يقولون ان عمليه خروج هولاء من الإسلام إنما يعود لانهم تفحصوا الاسلام فعرفوا أنه ليس دين من الله فهم أهل دين ولديهم معرفه بالاديان وحينها سوف يتراجع ضعفاء النفوس من المسلمين عن الاسلام

الأمر الثاني

أن الله يؤيد نبيه باخباره بما يخطط أهل الكتاب وهو من أمور الغيب ولك أن تتخيل كيف كان الأمر لولا أن الله فضحهم وكشف المؤمره التي حاكها هولاء

فالله يقول لنا اطمنوا فانتم أن تمسكتم بكتاب الله فإن الله تعالى متكفل بكشف خطط الأعداء ورد كيدهم في نحورهم

حيث أن الايات فيها إثبات نبؤه الرسول صلى الله عليه وسلم لانها فيها هتك حاجز الغيب..وايضا فيها اظهار ان هولاء يعترفون ان القرآن منزل من الله وان رفض القبول بالإسلام كفر فقالوا (واكفروا آخره)

فاخبرنا الله بهذه التجربه لأجل أن نعرف حقيقه العدو وخططه فهم اردوا بالخديعه زرعه الشك بين المسلمين وإشعال الفتنة لكنهم اضرروا بأنفسهم لانهم جعلوا لأنفسهم موقفا فقالوا (واكفروا آخره) فهم قد ارتضوا لأنفسهم الكفر وهذا الكفر هو أن يقولوا رجعنا عما كنا فيه من الجهل فقد كان اختيارنا له خاطئ لأننا عرفنا أنه ليس علي الحق والقصد أن يترك المسلمين الاسلام لكنهم كانوا غير واثقين من ذلك فقالوا (لعلمهم يرجعون) فهم علي أمل أن يتأثر ضعاف النفوس واستخدم الجمع لغرض انه اذا لم يكون ترك الايمان والعوده الي الجاهليه فإن ذلك سوف

يحدث ضجيج اعلامي من الموكد أنه سوف يوجد في الصف المسلم من يتشكك في أمر الدين
لكن الله كشف الأمر وأبطل المكيدته لتكون هذه التجربة لنا ماضي نرجع إليها لمواجهة مثل تلك المكائد فعلينا الا
ستفادة من تجربته لتفويت الفرصه

علي الأعداء خاصه في هذا الزمان فوسائل الإعلام تعمل ليل نهار للنيل من عقيدتك فلا تصاب بالهزيمة امام هذا
الضجيج الذي يريد أن يشل حركتك فالأيدي المرتعشه التي تعمل بخجل غير قادره على الاضطلاع بالمهمه عليك
الحذر وعدم النظر إلي الأشخاص ومساله بقاءهم في الجماعه المسلمه أو خروجهم لأن ارتباطنا هو بالمبادئ و
القيم حينها حتي لو استعمل العدو من يدسه في صفوفنا لأجل أن يحدث الاضطراب بخروجه فإنه يرجع بخفي
حين لماذا لان ارتباطنا هو بالقيم والمبادئ التي حملها الاسلام ارتباطنا ب الله وليس بالأشخاص

علينا أن نتعلم اليقين ونغرسه في قلوبنا بالحق فمن عرف الحق لن يتأثر بمثل هذه الترهيت
وكذلك فيه تطمئن من الحق سبحانه وتعالى للمومنين بأنه يرعاهم أن صدقوا باللجوا الي الله تعالى

الأمر الثالث

أن استخدام هولاء لهذه الخطه لم يكن عشوائياً بل ذلك يعود إلي معرفه هولاء أن من علامات صدق النبي هو أن
اتباعه لا يرتدون عن الإسلام كما ذكر في قصه هرقل مع أبي سفيان بالشام حيث سأله وهل يرجع أصحابه عن
دينهم قال لا قال فذلك هو النبي...الخ

ثانيا

تنتقل النصوص الي المرحله الثانيه المتعلقة بمخرجات ذلك الاجتماع الحاصل بين جماعتين من أهل الكتاب
الجماعه التي رسمت خطه الكيد للمسلمين والجماعه الموكل لها تنفيذ الخطه فبعد أن بينوا لهم الهدف من الدخول
في الإسلام في أول النهار ثم الكفر به اخر النهار ويقصد به بمجرد ما تجدوا فرصه ومن الطبيعي أن ذلك لن يكون
بنفس اليوم وانما سوف يكون بعد أن يكسبوا ثقه المسلمين فذكر لفظ آخره ...بأنه زمن اعلان الكفر لتصوير سرعه
الرجوع الي الكفر وان الهدف إفساد العقيدته لدي المومنين

وهنا تنقل لنا النصوص مشهد المرحله الثانيه من تلك الجريمه التي ترسم لنا خطه الأعداء لزرعه الازمه في امه الا
سلام في صورته متحركه معبره عن حرص الأعداء علي تحقيق أهداف التآمر ضد الإسلام

فقال تعالي

(ولاتومنوا الا لمن تبع دينكم)

الأمر الأول

أن هذا الأمر ناتج عن الاحتياط الناشئ عن حرص الجماعه المخططه تنفيذ الخطه بدقه عاليه كي تحقق الهدف
وهو تدمير الدوله المسلمه من خلال صناعه فضيحه مفتعله لا وجود لها في الحقيقه للنيل من عقيدته الامه ...ولاً
نهم يدركون أن فعلهم فيه تزييف الحقائق من خلال تعمد تشويه المعلومه

فقد لجأ هولاء الي تحذير المكلفين بالتنفيذ (ولاتومنوا الا لمن تبع دينكم)

لها عده معاني

طلبوا منهم أن يبقي الأمر بينهم سرا لا يطلعوا عليه أحد فيكون معني ذلك

انتبهوا أن تثقوا بأحد من المسلمين أو أحد من غير اليهود أن دخولكم في الإسلام كان لأجل إفساد الناس وصددهم عن الإسلام لأن هذا يفسد التدبير والتخطيط والمكر فقال (ولاتومنوا الا لمن تبع دينكم) فهو كما يحذر قادة المخابرات افرادهم الذين يرسلونهم لاختراق الأعداء فيقولون لهم انتبهوا إفشاء الاسرار للخطة أو أفراد الخليه مهما حدث فلا تضعفوا أمام العدو حتي لو تم استعمال أصناف التعذيب لأن ذلك سيكون له اثار سلبيه علي أمتك ودينك

٢

كما أن هذا فيه التحذير فيقولون لهم انتبهوا أن يكون قيامكم بهذا الدور سببا يجعلكم تكشفوا مافي دينكم من آيات وعلامات تثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وأن التوراه فيها العلامات الموكده نعت وصفات الرسول لانكم أن فعلتم ذلك صارت حجه للمسلمين عليكم حينها لن يكون للخطة اثر فعلي في واقع الناس

الأمر الثاني

أن الأمر (ولاتومنوا إلا لمن تبع دينكم)

من باب الاشاره الي اعداد المكلفين وتجهيزهم فكريا وسياسيا وعقائديا من خلال غرس التعصب في قلوبهم لجنس اليهود وانهم شعب الله المختار

فذكر هذا لبيان شدة الاحتياط والحرص علي تنفيذ الخطة فالقاده الذين كلفوا هولاء كانوا خائفين أن يتأثر المكلفين بعقيده الاسلام اثنا فتره أداء المهمه ويعتقدوا الاسلام فعلا

ولهذا غرسوا فيهم العصبية التي تثبت في نفوسهم الاعتزاز بالجنس الإسرائيلي فصورا لهم أنهم في مهمه مقدسه لمنع الهجوم العربي علي حقهم المقدس في القيادة الدينيه فغرسوا فيهم من الأفكار ماتجعلهم ينفذون المهمه بدقه فدل أنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وانهم يثقون بالطائفة التي كلفتهم بالمهمه فقالوا لهم لاتصدقوا أن يوتي احد من الناس من الهدايه والكتب السماوية والأنبياء فانتم شعب الله المختار وأحباب الله فالنبوه و الهدايه حكرا لامة اليهود فقد غرسوا فيهم العصبية

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول (قل إن الهدى هدى الله)

فهذه جملة معترضه يخاطب الله فيه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم بأن الهدايه الخاصة التوفيق و السداد والايمان هي بيد الله وليس حكرا لامة أو شعب بعينه ولهذا كان سبب الاعتراض بين الجملتين هو المسارعه لبيان بطلان مزاعم اليهود والنصاري الذين اردوا حصر الهدايه بأنفسهم فزعموا أن الكتب السماوية و الرسل والهدايه حكرا عليهم وان الطريق لها لا يكون إلا عن طريقهم

ف الله يقول لهم أن المنزله والمكانه منشؤها الهدايه والهدايه بيد الله وحده وبالتالي لامسوغ لهم فيما يزعمون أنها ممنوعه علي غيرها ف الله اعلم حيث يجعل رسالته وهو فضل بيده سبحانه وتعالى يوتييه من يشأ فالعطاء بيد الله وحده

الأمر الثالث

أن الحق سبحانه وتعالى بذكر إن الهدايه بيد الله وحده لبيان أن المنزله والمكانه التي أراد اليهود والنصاري إظهارها أنها خاصه بهم ومحصوره بهم بزعم أن الله اختصهم بالهداية وحدهم

ف الله يقول لنبيه قل لهؤلاء اذا كانت المنزله والمكانه منشؤها الهدايه فعليكم أن تعلموا أن الهدايه بيد الله

وبالتالي فإن طريق الهدايه هو التوفيق من الله تعالى لمن يريد ولهذا فإن عليك أن تطلب الهدايه من الله فعليك بـ اللجوا الصادق الي الله لطلب الهدايه فطريق الهدايه هو التقرب من الله وان تسعي إلي إرضاء الله بطاعته وترك ما يغضبه والثبات على الحق وهذا يتطلب الالتزام بمنهج الله الذي فيه الطريق الموصل الي انشاء علاقه مع الله لتحظي بالهدايه وهذا يتطلب الشعور بوجود الله تعالى والخوف من الله علي الدوام فالعلم والعرفان الحقيقي هو الذي يوتي أثره وان تكون الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية صالحه لاستقبال نور الله الذي فيه الحياه للقلوب وهنا يكشف الله عن حقيقه الأسباب التي دفعتهم الي التآمر والكيد والزعم أنهم وحدهم أهل الكتب السماوية و الرسل وانه لايعطي لغيرهم... بأنه يعود إلي

١

الحسد والكبر فهذا هو السبب الرئيسي فهؤلاء كانوا يرون أنفسهم فوق مستوي العرب الأميين فعندما جاء الرسول الخاتم من امه العرب تركوا الهدايه ومنهج التوراه واستبدوله بالكتب الشيطانيه كما عرفنا في تفسير المقطع الرابع من سوره البقره فهم

والحسد داء خطير يعمي العين عن رؤية الحقيقه رغم وضوحه فالحاسد يتمني زوال النعمه عن الآخرين فقد أخبرنا الله أنهم يعرفون الرسول والقرآن كما يعرفون أبناءهم لكن الحسد منعهم من القبول بالحق رغم وضوحه

٢

أن هؤلاء قد تربوا علي العصبيه التي أدت إلي إفساد التصور لديهم وضعف الإدراك فهم وان وصلت المعلومه إليهم سليمه فإن التعصب وتقافه الاعجاب بالنفس والنظر الي أنفسهم أنهم اعلي منزله ومكانه من الآخرين وانهم شعب الله المختار افقد الاحساس لديهم وصارت تلك الخرافات والأوهام هي الدين لديهم فصار ينظرون إلي الآخرين أنهم مخلوقات لخدمتهم وهذا ناتج عن تكريس الاميه المنظمه التي أفسد الاحبار والرهبان فيه حياه العوام وهنا يطلعنا الله كيف أن هؤلاء قاموا بتفعيل دور العصبيه للجنس اليهودي في نفوس الذين كلفوهم أن يندسوا في صفوف المسلمين لإفساد عقيدته ضعفاء النفوس من المسلمين... حيث ترسم لنا النصوص المشهد بوضوح وهم يغرسون فيهم عقيدته التعصب لفكره السلاله فيقولون لهم (ولاتومنوا الا لمن تبع دينكم)

اي لاتتقوا بأحد الا من كان من اليهود... لماذا

انه لمنع بذل الإنصاف من جهتهم ومنع التبادل بالرحمه فهم مامورن بافساد عقيدته الضعفاء وان عليهم عدم الثقة بأحد الا ما جاء في التوراه ويقصد به ما اضافه الرهبان الي التوراه بأنهم مميزون وانهم شعب الله المختار (الا لمن تبع دينكم)

فقد جعلوا تلك الاضافه والتحريف بمنزله الدين وأنه منزل من الله.. وايضا فيه التأكيد علي طاعه الاحبار والرهبان الذين كلفوهم بالمهمه بأنهم هم الموثوق بهم وبتفسيرهم لحقائق الأديان السماوية فقد اختار أكثر الناس ارتباطا با لاحبار اشداهم تعصبا واكثرهم تقليدا للاخبار... فهم مثل الآلات الحديديه التي تلغي عقلها... فهم يقولون لهم انكم في مهمه لمنع انتقال القيادة والفضل الذي اختصكم الله به وان هؤلاء العرب يريدون أن يسلبوكم هذا الفضل فانتبهوا أن تنخدعوا فلا يمكن أن يوتي احد من الكتب السماوية والرسل مثلكم فهؤلاء يريدون أن يصنعوا لأ نفسهم مجدا ينهي مجدكم الذي حافظ عليه اجدادكم وانتبهوا أن تعترفوا لهم بأن النبي الخاتم المذكور في التوراه التي كانت تنتظره اليهود أوصافه ونعوته موافقه للرسول صلى الله عليه وسلم فلو حصل ذلك فقد أقيمت الحجه أمام ربكم وبهذا تسلبون الفضل والعصبيه والتقليد جعلت آفاق هؤلاء ضيقه ومنعتهم من القبول بالحق فانتبهوا من العصبيات فهي عندما تصير دين تفسد الحياه وتضل صاحبها ضلالا لارجوع فيه الي الحق

أن عدم اصطحاب العلم للخشيه من الله وارتكاب المعاصي والابتعاد عن الله قد جعلهم يلجأون إلى محاولات اخراج المومنين من الإيمان وإعادتهم الي الكفر لماذا اضافة الي الحسد فإن هولاء اتخذوا الدين وسيله للمتاجر لجلب المصالح الشخصية هذا بالنسبة للعلماء منهم أما العوام فهم مقلدون يعتبرون ما يصل إليهم من الا حبار بمنزله التشريع ولهذا انطوت حيله العلماء وأهل الكلمه التي كلفت الفنئ الثانيه بالمهمه بأن الاعتراف بما ورد في التوراه من الامارات والعلامات الموكده صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيها اقامه الحجه عليهم أما إذا لم يعترفوا بذلك واخفوها فإنه لاحجه عليهم

ولهذا يقول لهم الله (قل إن الفضل بيد الله يؤتية من يشأ والله واسع عليم يختص برحمته من يشأ والله ذو الفضل العظيم)

المساله الاولى

ان الأمور كلها بيد الله تعالي فهو المالك لكل شئ وهو المعطي والمانع

وهنا يضع الخالق للناس حقيقه الرساله والنبؤه بأنها من فضل الله تعالي علي الناس ...للرد علي افتراءات اليهود واعتراضهم علي نزول الوحي الإلهي علي الرسول صلى الله عليه وسلم

فيقول لهم أن هذا فضل وهو يعود إلي مشئيه الله واردة المطلقه وليس لأحد الاعتراض فالله قد اختار امه العرب لحمل رايه الهدايه في هذه المرحله من تاريخ البشرية فيقول لليهود ليس من حقكم الاعتراض علي مشئيه الله واردة وانتم مخلوقات يجب عليكم الإذعان لأمر الله

وهذا فيه فساد التصور لدي هولاء فهم كانوا يريدون أن يكون الرسول الخاتم منهم فذكر الفضل هنا لبيان انه يختلف عن العدل والانصاف فخص مساله الرساله بالفضل والفارق بينهم هو انك لو عمل معك عاملان فاعطيت أحدهما مبلغ عشره الف واعطيت الاخر الفين فقط فإن هذا يدل علي المحاباه ومخالفه قاعده العدل

لكن إذا رأيت رجلان امامك فاعطيت أحدهما عشرون ألف بينما أعطيت الآخر خمسه الف فإن هذا فضل فلا يجوز لمن أعطيته خمسه الف أن يعترض ولماذا لانه فضل

ولهذا يخبرنا الله تعالي أنه جعل النبوه تنال من باب الاختصاص والفضل لا بالاستحقاق ولهذا فإن الفاعل أن يفضل من يشاء متي يشاء وبغير استحقاق

المساله الثانيه

ولأن اليهود قد فسدت التصورات لديهم بالحشو للباطيل التي ادخلوها في معتقداتهم فكان من شأن ذلك أنهم ضيقوا الفضل الإلهي الواسع فزعموا حصر النبوه فيهم وجهلوا الحكم والمصالح التي لأجلها تعطي النبوه وكذلك توهموا أن علم الله محصورا أن هم اخفوا الآيات الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يعترفوا بها بأنهم حينها لن تقام عليهم الحجه لانهم لم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا تأتي النصوص متضمنه (و الله واسع عليم)

فذكر سبحانه سعه فضله وسعه علمه ...ليرد علي هولاء فيقول لهم لايمكن لأحد أن يحدد فضل الله أو يجعله محصورا علي شعب دون شعب أو أمه دون بقيه الأمم

فهو سبحانه يتفضل علي جميع المخلوقات

ولما كانت الرسالة منه من الله وفضل والله واسع الفضل فهو مطلع بمن مستحق لهذا الفضل فهو سبحانه وتعالى اعلم حيث يجعل رسالته... ومن جهة اخرى يخبرهم أن الله مطلع علي أقوالهم ومايسرون ويعلنون وان اخفاءهم اظهار الاعتراف بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يجعلهم يفلتون من اقامه الحجة فقد علم الله ذلك

المسالة الثالثة

لما ذكر الله كمال قدرته وكمال علمه وهو مايعني أنه يعلم بمن مستحق فضله يقول لنا أن الرسالة رحمه من الله وأنه سبحانه وتعالى قد اختص هذه الامه بهذا الفضل والشرف الذي لا يوصف فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الامه وهداكم الي ما فيه سعادتكم فذلك رحمه خاصه من الله بان هداكم الي الإسلام والقرآن وجعل فيكم النبوه

وهذا الاختصاص من باب رحمه الله فالنبوه قد جعلها الله من باب الاختصاص والتفضيل لا تنال بالاستحقاق وكما قلنا أن الفاعل يتفضل بفضله لمن يريد ويشاء وبغير استحقاق فهو ذو الفضل العظيم

فقال تعالي (يختص برحمته من يشأ)

المسالة الرابعة

مبيناً أنه ذو فضل ووصف ذلك الفضل بأنه عظيم فقال تعالي (والله ذو الفضل العظيم

فاعظم النعم هي الايمان والهدايه والله يذكر منه علي هذه الامه بالهدايه بعد الضلال

ووصفه بأنه عظيم ليغرس في نفوسنا الاحساس والإدراك بعظمه نعمه الله التي يحسدنا الأعداء عليها ليكون ذلك ا لاحساس باعنا ومحركا للطاقت والنشاط والحيوية لمزيدا من الحركة للتقرب من الله بالشكر علي نعمه الايمان ف الله قد اختصنا بهذا الشرف والفضل فنحن في عز ما أن تمسكنا بمنهج الله والعمل به فإن تقاعسنا سوف يسلب منا هذا الفضل كما سلب من اليهود والنصارى

القسم الرابع

(ومن اهل الكتاب من أن تامنه بقنطار يوديه اليك ومنهم من أن تامنه بدينار لا يوديه اليك الا مادامت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون بلي من اوفي بعهدده واتقي فإن الله يحب المتقين

اولا

انه بالنظر الي هذه الايه نجد أنها وردت بعد ذكر حال اهل الكتاب وافتراءتهم وادعاءهم انهم شعب الله المختار وخصومتهم بشأن ابراهيم وما كان منهم من المحاولات لإفساد عقائد المومنين فدل هذا علي فساد اعتقادهم وعدم ادعائهم للحق وتمردهم علي أمر الله تعالي لهم والعهد المقطوع مع الانبياء وعهد أهل الكتاب وميثاق الله معهم اذا جاء النبي الخاتم ليؤمنن به ولينصرنه فجاءت النصوص هنا فيها

ذكر انقسام أهل الكتاب الي فريقين

الاول لديه احترام للامانه مهما يكون قيمتها فهي تدعن للحق وتوديه فاستعمل القنطار الدال علي المال الكثير.... وأن الفريق الثاني فريق يخون الامانه حتي لو كانت هذه الامانه مبلغ زهيد فاستعمل الدينار اشاره الي القله مبينه أن خيانه الفريق الثاني تعود إلي التحريف الذي ادخلوه في التوراه فقالوا انهم لا ياخذون أنهم نهبوا الاميين وهم قد اضافوا تلك الأكاذيب الي الله عن علم بكذبهم فذكر الله أن ذلك القول كذب ف الله لا

ايامر بالخيانة وانما يأمر بالوفاء بالعهد وهو يحب الذي يلتزم بالوفاء بالعهد ويخاف الله... ثم ذكر عقوبه من يتخذ الدين وسيله للمتاجره والحصول على المصالح العاجله ببيع الحق وخيانه العهد... الخ وهذا فيه عده مفاهيم وأمور يريد الحق سبحانه وتعالى أن يقولها لنا

الأمر الأول

انه بالوقوف علي ما ابتدأت به النصوص نجد أنها ابتدأت بقوله تعالى (ومن اهل الكتاب من أن تامنه بقنطار يوديه اليك ومنهم من تامنه بدينار لا يوديه اليك الا مادامت عليه قائما... الخ

حيث ذهب المفسرون الي اراء متعدده بشأن الواو (ومن اهل الكتاب.. الخ ومن هم المراد بهم أنهم يحترمون الا مانه من أهل الكتاب.....

١

اعتبر أن الواو عطف القصة علي القصة السابقه التي تناولت ماكان من اليهود من اضلال المومنين وصرفهم عن عقيدته التوحيد فذكر هذا لبيان تعامل اليهود مع المسلمين فذكر الفريق الأول الذين يحترمون الامانه وان كان زعمهم أن دينهم أعطاهم ميزه علي الآخرين الا ان يترفعون عن الخيانه وان كان هذا بنظرهم مباح فقال (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) ولهذا فهو يعتبر أن كلا الفريقين كان يري نفسه اعلي منزله ومكانه من العرب

فالتعبير هنا أن القول منسوب لكلا الفريقين وأنه لاميظه للفريق الأول إلا أنه ترك حقا يبيح دينه أخذه فترفع عنه كما يترفع المتغالين في المرؤه.. وهذا القول لابن عاشور...

وذكر ابن عاشور أن تقديم المسند في قوله (ومن اهل الكتاب... الخ وقوله (ومنهم) في الموضوعين كان التقديم للتعجب تفهم من مضمون صله السبب بها ففي الاولي التعجب من قوه الامانه مع امكانيه الخيانه لما هو في عاده أهل دينه أنه ليس عليه مؤخذه في خيانه العرب وفيه الثانيه تعجب كيف يكون الخون خلقا ينسب الي دين سماوي

٢

الراي الثاني يري أن الخيانه تكون منتشره عند اليهود وان الوفاء بالامانه من اخلاق النصاري

٣

الراي الثالث

يري أن الفريق الذي لديه امانه هم امثال عبدالله بن سلام وأن الفريق الخائن هم امثال كعب بن الاشرف وبالوقوف علي مضمون هذه الآراء التي ليس بينها خلاف جوهرى نجد أن النصوص تحتوتي علي العديد من الدروس والمفاهيم نذكر منها الآتي

الدرس الاوول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يربي المومنين الذين يحملون منهج الله تعالى في الأرض علي مبدأ الإنصاف (العدل) وبذله حتي ولو كان علي نفسك ايه المومن فيقول الله لك ايه السامع أن فضيله الهدايه والفضل الذي

اختصكم الله به وهو يكمن في القران الذي فيه الطريق للهدايه والتوفيق الذي بيد الله وحده كما اخبركم (قل إن الهدى هدى الله... الي قوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم)

يوجب عليكم ايه المومنون اصطحاب الإنصاف وبذله فالمهمه شاقه فانتم مكلفون بحمل رايه الهدايه الي العالم كله فرساله الاسلام عالميه فيجب عليك التخلص من العصبيه فأنت لاتهدف من الجدل والنقاش مع الاخرين اظهار قوه الجدل بل لك هدف عظيم هو أن تصل فكره الاسلام الي قلوب الناس فهو رساله الرحمه ورسولنا أرسله الله رحمة للعالمين

والتعصب الديني يقف مانعا أمام تحقيق المهمه فيقول لنا الله احذروا من التعصب الأعمى واحذروا من التقليد فيجب عليكم قبل إطلاق الأحكام الاحاطه بها علما واحسان تنزيل المعرفه علي الواقع فالعلم يحتاج أن يكون مصحوبا ببذل الإنصاف وتبازل الرحمه

فالإسلام ليس شريعته تهاجم الآخرین لا بل هو منهج العدل والانصاف اضافه الي أنه دين الرحمه فهو دين هدفه استيعاب الناس كلهم وانت مكلف بذلك لاقامه الحججه علي الناس ولهذا فإن هذا يتطلب منك ازاله العوائق التي تقطع الطريق من التحاق أصحاب العقول السليمه والضمانات الحيه الي الاسلام

ولهذا كان ابتداء النصوص بذكر أصحاب الضمانات الحيه من أهل الكتاب فالمولي يقول لنا أن الخطاب الايماني لابد أن يكون فيه مرعاه بذل الإنصاف والتبازل بالرحمه ليكون اقامه الحججه علي الناس بدعوتهم الي دين الله لانه اذا خلاء من ذلك فإن علمك بالقران سوف يكون حجه عليك وليس لك

لماذا؟

لانك حينها سوف تكون سببا في نفور الناس عن الإسلام وابتعادهم

حينها سوف تضع بين الناس وبين الاسلام حاجزا مانعا من النظر فيه والتفكير بما فيه

لماذا

لأن أهل الضمير الحي سوف ينظرون إلي الاسلام أنه دين غير عادل فهو لايعطي كل ذي حق حقه سوف ينظرون إليه أنه شريعته تتبني الهجوم علي الآخرین دون شفقه وبمخالفة المنطق فليس كل من في المجتمعات لاضمير لهم

وبالتالي فإن خطوره التعصب الأعمى والتقليد عندما يغيب الإنصاف وتبازل الرحمه عن نشر العلم النافع أمر في غاية الخطوره واضرارته أكثر من نفعه وهو يحقق اغراض أعداء الإسلام التي يهدفون من خلالها الي تشويه صورته الاسلام وإظهاره أنه دين الحقد والانتقام والكراهية من خلال استغلال من يضعون انفسهم موضع القدوه دون امتلاك ادوات ومهارات الخوض في المسائل التي يتم نقل صورته الاسلام فيها من خلال حركه هولاء الناس إنما يكون اثره معكوس حتي لو كان ذلك بنيه صادقه وإخلاص الا أنه لايزيد الأمور الا تزيما وينمي مشاعر الكراهية للإسلام ولهذا فالله يقول لنا أن عليكم حسن اختيار الخطاب ومعرفه أحوال المستهدفين والابتعاد عن كل مافيه التنفير والاساءه للإسلام فانتم تحملون دين الرحمه الذي يجب أن يبلغ الي الناس كافة وعليكم الإنصاف

وحينها عندما يكون عرض الخطاب بالعدل والانصاف فإن هذا سوف يشجع أصحاب الضمانات الحيه للنظر في القضية التي يحملها دين الرحمه وهذا يكون مقدمه فيها بناء جسور ثقة للوصول إلى مرحله القبول بالحق والا دعان له

ونظرا لأهمية العنايه باصحاب الضمير الحي وان يكونوا هم الهدف الأساسي من الدعوه لأن الاستجابة لديهم قويه

إذا أن ذلك يدل أن هنالك قابليه لقبول الحق لأن الحق متفق مع الفطره السليمه وحياه ضمير هولاء يدل أن الفطره لم تلوث لديهم بالكليه ولهذا ابتدأت النصوص بذكر هذا الفريق (ومن اهل الكتاب من أن تامنه بقنطار يوديه اليك)

فذكر الصنف الذي لديه ضمير مبينا أن هذا الفريق من أهل الكتاب فهو ليس بخائن حافظ للامانه رغم أنها فيها اغراء نظرا لحجم الامانه فهو يعيدها لصاحبها للحث علي مراعاة العدل والانصاف في خطاب المومنين أثناء الدعوه والحوار مع المخالفين

ثم ذكر الصنف الثاني وهم الفاسدون من أهل الكتاب الذين لايحترمون الامانه وطبعهم الخيانه فهم لايبالون من المبادرة الي الخيانه حتي ولو كانت مبلغ زهيد

الدرس الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا عليكم استغلال الاحداث الجاربه في حياتكم اليوميه أو في حياه الآخرين باستغلالها الاستغلال المفيد الذي يكون به تكوين الرأي الفاضل في حياه الناس بما يصلح أحوالهم ويبعدهم عن الفساد ولهذا يضع المولي بين أيدينا هذا المثال الذي يرسم لنا تجربته مملوسه من واقع الناس وحياتهم اليوميه يكشف فيها عن فساد أهل الكتاب في تعاملهم في الأمور الماديه لتوجيه الرأي العام الي أساس هذا الخبث بأنه يعود خبث نفوس هولاء ودنائتها فقد تلوثت بالقذورات الناتجه عن فساد الاعتقاد لديهم ففساد نفوس هولاء وموقفها من الأشياء وفساد تصورها وأصابه الفطره بالتلوث جعلها لاتذعن بالامور الماديه فقد ظهرت دنائتهم في المعاملات الماديه وهي فيها الدليل علي دنائتهم في الامانه المعنويه فالمولي سبحانه وتعالى ذكر الفريق الأول الذي اتصف باحترام الامانه مهما كان قيمتها فهو صاحب نفس شريفه لا اغراءت تزيل عنه الفضيله فذكر المولي (من أن تامنه بقنطار يوديه اليك)والقنطار اشاره الي الكثره وهذه الايه بمثابه استثناء مما عطفت عليه النصوص بأن هذا الصنف لم يتخذ الدين وسيله للمتاجره والحصول على المصالح العاجله فذكر صاينتهم للامانه باعتبار أن العلم بالحق في الماديات التي صورها الامانه إنما كان ذلك نتيجته شعور نابع من النفس فيه محبه الحق وهو ما يترتب عليه حفظ الامانه المعنويه

فالباعث هو الخوف من الله فقد كان الإذعان منه للحق بعد قيام الدليل فهذا نوع من الامانه كما قال تعالي (ليسوا سواء من أهل الكتاب امه قائمه تتلو آيات الله... الخ

فذكر الامانه في المعاملات الماديه بعد ذكر تمرد وعصيان وتمرد وحيانه أهل الكتاب لامانه العلم بنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ورفضوا الإذعان للحق وذكر انقسام اهل الكتاب في ذلك لبيان ان الفريق الخائن لامانه المعنويه صاحب نفس خبيثه ودنئيه فهو أن أودعت مبلغا زهيدا امانه عنده فإنه يخون الامانه وينكر الا اذا أقمت الدليل ونازعته رغم أنه قليل فهم يبررن تلك الحقاره منهم بعدم الوفاء والاذعان للحق برفضهم اداء الامانه بأنهم غير مؤخذون علي تلك الجريمه الشنيعه لانهم شعب الله المختار وان العرب عبيد لهم... وهذا التبرير هو نفس تبرير خيانه الامانه المعنويه لانهم أنكروا أن يرسل رسل من العرب فقد حصروا الهدايه والكتب فيهم

فالله يقول لنا أن اصل الشر والخير يعود إلي النفس فإذا كانت شريفه فهي لاتقبل الا الترفع عن الحقاره أما إذا كانت خسيسه ودنئيه فإنها تحوم حول القاذورات ولاتخجل أن تبرر أفعالها بما هو أقبح من الفعل ذاته مع علمها بذلك ولهذا فإن المولي سبحانه وتعالى بهذا يريد منا أن نحرص علي تزكيه نفوس بحيث نبيع أنفسنا لله تعالي نزرع في أنفسنا عظمه الله وتوقيره وايضا نحترم حقوق الخلق فهذا فيه القيام بحق الله وحق الخلق عليك

وخص بهذا الامانه لان الامانه هي التي تكون فيها التعامل بدون وجود شهود ولا اداله فالاصل أن هذه الثقه توجب الشعور بثقل الامانه عند التحمل ليكون لاصقا فيه الاحساس بالاداء من وقت التحمل ولهذا نجد أن التعبير

جاء فيه بالباء (بقنطار..بدينار) مع أن مثلها يتعدي بعلي (هل امنكم عليه ..الخ وقوله تعالى (مالك لاتامنا علي يوسف) فهي متضمنه معني تعامله بقنطار لتشمل الامانه بالوديعة والامانة بالمعامله علي الاستحسان فجاء بالباء الذي يفيد الالتصاق بمعني أن القنطار صار ملتصقا بامانته فقد امتزاج فيه لبيان ان ساعه الأداء أمر يكون فيه صعوبه بفصل هذا الارتباط فالمراد بهذا أنه يستحضر ثقل الامانه فهو رغم أن القنطار مغري الان شرف نفسه تجعله مترفع فينظر الي الوفاء بالامانه أنها فوق اغراء القنطار بعكس صاحب النفس الخسيسه فإن التصاق الدينار به لايمثل اغراء ولايشكل فصله عن أمواله أمر صعب لماذا لأن الكثير اذا دخل في تجارتك والتصق بها فإنه يصعب فصله لانه سوف يشكل ازمه علي تجارتك لكن القليل لايشكل ازمه ومع ذلك تجده لايتورع أن يأخذه ظلما وعدوانا فهو ينوي الخيانه منذ لحظه تحمل الامانه

الأمر الثاني

أن قوله تعالى عن سبب عدم احترام هولاء لحقوق الآخرين (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل)

ذلك

اسم اشاره إلي ترك هولاء اداء الامانه المدلول عليه في قوله (لايوده اليك) ومافيه من معني البعد للايدان بكمال علوهم في الشر والفساد فقد أصبحت الخيانه صفه لاصقه بهم أنها أمر واقع في حياتهم

بأنهم قالوا

تبين لنا السبب في فساد المقاييس والمعايير التي يلجاء إليها هولاء لتبرير جريمه الخيانه فالايه ترسم لنا مشهد متحرك يعبر عن ظاهره أصبحت فيها الخيانه أمر واقع في حياتهم بالتعامل مع غيرهم الذين ليسوا من اليهود في حين يلتزمون بالوفاء فيما بينهم فيقول لنا أن السبب في ازدواجيه التعامل لدي هولاء يعود إلي قولهم (ليس علينا في الأميين سبيل)

فقد أقاموا دعوهم في أكل أموال الناس بالباطل وعدم الوفاء بالالتزامات والعهود

١

أنهم ينظرون إلي العرب نظره احتقار بأنهم لايعرفون القراءه والكتابه وينظرون الي الآخرين أنهم مخلوقات خلقت لخدمه اليهود وبالتالي فهم عبيد لهم ولهذا لايتورعون عن أكل أموالهم وهضم حقوقهم فيقولون أنه لا مؤخذه أن تأكل أموال هولاء العبيد لانهم عبيدكم وانتم أسيادهم والسيد غير ماخوذ أن أكل من أموال عبده لانه وماله مملوك لسيدته والسبيل يطلق علي الطريق ويطلق علي الحجه باعتبارها طريق الإلزام وتحمل التبعات

فإن هذا هو اخلاق كل الذين يتعاملون مع الآخرين بالعلو المطلق فهم يستخدمون ذلك التصور الخاطيء لاكل أموال الناس بالباطل فيكون فعلهم هذا فيه إفساد بالأرض وبالتالي فإن العجب هو كيف لهؤلاء أن ينسبوا ذلك الفعل للأديان التي انزلها الله لإصلاح الأرض ونشر الحب والعدل لا الافساد ونشر الكراهيه والطبقات والظلم فهذا ليس من شرع الله فالله لايومر بالفحشاء والمنكر تنزه الله تعالى عن ذلك

٢

أن هولاء جعلوا التعامل بالوفاء بالعقود فيما بينهم فقط أما غيرهم من العرب وبقية الأمم فلا مانع عندهم من خيانه الامانه في التعامل معهم فقد استباحوا حقهم مع اعتقادهم بأن ذلك مباح لهم

وقد احتجوا بما كتبه الاحبار بايديهم كذبا وايضا بتحريف التأويل لبعض احكام التوراه التي ذكرت احكام فرقت

فيها بين الإسرائيلي وغيره في علاقات المواساه الخالصه وهنالك فرق بين الحقوق والمواساه

وهذا هو حال كل الذين ينظرون إلي الدين أنه سلاله وانهم يستمدون ذلك من الله فهذا حال الكثير من الجماعات الضاله المنسوبة الي الاسلام اليوم فعندما يصلون الي السلطه تجد أنهم لايتورعون عن ظلم الناس واكل أموالهم الباطل فلا يعترفون بحقوق الآخرين فهم ينظرون باحتقار للآخرين وأنه لاحقوق الا للساده أو بني هاشم أو ال البيت وان البقيه مخلوقات لخدمتهم وانهم عبيد لهم فهذا هو حال كل من ينحرف ويخون الامانه التي ذكر الله أن الجبال والسموات والأرض أبين حملها وقال تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والأرض فابين أن يحملنها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

فهذا غير جدير بشرف حمل الامانه لان الجهل والظلم فيه فمن تكون أفعاله تدعو الي الظلم والجهل فهو غير صالح فكيف إذا كان هذا الظالم يريد أن يجعل من الظلم شريعته ينسبها الي الله فإن هذا ما يدعوا الي العجب كيف لهؤلاء كل هذه الجراءه علي الله ولهذا يقول تعالي (ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون)

وهذا فيه ذم هؤلاء وذكر قولهم بالمضارع (ويقولون) لبيان ان هذا هو طبع الطغاه الذين يتخذون الدين وسيله للمتاجره والحصول على المصالح وإخضاع الناس لهم فالأمر سوف يتكرر وان هؤلاء كاذبون في قولهم

فهم لايقدرن الله حق قدره فكيف يتجرؤون بالكذب علي الله وهم يعلمون أن الله هو رب المخلوقات كلها ومثولي شؤونها وهو سبحانه أمر بالعدل فهو لم يرضاه بالظلم لنفسه فكيف يرضاه لمخلوق من مخلوقاته

فهم يعلمون كذب مايقولون وانهم مفترون ويعلمون بعقوبه من يتجرأ علي الكذب علي الله ورغم ذلك كذبوا ولهذا لم يقل (يعلمون كذا) فقد أراد تعميم الفهم ليعم الحركه أنهم يعلمون كذب قولهم ويعلمون عقوبه ذلك الكذب

وهذا لأن الامانه أمر ثابت يجب الوفاء به فقد ورد انه لما قالت اليهود للعرب الذين أسلموا وكانت لهم أموال امانه عند اليهود فقال اليهود أنه ليس علينا سبيل اي طريق أو مؤخذه لانكم تركتم دينكم وهكذا أمرتنا التوراه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله مافي مماكن في الجاهليه الا هو تحت قدمي هاتين الا الامانه فإنه مواده الي البر والفاجر)

ثانيا

بعد ذكر فساد التصورات التي بني هولاء عليها عقيدتهم وتعاملهم المزدوج مع الاسرائيلي تعامل يختلف اذا كان الطرف الآخر من غيرهم وانهم نسبوا ذلك إلي التوراه والانجيل كذبا وبهتان تأتي لنفي تلك التصورات الباطله والا قاويل الكاذبه فقال تعالي (بلي)

فهي اداه نفي جازمه تنفي ما قبلها وتنتقص من ذلك القول فهي فيها استنكار افتراءات هولاء فيما

نسبوا الي الله أنه لا يؤخذهم أن خانوا العهد

ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون) فهم لا يخجلو

من جرائمهم لينسبوا افعالهم القبيحه الي ان الله أمرهم بذلك فالله لا يامر بالخيانه والفحشاء فيقول لهم ليس الأمر كذلك فالله هو العدل فابتدا باداه النفي بلي .. لبيان ان مايقوله هولاء كلام كاذب وان هولاء قد انقطعت صلتهم بالاديان وعلومها فهذه الجراءه منهم تدل علي انعدام الخشيه التي هي اثر يوجبه العلم وهولاء قلوبهم فارغه من التأثر بما يعلمون

فاستعمل المولي اداه النفي كي يشد انتباهك لتعرف أن هنالك فرق عظيم بين مزاعم هولاء الكاذبه وبين أمر الله

الحق العدل فالله يأمر باحترام العهود فيقول لنا تعالي (من اوفي بعهده واتقي فإن الله يحب المتقين) حيث تأتي النصوص بتقرير القيم الصحيحة التي تقوم عليها عقيدة الاسلام

الأمر الأول

أن أول مايشد الإنتباه هو أن المولي سبحانه وتعالى

ذكر قاعده التعامل التي أمرها بشأن الوفاء بالعهد واحترام الامانات واداءها بصيغه العموم (من اوفي بعهده) بأن جعل الظهور بالوفاء بالعهد حقا واجبا لذاته وهو مايعني الانتقال الي قضيه عامه مفادها انه تعالي أرسل الرسل جميعا بمنهج واحد هو وجوب الوفاء بالعهد لتفهم أنه لا يوجد مايعفك من أداء الحقوق والوفاء بالعهد سواء التي بين العبد وخالقه من عهد الايمان والذريه وعهد أهل الكتاب بشأن الايمان بالرسول وإظهار علاماته للناس ونصرته

أو العهد الذي بين العبد وبني جنسه من البشر بشكل عام بوجوب الوفاء دون استثناء لأحد فليس هنالك تعامل مزدوج بأن تتعامل مع شخص تربطك به علاقته ووطن او جنس بالوفاء بالعقد في حين لاتلتزم بالوفاء بالعقد اذا كان الطرف الآخر لاعلاقه دينيه ترابطك به

فهذا الأمر لم يأمر به الله .ولهذا ذكر أنه سبحانه وتعالى

جعل الوفاء بالعهد واحترام العقود مرتبنا بخوف الله ومراقبته لتعرف انك محاسب عليه فأنت مسؤول عن ذلك أمام الله

الأمر الثاني

أن انتقال النصوص الي مناقشه قضيه ذكرها بصيغه العموم لبيان ان منهج الله الذي أنزله علي جميع الرسل تضمن الوفاء بالعهد دون استثناء جاء للرد علي مزاعم هولاء الكاذبه عن التوراه والانجيل لبيان مساؤي المجتمعات الطبقيه فهي تقيد العلم لأن جوهر هذه المجتمعات ذاتها هي استغلال الإنسان للإنسان يقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن نشاه المجتمع الطبقي ووجوده تمتد اثاره الهدمه للمعرفه الي الغوص في أعماق المجتمعات لتقطع جذور المعرفه من الأفكار حيث يصير مشرب المتعلمون والمثقفون مشبع بالتصورت المسبقه والتبريرت الذاتيه لهذه الطبقة التي تري أن احتكارها للعلم والدين مصدر قوتها فهم المثقفون الذين يصنعون الأفكار الطبقيه لأجل خدمه مصالحهم

فالاصل أن العلم يكون قوه انتاجيه لكن حاجه هولاء الي وضع فلسفه تبرر نظاما مخالفا لقواعد الاجتماع والتعامل المزدوج دفعتهم الي وضع تبريرات غير منطقية لان وجود النزعه الطبقيه وأحكام سيطرتها علي المجتمع اليهودي قد شوه العلم اذا انه من غير المنطق أن يامر الله بهذا النظام المزدوج في التعامل لأن إهدار مبدأ الوفاء بالعهد و العقود في التعامل يعني اهتزاز ثقته الناس ببعضهم البعض ويصبح كل واحد ينظر إلي الآخر أنه فريسه يجوز له اصطياده وهذا يذهب اطمئنان الناس وهو يتعارض مع هدف العمران في الأرض الذي يقوم علي اصلاح وتحسين مافيه فكيف يكون الدين عائقا أمام تحقيق هدف الخلافه وكيف يزعم أن العلم النافع الوحي هو الباعث علي وقف الإنتاج الذي يفترض أن تكون المعاملات التجارية والاستثمارية اهم وسائل ذلك وهو يتطلب الوفاء بالعقد فالنصوص ترسم مخاطر النظام الطبقي الذي يجعل العالم غير قادر علي عمران الأرض نتيجه فقدان الثقه اذا أصبح الناس يتبنون الخيانه علي انها شريعته الله أن هكذا علم وهكذا حركه في الحياه يعطينا صورته واضحه عن خطر الطبقيه علي العلم والحياه لأنها تجعل العلم ينمو بشكل عرضي مخالف للقيم تحت تأثير ضغط المصالح

الخاصة المقيده والمشوه لهذا النمو ولمنع مثل هذا السلوك ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى

المساله الاولى

جعل الوفاء بالعهد واحترام العقود مرتبطا بمبدأ خوف الله ومراقبته ... فالله سبحانه وتعالى يقول لك عليك ان تشعر انك تتعامل مع الله تعالي في كل حركه تتحركها وليس مع العبد

فالتقوي هي مقرها ضمير الإنسان هو شعور إن وجد في النفس صانها من الانحراف ومنعها من انتهاك الحرمات أنه حارس في نفس الإنسان وهو المنزل التي فيها الكمال الإنساني للاتصال ب الله

لماذا خص بالذكر التقوي لانه الوسيله لمنع تشويه العلم وهي اداه منع فلسفه التبرير للأعمال الفاسده

(إنما يخشي الله من عباده العلماء)

فلا قيمه للعلم اذا يصاحبه الخشيه من الله

المساله الثانيه

تبين النصوص لنا الطريق الموصل الي الكمال اللائق بك ايه الإنسان الذي فيه التكريم الحقيقي والرتبه العاليه أنها نيل رضا الله (فإن الله يحب المتقين)

أن الوفاء بالعهد واحترام العقود منك يجب أن يقوم علي الشعور انك تتعامل مع الله وان يكون غرضك في الا لتزام بأمر الله هو نيل رضا الله

فيقول لك الله أن نيل رضاه يكون بطاعته وان تخرج من داخل نفسك الأصنام والأهواء فالمحب لابد أن يرضي محبوبه فأنت اذا كنت تريد أن تصل إلي محبه الله فعليك أن تراقب الله وتخافه عليك تعبد الله بالوفاء بالعهد واحترام العقود وبعد القيام بذلك عليك أن تقف مع نفسك لتعرف هل قطع قلبك بهذا الفعل الطريق الي الله هل وجدت اللذه في الطاعه

ولهذا ذكر المولي وصف التقوي لمن يحبهم لبيان ان الطريق الموصل الي محبه الله هي التقوي لماذا لأن البعض قد يكون منه الوفاء بالعهد واحترام العقود لكن ليس طاعه لله بل يكون من أجل الشهره ونحوه

ولهذا لم يقل فإن الله يحبه وانما قال فإن الله يحب المتقين

لماذا لأن الهاء لو قال فإن الله يحبه ترجع إلي الذات لكن عندما يقول فإن الله يحب المتقين فإن هذا يرجع علي العمل لاذات العبد فالتناس سواسيه أمام الله تعالي لامنزله لأحد بنسب أو عرق وانما بالعمل

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب العمل ويبغض بدنه)

وهذا يعني أنه تعالي يحب من المومن إيمانه ويبغض ما يأتيه من السيئات بالأعمال ولايفيد هذا الحب مع هذا البغض إلا أن يتطهر به من خبث عمله

وأنه يحب من الكافر عمله أن كان حسنا ويبغض ذاته لالتياؤها بدنس الكفر ولاينتفع بالعمل الا مؤقتا في الدنيا وله في الاخره عذاب عظيم فلا يكمل للإنسان حظه من السعادة الا إذا كان مومنا طيب العمل

ولهذا فالنص هنا يبين لنا اهميه اصطحاب التقوي في كل عمل ليكون خالصا لله تعالي

فيقول لنا هل تريدون الوصول إلى محبه الله إن كنتم حريصين علي ذلك فإن ذلك يتطلب منك أن تحرص علي إرضاء محبوبك بأن تراعي عملك بحيث يكون خالصا لله والتعظيم لأمر الله يقتضي الشفقة في خلق الله والوفاء بـ العهود

المساله الثالثه

أن الأمر بتعظيم أمر الله فيه بيان فساد تصور هولاء لانهم جعلوا المعيار بالوفاء بالعهد يقوم علي المعاهد فإذا كان من غيرهم فلا يلتزمون بالوفاء بالعقود فيما يتعاملون معهم فيقول لو كانوا يعظمون أمر الله لما تجروا علي ذلك فهم لم يؤمنوا فلو آمنوا لصدقوا بالرسول وفاء لعهد الكتاب ولذلك يذكر بعدها أن جريمتهم البشعه تعود إلي تغليب مصالح الدنيا علي الآخره فذكر أن ذلك بيع وشراء وصفقه خاسره (أن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا)

فذكر قضيه مخالفه العهد وما يترتب عليه قضيه عامه فكان الاهتمام علي عموم الموضوع لا خصوص السبب أي من جعل إيه الله عرضه للبيع مقابل عوض من المصالح فإنه قد باعها بئمن بخس سواء كان هذا العهد عهد الايمان والذريه أو عهد أهل الكتاب

فعموم الموضوع هو المقصود وليس خصوص السبب الوارد بشأن نزول الايه أن أناس جاو الي كعب بن الاشرف يريدون طعام وكسوه فقال لهم هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال اني كنت أريد أن اعطيكم خير. كثير لكن انتم لاتريدونه فدفعتمهم الحاجه الي القول نتريث ثم رجعوا وقالوا لانعلم أنه رسول وسبوا الرسول

ولهذا فإن النصوص تبين لنا أن القضيه تناقش موضوع عام وهو أن كل من يعقد صفقه في أي زمان أو مكان بأن يترك الهدي ويأخذ عوض عنه امقابل مصالح ورشاوي فإن هذا قد أثر الدنيا علي الآخره وربط هذا ايضا بموضوع اليمين الغموس التي ينكر بها حقوق الناس بأن هذه هذه الصفقه خاسره

المساله الرابعه

فالنص فيه التحذير من الاستهانه بالعهود وعدم حفظ الايمان فذكر عقوبه هولاء بأبشع العقوبات وبما لم توصف بها عقوبه فقال تعالي (اولئك لاخلق لهم في الآخره ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامه ولا يزكهم ولهم عذاب اليم)

١

استعمل اسم الاشاره اولئك للبعد أي بعد مكائنتهم عن الإيمان فلا يجتمع في قلب إيمان وخيانه ونكت العهد ف الرسول صلي الله عليه وسلم يقول ايه المنافق ثلاث اذا حدث كذب وإذا وعد اخلف واذا اوئتمن خان)

٢

لاخلق لهم في الآخره)

قيل أن المراد بها أنهم لانصيب لهم في الآخره

وقيل إن اللفظه تحمل معني صفه(الاخلاق)وهي صفه ترسخ بالنفس من خلال التكرار الذي يوصلها الي مرحله يصير من السهولة توجيه الارداه نحو الأفعال التي فيها طاعه ببسر فلا تحس بمشقه مقاومه الهوي وغرائزها في النفس

وأنه حدد الزمن بالآخره يعني الوقت الذي لا يكون فيه قدره للنفس علي اكتساب تلك المهاره التي ترسخ في النفس لأن الآخره دار جزء فمن لم يكن له نصيب من هذا السلوك في الدنيا فقد فوت علي نفسه الفرصه

لماذا لأن من لم يدخل جنه الدنيا لن يدخل جنه الآخره فالمراد بهذا انه ينبغي عليك أن تقطع الطريق الي الله بقطع المسافات بالقلب بحيث تشعر بلذه العمل والطاعه فالإنسان مخلوق من جسد وروح فروحك بحاجه الي غذاء من المصدر الذي جاء منه فأنت بعد كل عمل لابد أن تقف مع نفسك لتعرف هل تجد طعم وحلاوه العمل الصالح ام لا. هل انت مشتاق لرؤيه الله ولقاءه اذا وصلت إلي هذه المرحله التي تجد فيها لذه في طاعه الله تشعر انك في جنه وسعاده بامتثالك أمر الله فإن هذه الجنه هي الاساس لجنه وسعاده الآخره

٣

ولا يكلمهم الله

الكلام هنا انه لا يتكلم معهم بكلم فيه الثناء بل هو الزجر كما قال تعالي (اخشوا فيها ولا تكلمون) فدل هذا علي عدم محبته لهم لأن المخب يتكلم مع محبوبه وهذا لنفي مازعموا انهم ابناء الله واحباءه

٤

ولا ينظر إليهم يوم القيامه
لبيان انه لا يحميهم ولا يرعاهم

٥

ولا يذكهم
اي لا يظهر كنايه عن عدم الرضا عنهم

٦

ولهم عذاب اليم
اي عذاب موجه
القسم الخامس

(وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون

ماكان لبشر أن يوتييه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون

ولا يامرکم أن تتخذوا الملائكه والنبيين اربابا ايامرکم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون

وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قالوا أقررتم وأخذتم علي ذلكم أصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولي بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افعير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون قل امننا بالله وما انزل علينا وما انزل علي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وماوتي موسي وعيسي و النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

اولا

أن النصوص تناقش جرائم العلماء والأمرء لتحذير المسلمين من سلوك المتعصبين الذين ينتمون إلي هذه الفئة من فئات المجتمع فيقول الله (وان منهم لفريقا يلوأ ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب.... الخ

حيث نجد بالوقوف على النصوص الآتي

الأمر الأول

أن النصوص جاء فيها ذكر جريمه خص بها جماعه من اليهود والنصاري فالهاء والميم في (منهم) ضمير عائد علي قوله تعالى (وان من أهل الكتاب... الخ

حيث نجد من خلال الوقوف على ماتضمنته الايه الكريمه العدول من ذكر اليهود والنصاري وما كان منهم من جرائم ومحاولات اضلال المومنين واحتقارهم غيرهم واكل أموالهم بالباطل وادعاءهم أنهم شعب الله المختار....و العدول من الحكم علي تلك الطوائف الي تخصيص حكم خص بفئه معينه فهو ليس حكم علي الجماعه كلها

أنه حكم خاص بفئه معينه من جماعه أهل الكتاب ارتكبوا جريمه بشعه وعظيمه اكبر من جرائم العوام فالنصوص ترسم لنا مشهد ذم هؤلاء وتحملهم ازر الجريمه الشنيعه مع الاشاره الي أن ضلالهم قد عم من بعد ذلك ليشمل الجماعه كلها

فهذه الصوره القبيحه التي خص بها هذه الفئة منهم والتي ترسمها الآيات وتطرح موضوعها للنقاش وتبين أوجه الفساد الناتج عن هذه الجريمه الشنيعه وهنا قد يقول قائل لماذا خص هذه الفئة بالذم

الجواب

لأن مرتكب هذه الجريمه هم العلماء والأمرء من اليهود وهؤلاء الصنفين اذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس لأن البدع والظلم منشؤها من هؤلاء وهما من الأمور التي أن حصل الانسجام والتفاهم بين العلماء والأمرء يعم الصلاح أو الفساد في الأرض

ولهذا فإن الحكم هنا يتناول علماء اليهود والنصاري وامراءهم وكل من كان علي شاكلتهم من المسلمين

الأمر الثاني

ترسم لنا النصوص مشهد فيه تهويل جريمه العلماء والأمرء خاصه اذا حصل التزواج بين السلطه الدينيه والرئاسة والسياده في المجتمعات حيث تعطينا النصوص هذه التجربة كي نتجنب مثل تلك الأحوال وايضا نكون علي يقظه .

فالنصوص ترسم لنا فساد اعتقادهم وعدم تمسكهم بالكتاب المنهج الرباني

فذكر الله فعل هولاء عند المناظره والمعرکه الفكریه معهم بشأن ما ذكرت التوراه من امارات ونعوت الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤكدہ صدق نبوته وغيرها من الادله والبراهين الدامغه المزبورہ في التوراه ودعوہ التوحيد وعباده الله وحده التي حملتها الرسل جميعا فقال تعالي (يلون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب... الخ

أنهم يلجأون الي اللي للسان... والمراد بهذا التحريف والتغيير والتبديل واللي في اللغة القتل والتقليب فتقول لويت يد فلان إذا فتلتها وقلبتها ولي العنق ولي الرأس اي الالتفات فقال الله عن المنافقين (لوو رؤوسهم)

فهو لاء لجأوا الي لي اللسان اثناء قراءه النصوص بأسلوب يصرف اللفظ الي معني اخر.. بحذف حرف او اضافه كما فعل ابن صوريا عندما حاول اخفاء حكم رجم الزاني المحصن في التوراه او يكون تغيير حركات الاعراب أو أنه يقصد باللسان هنا الترجمة للتوراه كونها باللغة العبريه لأن الله يقول (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبن لهم .. الخ

فالله يقول لنا أن الغرض من لي اللسان هو لتمويه المسلمين (لتحسبوه) مايدل أنهم يقرؤان التوراه علي المسلمين وهذا يعني أن فيه ترجمه من العبريه الي اللغة العبريه فالمسلمون لايعرفون العبريه وهولاء استغلوا ذلك للتحريف والتبديل والتغيير وقلب الكلام عن وجهه ومواضعه الي وجهه أخرى فهذه هي صفه اليهود فالله يقول (يحرّفون الكلم عن موضعه) وكذلك عرفنا أنهم كانوا قد حرفوا كلمه (راعنا) الي معاني الرعونه اي يجعلون لها معني مختلف عن مدلول النص

وهذا مايعني أن هذه الجريمه قد تكون من خلال التأويل الباطل والاقيسه الفاسده والموضوعات الكاذبه

ولهذا فإن النصوص تعطينا هذه التجربه كي نستلهم منها الدروس الاتيه

الدرس الاول

أن هذا الحكم يتناول رسم فساد العلماء والأمرء في كل زمان فاستعمل الفعل المضارع (يلون)

للدلاله علي تجدد واستمرار هذا الفساد في حياه الناس فهذا الحكم ليس مقصورا علي اليهود الذين كانوا في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بل يتناول علماء وقاده اليهود والنصاري في كل زمان ومكان وكل من كان علي شاكلتهم من علماء وقاده المسلمين عندما يفسد العلماء والأمرء

حيث أن الأمرء يريدون القوه التي تدعم مواقفهم السياسية التي يدفعون بها حجه الناس عليهم لقيامهم بمخالفه قيم ومبادئ الشريعة الإسلامية فنحن نعلم أن الشوري مثلا من المبادئ الأساسية التي أقام الإسلام عليه نظام الحكم فتجد من الحكام من يلجاء الي تبرير تعطيل هذا المبدأ الي القول بأن وحده الامه في الوقت الحالي تتطلب أرجاء العمل بهذا المبدأ ولهذا يلجأون الي الاستعانه بفتاوي العلماء التي يفسرون بها الآيات القرآنية بما يخالف حقيقه مفاهيم النصوص

لقد شاهدنا في واقعنا المعاصر كثير من الدماء تزهق ظلما وعدوانا من الحكام وفي المقابل تجد أبواق اعلاميه تبرر هذه الجرائم من خلال التاويلات الفاسده أو الأحاديث الموضوعه فالحكام يريدون الحصول على القوه التي تودي الي قبول الناس للظلم والتعاضد معه باسم الدين ولهذا يلجأون الي صناعه مراكز علميه دينيه ودار افتاء لتمويه الناس فلا يخفي علي القاري ذلك بل وجدنا من الفتاوي ما لايقبل به عاقل ولايستساغ أن يكون ذلك من القرآن أو السنة لما فيها من تكريس الاستبداد وصناعه الطغاه ومن هنا تتلاقى مصالح السلطه مع بعض المراكز الدينيه

اضافه الي أن غياب الفهم الصحيح لدور العلماء في أغلب الأحوال مع انحراف بعض الجماعات في تفكيرها حيث نجد اختزال الدين والعقيدة بالسلاله أو حركه اوجماعه عندها يكون ظهور البدع حيث أنه عندما يصبح الانتماء

للدين قائما علي العصبية عندما يصبح الانتماء للدين والدفاع عنه من باب الخوف علي المصالح التي يحصل عليها هولاء من بقاء الفكره عندما تصبح الفلسفة الدينيه قائمه علي أن المصالح الشخصية لفئه من الناس هي الدين وان حمايه تلك المصالح هي حمايه للدين عندما تصبح السلالة هي الدين وان الانتصار للسلالة والقومية هو انتصار للدين وهكذا يكون تحريف النصوص

الدرس الثاني

ان المولي يخبرنا بهذا ليقول لنا أن قيام هولاء بالتحريف هو نتيجة حاجه هولاء الي القوه التي يحتاجونها لمواجهه الحق ولهذا قال تعالي (يلون ألسنتهم)

ونحن نعلم أنه يقال لي الحبل اذا فتلته وربطته والغرض من ذلك أي فتل الحبل هو الحصول علي القوه التي تجعل الحبل قويا لاينفك وهولاء اردوا من اللي للسان تقويه مراكزهم والحصول علي القوه والاستمرار بعدما نسخت التوراه اردوا استمرار عملها وكذلك الطعن بالرسول الكريم والانتقاص من الإسلام وهو أمر لا يختلف عن حال المتعصبين من الجماعات المنسوبة الي الاسلام ومراكز الإفتاء في أغلب البلدان العربية التي حصل التزواج بينها وبين الانظمه الظالمه

فنحن نشاهد في واقعنا المعاصر جماعات تدعي أنها تحمل الفكر الاسلامي والمشروع الرباني فتجد العصبية هي عقيدته هولاء ويقومون بالتاويلات الفاسده اذا لم يجدوا ما ينهض الفكره التي يتبنوها في الشرع الحنيف فيلجأون الي التفسير فيكون طلب هذه القوه وكذلك أراد اليهود الحصول علي القوه التي تجعلهم يستمرون في احتكار سلطه الدين وهذا حال الحكام وعلماء السلطه أنهم يسعون الي تقويه مراكزهم أمام الجماهير من جهه ومن جهه اخرى للقضاء علي دعاه الإصلاح في المجتمعات فهم يرون أنفسهم أنهم في معركة مع هولاء وانهم يهددون مصالحهم وسلطتهم ولهذا نجد السعي الحثيث لاطهار افكار دعاه الإصلاح بمظهر القبح وشيبتتهم وإلصاق تهم الإ رهاب عليهم للانتقاص منهم وعدم الاعتراف باحقية المشروع وموافقته لمنهج الله ويلجأون الي الاقيسه الفاسده فيطلقون عليهم خوراج هذا العصر واحيانا أنهم زنادقه وهكذا .. وبالرجوع الي اهداف علماء اليهود من لي اللسان نجد انها هي نفس الأهداف وهو تقويه مراكزهم والحصول علي القوه والانتقاص من الإسلام والطعن بالرسول الكريم عليه افضل الصلاه والسلام

الدرس الثالث

عليك ايه المسلم أن تكون في يقظه فأنت عندما تحمل المشروع الرباني سوف تكون هدفا وغايه يسعي الأعداء لمنهج الحق سبحانه أن ينفذوا من اي ثغره ليحدثوا هزه في كيانك تجعلك مرتعش الأيدي في حركتك فقال تعالي (لتحسبوه)

أن تحريف هولاء لنصوص التوراه لم يكن اعتباطيا بل كان له هدف وهو ليوهموك أن المحرف المدلول عليه أنه من التوراه المنزل علي موسى أو الانجيل المنزل علي عيسي (من الكتاب)

فغايه هولاء احداث خلل في تفكيركم وتصوركم أن هدفهم له أبعاد خطيره فهم اردوا أن يصنعوا فيك عصبية تجعلك تعادي التوراه والانجيل والرسل والأنبياء عليهم السلام ولهذا نجد أن النصوص تبين براه الرسل والأنبياء من افتراءات هولاء (وماكان لبشر أن يوتيه الله الكتاب... الخ وكذلك أردف ذلك بذكر ميثاق الانبياء ثم ذكر الأمر (قل امنا بما أنزل علينا الخ

فالغرض تحذير المسلمين من العصبية الدينيه لأنها إذا حدثت في امه فإنها تفسد القضيه التي تحملها والغايه من تعليم القران وتدرسه هو عباده الله ونشر دينه للعالم كله فالعدواه مع اليهود والنصاري ليس عدواه مع التوراه وا لانجيل وليست عدواه مع الانبياء والمرسلين فنحن نحترم جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام

الدرس الرابع

أن الله سبحانه وتعالى يحذرنا من أن نهزم فكريا يقول لنا أن هولاء أعداء لدين الاسلام وهم يسعون الي الاستيلاء على مركز القيادة الفكرية لدي المسلمين فعليكم سد الثغور التي يمكن أن يتسلل منها هولاء الي عقولكم فيقول الله (وما هو من الكتاب) حتي لا يفتخر الناس بما يقولون يحذرنا الله من الاغترار بالباطل لانهم يزخرفونه ليظهر جملهم لا وبمظهر الحق

فيقول لنا انهم عند ما يناقشون معكم قضية لا يقبلون بمبدأ الشفافية والنزاهة والانصاف بل يتعمدون الغش و الخداع يريدون أن يقف المسلم في مقاعد التلاميذ ويجلسون هم في مقعد الاستاذ ولهذا سوف يلجأون الي تأكيد اكاذبيهم والإصرار عليها (ويقولون هو من عند الله) فهم يريدون ازاله الرب عن أنفسهم بتأكيد اكاذبيهم بالزعم أنها من عند الله ولهذا يفضحهم الله ويكشف افعالهم القبيحة (وما هو من عند الله ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون) لتكون في يقظه من محاولات هولاء للاستيلاء علي مركز القيادة لديك فلا تتصور أنهم أهل علم نافع في مجال الافكار والسياسية فما لديهم هو افكار لهدم القيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة في المجتمع المسلم وفي السياسيه فإن ما لديهم هو افكار مشاريع لتمزيق الامه وشغلها بقضايا وهميه لا تجلب المنافع للمسلمين وانما فيها تجميد العقول المسلمه وسلب قدرتها علي التقدم والرقي لتظل خاضعه لهيمنة العقل الغربي لقد لاحظنا كيف أن الدول التي قبلت بالمشروع الغربي وصلت الي مرحله فقدت فيها قدره علي التعامل مع مصدر الإلهام لحركه الشعوب وكل ما أدخلته الي المجتمع نتيجة التبعية للغرب هو نشر الرذيلة في ديار المسلمين حتي اننا اصبحنا نسمع عن افتتاح معابد لمن يعبدون البقر في بلدان مسلمه بنسبه ١٠٠/دون خجل ووجدنا من التشريعات ماتسمح بممارسه الرذيلة تحت دعوي الانفتاح مع الآخرين وحوار الحضارات وهو ما أراد المولي أن يحذرنا منه

الدرس الخامس

أن تكرر اسم الكتاب مرتين وتكرر اسم الجلاله مرتين فيه توجيه الاهتمام بالاسمين لغرض الاهتمام بالخبر المتعلق بها والمتعلق به

ف الله يحذرنا من أن نقع في متاهه البعد عن روح الاسلام بالتاثر باقاويل هولاء فيؤكد لنا عدم صحه افتراءته (وما هو من الكتاب)(وما هو من عند الله)

أبطالا لما زعموا كذا بما فقد نفي في الاولي أن يكون التحريف من التوراه ونفي في الثانيه أن يكون ذلك منزلا من عند الله فيقول لنا لاتتقوا بما يقول هولاء فهم قد تجروا بالكذب علي الله فاستعمل الضمير (وهم يعلمون) اي هم باعيانهم واشخاصهم يعرفون كذبهم فهذا هو الضلال البعيد فهولاء يعتقدون أن الله لن يعاقبهم علي ذلك وأنه تعالي يغفر الذنوب فيقول لنا انتبهوا أن تتاثروا بأخلاق هولاء

لأن التأثر بهم يجعل شخصيتك قابله لتلقي الخرافات التي تجعلك تلجاء الي البدع والقبول بما يملئ عليك من الذين يتخذون الدين وسيله للمتاجره والحصول على المصالح

وهو فعلا ما وصلنا إليه بعد أن استولي الغرب علي العالم الإسلامي حيث أصبح الدين دروشه وأصبحت شعوبنا تعبد أنظمتها وصار المسلمون رمزا للتخلف والجهل وفقدت الامه فاعليتها وأصبح لدينا مغالاه لاتقل عن مغالاه النصراني في عباده عيسى فقد صار تمجيد الأشخاص لدينا الي درجه أن صاروا الهه تعبد مع الله

والرسول صلى الله عليه وسلم قد حذرنا فقال لتركبن سنن من كان قبلكم.... الخ

لقد شاهدنا كيف أن العديد من المسلمين يرتكب المعاصي ولايبالي أن يبرر لنفسه بسرد نصوص قرآنيه يفسرها كما يريد أو احاديث نبويه وهكذا نجد من يتصور أن قول لا اله الا الله محمد رسول الله توجب له الجنه وان ارتكب

الجرائم والكبائر وافتري علي الله الاكاذيب

ف الله سبحانه وتعالى يقول كيف للعرفان ب الله والعصيان أن يجتمعا في قلب شخص واحد فهذا أمر محال

ثانيا

بعد ذكر المولي سبحانه وتعالى افتراء وكذب علماء وقاده اليهود والنصاري علي الله فذكر قيامهم بالتحريف و التبديل والتغيير لما ورد في التوراه والانجيل

مبيناً أن هذا الأمر وجرائثهم علي الله يعود إلي عاده هولاء الممتده الي زمن ما بعد ارسال الرسل والأنبياء إليهم اي قام الإلتباع بأحداث ذلك التبديل والتغيير فقد عرفنا كيف أنهم اتلفوا حقوق البشر بالتحريف فقالوا ليس علينا في الأميين سبيل..وانهم اتلفوا حقوق الله ولم يدخروا جهدا في أن يجعلوا إنسان ضعيف الها فقالوا إن عيسي هو الله وقالوا إنه ابن الله وقالت اليهود أن عزير ابن الله فقد كان منهم ارتكاب هذه الجرائم بتغير عقيدة التوحيد الي الشرك وان هذا كان عن علم

فقال تعالي (ماكان لبشر أن يوتييه الله الكتاب والحكم والنبوه ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)

الأمر الأول

تبين لنا النصوص اذا كان التدخل البشري في الكتب السماوية بالتحريف والتبديل والتغيير وقلب الحقائق يعود إلي العلماء والاحبار والقاده والساده والاكابر الذين جاءوا بعد الرسل والأنبياء عليهم السلام فقال تعالي (ماكان) تفيد النفي في الشئ الممتنع شرعا وقدرا كقوله (وماكان ربك نسيا) وتستعمل في نفي الشأن كقوله تعالي (ما كان لمومن أن يقتل مومنا الا خطأ)

والمعني هنا يراجع المعني الاول وهو للنفي الممتنع شرعا وقدرا أن يكون التحريف والتبديل والتغيير في الكتب السماوية التي حصل فيها تدخل بشري بصور في غايه الخطوره لتعلق ذلك في أصل التوحيد بجعل البشر الهه بعقيده التثنيه والتثليث أدرجت في التوراه والانجيل فستحيل أن يكون ذلك التدخل من الأنبياء والرسل الذين ارسلهم الله الي الناس فهذا أمر يستحيل حصوله ولايمكن تصور وقوعه من الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله واختارهم لحمل دعوه الله الي الناس فهم فعلا بشر لكن هنالك فرق بينهم وبين البشر

ف الله يقول لنا اذا كان الكذب يجوز علي البشر فذلك يعود إلي طبيعه البشر فاستعمل لفظ (ما كان لبشر) لبيان الفارق بين الانبياء والمرسلين من جهه وبين البشر في هذه المساله

فاستعمل لفظ (بشر)

الاشاره الي الاسم الذي اشتق منه اسم البشريه بأنه من البشره التي بارزه وظاهره في المخلوق البشري فبشره الإ نسان تظهر ولهذا فهي بحاجه الي اللبس الذي يسترها لمنع كشف عورات الإنسان ونحن نعرف أن ظهور العوره تزامن مع ارتكاب ادم و حواء الخطيئة فقال تعالي (فبدأت سواتهما) وقد ذكر (وظفقا يخطفان عليهما من ورق الجنه)

فقد كان كشف العوره عند مخالفه المنهج الرباني فغياب المنهج فيه كشف عوره الإنسان الماديه والمعنويه فقال تعالي (ولباس التقوي ذلك خير)

فأنت اذا بحاجه الي المنهج الذي يدللك علي لباس التقوي وتستر روحك مثلما تستر جسدك... فهذا الغذاء

الروحاني فيه الكمال الإنساني لأن الروح بحاجة الي الاتصال بمصدرها فهي من الله ولهذا اقتضت رحمه الله أن يرسل الانبياء والمرسلين الذين يحملون للناس المنهج الرباني الذي يشبع احتياجات ومتطلبات الجسد والروح فهو لاء الانبياء والرسل هم المصدر الموثوق في إبلاغ الناس بالمنهج الذي يصلهم ب الله لأن مصدر علمهم الوحي وهو من أمور الغيب بينما مصدر علم البشر العقل وهو محدود...ولهذا فإن هنالك فرق بين البشر وبين الانبياء والرسل فهم اصطفاءهم الله واختارهم لمهمه عظيمه فصار فيهم فضل بشري وعصمه الهيه فهم ليسوا بشرا عادين فأخبرنا الله أنه يستحيل حصول الكفر منهم فقد اختارهم الله من أكرم الناس انسابا واطهرهم أخلاقا وقوي عقولهم واروهم لتكون مستعدة لتلقي وحيه وشرائعه وتبليغها للناس يسعدون بها في دنياهم ودينهم

فذكر الله لنا (أن يوتيئه الله الكتاب والحكم والنبوه)

بيان انه اصطفاءهم علي الناس فالوحي اصطفاء ليس لكل الناس والكتاب هو المنهج الرباني الذي يكون فيه بيان أوامر الله ونواهيه وشرع الله

ومهمه الكتاب من الموكد انه دستور يحكم الحياه في جميع شؤونها فليس مهمه الرسل والانبياء مجرد التبليغ ف الله يقول (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع... الخ

وقال تعالي (كان الناس امه واحده فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)

فهو منهج حياه ولهذا اتبع بذلك (والحكم) فالمراد بهذا أن الكتب السماوية هي منهج حياه ولا بد لها من دولة تطبيق أحكامه بين الناس ولهذا فإن الله قد علم رسله الحكمة التي يفهمون ويفقهون فيها الأحكام الشرعية ليكون تطبيقها في حياه الناس ..علمهم علم السياسة لتدبير أحوال الناس واوزاعهم بما يتفق مع عقيدته التوحيد فنحن نعلم أن إبراهيم قال (رب هب لي حكما والحقني بالصالحين) ولهذا فإن الحكم هنا له مدلولات متعدده الوظائف ويدخل فيه معني الفهم التي ذهب إليها البعض لان مدلول الفهم لايتعارض مع ماسبق اذا لايمكن أن يسوس الناس احمق عاجز عن وضع الاشياء في محله عقلا ومنطقا ثم ذكر النبوه اشاره الي المنزله والمكانه الرفيعه أو هو متعلق بمسالة التفريق بين الانبياء والرسل باعتبار أن الرسول يكون حاملا من الله كتاب وشريعه جديده اونسخه لبعض احكام الشريعه السابقه فهو مأمور بالتبليغ وتطبيق منهج الله في الأرض

أما النبي فإنه يأتي لتقرير شريعته موجوده مثل يوشع عليه السلام وانبياء بني إسرائيل الذين كانوا يقررون شريعته موسي فالفارق بينهما هو شرط التبليغ فهو خاص بالرسول كما ذكر اغلب أهل العلم والله اعلم

الأمر الثاني

مما سبق يتضح أن الايه الكريمة أن الايه تستند الي تقرير استحاله حصول التغيير والتبديل من الانبياء والمرسلين من خلال إثبات فضل الانبياء والمرسلين علي البشر بالاختيار والاصطفاء الإلهي لهم علي سائر البشر فالرسل مهمتهم تبليغ الناس بشرع الله ومنهجه وايضا ليكونوا قدوه للناس والانبياء مهمتهم تقرير الشريعه التي حملها الرسول فهم يأتون لتجديد واحياء روح المنهج عندما ينحرف الناس فهم يكونون قدوه للناس كي يتبعوهم

فيقول لنا الله تعالي كيف يكون من الرسل الذين يرسلهم الله تعالي لدعوه الناس الي معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده وطاعته أن يتحول الي دعيه لنفسه يدعو الناس الي عبادته هو ويتخلي عن الأمر الإلهي له فهذا الأمر غير جائز علي رسل الله وانبياءه فهم وان كانوا بشرا الا انهم لايجوز أن يصدر منهم الكذب والبهتان والافتراء لأن الله عصمهم بلطفه عن المعصيه فقد حفظ الله الرسل من أن يكفروا اوحتي قبل الرساله وصانهم بحفظه من ارتكاب الكبائر مطلقا أو الصغائر عمدا فهم معصومون

لماذا

أن تبليغ الناس بأمر الله لا يقتصر علي مجرد البلاغ بالقول ذلك أن الناس في الحياه تكون لديهم اخلاق ضغط مورثه انتقلت إليهم من البيئه تشكل عائقا أمام الانتقال الي العمل بالاخلاق الجديده التي جاءت بها النصوص حيث نكون بحاجة الي انفعالات لتحمل النفس علي العمل المستمر بالاخلاق الجديده واحلالها محل الاخلاق القديمه ولهذا يكون الرسول هو المحرك الذي يبعث توهج نار الانفعال في نفوس الناس ليقننوا به فنحن نعرف أن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديبيه أمر بالذبح فلاحظ وجود تلكوا عن التنفيذ فاستشار ام سلمه فقالت له انحر فإنهم أن رواك فعلت ذلك باشروا النحر وهو ما حدث فعلا

ولهذا نجد أنه ذكر الانبياء لان الناس بعد موت الرسل يجدون أنفسهم في فراغ القدوه الحيه التي تبعت فيهم الرغبة في المماتله اي التاسي والاقتداء فتموت نيران الانفعالات لتصبح رمادا منطفيه

ولهذا اقتضت مشيئه الله انه كان يبعث أنبياء بدون شرائع لماذا لأن هنالك بقايا رماد مازالت فيها اجزاء مازالت حاره اذا تم هز هذه الرماد سرعان ما تلبث الشراره أن تتبجس فيمكن للنار أن تشتعل ثانيه ولكن بالتدريج

أما بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقد جعل الله من يقوم بهذه المهمه المجددين والمصلحين

فالمحرك الذي يثير نار الانفعال خلال الرماد حتي تستعيد الحياه والتوهج هم الانبياء والمصلحين هم القدوه الحسنه وهم الذين يشيعون الحيويه في المحيط التي يعيشون فيها وهم التجربه الواقعيه للانفعال الخلاق واخلا ق الحركه وبهم تبعت الحياه ويتحرر المجتمع من الأصنام

ولهذا فإن العصمه خاصه بالانبياء والرسل لانهم قدوه حيه ولو صدر منهم الذنب لحرمت اتباعهم ولهذا أمر المسلمون اتباع المصلحين ما التزموا منهج الله وان يكون ذلك عن علم لا تقليد لأنهم ليسوا معصومين مثل الانبياء و المرسلين فقد جعل اتباعهم واجب فقال تعالي (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني.. الخ

وحرمت الله اذيه الرسل فقال تعالي (أن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة)

فلو صح أن يصدر عنهم الذنب لزرهم الله ولما حرم اذيتهم فهم لو صح أن يذنبوا لما استحقوا عهد النبوه والله يقول (لاينال عهدي الظالمين)

ولهذا يقول لنا الله أن هولاء يستحيل أن يدعو الناس الي الشرك فهم معصومون فهم حملوا الامانه وبلغوا الرساله حسبما أمرهم الله تعالي فلم يصدر منهم التحريف والتغيير والتبديل لاقولا ولاسلوك وانما هذا كان من اتباعهم فهم الذين حرفوا الكتب السماويه

الأمر الثالث

أن النصوص فيها التحذير لنا من المغالاه في تعظيم الرسل والأنبياء والمصلحين فيقول لنا الله أن محبه الرسل وا لأنبياء أمر مطلوب ولكن لاينبغي أن يكون هذا التعظيم مدعاه لعباده الرسول والصالحين فانتبهوا أن تنحرفوا كما حصل من أهل الكتاب حيث قيل أن الايه نزلت بسبب أن رجل من المسلمين قال يارسول الله هل نسجد لك كما يفعل مع الملوك فنهاهم الرسول عن ذلك واخبرهم أن السجود لا يكون إلا لله تعالي ... كما أنه ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم علي ام حبيبه عندما أخبرته عن التصوير والرسومات في الكنائس التي رأتها في الحبشه أنه قال لها أن اولئك قوم كان إذا مات فيهم الصالحون بنوا علي قبورهم مساجد اولئك هم شر الخلق يوم القيامه) فأراد بهذا منع مقدمات الانحراف التي تؤدي الي التفريط بالتوحيد

فالمنهج الرباني الذي يحمله الرسل ليس لأجل أن يبنوا لأنفسهم مجدا أو يصنعوا لذوتهم الوهيه فهم لايزحمون

الله في الواهيته وربوبيته بل يعتبرون العبودية لله هي العز الحقيقي ولهذا استدرك بالقول (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)

فمهمه المنهج الرباني الذي حمله هؤلاء هو التدرج في تربيته وتهذيب الناس فالعلم تلقي المنهج الرباني وبعدها يكون دراسته بالفهم والبحث والتفكير فيه واستنباط المفاهيم ليكون العمل بناء على ذلك فيحدث التغيير في حياة الانسان لتنتقله من همجيه وحياه الحيوان الي مرحله يكون فيها إنسانا ثم الانتقال الي انسان أخلاقي ثم الانتقال الي انسان رباني يتخلق بأخلاق الرب في حركته بالحياه فيصبح شاعرا وعارفا بحقوق بني جنسيه وحقوق خالفه شاعرا بالمسؤولية الملقاة على عاتقه فهذه هي دعوه الرسل والأنبياء فالعلم الصحيح هو الذي يكون له صفه راسخه في النفس ولهذا فإن الأعمال هي اثار الصفات والملكات التي رسخت في النفس فهي تعبر عن العلم النافع وعن ملكات النفس فلا يكون العمل بلا علم ولا علم بلا عمل

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول (لكن كونوا ربانيين)

نسبه الي الرب ونسبه الي تربيته فالرباني هو الذي يربي الناس ويعلمهم اي يكون قدوه صالحه وهذا يتطلب منه أن يكون عارفا بربه ومخلصا له في عبادته فانت بحاجة الي يقطع العمل المسافه بينه وبين القلب وكذلك فإن القلب بحاجة أن يقطع المسافه بينه وبين الله وهذا لا يكون إلا بتزكيه القلب وتربيته الانسان نفسه وان يعرف ربه وطاعته فلا بد للإعداد والتربيته لتكون قدوه ولتكونوا ملوكا وعلماء فعليكم إن تعرفوا ربكم وان تقصدوا بالعلم طاعه الله ونيل رضاه فالرباني هو الكامل في العلم والعمل الذي يكون محركا وباعثا لاثاره الانفعالات لتنبعث الحياه في المجتمع كي يكونوا قدوه صالحه

الأمر الرابع

أن استدرك النصوص (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)

جاء فيه جعل خبر كان مضارعا ..تعلمون .تدرسون ..لافاده الاستمرار التجديد

وتكرار بما كنتم للايدان باستقلال كلا منهما من استمرار التعليم واستمرار الدراسه والقراءه وهذا فيه الرد علي أن هؤلاء ابتدعوا الكذب والافتراء من عند أنفسهم (ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون)

بان التدخل البشري في الكتب السماوية بالتحريف والتبديل والتغيير كان من التابعين الذين لم يلتزموا بما وصل إليهم من الرسل والأنبياء فهم لو أخذوا بالمنهج واقتدوا بالرسل والأنبياء لما حصل منهم التحريف

فالاصل أن الإنسان يتأثر بالعلم النافع ليصل الي درجه الكمال انسان رباني وهذا لا يكون إلا من عرف الله العرفان الذي يجعله علي يقين بربه وأنه بهذا يحصل علي الثواب وان المخالفه توقعه في العقاب فلا يمكن أن يجتمع في قلب شخص العرفان بالله مع العصيان فهذا أمر محال مثل استحاله اجتماع الشمس والقمر لكن هؤلاء لا يقين جازم لديهم بمساله وقوع العقاب علي الجرائم التي ترتكب منهم ولذلك نجد في الايات قبلها يقول الله تعقيبا علي تحريفهم للكتب السماوية بشأن العقود (بلي من اوفي بعهدده واتقي....الي قوله (ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامه ولا يزكهم ولهم عذاب اليم)

يقول لو أن هؤلاء فكروا في العقوبه فعلا فلم ينظروا الي العقوبه بالشك لما ارتكبوا تلك الجرائم وقبلها أخبرهم ان عليهم أن يتعلموا اليقين فإذا اردوا الوصول إلى محبه الله ورضاه فعليهم اذا هموا بالجريمه ان يفكروا بالعقوبه (واتقي) يشعروا أنها سوف تحل بهم بسرعه فائقه مثل البرق بمجرد ارتكاب الجريمة أن ينظروا أن الجريمه بمنزله السم الذي يزهق الحياه فهل تاكل السم اذا علمت أنك سوف تموت ينظر إليها أنها بمنزله وحش مفترس فهل تقترب وتدخل عرين الاسد اذا علمت أنه سوف ياكلك من الموكد انك لن تفعل فهؤلاء اردوا بالتحريف والتبديل و

التغيير للكتب السماوية الحصول على القوه التي تقوي مركزهم فالله يقول لهم أن القوه الحقيقيه هي في الخضوع لله وطاعته ومحبته وعبادته وتوحيده فهو سبحانه وتعالى حينها يصبح اليد التي تبطش والاذن التي تسمع بها.... فإذا أردت ذلك فإن الطريق لذلك هو التقوي (فإن الله يحب المتقين) ولهذا لم يكرر هذا في هذه الايه الكريمه واكتفي بذكر تنزيه الرسل والأنبياء من جريمه التحريف والتغيير والتبديل

وانهم لم يأمروا الناس بعباده الملائكة والنبين (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكه والنبين اربابا من دون الله ايامركم بـ الكفر بعد إذ انتم مسلمون)

فهذا القول مستحيل أن يكون من الأنبياء والرسل فهم يستحيل منهم أن يدعوكم الي ترك الاستسلام والخضوع والاذعان لله والانتقال الي الكفر وانما هذا من عمل أنصار الشيطان. يقول لهم انه إذا أردتم الحصول علي القوه فإن هذا إنما يكون بتعظيم الله في قلوبكم وان تخلصوا في عبادته (كونوا ربانيين) فعندما تفتح الملكات والاعضاء لديكم لاستقبال نور الله لتصل الي الكمال الذي تمتلئ فيه قلوبكم بنور اليقين عندها تحصلون علي القوه وهذه هي فائده العلم ودراسه الكتب السماوية أما وانتم تستغلون العلم بالكتب السماوية لمحاربه الحق فهذا يبعدكم عن الحق وتلتحقون بعصبه العمل الشيطاني لأن ما تدعون إليه هو اخراج الناس من نور الايمان الي ظلمات الكفر وهو أمر لم يأمركم به الانبياء والرسل وانما هي بدعه ابتدعتموها انتم

ثانيا

الايه (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكه والنبين اربابا ايامركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

انه بالوقوف على النصوص نجد أنها جاءت معطوفه علي قوله تعالى (ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)

فالفاعل ضمير عائد علي البشر الذين ذكرت النصوص أن الله اصطفاهم وطهرهم لحمل الكتاب والحكم والنبوه للناس فهؤلاء لايحوز أن يتركوا أمر الدعوه الي معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده بالتحول الي دعوه الناس الي انفسهم فهم معصومون من ارتكاب الذنوب اي جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام من ادم الي الرسول صلى الله عليه وسلم

ف نجد الرء مفتوح في (ولا يأمركم) لنفي أن يكون في سلوك الانبياء والمرسلين ودورهم في تربيته الإتياع ما وجد في سلوك الإتياع من عباده الملائكة علي انها بنات الله من قبل المشركين الذين زعموا أنهم علي دين اسماعيل ف النفي لتكذيب أن يكون ذلك في دين اسماعيل وكذلك لنفي مزاعم اليهود أن عزير ابن الله وعبادتهم له ونفي أن يكون عباده المسيح امرا صادرا منه ونفي بعدها ذلك علي سبيل الإنكار (ايامركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

أنه لا يقول بهذا ولا يفعله فهذا مستحيل صدوره من الذين أعطاهم الله الكتاب والحكم والنبوه فهذا النفي عن المختارين الذين اصطفاهم الله أن يأمروا الإتياع بالعباده لهم أو لأي مخلوق من مخلوقات الله بعد أن كونكم مخلصين بالتوحيد فهذا أمر ممتنع صدوره منهم شرعا وقدرا لوجود العصمه

فالانبياء هم قدوه في السلوك ولا يأمرون الإتياع بما يخالف المطلب الرباني (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) فهم محاطون بلطف الله تعالى فلا تؤثر فيهم الأهواء فكيف يمكرون بالاتياع لينحرفوا وهم يحملون منهج الهدايه الذي فيه سعاده البشرية

ولهذا فإنه بالوقوف على مدلولات النصوص نجد ترجيح هذه القراءه التي بفتح الرء (ولا يأمركم) ولا يعارض ذلك ارتباط نزول الايه بقصه أن بعض المسلمين قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم إلا نسجد لك تعظيما كما يفعل الملوك.... فقال الرسول صلى الله عليه وسلم أن السجود لا يكون إلا لله تعالي وحده لا شريك له...وهذا للاتي

الأمر الأول

أن النصوص جاءت تناقش قضية جوهرية في حياه الانسانيه عموما فيها اهميه المنهج ودوره في الخير أو الشر فالله يخبرنا ان هنالك مدرستان مدرسه الاستسلام والخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله وهذه المدرسه هي مدرسه الاسلام الحق مدرسه الخير مدرسه الانبياء والرسل عليهم السلام ومن اهتدى بهديهم وتناسل علي منهجهم ولهذا جعل التسلسل والارتباط بين دعاه وأهل مدرسه الخير يستند الي أبوه المنهج والقيام بالعهد وبدون هذا تنقطع الارتباط وتنفصم التسلسل (لاينال عهدي الظالمين)

فكيف يأمر الانبياء الإتياع بما يخالف المنهج فليس الارتباط قائم علي التسلسل العرقي

فدل هذا أن الذين يرفضون المنهج الرباني هم الذين ينتمون إلي مدرسه الشر الكفر وقائدها ابليس اللعين الذي يدعوا الي مخالفه المنهج الرباني وتمزيق الناس بدعاوي مختلفه

وان أنصار مدرسه الشر كثيرون وهم دعاه الي المطلب الشيطاني (انا خير منه)

وان عصبه العمل الشيطاني عندما تجد أمامها ثغور في كيان أهل الخير فإنها تحاول النفوذ وهي قد أسقطت العديد من الأمم التي كانت تحمل المشروع الرباني في الانحراف عن هذا الهدف فهي تعمل علي السيطرة علي مركز القيادة والسيطرة في الأمم لتنخره من داخلها وهذا ما حصل في أهل الكتاب عندما أصبح الاحبار والرهبان ابواقا لخدمه المنهج الابليسي داخل ديانتهم وملتهم فأصبح الكفر يمارس باسم الدين والتدين حيث كان الانحدار المنهجي تدريجيا بالابتعاد عن الاتجاه الاصلي للمنطلقات الي ما يخالف ما علم الانبياء الإتياع

فالانبياء هم الذين ارسلهم الله تعالى في الأزمنة التي يكثر فيها ضبابيه الأحداث ويصاب الناس بفقدان القدره علي التميز بين الحق و الباطل نتيجة الانحدار المنهجي كما أوضحنا حيث يختار الله من خلقه رسلا لازاله التراكمات التي غطت وحجبت الرؤيه كي يصدوا الهجمات التي يقودها أصحاب المشروع الشيطاني علي الانسانيه كي يعيدوا الناس الي الصواب بالقيام بحمل المشروع الرباني (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون)

الأمر الثاني

بعد أن أخبرنا الله ان مدرسه الانبياء مدرسه تربويه ودعويه وتعليمه لايمكن الفصل بين هذه العمليات بل هي مطلب لتربيته الأجيال القادمة القادره علي حمل المهمه العارفه الهويه الابوابيه لها وهي أبواه المنهج الرباني

ولهذا فإن الانبياء هم الأطباء الذين يرسلهم الله لمدواه امراض المجتمعات وتعليمهم ولهذا فعليك أن تدرك اهميه المعلم والمربي لك اذا كانت الأمراض مستعصية او من كان فيه بلاده أما بالنسبه للمعلم فالأمر لايمكن الاستغناء عنه لتعليم الفهم والاستنباط فاخبرتنا النصوص دور الانبياء والمرسلين في التبليغ والتعليم والتدريس ثم كان من المناسب ذكر سنه المواقف وسنه العمل فقال تعالى (ولايامرکم)

فيقول لنا أن الأنبياء معصومون من ارتكاب الذنوب فهم لايتاثرون بالمواقف الانفعالية النفسانية لماذا لأن سلوك الا نبياء ومواقفهم هي شريعته للاتباع وهذه هي حقيقه الانبياء كلهم فكلهم دعوا الي عبادته الله تعالى ولاجل أن تغرس هذه الحقيقه في النفوس والقلوب ولغرس المناعه في نفوس المسلمين نجد ارتباط النصوص بقضية واقعيه تبين للناس ماهي دعوه الانبياء عليهم السلام فهذا النبي الخاتم عليه افضل الصلاه والسلام محمدصلي الله عليه وسلم يأتي إليه بعض المسلمين فيقولون يارسول الله الان نسجد لك تعظيما كما يفعل الملوك والرؤساء فيرد الرسول صلى الله عليه وسلم أن السجود لا يكون إلا لله تعالى كيف لي ان امرکم بالسجود لأحد لقد مثل رد

الرسول صلى الله عليه وسلم صورته تجسد للناس حقيقة الانبياء بأنهم جمعياً حملوا منهج الدعوه لعباده الله تعالى وحده لا شريك له وانهم لم يطلبوا من الدعوه مصلحه شخصية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا الرد الجازم يقول لهم ليس التعظيم للرسول مدعاه للخروج عن الإذعان والتسليم والخضوع لله أو عن طاعته

فهو لو سكت فقط لكان بهذا قد اقرهم لكن الموقف يتطلب الحزم فهو أفعاله وسلوكه سنه يجب اتباعها ولهذا فإن هذا الرد من الرسول صلى الله عليه وسلم بأن التعظيم للرسول لا يكون بالمغالاه التي تجعل من شخص الرسول معبوداً فهذا أمر غير مقبول لأن ذلك يعني أنه أصبح داعيه المطلب الشيطاني وهو ما لا يليق بأي نبي

ولأجل أن ترسخ هذه المفاهيم في النفوس تنزل الابه الكريمه مرتبطه بهذه المناسبه

فهذا الدرس العملي الواقعي الذي يعرف الناس بالمشروع

الرباني وأهل المشروع الرباني فيه الآتي

المفهوم الاول

تقويه الوعي بهذه الواقعيه لتفهم أن المظاهر الموجوده المنحرفه في حياه بعض أهل الأديان السابقه من الإفراط والشرك والتفريط والمغالاه بأنها ليست من التوراه ولا من الانجيل ولا من سنن ولا مواقف الانبياء عليهم السلام م

لأن الانبياء كلهم ينتمون إلي مدرسه الايمان وابواه المنهج الرباني....ولهذا نجد التعجب من تفكير البعض الذي لا يستطيع أن يفرق بين مدرسه الخير وأهله وبين مدرسه الشر فيقول لهم الله أن المنهج الرباني الذي حملة الرسول صلى الله عليه وسلم هو نفس المنهج الذي حملة جميع الرسل والدعوه هي نفس الدعوه فالله يقول (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا انا فاعبدون)

فهذا هو القدر المشترك بين جميع الرسل وان حصل اختلاف في الطقوس فهذا هو اختلاف شكلي

لكن من حيث الجوهر فجميع الرسل حملوا الوحي لغاية واحده وهدف واحد وهو التوحيد (أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه)

واقامه الدين هو أن يتخذ منهج حياه فهم لا يطلبون شيئاً لأنفسهم ولا عصبية ولا قوميه ولا اوطان ولذلك نجد أنه ذكر بعدها أخذ العهد من الأنبياء عليهم السلام بالقيام بالمهمه وتسليم القيادة من السابق الي المتأخر دون أي إشكال أثناء الانتقال فكل منهم يكمل الآخر فلا عدواه ولا بغضاء وهذا يتناسب مع قوله (ايامركم بالكفر بعد اذا انتم مسلمون) ليقول لنا أن هذا التصرف لا يمكن صدوره من الأنبياء

الدرس الثاني

يقول لنا الله تعالى أن هذه القصة الواقعيه التي تعطيتكم درسا عن حقيقة الانبياء وانهم معصومون من التأثير بالا نفعالات فالانبياء هم الذين يقفون بوجه المشروع الشيطاني ولا يمكن أن ينحرفوا عن المشروع الرباني لأن الذين ينحرفون يعني أنهم يعملون علي احياء مدرسه الشيطان

ولهذا يصف الله أن من يدعو الناس الي التمرد عن طاعه الله بأنه كفر في معرض الدراسه والقراءه والتعليم و التدريس للاتباع لبيان حرص الانبياء علي القراءه الربانيه للمواقف والأحداث لتعليم الناس فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذه القصة التي يخاطب بها أهل الكتاب من جهه ويخاطب بها المسلمين من جهه اخرى

ولهذا نجد هذا الارتباط بالقصة الواقعيه للآتي

المسالة الاولى

نحن نعلم أن اتباع اهل الكتاب الذين خاطبهم الرسول لم يكونوا مسلمين عند مجي الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يبين لنا أن الانحراف لم يكن من الأنبياء وإنما كان من سلوك الإتياع وان تلك البدع نشأت في مرحله تسلط أهل الكفر علي مقدرات الإتياع الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية و الثقافية فهذه التحولات ناتجة عن ثقافته تسلط الكفار عندما تعرض الإتياع الي التمزق وتركوا المنهج الرباني نتيجة ارتباط المصالح بين الحكام والعلماء فاتخذ العوام الرهبان والاحبار اربابا من دون الله فتركوا الاقتداء بالرسول وحل التعصب محل الدين فصار الاحتجاج بهذا التحول علي فساد المنهج وبدعه السلوك علي انها من دعوه الا نبياء

لماذا خص الانحراف أيضا للاتباع لمرحله متاخره لاننا نعلم أن اتباع المسيح عيسي الذين التقى بهم وهم الحوريوان آمنوا به وصدقوه واتبعوه عارفين وعالمين بحقيقة عيسي عليه السلام وأنه رسول من عند الله فقالوا (فاشهد باننا مسلمون ربنا امنا واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين)

فهو لاء كانوا خاضعين منقادين لله تعالي وأخذوا عن عيسي التوحيد واسلموا لله تعالي

لكن ما الذي حصل لقد طرأ علي المسيحية تحولات عندما انتقلت الي مواطن وبئيه أخري بالمغلايه مثلما طرأ علي اليهوديه هي الأخري العصبية والقومية وانتهت الي ما انتهت إليه ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا في سوره المائده (وإذ قال الله يا عيسي ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين... الخ

فالنصوص تبين أنه محال أن تكون تلك هي دعوه عيسي التي دعا الناس اليها اباؤكم الأولين واسلموا فكيف تكون تلك دعوته وما بين ايديكم ليس هو الكتاب الذي انزله الله علي عبده عيسي

فهذا التحريف من المسيحيون الذين جاءوا بعد الحوريون فصار الاحتجاج بهذا التحول الي الفساد المنهج وبدعه السلوك عندهم علي انها من منهج الانبياء كذبا وبهتان

المسالة الثانيه

أن المولي سبحانه وتعالى يريد تربيته المومنين من خلال لفت انتباه المومنون الي هذه قضيه ما يطرأ علي الأمم عندما تخرج عن نطاق المنهج الرباني الكتاب والسنة

حيث أنها تبدأ بالانحراف التدريجي

فالإسلام يبين لنا أن مقدمه الانحراف يبدأ من المغلايه وأنها تنتهي الي عباده المخلوقات

فهي مثل ماورد في صحيح البخاري عن ام المؤمنين عائشه رضي الله عنها أن ام حبيبه وام سلمه ذكرتا ما شاهدن في الكنائس بالحشبه من التصوير وبناها فوق القبور فقال الرسول صلى الله عليه وسلم اولئك قوم كان إذا مات فيهم الصالحون بنوا علي قبورهم مساجد اولئك هم شر الخلق يوم القيامة)

وماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبياءهم مسجداً)

فأراد ابطال المغلايه :-

لماذا لأنها مقدمه لنزع القراءه الشرعيه لدور الانبياء وتصل في النهايه الي استبدالها بالافكار الشيطانيه لأن البناء للتبرك في البدايه ثم يأتي قوما يجهلون المراد فيعبدونهم

فجاء من بعدهم من يقرأ الأحداث والظواهر بما يخالف مراد الله وحصل استبدال مراد وما كان لديهم من اديان وحضارات بمشاريع ماديه حلت بديله عن القراءه باسم الرب

فأصبح هولاء يريدون صرف الناس عن القراءه الشرعيه الي ماصنعوا من قوانين للهيمنه علي الناس فالله سبحانه وتعالى يقول لنا انتبهوا أن من هذا الانحراف الذي كان نتيجته انتحار الأمم السابقة وسقوط الحضارات نتيجته التجاوز في القراءه باسم الحضارات والثقافات المغلوطة للأحداث التي نتج عنها الإلحاد والكفر وعقيدته التليث والخرافات والأوهام

يقول لنا الله أن هذه القراءه ناتجه عن الجحود الإنساني وخروجه عن المنهج ومخالفه البشر لتوصيات وتوجيهات الرسل ولهذا منيت تلك الأمم بالفشل الذريع ولهذا ووصمها الله بوصمه العار فقال (ايامركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

رابعا

اختلفت الايه السابقه بذكر حقيقه قياده الانبياء والمرسلين للناس بأنها فيها السعاده والتوفيق والنجاح والسلامه لأنها قياده تسيير بالمركبه في الطريق المستقيم الذي يحقق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض وتصل به الي الله وتحقيق مراده من منهج الله الذي فيه الهدايه ودينه الاسلام وبالتالي فلا لايمكن أن تكون قياده الانبياء والمرسلين للناس الي الهلاك ابدأ ولهذا يتعجب من قراءه البعض لمنهج الانبياء وقيادتهم القراءه المنحرفه الفاسده التي تخالف مراد الله بل هي تجسيد لمراد مدرسه الشر ومؤسسها ابليس اللعين ولهذا ولأجل تصحيح التصورات الفاسده لدي الفاسدون من أتباع الديانات ياتي سياق النصوص بعدها بذكر كيف يكون قياده الانبياء للناس والا تباع (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولي بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون)

فالله سبحانه وتعالى يقول إن الاحتجاج بالتحول الذي طرأ علي أهل الكتاب ونتج عنه فساد المنهج وبدعه السلوك علي أنه من الأنبياء أمر غير سليم فهو لاء قد تركوا الاقتداء بالرسل وحل التعصب محل الدين لأن دعوه الانبياء واحده ولهذا ابتدأت النصوص بقوله (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين)

المبحث الأول

بيان ان ضيق الأفق الذي لدي هولاء إنما صنعته عقليات الفسق التي حولت الكتاب التوراه والانجيل الي سلاح قومي وفئوي وليس من توصيات وتوجيهات الانبياء لماذا؛

لأن الانبياء منزهون من التعصب والانحراف و لذلك نجد ابتداء النصوص بالعطف (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه... الخ

فالايه فيها تذكير اليهود والنصاري بعهد مأخوذ معروف لديهم فيقول اذكروا الوقت الذي أخذنا الله العهد المؤثق المؤكد من الأنبياء جميعا من لدن آدم الي عيسي عليه السلام حيث أن المولي سبحانه وتعالى عندما سلم ادم مفتاح الأرض اشترط عليه شرط التوحيد وأخذ عليه العهد (فأما ياتينكم مني هدي ... الخ فلم يجعل لادم مهمه نقل أوامر الله ومنهج الايمان والعمل والحركه التي تضبط حركه الإنسان علي الارض الي أبناءه جيل بعد جيل بل جعل لذلك قاعده وسنه وهي أنه عندما يحصل اختلاط وانحراف عن التوحيد أو تظهر الأمراض القلبية والنفسية والعقلية في مجتمع أنه يرسل رسولا يحمل شريعته ومنهج لمعالجه الأمراض ويخرج الناس من ظلمات الكفر الي نور الايمان ولهذا يذكرهم أنه أخذ ميثاق النبيين اي العهد الذي وثقوه بالقسم علي أنفسهم في طاعه أمر الله وعدم المخالفه فقال تعالي (لما آتيتكم من كتاب وحكمه)

واللفظ فيها قرأتان (اتيتكم) بالتاء ومنهم من قرأ (اتيناكم) بالنون وايضا القراءه الاولي قروا (لما)بفتح اللام و الثانيه قروا بالكسر وفي الحقيقه ليس هنالك اختلاف جوهري في القراتين اذا أنه يمكن الجمع بينهما من حيث المعاني والمفاهيم التي تحملها النصوص من خلال الوقوف على كلا القراتين

الأمر الأول

أن الياه تدم ضيق الأفق لدي هولاء اي اليهود والنصاري الذين حولوا التوراه والانجيل الي سلاح قومي وفتوي وعصبيه

فيقول لنا الله أن ماهم عليه ليس ناتج عن تمسك بالكتاب ولا اقتداء منهم بالانبياء الذين ارسلهم الله إليهم لأن الله عندما إعطاء الانبياء والمرسلين الكتب السماوية والحكم فقد اخذ عليهم العهد الذي يرسم لهم كيف يكون تسليم قياده العمل الايماني في الأرض من النبي السابق الي النبي اللاحق

فقال تعالي (لما اتيتكم من كتاب وحكمه) فاللام في (لما) تعني مهما اعطيتكم من قوه وظهور وسلطان وحكم ومهما بلغتكم اي مبلغ من العز والتمكين فالمراد بهذا شرف الاستخلاف ثم جاء رسول بعدكم مصدق لما عندكم فال لازم عليكم الايمان بذاته وما يدعوكم إليه ونصرته ضد أعداء الايمان

فهذا العهد هو وقايه من الله سبحانه وتعالى لمواكب مدرسه الايمان من الاختراق الذي يسعي إليه الأعداء لمنع الا زمات الناجمه عن المومره الشيطانيه التي تحيط بالمومنين من جميع الجهات

فالمراد بهذا أن الأنبياء يقومون بتهيئة الإتياع علي الانتقال من مركز قياده الأمم الي أن يكونوا تابعين لنبي أو رسول جديد ليكون التسليم والاذعان لأمر الله واختياره

فأراد بهذا تربيته المومنين علي اخلاق العالم الرباني التي تنسجم مع الفطره التي خلق الناس عليها

فالله سبحانه وتعالى يقول لكل من يأتي الخطاب عليه عليك أن تفهم أن المولي سبحانه وتعالى اخذا العهد علي كل الانبياء لمنع التعصب والاعجاب بالرأي

فالله يقول إن دعوه الانبياء لاتتصادم مع بعضها البعض فهم جميعا يفتون بوجه الملاحده

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول ما حمله الرسل من منهج تربوي وتعليمي ودعوي لايمكن الفصل بين عملياته فيقول لنا أنه امر الرسل بالدعوه الي التوحيد وتحقيق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض وانه أخذ العهد من الانبياء عندما أعطاهم الكتاب في هذا التوقيت تحديدا لأجل ربط الاحساس بالمسؤولية وتربيته الإتياع بغرس مناعه لديهم ضد التعصب لتغرس في شخصيه الأقوام القبول بالحق الذي يحمله الرسول الجديد فلا يقفون موقف العدواه والغدر بل عليكم الايمان والنصره

وهذا فيه تعريض بموقف اليهود والنصاري عندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب فقد جعلهم التعصب علي مخالفه العهد الذي قطعه الله مع أنبيائهم وهو عهد مقطوع معهم فمهمه الانبياء واحده وهذا فيه عده دروس

الدرس الاول

أن الله تعالى يقول لعباده عليكم الابتعاد عن التعصب فعليكم إن تدركوا أن المومنين امه واحده من ادم الي امه محمد فرابطه الايمان هي التي تجمعهم ولهم هدف واحد من حمل الرساله والدعوه وهو عباده الله وحده لا شريك

فالانبياء حملوا هذه الفكرة فلا يوجد بينهم صراعات لأن دعوتهم واحده فهم موكب مترابط بسلسله وهدف واحد وهو تحقيق المطلب الرباني (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

فالله قد أخذ العهد كما ترسم الآيات ملامحه بوقوفهم اي الأنبياء جميعا كلهم في حضره ملك الملوك فجاء التعبير بهذه الصيغه التي جمعهم في مشهد واحد لبيان ان هذا الترابط بين موكب الانبياء عندما أعطاهم الكتاب والحكم أمرهم والزامهم اذا جاء الرسول الجديد اللاحق وصولا إلي اخر وخاتم النبيين والمرسلين فعليكم التصديق و النصره له

اي أن عليكم تربيته أنفسكم واتباعكم علي القبول بهذا الأمر

فالله يقول للأمم أن المساله ليست عصبية فهي دعوه لله ليس لجنس أو قوميه فعليكم إدراك انكم اخوه في الايمان وهذا فيه التعريض باليهود والنصارى الذين رفضوا القبول بالإسلام

الدرس الثاني

يقول الله لهؤلاء المنحرفون الذين يرفضون القبول بدعوه الايمان ويتمسكون بما لديهم من حضارات أن مشروع الاسلام الحق هو الوراثة لجميع مراحل الأديان والتدين في تاريخ الإنسانية

ولهذا فإن هذا يعني أن مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم حاملا رساله عالميه وشريعته للعالم أجمع ناسخه لكل الشرائع السماوية بخلاف الرسالات السابقه التي كانت محدده ولهذا فإن العهد المأخوذ اشتمل علي إلزام الانبياء كلهم بأن عليهم اذا جاء النبي،الخاتم أن يتبعوه ويصدقوه وينصروه وإلزام الرسل أن يبلغوا اتباعهم واقوامهم بذلك لماذا ؟

لأن الإسلام جامع لكل الأديان وظهور يعني أنه يجمع الحضارات الدينيه كلهم في هذا القالب فهو رساله للعالم أجمع ولذلك اخذ الله العهد من الأنبياء كلهم بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لأجل منع أن يصير أهل الأديان أعداء للحق نتيجة الارتباط السلالي الذي ربطهم بالانبياء الذين كانوا يبعثون الي اقوامهم فاليهود والنصارى ارتبطوا بموسي وعيسي برابطه الانتساب الي بني إسرائيل ولهذا كان التركيز علي ازاله تلك البواعث التي تشكل خطوره علي حركه العمل الايماني

فالله يذكرهم بالعهد لأن الخروج عنه يلحقهم بالمشركين (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شبعاً... الخ وقد ذكر الله حال اهل الكتاب عند البعثة (فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون)

فالله يحذرهم من الإعجاب والتعصب الأعمى والتقليد عندما يصير الدين جنسيه وقوميه فإن العواقب كارثيه لأن الاعجاب يولد الغرور في النفس فتصاب بالعمى عن رؤية الحق وتضع اغطيه تمنع الرؤية وتجعل صاحبها يعيش في سكر الجهل والانحراف نتيجة العصبية فالله يقول إنه لم يمنح الانبياء المخالفه والتكذيب بأي حال من الأحوال فلا يمنعه ما هو فيه من العلم والقوه من اتباع النبي الذي يأتي متأخرا فليس هنالك مجالاً للصراع بين أهل الحق فيما بينهم البين فهم يحملون هدفا واحدا فلا تصادم بين أهل الديانات فهم متحدون في الهدف والغاية وعلي ذلك أخذ العهد منهم

المبحث الثاني

أن النصوص ترسم لنا وحده الرسالات وأن هنالك رابطته تربط الرسل والمومنين هي رابطته المنهج ولهذا نجد أن التعبير القرآني تطوي الأزمنة المتباينه والاطوان لترسم لنا الرسل جميعا في مشهد مهيب ترسم الآيات ملامحه بوقوفهم أمام الله عز وجل والله يأخذ منهم العهد المؤثق وذكر تلك المحاوره بينهم وبين الرب جلا جلاله يراد منها منك أن تشعر باهميه العهد وتشعر بالمسؤولية فنذكر العهد وأجواء الهيئه التي أحاطت به في موقف مهيب من ادم الي عيسي

والمراد بهذا أن تفهم أن رساله الاسلام هي الوريث لكل الأديان في مراحل الأديان الانسانيه كلها فقد جمعت جميع الرسالات في قالب واحد مثلما ادمغ الشر في صورته واحده

ولهذا فإن هذا فيه بيان منزله الرسول صلى الله عليه وسلم وفضله فقد ورد أن عمر دخل معه صحف من التوراه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لو أن اخي موسي موجود ما وسعه الا ان يتبعنا)

فالنص اذا فيه بيان أن جميع الرسل كانوا يمهدون لظهور النبي الخاتم حتي لا يحدث الاختلاف من اتباع تلك الحضارات المتعدده نتيجته تعدد الرسالات فقد كانت توجد عده رسالات وعده رسل في وقت واحد مثل ابراهيم ولوط عليه السلام ولهذا فالنص يمنع التصادم بين الرسل الذين يكون تزامن دعوتهم مع بعض حيث يكون وجوب الإيمان به ونصرته علي أعدائه أما الرسول الخاتم فهو يأتي برساله جامعته لكل الأديان ولهذا أمر كل الانبياء بازاله اي عوائق تمنع الإلتباع من الانطواء في دين الإسلام فذكر العهد المأخوذ من الرسل فهو عهد علي الإلتباع فهم ملزمون بمقتضي الميثاق المأخوذ علي الانبياء باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا ذكر أن عليهم أن يتبعوه مهما كان الذي أعطاهم من العلم والتمكين لانهم قد يرون أنفسهم افضل من هذه الامه فالزامهم بترك العجب ب النفس وترك الكبر والتعصب لأن ذلك منهج الشيطان وليس منهج أهل الإيمان ولهذا فإن هذا المعني يدل علي امكانيه الجمع بين القرتان فمن قال (لما اتيناكم) بكسر اللام اي من أجل الذي اعطيناكم لايتعارض مع مفهوم أن الميثاق مأخوذ من كل نبي أن يتبع النبي المتأخر اذا إدراكه هو أو قومه لانه لايمنع أن يكون الغرض الأساسي من هذا العهد باتباع الرسول الخاتم بل إنه تأكيدا له لأن مهمه الانبياء واحده وفيها التمهيد والتربيه والتطوير للبشرية بشكل مستمر للوصول إلى مرحله النضج البشري الذي يكون فيه جمع الأديان السماوية كلها في إطار واحد وهو الاسلام لأن الدين الأخير الذي يحمل منهج رحمه للعالمين ولأن تطور الأديان السماوية كانت في مظاهر الاخلاق والأحكام الشرعية والأوامر والنواهي المتعلقة بذلك عندما كان ينتشر مرض يرسل الله رسولا يحمل منهج فيه الدواء لما لديهم من داء وهكذا كانت البشرية تصاب بالأمراض المصاحبه لتطور الحياه الماديه التي ينتج عنها داء الا نحطاط الأخلاقي وفقدان القيم الروحانية والأخلاقية وكانت الشعوب متباعده فيظل المرض محصورا في نطاق تلك الامه أما الآن فقد حصل تقارب المسافات البعيده وأصبح العالم شبه قريه فالامراض تنتقل فيها العدوي بسرعه فائقه ولهذا فقد كان الإسلام هو المكمل لتلك الأديان فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول انما بعثت لاتمم مكرم الاخلاق وذكر أنه ورد في معني حديث عن الرسول صلى الله عليه ان دعوه الانبياء مثل البيت الذي يكتمل ويبقي فيه حجرا فهو تلك الحجر وايضا وصول البشريه الي مرحله النضج فقد اختار الله سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون هو النبي الذي يبعث للعالم اجمع ورسالته عالميه وان الأساس الذي حمله جميع الرسل والأنبياء هو الدعوه الي تحقيق المطلب الرباني (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) فدعوتهم لهذا الهدف معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده هي دعوه حملها جميع الرسل والأنبياء وهو هدف ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية ولهذا نجد أنه تعالي يقول بعده

١

رسول مصدق لما معكم)

مذكور أوصافه في التوراه والانجيل فالأمر يبين اهميه الوفاء بالعهد المأخوذ منهم

فذكر بعدها لتؤمنن به ولتنصرنه)

اي الأمر بالتصديق بالرسالة والرسول لايحي الي الانبياء في الحقيقه وانما في الغالب يحيي الي الأمم الا اذا حملناه علي معني اذا ادركتموه فيجب عليكم اتباعه ونصرته علي اعداء المشروع الرباني

وبالتالي إذا كان هذا الأمر للانبياء فكيف يعذر الإتياع والنصره يكون بالعلم والسلاح وكل ما يملك

فالايان في الحقيقه سبقت لإثبات نبؤه النبي صلى الله عليه وسلم بدرجة اساسيه فنبؤته معروفه لديهم وهذا فيه دحض مزاعم المكذبين وازاله الشبهات

فالله يقول لهم بعد اقامه الحجج والبراهين فاللازم عليكم يامعشر يهود تذكر العهد المقطوع مع الانبياء و المسارعه الي الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

٢

تأتي النصوص بأسلوب المحاوره (قال اقررتم واخذتم علي ذلكم اصري)

والاصر هو الحمل الثقيل فأراد بهذا استحضار المشهد لأن الإقرار سيد الادله اي هل اقررتم بالإيمان بالتصديق والا صر مأخوذ من (أصر الموده) اي الرابطة الشديده المعقوده فدل هذا علي العهد الشديد فهو مربوط بهذا الرابطة التي تدل علي أنه يحتاج الي عزيمة وهمه عاليه

وهم يريدون (قالوا اقررنا) فيقول الله (فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين)

فليشهد بعضكم علي بعض وانا علي اقراركم واشهاد بعضكم علي بعض من الشاهدين فهل بعد ذلك من شهاده توثق الرابطة المعقوده فقد كفي بالله شهيد فهذا التمثيل الذي فيه ذكر محاوره الحق سبحانه وتعالى للانبياء لبيان اهميه تنسيق الجهود للأديان في المراحل المتلاحقة باستشعار هذا العهد بأنهم جماعه واحده فهم موكب مترابط بسلسله وهدف واحد وهو التوحيد وهم في معركه ضد الباطل والمعركه تتطلب توحيد الجهود والقيادة ف لا تصادم بين الطوائف والملل الدينيه فهي تحمل المشروع الرباني فهذا التمثيل للتحذير من أن يصبح اتباع الا نبياء ادوات ومشاريع تخدم أهداف ابليس عندما تقف عائقا أمام قيام الرسول الجديد من دعوه الناس الي التوحيد والإيمان...

المبحث الثالث

أن النص فيه تذكير اليهود والنصاري بالعهد المأخوذ عليهم باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا فيه لفت انتباه المخاطبين الي ان هذه المعرفه هي مفتاح معرفه سر نشاه البشريه وحضارتها من عهد ادم الي اليوم وامتلاك هذا المفتاح يجعلك قادرا علي الاضطلاع بالمهمه والقيام بأمر الله بالخلافة فانت اخي المسلم بحاجه الي هذه المعرفه في حياتك العمليه لايمكن الاستغناء عنها فليست المساله مجرد الرد علي اليهود والنصاري لماذا

لانه لاني بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا عندما ينحرف الناس في قراءه الأحداث وتفسير الظواهر نتيجه الانحطاط الناتج عن الحضارات الماديه فإن الله يبعث علي رأس كل مائة عام من يجدد للامه فكرها الايماني ويعيد لها الحياه فتنشأ جماعه معه تحمل هذه الفكره العظيمه لكن الحياه والحضارة الماديه تتطور وتشكل ضباب كثيف تجعل البعض يصاب بفقدان التمييز بين الحق و الباطل متأثرا بتلك الأحوال فيحدث انحدار منهجي وعندها يبعث الله مجددا من علماء الامه لإحياء روح الاسلام وحينها يكون بحاجه الي مناصره الجماعه الاسلاميه التي حملت المشروع الرباني قبله فكيف يكون الحال إذا تمسكت الجماعه القديمه باستمرار دورها رغم أن دورها كان مرتبنا بظروف زمنييه محدده وأمراض اجتماعيه قد انتهت وأصبح هنالك مرض جديد يحتاج الي وسائل

وأساليب قادره على الاضطلاع بالمهمة وإجراء عمليات جراحية في كيان المجتمع للخروج به من الازمات العاصفه
أن العناد من الجماعه القديمه ورفضها الانطواء ضمن حركه العمل الايماني الجديده ينتج عنه صراعات بين
جماعات العمل الايماني وإهدار للطاقات وبدل مواجهه عصبه العمل الشيطاني يكون الصدام بين أبناء العمل الا
يماني

فاللله سبحانه وتعالى يقول هذا هو قانون التعامل بين طوائف وحركات الاسلام الناتجه عن دور المجددين و
المصلحين فيقول لنا أن التطور المادي كما أوضحنا ينتج عنه تكوين ضباب وأمراض وحينها يكون دور المجدد
محسورا استصحاب بوصله الوحي الإلهي القران الكريم والسنة النبويه بالدراسه والاستنباط لاستخلاص الدواء
للمرض منها وإجراء عمليات جراحية تربويه ودعويه وتعليمه في وقت واحد دون الفصل بينهم لاثاره الاحساس
لدي الناس واستعادته الامه فاعليتها ودورها الريادي في قياده العالم نحو تحقيق المطلب الرباني وان هذا الأمر
يحتاج الي منهج مكثف لمعالجه الداء الذي قد أصبح معدوي ويهدد كيان المجتمع المسلم كلها أفرادا وجماعات
ودول فيكون له أولوياته ومن الطبيعي أن ينتج عنه اثار جانبيه وعلل تتراكم مع تتابع وتعاقب الأجيال فنحن
نعلم أن الله ارسل موسي بشريعه التوراه الي بني إسرائيل الذين عاشوا في الاضطهاد فكان نتيجته ذلك التعايش
مع الاستعباد والتلائم ولهذا جاءت التوراه فيها تكثيف تقويه قوه الغضب فيهم لازاله ما احدثته فيهم حياه الا
ستعباد وبعد تعاقب الأجيال والمغلايه في استعمال قوه الغضب منهم أصيبوا بقساواه القلوب فأرسل الله عيسي
عليه السلام حاملا الانجيل التي فيها العلاج للآثار الجانبية الناتجه عن المغلايه في استعمال قوه الغضب بالا
نحراف عن غرض المنهج الرباني المنزل في التوراه فكانت طبيعه احكام الانجيل فيها الدعوه الي التسامح ولهذا
نجد أن الإسلام جاء بشريعه الوسطيه والاعتدال لا إفراط ولا تفريط لمنع الآثار الجانبية لكن تعاقب الأجيال ينتج
عنها المغلاية في الغالب وهو ما يقوي دور أمر من الأمور علي حساب الآخر ينتج عنه اساءه وضع الاولويات علي
خارطه العمل الإسلامي وهذا يودي الي استهلاك الطاقات وافراغها بأمور لم تعد لها اولويه في عصر من العصور
مثل مانري لدي البعض من الاهتمام بتربيته التابعين علي افكار تهتم بمواضيع لم تعد لها وجود في الحياه اي أن
تلك الأمراض لم تعد تشكل خطراً يمكن أن يوضع في خانه الاولويات مثل اثاره مساله خلق القران فهذه المساله
كانت تمثل خطوره في زمن علماءنا الأفاضل احمد بن حنبل رحمه الله تعالى وابن تيميه وغيرهم من العلماء الاجلا
ء الذين قادوا مشروع المطلب الرباني بمواجهه أتباعين لمدرسه الشر وقائدها ابليس اللعين الذين قالوا بخلق
القرآن...فهذه الأمور لم تعد لها وجود ولايخشي علي الامه من تلك الأفكار الشيطانيه لأن العدو يطور وسائله
وأساليبه لصرف اهتمام المسلمين عن القضايا التي تمثل داء خطير يهدد اصابه الامه بما يشل حركتها ويقضي علي
فاعليتها فهو سريع العدواني لايترك بيت ولا دارا من بيوت المسلمين ومجتمعاتهم بالشلل التام ..أن عصبه العمل
الشيطاني لاتتوقف عن صناعه الازمات والشبهات في صوره ادوايه لتحقق في أورده وشريان المسلمين لهدم قيام
العدل والمساواة والحرية والكرامة والشوري والكفاءة والوحده والشرعية الدستورية...ولهذا فإنها تستعمل مثل
تلك المواضيع التي استطاع علماءنا الأفاضل استئصال خبثها والقضاء عليها في زمن صناعتها من قبل الأعداء
وانهاء أثارها يريدون استعمالها وسيله لصرف اهتمامك عن الأمراض التي نشروا سموها في أجواء المجتمع
المسلم يريدون منك أن تعيش مهتما بماضي لانكر قيمته وأنه تراث لنا لايد من استخدامه واصطحابه كسلاح
لمواجهه التحديات والصعوبات واحتواء الازمات لكن ذلك ليس بوضع موضوعه محل اولويه بل علينا الاهتمام بـ
المواقف الذي كان من العلماء الاجلاء عندما واجهوا التحديات نقندي بهم فتكون تلك المواقف جزء من التراث
الذي تستمد منه الإلهام في الثبات والصمود اما الاهتمام بذات الموضوع فهو ليس اولويه بل إنه أحيانا يكون سببا
لاثاره شبهات لوجود لها عند الناس لانك تخاطب أناس لا يعرفون مثل هذه المسائل فتثير فيهم جوانب الشوق
لمعرفه ذلك وربما وقع في الشبهه

اننا حمله المطلب الرباني بحاجه الي توحيد الجهود وتوحيد الصفوف لمواجهه العدو في هذه المرحله من تاريخ
البشرية بما يحقق للامه كرامتها واستعادته دورها وفاعليتها وهذا لا يكون إلا باستشعار الجميع حقيقه التحديات و
الصعوبات التي يصنعها الأعداء واستشعار المسؤوليه عن ذلك وترتيب الأولويات وحسن تشخيص المرض الذي

يصيب الامه وإعداد الخطط والبرامج والنظريات القادره علي استئصال المرض من خلال استصحاب بوصله الوحي الإلهي القران الكريم والسنة النبويه والتراث الإسلامي الذي لا نبخس فيه احد من علماءنا الأفاضل الذين حملوا رايه الهدايه في الأزمنة المتلاحقه بدون القدر الذي ينال منهم وادوراهم بل يكون اعاده تقييم التجارب من خلال ملكه حسن التشخيص الدقيق المنصف لغرض معرفه الدواء والانتفاع من تراثنا ولهذا يأمر الله كل المومنين بأن عليهم الابتعاد عن التعصب الأعمى والتقليد أثناء قراءه الأحداث وتفسير الظواهر فيجب الالتزام بقراءتها للأحداث وتفسير الظواهر بالقراءه باسم الرب فعليك أن تنظر إلي المشروع هل يخدم المشروع الرباني ام لا

فإذا كان موافقا للمشروع الرباني فاللازم عليك التصديق به ونصرته لأن التقاعس منك او الوقوف بوجه الحق يبعده عن حركه العمل الايماني وتصبح داعيه للعصبيه

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول (فمن تولي بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون) لان الانحراف في القراءه اما ان يعود إلي فساد التشخيص للداء وبالتالي استعمال دواء في غير محله وهذا يشكل خطراً يضاعف من خطوره الداء أو أنه لايريد الارتقاء وهو راضي بالعلل ويرفض تناول العلاج الجديد ويصر علي معالجه امراضه بادوايه لم يعود قادرا علي استئصال المرض المتطور من جهه ومن جهه اخري فهو واقع تحت تأثير سلطان الذين يروجون لبضاعته المنتهيه الصلاحيه التي لم تعد ادويه للعلاج بل صارت سموما يجب منع تدوالها وانما أصحاب المصالح الذين ينظرون إلي وقف العمل بها خطرا يهدد كيانهم يلجأون الي إقناع الإبتاع أنها فيها العلاج ومن جهه يفسدون عليهم ملكاتهم في القراءه والاستنتاج للأحداث بالتحويل من القراءه باسم الرب الي القراءه باسم عصبه الشيطان الرجيم فيصابون بداء فساد التشخيص للداء أو الرضي بالعلل وهذا فيه خروج عن المطلب الرباني والله يحذرنا من ذلك ويقول أنه سوف تنشأ فيكم طوائف تشبه طوائف اليهود والنصاري فسوف يكون لديكم يهود محليين باسم الاسلام وكذلك نصاري ولهذا يعطينا هذه التجارب لتربيتنا كي نتحصن من طريق المغضوب عليهم والضالين التي ندعوه تعالى أن يبعدنا عن طريقهم في كل صلاه فنقول (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)ولهذا نجد أن النصوص تبين لنا عده امور نذكر منها

الأمر الأول

يقول المولي سبحانه وتعالى لاهل الكتاب يجب عليكم القبول بالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه والهدى بهديته إن أردتم استمرار التصاق صفه الإيمان والتدين بكم فعليكم نصرته والا صار المقطعيه بينكم وبين الدين والإيمان والأنبياء الذين أرسلوا اليكم

فالعهد المأخوذ علي انبيكم هو عهد ملزم لكم فلا تقرؤا العلاقه التي قامت بينكم وبينهم من زوايه النسب والعرق والدم ولا تنظروا لما عندكم من كتب سماويه من زوايه التباهي والتكبر بل هي منهج خدمت المشروع الرباني وقد انتهت صلاحيتها فعليكم قراءه الأحداث وتفسير الظواهر وفقا للقراءه الشرعيه قراءه باسم الرب وهذا يتطلب منك الإقبال علي المنهج الرباني القران برغبه واستعداد وقابليه وانت مستحضر العهد أما رفضت (فمن تولي)

والتولي عكس الإقبال ويكون بالاعراض عن الحق وعدم التصديق وعدم النصره

فهو توالي وأعراض عن الميثاق يعني أنه أعطاه ظهره اشاره الي رفضه القبول والمراد من هذا بيان أن القبول يكون بالإقبال عليه بوجهه مستسلما

بيان ان اللازم عليهم الانطواء داخل جماعه الايمان بالإيمان بالرساله وصاحبها علي الصلاه والسلام مع الإيمان بشريعه الاسلام

وأنه لن يفيدهم بعد الان كونهم يومنون بموسي وعيسي والتوراه والإنجيل فقال (بعد ذلك) فدل هذا أن التوالي الأعراض ليس من الأنبياء وانما من الأمم اي اتباع الانبياء فالمراد بهذا أنه بعد وضوح العلامات والآيات الداله علي

صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فإن عليهم الانطواء داخل جماعه الاسلام

وأنه لا يفيدهم الايمان بعيسي وموسي بعد الان لماذا لأن الأعراض عن رساله الاسلام من قبلهم وتمسكهم بعيسي وموسي إنما هو ايمان برابطه نسب عرقي وليس اتباع سلوك منهم بالشريعة التي جاء بها موسي وعيسي عليهما السلام فهذه عله لا يكتمل معهم انتسابهم الي جماعه الايمان الي بالالتزام بالعهد المأخوذ علي موسي وعيسي عليهما السلام فهما لو إدراكا الرسول صلى الله عليه وسلم لايسعهم الا اتباعه

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول عن من يرفض القبول بالإسلام بعد ظهوره (فاولئك هم الفاسقون)

والفسق هو خروج عن طاعه الله فالضمير (هم) فيها بيان أنهم خرجوا عن مستوي الطاعه والايمان فالفسق هنا كبير لانه جاء مقابل الايمان فهو مقيد (بعد ذلك) فالاعراض بعد أن بلغه العلم فهو أراد أن يتخذ الدين اداه لخدمه المصالح وبالتالي فإن هولاء أصبحوا تابعين لمدرسه الشر وقائدها ابليس الذي رفض القبول بأمر الله وعارض أمر الله نتيجه الكبر والأناثية فهو لم يكن ينكر وجود الله وانما رفض الاعتراف بفضل ادم فكان من الفاسقين

الأمر الثاني

يقول الله تعالى أن مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم يقتضي من أهل الكتاب الايمان والنصره له فلماذا الأعراض والرفض فهذا ليس من سلوك الذين يحملون المشروع الرباني فقال تعالي منكرا منهم ذلك الأعراض (افغير دين الله يبغون)

أن هذا التوالي منهم عن منهج الله القران يعني أنهم يرفضون القبول بالمشروع الرباني فماهو المنهج الذي يريدونه أن التوراه والانجيل قد تم توقف العمل بهن فهي منسوخه بالقران بالنسبه للأحكام التي لم تحرف فالصلاحيه لها قد انتهت أما المحرفه فهي غير صالحه من الأساس

ولهذا فان عدم صلاحيه الأحكام لحصول النسخ لها حتي لو لم تحرف فإنها تصبح فيها مضره بعد مجئ الاسلام فالله يقول ماذا يطلب هولاء من التشدق بالحضاره اليهوديه وماذا يريد من استمرارها هولاء

أن هذا التمسك منهم فيه اضرار بأنفسهم اما الله فهو الغني وأنه سبحانه عندما أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بمنهج القران فهذا فيه صلاح البشريه

فالإنسان مخلوق ميزه الله علي سائر المخلوقات بالعقل والاراده ورتب علي ذلك المسؤوليه وأرسل الرسل والأنبياء لاقامه الحجه علي الإنسان وانزال معهم الكتب التي فيها الهدايه للناس وهو ليس مجرد مواعظ بل لابد أن يترجم إلي عمل وسلوك في الحياه

يقول الله منكرا هذا الإخفاق من هولاء لأنها خالفت العهد المقطوع علي الانبياء برفض المشروع الرباني والمنهج الذي فيه اسعاد البشريه فيقول إن الرفض لمنهج الله يعني أنه يستبدل ذلك بما يوافق اهاوهم وبالتالي فهم يعملون علي تجسيد المطلب الشيطاني

فهم أصبحوا يطلبون منهج غير منهج الله فينكر الله عليهم ذلك الشذوذ فيقول كيف يكون ماكرم الله به الإنسان من العقل والارده حريه الاختيار سببا لشذوذ هذا الإنسان وخروجه عن منهج الله

فالعقل اداه الفكر الذي هو مقدمه لرؤيه الحقيقه التي تدلك علي حاجتك الي رعايه الخالق لك بهذا المنهج فالله يقول لهولاء الذين أصبح تفكيرهم مادي أنظروا الي هذا الكون فسوف تجدون أنه يخضع لسنن وقوانين الهيه تحكمه وفق تنظيم دقيق فالجميع يخضع لله تعالي فهو سبحانه يلفت انتباه هولاء إلي قراءه الكون الفسيح فيها الاداله التي تجعل هولاء يدركون حاجتهم الي المنهج الرباني وليقف محرجا من سخافه تفكيره لتري كيف الخلا

اص من الم البعد عن الله وكيف تصل إلي الحركة التي تنسجم فيها مع حركة الكون فأنت بحاجة إلي الخروج من حاله الجمود والسكون الي الحركة ذات فاعليه ايجابية فكل من في الكون يتحرك وان بدا لك ثابتا في مظهره الخارجي

ف الله يقول إن كل موجود لابد له من موجد وكل مخلوق لابد له من خالق وأنه جعل لكل مخلوق سنه الهيه محكمه وقوانين منتظمه لأجل أن يحقق الغايه والهدف التي خلقت من أجلها (ربنا الذي أعطي كل شي خلقه ثم هدى)

يقول الله لنا أن حركات المخلوقات منها حركه مجبوره لا ارده لها مثل السماء والأرض والكواكب والنجوم وجميع المخلوقات فيها فيقول انظر الي الكون كيف أنه مسخر لخدمه الإنسان تنفيذاً لأمر الله فهذا الانضباط في حركه الكون والدقه فيه تاديه الكون لوظيفته والغايه التي خلق لأجلها وهي قد خضعت طوعاً وكرها (اتينا طوعاً أو كرها قالتا اتينا طائعين)

ولما كان الإنسان قد خلق لعباده الله فهو بحاجة الي المنهج الذي يحقق هذه الغايه والإنسان في حركته مخلوق مزودج فهناك أمور يكون فيها مختارا وهذا هو سر التفوق الذي ميز الإنسان علي سائر المخلوقات بالعقل والارداه وحرية الاختيار فهو لم يخلق مجبوراً مثل الكون ولهذا جعله الله مسئولاً عن أفعاله وأقواله

وهناك أموراً يكون فيها الإنسان مجبوراً مثل المرض الحوادث الغني والفقير والموت والحياه والموطن والبلد وغيرها

فالكون والإنسان كلا منهما مكلف بغايه وهي عباده الله وفق منهجه

ولما كان الكون مجبوراً لا ارده له فهو غير محاسب لانه يتحرك وفق نوااميس الله وقوانينه

أما الإنسان فهو مختارا ولهذا فهو مطلوب منه أن يجبر أردته اختياراً لتكون حركتها موافقه لاراده الله تعالى ومراده الوارد في كتابه ولذلك فسوف يحاسب الإنسان علي أفعاله وسلوكه وأقواله بحدود الارده والإختيار ..أما لأفعال الخارجه عن أردته فهو ملزم بالقبول بقضاء الله وقدره فقط فلا يتذمر ليستحق الثواب ويمنع عنه العقاب ولامسئوليه عليه بخصوص ذلك إلا بحدود الايمان بالقضاء والقدر والتوكل على الله

فالإنسان مقهور وسوف يعود إلي الله ويحاسب علي أفعاله

فالإنسان بحاجة الي اتقاء العقاب الإلهي في الاخره وهذا لا يكون إلا بالمنهج الضابط الذي فيه الكوايح في عربه القياده فأنت بحاجة إلي رؤيه المعالم في رحلتك هذه وسفرك الي الله ورجوعك إليه (واليه يرجعون)

فهو اي المنهج يرسم المسئوليه المعتبره لفن القياده اي مسؤوليتك عن الأفعال الاختيارية

فقد اعطاك الله هذا المنهج الذي يميزك عن سائر المخلوقات

وهنا يستنكر الله رفض هولاء لمنهج الله فيقول ما الذي يدفع البعض الي المغامره فيطلب منهج غير منهج الله فهو بذلك يقود عربه لامكابح لها فيكون شذ في حركته

ليس جديراً به أن يأخذ الحيطه والحذر ليمنع عن نفسه الضرر ليكون مدركاً أن يضع قدمه ناظراً اين تنتهي خطواته فهو سوف يرجع إلي الله تعالي وسوف يحاسب علي أعماله فأنت في رحله سفر الي الله تعالي

خامسا

بعد أن تناولت النصوص تعصب أهل الكتاب ورفضهم القبول بالمشروع الرباني وكشفت نقضهم العهود والمواثيق وانهم اسأوا قراءه الأحداث بالمخالفة للمطلب الرباني يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجهر بالحق (قل امنا ب الله وما انزل علينا وما انزل علي ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وماوتي موسى وعيسي و النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)

الأمر الأول

ابتدأت النصوص بالخطاب الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم (قل امنا)

حيث نجد فيه أنه أفراد ضمير الخطاب بقوله (قل) وجمع بعده (امنا)

وفي هذا اظهار جلاله قدر الرسول صلى الله عليه وسلم واطهار امتزاج المومنين برسوله في الحديث الإلهي في الجمع (امنا) فكان الأفراد الضمير لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مكلف بالتبليغ ثم كان الجمع بالحديث لبيان مسارعه المسلمين لتنفيذ الأمر الإلهي بحسن الاقتداء والاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم أن أمه الاسلام لا عصبية لديها وأنها تقرا الأحداث وفقا للمطلب الرباني ف الله أمر نبيه قل وهو خطاب لأمتة فهم قاموا بالتنفيذ فقالوا هم والرسول امنا فكان هذا الابتداء مناسباً وردا عملي علي عناد أهل الكتاب فهي وردت بعد قوله تعالي (افغير دين الله ييغون.... الخ

فهو تعالي يقول فإن ابتغوا غير دين الله يامحمد فقل امنا ب الله فترك ذكر رده فعلهم اي ترك ذكر فإن قالوا نعم وترك ذكر قوله فإن ابتغوا غير ذلك لدلاله ذلك من الكلام

فجاء الأمر بهذه الصيغه (قل امنا ب الله... الخ بينما قال في سوره البقره (قالوا أمانا) حيث ان المناسبه هنا متعلقه لتبين كيف يكون اتباع الرسول والاقتداء به في الإلتباع فالخطاب للنبي هو خطاب للاتباع ليقول لهم أن العهد المقطوع مع النبي هو عهد مقطوع مع الإلتباع و

ليقول لهؤلاء المكابرون أن امه الاسلام هي الورايت لجميع مراحل الأديان السماوية فهي لاعصبية لديها يقول لهم إذا كان انبياءكم قد ابغوكم بأمر الله بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم واتباع دينه الاسلام وانتم رفضتم عصبية فايما نكم بموسي وعيسي ليس ليس امتثال أمر الله بل عصبية ولهذا فرقتم بين الرسل ولهذا عليكم أن تنظروا إلي المسلمين لتعرفوا الفرق بين من يحمل المشروع الرباني ومن يعارض مراد الله

فإن من يحمل المشروع الرباني ينفذ أمر الله دون تردد فهو يدعو إلي تحقيق الغايه من الوجود الإنساني علي الا رض عبادته الله لا يريد أن تكون الدعوه وسيله للمتاجره والحصول على المصالح والامتيازات

فالمسلمون خاضعون لأمر الله تعالي مقتدون ومهتدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم

الأمر الثاني

تبين النصوص أن عقيدة الإيمان في الإسلام لاتجزئه فيها فالإيمان ب الله يوجب الايمان بالرسل والكتب السماوية.... فمن يقول مثلا انا مؤمن ب الله لكن لا أومن بالرسول الفلاني فهذا ليس مومنا في الحقيقه والايمان ب الله يعني التصديق الجازم بأن لاله الا الله وحده لا شريك له المتفرد بالالواهييه والربوبيه والعبوديه... ثم ذكر الا يمان والتصديق بالقران فقال (وما انزل علينا)وقدم القران لبيان انه اشرف الكتب فهو جامع لجميع الكتب السماوية وهو لم يحرف أو يبديل ولاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وذكر (علينا) ,بينما ذكر في البقره (الينا)

فالاولي استعمل فيه الابتداء اي النزول من أعلي من فوق وهذا فيه علو ورفع المكان الذي جاء منه وهو من

المؤكد أن ينتهي الي (الينا) وهذه للانتهاه

فالانتهاه(الينا) اشارة الي مافيه من الدنو والمباشره

وفي هذا غرس مبدأ الشعور بعظمه كلام الله وعلوه وأنه ينزل من السماء لإحياء الارض للاشاره الي أنه رحمه للعالمين فهو مثل الغيث الذي ينزل علي الارض الميته فيبعث فيها الحياه فكذلك نزول المنهج علي الناس نزول فيه الخير والحياه والسعاده للبشريه كلها

الأمر الثالث

يقول لنا الله أنه إذا كان المولي سبحانه وتعالى قد جعل القرآن هو المنهج الرباني الذي تقوم عليه حياه البشرية ونسخ جميع الأديان السماوية السابقه وقد جمعها كلها في قالب واحد هو الاسلام

وانه إذا كان الأصل أن تحكم الأرض وفق قواعد القرآن الكريم دون غيره فإن هذا لا يمنع من أن ننظر في الكتب السماوية أن كان فيها ما يتفق مع القرآن فناخذ بها أما إذا خالف القرآن فلا ناخذ بها وكذلك إذا لم نجد حكم في شريعتنا فشريعته من قبلنا شريعته لنا لكن هذا النظر إنما يكون من خلال ما ذكر القرآن عن تلك الكتب من أحكام لماذا لأن القرآن هو المصدر الوحيد الموثق به في بيان ما احتوت عليه الكتب السماوية السابقه من أحكام نظرا لما تعرضت له من تبديل وتحريف لكن هذا لا يعني أن نتخلي عن الكتب السماوية حتي ولو أصبحت غير موجوده مثل صحف ابراهيم ونحن أيضا لانعلم ماهي الكتب التي أنزلت علي اسماعيل واسحاق ولا يعقوب ولا الاسباط حيث ذهب البعض الي القول انهم أبناء يعقوب اخوان يوسف لكن لا يوجد دليل أنهم أنزلت عليهم كتب سماويه وهو ماجعل البعض يقول إن الاسباط تعبير عن شعوب بني إسرائيل الاثنا عشر فخذ وان الكتب هي التي نزلت علي انبياءهم وكذلك فإن التوراه والانجيل محرقتان وهنا قد يقول قائل كيف اذا يكون الايمان بهذه الكتب؟

أن الإيمان هنا هو التصديق باليقين الجازم إيمانا بالغيب اي إيمانا بها كما أنزلت قديما علي الرسل لا كما صارت حديثا اي إيمانا بحالتها عندما أنزلت علي الانبياء لا ما صارت عليها بعد التحريف

الأمر الرابع

كما أننا نجد العدول في الدعوه الي الايمان بما انزال علي الرسل الي ما أوتي موسى وعيسي والنبيون..وهذا فيه اعلان الايمان الجازم بالتوراه التي نزلت علي موسى عليه السلام والايمان بالمعجزات التي ايده الله بها من العصا و اليد....الخ وكذلك الايمان بالانجيل التي أنزلت علي عيسي والمعجزات التي ايده الله....

اضافه الي أن الكلام مع اليهود والنصاري فخص هذا بالذكر واستعمل لفظ اتي لأن الإتيان يستعمل للبعد الزمني للدلاله علي أن طول المده الزمنيه بين مجي عيسي وموسي وانبياء بني إسرائيل وفتراه الخطاب قد تعقبه اجيال واتباع تعرضت فيه تلك الأمم لمراحل ضعف حدث فيه تحريف وتبديل لما اوتي موسى وعيسي ولهذا فإن الايمان بهما يكون من قبيل الايمان بالغيب مثل غيرها من الكتب التي لم تعد موجوده فعطف عليهم النبيون بصيغه العموم دون التخصيص الانبياء بالايثاء ودون الإنزال ووصف النبوه هنا يقصد بها الرسل والله قد أخبرنا (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)

ولهذا نجد أن النصوص تختتم ذلك (لانفرق بين أحد منهم)

اننا نومن بجميع الانبياء والرسل عليهم السلام نصدقهم علي السواء نحترم جميع الأنبياء دون استثناء ولانفعل كما فعلت اليهود والنصاري الذين اردوا أن يفرقوا بين أنبياء الله فقالوا نومن ببعض ونكفر ببعض فهذا قول منبوذ يعود إلي انتماء العصبية والقومية لا انتماء الايمان الذي يربط المومنين بمواكب الايمان وقاده العمل الايماني الا نبياء فالرابطه تقوم علي الإيمان فهم امه واحده لافرق بينهم وان التفاضل هو بما ميز الله بعضهم بفضل الدعوه

وامتدادها أو الكلام المباشر أو غيره لكن ذلك لا يعني التفريق بينهم فهم امه واحده يحملون هدف واحد وهو الدعوه الي عباده الله والخضوع والاستسلام لله فهذا هو جوهر الأديان السماوية وهو ماحمله جميع الرسل ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول (ونحن له مسلمون)وهذا فيه

١

الضمير (له) يعود إلي الله وما ابتدأت به الايه (امنا ب الله)

اعلن فيه المومنون أنهم منقادون لأمر الله خاضعون متذللون لله بالعبوديه له وحده لا شريك له استسلام بالقلب واللسان والجوراج فهو سبحانه المستحق للعبوديه

٣

وهنا قد يقول قائل لماذا الضمير يعود علي الله ولم

يعطف علي اقرب مذكور قبلها وهي (لانفرق بين أحد منهم)فهذا لا يستقيم فهو يعود علي أول جمله امنا ب الله ..ومجي الجملة بعدها هو لبيان ان استسلامنا لله سبقه إحراق الهتنا التي بداخلنا من العصبية والقومية والسلاليه والرياء والشهرة والأهواء والشهوات فلم يبقي منها شي أنه استسلام لأمر الله بالرضا والقبول وترك المخالفه

لماذا نحرق هذه الأصنام

لأن النفس لابد لها من معبود تخضع وتستسلم له وتعبده وهي تبحث عن معبودها فإذا لم تجد مردها الحق فإنها سوف تستسلم للهوي وتعبد الشيطان فتكون عابده للشيطان والهوي والذات

ولهذا قدم المتعلق لافاده الحصر اي لله وحده مسلمون لا لغيره وتخصيص الاسلام بالاستسلام لله تعالي وحده لا شريك له يعني تحرير النفوس من الأوهام ومن كل عبوديه لغير الله بأن يكون بعد احراق الأصنام التي بداخلك إحلال محلها في قلبك الله وحده لا شريك له فتبيع نفسك كلها لله تعالي بحيث تشعر انك تعيش حياتك كلها لله ليس لك هدف ولاغايه غير عباده الله فتخضع مستسلما لله تعالي فانت حينها تنطلق في الحياه متحررا من كافة الأصنام فأنت لاتعبد الا الله فعندما يتعارض امامك أمر الخلق مع أمر الله فأنت تخضع وتستسلم لأمر الله مهما كانت الظروف فإذا أردت ولدتك منعك من التضحية بالنفس في سبيل الله فأنت تقدم أمر الله علي أمر امك وهكذا بحيث تكون حركتك كلها متجه نحو هدف واحد وهو طلب إرضاء الله بحيث تخضع اردتك وتجبرها علي الاستسلام والخضوع والاذعان لاراده الله طوعا منك

٤

ابتدات الايه بالإيمان (امنا)وانتهت بإعلان الاستسلام لله (ونحن له مسلمون)لأن الاستسلام والخضوع والاذعان هو ثمره الإيمان فالإيمان لابد من عمل يترجم حقيقه وجوده فكان هذا التعبير الذي يرسم حركه المسلم بأنها انقياد عن علم ومعرفه فهو يتبع المنهج الذي يقود المومن الي الطريق المستقيم لينسجم في حركته مع الكون فحركه المسلم كلها عباده لله وفيها الإصلاح ولهذا فإن المنهج الرباني فيه ضابط الحركه بعكس المتمردون عن المنهج الرباني فهؤلاء يتحركون بعشوائية وفوضويه وهؤلاء يصبحون عابدون للشيطان

سادسا

تأتي النصوص بعد مبينه عالميه الاسلام فقال تعالي (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخره من

(الخاسرين)

الامر الاول

بعد أن ذكر الله ان الايمان المثمر هو الذي يكون فيه خضوع المومن واذعانه واستسلامه لأمر الله فابتداء الايه السابقه بقوله (امنا) وختم بقوله (ونحن له مسلمون)

وذكر العمل وفق مراد الله كثمره الايمان المعبره عن حركه المومنون في الأرض فيه بيان ان الخروج من حاله الجمود والسكون الي الحركه

فيقول الله لنا انتم بحاجه الي طلب المنهج الرباني الذي

يجعل هذه الحركه لها فاعليه ايجابيه في تحقيق مراد الله والقيام بحمل امانه الخلافه وعمران الأرض وبناء الحضاره فيها وفق منهج الله لتستحقوا الثواب من عند الله فأخبرنا الله أن الدين المعتمد الذي يحقق مراد الله هو الاسلام ولهذا يحذر الله الذين يرفضون الاسلام ويطلبون منهجا ارضي اوسماوي عطل يتحركون به في الأرض بان حركتهم مخالفه لمراد الله لأنها حركه ذات فاعليه سلبيه فيها إفساد الأرض والخروج عن طاعه الله فقال تعالي (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخره من الخاسرين) فهي حركه غير مقبوله

فاستعمل لفظ (دينا) للتعبير عن العمل لأن الدين يطلق على الجزء كقوله (مالك يوم الدين) ويطلق علي يوم القيامه ويطلق علي العمل (لكم دينكم ولي دين)

وهو يعني نظام حياتك الذي يضبط عملك وحركتك

اي العمل الذي يرجو أن يجد الثواب عليه فأخبرنا الله أن المنهج الذي يكون به العمل منتجا لاثاره والذي يجعل حركتك وعملك في دائره الحركه ذات الفاعليه الإيجابيه

الذي تحصل به علي الثواب والذي يجب أن تطلبه وتحرص علي معرفه احكام كل عمل تعمله فيه هو دين الإسلام والمراد بالإسلام هنا المعني الخاص وهو شريعته الاسلام التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم لأن المعني العام هو الذي حمل معناها علي الاستسلام في كل زمان مثل قول بلقيس (قالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين)

وبالتالي فإن الذي يطلب دينا غير الإسلام يعني غير الشريعه الاسلاميه التي حملها النبي صلى الله عليه وسلم فعمله غير مقبول (فلن يقبل منه)

لتعلم الرفض لعملك والرد هنا وعدم القبول هو من الله ومن الرسول ومن المومنين بمعني أنه لا توب عليه وان كان من الأعمال الصالحه

ويدخل في هذا من يبتدع فالمراد بعدم القبول اي عدم الصحه لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من عمل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد)

وهذا يخسر قيمه الأعمال وانت كانت في مظهرها فيها الصلاح لانه لم يكون عاملا وفق منهج الله فهو ليس متعبد بها لقوله تعالي (وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

فهو يأمل عليها أن تنفعه في يوم القيامه لكنه لا يجده فهو قد خسر نفسه بأن أوردتها موراد الهلاك وخسر ماله وجهده فالنصوص تبين حالات الكفاح الفاسده لمشاريع ضيقه مثل القوميه والمناطقية وغيرها حيث أنه يتعب ويحمل نفسه مشقه خدمه الآخريين ولا يجد الثواب

الأمر الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يريد منك اعاده قراءتك للأحداث واعاده تشكيل عقلك بحيث تكون كل حركه تتحركه عباده لله تعالى وبالتالي فعليك ايه المسلم الابتعاد عن التقليد الأعمى فأنت عندما تقبل علي عمل مطلوب منك معرفه الحكم الشرعي في ديننا الحنيف لانك تريد الثواب من الله تعالى ولهذا ليس العبره بماتراه انت بعقلك من حسن العمل بل ما يكون في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

وكذلك عليك تنقيه الابعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ والأهواء التي غرسها أعداء الإسلام من خلال تصوير أحكام الشرع بأنها تمس حقوق الإنسان فانتقدوا قطع يد السارق وغيرها من الأحكام فأنت اذا وقعت في مصيده هولاء تكون قد طلبت ديننا غير دين الله الذي ارتضاه لكم

كذلك من يقول إن الإسلام لم يعد صالحا لهذا العصر الذي فيه تطور مادي متسارع بسرعه لم يواكب مافي الاسلام من قواعد هذا التطور...

فاعلم أن هذا القول يعود إلي سوء تفكيرك ووقوعك في الانهزام الفكري والثقافي الذي صاحب الهزيمة العسكرية للمجتمعات الإسلامية فالإسلام لم يمنع العقل من التفكير والإبداع والابتكار ومعرفه اسرار الكون وبما يحقق رفاهيه المجتمع المسلم وانما هذا يعود إلي التدين المغشوش الذي صور أن الإسلام مقصور علي الصلاة والصيام و التفرغ للعباده في المساجد وترك للآخرين الاهتمام ببناء الأرض وعمارته فإن هذا التخلف يعود إلي المسلمين وليس الاسلام

الأمر الثالث

أن النصوص جاءت بمناسبة اعلان التوقف عن العمل بالشرائع القديمه

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لاصحاب الديانات الحديثه كاليهود والنصاري وكذلك الديانات القديمه وجميع المنتسبين الي الأمم والحضارات المختلفه

بأن عليهم اعاده النظر في قراءتهم للأحداث بترك تلك الديانات المنسوخه والتحول الي القران الكريم فهو الدين المقبول الذي يحقق المطلب الرباني

فالقران هو اللغة العالميه التي يكون بها قراءه الأحداث وتفسير الظواهر لتكون إنسانا ربانيا فقال تعالى (ولو امن أهل الكتاب لكان خيرا لهم)

لأن الرفض لمنهج الله وعدم القبول والتمسك بما لديهم من حضارات يطلبون استمرارها (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً)

يهدده الله بعدم القبول لماذا لأنه صار بهذا التشدق بالحضاره تابعا للمدرسه الشيطانيه لأن قراءتهم وفلسفه الحضاره لديهم تقوم علي معارضه المطلب الرباني ورفض المنهج الرباني ومخالفته ومحاربتة وبالتالي فهم يعملون علي تجسيد مراد الشيطان بطلب استمرار ما نسخ من الشرائع

فكان ذلك دليلا علي إخفاق هولاء يدل علي ابتعادهم عن مراد الله ومخالفتهم للعهد المقطوع مع الانبياء

فالانانيه والحسد جعلتهم يتخلون عن دورهم في الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرتة وهو تخلي منهم عن مراد الله في كونه والعالم فالقران أنزله الله رساله للعالم أجمع وقد جمع فيه الأديان كلها فهو الورايت لها وكان يستوجب علي أهل الأديان الالتحاق بالإسلام ورسوله الكريم ولكنهم رفضوا القبول بالحق فقال

تعالى (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم.....الخ

القسم الأخير من المقطع الثالث

(كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البيئات والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فإن الله غفور رحيم أن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون أن الذين كفروا وماتوا وهم كفارا فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدي به أولئك لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين لن تناولوا البر حتي تنفقوا مما تحبون وماتنقوا من شي فإن الله به عليم

أولا

ابتدأت النصوص بإنكار ذلك الإخفاق الشنيع من قبل أهل الكتاب عندما رفضوا القبول بالإسلام ورفضوا التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم فجعل الله إخفاقهم بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته مخالفة منهم لمراد الله ودليل علي نقضهم العهد المقطوع مع انبياءهم

فيقول الله كيف يخلق في قلوب هؤلاء الايمان وهم قد كفروا بعد معرفتهم الايمان وشاهدوا صدق الرسول ممايقول ومطابقه الامارات والعلامات والحجج والبراهين الداله علي صدقه لما علموه في كتبهم حيث أن ذلك كان يقتضي منهم القبول بالدين الحق لانه يحقق المطلب الرباني لكن هؤلاء لم يقصدوا تحصيل الهدايه عندما تتبعوا الامارات والعلامات للرسول الخاتم وانما اردوا تحصيل المكاسب والامتيازات والمصالح وأن تظل القيادة الدينيه والرئاسة فيهم فعندما ظهر الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب فإنهم قصدوا تحصيل الكفر ولم يعودوا يطلبون الحق فهم لا يريدون رؤيه الحق كما قال تعالي في سوره البقره (وكانوا يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنه الله...الي قوله (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون واتبعوا ماتتلوا الشيطان . الخ

فالله يقول إنه دلالة البيان قد وضحت وفيها الهدايه العامه لكن الهدايه الخاصه التي هي السداد والتوفيق و الرشاد إنما تكون لمن قبل هدايه البيان وسعي في طلب وتحصيل معونه الله الهدايه الخاصه فكيف يوفق الله هؤلاء وحالهم أنهم يطلبون تحصيل الكفر وقلوبهم مشحونه بكراهيه الحق نتيجته الحقد والحسد فهؤلاء محرمون من الهدايه

لتعلم أن خلق الهدايه في القلب تحتاج الي طهاره القلب وان يكون مفتوحا لاستقبال انوار الله لكن عندما تغلق منافذ الانوار وتمنع أن يصل النور إليها فأنت حينها تصبح ظالما لنفسك بنفسك لانك لاتريد الحق ولا تقبل به والله لا يوفق القوم الظالمين فذكر الحكم العام بالتعقيب (والله لا يهدي القوم الظالمين)

ليكون الحكم عام يشمل اليهود والنصاري الذين اخفقوا في تحقيق المطلب الرباني عندما رفضوا الايمان بالرسول ونصرته مخالفين بذلك العهد المقطوع مع انبياءهم وكذلك يشمل جميع الكفار المرتدين عن الإسلام الذين ارتدوا وذهبوا الي مكه والكافر الاصلي لانه إنما سمي الكافر ظالما لانه وضع العباده في غير موضعها

فالله لا يرشد للصواب ولا يوفق للايمان والحق الا الذين يطلبون الحق ويريدونه أما الذي اختار الباطل علي الحق والكفر علي الإيمان فإن الله غني عن إعادته الي الحق فهذا لاعذر له بعد قيام العلم وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

أن الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن الإنسان بحاجة الي هدايه الله الخاصه بالتوفيق والنجاح والسداد والمعونه وهذا يتطلب أن يعرف العبد ربه بقوته وقدرته وكماله وغناؤه وان يعلم الإنسان نفسه بضعفه وافتقاره وحاجته الي الله

فمن حصلت له هذه المعرفه سعي الي التقرب من الله وطلب رضاء الله وتوقير الله وتعظيمه وطاعته ومعرفه الله توجب عليك التقرب من الله بالأعمال الصالحه طلبا لرضاءه ومحبتة محبه خضوع وانكسار والله يحب اعمال البر فيجازي عليها بالهدى والتوفيق والنجاح ويكره اعمال الفجور ويجازي عليها بالضللال والشقاء

وان حاجتك الي هدايه الله لاتنتهي لماذا لانه فوق كل هدي هدايه اخري وهكذا ولهذا جعل الأعمال القائمه بالقلب والجوراج سبب الهدايه والاضلال لبيان اهميه الشعور بوجود الله وخوف الله كي تكون لاعمال البر ثمره هي الهدى وكلما ازداد فيها ازداد هدي فقد قال تعالي (ويزيد الله الذين اهتدوا هدي)

وكذلك فإن اعمال الفجور تودي الي مزيد من الضلال فالله يقول (فلما ازاغوا ازاغ الله قلوبهم)

فهو سبحانه يحب البر وأهله فيقرب قلوب أهل البر منه بقدر اعمال البر ويبغض أهل الفجور ويبعد قلوبهم بقدر ما عملوا من اعمال الفجور

ولهذا يقول الله كيف يخلق الله الهدايه الخاصه للذين زاغوا عن الحق بعدما عرفوا فهو سبحانه وقد ابتعدت قلوبهم عن الله فالاصل أن الإيمان يولد في نفوسهم إيماننا ف الله يقول (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) فهو تعالي هداهم للايمان فلما آمنوا هداهم بالإيمان هدايه بعد هدايه

لكن هؤلاء هداهم الله للايمان فما كان منهم لقد كفروا بعد الايمان بالكبر والحسد والحقد وحب الدنيا والفجور فنسوا الله فلم يذكروه ولم يعظموا ربهم فانساهم بان عقابهم بأن اهملوا تزكيه أنفسهم وكمالها بالعمل الصالح فطردهم من رحمته وهدايته فقال تعالي (اولئك جزاهم أن عليهم لعنه الله والملائكه والناس أجمعين خ الذين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون

الأمر الثاني

أن الحق سبحانه وتعالى يقول لنا أن لإخفاق والخذلان التي تحل بالحضارات والافراد والسقوط لها واصل الشر يعود إلي النفس مثلما أن الخير والتوفيق والنجاح يعود إلي النفس

فيقول الله (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا... الخ

اي كيف يخلق فيهم الهدايه الخاصه وهم قد قصدوا تحصيل الكفر

فهم لم يطلبوا أسباب النجاح والتوفيق والهدايه والفوز حيث أن الله قد بين لهم سبيل المومنين وسبيل المجرمين وأوضح لهم الأعمال التي يكون بها الالتحاق بطريق المومنين وماهي الأعمال التي تكون سببا بالخروج من دائره الايمان وتكون التحاقا بمدرسه الشيطان أو صح لهم كيفيه الوقايه من الوقوع في مصيده ومستنقع الكفر

وترك للإنسان اختبار الطريق التي توصلك أما إلي معونه الله والهدايه أن اخترت طريق الهدايه ولك اختيار طريق الضلال والشقاوه

فأنت بحاجة إلي معونه الله للوصول إليه وهذا يتطلب منك التقرب الي الله بالأعمال الصالحة وهو سبحانه قد
دلك علي الطريق وانزل المنهج الذي يقودك الي الفلاح ويكون عملك مقبولا

فمن أخذ بدلاله البيان وصل الي دلاله المعونه والتوفيق

ومن وصل الي دلاله التوفيق واعانه الله ثم رجع بعد ذلك فهذا قد تذوق حلاوه الايمان فالاصل أن يزيده هدي ف
الله يقول (والذين اهدوا زادهم هدي واتاهم تقواهم)

لكن ما الذي حصل ابتعد عن الحق الي الباطل بالحيدان عن الحق والميل مع الهوي والشهوات فقد استحكمت
افات الحسد والكبر والعناد والحقد علي نفسه لقد اغلق ابواب الأيمان وفتح أبواب الكفر والشر في قلبه فكان هذا
سببا الإخفاق الذي كان نتيجته وقوف هذه الآفات مانعا من الانقياد لأمر الله ورفضوا القبول بالمواعظه القرآنيه بالا
لتحاق بالإسلام فهو فيه الخير وتخلوا عن دورهم في الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته

لقد اسأوا قراءه دلاله البيان بعدما شهدوا صدق الرسول صلى الله عليه وسلم والبراهين الواضحه لم ينظروا إليها
وفقا لمراد الله بل نظروا إليها من حيث مراد الشيطان الذي اعتراض علي أمر الله ورفض الاعتراف بفضل ادم

أن الحسد اعمي عقولهم والكبر جعلهم يرفضون الانطواء تحت راية الإسلام مثل ما فعل الشيطان الذي لم ينظر
أنه يعارض أمر الله جل جلاله فهو لاء قد عرفوا الأديان والتدين ومع ذلك رفضوا القبول بأمر الله وتمسكوا بما قد
توقف العمل به من الشرائع المنسوخه وهو حال اولئك الذين دخلوا الإسلام ثم ارتدوا فحركه هولاء فيها إفساد في
الأرض فهي حركه منحطه ذات فاعليه سلبيه

ثالثا

تأتي النصوص مبينه عقوبه هولاء فقال تعالى

(اولئك جزاهم أن عليهم لعنه الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون)

حيث نجد أنه سبحانه وتعالى استعمل اسم الاشارة اولئك

اشاره الي بعد منزلتهم في الانحطاط فأشار الي أوصافهم فلم يذكر أشخاصهم أو ذواتهم ثم ذكر العقوبه (عليهم
لعنه الله والملائكة والناس أجمعين خالدين...الخ وهذا يعني أن الحكم عام يشمل أهل الكتاب وكذلك الذين دخلوا
في الإسلام وارتدوا

والسؤال لماذا اشار الي الاوصاف ولم يشير إلي الذوات ؟

لماذا لأن تكبر هولاء ناتج عن غياب المعرفة الحقيقيه بربهم فلا يتكبر من عرف ربه بقوته وقدرته وكماله وغناه لا
يتكبر من عرف نفسه بضعفه فكيف لك أن تنازع الله في ملكه

ثم كيف لهولاء أن يغضبوا لأنفسهم ورفض القبول بالحق لانه لم يأتي الرسول منهم فهذا فيه ظلم للنفس فهي
ضعيفه ولا تستحق أن يغضب لها ومعارضه اختيار الله فقد كان عليه أن يرضا باختيار الله

اليس هذا السلوك دليل علي فقدان ميزان العدل لدي هولاء ورفضهم العدل وكذلك شهوه الرئاسة والسلطه والمال
جعلتهم يفقدون العلم فأصبحوا مثل الحيوانات

ثم كيف لمن يعرف ربه أن يحسد الآخرين علي ما آتاهم الله كيف له أن يعارض الله في فضله فالحسد معاده لمن هو أقدر منك فما هي قوتك أمامه فهو إن لم يهلكه طرده منه أي من رحمته

فكان عدم ذكر الأشخاص والاشارة الي الاوصاف لتفهم أن تلك الاوصاف كانت سببا لطردهم من رحمه الله وسخطه عليهم

فاستخدام الوصف للتنبية علي عله الحكم وحيثاته يقول لنا أن الإقصاء والأبعاد يعود إلي هذه الأوصاف التي تشكل عائقا من الهدايه مانعه من الانقياد والإخلاص والتوبه ولايقبل النصيحة أو بذلها ولايقبل العدل فقال تعالي أن جزاء هولاء هو الطرد والأبعاد من رحمه الله فقال تعالي (أن عليهم لعنه الله والملائكه والناس أجمعين)

فدل هذا أن الأعمال التي ارتكبها هولاء كانت سببا لعقوبه الخذلان فقال (عليهم) اي كان انزل عقوبه الطرد والأبعاد من رحمه الله علي ماكان منهم

فهم مبعدون من الرحمه لانهم استحقوا ذلك لماذا لانهم اتبعوا الهوي عن علم ومعرفه فكان ثمره ذلك هو الضلال البعيد فهو سبحانه يقول (فمن تبع هداي فلا يضل ولايشقي)

فقد جعل دلالة البيان واتباع المنهج سببا للرعايه وحمايه ورحمه الله بهدايه أوليائه وحمايتهم من الشقاء

وهنا نفهم من النصوص أنه سبحانه جمع بين الهدى والرحمه وانعام الله وفضله بأنهم متلازمون فمن طلب الهدايه والرحمه انعم الله عليه بعباده وفضله وانعامه وان من طلب الضلال والشقاء والحرمان فإنه سبحانه يعاقبه بالمنع من رحمته وان هذا يعتمد علي قوه طلب تحصيل الشئ ولهذا ذكر الجزاء هنا بعد أن أخبرنا أنه لايمكن هدايه هولاء لانهم يطلبون تحصيل الكفر اي أن قوه الطلب لديهم متجه الي الكفر وسنه الله لا يهدي القوم الظالمين

٣

ثم ذكر لعنه الملائكه والناس

وهذا فيه اشارة الي ابتعاد الشخص عن الله لما ورد في انه اذا تقرب العبد من الله شبرا تقرب الله منه ذرعا وماذكر أنه اذا احب العبد نادي جبريل اني احببت فلان فاحبوه فنادي جبريل في السماء أن الله أحب فلانا فاحبوه .وكذلك إذا كره الله عبدا حصل له الكراهيه من الملائكه والمخلوقات كلها

واذا احب الله العبد كان له عوناً فيكون يده التي يبطش بها ولسانه التي يتحدث بها ...

وهنا يقول انه تلحقه لعنه الناس (اجمعين)

لماذا لأن الإنسان بالفطره يكره الباطل ويلعن الذي يرفض الحق بعد معرفته وان كان علي الباطل فهو يري نفسه غير مبطل وبالتالي فهو يعيش في اللعنه التي تصدر منه سواء علم أنه علي الباطل ام لم يعلم

فذكر أن من كانت هذه أوصافه ونعوته فإنه يمكث في اللعنه لا يستطيع الخروج من دائرتها فهي تنتقل معه في حياته فالنصوص تبين أن الظالم في الحياه الدنيا يحمل في داخله جحيما من الشهوات والأهواء ويشعر بالم هذا الجحيم عند الخيبه والخسران لأن الجحيم أو الجنه إنما تنشأ من باطن الانسان نفسه اي من أعماله فاصل النار هي تلك الهموم والحسرات الاحزان والألم التي تبدأ من القلب ثم تستولي علي الجسد كله ثم تنتقل معهم الي الاخره ولاينقص من عذابها ولايعطون مهله فلا يهون العذاب عليهم في الاخره حتي يوم واحد (قالوا يامالك ادع لنا ربك يخفف عنا يوما من العذاب)

فذكر الله الأعمال التي توصف هولاء باستحقاقهم الطرد من رحمته الله فيه بيان عموم من اتصف بهذه الأوصاف ولم يخصص الذوات

لانه لو خصص اللعن بأشخاص معينين لما جاز بعد ذلك القول إن لهذا الشخص توبه بعد لعنه الله وسماه

لكن الله يقول تلك الاوصاف إنما يتصف بها أهل النفوس الخسيسه والخبِيثه والدنئيه فهي عرفت الحق وسبيل المومنين وعرفت الأعمال التي تودي الي التقرب من الله ونيل رضاه وعرفت أسباب الوصول الي توفيق الله وعرفت الأسباب التي تودي الي الفشل والخذلان

فاختارت طريق الفشل والخذلان عن طريق الايمان الذي كانت فيه اختار حكم هواء أنفسهم وشيطانهم علي عقله ورشده وعلمه والله يقول (ومن يتبع غير سبيل المومنين نوله ماتولي)

وهنا يقول كيف يخلق في قلوبهم هولاء الايمان وهم قد أغلقوا الابواب والمنافذ التي تنفذ منها انوار الله إليها

يقول لنا أن هولاء انشغلوا بمحاربه الحق بما أنعم الله عليهم من علم وتخلوا عن القيام بدورهم في الايمان ب الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته تخلوا عن العمل بالعلم وسارعوا الي العصيان فنفس هولاء قدره وهي ليس لديها رغبه في الأخذ بأسباب الهدايه والتوفيق وعدم تعظيم أمر الله فهم قد استبدلوا الذي هو ادني بالذي هو خير

يقول إن نفوس هولاء غير صالحه لاستقبال نور الله والخير الذي هو توفيق الله فالنفس الشريفه لاتقبل الظلم و الخيانه والفواحش فهي لاترضي الا بما هو افضل واكبر أما النفس القدره فهي التي تقبل بالحقاره والظلم والا وساخ فهي غير صالحه لنور الله ولاتليق بكرامته فهو سبحانه وتعالى يضل من أثر الضلال واختاره علي الهدى و الله يقول (أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ولهذا يبين أن الأعمال هي التي تقربك من الله فتنال عطائه ورحمته وانعامه وهداه وهي التي تبعدك عن الله فتعاقب بالطرد من رحمته وأن ذلك يعود للنفس فذكر أحوال التوبه لمن كان بتلك الاوصاف

الأمر الأول

ذكر استثناء لمن يقبل توبتهم من الذين ذكر ان عليهم العقوبه بالابعاد والطرد (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فإن الله غفور رحيم)

أهل هذا الفريق هم الذين تابوا توبه نصوحا فوجد أنه أضاف الي الاستثناء العمل لقبول التوبه

وذلك فيه اشاره الي شروط التوبه من الندم علي ماضي والعزم علي عدم العوده إليه ابدأ وإصلاح ما فسد

وهذا فيه ان يكون تزكيه أنفسهم بالعمل الصالح والإخلاص بالتقرب الي الله فليس المراد مجرد ترك ما نهى الله عنه فقط اي الترك المحض ولهذا نجد (من بعد ذلك واصلحوا) اي تابوا من بعد الانحطاط وقاموا بإصلاح ما أفسدوا والله يقول في موضع آخر (أن الله يحب التوابين) ويقول (ويحب المتطهرين) فالتوبه ليس مجرد الترك المحض وان كان ذلك من لوزامها وانما هي فعل وجودي كما ذكر ابن القيم رحمه الله بأنه يتضمن اقبال الانسان علي ربه وانابه إليه والتزام فالله يقول (وان استغفروا ربكم ثم توبوا إليه)

اي رجوع مما يكره الي ما يحب ويرضى ليكون ازاله ما وصمك به من الطرد ليحصل لك العفو وازاله الذنوب ومحوها

فجاء العطف (واصلحوا)

لبيان ان التوبه وحده بترك الفعل المحرم لا يكفي فأنت لابد أن تعزم علي عدم العوده فيكون منك الندم والرجوع عن الذنب الي ما يحبه الله لترسخ في النفس حب الخير والصلاح وارتدته وتتكون قوه الطلب له فيحصل تزكيه النفس وتطهيرها من الأوساخ فأنت بحاجه الي عمليه جراحيه تربويه لتزيل الورم الخبيث من روحك لتكون اهلا لاستقبال عطاء الله ونوره وهدايته ورحمته باستصال النفس الاماره بالسوء واستبدالها بالنفس المطمئنه من خلال غذاء روحاني يصلك ب الله ويعيد الحياه لقلبك يجعلك توتر الطاعه علي المعصيه وإيثار العلم علي الجهل وإيثار ا لآخره علي الدنيا فتشعر انك في هذه الدنيا غريب او عابر سبيل لست راكن علي الدنيا لست متعلقا بها ولا طول امل لك للبقاء فيها فأنت منشغل بما عند الله والسفر إليه تحاسب نفسك علي كل عمل تعمله لتصل الي محبه الله والقرب منه فالمسأله شاقه لأجل ازاله اللعنه التي كان فعلك سببا لها فأنت بحاجه إلي الستر من الله فقال تعالي (فإن الله غفور رحيم) أنه من تاب وترك طريق الضلال واناب ورجع الي الله والي ما يحب الله فإن هذا الرجوع وا لانابه مع التوبه بمثابه عمليه جراحيه تربويه ناجحه تم فيها استئصال الورم الخبيث منك وأصبحت اهلا لنور الله ولائق بكرامته فلا يؤخذك بما كان منك ويسترد ذنبك الذي كان قد لحق بك بسبب الرده وينعم عليك برحمته

وبالتالي فإن استخدام الاوصاف للذين يستحقون الطرد هو لبيان ان تلك الاوصاف موجب للطرده من رحمه الله واستحقاق المنع من عطف الله وهدايته لأن الله يبغض الفجور وأهله ولهذا فإن التائب بحاجه الي الوصول إلي محبه الله لمحو اثار البغض الذي لحق بسبب الرده وهو يتفق مع قوله تعالي (ياايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومه لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشأ والله واسع عليم)

الأمر الثاني

الصف الثاني من اولئك الذين ارتدوا عن الإيمان بعدما عرفوه فقال تعالي (أن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون)

أن النص بظاهر اللفظ فيه بيان أنه لا يقبل توبه هذا الفريق وهو أمر محال بحق الله تعالي فهو يقول (وهو الذي يقبل التوبه عن عباده) وكذلك ذهب البعض الي القول إن المعني بهم هم اليهود حيث أنهم آمنوا بموسي والتوراه ثم كفروا بعيسي والإنجيل وأنهم ازدادوا كفرا عندما كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بان هولاء لن تقبل توبتهم والبعض قال إنهم المسلمون الذين ارتدوا عن الإسلام وأنهم ازدادوا كفرا من خلال الذنوب والمعاصي

وهذا لايهم سؤاء كان المقصود اليهود أو المرتدون من المسلمين لأن الله كما قلنا قد ذكر أنه يقبل التوبه من جميع عباده وفي كل زمان وان الكفر بعد الايمان هو أحد تلك الذنوب التي وعد الله أنه يقبل التوبه فقال في الايه السابقه (الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فإن الله غفور رحيم)

وهنا ذهب البعض الي القول إن هذا معلق بمن حضره الموت وهو علي الكفر فهذا لاتقبل توبته لأن الله قد جعل باب التوبه مفتوح الي حين حشرجه الموت

لكن المتأمل للنصوص وربطها بما قبلها يجد أن النصوص تتحدث عن الصف الثاني من هولاء الذين ارتدوا بعد الايمان سواء كانوا أهل الكتاب الذين آمنوا بالكتب السماوية ورفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ووقفوا محاربيين لدعوه الله بدل نصرته أو أولئك الذين ارتدوا من المسلمين فالنص يذكر صف يمنع الله عنه الهدايه و التوبه بعد أن ذكر استثناء منهم أنه يكون رفع حكم الابعاد عنهم ذكر لنا من يستمر في ضلاله فالمراد بيان أن هذا الصف لن يوافقهم الله للتوبه فهي مثل قوله تعالي (أن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم اودادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) فوجب حمل المطلق علي المقيد

فهو لاء نفوسهم خبيثه وغير قابله أن تتطهر فهم ليسوا طلاب هدايه فقد امتلت نفوسهم بالاوساخ والقاذورات ف

التوبه منهم أن حصلت هي ترك دون رجوع الي الله بما يحب فتظل علاقتهم مع الله مقطوعه سرعان ماينتج عنها عوده الي الكفر فالترك لما يبغض الله لم يلحقه الانابه الي الله بعمل مايجب لمحو اثار اللعنه فهم لازاله آثارها بحاجه الي العمل الذي يكون به الوصول إلي محبه الله تعالي فهو قد هدد المرتدين عن الإسلام بأنه سوف يستبدل بدلا عنهم قوما يحبهم ويحبونه (يايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذله علي المومنين اعزه علي الكافرين يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومه لائم ذلك فضل الله يؤتية من يشأ والله واسع عليم)

فيقول لنا أن هولاء نفوسهم خبيثه لا يريدون التطهير من الأوساخ ولايسعون الي التخلص من الأسباب التي كانت سببا في كفرهم وجحودهم من الحسد والكبر والعناد فسرعان ما يعودن الي الكفر فهم ينحدرون في الانحطاط أكثر فأكثر فالشر قد أحاط بنفوسهم من كل جهه فكيف يهديهم الله وقد تمكن الضلال منهم فهو لاء لا يوفقهم الله الي هدايته فهم الذين قد تغللت نفوسهم في الضلال فهم يزدادون انحدار كل يوم وانحطاط فقال تعالي (واولئك هم الضالون)

فيه ذكر أن هولاء الفريق هم الذين اتصفوا بأنهم لا يهديهم الله في قوله (كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم.. الخ

فقد كان قصر عليهم الضلال كانه صار كمال لهم في الانحطاط لا يوجد في غيرهم بعد أن ذكر الذين استثناءهم من الابعاد والطرده من رحمه الله فذكر أن الذين تصيبهم اللعنه والحرمان ويستمررون في الضلال ومقاومه الحق فهم كلما امعنوا في محاربه الحق ازدادوا انحطاطا ولهذا أردف بذكر قلوبهم بعد الاشاره وهي أنها قلوب بعيده عن الله لما اتصفت به من الكفر بعد الايمان وان ذهابهم هولاء بالتعمق بالكتب الشيطانيه التي جعلوها منهجا بديلا عن المنهج الرباني جعله يدخل نفقا مظلما لا يجد له منه مخرجا فهو الذي تحيط به اللعنه من كل جهه فيصير اسير الشهوات وتسنزله شياطين الهوي فتطرحه في الهلكه فلا يوافق الله الي فضله وهدايته ورحمته فلم يستعمل الفاء في اسم الاشاره (و اولئك هم الضالون) الاشاره الي كمال ضلالهم وإلا فإن كل كافر ضال سوء كفر بعد الايمان أو قبله وهذا لبيان أن من اغلق منافذ الهديه ونور الله فإن القلب يغطي بنقطه سوداء حتي يصير ران وطبع يختم قلبه ويحيط به من كل جهه فهو حينها لا يكون موافقا للهدايه بل هو مخذول (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا... الخ

الامر الثالث

يقول الله تعالي أن باب التوبه مفتوح الي ما قبل الحشرجه اي طالما لم يصل لمرحله حضور مقدمات الموت) فقال تعالي(أن الذين كفروا وماتوا وهم كفارا فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدي به اولئك لهم عذاب اليم ومالهم من ناصرين)

هذا فيه مناقشه حكم عام يلحق بمن مات علي الكفر فلم تقبل منهم التوبه لانهم لم يتوبوا وماتوا علي الكفر وهو يشمل اليهود والنصاري وكل الكفار فهو لاء اغلقوا علي أنفسهم باب السعاده الابديه باختيارهم فصورت النصوص حالهم (وهم كفارا)

استخدام واو الحال وتبعها جملة اسميه لبيان أنهم يستمررون مع كفرهم حتي لقوا الله وهم علي الكفار ولهذا يذكر المولي بعد ذلك حكما متعلقا بحال هولاء (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدي به) هذا الحكم متعلق بعملهم في الدنيا اين مصيره أن كان صالحا من حيث أغراضه في التخفيف من الم الناس ؟

ثم بين حكما خاصا بما يجدون من شدة العذاب في الاخره ؟

وهذا للاتي

المسالة الاولى

وهذا التفصيل في تصوير حالهم في الدنيا والآخرة... جاء مرتبطا بما قبله برسم حاله الضلال (واولئك هم الضالون) وضياع قيمه الأعمال ومساله عدم قبول أي عمل لم يتخذ من عقيدة الاسلام ديناً يتحرك في نطاقه عن إيماناً بما جاء فيه فهو قال (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقد وصف أهل الكتاب أنهم من جملة الضالون فناسب ذكر ضياع الأعمال بعدها لبيان أنها لاتمثل وسيله يتقرب بها الي الله كي تزيل سخط الله عليهم ولعنه الله عليهم والملائكة والناس أجمعين فهي وان كانت اعمال طيبه من ظاهرها الا أنها غير مقبولة وصاحبه تضل أعماله فهو تعالي في سوره الكهف (قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسولا هزوا)

*

فكان بيان ضلالهم عندما رفضوا القبول بدين الله الاسلام والتصديق برسوله ونصرته بعدما شهدوا الآيات وصدق نبوته التزما بعد الأنبياء فهم ضالون عندما تمسكوا بحضارتهم فاعتبروا أن الالتزم بما في التوراه والانجيل من الأحكام التي فيها بعض أوجه الصلاح مثل مساعده المحتاج والأيتام واغاثة الملهوف مثل منظمات الأعمال الخيرية التي تقوم بها النصاري فهي من اعمال البر في ظاهرها وهم يعتقدون أنهم يتقربون بذلك الله كي يرزقهم الرحمه و الهدايه والتوفيق ويمنع عنهم الشقاواه والضلال فهم اذا جادلتهم يقولون اننا ننفذ مراد الرب وربما يحتج عليك فيقول أليس الله يقول في القران (فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقي)

فيقول لك نحن علي منهج الله الانجيل أو التوراه ونتقرب الي الله بنفس الأعمال التي تتقربون بها انتم الي الله أليس اعانه المحتاج من اعمال البر وكذلك مساعده الفقير وهكذا

ف الله يقول لا هنالك فرق بينكم وبينهم انكم تعملون اعمالكم وفق منهج معتمد للإسلام هو الدين المعتمد وهؤلاء يتحركون وفق منهج معطل توقف العمل به فقراءه هؤلاء فاسده تلحق بهم الضلال لانهم يجسدون مشروع مدرسه الشر فيخفي عليهم ضياع قيمه الأعمال ف الله يقول (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعه حتي إذا جاءه لم يجده)

وقال (ووجد الله عنده فوفاه حسابه) في ذلك اليوم عندما يقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار

يقول الله لنا أن هؤلاء لم يقابلوا أمر الله بالتعظيم وقد شهدوا آيات الله وسمعوها لكن لم يقبلوا علي طلب الحق هم يطلبون تحصيل الكفر والتكذيب بآيات الله فاتخذوا آيات الله هزوا لم يبالوا بميثاق الانبياء وما امرهم من اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا بين في الكهف السبب علي ضياع الأعمال لهؤلاء (ذلك بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا)

اشاره الي اهميه استقبال العهد بالقوه في التلقي والتنفيذ لتولد لديك همه وهزيمة فأول ما تحصيل عليه هو النور الذي يجعلك تري بنور الله وتمشي وانت شاعر أن الله معك يكون الله في عونك

لكن هؤلاء قابلوا العهد بالسخرية والاستهزاء وركنوا الي الدنيا وملذاتها فاستحقوا الضلال والشقاء ف الله يقول (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمي)ويقول ومن كان في هذه اعمي فهو في الآخرة اعمي)

والمعني أن الذي لا يرض بمنهج الله الذي فيه الهدى والسعادة ويعرض عنه فهذا اختار طريق الضلال والشقاوه و

الضنك وطالما أن الله قد أخبرنا أنه تم التوقف بالعمل بجميع الكتب السماوية السابقة وان الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله

فإن هذا يجعل كل من تمسك باستمرار العمل بالكتاب المعطل العمل به وإن كان سماوي فإن هذا ضال وقد أعرض عن ذكر الله لأن ذكر الله يكون بالتحويل الي القرآن الكريم في قراءه الأحداث والأحكام الحلال والحرام وكيف نتقرب الي الله لهذا يهدده الله الرفض لدين الاسلام بالمعيشه الضنك واصل الضنك هو الضيق والشده فكل ماضاق فهو ضنك فتقول منزلي ضيق وعيشتي ضيق انا زاهقان

فالضنك مقابل التواسع فأنت تقول ضيقت عليا ووسعت عليا بتضييق الطلب لشيء عندك او اعطاك سعه

وهنا نجد أن الله تعالي بعد ذكر عدم التوبه لمن مات ملازما للكفر يذكر حاله الاقتداء بالمال بأنه لو جاء ملء الأرض ذهبا يريد أن يضعه فديه تمنع عنه العقاب فإنه لن يقبل منه ذلك وهذا فيه معنيين الأول أن يعرفك بطبيعه اليوم الآخر فتضمنت الايه الكريمه بيان انه لو جيئت علي سبيل الفرض بملء الأرض ذهبا ومقابل فديه تدفع لمنع الحكم بحقك لن يقبل لبيان ان هذا اليوم يوم القيامة يختلف عن الدنيا فهو يوم جزء لاينفع الإنسان المال و لا الاتباع الذين كنت تستقوي بهم في الدنيا فالعذاب واقع لامحاله لغرض غرس الشعور بقاء الله والحساب و العقاب لانه ذكر في الكهف (ذلك بأنهم كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)

فالنصوص تهدف إلي غرس الشعور بقوه البلاء عليك و انت واقف بين يدي الله للحساب واستعمل الذهب لما له في قلوب اليهود من منزله ولأن سعه الدنيا تكون بالذهب الذي يكون مصاحب بحب الدنيا والتعلق بها واليهود قد حرفوا التوراه مقابل المال الذهب والفضة فقال تعالي (فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون)

فجاء النص بقوله (احداهم)

للاستخفاف بالمال (الذهب) الذي حرص هولاء علي جمعه في الدنيا فهم اردوا به أن يكون لهم قوه يدفعوا به عن أنفسهم مصائب الزمان فسبب حرص الناس علي المال أن يكون لهم قوه وسعه تمنع عنهم الضيق والشدة في المصائب والنوائب

وهنا يقول لهم الله ليس الأمر كما تتصورن أن السعه هي بالأعمال الصالحة فهي الرصيد النافع فمهما بلغ غني الواحد منكم وما جمع من المال والذهب فاستخدام ملء الأرض التي يستحيل لأحد أن يملك ملء الأرض ذهبا لبيان ان المال والذهب لاقيمه له في هذا اليوم فقال تعالي (ولو افتدي به) ولوسمح له أن يقوم بالمساومه به لرفع البلاء عنه العظيم فإنه لن يقبل منه

فالله يقول إن المال ليس هو السعه التي ترفع البلاء عنك بل الأعمال يقول لنا أن عليك ان تشعر بعظمه البلاء اثناء الوقوف بين يدي الله تحس فيه أن العقوبه سوف تقع عليك فلا مجال لك الا الهروب الي الله بالتوبه وانت في الدنيا يقول لنا لن ينفعكم جمع المال والانشغال بذلك عن امتثال أمر الله فيقول أنظروا الي حجم البلاء وقوته فهذا اليهودي كان في الدنيا حريصا علي جمع المال والذهب فنحن نعلم أن الشح فيهم بلغ درجه انك تراه في الدنيا مستعد لبيع نفسه مقابل حفته من الذهب فهذا الشحيح لو سمح له في الاخره أن يلقي بذهب ملء الأرض فإنه في هذا الموقف سوف يسارع لفعل ذلك

فعليك أن تومن باليقين الجازم أن هنالك عقاب شديد يحتاج منك الي المسارعه والمبادرة بالتوبه قبل أن يحل الموت وتقوم قيامتك بعدها فلن ينفكك لآمال ولا اولاد ولا اتباع (ومالهم من ناصرين)

أما المعني الثاني المرتبط بهذه الايه هو ماذكرته أيضا سوره الكهف (فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا)

فهو لاء تضيع أعمالهم وان كانت صالحه لأن كفرهم بالإسلام يجعل تلك الأعمال في مهب الريح (وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

رابعاً

يقول الله أن الهدي والرحمه وتوابعها والانعام كلها من صفات العطاء والاضلال والعذاب والشقاوه من صفات المنع وهو سبحانه يصرف خلقه بين عطاءه ومنعه وكل ذلك عن صارده عن حكمه بالغه وملك تام له تعالي

يقول لنا أنه سبحانه وتعالى يحب البر وأهله فيقرب قلوبهم إليه بقدر اعمال البر ويبغض الفجور وأهله فيبعد قلوبهم عنه بقدر ابتعادهم في الفجور وأعماله

والبر من من رحمه الله وعطائه ولهذا يقول تعالي لنا (لن تناولوا البر حتي تنفقوا مما تحبون وماتنفوا من شي فإن الله به عليم)

فالايه تدل ان المومنون الاوائل قد عرفوا الطريق الذي يوصل الي الخير فهم بدوا يتساءلون كيف نصل الي البر الكبير بعد أن فهم أن السعه الحقيقيه ليس في المال والذهب فهو فيه الضنك وضيق لاتجده وقت الشده إنما السعه بالوصول الي عطاء الله اي رحمته وهدايته وانعامه وإحسانه والاءه لتحصل علي السعاده في الدنيا والآخرة أنهم يتساءلون اذا كان ماسبق ذكره من النفقه المذموه فكيف نصل الي النفقه المحموده فاستخدام المولي (لن تناولوا البر)

١

بعد أن أمرهم بترك الذنوب والمعاصي قال (لن تناولوا) والنوال العطاء من قولك نوالته نويلا واعطيته ونالني

والمعني انكم لن تعطوا انعام الله ورحمته وهدايته وانعامه التي فيها الكمال والسعاده في الدنيا والآخرة وثوابه ولن تصلوا الي ثواب البر الذي يكون علي التوسع في فعل الخير الا بالإيمان الصادق بأن تتركوا الكذب و الفجور....لحديث الرسول (أن الصدق يهدي الي البر وان البر يهدي الي الجنه ومازال الرجل يصدق ويتحري الصدق حتي يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الي الفجور وان الفجور يهدي الي النار ومازال الرجل يكذب حتي يكتب عند الله كذابا)

٢

نجد النفي (لن) تفيد النفي والتحول للفعل من الحال الي الاستقبال بالمعني وتغير لفظ الفعل من الرفع الي النصب والغرض انك في حاجه الي العبور من مرحله التصور الخاطئ لمفهوم السعه والضيق فالمال والذهب مهما كان لاينفع ولاتجد فيه السعه وقت الضيق والشدة كما بين الله في الايه قبلها فهو يمكن أن يدفع بلاء الدنيا لكن لاينفع في اليوم الآخر ولهذا فان مجئ الآيات هنا بعد الأمر بترك الذنوب والحث علي الإيمان قبل الموت ليكون لما أنفقت في الدنيا قيمه في اليوم الآخر فقد دعاهم من دنياهم ليسهل عليهم الاجابه فلو دعاهم الي ترك الدنيا لشق عليهم ذلك فكانت تلك المقدمه التي فيها رسم صورته ضياع قيمه الأموال للحث علي ترك الذنوب لأنها فريضه أما ترك الدنيا فهي فضيله فكانت تلك مقدمه للعبور والتحول فيقول الله لنا لاتنظروا الي الدنيا وما فيها وعليكم أن تجعلوا هدفكم هو نيل البر فعليكم التحول الي هذا الهدف ولابد من عبور الطريق الموصل الي هذا الهدف ليغرس في الذهن صورته البر الذي فيه القوه والقدره فالاعمال الصالحه مع الإيمان الصادق هو الرصيد

النافع الذي يمنع العذاب

فقال تعالى (حتى تنفقوا مما تحبون)

حيث أن حتي يستعمل للتعبير عن الغايه فيقول لنا هل تريدون الوصول إلي القوه التي تمنع عنكم العذاب فإن هذا الغرض يعني قطع المسافه بين العمل والقلب و قطع المسافه بين القلب وربه سبحانه وتعالى

وهذا يتطلب اخراج كل محبوب من النفس ليكون حب الله تعالى هو الحب الحقيقي الذي يسكن قلبك وهنا لابد من تخليص النفس من كل محبوب غير الله مع الاخلاص وحسن النيه عليك فالقرب من الله يحتاج الي همه وعزيمه قويه بأن تقطع عن قلبك كل محبه غير محبه الله عليك أن تروض نفسك علي الحب في الله والبغض في الله عليك قمع رغبات النفس فهي لا تستحق أن تغضب لأجلها ولا تستحق منك الميل مع رغباتها ف الله يقول (افرايت من اتخذ الهه هواه وأضله الله علي علم... الخ

فإذا أردت نيل مرضات الله فعليك أن تنفق في سبيل من الأشياء التي تحبها لانك حينها تشعر بلذة الطاعه وتقوي النفس المطمئنه علي النفس الاماره بالسوء فهذا بمثابة غذاء روحاني لماذا لانك لو أنفقت من الأشياء التي لست متعلقا بها فإن هذا لا يكون له قيمه روحانيه تصل إلي قلبك فالعمل يظل في مكانه ولا يقطع المسافه الفاصله بينه وبين القلب لماذا لانك بإخراجه لم تخرج من نفسك قطاع الطريق الذين يقفون مانعا بين وصول العمل الي القلب ثم الي الله فأنت تخرج اشياء ليس لها قيمه لديك بل ربما تكون راغبا في الخلاص منه فقد اصابك الملل منه أن اهميه اخراج المحبوب هي للخلاص من أمراض النفس لتكون متعلقه ب الله تعالى فهو المحبوب الحقيقي لديها

وهذه المساله يتفاوت فيها الناس فنحن نعلم أن المراه تحب الذهب ولهذا فإنه إذا طلب منها أن تتنازل عن مالها من العقارات التي تكون أثمانها مبالغ مالية كبيرة فإنها لاتبالي لكن إذا طلب منها قطعه حلي ذهب فإنها تكون ثقيله عليها لأنها تعلقت بالذهب ولهذا فإن اخراج المحبوب أمر مهم للوصول الي المحبوب الحقيقي وهو الله تعالى ولهذا كان القرب من الله بقدر التقرب منه سبحانه وتعالى ولا يحصل الا بإخراج كل محبوب غيره والا فإنه لايزال لديك بعد ا عن الله ويتوجب عليك قطعه بقلبك قبل بدك

٣

وماتنفقوا من شي فإن الله به عليم

أن المعلوم أن الإنسان عندما يجمع المال فإنه يريد بهذا أن يكون له قوه وقدره عندما يصيبه العجز فلا يحتاج الي أحد

ولهذا يقول لنا الله أن الرصيد النافع والقوه الحقيقيه الأعمال الصالحة التي تقربك من الله فيكرمك برحمته الواسعة وفضله وتوفيقه واعانته بقدر التقرب منك الي الله بقدر ما اعطاك الله من القوه والقدره فأنت مطلوب منك التقرب الي الله بما زاد عن حاجتك من جهه ومن جهه أخرى بقدر امكانياتك فمن كان فقيرا وأنفق ثوبا مستعملا لايملك بجانبه سواء ثوبا واحد فقط هو الذي يلبسه فهذا من الموكد أنه اخراج افضل شي عنده فهو قليل بنظر أهل الأرض لكن بنظر الخالق سبحانه وتعالى كبير يفوق ملايين جنيهات الذهب التي ينفقها الشخص المقتدر فالكيفية هنا هي المعتبرة بنيل عطاء الله البر الواسع لا الكمية وهي مرتبطة بمعير قدر الحب والتعلق لما أنفقت ولهذا بطمئن الله المنفقون بأنه عليم بما أنفقوا لبيان كلما كان المال احب كان المنفق اقوي إيماننا فقدم الجار والمجرور (به) يفيد الحصر وهو فيه الحث علي الانفاق كانه تعالي حصر علمه بذلك وهو سبحانه علمه

مطلق ولكن أراد بهذا غرس الاهتمام بالموضوع فهو له منزله واهميه عظيمه عند الله تعالى
والله اعلم انتهى المقطع الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الرابع

ال عمران

ابتدأت النصوص في هذا المقطع بنقل صورته عن معركة العقيدة الايمانيه مع أهل الكتاب اليهود بعد ذكر المناظره مع نصاري نجران حيث نجد أن النصوص ترسم لنا صورته كامله عن تلك المناظره معهم تجسد مشاهد تتحدث عن أوجه الصراع مع الباطل وأدواته ووسائله واغراضه وترد علي كل ذلك وتفند الحجج وتقيم الادله والبراهين التي توجب الحجه

فقال تعالي (كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراه فاتوا بالتوراه فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افتري علي الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون

قل صدق الله فاتبعوا مله ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين أن أول بيت وضع للناس للذي ببكه مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان امنا والله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)

اولا

انه بالوقوف علي موضوع المحاورات معهم وربطها بما سبق نجد أن محل الحوار هو إثبات صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القران الكريم حيث أن اليهود عندما أمرهم الله باعاده قراءه الأحداث وفقا للقران (لأن الإسلام هو الدين المعتمد عند الله) قد رفضوا

القبول بالإسلام والتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته وفقا للعهد المقطوع مع انبياءهم وتمسكوا بحضارتهم المنسوخه ولم يقبلوا بالتحول الي الاسلام وادوا استمرار العمل بما لديهم ولجأوا الي تبرير تخليهم عن مراد الله بالتصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته اردوا تبرير الإخفاق الحاصل منهم بعد التراجع منهم و التحول الي العمل مع عصبه العمل الشيطاني

ولهذا فقد لجأوا الي اثاره الشبهات فقالوا اذا كان محمد علي دين إبراهيم فكيف أحلت شريعته اكل لحوم الإبل و البانها وهي محرمة في دين إبراهيم ... وكذلك فإن اليهود أنكرت شريعته النسخ

فقال تعالي (كل الطعام كان حلالا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراه فاتوا بالتوراه فاتلوها إن كنتم صادقين فمن افتري علي الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون)

الأمر الأول

بينت النصوص حقيقه التحريم للاطعمه بأنها في الأصل الاباحه وان عنايه الله تعالي اقتضت ارسال الرسل وإرشادهم الي ما الحلال والحرام وأنه لم يكن هنالك شيئا محرما علي يعقوب عليه السلام فهو اسمه إسرائيل كما أوضحنا في سوره البقره وقد ذهب بعض المفسرون الي أن المراد بهذا هم شعب إسرائيل

المهم هنا أن الله يبين لنا أن التحريم كان من قبل يعقوب بمعني نذر الزم نفسه به حيث ذكر أنه كان يحب الإبل و البانها حبا شديدا وكان يعاني من مرض فنذر لله اذا تعافي أن يترك اكل الإبل والبانها فشفاه الله من مرضه فحرم علي نفسه وفاء لنذره وأنه بعد ذلك استنان أولاده من بعده بتلك السنه فصارت محرمة دون وجود نص شرعي يقضي بالتحريم حتي أنزل الله التوراه

وهذا النوع الأول من التحريم

وهنا يقول الله تعالى بلسان نبيه لهؤلاء (فاتوا بالتوراه فاتلوها إن كنتم صادقين)

اي أحضروا التوراه ثم قوموا بقراءتها انتم بتمعن لتعرفوا حقيقه وصدق ما اخبرتكم به واستعمل اسلوب التحدي (إن كنتم صادقين) فيه الاشاره الي أنهم كاذبون في ادعاءتهم فهم ليسوا صادقين لأنها تدل علي الشك

وقد ظهر عجزهم وامتنعوا عن إحضار التوراه ولهذا نجد أن المولي يعقب(فمن افتري علي الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون)

مبيناً أن الذي يخلق الأكاذيب وينسبها الي الله بعد ظهور الحجه فهذا ظالم الحقيقه و ظالم نفسه واكتفي بالاشاره الي وصمه بالظلم لبيان أنهم بلاشرف فهم قد تخلوا عن دورهم في الايمان بالرسول ونصرته مخالفين بذلك مراد الله والعهد المقطوع مع انبياءهم

لأن الخلافه لاتثبت لكل إنسان بميلاده وانما تكون لمن قام بالمهمه وسعي لها سعيها وتخلص من الجهل والظلم ف الذي يتخلي عن الخلافه حتي وان كان له قوه وسلطه فهي قوه وسلطه وتمكين بلاشرف لأنها محاطه بالظلم والا فتراء وهي قوه مهدده بالانهيار فلا توجد قوه تحميها كما قال تعالى في سوره العنكبوت (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت... الخ وقال تعالى (ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علي الله الكذب أن الذين يفترون علي الله الكذب لايفلحون)

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنبيه (قل صدق الله)

اي ثبت صدق ما اخبركم به الله ولزم عليكم اتباع دين الإسلام فهو الدين الحق والمقبول عند الله والمعتمد وهو الذي يحقق المطلب الرباني فذكر أن الإسلام يكون بالتوجه الي القبله التي بناها ابراهيم عليه السلام فهي أول بيت وضع للعباده والطاعه للرد علي جدل اليهود بشأن تحويل القبله وادعاهم أنهم علي دين إبراهيم وانهم مسلمون فأخبرهم الله أن الإسلام يكون باقامه الحج فرفضوا فوصفهم الله بالكفر

الأمر الثاني

أن النصوص فيها ازاله الشبهات التي حاول أعداء الإسلام الطعن بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم وبالقران الكريم

وهذا يعود إلي كراهيه أهل الكتاب للحق وسعيهم لمحاربتته ورغبتهم بتشويه صورته الاسلام ورسوله الكريم

ف الله سبحانه وتعالى يعطيك هذا المثل للصراع مع الأعداء لتعرف حقيقه عدوك فهو مثال لحاله الصراع التي تمتد الي يوم القيامه يقول لك الله انك مستهدف لأعداء الخير فيجب عليك تحصين الثغور التي يحاول هؤلاء التسلسل منها يقول انظر لهذا المثل لتعرف سلاح العدو في المعركه الاعلاميه فهم يبحثون عن ثغور لينفذوا منها الي كيان المجتمع المسلم وأثاره الاضطرابات فيه ويحاولون غرس عدم الثقه بالقيم والمبادئ الايمانيه وبشخص الرسول صلى الله عليه وسلم فهم اردوا احداث اهتزاز ثقه في كيان المجتمع المسلم كي ينسحب من حركه العمل الايماني أو يصاب بحاله الخجل من القيام بذلك

وكذلك هو حال الأعداء في كل مكان يريدون غرس عدم الثقه بالقياده لماذا ؟

لأن اي صاحب دعوه يحاول بث أفكاره ومعتقداته بين الناس ساعيا الي تحقيق الاقناع بشخصه وبما يحمله من أفكار في المرحله الاولى وقبل الانتقال الي العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي وهذه المرحله اصعب

مرحلة في حياة الانبياء والدعاة حيث يلجأ الأعداء الي اختراع وخلق سلاحا نفسيا له أثر في مظاهره الخارجي ليشكل حاجزا يمنع الناس حتي من مجرد الاستماع الي خطابه ولهذا نجد أن الله يقول (فمن افتري علي الله الكذب من بعد ذلك)والافتراء اختلق الأكاذيب وهو مأخوذ من فري الاديم اذا قطعه لأن الكاذب يقطع القول من غير حقيقه في الوجود

ولهذا فقد حاول اليهود الطعن بالرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به القرآن فاختلقوا اكذوبه أن تحريم اكل لحوم الإبل والبانها وبعض الاطعمه المحرمه عليهم بأنها محرمة علي جميع الرسل من قبل ابراهيم و أن القبله الحقيقيه هي لبيت المقدس فاردوا بجمله ما اختلقوا من الشبهات والافتراءات الدخول الي نفوس الضعفاء من المسلمين كي تحملهم علي الاضطرابات وعدم التصديق

وهنا يقول لنا الله تعالى انتبهوا ان تتاثروا بمثل ذلك الضجيج الاعلامي وعليكم ازاله مايمنع الناس من الإيمان بازاله مثل تلك الشبهات فقال تعالي (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل....الخ

وبالوقوف علي مدلولات النصوص والأسلوب الذي وردت فيه نجد أن النصوص ترسم لنا كيفيه مواجهه تلك التحديات ويتضح من خلال الآتي

المساله الاولي

نجد أن النصوص ورد فيها ازاله الشبهات التي اثارها اليهود حول حقيقة تحريم الاطعمه

فذكر الله أن الأصل الاباحه في الاطعمه وان عنايه الله بالناس اقتضت ارسال الرسل رحمه لنا ليرشدوا البشريه الي الحلال والحرام فالعقل البشري عاجز عن معرفه الضار والنافع فهذه القاعده الاساسيه للتحليل والتحريم اي ب النص الشرعي

لكن لاينبغي أن تعلق التحريم علي عله الضار والنافع فليس الأمر محصورا بهذه العله

فالحكم ليس مشروطا أن يكون مرتبطا بهكذا عله لانه احيانا يكون التحريم تادبا فذكر تحريم يعقوب علي نفسه بعض الاطعمه سواء كان التزاما منه لواجب النذر أو كان حميه غذائيه و ان أبناءه جاوا من بعده واتخذوا تلك السنه المورثه منهجا فهذا ليس تحريم شرعي بمقتضي النص

وكذلك فإن هنالك تحريم تاديبا وعقوبه للمخالفين حيث ذكر الله أن اليهود استولت عليهم الماديات وارتكابهم الظلم والجحود فعاقبهم الله بتحريم بعض الاطعمه فقال تعالي (فبظلم من الذين هادوا حرمانا عليهم طبيبات الخ

ولما كان الثابت أن التحريم للاطعمه منه شرعي لانه من الخبائث ومنه عقوبه علي جرائم ارتكبت كما هو الحال في تحريم بعض الاطعمه علي بني إسرائيل ومنه ما كان تادبا مثل النذر الذي إلزام يعقوب به نفسه وايضا ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما ابي اكل الثوم والبصل وقال إني اتحدث الي من لاتتحدثون فهذا من باب التادب

وبالتالي فليس كل التحريم للاطعمه كان للأمم كلها فنحن نعلم أن دعوه عيسي قال فيها (ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم)

المساله الثانيه

عليك الإلمام والاطلاع بالمساله محل النقاش والحوار بحيث تستعمل الحجه التي تفحم بها عدوك حيث نجد أن

الرسول صلى الله عليه وسلم قال لهم الحكم بيننا وبينكم هو التوراه تعالوا نحتكم إليها فقال (فاتوا بالتوراه)

اي انتم هاتوا التوراه وانظروا اين الحق هل ما أقوله لكم ام لا

فاتلوها

قال لهم اقراءها انتم لتعرفوا من هو علي الصواب انا ام انتم

وهنا انكشف سرهم وافتضح أمرهم وظهر كذبهم وبان لكل الناس أن هولاء اخترعوا هذه الشبهات وبان قصدهم الحقيير ولذلك لم يلتفت المولي سبحانه وتعالى إليهم فلم يذكر أنهم لم ياتوا بالتوراه فهم لا يستحقون الالتفات بل ذكر دناءه هولاء وضعف حبال الكذب فهو قصير فقال تعالي (فمن افتري علي الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون) من يخلق الأكاذيب وينسبها الي الله بعد اقامه الحجه فهذا إنما هو ظالم لنفسه وللحقيقه معاند

وهنا يلتفت الي رسوله الكريم (قل صدق الله)

اي صدق فيما اخبركم به من أوصاف اليهود وعنادهم وخبثهم وانهم ظالمون وان تحريم الاطعمه عليهم كانت عقوبه علي قبح افعالهم ومنها ما الزم يعقوب نفسه بها

صدق الله في اعلان نسخ الأديان السماوية بدين الإسلام وأنه الدين المعتمد وان هولاء الذين أنكروا شريعه الاسلا م وادعوا أن النسخ باطل كاذبون فهذا القول منهم مدحوض بما أخبر الله تعالي به وهو المتصف بالصدق بدليل أنهم عجزوا عن إحضار التوراه عندما تحدهم الرسول صلى الله عليه وسلم فدل هذا أن الاطعمه لم تكن محرمة وانما حرمها يعقوب علي نفسه وبعدها صارت محرمة بنزول التوراه أليس هذا نسخ فكان بهذا ازاله الشبهات عن القران

المساله الثالثه

كما أن النصوص جاءت بعد أن تناولت الأمر بالانفاق مما تحب وهنا تذكر الاطعمه وهو امر متعلق ببيان امتناع يعقوب عن أكل ما كان يجب حبا شديدا لحوم الإبل والبانها...سواء كان ذلك وفاء بنذر أو حميه لتربيته النفس علي الزهد والورع وكسر رغبات النفس فإن هذا فيه شد الإنتباه للاعتناء بانفاق الاطعمه للمحتاجين من جهه وان يكون التعلق بالاطعمه من غير إسراف وايضا أن يقصد بذلك الاعانه علي طاعه الله وليس اشباع البطون فقط فالاطعمه لها دور في تكوين النفس وتزكيتها ولهذا يقول الله (ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي)

ثانيا

مما سبق يتضح صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فهو امي لايقرا ولايكتب وبالتالي كيف علم أن التوراه فيها بيان كذب الشبهات التي اختلاقها اليهود وبالتالي نتج عن ذلك غرس الثقه بالرسول صلى الله عليه وسلم وحصول إقناع أصحابه بشخصه وبفكرته ولهذا نجد انتقال النصوص من الاخبار الي الأمر (فاتبعوا مله ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين)

فالأمر جاء بعد ما كشف حقيقه هولاء وفضح اكاذيبهم فزاله الشبهات قد ابطل مفعول ذلك السلاح الماكر الذي كان يقصد من وراءه صرف الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم لمنع الناس من الاهتمام به وإن لايلتفتون لدعوته اردوا أن يجعلوا ثقه الناس مفقوده أو مهزوزه بالإسلام وبالرسول فلا يستجاب لدعوته

فجاء الأمر بأن عليهم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وفاء لعهد الانبياء يقول لهم أن ماصدر منكم هو مخالفه لمراد الله فليس لكم عذر بعد الان فانتم بعد الان تحملون وصمه عار الظلم للحق فهذا هو دين ابراهيم الذي

تدعون الانتساب إليه أنه الاسلام فهو كان مائلا للحق بينما انتم ظالمون

أن ابراهيم كان علي التوحيد وهذا هو دين الإسلام بينما انتم أصبحتم مشركون بالله برفض القبول بمراد الله
باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

وذكر ابراهيم لانه محل إجماع ذلك أن الرساله تعيش في إطار البئيه التي تشهدلها والحجه التي توكلها فجاء الا
ستدلال بابراهيم لانه محل احترام وايضا هتك حاجز الغيب في مسائل اخفاءها علماءهم حتي عن بقيه اليهود
أنفسهم ذلك ولهذا فإن هذا فيه معجزه للنبي صلى الله عليه وسلم فهو امي لايقرا ولايكتب وهو ما يفهم منه أن
الذي أبلغه هو الله تعالى فكان لزاما عليهم اتباعه

ولأن اليهود حاولوا التشكيك بمساله تحويل القبله الي الكعبه المشرفه وقالوا إن بيت المقدس بنيت قبل الكعبه
تأتي النصوص بالرد علي تلك الأقاويل فقال تعالى

(أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله
علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)

١

أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة)

لاخلاف ان الكعبه هي أول بيت وضع للعباده والطاعه

لكن الخلاف هل هو أول بيت وضع في الأرض ؟

حيث ذكر البعض أنه كان قبله بيوت كثيره لكنها ليست للعباده وقالوا اين نذهب بقوم عاد وقوم نوح... الخ

في حين رد أصحاب الرأي الثاني بما ورد في الأحاديث أن الكعبه هبط مع ادم وان الله قال لادم أهبط معك بيتي
ليطوف الناس حوله كما يطوفون حول العرش وان الله رفعه عندما حصل الطوفان والغرق في زمن نوح وان
ابراهيم تتبع الأثر وبناءه ... الخ

والرأي الثاني هو الأرجح لأن وضع فيه اشاره الي أن الذي وضعه هو الله في الأرض أو اشاره الي أمر الله أنه بني
بشأن مخصوص وهو للعباده اشاره الي أمر الله لابراهيم واسماعيل حيث أن الذي أمر بذلك هو الله والذي اوصل
المخطط هو جبريل والذي نفذ هو ابراهيم والذي ساعد علي البناء هو اسماعيل وبالتالي فإن هذا فيه فضل الكعبه

وذكر أنه للناس يعني عموم الخلق جنس البشر وبالتالي فإنه قبل ادم لأن ادم من الناس فدل هذا علي الغرض أنه
وضع للعباده والطاعه للبشريه كلها ليكون الاتجاه للعبادات

٢

(ببكه)

بيك من من الازدحام اي في مزداحم الناس بالطواف يزدحم بعضهم ببعض

وايضا فيه اشاره الي تيك اعناق الجبابره التي حاولت الاعتداء علي هذا المكان مثل حادثه الفيل فلم يقصدها اي
من الجبابره الا ابكنه

٣

مباركا وهدى للعالمين

بركه فيها معني النمو والزياده والبقاء والدوام رعايه من الله حيث افيض عليه من بركات الارض بأن جعل افئده الناس تهوي إليه من كل مكان ليرزق أهله من الثمرات مع انها في منطقته قاحله لازرع فيها وهي بركه دعوه ابراهيم (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاه فاجعل افئده من الناس تهويالي قوله وارزقهم من الثمرات لعلمهم يشكرون)

وعطف عليها (وهدي للعالمين)

النصوص تبين أن البيت قبله لكل الانام فهو قبله لكل المخلوقات الانس والجن قبله لكل الانبياء وفيه مضاعفه الثواب ومغفره الذنوب لأن البركه والهدى من صفات العطاء والفضل والرحمه وتوابها فالله يقول إن في الحج نمو الروح وتزكيه النفوس وطهارتها من الأوساخ فذكر (للعالمين)

جعله قبله للانام كلهم لبيان عالميه رساله الاسلام فهم يردونه ورود الانعام بالفزع ويلوذون بالطواف والعكوف و التزداحم لمدحه الشيطان الرجيم يبعده ويطرده فإله سبحانه وتعالى يذكرهم بالعهد المقطوع مع الانبياء فاختيار المكان الذي تنطلق منه رساله الاسلام من ضمن الأمور التي أخبر الله بها الانبياء فهم كما نعلم كان كل رسول يبشر بالرسول الذي بعده فعندما يأتي يكون معروف بتعريف من قبله فتلك هي سنه الله التي اتصفت بها تتابع ارسال الرسل فتسلسلت بتحديد عاصمه الرسول القادم واوصافه ليكون معروفا

وكانت بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إنجازا لوعده الله علي لسان رسله السابقين وهو من تمام نبوته لانه تعالي قد أنباء به أنه سوف يبعثه وحيا لانبيائه فهو مشهور الخبر والصيت من قبل حصوله معروف فأخذ الله علي النبيين ميثاقهم وهو مشهور بنعوته المذكوره في الكتب (النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والا نجيل)مكرما وقال تعالي (مله أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل...الخ

وعندما بعث الرسول صلى الله عليه وسلم كان العالم متفرق وقد انتشرت الأهواء والطوائف متعدده والناس بعيدون عن الحق يعبدون الأصنام ولا ينزهون الله في الصفات لكن الانبياء لم يهتموا امهم فهم قد ارشدوهم الي نبي اخر الزمان فأخبروهم بعلامات وامارات الدين الخاتم الوريث لمراحل التدبير في التاريخ الإنساني فهو يجمعها في قالب واحد فذكروا لهم العلامات والمكان الذي يظهر فيه

وهنا يقول لنا الله تعالي مفسرا الهدايه للعالمين (فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان امنا)

اي علامات بينه علي انه المكان الذي أعده الله ليكون عاصمه انطلاق افضل الرسالات الاسلام الذي أخبر تكم به الا نبياء والمرسلين حيث أن اليهود قالوا إنهم ينتسبون الي ابراهيم وانهم مسلمون علي دين إبراهيم عندما أنزل الله (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخره من الخاسرين)

فالله يخبرهم أن هذا المكان بناؤه ابراهيم وفيه مواقف خالده توقظ الفطره واثاره انوار العرفان لأن الله قد غرس في النفس الفطره عهد الذريه لكن الشيطان يصرف الناس عن قصدهم بالتوجه الي الهديه المغروزه في الفكر وهو يستعمل اللف والدوران كي يصرفك عن قصدك ولهذا فإن دور الرسل هو إيقاظ الفطره بإعادتها الي طريق الصواب يذكرها اذا نسيت فهي قوه اذا استيقظت قادره علي مقاومه من يعارضون المطلب الرباني فمهمه الرسل تحريك مدافن العقول كما ورد عن سيدنا علي رضي الله عنه لتكشف الاسرار لازاله الضباب والغيوم والأ وهام والخيالات التي تمنع رؤيه الانوار ولهذا فإن الرسل والأنبياء من خلال طلب حضور العقل لرؤيه الآيات الداله علي الصانع العظيم وهنا يقول لنا الله أن فيها آيات عجيبه داله علي عظيم قدرته وبالغ حكمته والأنبياء قد

أوضحوا لاممهم علامات رساله الاسلام التي أطلق الاسم عليهم إبراهيم ومن هنا فإن المواقف الباقيه آثارها صامده رغم الالف السنين تدل علي انه المكان المذكور في كتبهم أنه مناره وقبله لكل الانام فذكر (مقام إبراهيم) وهو اثار قدم إبراهيم عليه السلام في الصخره الصماء فهي معجزه عظيمه يقول لهم انكم تدعون أن دينكم هو دين إبراهيم فإن هذه الآثار تحكي لكم قصه ابراهيم ودينه الذي امره الله به ثم إن حفظ الله له من الجبابره وقصه أهل الفيل مازالت حاضره في الأذهان لتدل علي رعاية الله لها ومنها (ومن دخله كان امنا)

فالنصوص تبين أن الله جعل الحرام بلدا امنا قدر وشرعا فمنع عنه الجبابره ونحن نعلم أن أهل مكه لم يكونوا لديهم أي قوه عسكريه قادره علي الوقوف بوجه الطغاه فما الذي جعله بذلك الامان فقد كانت القبائل حولهم عرضه للخطف والأسر لكن مكه كان فيها امان وكذلك كان السائد أن أهل الجاهليه كانوا يسفكون دمائهم خارج الحرم فإذا دخلوا الحرم توقف القتال لدرجه ان الرجل يلقي قاتل أبيه فلا يمد إليه يداه احتراما لحرمة المكان دون وجود نظام ولا قانونين ولاسلطه تقوم بضبط سلوك الناس أن هذا كله لما أودع الله في النفوس من قداسيه المكان وغرس الشفقه في قلب كل من التجاء إليه

ثالثا

تمضي سياق النصوص بمناقشة قضيه ادعاء أهل الكتاب أنهم مسلمون وعلي دين إبراهيم بالرد المنطقي الذي فيه تفنيد الحجه وإيضاح حقيقه منهو علي دين الإسلام الذي سمي ابراهيم به أهل الدين العالمي الورايت لجميع مراحل الأديان والتدين في تاريخ البشريه فيقول الله لهم (ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)

فإن المولي سبحانه وتعالى يبين لنا أنه سبحانه فرض الحج علي الأنام يالهنون الله فيه يفزعون إليه بالطواف و العكوف والتزدامح فجعله الله علامه لتواضعهم واذعانهم لعزته فهو سبحانه وتعالى يبين أن الناس عند بعثته صلي الله عليه وسلم كانوا قد انحرفوا عن منهج الانبياء وأصبح دعاه للمشروع المدرسه الشيطانيه التي تقوم علي فكره محاربه المنهج حيث أن تعاقب الأجيال والمعركه مع الشر وكثره الفتن يحدث تجاذب قوه الخير والشر ولأن الحضاره الماديه يصاحبها انحطاط للقيم الروحانيه وتختل المعايير لدي الناس فيصبح ينظر إلي من يحمل القيم و المبادئ الروحانيه أنهم حمقاء وعندها تززع عن الناس الاعمه التي تقوم عليها سقوف منزل الايمان فيحصل اختلاف في الاصول فكل يرجع إلي اصل يظنه فيه الحق وهو بعيد عنه كما ذكر الله لتبرئه انبياءه (ايامركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون)

لبيان ان هذا الانحراف ناتج عن أمرين فساد التشخيص للداء والرضي بالعلل حيث يضيق المخرج علي صاحبه ويصاب الناس بالعمي فتكون مصادرهم هو الهوي والشهوات مصادر مجهوله لاتستند الي دليل

فالهدى يكون حامل والعمي شامل فيهم فيكون عصيان الرحمن ونصره الشيطان فيسقط سقوف الايمان بانهياب دعائمه وتتشوه معالمه وتنطمس اثاره فيصير الايمان منكرا من الناس لأنهم يرون اللصوص والملحدون اذكيا وأهل فكر ينهض بالبشريه فهم يقعون تحت سنابك أطراف اظافر الشيطان يدوس عليهم وحينها يصيبهم حميه العصبية والاعتزاز بالانساب فهم يزرعون الفجور ويسقونه بالغرور بطول الامل ويحصدون الهلاك ولهذا تأتي النصوص لتبين أن الحج محطه لدحر الشيطان وطرده محطه هدايه للوصول إلي هدايه الله الخاصه ترجم فيها الشيطان الرجيم بالجمرات وتتخلص من اوساخ الشهوات والأهواء بغرس التقوي في القلوب وهذا لا يكون إلا بالتواضع والخضوع والاذعان لعظمه الله فهو يقول (لكن يناله التقوي منكم) اي لن يناله سبحانه من الذبح لا اللحوم ولا الدماءشي ولكن يناله التقوي في قلوب الناس ولهذا اختار الله من خلقه أناسا استجابوا لدعوته وامتلوا امره فجعله علامه علي الاسلام بأن صدقوا النبي ووقفوا موقف انبياءه وتشبهوا بالملائكه الذين يطوفون حول العرش كي يحصدون الأرباح بهذه الصفقه مع الله بالفوز بالاتصال ب الله وهم المحتاجون لذلك ف الله لم يأمرهم لحاجه الي طاعتهم فهو غني وانما أمرهم بفريضة الحج رحمه منه وكي يأخذوا بهذه الاسباب للوصول إلي فضله ورحمته

وعطفه وإحسانه فقد جعله الله للإسلام علما وللعائدين حرما فهو بهذا يدحض مزاعم أهل الكتاب أنهم مسلمون علي دين إبراهيم لانهم عندما أخبروا أن علامه علي اتباع دين إبراهيم يكون بالحج والزياره ففي ذلك دحر الشيطان ومشروعه رفضوا القبول بالعنوان المعبر عن الإسلام فقال تعالي (ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)

فكل قادر علي الذهاب ويمتلك الزاد والرحله وجب عليه الحج مره واحده في العمر فهو يسير الي الله فقال تعالي (ولله علي الناس حج البيت) قصدا لزياره مريدا حمل المطلب الرباني ومقاوما للمشروع الشيطاني يلبس ملابس لإحرام الابيض يشعر بنفسه وهو يخرج من القبور ليقف أمام الله فهو فيه اشاره الي خروجه عن المألوف والتجرد عن الدنيا والتطهير من الأوساخ يقطع الطريق الي الله ليتصل بالله فقال (ولله علي الناس) ولم يقل في غيره كذلك لبيان ان السار الي الله بالحج يصل الي التوفيق والنجاح والنجاه والكرامات والدرجات

فذكر أن الذي يجحد فريضه الحج من كل الناس بإنكار وجوبه وجاهد له فهو يجسد مشروع مدرسه الشر ومؤسسها ابليس اللعين ويعمل ضد مراد الله والخطاب موجه علي الخصوص لاهل الكتاب يخبرهم أن القياده انتقلت الي امه الاسلام فيجب الاعتراف بهذا الفضل والشرف والكرامة التي اختص الله بها المسلمين والالتحاق بـ الصفوف وترك العناد والعصبيه فإن هذا منكم استكبار مثل ما فعل الشيطان الرجيم برفضه السجود لادم والا عتراف بفضله وبالتالي فإنكم أن جحدتم الأمر ورفضتم الاسلام فانتم قد زالت عنكم صفه الإيمان وصرتم خدما للشيطان وان الله غني عن الانام كلهم فلن ينقص كفركم من ملكه شي وانما انتم بحاجه الي رحمته

القسم الثاني

بعد ذكر انقسام أهل الأرض إلي قسمين قسم الذين يتبعون مدرسه الايمان والابواه المنهج الرباني الذي حمله جميع الرسل والأنبياء الذين خضعوا لأمر الله واذعانوا وامتلوا امره بعدما جعل الله الحج علامه علي من ينتسبون لمدرسه الايمان لانه موتمر عالمي يجمع المومنون من كافة الأصناف والألوان والأجناس واللغات يتلاقون علي أمر واحد طاعه الله وطلب رضاه أنه غذاء روحاني يزيل الاخلاط الرديئه التي توجد في مركب الإنسان المختلف فهو مخلوق من مكونات الأرض المختلفه من اليابس والرطب والحر والبرد ومن الخشن ومن اللين السهل ومن المالح والعذاب وقد كان صب الماء عليه وعجنه حتي التصق ببعضه واشتد وثبت ثم ركب العظام والمفاصل وصوره وجعله مستوي واودعه لدي الملائكه حتي إذا نفخ فيه روحه جعل فيه ملكات العقل والإدراك لتعمل وحدد لكل عضو وجزء منه مهمته لا يكتمل إلا بتحقيق الغايه من خلقها ولهذا فيه بيان الارتباط بين ذكر مساله الاطعمه التي يحتاجها الجسد الأراضي ثم ذكر مساله بناء الكعبه ووضعها للناس فإن محطه الحج غذاء روحاني لتنشيط النفوس لتقوم كل ملكه من ملكاته بدوره لتصل الي الفوز والجنه ومن يرفضون أخبرنا الله أن هولاء تابعين لمدرسه الشر وقائدها ابليس اللعين الذي اعترته الحميه وغلبت عليه الشقاوه التي هي ضد السعاده وهو اصابه الغرور بنسبه المادي واحتقر الصلصال الذي خلق منه ادم استكبارا منه فاعطاه الله العده بالانظار فقال إنك من المنظرين وتقرر بعدها تقسيم الانامل الي تابع للمطلب الرباني وتابع للمطلب الشيطاني الذي يعمل علي مخالفه المنهج الرباني وصرف الناس عن الحق الي الضلال بسلاح الغوايه واثاره الشك واجتثاث العزائم و الهمم وهذا السلاح هو ما استخدمه الشيطان في غوايه ادم وقد هبط ادم بعد أن علمه الله التوبه والندم والا ستغفار وغرس فيه الفطره القادره علي التوجه نحو الحق وأرسل الرسل والأنبياء الذين حملوا المنهج ولم يتركوا ا لإتباع مهملين بل عرفوا بمناهج الهدايه فذكروا نعوت الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته ولهذا يخاطب الله أهل الكتاب بصيغه الانكار والتوبيخ والتفريع لحال كفرهم فقال تعالي

(قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد علي ماتعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)

الأمر الأول

النداء لهم بأنهم أهل كتب سماويه وهم لم يهملوا من قبل الانبياء فقد كان كل نبي ينقل لأتباعه وصف من يأتي بعده وكلهم قد ذكروا وصف النبي الخاتم ومكانه وفضله فهو معروف لديهم فهم أصحاب دين ويدعون أنهم أهل التدين والايمن فيقول لهم كيف يصح هذا الادعاء وانتم في الحقيقه كافرون فانتم رفضتم تغير قراءتكم ونظرتكم بترك ماديكم من كتب والتحول الي القران فهو الوسيله لقراءه الأحداث لمعرفه مطلب الله فهو الدين المقبول بعد توقف العمل بالكتب السماويه السابقه فكيف تكفرون بالقران وبالرسول صلي الله عليه وسلم وتريدون الاستمرار ب العمل بما تم تعطيل العمل به فكيف يكون هذا منكم وقد نقل لكم انبياءكم أوصاف النبي الخاتم ومكانه وفضله وزمانه فهو مشهور لديكم لماذا لاتشعرون برقا به الله واطلاعه علي اعمالكم لأن الايمان ب الله ووجوده يعني الشعور بوجوده لتكون حركتك بناء علي هذا الشعور وتكمن اهميه الشعور بوجود الله هو أنه يحدد نوع الفاعليه للحركه هل هي ايجابيه أو سلبيه فالذي يشعر بوجود الله تكون حركته ذات فاعليه ايجابيه وأما الذي قد فقد الا حساس بالمسؤولية فإنه لايشعر بوجود الله وبالتالي تكون حركته كلها باتجاه خدمه عصبه العمل الشيطاني فجهلوا حق الله واتخذوا اندادا من دون الله

فوجد التهديد من الله لهم علي رفضهم الاسلام وتكذيبهم بآيات القرآن الكريم ومنها آيات الحج والعلامات والايات في التوراه والانجيل الداله علي نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وان تكذيبهم عن علم ومعرفه فذكر التهديد بصيغه المبالغة (والله شهيد علي ماتعملون) بأنه مطلع علي أعمالهم وحاضر فيهم وناظر الي افعالهم فهم قد أصبحوا قابلين بالعلل راغبين بالضلال غير ناظرين أن الله يحصي أعمالهم وسوف يجازي عليها وكيف يكون منهم الرضي بالعلل وهم أهل كتاب يفترض أن يكون القراءه منهم للأحداث بالنظر الي المطلب الذي يتحرك المرء متجها نحوه فمن خضع واستسلم لأمر الله وحصل الاتصال ب الله من قبله فظهرت اثار عمله بأنه يحقق المطلب الرباني بالاخذ بمنهج الله المقبول والدين المعتمد فهذا عمله يكون موافقا لمراد الله وان الذي يرفض القبول بأمر الله ويرفض التحول الي الاتجاه الذي يحقق المطلب الرباني فهذا يصبح مراده غير مراد الله وانما يعمل لمشروع الشيطان الذي من أهدافه مخالفه المنهج الرباني فقال تعالي (قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)

كيف تتدعون انكم أهل دين وانتم تقفون في طريق المومنين مانعين لهم من الإيمان لبيان ان هدفهم الاضلال لغيرهم وصد الآخرين من المومنين عن الإيمان والقاء الشبهات التي تزرع الشك فانتم تريدون السير في طريق معوج بدل طريق الله اليس هذا مخالفا لما حملة الانبياء من منهج مهمته ارشاد الناس الي الطريق المستقيم الذي تصل به الي الله مهمته اعاده الفطره الي حالتها التي خلقها الله تعالي فهذا هو الطريق الوحيد للوصول إلى الله تعالي وغيره طريق اعوج غير مستقيم ولهذا فإن تجنيد أهل الكتاب أنفسهم كي يحرفون الناس عن منهج الله هو خروج منهم عن الاستقامة وخروج عن دائره الايمان فالنصوص تبين أن لديهم رغبه في صرف الناس عن الحق الي الكفر وان هذا ليس ناتج عن إهمال من انبياءهم لا ليس الأمر كذلك وانما أهوائهم ارغامتهم علي الانحراف وارده طريق غير طريق الله لانهم اصابهم الحسد والكبر والعناد فأصبحوا بين فتن داستهم ووطتهم فأصبحوا تدوسهم أطراف اظافر اقدم الشيطان فأصبحوا يزرعون الفجور باغترارهم بامهال الله فتصوروا أن محاربه وصد الناس عن الإيمان سوف يمنع انتقال القيادة الي المسلمين فكان حصد عملهم فساد التصور والضمير والحياه و السلوك فساد عم الحياه كلها وهم (وانتم شهداء)

كانوا علي علم باليقين الجازم أنهم يكذبون في كل ما يفترون فأصبحوا يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف حتي صار عملهم كله فجور ولهذا يهددهم الله تعالي (وما الله بغافل عما تعملون)

بعد أن قال (والله شهيد علي ماتعملون) لبيان انه مطلع وان الامهال الذي اغتروا به ليس أن الله غافل عن أعمالهم وانما هو استدرج وبعدها سيكون حصاد اعمالكم الويل والهالك و الثبور

الأمر الثاني

أن النصوص تكشف لنا حقيقة العدو وأغراضه وأهدافه أنه عدو لديه تفوق علمي فهم أهل كتاب فقال تعالي (قل يا اهل الكتاب) حيث أن هذا الخطاب فيه توبيخ لهم بأنهم أهل كتاب وفيها اشاره الي استمرار الجدل منهم و اللجاج ولهذا لم يقل تعالي مباشره يا اهل الكتاب مثلما نجد الخطاب للمؤمنين يا ايها الذين آمنوا... لكن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبلغهم (قل يا اهل الكتاب)

يعني أنهم ليسوا جديرين أن يتخاطب معهم مباشره فهم مستمرين بالجدل واللجاج حتي بعد أن أقام الحجه عليهم بأن الدين المقبول هو الاسلام وان القيادة قد انتقلت الي مركزها الطبيعي الذي أعد من قبل خلق الناس فهي اي البقعه التي اختارها الله لتكون منطلق رساله الاسلام في مكه اول بيت وضع للناس أي للجنس البشري وادم هو من الجنس البشري فهي وضعت لتكون المكان الذي يجتمع العالم كله حوله في مرحله النضوج البشري ولكنهم مازالوا يرفعون أصواتهم بالجدل واللجاج وهنا يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم (قل) توجيه إليهم بهذا السؤال لإنكار حالهم فهم أهل كتاب وعلم والمفترض أن يبادروا الي الايمان فلماذا يلجأون الي تشويه المعلومات الموجوده في كتبهم عن الحج والكعبه ونبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وآيات القران الكريم عموما

لماذا هذا السلوك منهم في محاوله اخفاء الحقائق الوراده في التوراه والانجيل الموكده صدق النبي صلى الله عليه وسلم فالاصل أنهم أهل كتاب سماوي أن يبادروا الي الايمان

يقول الله محاوله هولاء تزييف الحقائق واخفاء المعلومات وتشويه صورتها ليس ناتج عن نقص المعلومه أو فساد التشخيص لا بل يعود إلي اردوا وعمدوا الي تشويه المعلومات لأنها جاءت خلافا لرغباتهم فهم كانوا يريدون أن يبعث النبي الخاتم منهم

ولهذا نجد أن المولي يفند الأسباب والبواعث الكامنه وراء قيامهم بتشويه المعلومات

أن هولاء قد تخلوا عن دورهم في حمل الامانه ولهذا فهم يحاولون بكل جهد اخفاء الحقائق برغم قيام الاداله القاطعه فهولاء غير جديرين بالاهتمام فهم يرفعون أصواتهم بالجدل واللجاج ولهذا قال (قل) مثلما تقول انت لمن بجاورك أن يبلغ شخص أكثر من اللجاج رافعا صوته فتقول له أخبره أن يخفض صوته ويتادب فرفع صوته لن يدحض الحجج والبراهين القاطعه ولن يستطيع أن يستترها برفع الصوت مكذبا بها فالجدل منهم ليس ذي جدوي

أنهم قد تخلوا عن امانه العلم الذي حملته التوراه والانجيل فلم يحفظوا العهد وحاول اخفاء البشاره بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم واخفاء حقيقه الاسلام وان الكعبه المشرفه هي المكان الذي يجتمع العالم كله حوله ولم يلتزموا بما تعلموا ودراسوا فيقول لهم الله ما الاسباب التي حملتكم علي الكفر اذا كانت الامانه أمر طبيعي من مكونات الفطره البشريه فكل مخلوق ينفر من الخيانه فما هي الاسباب التي تجعلكم لاترعون اداب الامانه في حمل الكتاب أن ميزان العدل يكون بالنظر الي المطلب الرباني (ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين) وانتم تحاولون انكار مكانه الكعبه وتريدون الافساد بالأرض فهذا ليس من صفات اهل الكتاب فهذا السؤال الذي ينكر حالهم فيه من موقفهم من دعوه الاسلام أنه أمر لا يليق ولا يصح أن يصدر من أهل الكتاب

٢

يقول الله أن هولاء اردوا تشويه المعلومات لأنها جاءت معارضه لرغباتهم فهم كانوا يريدون أن يخرج النبي الخاتم منهم فلم خرج من امه العرب اصابهم الحسد وهم لا يشعرون بالرقابه فتسرب الي قلوبهم الخيانه ولهذا يقول لهم الله تعالي (والله شهيد علي ماتعملون)

أنه تعالي هو من انزل الكتاب وهو شهيد علي افعالهم فمن الخطاء أن يقع أهل الكتاب في هذا الغلط فالله لا يخفي عليه شي والإنكار جاء فيه الاظهار في موضع الاظمار لتربيته المهابه للتحذير لنا من غياب عنصر الرقابه بأنه

يكون سببا لتسرب الخيانه وترك الامانه فيقول عليكم استحضار رقباه الله فهو حاضر ومطلع وان العمل الذي يقومون به يخالف طريق الأديان

٣

يقول لنا الله أن هولاء يعملون وفقا لرغباتهم فهم عندما وجدوا أن المعلومات التي طالما قد أخبروا الناس بها عن مكان وزمان النبي الخاتم جاءت معارضة لرغباتهم ومصالحهم فإنهم حاولوا تشويه المعلومات فقالوا إن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس هو النبي المذكور في التوراه ورفضوا الاعتراف بالتوقف بالعمل بالتوراه ولهذا تذكر النصوص اساءه استخدامهم قوه الغضب فذكر (لم تصدون عن سبيل الله من امن) والصد هو المنع والصدق هو المحاوله تشويه المعلومات الحيلوله فالسؤال لما تلجأون الي اضلال المومنين وصرفهم وإعادتهم الي الكفر أو محاوله تشويه المعلومات بتكذيب البشاره أو منع الناس من التوجيه الي الكعبه يقول إن تصرفات هولاء غير مدروسه العواقب أنهم لا يريدون أن يحصل التقدم والارتقاء والتطور يريدون الرجوع إلي الوراء برفض القبول بنسخ التوراه والانجيل

وهنا يكشف الله عن التخبط لديهم وانهم تداعت قلوبهم الي أهواء الباطل والميل الي الدنيا والتنافس عليها كيف أنهم تخلوا عن دورهم وقسموا المومنين الي اقسام وهم في الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته لكن دفعهم الحسد الي اتباع الهوى ومحاوله صناعه الازمات أمام طريق المومنين أنهم يريدون نشر الفوضى فقال تعالي (تبغونها عوجا)

اي تطلبون تصوير طريق الهدايه بصوره زائفه وباطله فالنصوص ترسم لنا مشاعر هولاء بأنهم يريدون تشويه المعلومات وتدمير قيم ومبادئ الايمان فهم أصبحوا يؤره التآمر وبيئه لاقتناص الفرص المتاحة لصرف المومنين عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاولين الانتقام وتدمير موسسه الايمان يسعون الي صناعه الازمات واثاره الشبهات والشكوك لاحداث الفوضى والاضطراب بين المسلمي فهم يريدون صرف الناس عن طريق الاسلام المستقيم الي طريق معوج يهدف إلي اطاله المسافه لأن الطريق المستقيم مختصر وهولاء يريدون الانحراف و الميل يريدون أن يسلكو طريق اعوج ملتوي وهم يريدون الباطل

ويستنكر حالهم ذلك كيف يسقطون عدالتهم فهم شهود(وانتم شهداء) يعلمون أن ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو الحق وأن فيهم من يقتدون بهم فالضعينه هي التي حملتهم علي ذلك ولم يحترموا أنفسهم أنهم حملوا الامانه فاي سبب فرطوا به أنهم فضلوا المصلحه الحاليه علي ما عند الله ولهذا جاء التعقيب (وما الله بغافل عما تعملون)

انكم مسؤولون أمام الله عن اعمالكم وعن الامانه والله سوف يحاسبكم علي اعمالكم فهو يهمل ولا يهمل فلا يغرنكم طول الأمل والامهال فالاولي (والله شهيد) كانت لأن أعمالهم ظاهره وهي الضلال أما الثانيه (وما الله بغافل عما تعملون) فيها قيامهم بالاضلال للآخرين وهي في الخفاء وان حالهم كان فيه تمادي منهم وايضا لأن المعلوم أن الناس كلهم ينفرون من الكذب ولايقبلون به في الحالات الطبيعیه اذا خلا من الانفعالات النفسانية التي تدفعه الي الكذب لانه يري ان الصدق فيه ضرر يلحق به ولهذا يقول الله لهم عليكم التخلص من الانفعالات النفسانية التي تدفعكم الي تزيف الحقائق فانتم تريدون أن يبقي لكم القياده الدينيه ولذلك تطلبون أن تروا الطريق معوج تريدون الابتعاد عن الوصول إلى الغايه لأن الطريق المستقيم مختصر ولهذا فإن عليكم إدراك انكم في قبضه الله وسوف يحاسبكم علي اعمالكم فلايغركم الامهال فانتهوا وليكن الشعور بالمسؤولية عن اعمالكم سببا للتخلص من الانفعالات النفسانية التي تدفعكم للكذب ونزيف الحقائق فجاء الرد مناسبا لذلك

القسم الثالث

تأتي نصوص هذا القسم بعد أن تناولت ما كان من أهل الكتاب من حجود رساله الاسلام وانكارهم انتقال القيادة الي امه الاسلام ورفضهم الاعتراف بفضل الكعبه وانها البقعه التي اختارها الله لتكون منطلق رساله الاسلام في قياده العالم في مرحله النضج البشري ولهذا جاء التحذير للمومنين من طاعه الأعداء وقبول نصائحهم كاشفا للمومنين حقيقه العدو وأغراضه وأهدافه الخبيثه وبواعثه وكيفيه مواجهته والاحتماء من سلاح هذا العدو فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمه الله عليكم اذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم علي شفاء حفره من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امه يدعون الي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم

اولا

أن المتأمل للنصوص يجد أنها ابتدأت بالنداء المباشر من الله تعالي للمومنين ياايها الذين آمنوا...بعكس ماورد بتبليغ اليهود (قل يا اهل الكتاب)

وهذا فيه تذكير لهم بالعلاقه التي تربطهم بالله الابمان التي فيها الشرف والكرامة والفضل للمسلمين فيه التحذير من الانفتاح علي الأعداء في العلاقات بقبول النصائح منهم في مساله مرتبطه بسياده الدوله وقيم الدوله من سياده الشرع وسياده الامه والاخوه والشوري وغيرها أمر غير مقبول يقود الي التخلي عن دوله الموحدين والايمان والرجوع الي مرحله الكفر والعوده الي الورا حيث نجد أن النصوص نزلت بمناسبة أن الشيخ اليهودي شيام بن قيس شاهد الاوس والخزرج مجتمعين برابطه الاسلام فساءه ذلك وهو شأن كل اليهود حيث والحال أنهم قبل مجئ الاسلام كان لديهم تفوق علمي نظرا لأنهم أهل دين وكان لديهم تفوق اقتصادي ربوي سيطروا علي المال وكان لديهم خبره ومهاره في صناعه الاسلحه والحروب فكان لديهم قلاع وحصون لمواجهة التحديات والصعوبات في كان العرب لديهم ندره علم وندره مال وندره خبره فهم لم يحظوا باي شي من العلوم منذو فصلهم ابراهيم عن بني إسرائيل ولم يحصلوا علي شي من ارث اسحاق المهم هنا أن الله اختار امه العرب لمهمه عظيمه مرتبطه بمرحله النضج البشري فجعل دورهم في اخر الزمان ولهذا فقد مثل ظهور الإسلام ثوره حقيقه فجاءت العالم وكانت معجزه أذهلت العالم بما أحدثت في العربي المتوحش من تحول إلى انسان أخلاقي رباني علي يد معلم البشريه النبي صلى الله عليه وسلم وأصبح قادرا علي اداره الدوله وتوالت الآيات تنزل لتربيه المومنين وتأهيل الكوادر القادره علي الاضطلاع بالمهمه ونزلت التشريعات التي نظمت أحوالهم وحركتهم وكان حدوث التطور المالي الاسلامي العادل والقضاء علي النظام الربوي الظالم الذي كان يسيطر عليها اليهود كما ظهر المسلمون بعد بدر بان لديهم مهاره وخبره عاليه في القتال وقدرتهم علي السيطرة على الأحداث فقال تعالي لليهود كما ذكرنا في مقدمه السوره (قد كان لكم ايه في فئتتين الخ

وبعدها كان اعلان أن الإسلام هو الدين المقبول عند الله وهو القائد للعالم وكان التحول الي الكعبه مركز قياده العالم والأمم فقد أصاب ذلك اليهود بالحسد والحقد والرغبه في تدمير مشروع دوله الموحدين لقد اصابهم الهلع وهم يشاهدون نمو دوله التوحيد ولهذا فقد قام هولاء بإعداد الخطط والبرامج بعد دراسته لضرب كيان دوله الموحدين من الداخل اردوا هزيمه الدوله من داخلها فقام هذا الشيخ اليهودي باثاره مافي النفوس من انفصالات فذكر الاوس والخزرج بما كان بينهم من حروب قبل الاسلام وصعد الموقف بينهم حتي وصل الأمر الي رفع السلا ح بينهم البين فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اترجعون الي الجاهليه وانا بين اظهركم وقد أكرمكم الله ب الإسلام والف بين قلوبكم فالقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا

وهذا فيه

الأمر الأول

أن عليك أن تدرك أن العدو يريد استئصال دوله الموحدين فلاتتق بإظهار الصداقه وأنه يريد لك النصح ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بالنداء المباشر من الله للمومنين يايها الذين آمنوا...بعكس الخطاب مع اهل الكتاب فقال للرسول أن يبلغهم (قل يا اهل الكتاب)

حيث أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا أن شرفكم والفضل الذي اختصكم الله به هو هذه الرابطة التي تربطكم بالله الايمان وبالتالي فإن عليكم الحفاظ علي هذا الشرف وصيانتته من الضياع فالأمر في غاية الاهميه فانتم مطلوب منكم الإنتباه الي ماسوف امركم به أن أردتم الحفاظ علي الفضل والشرف الذي اختصكم الله به

ولهذا فإن هذا النداء مباشره للمومنين فيه طلب الاهتمام وحضور القلب والسمع لتفهم مأسوف يأتي فهو مرتبط بتلقي الاوامر المرتبطه بالعهد فيجب عليك أن تحسن التلقي للتوجيهات وتحسن التنفيذ

وهذا فيه

١

التنبيه علي اهميه الوعي بخطوره المرحله التي تمر بها الامه وهو مايجب علي الامه الإنتباه إليه في كل مكان ولهذا فإن هذا النداء المباشر فيها اهميه الاهتمام فالمسألة تحتاج منك الي قوه تلقي وقوه استماع وقوه فهم لماذا ؟

لأن القضية التي تطرحها النصوص بعد النداء مهمه للغاية لاتهاون فيها فعدم الاهتمام بها وعدم الجديه في التعامل مع ما فيها من توجيهات تزيل عنك صفه الإيمان فهي حقيقه متعلقه بهذه الحقيقه

فانت ايه المسلم مكلف بقياده العالم ولهذا كان انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الي المدينه المنوره لأجل اقامه دوله الموحدين ولهذا وقد كان من اسس اقامه هذه الدوله هو المؤخاه بين المهاجرين والأنصار ولهذا فإن عليكم الحفاظ علي مقومات دوله الموحدين ومنع أي تشقق أو صدوع في كيانه

٢

غرس حب الايمان في النفوس والدفاع عن القيم العليا

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى بهذا النداء المباشر للمومنين يذكرهم بعلاقه الايمان التي تربطهم به يقول لك ايه المسلم أن مقتصي الايمان يتطلب منك الإنتباه من أن يتسلل هذا العدو الي كيان الدوله فهو يسعي الي أن يسقط منكم القرار ليكون بيده يريد أن يسيطر علي وجدان المسلمين ويتخذة سلاحا لشق صفوفكم كي يعود له القوه التي سلبت منه بظهور الاسلام

٣

تعريف المومن بدوره القيادي واهميه التوحيد في كيان الامه وتعريفه بسلاح العدو ولهذا فإن النداء فيه تنشيط قيم الايمان لإيقاظ المومنين فالمولي يقول لك أن منزلتك ورفعتك هي بالإيمان ولهذا عليك أن تفهم أن العدو سوف يلجأ إلي استعمال سلاح ناعم لاتشعر به لأجل السيطرة علي وجدانك أنه سوف يحاول كسب ثقته تحت مسمي الصداقه وهدفه هدم كيانه من أجل أن يسلبك مقامك وشرفك الذي منحك الله إياه لتكون انت المعلم وهم التلاميذ لكن هولاء سوف يلجأون الي استعمال وسائل تجعلك انت تقف موقف التلميذ وهم يصبحون في

مكان المعلم فاحذر ذلك فقال تعالى (أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب)

يقول الله احذروا من ذلك انتبهوا فالمسألة خطيرة اذا حصل لهم ذلك فقد تمكنوا من سلاح فتاك يقضي عليكم
ويزيل عنكم الشرف والفضل (الايمان)

ولهذا يقول الله لنا عليكم أن تفزعوا وتنتبهوا لخطوره الموقف أن كنت تريد الحفاظ علي منزلتك فمقتضي ايمانك
يوجب عليك الإنتباه والذود عن شرفك وقوتك وصيانتة من الآفات التي تفتك به أن انت تساهلت في ذلك فالنداء
يايها الذين آمنوا..وقوله (يردوكم بعد ايمانكم كافرين)هي مثل ماتقول انت لشخص أن مقتضي رجولتك أن تدافع
عن محارمك ونسائك فلا تسمح للآخرين أن ينتهكوا عرضك فكيف تقبل ذلك وتداعي الرجولة...وهنا يقول الله أن
مقتضي الايمان يوجب عدم قبول النصائح من الأعداء في المسائل المتعلقة بالدوله والقيم والمبادئ التي
تقوم عليها دوله الموحدين فلا تتساهل في ذلك لأن الانزلاق في ذلك المنحدر ينتهي بك الي الكفر والعوده الي
الذل والهون

الأمر الثاني

يأمر المولي سبحانه وتعالى المومنين باليقظه والحيطه والانتباه لمخططات الأعداء ولهذا يأمرهم بالعمل الوعي
علي الحفاظ علي مكتسبات الايمان التي انعم الله بها عليهم ولهذا يكشف الله لهم عن خطط الأعداء و

يقول لنا أن الأعداء لديهم برامج وخطط وأدوات وافكار ووسائل وأساليب وغايات وسياسيات وأهداف لضرب
قوه دوله الموحدين والقضاء علي قوتها فعليك أن تحذر من ذلك

يقول لنا أن هولاء لديهم مهندسون متخصصون في صناعه المكائد والمراومات للقضاء علي دوله الموحدين فقال
تعالى (أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب)

ذكر الفعل المضارع تطيعوا للإشارة الي أن هذا الفعل سوف يتكرر في كل زمان

وذكر لفظ (فريقا من أهل الكتاب)

وهم العلماء منهم ليقول لنا أن لديهم مهندسون متخصصون في صناعه الازمات واختلاق الشبهات والفتن وهذا
الفريق لديه قدره علي احداث النتيجة والهزيمة الداخليه فيكم اذا تساهلت في أمرهم فهم يستعملون سلاحا فتاكا
قادر علي اثاره مكامن الانفصالات في النفوس كي يجدوا ثغره لينفذوا منها فالمعلوم أن من قام بمحاولة اثاره
الفتنه بين المسلمين الاوس والخزرج هو شيخ يهودي كان عارفا بما كان فيهم من عدواه في الماضي ايام حرب
بعث فاستخدام هذه المعلومات لأجل الاستيلاء علي وجدان المسلمين وهنا يكمن الخطر الذي يجب أن تحذر منه
ايه المسلم أن النفوذ من هذه الثغره اذا لم تقوم بتحسينها لها اثار سلبيه خطيره فالنفس عندما تفقد السيطرة علي
انفعالاته ويكون صرف اهتمامها عن ماهو فيه منزلتها ومكانتها وشرفها الحقيقي بالارتباط ب الله فانها تنحرف الي
تمجيد اثار الماضي الذي يجعل اهتمامك قائما بأفاق ضيقه تفسد قراءتك للأمور وينتج عنها تمزيق قوتك لتصبح
العوبه في يد الأعداء ولهذا لولا تدخل الرسول صلى الله عليه وسلم لكان تمزيق الدوله من قبل الأعداء بكل سهوله
دون أن يخسروا حتي قنيل واحد منهم لقد خططوا لهدم دوله الموحدين من خلال اثاره الفتن للوصول الي مرحله
الاقنتال بين المسلمين وهذا الحال موجود اليوم في واقعنا انظر كيف أن الاستعمار للعراق مزق المجتمع المسلم
الي طوائف ومذاهب متعدده متناحرة تتقاتل مع بعضها فأصبح العراق اليوم مسرحا لسفك دماء المسلمين بينهم
البيين بعد أن كان دوله قويه سلاح العدو هو فرق تسد فلا تثق به ولا بما لديه من مناهج فهم لا يريدون لك الخير

الأمر الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يعيظنا هذه تجربه لتكون لنا درسا نتعلم منه كيف نواجه الأعداء ونعرف حقيقه الأ

أعداء ويرشدنا الي القوه التي فيها الصيانه لنا من هولاء ومن خططهم

يقول لنا أن هذه التجربه التي خاضها المسلمون الأوائل بين ظهراني رسول الله صلى الله عليه وسلم هي نموذج تعطيتكم مناعه في كل زمان ضد المومارات التي يصنعها الأعداء

فاللازم عليكم استحضار هذه التجربة في كل موقف تسمعون من الأعداء أفاظا وكلاما معسولا فإذا كان متعلقا بمسائل الدوله وقيم ومبادئ الايمان والعقيدة والتشريع والنظام الاسلام فعليكم الإنتباه عليكم اعاده كل أمر الي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتعرفوا الحكم

وهذه التجربه هي لمواجهه مخططات الأعداء التي لن تتوقف فهي تكشف عن بواعث الأعداء أنهم يحسدون مااختصكم الله من فضل الايمان كما أن عليكم اتخذها علما يكون بها تحويل المحنه الي منحه بحسن اداره موجهات مخطط العدو فلا تودي الازمات الي تصدع الصفوف

فعليكم استحضار موقف الرسول صلى الله عليه وسلم عندما حضر الموقف كيف أنه حول موقف الصراع واشهار السلاح الي موقف العناق بين المسلمين

فكان احسن يوم بهذا العناق وهم يبكون علي ماصدر منهم أن حسن مواجهه الرسول للموقف أعاد الواجدان الي ماكان عليه بعد أن كان اخس يوم

فالله يقول لنا أن هذه التجربه يجب أن تكون حاضره في الأذهان لتخافظوا علي وحدتكم ودولتكم فلا تسمحوا لأعداء بالتسلل الي كيان الامه وبث السموم وكيف يكون ذلك منكم والقرآن يتلي عليكم والرسول صلى الله عليه وسلم فيكم تشاهدونه ولديكم السنه النبويه فانتم اذا حصل نزاع بينكم لديكم مرجعيه القران والسنه النبويه لتحلوا النزاعات فقال تعالي (وكيف تكفرون... الخ

ثانيا

مما سبق يتضح لنا أن النصوص تناقش مساله هامه متعلقه ببقاء دوله الموحدين فالرسول صلي الله عليه وسلم هاجر إلى المدينة المنوره لإقامة دولة الإسلام ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يذكر التحذير للمومنين من طاعه الأعداء في صيغه تحذير فيه فزع مشاعرهم (أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) ويكشف عن البواعث وهو الحسد فهم يريدون تغييب الروح الاسلامي عن حياتكم يريدون إفراغ عناصر القوه التي لديكم عن مضمونها لديهم مشروع ممنهج يسعي الي توظيف الطاقات والقدرات والامكانيات التي لديكم ومواقع العمل لتخريب القوه العلميه والاقتصاديه والخبرات التي لديكم لتعودوا الي الضعف والشتات الذي كنتم فيه بالجاهليه ليكون لهم التفوق عليكم كما كنتم سابقا

ولهذا تأتي النصوص بعدها (وكيف تكفرون وانتم تتلي عليكم ايات الله وفيكم رسوله)

أن النصوص جاءت بالسؤال (وكيف) استفهاميه تعني استبعاد حصول الكفر منك حال أن القران ينزل والرسول صلى الله عليه وسلم أمامهم يشاهدونه وهذا فيه

الأمر الأول

اهميه الحفاظ على روح الاسلام في كل حركه تتحركها بالحياه بان يظل روح الاسلام حاضرا في كيان الامه و الحفاظ علي القيم والمبادئ العليا التي تقوم عليها دوله الموحدين من دون إفراط ولاتفريط فالمولي يحذر الامه من السقوط في الغوغائية فهذا التحول الخبيث أن حدث فهو ارتداد الي الجاهليه فالنصوص تربط مساله التفريط بدوله التوحيد وسقوط قرار الامه بغياب التوحيد عن دوره في حكم العلاقات المختلفه في كافة مجالات الحياه و

التي منها الحفاظ على وحده الامه ولهذا فإن تقسيم الامه الي قوميات عوده الي الكفر عوده الي الذل والهون . ولهذا يقول المولي لنا كيف لكم إن تنزلقوا الي هذا المنعطف والقرآن الكريم ينزل عليكم فهو رحمه لكم وبه كان التحول منكم من حاله التوحش والهمجيه الي ما انتم عليه من الأخلاق والرسول فيكم بعلمكم الكتاب والحكمة

أن هذا الأمر غير لائق بكم ولا يتصور حصوله منكم فكيف يكون منكم العوده الي الجهل والتخلف بعد أن حصل لكم التحول الي العلم والنور وحصل لكم الانتقال والعبور الي مستويات عالية من المعرفه والتربيه

الأمر الثاني

أن النص فيه اشاره الي انه بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يكون هنالك تفريط بدوله التوحيد ودخول المسلمين في مرحله الغثائيه والغوغائيه ولهذا فإن هذه التجربه هي لتربيه المومنين حيث نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول (وكيف تكفرون وانتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله)

وفعلا فقد ظلت دوله الموحدين قائمه في حياه الرسول صلى الله عليه وسلم حتي واقعه صفين وحصول عض الشوري والتفريط به كان سقوط دوله الموحدين ودخلت الامه بعد ها في مرحله جديده حيث أصبح التوحيد في القلوب ولم يعد له دوله لأن التفريط بالشوري يعني تفريط لسياده الامه وحققها في ممارسة اختيار الحاكم وهو مالم يتجراً عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو في حجه الوداع كان يعلم أنه سوف ينتقل إلي الرفيق الأعلى فقال لعلي لا ألقاكم بعد عامكم هذا لكنه لم يقوم بتعيين من يخلفه ترك ذلك الحق للمومنين وهو صلي الله عليه وسلم قال (لتنقضن عري الاسلام عروه عروه كلما نقضت عروه تمسك الناس بالتي تليها اولهن نقضا الحكم واخرهن الصلاه .. الخ

وقد كان أول عمل بدء به الرسول صلى الله عليه وسلم اثر تحول المسلمين الي دوله هو بناء المسجد بمساعدة المسلمين والمؤاخاه بين المهاجرين والأنصار بعد أن جمع الاوس والخزرج المتقاتلتان في إطار واحد سماه الأنصار

ولهذا فإن النصوص فيها التحذير من التفريط بدوله الموحدين وصيانتها من التصدع فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول في حجه الوداع (تركتم فيكم ما أن تمسكنم به لن تضلوا بعدي ابدأ كتاب الله وستتي)

وقال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)

اي أن منتهي الكمال هو الاسلام الذي تكون فيه لله وحده لا شريك له ولهذا نجد أن الله تعالى يقول (ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم) واصل العصمة المنع من الوقوع في افه وهذا للحث علي الالتجاء الي الله لدفع شر الكفار ولهذا قال فقد هدي الي صراط مستقيم اي وفق الي طريق مستقيم غير معوج فيه النجاه والسلا مه والفوز فهي مثل قوله تعالى (فما ينزغنك من الشيطان نزغا فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)

الأمر الثالث

فالمراد بالاعتصام هنا التوحيد اي اللجوء إلي الله تعالى فالمعني يختلف عن الاعتصام بحبل الله الذي سوف نذكره لاحقا المتعلق بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فيكون الاتصال بالله وعبادته كأنك تراه تستخدم ملكاتك في عبادته الله

فالنصوص ترشدنا الي ترك التعصب وان تستقيم علي الحق فأنت بحاجة إلي حمايه الله ورعايته من الانحراف في طريق المغضوب عليهم الذين اخفقوا بسبب الإفراط في استعمال قوه الغضب فصاروا مثل السباع انت بحاجة للحمايه من الضلال الذي أصاب النصاري نتيجة الإفراط في استخدام قوه التسامح فصار مثل البهائم لكن الاسلام هو عقيدته الوسيطة والاعتدال فطريقه هو الطريق الموصل الي الكمال ولهذا فالمسلم يدعو الله (اهدنا الصراط

المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد ذكر الكعبه التي تقع في منتصف الأرض بالإشارة الي الوسيطيه والاعتدال لماذا لأن المهتمدون هم الذين يستعملون غضبهم ومحبتهم في الله ولاينقادون للهوي

فالمراد بهذا الاعتقاد الصحيح بوحدانيه الله تعالي وهو العدل الذي يرغب به الإنسان بلا إفراط ولاتفريط اي منهج الوسطية وانما أسماه وسط لانه فيه الهدى اي لزياده فيه ولانقصان

فالاستقامه إنما تكون بالوصول الي الله والقرب منه وهذا إنما يكون بعد تخليه قلوبنا من اوساخ الشهوات والأهواء والعصبيه وحرق كل الأصنام التي بداخلنا كما قال تعالي (قل إن كان أبؤكم وابتؤكم وابتؤكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها الخ لبيان انه يجب تنظيف النفوس من كل الاشياء التي تعلق بها النفس للوصول إلي الاستقامه فلا بد أن يكون الحب كله لله بأن تموت اردتك بين يدي الله بالاستقامه الحقيقه التي تغلب الشهوات فالاستقامه هي كما قال تعالي (بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن) بان نتفاني في ابتغاء مرضات الله نشترى رضوانه بنفوسنا واموالنا كي ننال رحمه الله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله

ثالثا

أن النصوص تبين لنا اهميه اعاده ترتيب بناء أفكارنا لمواجهة التحديات التي يصنعها الأعداء فيقول لنا المولي سبحانه وتعالى انكم بحاجة الي الاعداد المناسب والمعلم المناسب والمنهج المناسب لمواجهة التحديات فانتم محاطون بالمؤمرات ومهددون بالاختراق من كل جهه فاضافه الي اعداكم من أهل الكتاب هنالك قائد الشر فهو قد توعد بأن يبذل جهده كي يوقعكم في الضلال من كل جهه لأجل أن يحرفكم عن الصراط المستقيم فقال تعالي مخبرا بما يريد ابليس (لاقعدن لهم صراطك المستقيم)وقال تعالي (ثم لاتيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ... الخ

ولهذا فأنت بحاجة إلي وضع حواجز تصون فيها نفسك من هذه المخاطر انك بحاجة الي الاعداد الذي يجعلك قادرا علي القيام بمواجهه التحديات واحتواء الازمات وربط عناصرها بحيث تكون قادرا علي تحويلها والحد من آثارها وايضا ربط ذلك بالمسؤولية بحيث لاتنحرف عن قيم الايمان

فعليك الشعور بالمسؤولية وانت تقود المركبه فلا تسقط في الطريق بالانحراف فالعدو يتربص بك ولهذا فأنت بحاجة إلي

الامر الاول

منبه صوتي يرن داخل كيانك يمنع نفوذ سهم الشيطان الي كيانك وهذا الصوت إنما يكون في التقوي فقال تعالي (بابها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وانتم مسلمون)

انك في موقف تحتاج أن تظل متقيظا فلو غفلت لحظه واحده فأنت حينها سوف تنزلق في طريق رحله مسيرتك أثناء الانطلاق الي لقاء الله فأنت تحتاج الي وقايه فيها تنبيهك من المضي قدما في طريق الانتحار

لماذا لأن العدو خفي أنه نزعات النفس وشهواتها تسكب علي الإنسان بكميات كبيرة ولهذا فأنت بحاجة إلي منه قوي فقال تعالي (حق تقاته)لأن إعصار الشهوات والأهواء تتحرك لدواعي خفيه قد لاينتبه لها الإنسان اضافه الي دور الشيطان وسعيه الي كسر حواجز الوقايه فأنت بحاجة إلي أخذ الحيطة والحذر فناسب هذا (حق تقاته)لبيان بذل اكبر قدر ممكن من القوه التي في وسعك بخوف الله ومراقبته بما يليق بكماله وهو أمر لايمكن إدراكه وانما يكون بقدر الاستطاعة ولهذا عندما شق علي المسلمين الأمر نزلت الايه تفسير المراد بهذا القدر (فاتقوا الله ما

استطعتم)

فالالتقاء من أفعال الصيانه كما قلنا ولهذا فإن مايجب فيها هو استفراغ الواسع والقيام بالواجب واجتناب المنهي عنه والشكر علي النعم فالمراد أن تبلغ في التقوي بحيث لا تترك من المستطاع منها شيئاً وبين كيف يكون ذلك (ولا تموتن الا وانتم مسلمون)

فعليك أن تأخذ الحيطه والحذر فلا تغامر في خطوتك عليك أن تنظر اين تضع قدمك فيجب أن تحرص أن تكون خطواتك في كل الأحوال موافقه لمراد الله تعالي فانت لاتعرف متي يصادفك الموت ولهذا فعليك أن تترقب الموت في كل لحظه لتحذر المغامره الناتجه عن طول الامل

الأمر الثاني

يقول لنا الله أنك مسافر الي الله وانت بحاجه الي الاعتدال والوسيطيه فلا تفريط ولا إفراط ولا مغالاه بحاجه الي فن قياده في حركتك تنفادي بها الانزلاق والانحراف الي طريق معوج يصل الي الهاويه وهذا يحتاج الي مهاره وخبره في القياده مع ربط ذلك بالإحساس بالمسؤولية عن دورك ومركزك في قياده مركبه النجاه بما يوصل الي السعاده في الدنيا والآخرة فأنت محاط بالمخاطر من جميع الجهات هنالك تجاذب قوتان قوه الأرض التي لها صور متعدده لكن جميعها ظلاميه وهي تزداد ظلمه وانحطاط كلما ازدادت الحضاره الماديه قوه فتري انحطاط القيم الروحانية والأخلاقية وفقدانها في هذه الأحوال وهذه القوه تحاول جذبك وقهرك الي أسفل السافلين لتصير وحشا أو من البهائم ولكن الله لم يتركك مهملاً فقد اعطاك قوه جذب سماويه فيها نور يضي لك الطريق ولذلك فأنت في هذا الطريق بحاجه الي قوه جذب السماء لماذا

لأن قوه جذب الأرض متعدده لكن كلها تدفعك نحو الظلام فتصير تمشي وانت لاتدري اين تضع قدمك ولهذا فإن الله تعالي لم يتركك تتخبط فأنزل سبحانه القران الكريم والسنه النبويه لتكون لك منهجا وقوه تمنع سقوطك في الهاويه فقال تعالي (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

الحبل هو الكتاب والسنة النبوية فالنص فيه أن عليكم التمسك بالقران والسنه فهو المنهج المناسب الذي يربطك ب الله ويمنع سقوطك في الهاويه أنه الفرامل التي تحتاجها لمنع انحرافك في المنعطفات وحبل الله أسبابه لتنال الهدى الذي ليس فيه زياده ولا نقصان ولهذا قال تعالي (وكذلك جعلناكم امة وسطاً)

من خلال المنهج الرباني الذي يلائم المرحله الي قيام الساعه فالحق يكون بين باطلين فهو في الوسط ولهذا فإن التفوق يتوقف علي معرفه المحل المناسب الذي تقف فيه والوقت المناسب كي تحسن استخدام الوسائل بالشعور بالمسؤولية المعتبره عن دورك في القياده

فأنت بحاجة إلي التمسك بما يعصمك ويمنعك من المحذور ويدفع عنك الضرر فأخبرنا الله أن ذلك الحبل المتين هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الحبل القوي الذي لا ينقطع يجذبك نحو السماء ليمنع تأثير قوه جذب الأرض

ثم بين أن ذلك ملزم علي الجميع (جميعاً) اي الامه كلها عليها التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فالنصوص تبين اهميه الوحده بين أفراد الامه الاسلاميه لكن يجب أن يكون هذا الاتحاد علي منهج الله اي احترام سياده الشرع وسياده الامه فلا يكون التفريط باي من هذه القيم لقد رأينا كيف صار حال الامه عندما تم التفريط بسياده الامه بعد صفين مقابل الحفاظ علي وحده الامه لقد انتهت الأمور بتمزيق الامه والقضاء علي عنصر وحده الامه

فالمولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن السعادة في الدارين إنما تكون بالاعتصام بالله باللجوء الي الله تعالى بكل امور حياتنا والقبول بأمر الله فلا بد للموحدين من دونه يحكمهم والاعتصام بحبل الله الكتاب والسنة فهو يمنع أي خروج عن طاعة الله فإي نزاع ينشأ يكون الرجوع فيه الي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتي لا تقع في الضلال

فلاعتصام بالله يوجب لنا القوه والعهده والسلاح لمواجهة قطاع الطرق والاعتصام بحبل الله يوجب لك الهدايه واتباع الدليل الذي يوصلك الي مراد الله تعالى وبهما نجو من الهلاك

الأمر الثالث

(ولاتفرقوا)

التفرق هو الانقسام ويحمل معني الافتراق عن الحق بوقوع الاختلاف كما حصل من أهل الكتاب لحديث افتترقت بني إسرائيل علي أحدي وسبعين فرقه وسوف تتفرقون الي بضع وسبعون فرقه كلها في النار إلا واحده قالوا من هي الفرقة الناجيه يارسول الله قال ماكنت عليه انا واصحابي ومنهم من قال أنه نفض يده وقال الجماعه وقرأ (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

فالنصوص تبين أن الفرقة أساس الابتعاد عن الحق والمراد بهذا إبراز خطوره ذلك علي المومنون وهذا إنما يكون ناتج عن التعصب والانقسام وقد شاهدنا كيف صار حال المسلمين بعد أن غرس فيهم العدو القوميات والأوطان بعد الاستعمار وسيطره أهل الكفر علي قرار الامه كيف ادي غياب روح الاسلام الي وقوع الامه في مصيده ومستنقع الذل والهون فاصبح المسلمون تحت تأثير الهزيمة الفكرية والعسكرية نتج عنها أن ظهر من المثقفين العرب من يتبني منهج الغرب وأفكاره اقتنعوا بأن التقدم يكون باتباع الغرب ظهر من يمجذ الماضي دون أن ينتفع من ذلك لايرجع إليه ليعرف كيف المخرج لقد شاهدنا كيف صار حالنا عندما حصل الانقسام وترك العمل ب الكتاب والسنة بل إن روح التعصب الأعمى المذاهب قد اوجدت طوائف صنعت لنفسها شرعا ابتعدت عن روح الاسلام لدرجه أنك تجد من ذهب الي صناعه أصنام مثل ما فعل اليهود والنصارى في تحريف تفسير النصوص بالا ساءه الي منهج الله وعدم الخوف من ذلك شاهدنا من يزعم أن ماهو عليه من الانحراف أنه من نظريات أمته عظام مثل سيدنا علي رضي الله عنه وطغي عليهم فكر الخرفات في تأويل النصوص وفي المقابل شاهدنا من يبرر لما حدث من هدم عري الاسلام بعض الحكم من قبل الأمويين اننا اليوم في مشكله نحتاج فيها الي اعاده ترتيب أحوالنا من خلال الوقوف علي أسبابها وحسن التشخيص للمشكله بوضع كل قول وفعل في ميزان الحق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون تعصب ولا انحياز نحتاج الي حكمه مثلما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم لاحتواء الموقف الذي كان قد وصل بين الاوس والخزرج الي حد رفع السلاح والتعامل بمسؤوليه

الأمر الرابع

تبين النصوص اهميه قراءه الدليل التاريخ وشكر المنعم عز وجل علي الهدايه والتوفيق بدل الانشغال بالنعم فقال تعالى (واذكروا نعمه الله عليكم اذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم

إذا أردتم أن تدرکوا الفرق بين التوحيد والشرك وبين النور والظلام بين العدل والظلم فعليكم أن تنظروا الي حالكم قبل الاسلام كيف كان الاوس والخزرج متفرقين في قتال وحرب ودماء لم يكن لهم أي قوه أو دوله بل كانوا خاضعين لليهود كانوا في ضعف وكانت المعاداه بينهم قد بلغت ذروتها في الشده والقوه ما لاتوصف لدرجه ان

الله يصف في موضع آخر أنها بلغت من شدة العدواه أمر عظيم لدرجه انك لو أنفقت أموال الأرض كلها من أجل أن تجمعهم لما استعطت جمعهم قال تعالي (

هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم)

فالله يقول لنا أن الإسلام قد جمعكم علي الإيمان وهي نعمه عظيمه

فعليكم الرجوع الي الماضي ليس لتمجيد ماكنتم عليه من الفرقة والاختلاف والحروب بل لدراسه ذلك الماضي ومناقشه الحاضر لأجل أن يكون ذلك منفا لتفادي المشاكل التي قد تعصف بكم

فالإسلام هو الذي جعل منكم اخوه وجمعكم فهي نعمه عظيمه فسر تقدم المسلمين يعود إلي التمسك بروح الاسلا م والشرب من منابعه بعد أن كانوا علي (وكنتم علي شفا حفره من النار فانقذكم منها)

اي بعد أن كدتم تسقطون في حفره جهنم اي كانت قيادتكم علي حافه الهاويه لاتعرفون اين تضعون اقدمكم فانقذكم منها أي كان الإنقاذ في مرحله خطيره بينها وبين الهلاك مسافات بسيطه

الأمر الخامس

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

أن الله سبحانه وتعالى يوضح لكم الآيات ويفصلها بالامثله ومن خلال ربط النزول بالاحداث لتكون لكم علامه هدايه تمنعكم من الضلال فالعدو يتربص بكم وانتم بحاجة الي سلاح وقايه لمواجهة مخططات الأعداء الذي لن يتوقف عن محاولاته النبيل منكم

واذا تأملنا لواقعنا اليوم نجد اننا في انحطاط وتخلف واصبحنا نحكي الماضي ولانتفع به أن العالم الإسلامي اليوم في وضع مهين ولا كرامه له فلماذا وماهو سر هذا الانحطاط أصبح الناس ينظرون إلى المسلمين فيرون فيهم التخلف والجهل شعوبا ودول وأفراد فما هو السبب هل أن الإسلام لم يعد صالحا كما يروج البعض ام ماذا وكيف يكون الخلاص

الجواب

أن سر التخلف والجهل والانحطاط للمسلمين يعود بالدرجة الأولى الي ابتعادهم عن روح الاسلام ومنابعه و التضحيه بقيم ومبادئ الاسلام من التضحيه بسياده الامه بعض الحكم وانتهاه بالتفريط بسياده الشرع والتفريط بكل القيم والمبادئ الإسلامية ووقوع العرب تحت تأثير روح الغرب وتشنتيت افكار هم بمشكلات وهميه وزرعه حكام ينفذون اجنده أهل الكفر ويستبدون شعوبهم فاوجدت شعوبا تعبد الانظمه وتسجد لاصنام مستبده وتعبد مزعوم التقدم الغربي فادي ذلك الي موت روح التدين في النفوس المسلمه نتيجه فقدان الكثيرون قوه الايمان و الهمه من القلوب فأصبح العقل المسلم يتراجع الي الوراء لابتعاده عن مصدر الهامه القران الذي استعباد الله أن يكون من المومنين الكفر (التخلف والرجوع الي الجهل)وهو يتلي علي المومنين لان المسلم في زمن الرساله كان ينظر إلي القران أنه هو ماده اعاده تشكيل العقول فكان عندما يسمع الآيات تصل إلي ضميره فتحدث هزات تبعث طاقه الارده نحو حركه التغيير وكان الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم منهم هو أساس التعبير عن ذلك التأثير ولهذا نحن بحاجة الي اليقظه والعوده الي منابع روح الاسلام والتوحيد وان نقرأ القران كأنه منزل علينا ف الله قال (يتلي عليكم)ولم يقل أن الرسول يتلوه عليكم والمراد بهذا ان تتحول الحقيقه القرانيه الي اثر مباشر علي الضمير كما قال مالك نبي فالأمل الوحيد لإنقاذ المسلمين اليوم من ماساتهم أن تعود الآيات القرآنيه الي دورها كمعلم للإنسان بأن تقرا القران كأنه أنزل عليك انت

المبحث الثاني

أنه بالوقوف علي الآيات نجد أنها وردت مبينه للمومنين الطريق الي التقدم والتطور الي الأمام حركة تحييط بها ظروف موضوعيه في اتجاه مستويات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية أنتجتها البيئه وهي تتأثر بـ المجتمع وسلوك الأفراد

وهنا تكمن مخاطر الحركة ولهذا يخاطب الله المومنين أن عليهم اعاده تشكيل عقولهم بما ينسجم مع خلق الظواهر الجديده التي تشكل أسس التقدم والتطور للمجتمع المومن فجاء التحذير (أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)

فالقبول بنصائح هؤلاء كان أمر اعتادوا عليه في الماضي قبل الاسلام فأراد بهذا أن يدركوا خطوره تلك الأجواء التي أحاطت بهم بالماضي ومن هنا كان بيان مفسد تلك الظواهر علي وجه تفصيلي مع الربط بين مفردتها وعلاجهما بشكل إجمالي فالله يقول لهم أن قبول نصائح هؤلاء تكون ظروفها تشكل ظاهره التخلف ولهذا نجد أن النصوص ورد فيها

١

إنكار عليهم الرجوع الي الكفر (وكيف تكفرون) لأن الأصل أن الإنسان يسعي الي خلق ظروف أكثر صلاحيه لمستقبله وأكثر ملائمة للأجيال

وليس العوده الي الوراء

وهذا لا يكون إلا من شخص لديه نقص بالمعلومات أو سوء فهم للمعلومات فهي أن وصلت لا يدرك المقصود منها ولهذا يقول الله (وانتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله)

فالله يقول إن المعلومات واضحه فالقران يتلي عليكم اي ينزل مبينا لكم كيف يكون معرفه ظوهر التخلف و التقدم فليس هنالك نقص معلومات

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم فيكم تشاهدونه فهو يبين لكم الفهم الصحيح للقران اذا لم تفهموا أحكامه (وفيكم رسوله)

٢

أن النصوص تضمنت بيان أسباب ظاهره التخلف وايضا العلاج في نفس الوقت (وانتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله و من يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم.....الخ

فأخبرنا الله فيها بالآتي

المساله الاولى

يقول إن عليك أن تفهم أن هدفك في الحياه هو عباده الله تعالي وحده لا شريك له ولهذا فأنت بحاجة إلي الهدايه العامه التي هي للجميع وهذه تكون من خلال الوحي (وانتم تتلي عليكم آيات الله وفيكم رسوله) اي هديه الدلاله وهي لجميع الناس

وهناك الهدايه الخاصه التوفيق والسداد فهذه تكون من الله لا لياؤه فقال تعالي (ومن يتعصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم)

وهو مايشعر معه أن الإنسان بحاجة الي هذه الهدايه

وهنا نطرح هذا السؤال

الي ماذا تكون الهدايه ؟

الجواب

أن الإنسان بحاجة الي هدايه في شؤونه مع نفسه ومع أهله ومع جيرانه ومع أقاربه وأصدقائه ومع من تربطه بهم علاقات ومع الآخرين من بني جنسه فهو بحاجة للخروج من الحيره والقلق والتوتر النفسي ومن الشك والكسل و الجبن والخمول ومن الشهوات والأهواء ليخرج الي النور الذي يجعلك تعيش في سعادة بالدنيا والآخرة

*

نجد أن المولي سبحانه وتعالى يخبرنا أن الهدايه الخاصه إنما تكون لمن يلجأ إلي الله معتصما به سبحانه وتعالى أفراد وجماعات

ولهذا نجد الجواب الإلهي لمن تكون الهدايه الخاصه

حيث نفهم انها تكون لمن كانت حركته كلها متجهه الي الله لماذا ؟

لأن كل حركه وفعل ارداي لا يحقق غاياته ومقصوده الا اذا وجد انبعث عن إدراك يصدقه علم وتهذبه خبره وهذا لا يكون حتي تكون حركته وفق مخطط ومقدار محسوب وصولا إلى الهدف ولهذا يقول لنا الله أن تحقق ذلك يكون بالالتجاء الي الله في كل حركه اي أن الهدايه الخاصه إنما تكون لمن لم يبتغي بحركته اهواءه وشهواته وانما يريد بها إرضاء الله تعالى فيكون ذلك سببا في ارشاده وتوفيجه

وان ذلك الشعور منه لابد أن يظل مستمرا دون انقطاع حتي يلقي الله وهو علي الاسلام فقال تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون)

لماذا يأمر بذلك ؟

لأن التوفيق والسداد يزداد بزياده التوجه إلي الله في كل حركه بطلب ارضاءه لانه تنشأ علاقته حبه بينه وبين الله فقوه السبب من قوه المسبب فالخير يهدي الي الخير والهدى يهدي الي مزيد من الهدى ولهذا نجد الربط بين التوفيق وحسن الإلتباع بمراقبه الله

وهو ما يفهم منه أن الأعراض عن الهدى يودي الي مزيد من الخذلان والحرمان فالشر يدعو إلي الشر (فنيسره للعسري)

ولما كانت النصوص قد قررت لمن تكون الهدايه الخاصه التي بها كمال الإنسان وسعادته في الدارين فقال تعالى (ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم)

بأنه لمن طلب الهدايه بعد تقرير حاجه الإنسان الي التوفيق من الله في كل عمل يعمله

وقد جعل الله الاسلام هو السبيل الجامع للهدايه فذكر بعد ذلك أسباب الهدايه الخاصه فأخبرنا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

أنه جعل هدايته لخلقه بالرجوع الي كتابه وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم فمن يريد الهدايه الخاصه فعليه أن يتمسك بحبل الله الكتاب والسنه فهو الحبل الذي يحفظك من السقوط وانت تتدلي

فالإسلام عندما يأمر العباد بامتنال منهج الله فهو سبحانه خالق الإنسان ويعلم أن النفس تجد مشقه في امتثال أمر الله فهي لها رغائب واهواء يجب قمعها وهو ما يحتاج الي اراده قويه وعزيمه وهمه عاليه ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يردف الأمر بالاعتصام بالله والاعتصام بحبل الله وعدم التفرق فقال تعالى (واذكروا نعمه الله عليكم اذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم وكنتم علي شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

فهم كانوا في الشرك فاخرجوا الي التوحيد كانوا في جهل فاخرجهم الاسلام الي العلم كانوا في ظلم فانقذهم ب العدل كانوا في تخلف فأخذ بأيديهم الي التقدم كانوا في حيره فاخرجهم منها الي الاطمئنان والهدي كانوا في عمي فاخرجهم الي البصائر

المبحث الثالث

انه بعد أن ذكر الله تعالى ما أنعم به من الاجتماع علي نعمه الاسلام ونقلهم من الجاهليه والتمزق فهم قد عاشوا المرحلتين وقد تجرعوا مراره الجهل والانقسام والتمزق وقد ذاقوا حلاوه الايمان والعز والتمكين والكرامه والرفعه بالإسلام فقال تعالى (ولتكن منكم امه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون

(ولتكن)

اي هنالك واجبا عليكم فلا يكفي أن تنعموا انتم بنعمه الاسلام وحكمم والعالم يعيش في ظلام الكفر والجهل والا نحطاط فانتم ملزمون بانتشال غيركم من الأوضاع السئيه التي يعيشها الكفار فيجب أن تحدثوا الناس بما انتم عليه من النعم (واما بنعمه ربك فحدث)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

فالمولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن اساس عقيدة التوحيد تقوم ان عملها ليس قاصرا علي النفوس وحدها بل لا بد أن يخرج الي المجتمع المسلم ولا بد له من مجتمع مسلم يحكمه ودوله يحكمها القران وينظم العلاقات ف التوحيد لم يأتي ليبقي في النفوس وانما انزل القرآن ليعمل أثره في الحياه ينظم المجتمع ويعيد خلقه من جديد ب الصورة التي يرضاها الله تعالى لعباده ولهذا فهو دين ودوله عقيدة وجهاد مصحف وسيف فلا بد أن يحكم جميع جوانب الحياة ولهذا هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم من مكه الي المدينه فهو لم يترك مكه من قلبه الأنصار فقد كان من أتباعه ابوبكر وعمر وعثمان وعلي وآخرون ولقد كان اقامه الدوله والانتقال بالمومنين الي حضاره استطعت الي تصل بالعربي المتوحش الي اعلي مراتب التقدم والتطور والخير في سنوات قليلة ولهذا نجد أن المولي يحذرهم من الانقسام يقول لهم تذكروا ماكنتم عليه قبل الاسلام لتروا الفارق بين الماضي المتخلف و الحاضر الذي فيه التقدم والتطور والخير ولفظ (واذكروا نعمه الله عليكم... الخ

فيه توجيهه لكيفيه خلق الظواهر الجديده وكيفه دراسه الظاهرة الاجتماعية ف الله يقول عليكم استحضار الصورة ودراستها بطريقه صحيحة بدون فصل عناصرها ولا بمعزل عن مفردتها وعلاجها وانما يكون ذلك بالاحاطه بها من جميع جوانبها والظروف المتداخلة معها يقول إن التفريط بهذا المبداء يجعل من الدراسه مجرد انفعال سرعان مايتلاشي وتظهر مشاكل اكثر خطوره بالمقارنه بين مقدار مانالوه وظفروا به من خير بالاجتماع علي الاسلام

وبين مقدار ما كانوا فيه من الجهل والشرك والتمزق يجب أن يظهر لكم حسنه الضد لتشعروا بنعمه الاسلام فقال
(كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)

ليست العمليه مجرد عاطفه أو رده فعل وقتيه ولانقل شعارات فالمطلوب دراسه وتفحص وامعان واستخلاص
العبر من واقع ظروف الماضي في إطار ايجاد العلاج فهذه هي الطريقه الصحيحه لإدراك أسباب الظاهره الا
جتماعية والقدرة علي استبدالها بأخرى جديدة تخلق ظروف افضل لكم وللجيال القادمه فالمسأله لاتقتصر علي
مجرد المشاهده والإخلاص والمقارنه بينهما

فانتم بحاجه الي ادراك كيفيه احداث ذلك إلي جانب الاخلاص فالمقارنه بشأن ما عرفوا من نعمه الاسلام ومقدار
مانالوه وظفروا به و بين مقدار ما كانوا فيه من الجهل والشرك والظلام هي لأجل أن يظهر لكم حسنه الاسلام
وتشعر بقيمه هذه النعمه لأن قيمه الاشياء تتضح باضدادها فهي تعطي صورته واضحه للناس وتبين إخطار
الماضي البغيض

ولهذا نجد أنه بعد أن ذكر المولي سبحانه وتعالى ما أنعم به علي هذه الامه ونقلها من حاله الشقاء والانقسام الي
النعيم والكمال فقال تعالي (ولتكن منكم امه يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم
المفلحون) فالتذكير بالاهتداء لأجل أن تزداد الرغبه والمحبه لما انتقلوا اليه فيشعروا بالنعمه ويولد فيهم قوه
تنميه جوانب الخير بالأمر بالمعروف وكذلك يولد فيهم الكراهيه والنفور لما كانوا فيه فيولد فيهم قوه الغضب
الدافعه لمحاصره الجوانب السلبيه بالنهي عن المنكر

لأن من أخطر الأمور أن تصاب بعمي عدم الشعور بالنعمه فهذا الداء خطير كان سببا لسقوط الحضارات ولهذا قال
تعالي (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم...الخ

فهذا ناتج عن فساد قوه الغضب وقوه الحب كما نفهم من الايه وليس عن جهل فقوه العلم متوفره فقال تعالي
(من بعد ما جاءهم البينات) فالحب المفرط قد ذهب بالنصاري الي الضلال فبالغوا في حب عيسي وقالوا إنه الله
وابن الله... الخ وكذلك الإفراط في قوه الغضب لدي اليهود ذهب بهم الي رفض الحق ونبوه الرسول صلى الله عليه
وسلم لانه لم يأتي منهم وكذلك الحال لدينا نحن المسلمون نجد أما فريق فرط بالحق أو متطرف ولهذا يقول الله
أن الخير في الوسيطيه والاعتدال وان يد الله مع الجماعه وان الشاذ من الناس للشيطان مثلما أن الشاذ من الغنم
للذئب ولهذا يبين لنا الله مستقبل كل فريق (يوم تبيض وجوه وتسود وجه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) فقد
أوضح لنا سبيل المومنين وسبيل الكافرين والنهائيه لكل فريق وأسباب التوفيق والخذلان وكشف عن سمات
الفريقين وطريق السلامه والنجاه وطريق الذل والهون وعقب علي ذلك (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله
يريد ظلما للعالمين) حيث نجد أن التعقيب جاء بمناسبة ذكر أنه الإنسان هو الذي يختار طريق الهدايه أو طريق
الضلال وايضا نجد أن الصيغه متجانسة مع قوله تعالي (ولله علي الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن
كفر فإن الله غني عن العالمين) فقد اتحد فيه لفظ العالمين وهذا فيه بيان أن الله قد ميز الإنسان بالعقل والاراده
الحره وترك له حريه الاختيار ورتب علي ذلك الحساب والعقاب فالعقول المويده بالتوفيق تري أن القرآن الكريم
الذي انزل علي الرسول صلى الله عليه وسلم من الله هو الحق الموفق للعقل والحكمة كما ورد عن ابن القيم وان
العقول الفاسده المخبوله المضروبه بالخذلان فهي تري المعارضه بين العقل والنقل والحكمه والشرع فتنحرف الي
البدع والضلال وبهذا أقيمت الحجه عليهم فالله العدل لا يظلم احد فهو الحق الذي خلق جميع المخلوقات لعبادته
سبحانه وانزل الكتب وأرسل الرسل لتعريف الناس بربهم وكيف يعبدونه وكيف يقومون بحمل الامانه الخلافه وهو
الحق الذي خلق السماوات والأرض ومافيهما وفيه أن منهج الاسلام هو الوسيطيه والاعتدال مثلما ان الكعبه هي
وسط الأرض الذي يحقق الانسجام مع حركه الكون وشؤون الحياه

الأمر الثاني

يقول الله لنا أن القضاء علي سلطه التخلف لايعني الوصول إلي التقدم فلابد اذا من مشروع واضح يحقق للامه السعاده وهذا المشروع يحقق المطلب الرباني وقائم علي مراعاة الواقع بما يجعله خاضعا لمنهج الله يحتاج الي معرفه احوال الناس لمنع الاصطدام بواقعهم وجهها لوجه وحكمه لاحداث التحول القادر علي احتواء مالدي الناس من ظواهر سلبيه من القلق والاضطرابات

ف الله يقول لنا أن الاجتماع شرع لمصلحة المسلمين فعلي امه الاسلام الاجتماع ومشاركة أمر نهضة المسلمين بمقتضى إيمانهم وإذا كان لهم قوه فهي إنما تكون إلا إذا كان لهم جماعه منظمه بفكر وتشاور وعلم تنهض لمصلحة الامه وتدفع عنها الضرر بعمل عن فكر وعزيمه وقرن الله تعالى الاجتماع بالإيمان والتفريط به الكفر (أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)

وان ما أصاب المسلمون اليوم يعود إلي التفريط في أمر الاجتماع وظهور الانظمه المستبده وقعود العلماء عن دورهم عن القيام بصد الطغاه والظالمين والنفخ في المسلمين وبث روح الاسلام وعدم تفقيه المسلمين باهميه الشوري وروح الاجتماع والوقوف ضد المستبدين واهميه المصلحة العامه

ولهذا فانتم بحاجه الي سلطه قادره علي حمايه المكتسبات فليس الأمر مجرد وعظ فلابد لصيانه القيم من سلطه تمنع الاستهزاء به سلطه تضمن استمرار أداءها

ولأن من أهم أسباب التخلف والعودة الي الورااء هو الصراع علي السلطه والازدحام اللامعقول سواء علي الرئاسة الدينيه أو الدينونيه حيث أن تلك الأحوال تفرز ظروفًا معقدة مصحوبه بالمشاكل الغير منتهيه اذا لم يتم الإنتباه لها حيث ينتج عن ذلك محاوله التستر خلف التدين لتقويه موقفهم في الصراع وهنا يحدث إهدار الطاقات و القدرات والامكانيات للجماعات المختلفه

ولهذا نجد أن المولي يحذر من الانقسام ويامر أن تنصهر تلك الطاقات والقدرات والامكانيات للجماعات المسلمه في قالب عمل واحد هدفه التقدم والتطور والتنمية المستدامة في أمور الدين والدنيا فقال تعالى (ولتكن منكم امه يدعون إلى الخير)

فدعوتهم تكون الي الخير فالاختلاف في المسائل الفرعيه يمكن حصولها لكن يجب أن يكون الاختلاف في الرأي قائما علي حسن النيه مع التقاء الجميع حول الهدف فيقول الله لنا أن الهدف هو نشر الخير الذي فيه التقدم والتطور الحضاري لكم في الدراين وفي هذه الحالة ينبغي أن لا يتحول الاختلاف في الرأي الي صراع علي السلطه بل يستمر الحوار والنقاش في إطار الوحده والاخوه ينحصر الاختلاف في الرأي إن وجد بالمناقشه لأجل الاقناع والاقتناع بمعني أن يكون لديك استعداد للفهم وقبول الحق أن كان لدي غيرك مع الاحترام المتبادل و الحرص علي الوحده الوطنيه وصيانتها كإطار حيوي يحيط بتطور المجتمع وبما يكفل لاصحاب الرأي إن يستقر رأيهم في نطاقه وبهذا نتجنب ما حصل للأمم السابقه (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) وكذلك نحرص علي الخير الذي أمرنا بنشره وتزدهر المجتمعات وتضع أوجه العور الناتجه عن اختلاف الرأي

الأمر الثالث

ان المولي سبحانه وتعالى يقول لكل مسلم انت مأمور بمشاركة الآخرين ما انت فيه من خير وهذه حاله طبيعه لدي البشر فالغريزه الانسانيه تحب مشاركته الآخرين ما هو فيه من انعام فتجد حتي الطفل إذا كان لديه أمور يراها جميله أنه ينادي الآخرين الي رؤيه مالديه من اشياء جميله

ولهذا نجد أن النصوص وردت بعد الاشاره الي ما عرفه المومنون من نعمه الاسلام والوحده والاخوه وبعد ذكر

ماتجرعوا في الجاهلية من تمزق.... فقال تعالى (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف... الخ عليكم مشاركة الآخرين لهذا الخير لكن ينبغي أن تتحول فيها غريزه المشاركة من حاله طبيعه الي خلق ايماني لأ ن حاله الطبيعيه لحب المشاركة يكون الباعث لها حب الذات والأناية والغرور والتفاخر المصاحب لحب مشاركة الآخرين لما هو فيه من خير

ولهذا فإن القرآن الكريم جاء يحول هذه الغريزه الي خلق ليكون الباعث هو حب الآخرين والشعور بالألم التي يعيشها الآخرين وانك مسؤول عن ذلك وإزالتها أنه شعور التفاني في خدمه الآخرين من أجل رضوان الله تعالى ولهذا قال تعالى (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) فلم يعطفها بالفاء مع أن المقام يتطلب ذلك لكن عطفها بالواو لتشعر أن مضمون الكلام مقصود بذاته وربط الدعوه بالخير

اي أن الحق سبحانه وتعالى يقول لك انت مأمور أن تدعو الي الخير

اي إبراز هذا المشروع الرباني الذي عرفت به النعم والكمال وان تبذل جهدك وكل ما لديك لأجل هذا المشروع و الشعور بالمسؤولية عن كل الالم التي يعاني منها الناس حتي اولئك الذين لم يسلموا فالأمر واجب عليكم (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير) اشارة الي الوجوب ولهذا جاء بصيغه غير افعل وهذا فيه الدلاله علي الوجوب لماذا ؟

لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان موجودا قيل نزول الايه ولهذا فإن هذا فيه اهميه السلطه للحفاظ علي المكتسبات ومن جهه أخرى فان فيها اشعار أن المساله متعلقه بتشريع يلزم جميع المسلمين القيام به وإن كان حاصلًا من قبل كما نعلم بقوله تعالى (وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر)

فهم كانوا يفعلونه قيل نزول الايه أما هنا فقد جاء الأمر لتأكيد الوجوب فهي (من) بيانيه وفقا لهذا المعني لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

فالوجوب هنا للدعوه والحفاظ علي سياده الشرع وسياده الامه والاخوه والشوري وكل القيم والمبادئ التي تقوم عليها دوله الموحدين فكل مسلم عليه أن يكون داعيا الي الله وان يكون داعيه علي بصيره لقوله تعالى (قل هذه سبيلي ادعو الي الله علي بصيره.... الخ

والخير هنا لفظ عام فيه الدعوه لدين الله ونشره والتعريف به للآخرين ليدخلوا به .. وايضا الدعوه الي الاسلام ببيان حججه ومافيه وابرار وإظهار صوره الاسلام ومافيه من خير للآخرين

وان يكون الاسلام دستورا يحكم الأرض يجمع الناس حوله ويمنع الافساد في الأرض وهذا أمر يجب علي كل الأ جيال المسلمه

*أن المولي سبحانه وتعالى يقول لك انك عندما تدعوا فانت تدعو الي الخير وليس لنفسك يقول لك انتبه أن تتحول المساله الي دعوه للشخص اي لذته فان ذلك يعني أن الدعوه أصبحت لها اتجاه آخر غير الخير ومن الموكد أنه الشر

وهذا خطأ ارتكب من قاده الكثير من الجماعات الإسلامية التي أصبحت تمجد الأشخاص وتتخذ من الفكره والا

اتباع وسيله لذلك

وهو ما أحدث فجوه بين الدعوه كفكره وبين الأفراد الذين اعتنقوها وهم أن وصلوا الي العز والتمكين اصبحوا مطبخ لصناعه الفراغه والمستبدين باسم الدين

فمن اعتبر الدعوه خاصه به فهو لا يكون مخلصا ومن ثم يصبح داعيه لنفسه ومستبد يريد إرغام الناس علي فكرته وان كانت خاطئه ولو باستعمال القوه ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يخاطب المومنون أنهم دعاه الي الخير فهو يحول حب مشاركته الآخرين للخير الي خلق بأن يجعل الاخلاص ابتغاء مرضاة الله هو أساس قيامه بهذا الفعل كما قال تعالى (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر)

المبحث الرابع

أن مجي الأمر الذي فيه الوجوب علي المسلمين بالدعوه الي الخير (ولتكن منكم امه.... الخ

والامه لفظ يطلق علي الجماعه أو الطائفه أو المله والأجيال كما أوضحنا في سوره البقره

ولهذا فإن هذا الإبهام في النص هنا مع وضوح المعني وتعددده هو أمر مقصود لأن القرآن الكريم شريعته لكل زمان ومكان فالمراد خلق ظاهره الايمان ونشر تعاليم الاسلام وسماه الخير

وهو أمر يجب ملزم علي جميع المسلمين ولهذا فإن عموم النص فيه ازاله الإبهام للاتي

١

أن كل مسلم يقع عليه مسؤولية نشر الخير بحدود من يعول لحديث كلکم مسؤال عن رعيته أن ينشر الاسلام فيهم

فالرجل في بيته عليه غرس قيم الإسلام فيهم

والمهندس مكلف أن يدعو إلي الاسلام من موقعه فيكون دال علي الخير

والطبيب المشرح والجراح ودكتور الأعصاب....ينبغي أن يكون دال علي الله وداعي إليه

والمدرس في مجاله والقاضي والفلكي والتاجر...وهكذا يكون كل واحد مكلف بنشر الخير اي الاسلام ونحن نعلم كيف أن دول مثل اندونيسيا دخلت الاسلام من خلال المعامله الحسنه من قبل التجار المسلمين مع أهالي تلك المناطق

٢

كما أن الامه بحاجه الي الأطباء والمهندسين والعلماء والصناعات في الحياه المتعلقة بالعمران علي الارض

مثلا أنها بحاجة إلي من ينهض لصيانه التاريخ الضخم الذي تركه لنا النبي صلى الله عليه وسلم والهداه المرشدين ولهذا نجد تعاقب الأجيال من بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم يحملون منهج الهدايه للناس ولذلك ظهرت العديد من الجماعات الإسلامية وهذا عمل كفائي لايرتفع إثم الامه الا اذا قام بهذا البعض من الامه فقال تعالى (ولولا نفر من كل فرقه منهم طائفه ليتفقوهوا في الدين ولينذروا... الخ

ولذلك نجد أن ظهور الجماعات التي عكف أصحابها علي تجديد الحركه الاسلاميه في الحياه سواء في الجانب

الفكري التي قام بها الفقهاء لتعود الي روح الاسلام او الحركات التي كان دوها في الجانب العملي يمس واقع الحياه وتلك التجارب قدمت للامه تجارب ناصعه في النمو والتطور والخير

ولهذا نجد أن الله تعالى يقول (ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير)

بمعني أنه علي جميع جماعات المسلمين أن تكون امة واحده مجتمعه علي الدعوه الي الخير فالمسألة تحتاج الي التكامل والمساهمة في بناء الامه كلا من موقعه فعليكم إن تجردوا أنفسكم من الأهواء لتكونوا مجتمعين حول هدف جامع تلتقون حوله وهو نشر الخير وعليكم ترك دواعي التفرق والاختلاف والانقسام فالمطلوب أن تكونوا امة واحده متربطة فأراد بهذا بيان الآتي

المسالة الاولى

اهميه التخلص من التعصب والأحقاد ف الله يقول لنا انكم تحملون الخير للعالم أجمع فعليكم إدراك أن رساله الاس لام عالميه وانسانيه (كنتم خير أمة أخرجت للناس) فهو لم يشرع لجنس أن يسود فقد جعل الناس سواسيه كلكم لادم وادم من تراب وجعل التعارف بين القبائل والشعوب أساس العلاقات والتكافل فالإسلام هو اول حلقة شكل بها عصبه الأمم كان فيها العرب والهنود والفرس والاحباش والروم مثل سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي صحيح أن رساله جاءت بلسان العرب لكنه لم يجعله قوميه عرقيه أو دمويه أن العربي عاش في بيئه تفرق بين جهه وجهه بين الشمال والجنوب والشرق والغرب فجاء الاسلام وازال كل تلك الأفكار فكانت نعمه عظيمه ولهذا يقول إن التطبيق العملي لهذا أن تتوحدوا حول الدعوه الي الخير فهذا هو الطريق النجاه والسلامه فالإسلام هنا يدعو إلي أن يكون العالم اسره واحده ولهذا أمرنا أن ندعوهم الي الخير ونحب للناس الخير وليس كما ينادي اليوم دعاه حقوق الإنسان الي الانسانيه وهم يهدفون إلي استعماراه

ولهذا يحذر الاسلام المومنون من اخطار العصبيه وان يتحول الاختلاف في الرأي الي وسيله تدمير اجتماع المسلمين أو أن تصبح وسيله اجتماع علي الشر فيجب أن يكون الاجتماع علي الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

المسالة الثانيه

ولما كانت النصوص قد وردت بازاله كل آثار الجاهليه في ظل الدوله والحضاره الإسلاميه التي تحمل الخير للعالم كله فطلب من المومنين اتباع دعوه الاسلام وبفس أوضحت أن ذلك يتطلب الحفاظ علي دوله الاسلام من التصدع فيقول الله لنا انتم بحاجة الي الدوله لماذا

لأن الدعوه حتما سوف تصل في المواجهه مع الباطل الي مرحله انتقال الباطل الذي يتربع فيه الأهواء من الصراع بالفكر الي مرحله رفع السلاح ضد الدعاه

لأن اهل الباطل عندما تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر وحين يسمعون افعال كذا وكذا فإنهم يسكتون لكن اذا شاهدوا أن المساله فيها تهديد لمصالحهم عندها تظهر عليهم ملامح الغضب وتنتقل الي المواجهه لأن وظيفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنهما يجمعان بين الهدم والبناء فانكار المنكر مفروض علي كل الناس بقدر الاستطاعة فلا بد من ازاحه الشرور (من رأي منكم منكرا فليغيره بيده.... الخ

فالدعوه الي الخير احيانا لاتنفعها الكلمات المنمقه فليس السكوت عن الشرور في كل الحالات بل له ظروف معينه وليس الحرص علي عدم اغصاب الناس الذين يرتكبون الجرائم أمر لائق الا في أحوال وظروف معينه فليس لكم إن تسكتوا عن الباطل ف الله يقول (وان كادوا ليفتنوك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خلي لا.... الخ

فمتهك تحطيم السدود أمام دين الله ولهذا فانتم محتاجون الي دوله تحمي المكتسبات التي أحرزها المسلمون ؛ العزم والكفاح ومهمه هذه الدوله مواصله الكفاح الذي بدأ به الدعاه وجماعات العمل الإسلامي فالله يقول (الذين أن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة واتوا الزكاه وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر... الخ ولهذا فإن من ضمن معاني (ولتكن منكم امه) هي اهميه وجود السلطه اي الاداره الرشيده التي اضافه الي ماسبق ذكره بأنه مهمه لحمايه المكتسبات فهي مهمه لأجل أن تضبط حركه المؤسسة العامله في نشر الخير لأن الاداره الفوضويه أو غيابها تؤدي الي تصادم اعمال الموسسه والعجز عن إصلاح الخلل والانقسام الي شيع متناحره شلليه فيكون ظهور الفاسدين وصعودهم الي القمه وبالمقابل محاربه القدوه الصالحه وتغليب المصلحه الخاصه علي العامه وعدم احترام الهيكل التنظيمي وبهذا يسود العمل العشوائي

الأمر الثاني

أن النصوص تبين لنا أسس نظريه الاسلام والقواعد التي تقوم عليها فكره الاسلام ونظامه

حيث أن كل نظريه تبين للآخرين الأسس التي تقوم عليها فنحن نسمع أصحاب نظريه الديمقراطيه ينشرون أفكارهم للترغيب فيها لتكون قاعده لها الهيمنه علي العالم فيقولون أنها فيها الحريه والمساواة والتدوال السلمي للسلطة.....

ولهذا فإن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا انتم مامورن بتعريف الناس بالإسلام ونشر أفكاره والعمل علي تطبيقه في حياه الناس اي انت مأمور أن تخلق ظاهره الاسلام في حياه الناس وتمحوا ظواهر التخلف التي عاشها الناس فأنت قد عرفت تجربته الواقعيه التي انتقلت بها من الجاهليه وما فيها من التعصب والانحطاط والتمزق الي حياه الايمان وقيم ومبادئ الاسلام

١

تبين النصوص الأساس الذي تقوم عليه عقيدته الاسلام

بأنه عقيدته وشريعته ايمان وعمل عباده ومعامله (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)

فهو يقوم علي اساس الشمول في جميع جوانب الحياه ولهذا سماه الله أنه دعوه الي الخير لانه يحقق التوازن التي يتطلبها الإنسان ولدواعي الحياه لأن في ذلك الوصول إلي الفلاح في الدارين

وهنا يقول لنا الله أنه من الخطاء اقامه الاسلام في أذهان الناس أو في ميادين الحياه علي انها جزئيات منفصله عن أساسها الاعتقادي الذي بينت عليه أصولها وتنظيم مجرها وحكم أوضاعها

فأمر المولي بالاجتماع بأن نكون كلنا امه واحده مجتمعين علي الدعوه الي الخير فعرض شريعته الاسلام وتطبيقه يكون مرتبنا بالأساس الاعتقادي هو انك تفعل ذلك طاعه وإيمان بالله اي التوحيد فأنت تأخذ التكاليف من منهج الله وسنه رسوله فكل حركه تربطها بالإيمان بالله واليوم الآخر... الخ فهذا الأساس هو الميمهن علي النظام الإسلام مي فالتوحيد هو أساس اي حضاره ومن اخص خصائص بناء الدوله ولهذا نجد أن النصوص تحذر من الذين يريدون تحويل الاسلام الي مجرد إصلاحات جزئيه هنا وهناك أو ميزات عارضه سطحيه فيقول تعالي (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا.. الخ

لماذا لأن لدينا مذاهب وطوائف متعدده نتيجته تعاقب الأجيال في إصلاح الخلل الحاصل في ازمته متفاوتة من تاريخ الامه فلا يجوز أن تنقلب هذه الحركات إلي التمسك بما لديها واعتبارها أن ذلك هو الاسلام وتحارب غيره فهذا مقدمه تختلط علي الناس السبل فتتفرق عن سبيل الاسلام

ولهذا يقول لنا الله عليكم بالالتزام بالميزات التي جاء بها الاسلام كلا من موقعه دون تعصب فالغرض هو إبراز العدل واشاعه الخير فذكر (يدعون الي الخير) هذه هي الفكره وهي مرتبطه بالأساس التوحيد فهم يحملون مشروع الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور

٣

فانتم بحاجة الي عرض المشروع الرباني ومافيه من حلول لسعاده البشريه بعيدا عن الانفعالات النفسانية فالعقيده واضحه فإذا قصدت التكليف فإنك تربطه بمنهج الله وطلب إرضاء الله للوصول إلي الفلاح في الدارين ولهذا فأنت ملزم أن تبين للناس المنهج العقلي الذي ينتهجه الاسلام للوصول إلي تقريرعقيده في الأذهان فتصبح محرره للإ نسان من أصنام البئيه التي ولد فيها ولهذا نجد أن الله تعالى خاطبهم فقال (واذكروا نعمه الله عليكم... الخ وايضا قال (ولله مافي السماوات ومافي الاوض والي الله ترجع الامور)

فالله وحده له سلطه التشريع

٣

يقول الله لنا أن عقيدته الاسلام تحكم جميع شؤون الحياه فهو ليس مجموعه افكار مبعثره ولا طرق متفرقه بل هو دعوه للخير الجامع (يدعون إلى الخير) محكم أساسه وأركانه وجزئياته الصغيره والحقيقه كلها مرتبطه بالأساس الاعتقادي ارتباطا منطيقا لأنها تتجه كلها نحو إرضاء الله مثلما أن الكون يتحرك بدقه وانتظام فكذلك حركه المومنون كلها تتجه الي الله في جميع جوانب الحياه (ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم)

ولهذا فإن وضع حدود للسلطه بأن تنشر الخير وتعمل علي حمايته بأنها وظيفه الدوله اذا ما وجدت وإذا لم توجد الدوله كان علي الامه القيام بذلك فإن هذا فيه معالجه لأمرض تزامم السلطه وحب الرئاسة لأن الانحراف عن هذه الوظيفه يولد السلطه المستبده وهذا فيه ضرر كبير علي الامه إن وجدت لانه يسود الظلم وربما حصل التقاء المصالح مع من يحبون الزعامه الدينيه وهنا تظهر الفلسفات الخاطئه والتي تجد التشجيع من السلطه وقد شاهدنا كيف أن الطغاه من الحكام المسلمون شجعوا الخرافات وكان الابتعاد عن الدين وكيف أن شكل سيطره هؤلاء علي السلطه اداه لنشر الشر وكسر اراده المسلم ولهذا نجد أنه تعالي يقول (ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

فاللازم علي الناس والعلماء مواجهه الأمر فالرسول صلي الله عليه وسلم قال أعظم الجهاد كلمه حق في وجه سلطان جائر

فاللازم الأمر بالمعروف متي مظهر تركه والنهي عن المنكر متي ظهر فعله

فالمسلم عندما يري أخاه إصابته كارثه في دينه عليه أن ينصحه فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول الدين النصيحه قلنا لمن قال لله ولرسوله وللمؤمنين... الخ

فأنت عليك اولاً أن تنكر المنكر ولا تفعله وثانياً عليك أن تنهي عنه وبنفس الوقت عليك حسن استقبال النصيحه فالله يقول لنا انتبهوا أن تقبلوا بنصائح الأعداء وعليكم أن تمدوا جسور التواصل والمحبه مع المومنين بدلا عنهم

فاعرف دورك ووظيفتك في التغيير ولهذا وجب عليك العلم بأحكام الشرع ثم ابتعد عن فعل المنكر

لكن كيف يكون الحال إذا وجدت شخص ينهاك عن المنكر وهو يقترب منك هل تقول انصح نفسك ام تقبل النصيحه

الأصل أن عليك أن تفهم أن مشاعر الاخوه هي التي دفعته الي النصيحه لأن المسلم عندما يري أخاه في كارثه فهو

ينصحه خوفا عليه من العواقب لانه يراه في خطر وهذا واجبا لقوله (وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر)

فالامه كلها ملزمه بهذا الواجب والناس يتعرضون للضعف أمام المعصيه ولذلك إذا أردت أن تلتفت انتباهه الي مايفعله فعليك اختيار وقتنا مناسباً بحيث لا يكون ذلك تعبير عن رده فعل منك لانه قدم لك النصيحة فأنت حينها لم يكن دافعك الغيره التي تطلب فيها إرضاء الله بل غيره لنفسك وهذا يزرع الأحقاد في المجتمع ولاتناكر أن هذا الشخص فعله مذموم لانه ينهي عن الفعل ويأتي مثله

لكن الله يبين لنا هنا أن الغرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو علاج امراض المجتمعات وازاله الآفات منه فليس الأمر للنقاش والجدل ولهذا فأنت بحاجة إلي اسلوب يحقق العلاج ويزيل الأمراض دون آثار جانبية فلا يكفي حسن النيه في ذلك فكثير من الحالات أنتجت أضرارا عكسيه لم يكن يرغب بها المخلصون لأنها ابتعدت عن الهدف المقصود ولهذا قالوا أنه يشترط للنهي عن المنكر أن لا يؤدي الي منكر أشد منه

وهنا يجب عليك أن الاهتمام بدراسه أحوال الناس واوزاعهم وظروفهم وثقافتهم كي يكون استبدال ظاهره التخلف بظاهره الاسلام دون إحداث نتائج عكسية اشد خطوره مما كانوا فيه

ولابد أن كل ذلك فيه مشقه وتعب ولهذا نجد أن الله يرغب في هذا العمل فيقول (واولئك هم المفلحون)

استخدم اسم الاشاره اولئك للاشعار بعلو منزله وفضل جميع المومنون ولم يقتصر علي من قام بالدعوه لأن الخير والتقدم والازدهار سوف يعم الجميع مثلما أن التقصير يوقع الامه كلها بالاثم

وايضا فيه الترغيب فيقول لنا الله لا تتصوروا أن المشقه والتعب في الدعوه سوف يذهب هباء لا فانتم سوف تجدون ذلك ساعه الحصاد يوم تبيض وجوه فسوف تشعر بقيمه عملك فلا تتردد فأنت لك الفلاح في الدارين

الأمر الثالث

(ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم)

النصوص تحذر من الافتراق عن الحق وتصويره بأنه أمر قبيح ومذموم

يصف الله الاختلاف بأنه تصرف اعمي بعد وضوح الادله (من بعد ماجاهم البينات)

فيقول لنا بين ايديكم الامثال فانظروا إلي أسباب لعن تلك الأمم تجدون أنه يعود إلي تركهم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فيقول لنا (واولئك لهم عذاب عظيم) لبيان الي الشده في العذاب مقابل ماخص المومنون (واولئك هم المفلحون)

وكذلك فإن هذا فيه اشاره الي أن الذي يسلك طريقهم يكون بعيد في الانحطاط

ونحن نري كيف صار حالنا اليوم نتيجة التعصب والانتقطاع عن المفاهيم التي يأمرنا بها القرآن

فالرسول صلي الله عليه وسلم قد حذر من هذه المرحله فقال يوشك أن تندعي عليكم الأمم كما تنداعي الاكله علي قصعتها قالوا أمن قله نحن يومئذ يارسول الله قال لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يلقي عليكم الوهن قالوا وما الوهن يا رسول الله قال حب الدنيا وكراهية الموت)

فالرسول صلي الله عليه وسلم أخبرنا بأنه سوف يكون سقوط قرار الامه وتقسيمها مبينا أن اغراض الأعداء الاستيلاء علي مقدرات الامه واموالها بسبب حب الدنيا وابتارها علي الاخره فالنصوص ترسم لنا حاله التعايش مع اهل الكفر بسبب انتزاع المهابه للمسلمين الحاصله بالاجتماع حيث أن الافتراق ينزع تلك المهابه وهو ما يجعل الأعداء

يخترقون صفوفنا ومن خلالها يستغلون ذلك لأجل أن يكون لهم السيادة

ولهذا فإن هذا التحذير لنا من الافتراق لما له من اثار سلبية قاتله فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه اني اخاف عليكم من داء الأمم قالوا يارسول الله وما داء الأمم قال البغضاء والحسد لا اقوال حالقه الشعر ولكنها حالقه الدين إلا ادالكم علي شي اذا فعلتموه تحاببتهم افشوا السلام بينكم

وكم نحن اليوم بحاجة الي نشر السلام في حياتنا بترك الاختلاف ونبد الحميه والعصبيه فهو الوسيله للخلاص مما نحن فيه فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (لاتدخلوا الجنه حتي تومنوا ولا تومنوا حتي تحابوا إلا ادالكم علي شي اذا فعلتموه تحاببتهم افشوا السلام بينكم)

كما أن التحذير من الانقسام حول مشروع الخير إنما يعود لما له من اثار ماساويه كارثيه يبدأ بالتعصب وينتهي بـ الخروج كليه عن الحق

ونحن نعلم أن الخلاف الذي تعيشه الامه اليوم كان بدايته بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن الخلافه حيث بدأ بسيطا وقد انتهى الي التحول بالابتعاد عن عقيدة الاسلام لدي بعض الطوائف والابتعاد عن روح الاسلام

حيث أن بدايه الخلاف كان محصورا بفكره الاولويه والافضليه لخلافه الرسول صلى الله عليه وسلم فذهب البعض الي أن الاولويه لعلي بن طالب لما ورد أن العباس قال لعلي مد يدك ابايعك فيقول الناس عم الرسول بايع ابن عم الرسول فرد الامام علي وهل يطمع فيها طامع غيري ثم إنني لا اريد أن ابايع من وراء الارتاج)

وكذلك ماحدث في سقيفه بني ساعده وخروج سعد بن عباده غاضبا

المهم هنا أن الخلاف لم يكن فيه قدح باحترام مبدأ الشوري الذي أوصل ابوبكر للخلافه ففي النهايه قبل علي بذلك وبايع ابوبكر رضوان الله عليه وقبل باساس اختيار الحاكم الذي هو الشوري حق المسلمين باختيار الحاكم ويتضح ذلك من كتاب نهج البلاغه المنسوب للامام علي رضوان الله عليه صفحه ٣٢٢ تحت عنوان ومن كتاب له عليه السلا م الي معاويه (أنه بايعني القوم الذين بايعوا ابابكر وعمر وعثمان علي مابايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يرد وانما الشوري للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا علي رجل وسموه إماما كان ذلك لله رضي فإن خرج من أمرهم خارج بطعن او بدعه ردوه الي متخرج منه فإن ابي قاتلوه علي اتباعه غير سبيل المومنين وولاه ماتولي)

ولهذا فإنه لاخلاف علي أن اختيار الحاكم بالشوري وانما ظهر هذا الخلاف بعد ما أطلقت عليه الشيعة عصر الغيبه ٥٣٢٩هـ حينها ادعوا أن الخلافه لعلي وأولاده من بعده بالنص الإلهي ولم تكتفي الشيعة بذلك بل استغلت الحماس الجماهيري مع ائمه ال البيت وخاصة بعد ثوره الحسين رضوان الله عليه ضد ماقام به معاويه من عض الشوري فقد كان خروج الحسين هو من باب تغيير المنكر ولأجل الدفاع عن سياده الامه وحقها في اختيار الحاكم فقد شكل استشهاد الحسين فاجعه عظيمه علي وجدان الامه وساد الغضب ضد الأمويين اضافة الي قيام الاموين بسب الامام علي علي المنابر فقد استغلت الشيعة ذلك وقامت بصناعه أفكارا خارجه عن الإسلام ونسبتها الي الصادق والباقر وغيرهم من ائمه ال البيت الكرام فصنعت فكره التقيه وكذلك قامت بالسب الصحابه ونساء النبي صلى الله عليه وسلم وجعلت من ذلك منهجا وكان رده الفعل من بعض من ينتسبون الي مذهب السنه أن قاموا بتأليف المجلدات في سب الشيعة فصار البحث والدراسه وسيله المهتاره بين جماعات المسلمين ثم تتطورت الأ وضاع والظروف مع مرور الزمن فأصبحت تري الدماء تسفك اليوم بين أبناء الإسلام وكلا يختفي وراء الدين لتبرير جرائمه

وامتلت كتب الطرفين حول ذلك وأخذ كلا يفصل من القران والسنة ملابس علي مقاسه من خلال تحريف تأويل النصوص لدرجه ان الشيعة اليوم تزعم أن حديث غدير خم (من كنت مولاه فهذا علي مولاه... الخ

بأنه يوم الولاية في معارضة واضحه لما ورد في كلام علي رضوان الله عليه نفسه كما أوضحنا بأن أساس اختيار الحاكم هو الشوري ولا نص الهي فيما يزعم هولاء فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يعين خليفه بعده وترك الأمر لاختيار المسلمين

أن هذا الافتراق قد إهدار الطاقات والقدرات والامكانيات لامة الإسلام وتم اراقه الدماء نتيجة الانحراف الفكري بـ القول بأن هنالك ولاية بالنص الإلهي وهو ما لا أساس له ولا يمكن الاعتماد علي ماورد في حديث غدير خم

أن من الهميه هنا الاشارة الي حقيقه مهمه في تاريخ الاسلام وهو أن الإسلام جاء يحترم حريه الإنسان ضمن له الحريه الفكرية ولهذا نجد أن هنالك فصل بين الأوامر الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم وبين الرغبات الشخصية للرسول صلى الله عليه وسلم حيث نجد أن النصوص القرآنية حافله في هذا الأمر كما قال تعالى (وماكان للنبي و الذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى... الخ

وقوله تعالى (لا ترفعوا صوتكم فوق صوت النبي.. الخ

وكذلك في حادثه الافك فقد كان الناس يتحدثون عن الواقعه وهم يطعنون في عرض الرسول صلى الله عليه وسلم والتاريخ لم يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم اعتراض ولم يشعر المسلمون أنه غاضب

لماذا لأنه لم يريد أن يتعرض للحريه الاجتماعيه بصفته القائد حتي ظهرت المشئيه الإلهيه بالتحريم

فالإسلام يحترم حريه التعبير عن الرأي ولهذا جاء بتحرير الإنسان من عبوديه البشر الي عباده الله ولهذا لم يمنعه الرسول وقد كان بمقدوره أن يلزمهم التوقف عن ذلك لكنه لا يريد أن يصنع مجتمع يخضع لشخصه صلي الله عليه وسلم بل أراد أن يكون هذا الخضوع لله تعالى قبل طاعته فالإسلام جاء لازاله رواسب الجاهليه و الخروج من عباده البشر الي عباده الله الواحد القهار فهذه العبوديه هي تلك الحريه التي ينعم بها المجتمع المسلم ولهذا ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يعاني وهو ينتظر نزول الوحي وهو يوجه اخطر اتهام في عرضه وهو يعلم أن زوجته برئيه فقد كان يتالم مما يقال وكان يرغب أن يتوقف الناس عن ذلك لكنه لم يرغب أمته علي ذلك وبالتالي قد يكون راغبا أن يكون علي هو الخليفه بعده لكنه لم يرغب أمته علي قبول ذلك فلم يلزمهم لذلك خاصه وهو في حجه الوداع كان يعلم أنه سوف ينتقل إلي الرفيق الأعلى فقال لعلي لا ألكم بعد عامكم هذا .. ولو كان ذلك تشريعا لنزلت بذلك ايه صريحه أو حتي حديث صريح وبالتالي فإن هذا فيه بيان كيف أن الخلاف بدأ بسيطا وانتهي بانحراف فكري وهو ما حذر الله عباده منه حيث صار ينظر الي ما ابتدعه البعض علي أنه بمنزله القران الكريم وهنا سفكت الدماء بغير وجه حق لانه عندما تنحرف الفكره فيصبح الأشخاص بدل الانتماء للفكره والقيم عندما يصبح الانتماء لذات الشخص بدل الفكره وعندما يصبح الحق مرهون بالأشخاص الذين يجري عليهم الخطاء والصواب كان عوده الصنميه والجاهليه الي حياه الامه باشكال مختلفه وهو مانعشيه أيضا في مذاهب وطوائف السنه حيث صارت الوسائل أهدافا وهنا تفشت الحزبيه وانكششت معاني وروح الاخوه واقيمت الجدران والسدود النفسيه بين المسلمين وساد الاقتتال الإعلامي وانتهي بالصراع الدموي من اوسع أبوابه

خامسا

بعد أن ذكر الله تعالى (لهم عذاب عظيم) ذكر أن هذا اليوم يكشف عن سمات وصفات كل قوم من الأقوام فقال تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم خالدون)

وبياض الوجوه وسودها هي

المبحث الأول

أما أنها كناية عن الفرحه والبهجه والسرور وعن الخوف والكابه فيقال لمن فاز بمطلوبه ابيض وجهه فاستبشر
وظهر بوجهه السرور ويقال لمن خسر بأنه أسود وجهه وتبدلت صورته كما قال تعالي (واذا بشر أحدهم بالانثي
ظل وجهه مسودا فهو كاظيم)

فالمومن عندما يري أعماله وعندما يخرج من قبره تبشره الملائكه فهو يفرح ويظهر علي وجه السرور وأما الكافر
فهو عندما يري أعماله القبيحه فيصب بالخوف والكابه

أو أن ذلك يكون حقيقه وهو أنهم يصبحون اي المومنين بيض الوجوه والصحيفه واشراق البشره يسعى النور من
بين أيديهم ومن خلفهم فتظهر عليهم بهجه السرو

وان الكفار تصبح وجهوهم كقطع الليل المظلمه من الخوف والكابه فالظلام يحيط بهم من كل جهه

والمعني هنا متعلق بالسماوات وهو أمر يتسم به الأفراد والأمم

فهذا الوصف سمه أيضا يعرف بها امه الاسلام يوم القيامه دون غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم (سمه ليست
لغيركم يوم القيامه انكم غر محجلين من اسباغ الوضوء..

ويبدو أن الأمر حاصل في الدنيا والآخرة معا لأن الأمر متعلق بما قبله فلا بد أن الذين ياخذون بمنهج الله
ويحصل الاتحاد حول الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهؤلاء يحصدون ثمار الوحده ببياض الوجوه في
الدنيا والآخرة وأن الذين يرفضون مشروع الخير من دعاه التفريق ومستغلين الصراع فهؤلاء الذين لايقرون اتحاد
الكلمه ولايقبلون التجمع الذي يضع المصلحه العامه فوق المصالح الشخصية خوفا علي امتيازتهم وايضا الحميه و
العصبيه والتمسك بسمعه القبيله واردة أن يظهر أمام من يتحزب بمظهر لائق وإن خالف الحق فيعمل علي
معارضه تجمع الخير خوفا أن تنصهر مصالحه الشخصية داخل هذا التجمع الذي يحدد الأهداف ويلتزم من أجل
تحقيقها فإن هولاء من الجماعات والأحزاب لايقبلون اتفاق الكل لأن مايسعون إليه هو الظهور أمام البعض اعضاء
الحزب بمظهر جميل هو مايبهمهم فالشعارات التي يرفعها هولاء ضيقه الأفق ولهذا فإن اتفاق الكل تحول دون قيام
الجزء وهو ما يجعل هولاء يسعون الي صناعه العنرات في طريق الاتحاد فهؤلاء يصنعون الازمات ويساهمون في
تذكيه الصراعات وصولا إلي الشقاق الذي فرق الامه

فهذا الاختلاف يصيب المجتمعات بالصراعات الشخصيه ويقتل فرص الوحده وهو يعمق جذور التخلف (ولا
تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم...الخ

بينما التخلف يكون ناتجا عنه ويصيب المجتمعات بالسطحيه وظهور المزيادات الكلاميه ويقتل فرص الاتفاق
ويعمق جذور الاختلاف فقال تعالي (واذكروا نعمه الله عليكم اذا كنتم أعداء فألف بين قلوبكم وكنتم علي شفا
حفره من النار فانقذكم منها)

فذكر نعمه إخراجهم من الجاهليه وان مافيها هو تخلف فظيع أنهم يقفون علي حافه الهاويه بالنظره السطحيه للأ
مور دون أن ينظروا الي خطواتهم فهي توشك أن توقع في نار التخلف

فهم يتحركون بعشوائية وفوضويه في حركه دائريه لاتعرف البدايه والنهايه لها تخلف ينتج اختلاف . ..واختلا
ف ينتج عنه تخلف بدايتها ونهايتها هي بدايتها لأن كلا منهما سببا للآخر ولهذا فإن أسباب سود
الوجوه وردت في القران بعده مواضع فذكر الكذب أنه سببا لذلك فقال تعالي (ويوم القيامه تري الذين كذبوا علي
الله وجهوهم مسوده)

وفي موضع آخر ذكر أنه السئيات واكتسابها (والذين كسبوا السيئهكأنما اغشيت وجوهم قطعا من الليل
مظلما)

وذكر في موضع آخر أنها الفجور (وجوه يومئذ عليها غبره ترهقها فتره اولئك هم الكفرة الفجرة)

فالسباب كلها تنصب حول الكفر وان اختلفت (بل من كسب سئبه وأحاطت به خطيئته)

ولهذا فقد أخبرنا الله اننا بحاجة للخروج من هذه الدائرة بأن نجد لأنفسنا خطأ مستقيماً نتعرف منه علي نقطه البدايه التي يمكن أن تصل بنا الي الخروج من هذه الدائره ولما كان الاختلاف مشكله فكريبه والتخلف مشكله موضوعيه فقد أمرنا الله الاعتصام بحبل الله الذي فيه الخط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه فالمعركه لمواجهه الاختلاف تبدأ بمعركه المعرفه التي تربطك بالله وقبل ذلك يجب تنظيف الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ ليحل محلها العرفان بالله تعالي فهذه هي اول خطوه في طريق التقدم ولذلك امر بالمعروف والنهي عن المنكر لمواجهه التخلف ولما كانت هذه الحركه فيها مشقه ولأن الاختلاف يعود إلي الرغبه في حميه العصبية والا عتزاز بالانساب

وهي وسيله الشيطان لاغواء الناس حيث انه بالنظر الي مايطرحه أصحاب النظريات التي تشق اتحاد الامه نجد أنهم يريدون أن يظهروا بمظهر القاده القومييين لحزب أو جماعه ولا يريدون الحق يخاف من أن تدمه القبيله أن قبل الحق فاليهود رفضوا القبول بالحق تمسكا منهم بالقياده وعصبية للجنس اليهودي ولهذا ذكر السود والبياض لبيان انقسام الناس وهذا لايعني أن الله يبغض اللون الاسود لا ليس كذلك فالناس في الدنيا لهم ألوانا مختلفه وهذا إنما يعود إلي حكمه الله حيث أن هنالك بئيه يكون السواد هو اللون الصالح ليعيش فيها الإنسان ويتكيف مع المناخ الذي يوجد فيها فهذا اللون هنا لحمايته من البئيه ومناخها

فنحن نري شخص اسود اللون يشع من وجهه النور لماذا لأن روحه طيبه فهذا الاشراق ناتج عن جمال الروح ولهذا فإن

لكن المراد ب السود في هذا اليوم هو الذي يظهر ملامح تري منها ما يخفي بداخله من اوساخ فظلام الروح تنعكس علي ملامح الشخص فأنت تري اثار الجريمه بوجه الشخص فتعرف أنه ارتكب جرماً شنيعاً

وبالتالي فإن المراد بهذا أن يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه المنهج الرباني لنخرج من دائره التخلف والاختلاف الي مستقبل أفضل وأجمل فالظروف الموضوعيه قابله للتطور التزمنا منهج الله القادر علي اقتلاع جذور الظلام فأستمعل الحوافز لاهميه فكان عرض المستقبل الذي تتحرك بخطواتك نحوه لتري فائده الخروج من التخلف والا ختلاف

فقال تعالي (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)

فالامم لاتتطور الا برفض أبناءها لواقعهم رفضاً برضا منهم وقناعه بأنه يجب الخروج من ذلك الواقع وهذا يحتاج الي معرفه بالمستقبل ووسائل الوصول إليه وأن يكون في ذهنه صورته عن ذلك المستقبل الذي يشكل هدفاً يسعي نحوه يحدد حاضره الذي يريد أن يتخطاه ومستقبله الذي يريد أن يحياه

فاخبرنا الله عن هذا المستقبل بهذه الصوره القادره علي الوصول الي الذهن لتدفعك الي التحرك بالعمل الذي يصلك الي ذلك المستقبل فقال اذكروا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

ولان الاخبار بذلك يهدف إلي تنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ وذلك يكون بالترهيب والترغيب فقد ابتداء بالترهيب فقال تعالي (فما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا... الخ بأسلوب اللف و النشر لأن المؤلف انه ابتداء (يوم تبيض وجوه.. الخ كان متوقعا أن يبدأ بذكر حال الذين ابيضت وجوههم لكن ابتداء بذكر الذين اسودت وجوههم

لأن العنصريه والتفرقه من صفات الكفر والشرك فالله يقول (ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالي (أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)

فالخروج عن مقاصد الدين هو في الحقيقة الكفر لأن الايمان اعتقاد وعمل وقول وعمل ولهذا فإن الذي يحب الظلم لا يكون مومنا في الحقيقة

ولأن الاختلاف يكون أحيانا ناتجا عن التشنج والتطرف ورفع الشعارات التي فيها المزيده والابتعاد عن الجوهر فالإسلام عندما حث علي التقدم والتطور بالتحرك المدروس نحو الأهداف لم يسمح للقفز فوق الواقع والحواجز المتراكمة لعدة قرون فأمره أن يمشي نحو أهدافه بخطوات متتابعه هادئه فلا يكون القفز إليها في قفزه واحده لأن ذلك يولد التطرف والاختلاف بالخروج عن منهج الله ولهذا ذهب البعض الي القول إن المراد بقوله (اكفرتم بعد ايمانكم) بأنهم الخوارج لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم الي قراتهم بشي ولا صلاتكم الي صلاتهم بشي ولا صيامكم الي صيامهم بشي يقرؤون القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لاتجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميح) فالمولي سبحانه وتعالى ينقل لنا صورته المستقبل لهؤلاء فجاءت النصوص هنا تعرض لنا حالهم في ساحه الحشر

وقد وصلوا سود الوجوه فهي علامه وسمه الكفار يفضح أمام المخلوقات ولهذا ورد الإنكار لحالهم بصيغه التعجب اكفرتم بعد ايمانكم)

الأمر الأول

رسم صورته هذا الشخصيه بالشخصية المهزوزه التي لم تستطيع الثبات والصمود اما الازمات ولهذا نجد أن النصوص ورد فيها السؤال لإنكار حالهم (اكفرتم بعد ايمانكم)

وهذا الي فيه جانب العذاب النفسي أن الحاضرون يتفاجون عندما يشاهدون علامه الكفر لاصقه بهم فهم كانوا يعرفونهم بالدنيا أنهم مومنون

فيقول الأجل التحذير من التطرف بانه نوع من الاختلاف في الدين ولهذا كان رسم صورته الشخصيه المهزوزه المعبره عن هولاء لبيان مخاطر التدين المغشوش الذي تغلل أسطحيه في قراءته للمقاصد وهذا يحدث بالتطاول بالتعامل مع الازمات بعيدا عن فهمها وادراكها والنظر في أمور دقيقه لا يمتلك الأدوات التي تمكنه من فهمها وادراكها فهذا وان كان حسن النيه ومخلصا فهو يزيد الأمور تازيما وشده ويمكن الأعداء فرصه من الاستفراط بالا مه فالصدق والإخلاص يقتضي تفحص العمل وهذا يقتضي أن يكون لديه خبره ومهاره وأدوات واختصاصات وهو أمر مهم بالذات من يضع نفسه في محل القدوه دون امتلاك المهارات والأدوات التي تمكنه من القيام بالمهمه ف النظره السطحية للأمور ينمي التخلف ويزيد الخيال ويولد الاشكالات العاصفه بالامه فالله يقول (ولاتقف ماليس لك بعلم)

وما يزيد الأمور تعقيدا هو أنه يتعصب لرأيه هذا ويقف ضد الحق محاربا

وأنا اليوم نعاني من اثار التطرف حيث نجد أن البعض قد صور الاسلام بأنه يعني عبادته الله بالمعني الضيق الصلاة والصيام ومنح الآخرين القيام بالصناعه والاختراع وإتقان تدابير الحياه بدلا عنا في عماره الأرض وهو ماشكل أسباب أعاققت محاولات حركات العمل الاسلامي من استعادته دور الامه في المساهمه بنشر الخير للانسانيه

وكذلك فإن من أسباب اهتزاز الشخصيه التقليدي فهو من أسباب التخلف والجمود ولهذا يدخل ضمن مفهوم الذين كفروا بعد إيمانهم أهل البدع والقدرية وعلماء الروافض والبهاثيه والاحمديه وغيرهم من الجماعات التي أصابها التخلف نتيجة التقليد لما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا فرطكم علي الحوض ويرد الي رجال منكم حتي إذا هويت إليهم لانالهم اصطلحوا دوني فأقول اي ربي اصحابي فيقول انك لاتدري ما أحدثوا بعدك)

لان غياب المنهج الرباني الوحي عن العقل المسلم يوقع الناس في التيه ويولد التدين المغشوش الذي يكون فيه المروق عن الدين أو الانسحاب من الدنيا بل أن الملاحظ اليوم في الحياه أن الفهم المحزن للوحي قد طال حتي من كانت عقيدتها سليمة حيث نجد أن المسلمون يقرؤون النصوص التي تامرهم بالسير في الأرض والرجوع الي

الحضارات وأسباب سقوطها لتكون لهم دليل يرشدهم الي سبيل النجاه والسلامه لكنهم ينظرون إليها من زوايه ضيقه مثلما هو الحال في تفسير الايه (سنريهم اياتينا في الافاق وفي أنفسهم) فينظرون أن الأمر يعني أن كشف الدلائل للكفار لمعرفة صدق القران وأنا مومنون ولذلك فنحن غيرمعنين بالبحث عن هذه المعرفه وبالتالي حصل انسحاب المسلمون اليوم في العلوم وذلك فيه تخلي عن دورهم في العمران والخلافه

الأمر الثاني

وكذلك فإن اهتزاز الشخصيه تعود إلي عدم الصمود أمام الفتن حيث أنه يتراجع عن دوره في حركه العمل الا يمانى اما بالترغيب أو الترهيب

ولهذا قيل إن كفرهم من بعد إيمانهم هو خروجهم عن الجماعه ومفارقتهم الاعتقاد لما ورد عن أبي هريرة (بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا ويصبح مومنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا)

فهو يبيع دينه مقابل عرض قليل من الدنيا ولهذا نجد أن الله تعالى يقول لنا إذا أردتم تجنب هذا المصير فإن السلا ح هو باستدعاء الوحي والاعتصام بالله وبحبل الله ليكون تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب السلبيه وهذا يحتاج الي عمل حتي لاتنكسر أمام الازمات فقال تعالى (فذوقوا العذاب) فيه الأمر بأن يذوقوا العذاب باصنافه و التذوق هنا نوع من الالهانه لهم للاشاره الي ان عليك وانت تقرا النصوص أن تدرك أن التعصب والكبر يتبعه مذله فانت تكابر في الدنيا وترفض القبول بالحق فاعلم أن النهايه هي الذل والمهانه ليكون نظرك لهذا سببا الي المسارعه في التوبه وإصلاح الخلل فالاخبار عن المستقبل تدريب علي رؤيه النتائج التي تحصل من المقدمات ولهذا بين السبب للعذاب (بما كنتم تكفرون) ولفظ كنتم تدل علي استمرارهم علي الكفر حتي ماتوا ولهذا نجد أن الحديث نصح الناس (بادروا بالأعمال) فهو سلاح مواجهه الفتن وانما نتمسك بحبل الله بالسرعه في مواجهه ابتداء من تنميه جوانب الخير وإصلاح الخلل

المبحث الثاني

تنقل النصوص لنا مستقبل المومنون افرادا وجماعات (وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خ (الدون)

معني خاص لكل مومن /ومعني عام بياض للامه كلها

وان من ماتحمله النصوص أنها تبين مستقبل من استشعار التحدي والمسؤولية وقام بما امره الله فهو قد انطلق عالما بنقطه البدايه وعينه متجه الي الله واليوم الآخر فهو قد استدعاء معرفه وبوصله الوحي في حركته فهم اعتصموا بالله وبحبل الله فنجد النصوص تبين أنهم في رحمة الله والمراد بها الجنه اي المخلوق الجنه يكون فيها هذا المومن...وليس المراد الصفه الرحمه (وربك الغفور ذو الرحمه)

لأن النص متعلق بمخلوق (ففي رحمة الله) فالمراد بها الجنه لماورد في الحديث أنه قال (اي الجنه انت رحمتي ارحم بك من اشاء)

والله يقول في موضع آخر (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل و يهديهم الي صراط .. الخ

فالجنة مخلوقه خلقها الله وهي باقيه ماشاء الله اما الرحمه فهي باقيه ببقاء الله وذكر الخلود بما في يفيد الابدائه فقد جاء بصيغه الجملة الاسميه الداله علي الثبوت والاستمرار

الأمر الثاني

ثم جاء التعقيب علي ماسبق كله فقال (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين)

أن الآيات المشار إليها ما ذكرت من شأن الحذر من دعاه الافتراق ومستغلبين الصراع وأنه لمواجهه مخططات الأعداء يكون الاعتصام بالله وبحبل الله وضروره المساهمه في حمل الخير والرحمة للانسانيه فآيات الله هي القرآن فهو كلام الله وما أخبرهم من السنن للأمم السابقه بأن يرجعوا إليها ليأخذوا العبر والدروس فاضاف ذلك إلي الله (آيات الله) للإشاره أنه فيها المنافع التي لا يستغني عنها في الحياه والمراد أيضا تربيته المهابه في النفوس وأنه الذي يلجأ إليه

وذكر أنه يقرأها علي النبي صلى الله عليه وسلم مع أن الذي ينزل بها هو جبريل لأن الله هو الذي امره بالنزول بها فهي واضحه فهي سهله الفهم لمن يريد الحق ثم قال (بالحق) فالباء للمصاحبه اي مصحوبه بالحق ونازله به الحق اي صدق الاخبار أو أنها للملابسه اي ملتبسه بالحق اي انها نزلت من عند الله حق فالمعني أنها نازله من عند الله ونازله بالحق فمعرفة الوحي فيها اختصار الطريق وتوفر لك الجهد والوقت فهو دليل العمل والتعامل مع الحياه مثلما أنه سبيل الهدايه فما في القرآن من آيات لتهديب النفوس والقلوب وفيه أيضا بيان السنن في تقدم الأمم وسقوطها

لتكون مسؤولا ايه الإنسان عن عملك فقال تعالي (وما الله يريد ظلما للعالمين)

نفي الظلم وارده الظلم عن الحق جلا جلاله بعد أن ذكر أنه بين للناس الآيات التي فيها وضوح الحق فيه فمن أخذ به فهو لايضل فلا يوجد سببا للاختلاف والخروج عن الحق الا الأهواء والبدع.. فهو سبحانه وتعالى انزل القرآن رحمه للعالمين وقد أوضح فيه من الأحكام ما يحصل لهم به الكمال ويتم نظام الجماعه وانهم اذا تخلو عنه وقعوا في المهالك والفشل والاختلاف يعود إلي فعل الإنسان نفسه فهو اي الإنسان خالف منهج الله وطريق الهدايه نفض يده من جبل العصمه فلم يأخذ بالاسباب لكنه سلك طريق الاختلاف وافسد نظام المجتمع ولهذا استحق العذاب ف الله يقول أنه جعل اسبابا للخير وجعل اسبابا للهلاك فهو تعالي لايحل بامه العذاب الا عندما يخالف أهله حكم الله فهو تعالي يقول (كذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمه) فأخذه بالحق والعدل ولهذا قدم الظلم لانه قد قدم ذكر العقوبه (فما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم... الخ فبين أن جزاهم بسبب افعالهم المنكره وانه لايظلم احد فالجميع عبيده ولهذا استخدم (ما) وهي نافية وتسمي ما الحجازيه لأنها بمعني ليس لأن الشروط متوفره فاسمها مفرد وخبرها جمله (يريد) والترتيب موجود ولم ينتفض النفي ولم تقرر بأن فالشروط تامه فهو سبحانه يستحيل عنه الظلم فهو يتصرف في ملكه بالعدل فالمولي عندما يذكر لنا الصوره التقريبيه للمستقبل الذي هو دار الخلد فهو لأجل اقامه الحجه ويكون الجزء بالعدل فانت عندما تسمع الآيات وهي تصور لك المستقبل عليك أن تطرح علي نفسك السؤال ماذا اعددت لها وكيف سوف تعمل لتتجنب الوقوع في ذلك الموقف عليك أن تحاسب نفسك وان اول خطوه لذلك هو المبادرة الي تغليب جوانب الخير ومحاصره جوانب السلبيه من خلال استصحاب بوصله الوحي في العمل

الأمر الثالث

أن التعقيب (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين)

فالنصوص وردت بعد عرض إثبات الوحي أنه منزل من الله وبعد أن عرضت النصوص حاجه البشر للبعثه والرسالات وان مساله التشريع أمر اختص الله به نفسه (أن الذين يفترون علي الله الكذب من بعد ذلك... الخ

مبيناً أن المولي سبحانه وتعالى قد خلق جميع المخلوقات لهدف وغايه لا يكتمل دوره الا بالوصول إليها وان الكون كله مسخراً للإنسان لعباده الكون يكون بخدمه الإنسان فذلك التسخير هو عباده الكون ومافيه والكون مجبور مسلوب الارده له وانما يتحرك وفق سنن ونوميس تحكمه وقوانين تنتظمه فأخبرنا أنه جعل البيت الحرام لعباده الله وهو اول بيت وضع لعباده الله في الأرض وقد اختصه الله بهذه الوظيفة وهيا الله لها الأسباب من الأمن فهي للناس كلهم فجعل لها وظيفه وهي أنها علامه يفرق بها بين المسلم والكافر في اخر الزمان حيث والرساله ع الميه (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين)

ثم بين أنه يجب علي أهل الكتاب اعاده النظر في قراءه الأحداث وتفسير الظواهر بالتحول الي الاسلام فهو الدين المقبول عند الله ولهذا لفت انتباه المومنون بالنداء الي ترك نصائح اليهود مبيناً لهم أن الحياه تحكمها سنن ونوميس مثلما أن الكون محكوم بسنن ونواميس فذكر أن التحولات في الحياه خاضعه لظروف موضوعيه سياسيه واقتصاديه واجتماعيه وثقافيه وبين بعضاً منها بأنها أسباب سقوط الحضارات السابقه فذكر تفصيلاً لسبيل المومنين وسبيل المجرمين والمقدمات والآثار وماينتج عن ذلك وأسباب التوفيق والخذلان والعواقب التي تنتهي إليها الأمور ولما كان الله قد أخبرنا أنه منح الإنسان الحريه في الاختيار ليكون مسؤولاً عن فعله واختياره (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) وهنا يقول لنا أنه لم يترك الانسان مهملاً فقد ارشده الي طريق الهدايه وانزل الكتب السماويه والرسول ليدلهم علي طريق السعاده الابديه (ومن يعتصم بالله فقد هدي الي صراط مستقيم) وقال (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

فقد جعل الوحي سبيل الهدايه وهودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين مطرده ونظام محكم

يحقق الانسجام بين الإنسان في حركته والكون والحياه فقال تعالي (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) اي نازله من عند الله ومنزله بالحق اي أن القرآن هو سبيل الهدايه وفيه بيان السنن والنواميس التي تحكم شؤون الحياه المختلفه والأسباب والمسببات والنواميس التي تحكم الحياه ومافيه من شؤون فأنت بحاجة إلي معرفه هذه السنن لتتجاوز الازمات والمحن في الأحوال المختلفه في الشده والرخاء والعسر واليسر

فيقول الله لنا أن هذه الايات أنزلت لتلبيه حاجه الإنسان الي تفسير وقراءه الأحداث الجارية في مجال الخير و الشر والتعامل معها ومواجهه الازمات والعمل علي معالجه آثارها والقدرات علي احتوائها والقدرة علي تجاوزها وهذا لا يكون إلا بادارك سنن الله ونواميسه في الأنفس والأفاق اذا لايمكن معرفه الحياه وفهم مافيه ولا التعرف علي أسباب الازمات ومواطن الخلل ولا كيفية الخروج منها إلا بمعرفه السنن التي تحكمها فهي مقدمات تورث النتائج كما لايمكن التعامل معها دون استيعاب هذه السنن وامتلاك القدره علي تسخيرها للوصول إلي امكانيه مغاليه قدر بقدر فذلك يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف علي الارض ويمثل مفتاح معرفه قصه نشاه الإنسان علي الا رض من بدايه الخلق حتي ينشي الله النشاه الاخره

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أن الوحي المنزل علي النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يوضح المعالم علي الطريق ويكشف القوانين والسنن التي تجعلك قادراً علي الاضطلاع بالمهمه والتعامل مع الحياه فالمواقف التي جسدها النبي صلى الله عليه وسلم القدوه الحسنه والذي يوضح لنا الفهم الصحيح للقران الكريم في تعريف البشريه كيف يكون تنزيل السنن علي الواقع من خلال تلك النماذج العمليه والتربويه التي حدثت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فيها سنه المواقف وسنه القول التي اعد الرسول صلى الله عليه وسلم بها المجتمع المسلم الذي هو خير القرون فعليكم الاقتداء والتاسي بالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم في التحولات الحاصله بالحياه في القوه والضعف والنصر والهزيمه والشده والرخاء

فهو منزل بالحق الذي لا يخالطه باطل (ماينطق عن الهوي أن هو إلا وحيا يوحى)

فالرسول صلي الله عليه وسلم هو الدليل القدوه المعبر عن القران ليقتدي به الناس في التعامل مع سنن ونوميس الله واقداره في الحياه في كل الأحوال والشوون بعيدا عن الخرفات والأوهام فقضيه الإنسان هو كيف يقوم بتيسخير السنن ومغالبه قدر بقدر ليتجنب الإخفاق أو الاصطدام المباشر بالسنن المودي الي السقوط والانهيار

فأخبرنا الله تعالي أن الايات الوارده في القران فيها النجاه والسلامه لأن الله هو خالق الكون وخالق مافيه فقد أقام الكون بالحق مثلما أن التمسك بالقران منزل بالحق وان استصحاب الوحي كيوصله هدايه ودليل تعامل مع سنن الكون لفهم حركته ومعركه كيف نحسن تسخير الكون لخدمه الناس بفهم السنن فهذا لا يكون إلا بالقرآن لانه منزل من خالق الكون ومالكه فالقران هو الذي يحقق الانسجام بين حركه الإنسان وحركه الكون ثم إن الإنسان بحاجه الي معرفه كيف يتعامل مع حركه الحياه وشؤونها المختلفه وظروفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية و السياسية وهذا إنما يكون بالقران ومعرفه السنن فالله هو خالق الأسباب والمسببات واليه ترجع ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول (ولله مافي السماوات ومافي الاوض والي الله ترجع الامور)

فالنص فيه الآتي

١

أنه بعد ذكر نفي الظلم عن الله تعالى ذكر أنه له ملك مافي السموات ومافي الارض ملكا وحياه وأمانه وتديبير فهو الغني الذي لا يحتاج الي طاعه المطيع ولايزبد في ملكه شي كما أنه لاينقص في ملكه عصيان العاصي

فالنفي هنا لبيان عدم حاجه الله الي الظلم لأن الظالم إنما يلجاء الي ظلم غيره ليزداد الي عزته عز بظلمه غيره أو باضافه سلطان الي سلطانه ليتم ما لديه من نقصان وهنا يخبرنا الله أن كل شي ملكه في الكون كله وبالتالي فهو سبحانه له الكمال ولا يحتاج الي الظلم فالجميع ملكه وعبيده واذا كان ذلك كذلك فيستحيل في حقه سبحانه وتعالى أن يظلم أحد من خلقه لانهم عبيده

٢

ذكر أن له الملك والخلق والأمر والتديبير في الكون كله وحده لا شريك له وأنه ترجع إليه مصائر العباد كلهم الصالح والطالح والمحسن والمسي فيجازي كلا بعمله

الأمر الثالث

ذكر أنه خلق السماوات ومافيهها والأرض ومافيهها وجعل لها سنن ونوميس تحكمه وقد انزل للناس من التشريعات بـ الحق لبيان ان الوحي هو دليل العمل والتعامل مع الحياه بكل مافيهها لبيان ان هنالك سنن في الحياه يجب التعامل معها فانتم بحاجه الي معرفه السنن لمواجهه التحديات واحتواء الازمات فذكر (والي الله ترجع الامور) والأمور هي الشؤون لقوله تعالى (وما أمر فرعون برشيد) ولهذا فهو يعم كل أمر ولهذا كان تقديم الجار والمجرور (والي الله) علي المتعلق (ترجع)

فأراد بهذا الحصر والتخصيص ان يبين أن لكل شي سنن هنالك سنن كونه و سنن اجتماعية و سنن اقتصادية يجب الأخذ بها لمعرفة التحولات فهذه السنن لا محاباه فيها حتي للمسلمين بالامور الماديه الحضاره الماديه فانت عليك الأخذ بها لأجل التقدم والتطور والتنمية المستدامة فنحن اليوم نري كيف هو حالنا من التخلف عندما أهمل

المسلمون التقدم في الحياه التكنولوجية التي أخذ بها الآخرون ونحن اهلنا الصناعات والعلوم الاقتصادية والا
جتماعية والثقافية فالله يقول لنا أن الحضاره الماديه والاستخلاف في الأرض باستعمارها والتحسين في
استخدام ماسخر الله لنا فيها أمر يخضع لأسباب وسنن في مقدور كل البشر القيام بها لكن الذي يميز المومنون في
حضارتهم هو أنها حضاره تحافظ علي القيم والمبادئ الروحانية فتكون حضاره مميزه فقال تعالي (كنتم خير أمة
أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله) ف

وهذا فيه

١

كنتم) من كان الناقصه تدل علي تحقق شي بصيغه في الزمن الماضي من غير دلالة علي عدم سابق أو لاحق
ويحمل علي الدوام والا انقطاع بحسب دلالة القرائن فتقول (كان زيد قائما)فهذا محمول علي الانقطاع

وقال تعالي (وكان الله غفورا رحيمًا)محمول علي الدوام والاستمرار

٢

فهي صفه لامه ظهرت وبرزت ظهور الخاء بعد الميم (كنتم خير امه) أنه ظهور استعلاء وبروز فجاء ظهور الخاء
وهو من حروف الاستعلاء فهي امه أظهرت لما فيه مصلحه للناس فذكر الحكم مقرونا بالوصف المناسب لما يشعر
بالعليه تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله والمخاطبون هم الصحابه رضوان الله عليهم فالمعني
صرتم خير امه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول خير القرون قرني ثم الذين يولونهم ثم الذين يولونهم...الخ

وهو ما يفيد الدوام والاستمرار لما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لو شاء الله لقال انتم خير امه
ولكن قال كنتم في حاضر أصحاب رسول الله ومن صنع مثل صنعهم اي من أخذ بشروطهم فذكر الشرطان
تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ثم ذكر الايمان هنا لانه القيمه للعمل بدون الايمان

٣

كما أن النصوص جاء (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

فالذي أخرجها وأبرزها هو الله تعالي ولم يقل خلقت لأن هذه الامه وصفها الخروج والبروز فهي امه ظهرت وبرزت
وقد جاء فيها اظهار التنوين مع الهمزه (امه اخرجت) فهي امه ظهرت وبانت والله هو الذي أظهرها فهو سبحانه
وتعالى مثلما وضع الكعبه اول بيت للعباده وجعلها محطه وعاصمه انطلاق رساله اخر الزمان ذكر أنه سبحانه هو
الذي أخرج هذه الامه ولهذا فإنه إذا كان الحديث عن امه إخراجها الله تعالي فلا يمكن أن يتحدث عنها أنها امه
بأنده

٤

ذكر شروط الخيرييه تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أن اول خطوه علي طريق التجاوز هو تنميه جوانب
الخير الإيجابية ومحاصرة الجوانب السلبيه للحلوله دون امتدادها فالحضارات الماديه يمكن أن تتميز في التقدم
والتطور لكن تلك الحضاره تكون مصحوبة بالانحطاط في القيم الروحانية لكن الحضاره الاسلاميه تقوم علي
التوازن بين الحضارة الماديه والقيم والمبادئ الروحانية فذكر تلك الافضليه التي فيها احترام كرامه الانسان ولانه
يمكن أن يوجد نسبه من احترام كرامة الإنسان في بعض الحضارات فإن تلك الحضارات منفصله عن المصدر التي

فيها الاجر والثواب ولهذا ذكر (وتؤمنون بالله) والملاحظ أن الايه الكريمه جاءت بعد أن تناولت النصوص في الايات قبلها أمر الله (لتكن منكم امه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون... الخ وقد ورد قبلها تذكيرهم بنعمه الاسلام ولحقها بيان سبيل المومنين وسبيل المجرمين وعافيه كل فريق وذكر أن الإنسان والكون والحياه محكوم بسنن ونواميس كلها ترجع إلى الله في كافه الشؤون فالله يقول إن تلك المعارف هي اساس القيام بالمهمه فمن عرف هذه السنن والنواميس والتي منها سبيل المومنين وسبيل الكفار... فمن نال ذلك العلم وهو مومن فهولاء هم انفع الناس وبذلك برز الصحابه رضوان الله عليهم علي جميع من اتى قبلهم ومن يأتي بعدهم فهم نشوا في الجاهليه وما فيها من قبائح فلما جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم انقذهم من ذلك الي صراط مستقيم ولذلك يقول الله انتبهوا أن تصابوا بداء الأمم الناتج عن تعاقب الأجيال وهو مانعيشه اليوم عندما جاءت اجيال بعد الصحابه ولم يعرفوا تفصيل السبيلين فالتبس عليهم الطريق فخرجوا عن الخيريه ومثلما حصل لليهود الانقسام فقد حصل للمسلمين حيث أن التباس المسلمين يعود إلى ضعف القراءه للقران وتفسير الظواهر والأحداث بوسائل غير القران فنجد من يفسرها بالماده وبما وصل إليه من الغرب لدرجه انك تري من ينادي أن السعاده والفلاح في الديمقراطيه ومنهم من يقول بالقوميه والبعض يريد تطبيق الحضاره الغربيه فعدم وجود العلم والمعرفه بسبيل المومنين وسبيل المجرمين حصل الانحراف بالعقائد وا لأعمال ولهذا تأتي النصوص مبينه أن في الالتحاق بالإسلام الخير لتطمئن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين خافوا علي السلطه فرفضوا الاسلام (ولو امن أهل الكتاب لكان خيرا لهم)

لو صدقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لكان خيرا لهم في الدنيا والآخرة لانهم أثروا دينهم علي الاسلام حبا للرئاسه وهنا يأتي التعقيب (منهم المومنون واكثرهم الفاسقون) أن منهم المومنون مثل عبدالله بن سلام وان الاغلبيه خارجون عن طاعه الله وهم الفساق

القسم الخامس

بعد أن تناولت النصوص بيان أن التحول في قراءه الأحداث وتفسير الظواهر من التوراه والانجيل الي القران الكريم فيه الخير والصلاح لاهل الكتاب لو أنهم استجابوا لأمر الله لهم فذكر أن هولاء انقسموا الي فريقين منهم اقلية قبلت بالتحول الي الاسلام وامنت واخري رفضت وهم الفساق تأتي النصوص ترسم المعركه مع هولاء مبينه سبيل كل فريق بما ترسم لنا الآيات من مشاهد حيه متحركه تعطينا صورته تفصيليه لكل طرف أسباب فساد وصلا ح كلامهما وطريق كلا منهما وأدواته والعاقبه التي ينتهي إليها كل طرف منهم وأسباب التوفيق والخذلان فقال تعالي (لن يضروكم الا اذي وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذله

اولا

ابتدأت النصوص بالخطاب الإلهي (لن يضروكم الا اذي وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون)

فالواضح أن الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون بشكل عام سواء الذين التحقوا بالإسلام من اليهود والنصارى الاقلية المشار إليها سابقا أو المهاجرين والأنصار وهو خطاب لنا في كل زمان ومكان... ولا يوتر في ذلك ما ذهب إليه بعض المفسرين الي القول إن الخطاب موجه الي الاقلية التي آمنت من اليهود امثال عبد الله بن سلام ومن إليه لأن الاغلبيه الفاسقه المذكوره في الايه قبلها قد قامت بتهديد الاقلية التي آمنت بالقتل و المصالح وغيرها

فإن هذا لايعني قصر الخطاب عليهم لأن القضايا التي تعالجها النصوص والموضوعات التي تطرحها النصوص للمناقشه متداخله مع بعضها ولايمكن الفصل بينها فهي جزئيات مترابطه متصله بموضوع التقدم والتطور و

المضي قدما نحو بناء الدولة القادرة علي القيام بمهمه الخلافه فهي مرتبطه بخيريه هذه الامه والتي من لوزام ذلك أن تكون لها دوله قويه تحافظ علي سيادتها من تدخل الآخرين وفقا للأمر الإلهي فقال تعالي (أن تطعبيوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)

ولما كان المسلمون لديهم علاقات تجاربه ومصالح مع اليهود وكذلك كان اليهود مازالوا قوه ظاهره حتي ذلك الوقت يمتلكون القوه الاقتصادية والعسكريه والأمنية والعسكريه فقد ادي ذلك إلي أن المسلمون بدوا

بتفاعلون مع التوجيهات التي أمرهم الله بها وكان منهم دراسه كيف يكون تطبيق الأمر الإلهي باعاده النظر في قراءه العلاقات السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه مع اليهود وفقا لمبدأ سياده الامه ووحده أراضيها وقيم ومبادئ الاسلام التي بينت حرص الإسلام علي الصداقه مع جميع الدول والحكومات والمنظمات الخارجيه لكن بشرط أن لاتكون تلك الصداقه سببا للتدخل في شؤوننا الداخليه وان لاتفرض علينا قيادا أو شرط يمس هويتنا وعقيدتنا

ولهذا فقد برزت لدي المومنين مخاوف من احتمال قيام الأعداء برده فعل تمس مصالحهم التي لدي اليهود وايضا بدوا يفكرون بمساله الحرب اذا ما نشبت مع هولاء فبدوا بالدراسه والمناقشه فيما بينهم لمعرفة الوسائل القادره علي مواجهه التحديات أن نشبت الحرب أو حصل تهور من اليهود واضروا بمصالح المسلمين فقد توجه الاهتمام منهم لوضع الخطط والبرامج والنظريات القادره علي مواجهه التحديات المقترضه والنتاجه عن إعلان العلاقات مع اليهود ومنعهم من التدخل في شؤونهم الداخليه فأنزل الله اليه الكريمه التي فيها

الأمر الأول

أن عليك ايه المومن في كل زمن ومكان أن تكون شجاعا وانت تمنع الأعداء من التدخل في شؤونك الداخليه وان تحافظ علي سياده وطنك وسياده الشرع وان تصون وحده الامه من التمزق ولاتسمح للأعداء من التدخل في شؤونك الداخليه مهما كانت المصالح بينكم وبينهم وان عليك أن تطمئن فلن يستطيع هولاء أن يلحقوا بك الضرر فقال تعالي (لن يضرؤكم الا اذي)

ولن اداه نفي الضرر وهي اداه جازمه (يضرؤكم) فعل مضارع يدل أن هذا الفعل منفي علي الدوام عن امه الايمان ما التزمت المنهج الرباني فالله يقول لنا انه لن ينتج عن معركه قطع العلاقات مع اليهود والنصاري اي ضرر يوتر علي جماعه الايمان فعليكم اتخاذ القرار بكل شجاعه

فعدوكم عاجز عن إلحاق الضرر بكم وان أكثر مايمكن أن يصدر منهم في أغلب الأحوال هو الاذي اليسير العارض ولهذا استعمل بعد اداه الاستثناء (الا اذي)

والفرق بين الاذي والضرر هو

أن الضرر يكون مؤلما وله اثار تستمر لفترة زمنيه تتفاوت بحجم الضرر أما الاذي فهو عارض ولا اثار له لأنه يزول خلال فتره بسيطه مثل السب والشتم والسخرية و الاستهزاء والإعلام كما قال تعالي (أن الذين يؤذن الله ورسوله)

والمراد بهذا تقويه الارده لدي المسلمين لتتحول الرغبه في التحرر من رواسب الماضي ومن الاستعمار بكافه انواعها وأشكاله من امنيه الي التعبير التنفيذي بإعلان الاستقلال ومنع استغلال الأعداء العلاقات للتداخل في سياده الدوله وقيم ومبادئ الاسلام وكم نحن اليوم في هذا الزمان بحاجه الي أن يتحلي القاده المسلمين الي الشجاعه لإعلان الاستقلال الحقيقي الذي يمنع تدخل الصهيونية في شؤون المسلمين كم نحلم أن تتحول

الرغبات التي يعبر عنها الزعماء في اجتماعات القمه العربيه الي عمل تنفيذي نحن نري كيف أن الأعداء يتدخلون في شؤوننا باسم الصداقه وأن الجميع يرضخ لهم تحت مبررات واهية تجعلهم يضحون بقيم ومبادئ الاسلام مقابل التشبث بصداقه اليهود والنصاري حتي ولو كان ذلك علي حساب بيع دينهم والخوف علي الأموال المقدسة لدي الغرب وهذا يعود إلي ابتعاد الحكام في عصرنا عن الاعتصام ب الله فأصبحنا لانملك غير الحوقله والحسبله عندما ابتعدنا عن منهج الله

الأمر الثاني

هل الايه محكمه ام منسوخته وهل نفي الضرر مقيد بالمومنين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ام أنه في كل زمن

الجواب هي محكمه والخطاب كما قلنا للرسول صلى الله عليه وسلم وأتمته والذي نحن جزء منها فنفي الضرر عن المسلمين في كل زمان ومكان

وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك والحال اننا نري أن اليهود يلحقون بالمسلمين اليوم الضرر بل اشد الضرر ؟

الجواب

أن الايه جاءت متربطه بما قبلها حيث فيها وصف امه الاسلام بالخيريه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر... الخ اي ومن اتصف بصفات جماعه الايمان الاولي التي هي النموذج التطبيقي العملي الذي يستحق حمايه الله من الضرر أما الذي بتخلي عن دوره في حمل الامانه ويترك السنن والأسباب التي فيها عز الامه كالذي يترك الوحده الي الافتراق والشقاق فهذا أوصافه أخري غير أوصاف الذين وعدهم الله بعدم الضرر فالمسألة ليست مجرد رغبه في القوه فنحن نعلم أن هنالك رغبه اليوم لدفع الضرر عن المسلمين ودفع الظلم الواقع علي اهلنا في فلسطين وعن أنفسنا من اليهود بل ربما أنها اي الرغبه توجد لدي بعض القاده فهذا الرغبه لامعني لها لأنها تبقي مجرد امنيه ينقصها التعبير التنفيذي كي تتحول إلي اراده فتهبط من عالم الرجاء والخيال الي ارض الواقع التنفيذي

ولهذا فإذا أردت ايه المسلمون اليوم تحقيق وعد الله لكم بانتفاء الضرر فاعلموا أن ذلك يتطلب منكم ايجاد الشروط التي ذكرت النصوص أن انتفاء الضرر موقوف علي وجودها لأن زوال هذه الشروط يجعلك عرضه للضرر لامحاله والمسلمون اليوم قد تفرقوا شعيا وأحزاب والله يقول (أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)

الأمر الثالث

تعريف المسلمين بحقيقة عدوهم من اليهود والنصاري

فقال تعالي (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار)

يقول لنا الله أن انتم التزمتم بالاعتصام بالله والاعتصام بحبل الله بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن عليكم الاطمئنان بأنه حتي لو فكر عدواكم بالانتقال من المعركه الاعلاميه الي معركه القتال والمواجهه والقتال لابد فيه من الالم وينتج عنه اثار واضرار كما هو معلوم فإن الحرب معهم لن تكون مكلفه وعليكم أن تطمئنوا لماذا؟

يقول لك الله أن هولاء جبناء مهزومون من داخل أنفسهم عاجزون عن القتال (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار)

فهم يرمون بالسلاح ويهربون فجاء التعبير عن ذلك بالتولييه للادبار كناية عن الانهزام في المعركه بأن هولاء

يهربون من ساحه القتال والمواجهه التي تتطلب أن يكون الوجه مقابل الوجه لكن هولاء يعطيك ظهره توليه الدبر اي القفا لماذا يجعل ظهره لوجه خصمه في القتال أنه يفعل ذلك طلبا للنجاه بالفرار واستعمل الفعل المضارع للدلاله أن هذه هي صفاتهم في كل زمن الاشاره أنهم جبناء

وان الله قد حرمهم من النصر فقال تعالي (ثم لاينصرون)

جمله استنافيه لبيان أنهم مهزمون لاتقوم لهم شوكة ابدا فهم مهزمون بصفه دائمه

ولهذا استعمل (ثم) الاستنافيه وهي غير العاطفه فلو كانت عاطفه لكانت الجملة ورد فيها جزم الفعل بحذف النون وحينها كان النص (ثم لاينصروا) وحينها سيكون المعني أنه يمكن لهم أن ينصروا بعد ذلك لكن المعني الحقيقي أنهم مهزمون علي سبيل التاييد (ثم لاينصرون)ولهذا ذكر بعدها (ضربت عليهم الذله ...الخ

الأمر الرابع

قد يقول قائل اذا كان هولاء مهزمون علي وجه التاييد وهم محرمون من النصر فهل هم لاينصرون علينا ام لا ينصرون نصرا مطلقا الجواب أنهم لاينصرون علينا (ثم لاينصرون)

وهنا يقول لنا هذا القائل

كيف والحال أن اليهود اليوم أصبح لهم قوه هزمت المسلمون

الجواب

الجواب أن الله تعالى قد قال لنا أنهم مهزمون ولن يستطيع هولاء هزيمة المسلمين ولن يجدوا من يقف معهم وينصرهم من أهل الفسق طالما أننا تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

والسؤال الذي يطرح نفسه امامك ما المراد بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (واعتصموا بحبل الله جميعا)

البعض يعتبر أن ذلك هو اقامه الحدود من جلد الزاني ... فالأمر ليس مقصورا علي ذلك اعلم أن قيم العدالة وسيادة الشرع وسياده الامه ووحدها والاخوه والشوري في اختيار الحاكم وكل قيم الإسلام هي جزء أصيل وعنصر أساسي من عناصر النصر علي الأعداء لتحظي بالتوفيق وليكون عدوك مخذول ينبغي أن لاتفرط باي من قيم الإسلام فإذا رأيت احد من أهل الفسق ينصر اليهود فاعلم حينها انك تقاتل علي غيرمنهج الله فالنصر مشروط بماقبله (كنتم خير أمة أخرجت للناس...الخ

فالله يقول لنا أن اختصاص هذه الامه بالفضليه والخيريه مرهون بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما أن تخليتم عن ذلك وتركتم الحق ورفعتم رايه القوميه أو العصبية أو غيرها من الرايات فإن هذا ينتزع المهابه من قلوب اعداكم وحينها تصبحون عرضه للضرر تدوسكم الاقدام

فالتمسك بالإسلام هو السبيل الوحيد الذي يجعل النصر حليفكم وعدوكم مخذول فالقوه تكمن بالتمسك بالإسلام فيجعل عدوك مرعوب منكم فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول نصرت بالرعب مسيرة شهر

ثانيا

تكشف النصوص عن أسباب ضعف هولاء التي اصابتهم بوصمه الخزي والعار فقال تعالي (وضربت عليهم الذله اينما ثقفوا الابحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنه ذلك بأنهم كانوا يكفرون

بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

الأمر الأول

بعد أن ذكرت النصوص أنهم مهزومون عاجزون عن القتال وانهم محرمون من النصر فلا بد أن البعض تسال لماذا أف لا يمتلكون قوه عسكريه وترسانه اسلحه وجيوش ... فالله هنا يقول لنا أن هنالك قوه مهمه في المعركه انتبهوا أن تفقدوها كما فعل هولاء الذين صاروا مكتوب عليهم الهزيمة والمهان والمذله بأن يذلوا في كل ارض فقال تعالي (ضربت عليهم الذله اينما ثقفوا الابحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنه)

والنص بقدر ما يرسم لنا واقع اليهود والنصاري الذين رفضوا القبول بالحق ورفضوا التحول الي قراءه الأحداث وتفسير الظواهر وفقا لما ورد في القرآن فإنه يهدد كل من يسلك طريقهم ويحذو مسالكهم

ولهذا نجد النصوص وردت بعبارات قادره على هز النفوس والقلوب ولقت انتباه الأذهان لرؤيه اثار قراءه الأحداث بالمخالفة لمنهج الله ويتضح ذلك من الآتي

١

(ضربت عليهم الذله)

فالفعل مبني للمجهول حيث يفهم أن الضارب هو الله تعالي وهذا فيه نقل صورته مذمومه عن حال المضروبين فقد جرت العادة أنه يبني الفعل للمجهول في حاله مايكون الفعل يراد به ذم المستهدفين والمضروبين هنا هم اليهود والنصاري لأن الضمير عائدا علي قوله تعالي (ولو أمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون واكثرهم الفاسقون)

فالمراد بهذا الاغلبيه الفاسقه والوصف هنا بالفسق يعني أنهم أصبحوا تابعين لمدرسه الشر وقائدها ابليس اللعين الذي فسق عن أمر ربه

وبالتالي فإن الضرب بالمذله عقوبه علي اختيارك السيئ

والضرب لفظ يطلق علي الحفريات في الشي ويطلق علي النقش في الشي بحيث يحصل الالتصاق به كما يقال ضربت العمله اذا ادمجت ببعضها فصار ملتصقا بها فيكون ممتزجا بها لايمكن فصله فالمولي سبحانه وتعالى يريد منك وان تسمع النصوص أن تكون صورته في ذهنك عن حال هولاء فتكون انطبعا سئيا في وجدتك عن حالهم لتشهد رويتهم بصوره في غايه القبح فتكرهم وتكره افعالهم

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى استخدم للتعبير عن ذم حالهم لفظ الذله فأراد بهذا أن ترسم النصوص في ذهنك صورته في غايه البشاعه والقبح عن حالهم بشاعه خاصه لأن الذله علي وزن فعله فهي تدل علي ذله معينه مخصوصه فهي ملتصقه بهم لبيان أنها لاتخرج من قلوبهم كما تقول جلس فلان جلسه اسد اي بطريقه معينه ف المراد بهذا أن يغرس في نفسك وترسم في ذهنك صورته الذله بأنها متمكنه منهم مختلطه بوجودهم لايمكن فصلها عنهم فهم حتي لو حصل قتال معهم فإنهم يهربون يتركون السلاح ويهربون من شدة الجبن الساكن داخلهم

فالله يقول لنا أن الاراده مفقوده لديهم فالهزيمة ناتجه عن عدم الثقة بأنفسهم نتيجته اختيارهم السي حب الحياه وكراهيه الموت

٢

تبين النصوص أنهم الزموا الذل في كل بقعه من بقاع الأرض وفي كل زمن فقال تعالي (اينما تقفوا)

اين ظرف وتقفوا اي وجدوا

والمراد بهذا أن يصل الي ذهنا أن هولاء يعيشون في ذل ومهانه اينما وجدوا في أي بقعه من الأرض وفي اي زمن

فهم تحت اقدام الناس

والايه ترسم صوره بشعه عنهم وكل من اتصف طريقهم ومايزيد من بشاعه أحوالهم وصورتهم أن النص استخدم لفظ (اينما تقفوا)

لماذا ؟

لأن المعلوم أن الإنسان عندما يتحرك ويتقدم الي الامام فإن هذا التقدم محكوم بظروف موضوعيه تتفاوت تأثيرها على الحركة بمستويات مختلفه حيث أن الغرائز التي أوجدها الله في المخلوقات كلها أنها في أرضها المكان التي تقيم فيها تمتع بقوه وشجاعه بعكس اذا انتقلت الي ارض غريبه غير أرضها فانها تفقد جزء من شجاعته لأنها انتقلت الي ارض غير مألوفة فالاحساس بالغربه يولد الخوف لانه لا يوجد اصدقاء وأصحاب يأنس بهم وهذه حاله طبيعيه لكن الغير طبيعي أن تجد الإنسان في أرضه وسط أحبابه وأهله وأنصاره وجيشه وجنوده وهو خائفا يترك كل ذلك ويرمي بسلاحه ويهرب

فهذا لامبرر له لأن الأرض تشكل عنصر قوه يقوي اهلها فأنت اضافه الي ارتفاع المعنويات العاليه في ارضك فأنت تعرف وديانها وسهولها وجبالها والهضاب فأنت تتمتع بقوه القدره علي السيطرة علي الأحداث فيكون بمقدراك استدراج اعدائك الي الكامن بالاستعانة بالأرض التي تملك القدره علي فهم كيف تتحرك فيه بسهولة بعكس الذي يأتي من خارجها مهاجما

ف الله يقول لنا أن هولاء عاجزون عن المواجهه حتي لو صادفتهم في أرضهم المحصنه لبيان خروجهم عن حاله الطبيعيه في الجبن لمستوي من الانحطاط يفوق الوصف

ومن جهه ثانيه لبيان أنهم جناء مهزومون سواء كانوا في حاله دفاع أو هجوم لماذا لأنه تعالي أخبرنا في موضع آخر عن جبن اليهود في حاله الهجوم عندما طلب منهم موسي اقتحام القرية الظالمه ودخولها (ادخلوا القرية التي كتب الله لكم الخ فقالوا (انا فيها قوما جبارين) (ادخلوا الباب عليهم ... الخ

ولهذا ف الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أنهم جناء مهزومون سواء كانوا في حاله هجوم أو كانوا في حاله دفاع فقال تعالي (اينما تقفوا) فهم غير قادرين على القتال والمواجهه سواء كانوا داخل أرضهم وحصونهم أو في حاله الخروج من الأرض الي مكان آخر فقد اصابهم الذل فلا عز لهم

٣

تبين النصوص أن هذا القدر المكتوب عليهم بالهزيمة والذل والهون لازم لهم الي قيام الساعه الا في حالات معينه فجاء الاستثناء (الا بحبل من الله وحبل من الناس)

والحبل كما قلنا وسيله الامان اي السبب الذي يكون فيها لهم الامان وهنا فيه احتمالان

الاول

أن المراد بهذا الامان المرتبط بالجزية فيكون لهم عهد من الله بالأمان فهذا هو الحبل الذي بسببه يحصلون علي الا مان بدفع الجزية عن يد وهم صاغرون

وان العهد (وحبل من الناس)

هو الأمان الذي يمنحه الامام او الحاكم بحسب الاجتهاد والقوانين المتعلقة بالعلاقات الدولية بشأن من يدخل البلا د من أهل الذمه بموجب إذن الحاكم أو الذمي المستامن بشكل عام كل من يدخل ارض المسلمين بموجب إذن الحاكم (جواز السفر) فمن ابرز جواز السفر وعليه تاشيره دخول ارض المسلمين فقد حصل علي الاذن فهذا له الا مان ويجب حمايته

والي يفهم من هذا أنه في هذه الأحوال يجد لديه شجاعه أن يتحرك بدون خوف هنا وهناك وسمي العهد حبل لانه سبب الوصول إلي الامان وزوال الخوف

الثاني

أن المساله متعلقه بوعد الله كما قال تعالي (فإذا جاء وعد الاخره جئنا بهم لفيفا)

وحبل الناس

أن أهل الباطل في بعض الأحيان يحبون أن ينصروا بعضهم البعض ويقومون بحمايه هؤلاء ورفع معنوياتهم وربما يحصل لهم نصر

لكن هذا إنما يكون في حاله ابتعاد المسلمين عن منهج الله تعالي

ونحن اليوم فعلا نري كيف أن بريطانيا رتبت لنصرتهم وإيقاع الهزيمه بالمسلمين في فلسطين وتمكين اليهود من ارض المسلمين عندما ابتعدوا عن منهج الله ومع أن اليهود امتلكوا التفوق في السلاح والصناعات التقليدية والا قتصاد وكل مظاهر وعناصر القوه الا أنهم غير قادرين علي مواجهه في الحروب وانما يستمدون قوتهم من امريكا التي تقف في صفهم وتعلن التزامها بحمايه وأمن اليهود رغم مالديهم من قوه تفوق مالدي العرب مئات الاضعاف وهذا إنما يعود لأننا ابتعدنا عن منهج الله ولك أن تنظر إلي حالهم عندما تسقط صواريخ حماس علي اليهود كيف أنهم يصابون بالهلع والخوف

٤

(وباؤا بغضب من الله)

باؤا بمعني رجعوا وأصله من التبوؤ وهو المكان لقوله تعالي (والذين تبوأ الدار والايمان)

اي الذين سكنوا فيه فهي تدل علي الرجوع والاستقرار فقد استقر بهم الحال بعد رجوعهم أن مكتوا في غضب الله

فالنصوص ترسم لنا صورة هولاء القوم القبيحة في تعاملهم مع الله واختيارهم الطريق بان اختيارهم دواما هو الا دني ففرازهم منحطه فهم لم يستجيبوا للنداء بأن عليهم اعاده قراءتهم وفقا للقران ليكون منهم الانطواء ضمن المطلب الرباني لكنهم كعادتهم رجعوا من رحلتهم تلك بغضب من الله لعدم امتثالهم ولفساد اختيارهم كما فعلوا سابقا فاختروا المطلب الادني السيء كما أخبرنا القران (اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير اهبطوا مصر فإن لكم ماساتم وضربت عليهم الذله والمسكنه وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

حيث أنهم عندما طلب منهم الالتحاق بالإسلام اختاروا طريق الفسق فكان اختيارهم هو الادني مثلما كان حال أسلافهم فبقيت علي صورته الانحراف التقليدي مع تحد وتجاوز مهين

فهم قد رجعوا من رحلتهم تلك بالغضب (من) للابتداء وذكر أنه (من الله) فقد استغرقتهم لعنه الله فهم ماكتون فيها كما قال تعالي (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل علي لسان دودا وعيسي ابن مريم...الي قوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه)

ف الله يقول إن الغضب الإلهي ينصب علي رفضك امثال أمر الله واختيارك السيء فهم نتيجة اختيارهم السي محرمون من الهدايه فهم (المغضوب عليهم) فاستحقوا اللعن والطرده فهم غير موفقون لنصر ابداء

٥

وضربت عليهم المسكنه)

يقول لنا الله أن فساد قوي الحب والغضب لديهم وبعدهم عن الله ومكتوهم بالغضب والبعد عن الله اصابهم (الياس والقنوط)

من تحسين أوضاعهم ولهذا فقد انعكس ذلك علي مشاعرهم بالإحساس أنهم صغار فهم قد اخفقوا في إصلاح أحوالهم مثلما فشلوا في تأصيل البدائل عندما طلب منهم الالتحاق بالإسلام فقد تمسكوا بحضارتهم واستبدلوا التوراه التي تامرهم بالإيمان ونصره الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتب الشيطانيه كما ورد في سوره البقره (واتبعوا ماتلوا الشيطان علي ملك سليمان. الخ

فهي فقدت ادائها باختيارها لما هو ادني فاصابها الياس والقنوط وهذا الداء أصاب هولاء منذو زمن طويل ف المسكنه داء باعته من داخل النفس نتيجة الذل لقرون طويله وعدم إيمانها بالحق وفقدانها الامل بالتغيير

فهو لاء فقراء النفوس فهم وان امتلكوا كنوز الدنيا تجد حالهم أنهم يعيشون حياه الفقراء ويتظاهرون بالفقر والحاجه ويعبدون المال لخوفهم من المستقبل ولشعورهم أنهم صغار وحقراء

وهذا فيه اشاره الي أن الهزيمه النفسيه الداخليه لديهم قد أحاطت بهم نتيجة القبول بالأمر الواقع والعيش محكومين ويكفي ذلك للتعبير عن غضب الله عليهم فهم قد أنهزموا وكان منهم القبول بالأمر الواقع بالعيش في هامش الحياه حقراء لا يسعون الي تغيير أحوالهم فأراد الله أن يلفت انتباه المخاطبين الي خطوره تلك الأوضاع علي الأجيال

ولك أن تعرف خطوره هذه الحاله عندما تتحول إلي ظاهره سلبيه تشكل عوامل تخلف مجتمع ما هو أن تقف علي ظاهره المهمشين في أي مجتمع لك ان تري ما وصلت إليه طبقه المهمشين في مجتمعنا الذي يعد ما هم فيه ظاهره توجب علي المسلمين إخراجهم منها

المهم هنا انك تحتاج اليوم لتخرجهم مما هم فيه اقصد المهمشين الي جهود جباره بل ستجد اول عائق يمنع محاولتك رفع الظلم عنهم هم أنفسهم نتيجة المعاناه الطويله التي عاشوها فهم في حاله ياس من القدره علي التغيير نتيجته قبولهم بالأمر الواقع طيله تلك السنوات

فالفرق هنا أن المهمشين في واقعنا ليس لأنهم ارتكبوا خطأ بل لأن المجتمع المسلم لم يفهم حقيقه الاسلام وان الواجب عليه اخراج هؤلاء من أوضاعهم ليكن لهم دور فعال في المساهمه في حمل الامانه فهم جزء أصيل منا أما اليهود فقد كان ذلك عقوبه لهم ولهذا فإن الله يحذرنا من الياس والقنوط فهي من أسباب ضياع وهلاك الأمم ف الإسلام يحذر من مقدمات ذلك فقد نهي عن اشاعه أجواء الإحباط والتقاعس عن إصلاح أحوال الناس فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) فإذا كانت بالنصب اي فعل ماض فهذا يعني أن هذه الكلمه كانت سببا في اهلاكهم وان كانت بالرفع علي صيغه افعال فهذا يعني أنه أشدهم اهلاكا فيجب الحذر من أن تسود أجواء الحياه مثل تلك الأجواء فهي من اقوي الازمات التي تعصف بالامم وتودي الي سقوط الحضارات

الأمر الثاني

تفصح النصوص عن الأسباب التي تؤدي إلي الذله والمسكنه وغضب الله فيقول الله أن سبب هذا القدر المكتوب عليهم (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

الدرس الاول

أن المولي يكشف عن الأسباب لما وصلوا إليه من الذل والهون لبيان ان فهم الحياه وما فيها يحتاج الي فهم واستيعاب الاسباب التي توصل الي النتيجة ولهذا ابتداء بذكر حالهم المذموم وهو أمر لابد أن السامع سوف تروده اسئله تخطر بباله فيقول ماخطبهم ماهي العله التي اوصلتهم لهذا المرحله يريد معرفه ذلك كي يتجنب الوقوع فيما وقعوا فيه لماذا لأن المولي سبحانه وتعالى عندما يتحدث عن الكفار فإنه يذكرهم بالذم لحالهم ليجعلك تشاهددهم بمشاعر البغض والكرهيه لهم ولا عمالهم كي تكسب قوه نفور من ذلك السلوك فلا ترتكب افعالهم ف الغرض التحذير

وهنا يقول لنا الله أن هذه النتيجة إنما كانت لها مقدمه فهي مثل معادله رياضيه أسباب ومقدمات (كفر.. قتل الانبياء وعصيان وعدون= النتيجة (ذل ومهانته في كل مكان وزمان وسخط من الله ومسكنه)

فاللله تعالي جعل أسباب توصل الي الهلاك مثلما جعل للنجاح أسباب فأنت بحاجة إلي فهم واستيعاب تلك الأسباب كي نتجنب ما فيه الهلاك والخساره

وتقديم ذكر النتيجة التي وصل إليها هؤلاء علي الأسباب اسلوب رائع في التربيه لانه يغرس في الكراهيه والبغض للحاله التي يعيشها هؤلاء ولا بد أن ذلك يودي الي الشوق لمعرفه ماهي الاسباب كي يتجنب الوقوع فيما وقعوا فيه فكان تأخير ذكر الأسباب التي اوصلتهم الي تلك الحاله بعد ذلك لها دورها وفاعليتها في تربيه النفس وتقويه جانب النفور من تلك الأفعال فقال (ذلك بأنهم) اشاره الي الأسباب (ذلك بما عصواوبما كانوا يعتدون) الكفر وهو في اللغه الستر والتغطية وهؤلاء كفروا بالقران ورفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم المذكور أوصافه ونعوته في التوراه والانجيل وحاولوا تغطيه ذلك عن الناس لماذا لفساد قواهم النفسية فهم متعصبون فعندما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب رفضوا القبول بالحق لانه لم يخرج منهم

هذه الأفعال هي اسباب وصولهم الي حاله الذل والهون فحقق الغرض ا من عرض حاله اليهود وهو اجتناب افعالهم حذر أن يصيبكم ما أصابهم وهذا فيه بيان اهميه الربط بين العمليه التربويه والتعلميه والدعوه الي الله تعالي ف

الفصل بينهم هو سبب الفشل الذريع الذي وصلت إليه الامه الاسلاميه اليوم فمطلب البناء الحضاري يتطلب ايجاد الإنسان المناسب معه والقادر علي تحقيق التنامي الحضاري الذي يحتاج الي العمل الوعي القادر علي قراءه الأحداث وتفسير الظواهر وفقا للقران ومواجهه الازمات لديه مهارات وخبرات للقيام بالمهمه ضمن مؤسسة العمل الإسلامي بالوسيطيه والاعتدال من دون إفراط ولاتفريط فكان ذلك من أهم شروط اعاده ترتيب بناء الشعوب بالاغتناء في بناء الإنسان التعليمي والتربوي والدعوي

الدرس الثاني

تبين النصوص أنه لقراءه الأحداث وفق منهج الله لا بد من الربط بين التاريخ والديانات ولهذا نجد تعطينا الأسباب التي كانت وراء الأحوال القبيحه في حياه اليهود وما اصابهم الذل والمهانة والسخط من الله والمسكنه بأنه يعود إلي الكفر منهم والكفر هنا هو تغطيه الحق وستر الحق وانكاره الآيات البراهين الواضحه وهو يشير إلي الكفر منهم بما جاء في التوراه كذلك كفرهم بالقران ورفضهم الالتحاق بالإسلام وسياق النصوص جاءت بعد قوله تعالى (ولو أمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون واكثرهم الفاسقون)

وبالتالي فإن الحديث هنا جاء متعلقا برفضهم القبول بالالتحاق بالإسلام وهنا قد يقول قائل اذا كان الذم هو لرفضهم القبول بالإسلام فلماذا كان استعمال اسم الاشاره للبعد ذلك بأنهم وربط ذلك بالماضي الممتد الي اختيارهم ماهو ادني اي فساد اختيارهم ونحن نعلم أن ذلك يعود إلي زمن موسي عليه السلام (قال اتستبدلون الذي هو أدني بالذي هو خير اهبطوا مصر فإن لكم ماسالتم وضربت عليهم الذله والمسكنه وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

ثم أنه ذكر الاشاره الي قيامهم بقتل الانبياء وهذا إنما كان من أسلافهم

فالجواب

١

إن كفر هؤلاء برفض التحول الي الاسلام وقراءه الأحداث الجارية في مجال الخير والشر وفقا للقران كون الاسلام هو الدين المقبول عند الله أمر اعتاد عليه هؤلاء عندما يأتي الأمر الإلهي مخالفا لرغباتهم ومصالحهم فهؤلاء فاسدون من الداخل نتيجة الحسد والكبر العنصريه والعصبية التي تغللت فيهم ولهذا نجد أن الله تعالى يقول في موضع آخر (واقربهم موده للذين امنوا الذين قالوا انا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وانهم لا يستكبرون)

اي أنهم غير متعصبون فهم يدعون الناس جميعا الي دينهم بعكس اليهود فقد طغت فيهم العصبية للجنس

وهذا الطبع قد ولد لديهم حسه النفوس والدنائيه ولذلك فقد أخبرنا الله أنهم يختارون المطلب الدني وسماه الله الاختيار الادني اي السئ

كما ورد في سوره البقره (اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير اهبطوا مصر...الخ

فكانت هذه العقوبه (اهبطوا مصر فإن لكم ماسالتم وضربت عليهم الذله والمسكنه وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) علي اختيارهم السئ وهنا لما أمرهم الله بالانتقال الي الاسلام والايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو المعروف لديهم فقد رفضوا التحول الي الاسلام واختاروا أن يتبعوا الكتب الشيطانيه فقال تعالى (ولو أمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) اي أنهم تركوا الخير واستبدلوه بالشر فهذا الاختيار القبيح له جذور قديمه متاصله فيهم

لانه لا بد وأن السامع سوف يتساءل ويقول من اين جاء هؤلاء بهذه الجراءه وهم أهل كتاب كيف يكون من أهل

دين أن يخفي الآيات وسترها عن الناس وهو عارفا بالله والأديان

فا راد المولي سبحانه وتعالى أن يبرز لنا ماضي هولاء لنعرف مصدر فساد الاختيار لدي هولاء وان منبع انحراف هولاء يعود إلي سلوك مغروس في نفوسهم ليقول لنا أن البئيه والتربية لها دور في مساله التحولات من عدمه لماذا لأن الإنسان يولد في بيئه ويتلقي منها علومه ومعلوماته فيجد نفسه منقادا للحب والبغض والمدح والذم حسبما تلقي أوليات المعرفه والعلم من محيطه الخاص ثم محيطه العام ولهذا يخبرنا الله أن البيئه التي شكلت أوليات المعرفه في تفسير هولاء للأشياء والأمور هي تلك البيئه الفاسده التي كفرت بالآيات الواضحه في زمن موسي فهم قد طلبوا من موسي أن يصنع لهم أصنام مثل المشركين بعد أن شاهدوا ايه العظيمه في البحر عندما انجاهم واهلك فرعون وقومه ومازالت اثار المياه في أقدامهم لم تجف بعد فقالوا (اجعل لنا الهه .. الخ

٢

يقول لنا الله أن تفسير هولاء وقراتهم للأحداث والظواهر تعود إلي رغباتهم القبيحه ونفوسهم الخبيثه فهم أن خ الفت الآيات رغباتهم كفروا بها ثم إن كفرهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ليس غريبا اذا كان حالهم في الماضي تشير الي أنهم قتلوا انبياءهم لانهم أمروا بالعدل والقسط كما قال تعالي في موضع آخر (ويقتلون الذين يأمرون بـ القسط من الناس)

فذكر هنا قتلهم للانبياء مع أن المخاطبين وهم اليهود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا الانبياء فأراد الاشاره الي خسه النفوس فهم عندما يقرون التاريخ لما فعل أجدادهم لا ينكرون تلك الأفعال من أسلافهم ولهذا صاروا كأنهم فعلوا الجريمة بأنفسهم ولذلك استحقوا العقاب

والمراد بإبراز حالتهم هذه التحذير لنا من التعصب الأعمى وتبرير جرائم السابقين فأنت بذلك تعاقب في الدنيا والآخرة فالمسلم ملزم بالاعتصام بالله وبحبل الله فلا تفصل بين التاريخ والديانات أثناء قراءةك للتاريخ فالعقيده الاسلاميه تعتبر الإنسان جزء من الديانه ومفسرا لها فلا يمكن قراءة بمعزل عن الديانات فنحن نعتبر الماضي للديانات جزء أصيل من حياتنا فنري الذين آمنوا أنهم الماضي الذي نبني الحاضر علي ماوضعوا من بصمات في الحضاره الانسانيه ونري الكفار أعداء لنا في أي امه فقراءه اي تراث انساني ينطلق في تفسيره من حيث تحقيق المطلب الرباني فتكون نظرتنا وتحليلنا لحياه تلك الامه يجب أن يبدأ من حيث مواقعها من الديانه هل قبلت ام رفضت للرساله الموجهه إليها وكيف تعاملت مع الرسل من بزوغ فجر البشريه حتي يومنا هذا

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يردف بقوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

اشار إلي أن العصيان والعدوان منهم مازال مستمرا بارتكاب المعاصي ومايخالف منهج الله والثوابت فهم قد عصوا ما امرتهم رسلهم بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بمحاربه الاسلام بعدما عرفوا أنه الحق

فهذه الأسباب هي التي ألصقت بهم الذل والهون وغضب الله وسخطه والمسكنه وهي سنن الهيه لكل من سلك طريقهم سوف يكون حاله مثلهم فنحن اليوم نعيش في تمزق وتناحر لدرجه ان المتأمل لحالنا يتسال هل هذه هي خير امه وهي علي هذا الحال الجواب لقد أصابنا داء الأمم عندما ابتعدنا عن منهج الله عندما بدأنا نقرأ التاريخ من زويه الحميه والعصبيه الجاهليه نتباهي بماضي الفراعنه الذين أهلكتهم الله لكفرهم نتباهي بماضي الطغاه الذين بطروا النعمه في مأرب فاهلكهم الله ونتجاهل أن ذلك كفر بآيات الله فنحن نستمر مافيها من آيات للعهه والعبره وكان ينبغي أن نقرأها من منطلق الرباني بأن هولاء طغاه فنري أحوالهم علي سبيل البغض و الكرهيه لهم ولا افعالهم ولهذا أخبرنا الله أن موهلات الذله والمسكنه والغضب تعود إلي الكفر وقتل الانبياء وهو يعني حب الكفار وحب افعالهم أو ارتكاب الذنوب والمعاصي كما قال تعالي (بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون)

فالمعاصي تحجب الرؤية وكذلك العدوان سواء بارتكابه كما فعل أسلاف اليهود بقتل الانبياء عندما حصل معارضة ماحمله الانبياء مع حب السلطه والرئاسة والمصالح أو العدوان المعنوي وهو أن تقبل بقتل أهل الحق في زمنك أو ما حصل في الماضي عند قراتك للتاريخ كما هو حال اليهود في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فهم لم يقتلوا الانبياء وانما أسلافهم لكنهم لم ينكروا ذلك أثناء قراتهم لماضي اليهوديه ولذلك اعتبروا في حكم الفاعلين واستحقوا العقوبه في الدنيا والآخرة

وهذا حكم عام ينطبق علي كل من اتصاف بتلك الصفات فإنه يصير مستحقا للذله والغضب والمسكنه عقوبه له عن العصيان والعدوان

ثالثا

بعد أن بينت النصوص سبيل المجرمين من أهل الكتاب تنقلنا السياق في رحله متانيه لمشاهده الاقليه المومنه من هولاء وترسم لنا صورته حيه عن حركتهم في الحياه ودورهم ومساهماتهم في حمل رايه الهدايه الي جانب إخوانهم من العرب وغيرهم الذين حملوا رايه الاسلام فقال تعالي (ليسوا سواء من أهل الكتاب امه قائمه يتلون آيات الله اثناء الليل وهم يسجدون يومنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفرون والله عليم بالمتقين)

الأمر الاول

ابتدأت النصوص بنفي المساواه التي تعني نفي المشاركه في اصل الاتصاف (ليسوا سواء)وهذا فيه لفت انتباه المومنون أن ما ذكر في الايات قبلها من الاشاره الي الاوصاف القبيحه التي اتصف بها من وصفتهم الايه من أهل الكتاب بالمذله والغضب والمسكنه فليست تلك الاوصاف عامه علي كل أهل الكتاب وانما ذكر ذلك بمناسبة تناول النصوص قبلها موقف أهل الكتاب من الإسلام (ولو أمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون واكثرهم الفاسقون)

فلما ذكرت النصوص انقسامهم الي قسمين واختتم بذكر الاغلبيه الفاسقه فذكر معركه الفاسقون مع الاسلام ولهذا كان لابد من بيان اوصاف القسم الثاني المومنون من هولاء لبيان أنهم متفاوتون بالصلاح والفساد والخير والشر فهم ليسوا سواء فأخبرنا (من أهل الكتاب امه)

والامه جماعه وقد قيل إنهم عبدالله بن سلام ومن إليه من اليهود الذين أسلموا وقيل أنهم نصاري العرب الذين أسلموا وقيل من أسلم من نصاري نجران وقيل هم النجاشي ومن اسلم من الأحباش وجميع الآراء صحيحة فهم جميع من ذكر المهم أنهم من استجابوا لأمر الله

فذكرت النصوص اوصاف الاقليه المومنه لترسم لنا صورته قادره ان تصل إلي أذهاننا فنري أحوالهم وصورتهم وافعالهم علي سبيل المدح فنجبهم ونحب افعالهم فيكون ذلك قوه تدفعنا للاقتداء فقال تعالي (من أهل الكتاب امه قائمه يتلون آيات الله.... الخ ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ذكر الجماعه المومنه بصفات فيها مدح لها

الصفه الاولى

وصفها سبحانه وتعالى بأنها (قائمه) اي جماعه مستقيمه قائمه بأمر الله اشاره الي قيامها بالنهوض بأمر الله الذي أمر به الانبياء بالإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته (ليؤمنن به ولينصرونه)

فجاء التعبير عن ذلك بالقيام وهو ضد القعود للاشاره الي النهوض كما قال تعالي بشأن الذين تقاعسوا عن المشاركه في الجهاد بأنهم قعود فقال تعالي (لايستوي القاعدون ...)

فاستعمل القعود رمزا يشار به الي من إبطاء عن القيام بأمر الله في نصره الحق وايضا فإن القيام يشير إلي الا ستقامه والذي عكسه الانحناء والانبطح والاعوجاج والمعني هنا أنهم استقاموا علي الحق فأمنوا بالله ورسوله إيماننا صادقا لامروغه فيه وأنهم قاموا بواجب نصره النبي صلى الله عليه وسلم تنفيذًا للعهد مع انبياءهم وليس المراد بالقيام المعني الحرفي الذي هو ضد القعود لأن المسلم مأمور بالقيام بأمر الله في كل الأحوال والأوضاع قائما وقاعدا ومضطجعا

فأراد بهذا بيان إنها ثابتة علي الحق وقائمه به كما قال تعالي (ومن قوم موسي امه قائمه بالحق وبه يعدلون) اي أنهم يتبعون الحق اينما يكون فلا عصبية لديهم فهم أهل حق وعدل فهؤلاء هم الجماعه المومنه التي أشار الله لها (منهم المومنون)

الصفه الثانيه

(يتلون آيات الله اثناء الليل وهم يسجدون)

أن أول مايشد الإنتباه أن النصوص ذكرت قراءتهم لآيات الله دون أن تبين هنا ماهو المقصود بآيات الله هل هي الآيات الورده في القران ام التوراه والانجيل...وما المراد بالتلاوه هنا ولماذا خص القيام بهذا الفعل في جوف الليل وربط ذلك بالجملة الاسميه وهم يسجدون

الجواب

اعلم أخي القارئ أن المراد بالآيات هنا بشكل أساسي هو القرآن الكريم ومافيه من أحكام ومعجزات وآيات فالمولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن هذه الجماعه كان منها الاستجابة للنداء الرباني بالتحول الي حضاره الاسلام وان يكون منهم اعاده النظر في قراءه الأحداث وتفسير الظواهر والشؤون من التوراه والانجيل الي القران الكريم لأن الاسلام هو الدين المقبول عند الله عندما أمرهم الله بذلك فقال تعالي (أن الدين عن الله الاسلام)وقال تعالي (ولوامن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المومنون)

فدل ذلك علي قبولهم لأمر الله وأنها لم تتمسك بحضارتها ولا كتابها المعطل بعد نزول القران بل بادروا بالتحول الي الاسلام الذي يحقق المطلب الرباني

فهذه الجماعه استمرت قائمه مستقيمه لم يحصل منها الخروج عن أمر الله بالقعود في مكانها كما فعلت الأغلبية الفاسقه التي تمسكت بحضارتها المعطله فأصبحت تابعه لمدرسه الشيطان ولهذا ناسب استعمال الفعل المضارع (يتلون)في وصف فاعليه حركه الاقليه المومنه للإشارة الي استمرارها في حركه العمل الايماني فهي لم تنقطع لماذا لأنها قبلت بالتحول فهي كما قال تعالي في موضع آخر (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل إليهم)

*

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أن هذه الجماعه مستمره في حمل المشروع الرباني بقبول التحول في قراءه الأحداث وتفسير الظواهر من التوراه والانجيل الي القران الكريم ويعطينا الدليل علي ذلك فقال تعالي (يتلون آيات الله)

فما هو المراد بالتلاوه

والتلاوه في اللغه هي القراءه والمراد بها هنا القراءه لها بالفهم وبالعنايه والاهتمام لانه سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يومنون به)

وبالتالي فإننا نفهم أن هولاء لديهم خبره ومهاره في القراءه فهم استفادوا من تلك المهارات والخبرات التي حصلوا عليها من الانتساب الي الأديان بعكس الاغلبيه التي كفرت وكان منها العصيان والعدوان

ولهذا يعطينا الدليل علي استفاده هولاء من الخبرات التي لديهم فذكر الوقت الذي يقرون فيه القرآن فقال تعالي (اناء الليل)

فاختيار الوقت المناسب للقراءه أمر مهم للحصول علي الفهم الصحيح لمدلولاته لأن التفكير الهادئ هو الأنسب لفهم النصوص ومن الموكد أن القراءه في ذلك إنما يكون من أشخاص اوعيتهم القلبيه والنفسية والعقلية طاهره من اوساخ اليهود فهم لاحسد فيهم ولاكبر ولا عناد ولارياء وانما يتوجهون بالفعل الي الله وان لديهم قوه ارداه وعزيمه ناتجه عن معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده وطاعته فقال تعالي (وهم يسجدون) اشارة الي العمل الصلاه والخشوع والخضوع لأمر الله فقد وصفهم الله في موضع آخر فقال تعالي (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل إليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا)

اي أنه لم توتر فيهم المصالح الشخصية ولا الأهواء ولا الشهوات

وقد قال الله في بكاءهم إذا سمعوا القرآن في موضع آخر (واذا سمعوا ما انزل الي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق)

الصفه الثالثه

(ويؤمنون بالله واليوم الآخر)

يلاحظ أنه ورد ذكر تصديقهم بالله واليوم الآخر بعد أن ذكرت النصوص مساله الخشوع والخضوع والاذعان و التسليم والقبول بأمر الله بقيام الليل وقراءه القرآن في جوف الليل والسجود لبيان ان أساس العمل هو الإيمان فهذه العزيمه والارده القويه ناتجه عن قوه الايمان بالله واليوم الآخر بالاشاره الي أن القوه العلميه النظرية هي اساس القوه العلميه الارديه لماذا ؟

لأن أساس قوه النشاط والعزيمه والهमे والطاقة يستمد من قوه العلم والعرفان باليقين الجازم بالله واسماءه وصفاته وكماله والطريق الموصول الي الله وكذلك معرفه نفسك بضعفها ونقصها وافتقارها وحاجتها الي الله

فقوه العلم النافع تجعلك تشعر انك مسافر الي الله واليوم الآخر فتبرز معالم الطريق امامك للوصول إلي ذلك بـ المراقبة الذاتية والشعور بوجود الله في كل حركه

ولأن ضعف الايمان بالعقوبه ووقوعها إيمانا يقينيا هو السبب وراء عدم امتثال أمر الله وارتكاب المعاصي ولهذا نجد الكثيرون يدعون الايمان بالله واليوم الآخر ومع ذلك نراهم يرتكبون المعاصي فلماذا يحصل منهم ذلك الحقيقه ان هنالك فرق بين العلم والعرفان يعني الشعور بوجود الله فنحن لو نومن باليقين الجازم بأن العقوبه نازله لامحاله عند ارتكاب الذنوب والمعاصي مثل البرق لن يحصل منا الفعل المحرم لكن في الحقيقة أن الكثيرون ليس لديهم ايمان جازم بوقوع العقوبه وبالتالي فإن قساوه القلوب لدي الفرقة الفاسقه كانت وراء عدم امتثال أمر الله تعالي وعدم الخوف من نزول العقوبه عليهم

ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يمدح هذه الجماعه المومنه فذكر أنهم استقاموا علي الحق ويقرون الآيات في جوف الليل فهم خاضعون ساجدون لله ثم ذكر إيمانهم بالله واليوم الآخر لبيان ان الايمان الصحيح عن علم ومعرفته هو الباعث علي ذلك التسليم والاذعان لأمر الله كما قال تعالي في موضع آخر (أن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلي عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا أن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)

الصفه الرابعه

ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

النصوص تبين أن هولاء قد التحقوا بالجماعه المسلمه وانهم رغبوا بالخير الذي حملة الإسلام كما قال تعالى في موضع آخر (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين اتيناهم الكتاب من قبله يومنون به وإذا يتلي عليهم قالوا آمنا به أنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال تعالى (الذين اتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)

ف الله سبحانه وتعالى يبين أن هولاء قد استقاموا علي الحق وعرفوا أن الاستقامه وحدها لا تكفي في تعاليم الإسلام فهو يطالب كل واحد من موافقه أن يصدع بالحق ويقاوم الباطل ويصلح الفاسد بالقدر الذي يستطيعه فالأمر في الإسلام ليس مقتصرًا علي اصلاح الشخص نفسه والقيام بواجباته الفرديه من ايمان وعباده وصدق معامله فهو عليه مسؤوليه عامه لايجوز الانسحاب منها فالمسلم لايقبل أن يري تقصير الناس عن عمل الخير ولايقبل أن يري انتشار الجوانب السلبيه والأخطاء في الحياه فالمسلم يتحمل المسؤوليه ويتدخل قدر استطاعته في تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب السلبيه فالمسلم لاينسحب من القيام بالمسؤوليه العامه التي يجب عليه القيام بها فالإسلام يريد شخصيه مسؤوله ولها مبادي تقوم بحمايتها فلا بد من مقاومه الديكتاتوريه والاستبداد والإسلام لم يكتفي بتوجيه المسلم نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل رسم له حدود ذلك والوسائل والأساليب والطرق لمنع أن يكون ذلك سببا يهز استقرار الأوضاع في المجتمع فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (من رأي منكم منكرا فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه .. الخ

فالفئه القادره علي احداث التغيير باليد هم الحكام السلطه التنفيذيه والقضائيه والتشريعيه وأما الفئه التي تغيير ب القول فهم العلماء والدعاة والإعلام بوسائله المختلفه وأما العاحزون فهم عندما يكون المسلمون في ضعف وهنالك مخاطر عليهم أن أنكروا المنكر أو الذين لايمكلون السلطه بالفعل ولايتمكنون من التعبير بالقول لانهم غير مؤهلين ولهذا يجب إنكار المنكر في القلب حتي أن يحصل التكيف معه فلا بد أن يبقي قلبك حيا

الصفه الخامسه

ويسارعون في الخيرات)

ان النصوص ترسم لنا مشهد حركه عمل هولاء بأنهم يتنافسون علي الوصول إلى الهدف وهو تنميه جوانب الخير ا لإيجابية بالأمر بالمعروف ومحاصره جوانب السلبيه بالنهي عن المنكر

والسرعه تدل علي حاجه الشخص للفعل وهذا إنما يكون ناتجا عن خشيه ان يفوته أمر نافع له يريد اللحاق به يمثل الباعث النفسي الذي يدفعه الي الإسراع ولهذا فإنه يفهم أن الباعث لدي هولاء الرغبه في الكمال الايماني ف العرفان الصحيح بالله والشعور بوجوده والايمان باليقين الجازم بعقاب الله ولد فيهم حب لقاء الله والخوف من عقابه فهم يترقبون الموت فالقيم الروحانية تمتلك قلوبهم فقد أثروا الاخره علي الدنيا

فهم كلما نزلت ايه من القران يسارعون الي فهم ماتحملة من أوامر وأحكام من أجل أن يكونوا متعبدين الي الله في حركاتهم وأفعالهم يتقربون الي الله

ولهذا فإن هولاء يفرحون في نزول القران كما قال تعالى في موضع آخر (والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) فالرغبه والفرح شكلت باعنا دافعا للمسارعه بالقيام بأمر الله وطاعته فالنصوص ترسم لنا الحاله الانفعاليه في نفوسهم وهو حب الخير والشوق الي التكليف من الله فهم كلما نزلت ايه سارعوا الي تطبيقها فهم يفرحون بنزول القران فالنصوص تبين لنا أن حركه هولاء محسوبه وهدفهم محدد هو الوصول إلي الكمال لأن القرآن وصف

لنا حركة المسلمون وفاعليتهم بأنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام فقال تعالى (ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذان الله.... الخ فالمسارعه هنا سبق الي الخيرات بالعمل الموافق للشرع الناتج عن فهم للنصوص وهذا يفهم من الحثيات (يتلوون آيات الله اثناء الليل وهم يسجدون ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)

ولهذا فلا تعارض مع الحديث الشريف الورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا سمعتم الاقامه فامشوا الي الصلاه بالوقار والسكينه ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا)

لأن النصوص قد أوضحت لنا أن لديهم تاني في الحركات فذكرت أنهم يقرون القران في جوف الليل تلاوه فيها تمنع وفهم وإدراك لما فيه فهم يتجنبون العبث وهذا فيه السكينه في حركاتهم وأفعالهم واوضحت الايه الهيئه الخاصه بهم (وهم يسجدون) للاشاره الي الوقار

يقول لنا الله أن حركات هولاء وسرعتهم ممدوحه لأنها لم تخرج عن السكينه والوقار لافي الحركات ولا في الهيئه فهم لديهم ملكات قادره علي تجنب إخطار الوقوف على مفترق الطرق لماذا لأن السرعه هنا مدروسه العواقب ومخطط لها لتنصب علي الخيرات دون أن تحدث ضجيج فهذه السرعه لاتنافي الوقار في الهيئه ولاتنافي السكينه في تحريك الظروف الموضوعية السلبيه المراد استبدالها بظواهر ايجابيه فيها تنميه جوانب الخير لأنها صادره عن فهم ومراعاه جميع العناصر المتعلقة بها فقال تعالى (في الخيرات)

فالسرعه هنا تختلف عن العجله لأن المذموم في الحديث هو الاستعجال المفضي إلي عدم الوقار فقد ورد عن قتاده أن الإسراع الذي لاينافي الوقار كمن خاف فوات التكبيره فلا

فالسرعه تختلف عن العجله... السرعه تقابله الابطاء فالمراد أن قيامهم بطاعه الله عن رغبه وحب فهم غير متناقلين علما منهم بحاجتهم لها وحسن مافيها لانه انما يتباطأ عنها من كان في قلبه مرض كما قال تعالى في شأن المنافقون(واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي) وفيه بيان انهم يبادرون الي الخير لاينتظرون الي الوقت الذي يطلب منهم فعل الخير فهم يبادرون الي فعل الخير لأن الله أمرهم بذلك (ولتكن منكم امه يدعون إلى الخير) فهم عندما يتدخلون فالأمر ليس لهدف شخصي بل دفاع عن الحق ونصره للمظلوم فالسرعه هنا تشير الي الايجابيه والمباداه لعمل الخير

والعجله مذمومه ويقابله الثاني وهي ممدوحه

والفرق بينهما اضافه الي ماسبق أن السرعه فيها تقدم فيما ينبغي التقدم فيه بينما العجله فيها تقدم فيما لاينبغي التقدم فيه وهذا يعرف من وقاع الظروف حسبما بين الحديث بأن السرعه عندما تصل إلي الحد التي تكون فيها الحركات تصدر ضجيج تنقص من شأن صاحبها وتظهره بهيئه المتهور وتنقص من منزله الشخص في نظر الآخرين فإن هذا يكون فيه الانتقال من السرعه الممدوحه إلي مستوي العجله المذمومه حيث اننا نري في الكثير من حالات الاستعجال في تحريك الظروف الموضوعية المؤثره في ظاهره التخلف والاختلاف وبحسن نيه انها تؤدي الي اثار عكسيه ومناقضه لما كان المخلصون يبتغون تطبيقه فالاستعجال في التقدم الغير مدروس في محاولة معالجه أسباب التخلف بشكل متسرع ودون نظره الي جميع عناصره واجزائه يؤدي الي نشو أزمات اشد خطوره مما كان عليه الحال قيل ذلك فأنت بحاجة إلي معرفه كل الأسباب والظروف المتداخلة معه وكيفيه الخروج منها لأنك قد تجد نفسك في اتجاه اجباري خطط له الأعداء وتم تجهيزه بمهارات وخبرات من قبل من صنع الازمه بجمع الخيوط وإبعاد المنطلقات وبذلك يتحكمون في توجيه المسافات ليكون توجيه المسار نحو اتجاه اجباري فتجد نفسك تنتقل الي قوالب جاهزه المسارات والمسافات فبدل التخلص من منكر خفيف تصل الي منكر أشد وأعظم وقد شاهدنا في عصرنا نتائج عكسية اشد خطوره على الناس مما كانوا فيه نتيجه الثورات الغير مدروسه العواقب وبحسن نيه صرت تخدم أعداء الامه الذين جعلوها تنحرف عن مسارها الطبيعي لتتجه نحو اتجاه اجباري

يخدم مصالحهم

ولهذا يخبرنا الله أن السرعه من هولاء هي في نطاق الحاله الطبيعيه السرعه الممدوحه فهي سرعه عن دراسه متكامله فذكر التلاوه بالفهم وربط الجزئيات مع الأساس الاعتقادي الايمان ولهذا فإن التقدم هنا محمود لانه ناتج عن امتلاك ملكات القدره علي تحديد الهدف وعلاج الظواهر السلبيه واختيار الطريق المستقيم عند مفترق الطرق ومعرفه كيف يتجنب الآثار السلبيه اثنا القيام بالأمر عن خبره ومهاره وارده فليس الأمر مجرد رغبه وخوف فوات الوقت فقط كي يتحرك عشوائيا وعفوئيا فليس الام، كذلك ولهذا يخبرنا الله عن النسب الذي صار ينتسبون إليه (واولئك من الصالحين)

أنها شهادة من الله عز وجل لهم من أهل الصلاح والله يقول (ولقد كتبنا في الزبور....الي أن قال (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) والنص هنا يشير إلي أنهم من ضمن جماعه الاسلام التي نهضت بالتكليف في إصلاح أحوال البشريه فهم جزء أصيل وفعال من مكوناته والصلاح ضد الفساد والله يقول (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علو في الأرض ولا فساد والعاقبه للمتقين)

فهم صلحت أحوالهم فاستحقوا رضوان الله تعالي ولهذا يطمئنهم (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بـ المتقين) أن عليهم أن يطمئنوا علي أعمالهم التي قاموبها فلن يضيع اجرهم عندما بدأ اليهود يسخرون ممن أسلم ويقولون لهم لقد ضيعتم أجزكم ف الله يقول لهم انه لن يضيع ولن ينقص ولن يبخسهم الله شيئاً فهو يشكر من تقرب إليه سبحانه وتعالى وهو يعلم من خاف الله واتقاه فالتقوي هي مرتبه الكمال وأساس قبول العمل (والعاقبه للمتقين) فهذه هي النهايه ف الله قد جعل الدار الاخره للذين ليس في قلوبهم كبر ولا يطلبون الرئاسه والافساد في الأرض وانما يتحركون قاصدين إرضاء الله

القسم السادس

(أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ماينفقون في هذه الحياه الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

اولا

بعد أن ذكر الله أحوال المومنين ووعدده لهم بالفوز والنجاح في الدنيا والآخرة فأخبرهم سبحانه أن أساس البر كله مرتبط بالنبيه فقال تعالي (والله عليم بالمتقين) ف الله يطمئن المومنين ان عليهم أن لا يقلقوا علي مستقبلهم في الدنيا والآخرة فسنه الله ووعدده أن العاقبه للمتقين (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علو في الأرض ولا فساد والعاقبه للمتقين)

وهنا تأتي النصوص مبينه وعيده سبحانه الكفار في الدنيا والآخرة فقال تعالي (أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فذكر المولي أن الكفار واللفظ عام يدخل في ذلك اليهود والنصاري والمشركون في كل زمان فالحكم عام وليس متعلق بواقعه خاصه بأن اليهود كان لديهم تفوق اقتصادي وعسكري وماكان لدي المشركون من قوه وأموال ف النص جاء بلفظ العموم وهو ما يفهم منه أن المراد بالكفر هنا هو المخرج عن المله لقوله تعالي (ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البريه) وهنا قال تعالي (اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) فوصفهم أنهم ملازمون لجهنم لايفرقونها خالدون فيها لا يخرجون منها وهذا لا يكون إلا في الكفر المخرج عن المله فلو كان كفر اصغر لما ذكر ذلك فالنص جاء فيه العموم اي جميع الكفار الخارجون عن المله كما قال تعالي (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) فالمراد جميع الكفار الخارجون عن المله

أما الكفر الذي لا يخرج عن المله فهو كما ورد في الحديث سباب المسلم فسق وقتاله كفر) وقد ورد في شأن ما يحدث من قتال بين طائفتان من أهل الإيمان بأنه لاتزوال عنهم صفه الإيمان ولا يخرجون من المله فقال تعالى (وان طائفتان من المومنين اقتتلواالي قوله (انما المومنون اخوه فاصلحوا بين اخويكم)

وبالتالي فإن المراد بهذا بيان الوعيد الذي ينتظر أهل الكفر بعد بيان الوعد الذي اختصه الله بالمتقين ومن خلال الربط بينهما نتواصل الي المفاهيم الاتيه

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا عليكم الاستعلاء بالحق وترك المظاهر الخادعه فذكر لنا اهميه اصلاح ضميرك ب التقوي (والله عليم بالمتقين) فالنصوص تبين دور التقوي في إفساد الشر بالخير فيقول لنا الله أن حب العز له اصل في النفس وهو يخدع صاحبه فالكفر ينخدع بالمال والاولاد فيتعز بهما ويتصور أنه بذلك يحصل علي القوه التي تمنع عنه الضرر ومن هنا يكون مخرج حب الرئاسة والجاه عند وتنشا منه الكبر والحسد والغضب والحقد والحمية والعصبية وعشق النفس لذلك فتجد مترفه الأمم يتعصبون لآثار مواقع النعم فيظهر التعالي والتفاخر والكبر والعناد فقد ذكر الله أنهم قالوا (نحن أكثر امولا واولادا ومانحن بمعذبين)

ولهذا فإن هولاء ينخدعون فينشاء عن التعصب بآثار مواقع النعم تعصبا بالخصال القبيحه واستعلاء بالباطل

فيقول الله أن هذا العز قبيح فهو يجعل صاحبه غير قادرا علي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه ولا يقدر علي كظم الغيظ ولا يقبل الحق ولا يقدر علي التواضع الذي هو شرف التقوي وحليتها لا يقدر علي ترك الحسد والحقد والغضب والكبر و الحميه ويعيش في اضطراب وحيره ونيران تحترق بداخله

وان علاج هذا الداء الذي له اصل وفرع مثل الداء يبداء من الاياس من جميع. المخلوقات أن يكون منها الضرر أو النفع أو المنع أو العطاء فعليك أن تميت من قلبك التعلق بالمال أو الاولاد وكل مخلوق أنه قادر علي منفعتك فان كنت تريد العلاج وصادقا فانظر الي عواقب الأمور فهذا الكافر الذي ظل يجمع الأموال ظنا منه أنها سوف تدفع عنه الضرر وقت حاجته وكان يتفاخر بها وباولاده الذين سوف يضحون بأنفسهم لمنع اي ضرر باباءهم فأصابه الغرور بتلك القوه التي راي فيها العز والقوه فكيف كان حاله وقت أنزل الله عليه العذاب سواء في قوراع الدنيا فهنالک العديد من المثلاث كالفرعنه وقارون فهل استطاعت تلك القوه أن تقف أمام قدره الله وقوته وسلطانه فهم عاجزون لا يستطيعون عمل شي وان مصيرهم الي النار ملازمون لها خالدون

ولهذا فإن عليك اغلاق علي نفسك باب الطمع بالاستعلاء بالجاه والمال والنسب ...وعليك فتح باب الاياس من ذلك وعليك أن تخضع اردتك لله تنظر إلي العاقبه بانك اسير لا قدره لك فأنت تساق الي جهنم وتكون خالدا فيها لا تقدر علي شي فعليك أن تكون أسيرا خاضعا لربك وانت في الدنيا تسعي إلي إرضاء الله وطاعته فالله قد أخبرنا عن المستقبل بأنه (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علو في الأرض ولا فساد والعاقبه للمتقين)

فالتقوي هي اساس العزه والكرامه والرفعه الحقيقه لأنها تجعلك تخرج العز والاستعلاء بالجاه والمال والنسب.. من قلبك وتكون ثمره ذلك الرجوع الي الله فيسكن قلبك ويطمئن وتزداد طاعه لتصل الي خاصيه عبادته وبعدها النزول الي درجه العبيد وفي ذلك النزول تحصل اصابه شرف العبوديه وفي اصابه شرف العبوديه اكتساب القلب المذله لله تعالي وهنا تكون اعز الناس لانك تذلت لله تعالي وحده فاعزك بطاعته وخضعت له فشرفك بعبادته (ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين)

ولهذا فإن ذكر نفي القوه عن الكفار (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم) لاتعني أن ذلك ممكن للمومنين وانما سيقنت النصوص للرد علي الكفار الذين كانوا يعتزون ويستمدون الاستعلاء من الجاه والمال والسلطان ... فهم قد اغتروا بالمظاهر الخادعه بما لديهم من حطام الدنيا فكان ذلك سببا لكفرهم نتيجه العز المذموم الذي منعهم من

عباده الله لبيان أنهم لم يفهموا حقيقه الأمور ومنافعها وضررها وانخدعوا بذلك فظنوا أنها تنفعهم بالدنيا بدفع الضرر عنهم وتصوروا أنها سوف تنفعهم بالآخرة واعتبرها أنها علامه السخط والرضاء فقالوا يا محمد لو كنت علي الحق لما تركك ربك فقير لآمال ولا اولاد لديك فكان هذا الرد عليهم

أما المومنون فهم يستعلون بالحق وبالعبوديه لله تعالي ولهذا لا يغترون بالاموال والأولاد فقد أخبرنا الله بأنهم يخافون الله ويخشونه ويشعرون برقابه الله لهم (والله عليهم بالمتقين) والمومن لا يعتز الا بالله تعالي فلا ينخدع بـ المظاهر الخادعه

المفهوم الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول للمومنين عليكم الاطمئنان وعدم الخوف من قوه الأعداء وسلاح المال والاقتصاد والأنصار الذي لدي العدو ودخوله المعركه بين الحق و الباطل في كل زمن فالكفار مهما بلغوا في القوه والعهده و العتاد والمداد فإن قوتهم بلا شرف لاحمايه لها لافي الدنيا ولا في الآخرة لماذا لأنها تستمد قوتها من الاستعلاء بـ الجاه والمال والسلطان وهي قوه ضعيفه وصفها الله في سوره العنكبوت بأنها أوهن من خيوط العنكبوت (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت)

فيقول الله لنا أنظروا الي أحوال الكفار في كل زمن فانظر وا كيف كانت النهايه لقد أهلكهم الله ولم تنفعهم لا أموالهم ولا أولادهم وقد كانت العاقبه للمتقين فابدالهم بدل الذل عزا وبدل الخوف امنا وبلغت الكرامه لهم من الله لم تبلغ الآمال إليه بهم

ف الله يقول لنا عليكم الثقه بالله ونصره في الدنيا والآخرة فهو سبحانه وتعالى يقف مع أولياءه ضد أعداءه فلا ستعلاء بالله يحركك من الخوف من غير الله فأنت تطمئن بالقرب من الله فالعبوديه لله هي العز والشرف والقوه فمن قادر علي الوقوف أمام قوه الله وقدرته سبحانه وتعالى ولهذا يقول لنا عليكم الاطمئنان فما لدي الكفار من قوه (لن تغني) بالتأكيد لنفي أن تدفع عنهم شيئا من عذاب الله فقال (من الله شيئا) من للابتداء وذكر لفظ الجلاله لغرس المهابه في النفوس ثم قال (شيئا) نكره في سياق النفي وهذا يفيد العموم اي اي شي سواء كان هذا الشئ شديدا أو ضعيفا قليلا أو كثيرا فهم عاجزون لا يستطيعون الوقوف أمام قوه الله وقدرته سبحانه وتعالى اذا أراد بهم سواء كما قال تعالي في موضع آخر (واذا اراد الله بقوم سوء فلا مراد له)

فعليك أن تثق بالله تعالي وبوعده بالتمكين في الدنيا والفوز بالجنة والنجاه من النار وتوكل علي الله توكل الواثق بوعده المطئن الي ضمانه والواثق بوفاءه برضا منه وبفضله ومستسلما لأمره ومومنا بقضائه وقدره يقينا صادقا بجنته وناره فلا تخاف قوه الأعداء مهما بلغت فهم عاجزون أمام قدره الله

المفهوم الثالث

أن المولي يعيطننا هذه التجربه لنفهم نهايه وعاقبه الكفار ليقول لنا احذروا من الاغترار بالقوه الماديه وإساءة التقدير للأشياء والأموال فهذا الداء أن اصابكم او وقعكم في كارته تجعلك عرضه للهلاك فعليكم الإنتباه من العصبية لآثار موقع النعم فقد جعلت هولاء يساون التقدير للأموال فتصوروا أن ما لديهم من أموال سوف تدفع عنهم الضرر وقت الحاجه وتصوروا أن الأنصار وشده ولاءهم سوف تقف مانعا من أن يمسه احد بسوء فاستعمل الاولاد للاشاره الي شده الدفاع لماذا لأن الابن لا يقبل أن يمسه أحد والديه بسوء ما دام علي قيد الحياة واستعمل المال لانه يريد أنه يسد حاجته اذا وجد نفسه في موطن الحرج فسوف يلجأ إليه ويقول لمن يستهدفه اعطيك ماتريد من م الي أو ماشئت وتتركنا

وهنا يقول لنا أن هولاء لا ينظرون الي قوه وعظمه وقدره من يقفون بمواجهته أنه الله تعالي فالغرور او قعهم بسوء التقدير ولهذا يقول لهم أنظروا الي قوه من تقفون بمواجهته فقال (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله)

فهذه القوه لن تستطيع الصمود أمام قوه الله العزيز الجبار القاهر فقال (من الله) اي من عذابه ردا لمن كان يتفاخر بالاموال والأولاد ويرون أن هذه القوه تمنع عنهم الضرر في الدنيا وأنها سوف تكون لهم قوه في الآخرة (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) وقوله (ولئن رددت الي ربي لاجدن خيرا منها منقلبا)

فهذا كافرا للنعمة ولم يفهم حقيقه الأمور ومنافعها وضررها فكان تقديره للأشياء فاسدا نتيجة الإعجاب بما رزقه الله تعالى

حيث أن الله يختبر عباده بموضع الغني والافتقار فلا يعتبر عطاء الله دليلا علي الرضاء والسخط وانما هو اختبار وامتحان من الله

ولهذا يقول لنا أن استعراض الكفار لما يرونه قوه بنظرهم إنما يعود إلي فشلهم في الامتحان ورسبوا في الاختيار فهم فاشلون لانهم اسأوا قراه عطاء الله ولهذا تأتي النصوص مبينه أن سبب الرسوب يعود إلي اساءه التقدير للأمر نتيجة الغفله ولهذا يقول لنا الله انتبهوا من ذلك السلوك وعليكم اليقظه ومراقبه النفس ومحاسبتها فهو تعالى يعلم مافي النفوس (والله عليم بالمتقين)

ف الله يحذرنا من الاغترار بالقوه الماديه والعسكريه لأنها مقدمه سقوط الحضارات والأمم فقد قال تعالى في موضع آخر (واذا اردنا ان نهلك قريه أمرنا مترففيها فففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن الإنسان عندما يخلوا قلبه من الايمان ويكون الاستعلاء بالمال والجاه والسلطان فإنه لا يصمد أمام الازمات ولهذا يأتي هنا لنفي ما يراه هولاء أنه قوه (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم) فهي لن تدفع عنهم عذاب الله لماذا لانهم اسأوا التقدير للأمر والأشياء ف الله يقول في موضع آخر (إنما أموالكم وأولادكم فتنه) ويقول أيضا (ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم) ويقول أيضا (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا)

فهم لم يستعلموا الأموال ولا الأولاد في طاعه الله كما أمرهم وانما استعملوها فيما يغضب الله ولهذا فقد فشلوا في الاختبار فكان مصيرهم (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

فيقول لنا الله تعالى أن هذه النهايه لمن يفشل في الامتحان فإذا لم تنتفع ولم تفهم التجربه التي تنقلها لك الايه عن مستقبل الذين يغترون بالاموال والأولاد فلا تلو من الا نفسك فأنت السبب لأن ما كان لديك من قوه في الدنيا لك عليها ولايه وهي خاضعه لارادتك لم تستعملها الاستعمال الذي يمدك بالقوه في الآخرة وهي هنا اي في يوم القيامة وعندما يأتي أمر الله تنتقل ضدك ولا سلطان لك عليها فقال تعالى في موضع آخر (ما اغني عني ماليه هلك عني سلطانيه) وهي تشهد ضدك حتي اعضاءك فتقول (لما شهدتم علينا)

ثانيا

ابتدأت بضرب المثال بأن شبه ما ينفق الذين كفروا من أموالهم واوقاتهم وخبراتهم وعلومهم علي وجه القربه وهو جاحد كافر بالله وبالرسول صلي الله عليه وسلم مكذب بأن ذلك غير نافع مع كفره وأنه مضمحل عند حاجته لا يجده مثل الزرع الذي يصبه ريح شديده البروده فتهلكه وان هذا الضياع للأجر يعود إلي فعل الإنسان نفسه فهو الذي ظلم نفسه بأفعاله فقال تعالى (مثل ما ينفقون في هذه الحياه الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون)

عقب بيان الله أحوال الكفار بأنهم لن يمنع عنهم أموالهم ولا أولادهم عذاب الله واخبرنا أن كل حارث مبتلي في

حرثه وان عاقبه عمله تكون نتيجته لذلك الامتحان وأنه سبحانه يبتلي بالغني والاقتدار عباده المستكبرين في أنفسهم بالياوءه المستضعفين في أعينهم ...

وهذا فيه عده امور

الأمر الأول

ازاله الشبهات التي قد تخطر ببال البعض فيقول كيف لو أن هؤلاء أنفقوا المال في أوجه الخير مثل بناء المدارس أو المستشفيات أو اغائه الملهوف أو نصره المظلوم والوقوف بوجه الظالم ومساعدته المحتاج فتصوروا انهم سوف ينتفعون بذلك الانفاق أن كان قد حصل في أوجه الخير فإزال الله هذه الشبهة وبين أنهم لن ينتفعوا بذلك الانفاق وان حصل في أوجه الخير فقال تعالى (مثل ماينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون)

وقد استعمل لفظ عام (ينفقون) والضمير عائداً علي الكفار المخبر عنهم في الايه قبلها أنهم فشلوا في الاختبار بما ابتلاهم الله به بموضع الغني والاقتدار فالصوره الاولي هم المستكبرين الذين تعصبوا بالتعالي والكبر وازدراء الناس ولهذا يذكر الصوره الثانيه من أهل الكفر وهؤلاء هنا يظهرون التواضع أمام الناس فهم ينفقون من أموالهم علي المحتاجين وايضا ينفقون أوقاتهم علي الآخرين ويقومون بمؤسسه الضعفاء والمساكين والتفاني في خدمه الناس ونصره المظلوم فالانفاق هنا لفظ عام وليس مخصوص بالاموال كما يتصور البعض نظراً لأن الايه قبلها قد ذكرت التعصب في موضع الغني (الأموال) والاقتدار (الاولاد) اشاره الي الجاه والسلطان والقوه والقدرة علي منفعه الناس فهم يظهرون أمام الناس بمظهر أنهم متواضعين والتواضع من محاسن الاخلاق لكن هذه الأخلاق ليست ناتجه عن الإيمان ولهذا يقول لنا الله لاتنخدعوا بمظهرهم وباعمالهم فهي لن تنفعهم (وقدمنا الي ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا)

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أنه لافايده ولاقيمه لأي عمل أو حركه يكون خالياً من الإيمان بالله واصوال ا لايمان السنه ومصداً بالرسول صلى الله عليه وسلم و موافقاً لمنهج الله الذي يعطي الحركه قيمه وثمره عند الله فالله أراد بهذا المثال ازاله التصورات الفاسده حول منافع الاشياء وأضرارها بأن عليك أن تفهم أن قبول العمل عند الله يتطلب الايمان الخالص الذي لا يخالطه شائبه فيقول لنا الله أن الكفر سببا مانعا من قبول العمل فهو فيه احباط العمل وضياع قيمته مهما كان فاعمال البر كلها السريه والعلانيه تقوم علي النيه قل العمل أو كثر وقد أخبرنا الله في الايات السابقه (والله عليم بالمتقين)

وهنا شبه ضياع أعمالهم (كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فاهلكته)

(مثل)

تشبيه تمثلي وهو نوعان لدي أهل البلاغه فردي مثل قولك فلان كالاسد اوتمثيل تشبيه الهيئه اي بالهيئه فيكون المشبه مولفاً من عده امور والمشبه به مركب من عده امور اي مولفاً

والنصوص ترسم لنا حال الكفار بأنهم بعيدون عن منهج الله ونواياهم لاتقصد إرضاء الله بأعمالهم في الحركه التي يتحركونها فهم عندما ينفقون أو يخدمون الآخرين إنما يطلبون الذكر والمفاخره وعدواه أهل الإسلام

ولهذا فإن المراد بالتشبيه هو أحد أمرين

أن الكفر يحبط ويهلك قيمه الأعمال وان كانت علي أوجه الخير كمثل الريح المهلكه للزرع لأن الكفر مانعا من الثواب

ذلك أن الزراع عندما يزرع يأمل أن يحصل علي الثمره فتاتي الريح الباردة فتتلف المزروعات ولايجد الحارث الا الحسره والندم (الذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء حتي إذا جاءه لم يجده.. الخ فالكفر مبطلا لاثار الخيرات

٢

الأمر الثاني أن يكون المراد بهذا بيان أن انفاق الكفار علي أوجه الشر مثل اعداد الجيوش لمحاربه الإسلام كما فعل ابو سفيان في بدر وغيرهم من الكفار الذين يسخرون أموالهم واوقاتهم ومالديهم من قوه للقضاء علي الاسلام بأنهم سوف يهلكون أموالهم واوقاتهم وأنفسهم عقوبه لهم علي افعالهم مثل العذاب الذي نزل بالامم السابقه الظالمه فهذه هي سنه الله أنه يهلك الظالمون كما قال تعالي

والمنفق يرجوا الخير الكثير بنظره لكن كفره كان سببا في ابطال اثار أعماله وهذا فيه تطمئن للمومنين أن قوه الكفار لاشرف لها فهي تضع في لحظات مثل ضياع ثمره الزرع فلا تبالوا بما لديهم من قوه

وبالوقوف علي مدلولات النصوص نجد الآتي

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يلفت انتباهك ايه المسلم لتعرف انك في هذه الحياه حارث همام ولهذا فإن اللازم عليك عند القيام بأي عمل أن تسأل نفسك عده اسئله

اول هذه الأسئلة مامشروعه هذا العمل هل هو موافق لمنهج الله ام لا ؟

فإذا كان موافقا لمنهج الله فإن اللازم تصفيه النفس من غريزه الاعتزاز ؟ فلابد أن تسأل نفسك لماذا اعمل العمل

ماذا اريد من هذا العمل هل تريد الدنيا ولذاتها والشهره ...أما تريد الاخره اي إرضاء الله تعالي

فإذا وجدت في نفسك أهدافا واغراضا مثل طلب المحمده والثناء فأنت بحاجة إلي مراجعه نفسك لانك تعرض عمك للضياع

لأن هذه الارده والمشاعر التي ترواد نفسك وهذه الضجيج الصادر من نفسك من حب الفخر أو طلب الشهره أو طلب أن يقال عنك بمثابه ريح يهب فالاصل أن الريح أمر يفرح صاحبها لأنها لواقح فهي من عوامل النماء والغذاء الذي تنمو به المزروعات فهي يرجي منها النفع مثلما أن الإنفاق بذاته يرجي منه النفع لكن اشتمل بذاته علي ما يذهب بمنفعته فقال تعالي (ريح فيها صر)اي بداخلها الفساد والهلاك فالتفاخر وطلب الشهره بمثابه الضجيج و البروده الشديده التي ذهبت فيما كنت ترجوا من عمك فالكفر مدمر للأعمال فلا ينتفع بما عمل فهو يهلك الأعمال مثلما الصقيع يتلف المزروعات والحقت الضرر بالمزروعات لأنها اشتملت علي عوامل التدمير والهلاك ولهذا يجب عليك التخلص من هذا الضجيج

فإن أهملت ذلك فإنك تكون سببا في عدم قبول العمل وتسبب في ظلم نفسك وبطلان اثار الخيرات مثلما أن الريح أهلكت الزرع الذي توقع منه المنفعه ف الله لايقبل الا عمل المومن التقى فالكفر سببا لابطال قيمه العمل ولهذا قدم المفعول (ولكن أنفسهم يظلمون) لبيان أنهم اضاعوها بانفاقها علي ما لاينبغي فهم وضعوها في غير موضعها لأن

أعمالهم لم تكن لله بل كانوا مشركون وعصاه

المفهوم الثاني

يقول لنا الله أن كفر التعصب بآثار مواقع النعم سريع الانتشار فهو يبدأ بإحراق جوانب الخير في القلب ويوسع جوانب الشر ولهذا مثل انفاقهم مثل (رياح فيها صر) والصر شديده البروده ولها صوت وهي تكون في منطقه لا ربح فيها ولهذا يقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن هذه الرياح تأتي محمله بموجات صقيع (يطلق عليها الضريب) تصل إلي منطقه ثم تتسع دائرتها لتحدث الكارثة بسرعه انتشارها فهي تفسد الحرث كله فلا تبقي منه شي والناس لا يتوقعونه فكانت اشد خطوره في أحداث الضرر فالتعصب لآثار النعم يهلك خصال الخير من داخل الإ نسان واثار الأعمال مثلما أن هبوب هذه الرياح تأتي فتتلف المزروعات وهذا يعود إلي أنهم سلطو علي أموالهم تسلطاً عظيماً لكن لم ينتفعوا بها وانما رجعت عليهم بالحسره والندم فهم يهلكون أموالهم بدون منفعه فقال تعالى (أن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل فسينفقونها ثم تكون عليهم حسره ثم يغلبون) فالرياح تحمل بداخلها قوي التدمير والاتلاف فالظلم يحيط بأهله في الدنيا والآخرة لتكون عبره ماثله للناس يرون بها نقم الله علي حاد الله ورسوله فقال تعالى (فاهلكته) اشارة الي الاهلاك الشديد وأنه عقوبه لهم فلم تدع منه اثر فأراد بهذا بيان أن ضياع قيمه الأعمال لعدم الايمان عقوبه مثل ما يعاقب الله الظالمون الذين يجحدون النعم كالمزروعات كما عرفنا من قصه اصحاب الجنه وغيرها كيف أن الله اهلك مزروعاتهم لانهم جحدوا نعم الله فظلموا أنفسهم بذلك فاستحقوا هلاك ثمار المزروعات فكذلك اهلك الله نفقه الكفار ولم يحصدوا ثمارها عقوبه لهم ولهذا فإن فعل الله بهم من إحباط أعمالهم وابطال ثمارها ليس ظلماً منه تعالى فهو لا يظلم احد وانما ذلك لحكمه فهو فعل بهم ذلك وفي موضعه وهم اهل تلك العقوبه لأن أعمالهم التي عملوها لم تكن لله بل كانوا مشركين والله لا يقبل الا العمل الخالص لله تعالى ولهذا فهم من ظلموا أنفسهم لاكتسابها معصيه الله ومخالفه امره

ثالثاً

(يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانه من دونكم لايلوونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدأت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم اكبر قدينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)

أبتدأت النصوص بالنداء المباشر من الله للمؤمنون (يا ايها الذين آمنوا) اي الذين صدقوا بالله ورسوله إيماناً صادقاً يقيناً ثم ذكرت النصوص النهي

عن (لاتتخذوا بطانه من دونكم) أن تتخذوا الكفار إخلاء واصفياء تطلعونهم علي اسراركم وأحوال المسلمين فذكر العله (لايولوونكم خبالاً) أنهم يغشونكم ويخدعونكم فهم خونه لايتركون جهدهم لافسادكم وان يوردكم مورد الشر ويتمنون لكم المشقه والتعب (ودوا ما عنتم) وان هولاء قد ظهرت منهم الكراهيه والبغض للإسلام بالقول والفعل فقال تعالى (قد بدأت البغضاء من أفواههم) وان ماخفي في صدورهم اكبر من الحقد (وماتخفي صدورهم اكبر) وجاء تذييل ذلك بقوله تعالى (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)

اي قد أوضح الله لكم العلامات التي تعرفون بها الحق والباطل وعن مخاطر هولاء أن استعملتم عقولكم بالنظر إليها وبالوقوف علي ماتحملة النصوص من معاني ومفاهيم نجد الآتي

الأمر الأول

أن أول مايشد الإنتباه أن الخطاب جاء فيه دعوه الجماهير المومنه كلها بالنهي عن اتخاذ بطانه من غير المسلمين فقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانه من دونكم)

والمعلوم أن البطانه هم المقربون من الشخص ويستشيرهم في أمور السياسية والاقتصاد والحروب والجيش

وغيرها من المسائل التي تحتاج الي قرارات يسبقها دراسته وتفحص للأحوال والأسباب والمسببات التي تصل إلي النتائج التي تريدها في أمور دقيقه تخضع لاجتهاد من بيده القرار الذي يكون غائبا عن العوام من الناس فهذه القرارات تظهر الي العلن فيرها الناس أنها صادرة من الشخص وهي في الحقيقة مرت قبل ذلك بمطخ المقربون لمن بيده القرار ليعرفهم العوام ولهذا أطلق عليهم بطانه تشبيها بالثواب الذي يلبسه الإنسان فهو له ظاهره يرها الناس يتزين بها وله بطانه غالبا ماتكون ناعمه تمنع خشونه الثوب أن تلمس الجسد فتؤذيه هذا هو الهدف من البطانه منع اذيه صاحب القرار والمراد بهم المقربون الذين يطلعون علي أسرارك واخص امورك التي تتعلق باداره المؤسسه التي كلفت بادرته

وهذا إنما يكون القاده والمسؤولين وليس لعامة الناس من المسلمين فمن يحتاج الي البطانه هم

أن النداء جاء موجها الي الجماهير المومنه كلها بهذه الصفه التي تربطهم بالله بعد أن ذكرت النصوص قبلها أن الأعمال الصالحة لاقبمه لها اذا لم تقترن بالايمان وبالتالي فإن هذا النداء فيه لفت انتباه المومنين الي اهميه الموضوع وان مقتضي الايمان يوجب عليهم الإنتباه فاللفظ يطرق الاذان كي تسمع ويطلب حضور القلب فيقول له مادام أنت مومن فعليك أن تسمع للتكليف الذي يرد بعد النداء بحب وعشق ورغبه في التنفيذ للتكليف ثم ذكر النهي عن اتخاذ بطانه من الكفار مع أن مساله اتخاذ البطانه انما تكون من أصحاب القرار ومن هم مطلعون علي اسرار الدوله وليس كل المومنين فالحاشيه والبطانه لايتحاجها العوام فلماذا جاء الخطاب بصيغه النداء للجماعه كلها ولم يخص للأفراد ...

المفهوم الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المومنون الي اهميه الاستعانه بأهل الخبرات والمهارات لتلافي ضياع وهلاك الأعمال الصالحة ومانفق من جهود وأموال لمواجهة الأعداء والأزمات والتحديات بعد أن أخبرنا في الايه قبلها أن هلاك وضياع اعمال الكفار يعود إلي كفرهم الذي كان سببا في إحباط قيمه أعمالهم فيقول لنا الله ان الإيمان والتصديق بالله سبحانه وتعالى من عنصر القوه التي تمدك بالعنايه والرعايه من الله فهي من أسباب النصر التي تجد ثمره عملك في مواجهه الأعداء والخروج من الازمات لكن ذلك يتطلب منك أيضا لكي تحصد ثمار العمل أن تأخذ بالاسباب والسنن التي توصلك الي النتيجة فالاخلاص والنيه الصادقه تقتضي فحص العمل واختباره حيث أخبرنا الله أن ضياع وهلاك اعمال الكفار وان كانت صالحه وهنا يبين لنا ان الايمان وحده لاينفع من دون عمل لتصل الي العز والتمكين والكرامه والرفعه في الدنيا والآخرة فأخبرنا انه بجانب الايمان نحتاج الي العمل والأخذ بالاسباب حتي لانتهم بالجهل والتطاول في أكثر القضايا تعقيدا دون امتلاك الادوات فإن هذا ينمي التخلف والخبال ف الله يقول لنا في موضع آخر (ولاتقف ماليس لك به علم) ف الله قد جعل لكل أمر كوني أو نفسي او اجتماعي سنه تحكمه وقانونا ينتظمه ولهذا فانتم بحاجه الي استشاره اصحاب الخبره وهو ما يفهم من قوله (لاتتخذوا بطانه من دونكم) وهو مايعني أنهم ماموورن باتخاذ بطانه صالحه مبينا أن من أسباب الفشل و الخذلان الذي أصاب الامم هو غياب الرقابه وكذلك أن تكون سلطه جميع القرارات مناطه بشخص واحد وهذا فيه خطوره علي مواجهه التحديات لأن الفرد مهما تكون قدراته الإبداعية فإنه يفقد قدره علي إنجاح المشروع لانه ينشغل بالتفاصيل اليوميه وغيرها من الأمور علي حساب التخطيط والدراسه للمتغيرات في ميدان العمل ومواجهه الخطر قبل وقوعه من جهه ومن جهه اخرى فهو قد تعرض عليه مسائل يجهل أمورها فالمعلم لايمكن أن يعمل في مجال صناعه الطائرات أو القيام بإجراء عملية جراحية عضويه لمريض القلب مثلا ولهذا كان لابد من مشاركته الآخرين في اتخاذ القرارات ومنحهم سلطه اتخاذ بعض القرارات مع مراعاة الكفاءه ف الله يقول لنا عن نبيه موسي أنه قال (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشددبه ازري واشركه في امري)

وهنا يأتي التحذير من اتخاذ بطانه من الكفار فاستعمل اداه النفي (لاتتخذوا)وهي لا الناهيه ولهذا كان جزم الفعل تتخذوا...والبطانه هم المقربون كما قلنا والذين يطلعون علي الاسرار والقرارات ويشاركون في صناعتها أو الاطلا

اع عليها فقال (من دونكم) اي من غيركم في أمر من الأمور فالمراد بهذا المغايره كما قال تعالى (واتخذوا من دون الله الهه لعلمهم ينصرون) من دون هنا بمعنى من غير ولهذا فإن التحذير هنا من اتخاذ غيرنا بطانه ويقصد ب غيرنا اي ليسوا علي ديننا سواء كانوا يهود أو نصاري أو مشركون

المفهوم الثاني

أن المولي يريد تربيته المومنين علي اليقظه الفكرية وإعدادهم وتدريبهم علي تحمل المسؤولية ف الله يقول لنا أن هذه القضية عامه تخص جميع المسلمين فحاجه من يتولي أمور المسلمين أو اداره موسسه عامه أن يكون له بطانه يتطلب منكم تأهيل الكوادر المسلمه القادره علي توفير احتياجات العمل الإسلامي ويتطلب منكم أيضا اليقظه والانتباه من أعمال اليهود والنصاري والكفار عموما فهم لن يرضوا عنكم حتي تصبحوا فاسدون لكن احذروا أن تتخذوا اصداق وأصحاب تطلعوهم علي اسراركم فيقول الله عليكم الحفاظ علي ايمانكم فهذا التكليف الجديد هو لتربيته علي اليقظه فكل واحد منكم مكلف أن يكون شاعرا بخطوره الأعداء فهم يسعون للسيطرة علي مركز القرار والقياده في الامه لأجل أن يسلبوا الامه قرارها فهم سوف يظهرون لك كقوه ناعمه لأجل التسلل الي داخل القياده لتكون بمثابة الثوب الذي تلبسه يلامس أخص مكونات الإنسان الأجزاء الداخليه منه والمراد أن يصل الي الأسرار التي لا يطلع عليها احد ووالتحذير المراد غرس مناعه في النفوس والقلوب من الوقوع في شبك الأعداء الذي يهدف إلي نشر الفوضى والاضطراب بين المسلمين المتعارض مع حقيقه الايمان التي اتصفوا بها

فيقول لنا الله أن الكفار غيركم وبالتالي فهم يخدعوكم ولا يريدون لكم الخير فقال تعالى (لايلوونكم خبالا)

والخبال فساد في الرأي والعقل فأنت تقول فلان فسد عقله أو تقول فلان اخبل والخبال تعبير لاعلي مستوي التخلف فيقول لنا الله إذا كنتم تريدون من اتخاذ بطانه تبذل طاقتها لأجل أن تتخلصوا من ظاهره التخلف واستبدالها لخلق ظاهره ايجابيه يكون الارتقاء بكم فإن هولاء لا يتركون جهدهم في مضرتكم وان يورثكم الشر ومزيديا من التخلف فهم يستغلون كل ما لديهم من طاقه من أجل يجعلوكم تتجهون نحو الخبال كما قال تعالى (ولو خرجوا فيكم مازادكم الا خبالا) اي فساد وضرر فأراد بهذا التحذير من الذين يكيدون للإسلام والنبي صلى الله عليه وسلم بوضعهم واطلاعهم علي سره فيقول لا تركنوا الي احد من غير أبناء دينكم فلا تجعلوا أحد آخر يطلع علي موضع وموطن الضعف فيكم

ثم ذكر عله ذلك فقال تعالى (ودوا ما عنتم)

الود خالص المحبه وهذا إنما يكون لمن احب شيئا من كل قلبه وليس حب عارض والمراد بهذا بيان أن بذل هولاء كل ما لديهم من طاقه لإفساد أموركم يعود إلي ما بقلوبهم من حب أن يلحق بكم العنت والمشقه ف الله يقول في موضع آخر (ولو شاء الله لاعتنكم) اي الحق بكم المشقه ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن هدفكم القيام بواجب ا لامانه ونشر دعوه الله وهولاء يخططون للقضاء علي أهدافك تلك فكيف تنطلق بناء علي مشوراه أعداء الله فأنت بهذا تعرض مصلحه الامه للخطر والخبال فأشار الي ما في قلوبهم من الكراهيه بأنها تظهر جزء يسير منها بما يحدث من فلتات اللسان التي تظهر حجم الخبث والعدواه للإسلام فقال تعالى (قد بدأت البغضاء من أفواههم)

اي ظهرت بعض فلتات ألسنتهم بالسب أو الامتناع من الإسلام وغيرها من الأمور التي تظهر كراهيه الاسلام

(من أفواههم) من لبيان ان ظهرت دون رضاهم فهم كانوا يريدون أن يكتموا العدواه والبغضاء لكنها ظهرت دون رضاه منهم حيث يفهم ذلك الخبث من أفواههم وان كانوا لا يريدون فهي جاءت فلته

ف الله يقول لقد ظهر دليل الكفر منهم وان ماتخفي صدورهم أعظم وأكبر

ويأتي التعقيب (قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون)

أي قد أوضحنا و أظهرنا لكم العلامات والاداله التي صارت واضحه وبينه تميز بين الحق والباطل فهذا عنايه من الله بكم لكن لا ينتفع بهذه الايات لمن تفكر وتدبر فلا يظهر بيان الآيات الا لمن كان له عقل يعقل وبتعظ و يعتبر

الأمر الثالث

أن الخطاب متعلق بقضيه الولاء والبراء لما لهذه القضية من معاني متعدده تتجمع حولها المعاني الاعتقاديه الايمانيه ومتطلبات وجوب التأخي والتناصر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وكذلك ماتوجب هذه القضية البراءه والمفاضلة والتجافي بين المسلمين وغيرهم علي اساس العقيدته وهو ما يقتضي المباعده بين المسلم والكافر ووجوب حصر الولاء في أهل الإيمان وأن يكون الحب في الله والبغض في الله فهذه المعاني يجب ترسيخها في عقول وقلوب المومنين ويجب أن يحملها جميع المومنون ويكون اقامه حياتهم عليها وعلي أساس ذلك تبني علاقاتهم وعلي أساسها ومستلزماتها ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يقول (ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتومنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم أن الله عليم بذات الصدور)

رابعا

أن النصوص جاءت عقب أن ذكرت أوصاف الكفار بأنهم ظالمون (ولكن أنفسهم يظلمون) وانهم فاقدون للعلم فكان توجه النصوص بالنداء (ياايها الذين آمنوا)

والمراد بهذا لفت انتباه المخاطبين الي أنهم متميزون ومختلفون عن الكفار بماذا

أنه الايمان الذي يزيل الظلم والجهل الذي يوجد في الإنسان ولان حمل الامانه يتطلب التخلص من ذلك كما قال تعالى (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

ولهذا ابتدأ النداء ياايها الذين آمنوا...عليكم الحفاظ علي ايمانكم الذي فيه تميزكم علي الآخرين لانكم طهرتم نفوسكم من الظلم وعقولكم من الجهل والايمان يزداد وينقص وهؤلاء يسعون الي اصابتكم بالخبال اي إفساد عقولكم....فعليكم الإنتباه فهم (من دونكم) اي من غير دينكم ولان البعض تصور أن التحذير متعلق بالمغايره الدينيه فقط بالأمر باختيار الأكفاء والامناء ليكونوا بطانته لهذا جاءت النصوص مبينه أخطاء التطبيق العملي للنص فابتدأت بأسلوب التنبيه (ها انتم اولاء) الذي فرقت فيه بين (الها) وبين اسم الاشاره (اولاء) بأن جعلت بينهما اسم المكني بهم (انتم) ولم يقل (هؤلاء انتم)

وهذا الأسلوب يستخدم في التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الي إتمام الخبر كان يسالك أحدهم اين انت فتقول ها أنا ذا

والمراد بهذا التوبيخ فجاء بالمشار إليه خبر للتعريف (تحبونهم ولا يحبونكم وتومنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم أن الله...الخ

أشار إلي سلامه قلوب المومنين وطهارته وحبه الخير للانسانيه كلها والي مافي قلوبهم من الرحمه والطيبه وأشار إلي خبث نفوس الكفار وخسه ودناه تلك النفوس وامتلاها بالاحقاد والحسد والكراهية للآخرين وكل من يخالفها و العصبية

وان المومن له ظاهر مطابق للباطن اما الكافر فله ظاهر وباطن وان تلك الأوساخ تمتلئ قلبه غيظا ونيران تحترق بداخله وتنتقل معه حتي وفاته فلا تبالي ولا تهتم لأمره

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

التحذير للمومنين بأن طهاره نفوسهم وشرفها وسلامه قلوبهم ورفعته لا ينبغي أن تكون سببا حاملا علي ثقته بمن ليسوا جديرين بها ولهذا فإن قوله تعالي (من دونكم) تعني المغايره لكم في الدين وفي النفوس والقلوب لان الدون في اللغه يعني الخسيس والحقير وهذا نقص يتصل بالنفس تجعل صاحبها تميل الي مايناسبها من القدرات وترضي بالظلم والمهانه فاخلاقه وطريقته وطبيعته دونكم

ولهذا يقول الله للمومنين انتبهوا أن تغتروا بلحن القول منهم كي يكسبوا مودتكم وحبكم فاحذروا من الذي يطريكم برأيه واحذروا من كل من كانت أخلاقه غير اخلاق المومنين وان أظهر الايمان فالمسألة ليست مجرد اعلا ن الايمان فلا بد أن يكون لديه اخلاق المومنين فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث مهلكات الشح المطاع ومتبع الهوي واعجاب كل ذي رأي برأيه (

فهؤلاء لا يستعان بهم فالاختيار البطانه مهم أن يكون من أصحاب الكفاءه وهي عنصر جوهرى لكن يشترط بجانب ذلك الامانه اي الاكفاء والامناء

ولهذا فلا ينبغي أن تحب الشخص وتقربه لمجرد الكفاءه ليكون بطانه لك فقد ورد عن الامام علي وهو يوصي الولا ه أنه قال لاتدخلن في مشورتك بخيلا لانه يخوفك بالفقر اذا بذلت علي المحتاجين ولا جبان لانه مثبط ولا الحريص لانه يزين الشر بالجور والجبن والبخل والحرص غرائز يجمعها سوء الظن بالله تعالي فهذه بطانه سيئه فالمسألة اذا تتطلب منك الحنكه في التعامل فلا تجذبك العواطف الي تمكين شخص ناقص من الوصول إلى مركز يشكل فيه خطرا علي مصالح الامه

فكيف تحب شخص يحب الظالمين ومتعلق بهم فأنت بحاجة إلي معرفه منهم اصداق وأصحاب الشخص وان تشبه بالصالحين فانتبه من أن تسلل الي قلبك محبه هؤلاء

فمن أكثر من الاطراء عليك فإن هذا لا يحبك في الحقيقه ولا يريد لك الخير (ولتعرفنهم في لحن القول)

لأن ذلك يولد الزهو والاعجاب والكبر فاحذر ذلك فالله يقول للمومنين لاتقيسوا الأشخاص وما في نفوسهم من مشاعر علي ما في نفوسكم من مشاعر حب الخير للناس كلهم فنفسكم طاهره وطيبه وشريفه بينما الآخرين نفوسهم خبيثه وخسيسه وملئيه بالحقد والحسد والكراهية

انكم تتقربون من الناس من منطلق الرغبه أن ينعم غيركم بما انتم فيه من خير تحبون لهم الخير وهم في الحقيقه يكرهونكم ويسعون أن يجدون ثغره ينفذون منه الي كيانكم من أجل أن يهدموا كيان الاسلام ومن أجل أن تتخلوا عن ما انتم فيه من خير لتصيروا كفارا مثلهم والسبب انكم مومنون بلا تعصب فانتم متوضعون ولا عصبية لديكم فانتم تومنون بجميع الكتب السماوية والرسل لانكم قد تخلصتم من العز بالجاه والمال والسلطان و القوه وانتقلتم الي العز بعباده الله ولذلك انتم قادرون علي حب الخير لغيركم أما هؤلاء لا يقدرون علي أن يحبوا لكم ما يحبون لأنفسهم لأن فيهم العز المذموم بدليل أنهم يظهرن امامكم الايمان اذا لقوكم وهم في الحقيقه كاذبون وانما يفعلون ذلك خوفا علي مصالحهم وأنفسهم التي يعتزون بها هم غير قادرون علي ترك الحسد والحقد والغضب لأن فيهم العز المذموم ولهذا فإن هؤلاء إذا انفرد بعضهم ببعض بعيدا عن المومنين فإنهم يظهرن ما في نفوسهم من خبت ومشاعر الحقد والكراهية

الأمر الثاني

ف الله يقول لنا أن طيبه النفس المومنه وصفاءها لاتعني البلاده والسذاجه ولهذا يقول لنا عليكم الحذر من الذين هم دونكم فانتم نفوسكم طيبه وشريفه ام غيركم فهم مختلفون عنكم فلاتنظروا لهم ولنفوسهم أنها مثل نفوسكم وطيبتكم فتطلعونهم علي اسراركم هكذا دون أن تعرفوا حقيقه مشاعرهم تجاهكم لأنه لابد لحامل الاسرار أن يكون من جنس ماانت عليه فإذا كنت تحبهم وهم لا يحبونك فكيف تطلعهم علي أسرارك لانك بذلك تجعلك نفسك واسرارك اسير لشخص يكرهك ويسعي الي يفضحك ويخرج أسرارك فكيف تثق به

فمن الغباء أن يدفحك حب الخير للآخرين الي أن تقع في فخ هذا العدو الذي يظهر لك الحب والاحترام المزيف وهو في الحقيقة يتمني لك الشر

فلا تغتر بالمظاهر الخادعه التي يظهرها هولاء فإذا كنت مومنا بجميع الكتب السماوية إيماننا مطابقا قولك فيه ظاهرك وباطنك فإن هذا أمر محمود منك لكن لاتتخيل أن الناس كلهم بهذا السلوك

فاهل النفوس الخبيثه يظهرن لك الحب وهم في الباطن يكرهونك يظهرن امامك الايمان ويبطنون الكفر ف المناقون كثيرون بينكم يصلون كما تصلون ولكن في الحقيقة هم كفار فهم اذا خلو بالكفار من أهل الكتاب وغيرهم يظهرن مافي قلوبهم من مشاعر الحقد والكراهية ضدكم تصل إلي أعلا مستويات الكراهيه واشدها في الغيظ وه العن علي الانامل والعض يكون بالتقا الفكين والانامل أطراف الأصابع وهذا الفعل يكون لا اردي ناتج عن انفعالاته فتجد من وصل الي هذه الدرجه أن بعض أطراف أصابعه دون تفكير والمراد بهذا تصوير شدة البغض والكراهيه للإسلام فهي لاتنتج الا عن من تمكنت في نفسه الأحقاد والحسد والكراهية والتعصب فهي تشكل نيران تحترق بداخل قلبه أنها الجحيم الذي يغلي بداخله فيعيش فيه ويموت وهو بداخله

ولهذا يوجه الله المومنين أن لا يهتموا لشانهم طالما وانهم لا يريدون الا الشر فلا تبالي بأمره لماذا لأن هولاء إذا لم يستجوا حتي بعد أن كشف الله مافي قلوبهم وما يعملون في الخفاء بعيدا عن المسلمين فهو غير جدير بالا هتمام دعه يعيش في غيظه وهو يري تقدم الاسلام وهذا فيه أيضا بشري للمسلمين بالنصر وازياداد قوه المسلمين وأن علينا اليوم أن نتذكر أن ما حل بنا هو زوال الاجتماع والاتلاف الذي كان يغيظ الكفار ويتمنون زواله لدرجه انهم كانوا يصيبهم الهم والحزن اذا شاهدوا شي قليل من الخير مس المسلمين سواء في أمور ديناهم أو الدنيا وانهم يفرحون بالنكبات عندما تحل بالمسلمين

الأمر الثالث

وان الأمر لك باختيار أهل الكفاءه والامناء وانت عاجز عن معرفه مافي النفوس فهذا من علم الله تعالي فهو الذي يعلم بالخواطر والأسرار التي في الصدور اي القلوب يعرف من كان صدره صالحا لاستقبال نور الله ومن كان قلبه غير صالح لاستقبال نور الله وأنت لك الظاهر ولاتعلم ماتخفي الصدور ولهذا فلا يدفحك حب الخير للناس أن تقع في فخ من يظهر لك الحب والاحترام المزيف وهو في الحقيقة يكرهك فلا تعول علي موده لم تختبر صدقها وقت الافراح ووقت الشده فالصديق الحقيقي تجده يفرح اذا راك في نعمه ويشعر أنه يعيش تلك النعم لكن العدو يحرق قلبه الحسد اذا مس المسلم شي يسير من الخير في الدنيا والدين سواء في ماله أو أهله وأولاده ويتمني زواله فما بالك بالكثير (أن تمسسكم حسنه تسؤهم) فهو يصيبه الغم والهم لانك في خير وايضا أن معرفه الصديق تكون وقت الشده حيث تجده بجوارك وهولاء يفرحون اذا إصابتك مصيبه وهذا إنما يكون من انسان ناقص نفسه خبيثه وخسيسه وهي من علامات النفس الاماره بالسوء التي تبغض رؤيه الناس في خير وتحب أن تراهم في المصائب فكيف وهولاء يكرهون أن يمسمكم حتي شي قليل من الخير فكيف لو أصاب المسلمون الخير الكثير ولهذا استعمل في الخير (المس) واستعمل في الشر (الاصابه) للاشاره أنهم يفرحون بالنكبات التي تتمكن في إصابتها من المسلمين وتحدث كارثه للاشاره الي فقدان هولاء المرؤه والإنسانية لأن في هذه المواقف تجد من قلبه شي من المروره والإنسانية أن يقوم بتقديم المساعدة وإظهار التعاطف حتي مع أعداءه لكن هذا تتحرك لديه مشاعر الفرح فهو مجرد من الانسانيه ولايفعل ذلك إلا من كانت نفسه خسيسه

ولهذا يأمر الله المسلمين أن لا ينشغلوا بهم وان عليهم الاستعانة بالصبر علي اذي الكفار فهذا احسن وسيله لمواجهه تدبيرهم القبيحه لأن ذلك يزيد من غيظهم ويامر المسلمين بخوف الله وان مؤمره هولاء لن تضر المسلمين شيئا لأن الله يحفظهم ويرعاهم فعليكم التوكل علي الله فهو محيط بأعمالهم وكيدهم اشارة الي عنايه الله بالمومنين وهذا فيه الحث بالتوكل علي الله بعد أن أمرهم بالصبر والتقوي واخبرهم (لا يضركم كيدهم شيئا) وهنالك قرأتين ب الرفع وتعني نفي الضرر ومنهم من قراءها بالكسر نفي الضير وهو أشد من الضرر لماذا لانكم في عنايه الله وهو قد أخبركم أن ضررهم لا يزيد عن الاذي ف الله محيط بأعمالهم لأن الكيد عمل بالخفاء لأجل الاضرار بخصمك ف الله يطمئن المومنين أن لا يقلقوا ف الله محيط باعمال الأعداء والاحاطه تفيد العلم والقدرة والسلطان المطلق لله تعالي احاطه السور بمن داخله فلا يقدر علي الهروب من سلطانه فهم عاجزون عن احداث الضرر بالمسلمين وهنالك قراءه بالتاء تعملون يعني أن الله محيط باعمال المومنين من الصبر والتقوي فلا يلحق بكم اذي

بسم لله الرحمن الرحيم

المقطع الخامس

(ال عمران)

القسم الاول

(وإذ غدوت من أهلك تبوء المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلي الله فليتوكل المومنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم الله فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمومنين أأن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلي أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآبين ليس لك من الأمر شي أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون والله مافي السماوات وما في الاوض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)

اولا

ارتباط الآيات بما قبلها

ابتدأت النصوص بقوله تعالي (وإذ غدوت من أهلك تبوء المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم) أن هذا الارتباط واضح من خلال المعان النظر في الموضوعات التي تطرحها الآيات والقضايا التي تعالجها النصوص نجد أنها تطرح موضوع واقعه أحد والأحداث التي حصلت في احد معطوفه علي ما قبلها من الآيات (وإذ) الواو حرف عطف علي ما قبلها التي ذكرت حظر اتخاذ بطانه من الكفار والمنافقين وحذرت المومنين من ذلك وبينت لهم أنهم يتربصون بالمسلمين ويدبرون المكائد ويحيكون المؤمرات للأضرار بالمسلمين وألزمتم المسلمين بالصبر والتقوي والتوكل علي الله وهنا نجد انتقال النصوص من البيان والتوجيه والإرشاد الي تجربه الواقعه التي تنقل الصورة كامله الي الذهن فقال تعالي (وإذ غدوت من أهلك تبوء المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلي الله فليتوكل المومنون)

اي اذكروا الأحداث التي حصلت في يوم احد لتأخذوا منها الدروس فجاء الخطاب موجها للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب للامه وانما وجه للرسول صلى الله عليه وسلم للدلاله علي اهميه الدروس التي تحملها النصوص وأنه يجب الاهتمام بهذه الدروس

الدرس الاول

تربيه المومنين وإعدادهم وتدريبهم على كيفية مواجهه الازمات ومتطلبات إدارتها فنيا وادرايا تزودهم بالمهارات المطلوبه للتعامل معها فالنصوص تعطينا دروسا في تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الازمات حيث أنه

علم في شوال من السنه ٣ للهجره أن قريش خرجت من أجل الثأر لقتالها في بدر وانها قد وصلت إلي أحد واقامت معسكرها هناك فذكرت الروايات ان الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع بالصحابه للتشاور وإعداد الخطط لمواجهة مخططات العدو فقال لأصحابه اشيروا عليا ما أصنع فأراد بهذا أن يبين لنا اهميه دراسه كلفه تنفيذ الهدف وقد انقسم الصحابه في رأيهم الي فريقين فالبعض كان يري التحصن بالمدينه المنوره وكان راي الرسول صلى الله عليه وسلم موافق لهذا الرأي بينما الشباب الذين لم يشاركوا في بدر كانوا يريدون الخروج للقتال وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يري البقاء دخل المدينه لانه راي في منامه أن في ثلمه وتأويل ذلك أن يقتل رجل من أهل بيته ورأي أن بقر تذبج وتأويل ذلك أن أصحابه يقتلون ورأي أنه أدخل يده درع حصينه وتأويل ذلك أن البقاء في المدينه فيها التحصن أما الفريق الثاني فهم المتحمسون للقتال من فئه الشباب الذين لم يقاتلوا في

بدر فقد اردوا الخروج الي أحد للقتال وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد دعا ابن سلول للتشاور معه فكان رايه أن يبقي في المدينة ونظرا لاصرار الشباب علي الخروج للقتال استجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لرأي الشباب ثم لابس درعه فقال المومنون ماكان ينبغي لنا ان نشير علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا واعتذروا وقالوا اصنع مارايت فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته أن يضعها حتي يقاتل فالرسول صلي الله عليه وسلم كان يعلم بالنتيجه من هذه الحرب ومع ذلك رفض التراجع لماذا

لانه أراد أن يربي المومنين علي احترام مبدأ الشوري ومشاركه القائد الإتياع في وضع الخطط والبرامج لمواجهه التحديات ولهذا كان موقف الرسول من رفض العوده الي الشوري مره اخري بعد أن اتخذ القرار بالخروج لمناجزه ا لأعداء والتنبه من خطوره التردد بعد الشوري لأن ذلك فيه هزيمه نفسيه للجنود في وقت هم بأمس الحاجة الي المعنويات المرتفعه فعندما يتخذ القرار ويعلن فلا يجوز العوده الي جمع الناس للشوري مره اخري لأن ذلك تقهقر وتردد يدل علي الضعف فالاصل انه بعد اتخاذ القرار وتحديد الهدف يكون عليك المضي بعزيمه وهمه عاليه متوكلا علي الله (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل علي الله)

ولهذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن لابس الدرع رفض العوده الي الورااء وعلم المسلمون ثاني خطوه بعد تحديد الهدف صحيح أن الموازنه بين تكلفه تنفيذ الهدف يكون بالتقييم بين المصالح والخسائر المتوقعه لكن ذلك إنما يكون وفق المعيار الاسلامي الذي يقوم بدارسه التكلفه الماديه والمعنويه والقيمييه معا فلا يجوز التفريط بمبدأ الشوري والقرارات الصادره عن أهل الشوري مهما كانت الأحوال فيجب أن تفهم أن لها مكاسب بعيده المدى يجب الحفاظ عليها فهي اصل من اصول القوه التي يجب التمسك به صحيح أن الرسول كان يعلم بالخسائر الماديه عن هذه الغزوه لكن يعلم أيضا أن التردد له اثار سلبيه أهمها التفريط بالشوري والقضاء علي معنويات المجاهدين والهزيمه النفسيه للجنود وايضا اهتزاز شخصيه القائد أمام الإتياع أن فعل ذلك فيقول لنا عليكم احترام القرارات الصادره عن الشوري يريد أن يقول لنا انتبهوا من التفريط بمبدأ الشوري والقرارات الصادره عنه ففي ذلك تحقيق مصالح الامه الحقيقيه

الدرس الثاني

تربيه المومنين علي أن يكونوا شجعان في اتخاذ القرارات ومناجزه الأعداء فلا تنظر إلي الأهل الذين تتركهم خلفك فالمومن يجب أن يكون صاحب عزيمه صارمه لاتلين فقال تعالي (وإذ غدوت من أهلك)

وصف حالته عندما كان متوجها إلي القتال أنه خرج من حجره عائشه رضوان الله عليها وهو ما يشير إلي حبه العظيم لام المومنين عائشه ومع ذلك لم يرجع إلي داره وأهله عندما قال له الصحابه معتذرين لانهم اصرروا علي الخروج لمواجهه الأعداء اصنع مارايت فقد رفض ذلك

فقال تعالي (وإذ غدوت من أهلك)

والغدوه هو وقت البكور من الفجر الي طلوع الشمس والرواح يكون قريب الغروب وقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج بعد صلاه الجمعة وبعد أن صلي علي واحد من الأنصار توفي في ذلك اليوم وأنه صلي الله عليه وسلم خرج يمشي برجليه الي الشعب في أحد وهنا نقف أمام هذا التساؤل الذي قد يطرحه البعض كيف اطلق علي خروجه من حجره عائشه غدوه وهو وقت الرواح

الجواب

أن الغدوه تطلق علي الذهاب فعندما تكون ذاهبا يقال غدوت مثلما يطلق علي الإياب رواح والذهاب يعني أنه يكون مستقبل هدفه وظهره يكون باتجاه أهله وداره ولهذا عندما يعود يقال روح أو عاد فيكون مقبلا بوجه اتجاه اهله والله يقول (غدوها شهرا ورواحها شهرا)

فاستعمل غدوها للذهاب ورواحها لمن يعود إلي الأهل والديار وانما استعمل لفظ غدوه هنا لأنه غالبا مايكون في البكور وقد قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم وصل الي الشعب في أحد صباح يوم السبت المهم هنا أن الله يبين لنا أن الأهل والأموال يكونان سببا للفتنة ولكن للكفار كما عرفنا في المقطع السابق أما المومن فهو يقف بمسؤولية أمام التزاماته وتحقيق مصلحه الامه والنصوص ترسم لنا ذهاب الرسول صلى الله عليه وسلم نحو الهدف وتاركا أهله خلفه ومن ترك أنها احب النساء الي قلبه وفي الايه أيضا تبراه عائشه من افتراءات أهل الضلال. الذين يحاولون القدح فيها فلو أنها لم تكن مومنه حقا لما خاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم بهذا النداء الذي وصف عائشه أنه أهله ونحن نعلم أن الله قال لنوح بشأن ابنه الكافر (أنه ليس من أهلك) وكذلك لم يقل أن زوجه لوط كانت من أهل لوط

الدرس الثالث

وضع القواعد والضوابط التي تحدد مهام القائد ومسوليته في الحرب والسلم والأخذ بأسباب القوة الماديه و المعنوية بقدر الاستطاعة وأن من اهم تلك المسؤولية أن تجهز الجيش بالمهارات التي تجعلك تدير الازمه بمهاره وقدره عاليه فقال تعالي (تبوء المومنين مقاعد للقتال)

فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واذكر الوقت الذي ذهبت مسرعا الي الشعب في أحد أو مبكرا لمناجزه الأعداء ثم قمت باختيار المكان المناسب الذي يجعلك قادرا للسيطره علي الأحداث فهذا عنصر مهم كما أوضحنا سابقا حيث اختار جانب من الشعب فوقه تله احد وتبوي معناها تسهيل وتنظيم وتهئيه واستعداد واتخاذ الموضوع وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الرماه بقياده جابر بن عبد الله أن يحموا ظهور المسلمين وقال لهم (ادفعوا عنا حتي لا يوتنا من وراءنا) وأمرهم بعدم مغادره المكان مهما حدث وقد قام بتسويه الصفوف فمن كان متأخرا عن الصف امره أن يتقدم ومن كان متقدما امره أن يتأخر فوضع كل فريق بالموقف الذي يقف به وقد جعل جناحا الجيش هم بنو حارثه وبنو سلمه وأمر كل فريق أن يلتزم بالمهمه التي أمر بها فقال للرماه لا تبرحوا اماكنكم واثبتوا في هذا المقام فإذا عاينوكم ولولكم الادبار فلا تطلبوا المديرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولهذا قال تعالي (مقاعد للقتال) ولم يقل منازل فأراد بهذا أن يبين أنه جعل لكل فريق موضعا يقعد فيه فإذا جاء العدو قاموا بمناجزتهم من مواقعهم التي أمرهم أن يثبتوا فيها فقال للرماه لا تبرحوا اماكنكم حتي لو شاهدتمونا نهزم ونقتل فالمقاعد تشير الي وجوب الثبات والسكون بحيث لا يتحركون الا بأمر القائد وإلا فإن الحرب كر وفر وحركه فأراد بهذا بيان اهميه الثبات وطاعه القائد فالمراد بالمقاعد اذا الثبات في أداء المهمه التي كلف بها كل فريق فهذه المسائل الفنيه مهمه وهي من متطلبات مواجهه الازمات والمعارك وتحتاج الي انضباط والتزام بتنفيذ أمر القائد فهي من الأسباب الماديه التي يجب الحفاظ عليها في الحروب وان عدم احترام أوامر القائد وكذلك عدم الاعداد للخطط والتنظيم للجيش من الأمور التي تلحق الهزيمة حيث أن تجربه احد تنقل. لنا صورتان لما جرت عليه المعركه

الصوره الاولي هو النصر الذي حصل في بدايه المعركه عندما امتثل المومنين أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم حتي ظهر انكسار جيش المشركون أمام المسلمون

الصوره الثانيه

هي الهزيمة فقد كانت نتيجة مخالفه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الرماه عندما شاهدوا انتصار المسلمون واغتنام أموال المشركون ترك الرماه مواقعهم طمعا بالغنائم فكان سببا للهزيمة

فالذي يفهم من الصورتين أن طاعه الله وامتثال منهجه فيه النصر وان المخالفه للمنهج تؤدي الي تغلب القوه الماديه بين المتحاربين فقد زال عن المومنين عنصر القوه عندما خالفوا منهج الله فحصلت الهزيمة

ولهذا عقب بقوله تعالى (والله سميع عليم)

أن الشعور بوجود الله وحضوره معكم في المعركة بسمعه وعلمه فهو يسمع ويرى ويعلم ما في الصدور يسمع ماتقولون ويعلم ماتخفون من النوايا والضمان وعالم بالحاضر والماضي والمستقبل فعليك أن تدرك أن كل شيء من تدبير الله ولهذا يكشف الله الخفايا التي في الصدور التي خطرت في نفوس طائفتان من المومنين فقال تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلي الله فليتوكل المومنون

(إذ) بمعني اذكر وا وقت خروجك يامحمد من حجره عائشه الي أحد وبالتالي فإن الايه مرابطه بما قبلها من الآيات التي تناولت بيان خطر اتخاذ بطانه من الأعداء من اليهود والكفار والمنافقون فاوضحت أنهم يشكلون خطر على الإسلام لانهم يكرهون الإسلام ويسعون للقضاء علي قوه المسلمين ويضعون المخططات للأضرار بالمسلمين ويضعون المكائد والمرامات لمحاربه الإسلام وان الأعداء يسعون الي تفكيك الصفوف ولهذا فإن النصوص جاءت تحمل في طياتها صورا لمافي نفوس هؤلاء من كراهيه المسلمين ولهذا يقول الله لنا انظروا الي خطوره هؤلاء من واقعه أحد حيث أن عبدالله بن أبي ابن سلول أراد وخطط المومره للأضرار بالمسلمين فقد خرج مع المسلمين فما أن وصل الي منتصف الطريق حتي عاد بثلاث الجيش ولم يبقي مع المومنين سواء مايقارب ٧٠٠مقاتل فلم يكن من ضمن من قال الله تعالى (تبؤي المومنين مقاعد للقتال) فهو لاء لم يكونوا مومنين ومعلوم أن عودته كانت في وقت حرج وتكشف لنا النصوص انه خطط لذلك فهو أراد أن يحدث الإرباك في صفوف المسلمين بأن يزرع فيهم الجبن والفشل في صفوف المسلمين أراد أن يضعف المسلمون ويجبنا عن لقاء العدو فقال تعالى (والله سميع عليم)

اعلموا أن الله مطلع علي مافي صدورهم من حقد وكراهيه ويسمع أقوالهم فهي مبينه لقوله في الايه قبلها (والله بمايعملون محيط)

ثانيا

يأمر الله المومنين باخذ الحيطه والحذر من اتخاذ المنافقين بطانه فترسم لنا الآيات إن لهم تأثير كبير علي المسلمين اذا لم ينتبهوا فقال تعالى (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا)

فأشارت النصوص الي أنه قد كان تأثيرهم يصل الي جماعتين عظيمتين من المسلمين لم تذكرهما النصوص بالا سم وان ذهب البعض الي القول أنهما بنو حارثه وبنو سلمه هما من الاوس والخزرج فقد خطرت بالهم ان يلحقوا بعيد الله بن سلول ومن رجع معه إلا عدم ذكر القران منهما يفهم منه أن العبره هي المهم وليس المراد الأشخاص ولا الامكنه والازمنه فهي حوادث متكرره والقران يستر المومنين ولايفضحهم وانما يريد بذكر ما كان في خواطرهم من وساس لم تنتقل الي العمل والتنفيذ لايؤخذ عليه وانما ذكرت لأجل العظه والعبره والهم أقل من العزم الذي ينتقل الي مرحله التنفيذ فذكر الله سبحانه خطوره تأثير هؤلاء فأشار الي حركه ابن سلول قد أحدثت رجه في الصف المسلم (أن تفشلا)

اي أن تضعفا وتجبنا نتيجة الخوف الذي يغرسه المنافقون اذا وجد ثغره ينفذون منها الي النفوس فذكر فعليكم تحصين نفوسكم بإخراج تلك الوسوس من النفوس لأن الشيطان وأعوانه من الكفار والمنافقين يسعون الي اخراجك من ولايه الله الي ولايه الشيطان فقد قال تعالى (فما ينزغنك من الشيطان نزغا فاستعذ بالله أنه هو السميع العليم)

وهنا ذكر قبلها (والله سميع عليم)

واخبرنا أن عنايه الله بهم وهي العنايه الخاصه هي التي حالت دون إحداث النتيجة التي كان المنافقون يريدون تحقيقها فقد تولي الله حمايتهم وتببيتهم بولايه الله

فالجبن سبب الخذلان وعليك الحذر من اتخاذ الجبناء بطانه لانهم من أسباب الخذلان والفشل وهكذا يكشف الله ا
المخبا في مكونات الضمائر التي لم يعلمه إلا من من ضعف منهم لتأكيد حقيقته (والله سميع عليم) بأنه حاضر فهو
يسمع ماتقول الألسن ويعلم ماتهمس في النفوس وهو يعرف المومن الذي يستحق رعايه الله (والله
وليها) أشعارهم بعون الله وحاجتهم الي ولايته سبحانه وتعالى حتي يدركهم المولي سبحانه وتعالى ويمنع
وقوعهم في الضعف والفشل ثم يبين لهم كيف يكون النجاه (وعلي الله فليتوكل المومنون)

ولهذا يقول لنا الله أن المواجهه تحتاج الي اراده وعزيمه قويه وهمه عاليه فانتم عليكم الأخذ بالاسباب والسنن
التي تحكم الواقعه والقوانين التي تنتظمه ثم عليك بعد ذلك التوكل علي الله بعد الأخذ بالاسباب إيماننا صادقاً
ببيقين أن أسباب الازمه بيده

فهناك فرق بين التوكل والتواكل الذي يعني ترك العمل الجاد لمواجهات التحديات فهذا يختلف عن التوكل الذي
يعني الاعتماد علي الله

وبالرجوع الي بدايه الاحداث نجد أن الأنصار كانوا قد طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسمح لهم بالا
ستعانة باليهود لما بينهم من احلاف فنهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك لماذا

لأن القضية تخص المومنين وبالتالي فإن عليهم أن يعتمدوا علي أنفسهم للانتصار للحق فالاعداء يكرهون الخير للإ
سلام ويريدون إلحاق الضرر بكم فهو تعالي قد أخبرنا عن ذلك في الايات السابقه (أن تمسسكم حسنه تسؤهم
وان تصبكم سئيه يفرحوا بها)

فالله يقول لنا أن غزوه احد مثال علي فرح اليهود بما اصبكم من اذي فالرسول صلي الله عليه وسلم لو استعان
بهولاء لشكلوا خطراً كبيراً كما فعل المنافقون ولذلك فرحوا بما أصاب المسلمون فذكر (وعلي الله فليتوكل
المومنون)

ان تحصر اعتمادك علي الله فاطلب ذلك معتمدا علي الله وفعل الأسباب التي أمر بها الله ولايكفي ذلك إلا بالثقه
بالله أنه سوف ينصرك فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ومن يتوكل علي الله فهو حسبه)

فعليكم عدم الاستسلام للهواجس مهما وجدت وشاهدت قوه العدو فإذا كان الله بجانبك ويوقف معك فلماذا تخاف
فالمومن اقوي من أن يتأثر أو يضعف بحركات اهل النفاق والطابور الخامس لماذا

لأن نفس المومن شريفه ولاترضي بما هو دون وانما تستقبل الأمر الإلهي بعزيمه قويه وهمه عاليه لانه يومن أن
الله ناصره فهو يدفع عن أوليائه المخاطر أما المنافقون فنفسهم خبيثه وخسيسه يقبلون بما فيه الذل والهون
فيقول لهم الله عليكم أن تعتمدوا علي الله وتتوجهوا الي الله لازحه غير المومنين

ثالثاً

بعد أن تناولت النصوص بيان اهميه الصبر والتقوي والتوكل على الله وان هذا هو سلاح المومن في مواجهات الا
زمات مع الأخذ بالاسباب والسنن ولهذا يذكرهم الله بواقعه بدر التي انتصر فيها المومنين فقال تعالي (ولقد
نصركم الله ببدر وانتم اذله فاتقوا الله لعلكم تشكرون)

فذكر ماحدث في بدر بعد أن تناولت النصوص تناول هزيمه أحد

المبحث الاول

أن الله يلفت انتباه المخاطبين الي اهميه الاستفادة من التجارب واكتشاف الخلل يقول لهم الله أن أسباب الازمه و

النجاه منها من السنن الالهيه والقوانين الاجتماعيه تجري علي المسلم وغير المسلم هي أشبه بقوانين الجاذبيه وقوانين الطاقه فيقول لهم المولي سبحانه وتعالى انكم بحاجه الي معرفه اسباب الازمات والاحاطه بها وهي من شروط التأهيل الاستخلاف فيقول الله انكم بحاجه الي البحث في أسباب الهزيمه التي لحقت بكم في أحد فعليكم المقارنه بين واقعه بدر التي انتصر فيها المومنون في ١٧رمضان سنه٢هجرية وبين معركه أحد التي حصل فيها الهزيمه من خلال المقارنه بين اسباب النصر والهزيمه في كلا الغزوات والتتائج لتعرفوا موطن الخلل والضعف والقوه وأسباب النصر والهزيمه وهذا فيه عده امور

الأمر الأول

تذكيرهم ببعض ما افادهم التوكل على الله فقال تعالي (ولقد نصركم الله بيدروانتم اذله) بعدما حكي سبحانه وتعالى عن حال الطائفتين انهما همتا بالجبن والضعف مع كثره اعداد المسلمين في احد بينما كانوا في بدر قله ليس لديهم سوي فرس وثمانيه سيوف وكان المشركون ثلاثه اضعاف المسلمين ولديهم العتاد والسلاح والخيول أيضا في بدر لم يكن المسلمون مستعدون للقتال فهم خرجوا من أجل القافله ولم يقصدوا القتال وقريش علمت بذلك فخرجت بطرورثا

بينما في أحد كان خروج المسلمين بقصد القتال وكانوا متحمسون لذلك فوصف الله ذلك بقوله (وانتم اذله) أن اشاره الي الضعف فهم كانوا قليلون من غير منعه من الناس وقله اعدادهم لبيان اهميه الصبر والتوكل على الله و التقوي بأنه لا يضركم كيد الأعداء فالله قد اظهركم في بدر مع قله اعدادكم بينما انهزتم اليوم وانتم اكثر عدد ولم يقل ذلائل لبيان أن الذله ليست ذله نفوس وانما ظاهر حالهم الخارجي فهم لم يسعوا الي قتال ولا لديهم سلا ح ولاغيره لكن كانت نفوسهم ومعنوياتهم قويه ومرتفعه فلم يوجد بينهم منافقون يسعون الي اجتثاث العزائم و الهمم كما هو حال الناس في أحد فالقله كانت مع لقاء القلوب وتلاقي العزائم تكون سببا للنصر

الأمر الثاني

أن علي المسلم كي يتخلص من الازمه أن يتحلي بالشجاعه للاعتراف بالمسؤولية عن الفشل والاخفاق بعيدا عن المكابره بغير الحق وعدم إلقاء التبعئه علي الاخرين فيقول لنا الله صحيح أن الأمور بيد الله سبحانه وتعالى لكن لا ينبغي أن نلقي بالتبعئه علي القدر فالخلاص من الازمه يبدأ من استشعار المسؤوليه وإدراك ابعاد المهمه

فيقول لنا الله (فاتقوا الله) خافوا الله انتبهوا من أن تألف النفوس ارتكاب الاخطاء فلا تعود تراها ولهذا فانتم بحاجه عند الازمات الي التفكير بعقلية المتدبر الشاعر بتدبير الله للأمور كلها في الحياه فتخاف الله فاللازم عليكم أن تتعرفوا انكم عندما خالفتم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتركتم موقعكم في أحد كنتم السبب في انهزام المسلمون بعد أن تحقق النصر في بدايه المعركه بينما في بدر التزمت الطاعه فنصركم الله

ولهذا فإن عليكم أن تأخذوا العبره من نصر الله للفته القليله في بدر لتعرفوا ثمره الطاعه والعبودية لله تعالي ف الله لا يعجزه شي لكن لتحظوا برعايه الله يجب الأخذ بالاسباب والسنن والتوكل علي الله لأن الأمور بيده فاللازم تفويض الأمر لله فإذا حصل النصر فلا ترجعوا ذلك إلي الأسباب لأن الله هو خالق الأسباب وكل العلل ترجع إلي الله فعليكم تفويض الأمر لله (ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين)

فالنصر بيد الله وله حكمه نصركم فانتم عاجزون عن تحقيقه بدون الله ولهذا ابتدأت النصوص بالقسم الموكد (ولقد نصركم الله بيدروانتم اذله فاتقوا الله)

أن النصر بيد الله (بيدروانتم اذله) اي في غزوه بدر وجاء الادغام التنوين مع الواو(بيدروانتم) يصور دخولهم بدر الوادي وهم يظهر عليهم الذله اي الضعف لمن ينظر إليهم فجاء اظهار الميم مع الهمزه (وانتم اذله) فذكر أن النصر يستوجب تقوي الله وتنقيه الاوعيه من شوائب الرياء والإعجاب فجاء اخفاء التنوين مع الفاء(اذله فاتقوا)

الله) فانتم بحاجة الي اعاده ترتيب احساسكم ومشاعركم من خلال خوف الله والشعور بوجوده فذكر لام التعليل لاهميه ذلك فقال تعالي (لعلكم تشكرون) لأن خوف الله هو الذي يقود الي شكر الله علي نعمه في كل الأحوال فيكون لديكم قدره علي قراءه الأحداث وتفسير الظواهر فلا تعلقوا النصر علي قوتكم ولا علي قوه الأسباب الماديه فهو إنما يتحقق بآراءه الله تعالي فالنصر مشروط بتقوي الله فلا يكون سببا للبطر كما يفعل الأعداء الكفار فعليكم شكر الله فلا تفرحوا بالنصر لدرجه الغرور كحال ابوجهل في بدر فانتم بحاجة الي استشعار وجود الله وأنكم عبيد له سبحانه في كل الأحوال

المبحث الثاني

تبين النصوص قواعد الموازنه لقراءه الأحداث في حالات النصر والهزيمة للوصول إلى الاحاطه باسباب الازمه للخروج منها وتجنب الوقوع فيها مره اخري فقال تعالي (إذ تقول للمومنين أن يكفیکم أن یمدکم ربکم بثلاثة ء الف من الملائكة منزلين بلي أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا یمدکم ربکم بخمسة ء الف من الملائكة مسومين... الخ

حيث أن النصوص ابتدأت بقوله تعالي (إذ تقول للمومنين)

وإذ ظرف زمان ولأن الظرف والجار والمجرور لا بد له من متعلق يعود إليه السامع يستحضر منه المشهد الذي تنقله النصوص لتصل الصورة الي الذهن ولأن النصوص ترسم المشهد كأنهم واقعون فيه بهذه اللحظة فقد ادي هذا الي القول من البعض أن إذ هنا متعلقه بقصه أحد الورد في بدايه الآيات وان الله ذكر (ولقد نصرکم الله ببدر.. اي فکذلك ینصرکم في سائر المواضع ثم رجع الي أحد فقال (إذ تقول للمومنين) اي أنه انتقال

في حين ذهب الفريق الآخر الي القول إنها منصوبه ینصرکم اي (ولقد نصرکم الله ببدر) فهي من تمام قصه بدر وخلاصة القول إن المراد من هذا هو تربيته المومنين علي كيفية مواجهه الازمات وكيف تحول المحنه الي منحه

ويتضح ذلك من الآتي

الأمر الأول

أنه علي القائد حشد كل أسباب النصر النفسية والمادية وربط القلوب ب الله تعالي مع الأخذ بالاسباب فالنصر يحتاج الي ثمن والحشد له فيقول لنا المولي سبحانه وتعالى أنظروا بتدبر وتفكير عميق الي مشهد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يخاطب الفئه المومنه القليله في بدر فالكلمات هي من الرسول صلى الله عليه وسلم للفئه المومنه القليله التي خرجت لبدر عندما شاهدت جيش المشركون الذي يفوقهم عتاد وعده فشق عليهم الأمر فشعروا بضعفهم وعجزهم أمام تلك القوه وشعروا بالحاجه الي المداد لما شاهدوا الفارق بين القوي وقد انقطع عنهم الامل بالمدد لماذا لانهم عندما خرجوا لم يكونوا مستعدين للقتال وانما اردوا الهجوم علي غير وقافله ابوسفیان لأجل استرداد الاموال التي نهبتها قريش من المهاجرين فالنصوص تبين اهميه تأمين النفوس من الخوف فإن ذلك هو بدايه تحقيق النصر والخوف قد يكون علي العيال ومن الفقر وقد يكون نتيجته الانهزام النفسي الناتج عن اختراق العدو لنظام المعلومات لديك وصفوفك بحيث يسعى الي استغلال ذلك في لحظات معينه ليحدث ضجيج وتشكك في القيم والمبادئ الوسائل الماديه ليجعل الفريق مشلول الحركه ولهذا فالنصوص تبين لنا اهميه التحصين ضد الخوف في فتره الازمه

فقد ذكرت النصوص في بدايه الامر اهميه العزيمة فذكرت خروج الرسول صلى الله عليه وسلم من حجره أهله ثم بينت تسويه الصفوف وتأمين سلامة النفوس بأن جعل الرسول صلى الله عليه وسلم لكل فريق مكان خاص به للقيام بالمهمة وتوحيد الصفوف بخروج المنافقون وهنا تبين النصوص كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم ء

الج ماظهر له من عجز القتال لما شق عليهم حالهم برؤيتهم الفارق بينهم وبين عدوهم فقال تعالي (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة ءالف من الملائكة منزلين)

وهذا فيه اهميه ادخال الامل في قلوب الجنود وقت اشتداد الازمات لأن كلمه (ألن يكفيكم) للاشعار أنهم كانوا في حاله ياس وضعف نظرا لضعفهم فكان قول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم ذلك فيه تنشيط العزائم والهمم ولهذا يجوز القول إن ذلك كان في أحد لماذا ؟

لانه عندما رجع ابن سلول بثلت الجيش لابد أن المسلمون شق عليهم الأمر ووتاثروا بذلك وشعروا بالخوف فقد أخبرنا الله عن حال بنو حارثه وبنو سلمه (إن همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما... الخ

ولهذا فقد كان في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم صيانه النفوس وتحسينها من الخوف ومن التشاوم فالمراد بهذا بيان اهميه تأمين المجتمعات فلا تدخلوا فيها التشاؤم وقت الحروب لأن الترويع مدخلا يسبب الضعف الإ نساني فالضروره تستدعي فتح أبواب الأمل فلا بد من بث الامل بالنصر والنجاح فنحن نعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب حين ضرب الصخره قال فتحت لنا قصور الفرس والروم.... الخ وهو محاصر حصارا شديدا

الأمر الثاني

أن غرس الامل في النفوس يحتاج إلي اسلوب قادر علي التخلص من حاله الخوف والضعف هو نظام يعتمد علي القيم والمبادئ الروحانية والأخلاقية والوسائل القادره علي إيصال الفكره فذكر الكفايه سد الخله والقيام بالأمر مع بلوغ المراد فنجد أنه استعمل اسلوب التدرج في طرح المداد الذي هو اعانه جيش بجيش فقال (أن يمدكم) فاستعمل لفظ مرتبط بما هو علي جهه القوه التي يحتاجونها فمن قال إنه في بدر ذكر أنه امدهم بالف في بدايه الامر فقال تعالي (اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين) ثم صاروا ثلاثة الف ثم صاروا خمسة الف وذكر (منزليين) حال كونهم منزلين من السماء بإذنه فالمومن عندما يسمع ذلك وهو واثقا بالله صادقا بالتوكل علي الله لابد أن ذلك يمدده بنشاط وحيوية وعزيمه وطاقه فذكر النزول من أعلي ليغرس فيهم الاعتماد علي الله فلا ينظروا الي قوه أهل الأرض

فالنص اذا كان متعلقا في بدر فقد حصل ذلك وانتصر المسلمون وأما إذا كان في أحد فلو نزلت الملائكة لما انهزموا ولهذا فإن هذا يدل أنه وعد من الله ربط تحقيق وعده بشروط يجب عليهم الالتزام بها وان عدم الوفاء بهذه الشروط التي تمثل جانب القيم والمبادئ الروحانية والأخلاقية المراد بلوغ المومنون إليها قبل الوصول إلى النصر فهي تشكل الجزء الأكبر من الثمن الذي يجب دفعه للوصول إلي النصر وهنا يقول المولي سبحانه وتعالى (بلي أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسه ءالف من الملائكة مسومين)

فالله سبحانه وتعالى يوعدهم بالزياده المداد لبيان التصديق بتحقيق وعد الله وزياده بشروط ثلاثة

(الصبر)(التقوى)(أن ياتيهم العدو من جهتهم من كفرهم وجحودهم لأن كفار قريش خرجوا في أحد لأجل الانتقام لقتلهم في بدر

فكانه قال بلي يكفيكم أن تصبروا في الحروب علي لقاء العدو وتراقبوا الله فلا تعصوا الله وتلتزم بطاعه القائد ب القيام بالمهام الموكلة اليكم منه وهدفكم هو ارضاء الله وليس المصالح والأموال والغنائم والمراد بهذا ربط القلوب ب الله تعالي وحشد الطاقات الممكنه لمواجهة الأعداء فإنه سبحانه يمدكم حتي لو جاءكم المشركون في هذه اللحظه فإنه لايتأخر سبحانه وتعالى عن انزال الملائكة فهو سبحانه وتعالى يريد أن ينصركم أن ظهر منكم الصبر و التقوي والتوكل على الله

الأمر الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يقول هل عرفتم سبب انقلاب النصر في أحد الي هزيمة لماذا

الجواب

أن المسلمون خالفوا المنهج الرباني الذي أوجب عليهم طاعه القائد فقد ترك الرماه مواقعهم طمعا فى الغنائم لم يصبروا ولهذا انتصر المشركون اي أن مخالفه المنهج هي مقدمه الهزيمة

فقد حرموا المداد الذي وعدهم الله لأن محل استقبال المداد تعطل لديهم فالله يقول إن هذا المداد هو للمومنين في كل زمن بس الأمر يتطلب منكم اصلاح محل الاستقبال لديكم لانه لا يصلح لاستقبال المداد من لم يصبر علي ا لابتلاء ومن ليس متقي فالمعركة مع الضمير قبل الأعداء معركة تجعلك اهلا لاستقبال مداد الرحمن

فالمعركة تمحيص للمومنين فإذا راي الله من عباده الثبات والصمود والتحمل لأجل إرضاء الله منحهم النصر فلا متحان لابد منه لمعرفة من يقدر علي الثبات والصمود ومن يعجز لانه لا يصلح أن يتولي أمور المسلمين عاجز فلا بد أن يتصف بالصبر والتقوي والتوكل على الله ومواجهه التحديات واحتواء الازمات فلا تعصف به الازمات

الأمر الرابع

تفصح النصوص عن الهدف من الوعد بالمداد فقال تعالى (وما جعله الله الابشري لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)

ومن المفسرين من اعتبر قوله تعالى (وما جعله) عطايا علي مقدر اي ما امدكم به من الملائكة ومنهم اعتبر ذلك معطوفا علي الوعد (ألن يكفيكم....بلي أن تصبروا) فذكر الغرض من هذا وهو البشري

و بشري من السرور فالغرض الاول هو من أجل إدخال السرور في القلوب وحصول الطمأنينة والثقة باعانه الله لهم ووقوفه معهم وهذا فيه تأمين النفوس من الترويع التي تفسد العزائم وتصيبها بالوهن ..وايضا عندما تدخل المعركة وانت تعرف هذه البشاره أن الله يقف معك وأنه سوف ينزل الملائكة فورا تقاتل بجانبك إذا تجاوزت الا متحان ونجحت في مقاومه الأعداء بالصبر والتقوي والتوكل على الله تعالى فإن قلبك يسكن ويستقر وهذا يشكل جانب قوه يمدك بالثبات وتحمل المسؤولية فلا تنهار قواك الداخلية أمام العدو

يقول لنا الله أن توظيف البعد النفسي مهم في المعركة لحشد الطاقات المانعه من اختراق العدو لنظام الطاقه المعنوية للمسلمين

تربيته المومنين علي أن مهامهم هي القيام بأمر الله ومجاهده الكفار وبذل الجهد لتحقيق النصر واترك أمر تحقيق ذلك لله تعالى هذا من جهه ثم إن عليك أن تدرك أن الذي يحدد المدد هو الله تعالى وبالتالي فعليك أن تفهم أن النصر من عند الله فهو الذي يجب التعلق به لا الأسباب التي هي بيده فليست اعداد الملائكة وتفاوت اوصافهم وإعدادهم المذكور ه في النصوص هي التي تقف وراء تحقيق النصر أو الهزيمة

فعليك أن تدرك أن الله قادر أن ينصرك بدون الملائكة فالله يقول لنا أن الملائكة مجرد بشري عند نزولهم يكون طمأننه قلوبكم أما النصر فهو من عند الله اي ب الله وعزته فهو ينصر من يشاء وهو العزيز الذي لا يغلب والحكيم الذي يضع كل شي في موضعه

فالتوكل ليس علي الملائكة اتركوا التعلق بالاسباب واقبلوا علي مسبب الاسباب فاستعينوا بالله القادر الذي لا يغلب والحكيم الذي يدير الأمور بأفضل السنن وأقوم الوسائل فعليكم الا تتوقعوا النصر الا من رحمته ومن قوته وفضله وكرمه فإن حصل مدكم بالملائكة فان ذلك جزء من أسباب النصر وهنالك أسباب أخرى مثل إلقاء الرعب في قلوب الكفار وغيرها من الأسباب التي يوفقكم الله تعالى إليها

وان لله تعالى حكمه في كل أمر فإذا نصركم فله حكمه واذا انهزمتكم فإن لله تعالى حكمه فهو يضع كل شي في موضعه حيث لو نظرنا الي أحد فإن الهزيمة فيها من أهم انتصار المسلمون اليوم لانه لو لم يهزم المسلمون في أحد لاصاب المسلمون اليوم الياس لانهم سوف يعتبرون أن الهزيمة سببا لعدم النضال والكفاح ضد الباطل وسوف يصابون بالاحباط والقنوط واليأس

ولهذا نجد أن الله تعالى يفصح عن حكمته في النصر سواء كان ذلك اشاره الي بدر أو متعلق بمساله النصر بشكل عام وهو في الحقيقة حكم عام غير محصور بيد وحدها

فقال تعالى (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خآبين

١

ليقطع طرفا...اي جزء منهم...والمراد بهذا صناديد الكفار وقادتهم الذين يمنعون الناس من دين الله فالمراد بهذا قتل البعض أو أسرهم أو ينقص من أرضهم بالفتح أو ينقص من سلطانهم وفاعليتهم

ثم قال (اويكبتهم فينقلبوا خآبين)

اي يخزيهم بالهزيمة والخيبه فيرجعون اذلاء لانهم لم يظهرها بكم لماذا لانهم عندما يخرجون يظهر الكبر والبطر فعندما يرجعون غير حائزين علي شي وهم مهزومون فإنهم يعانون ويلات الذل والمهانه نتيجه حرمانهم من تحقيق مطلوبهم ولهذا فهؤلاء يصبحتون في ذل الخيبه وهي تختلف عن الياس بأن الخيبه لاتكون الا بعد أن تقع النتيجه أما الياس فهو قبل الوقوع وبعده

٢

ليس لك من الأمر شي او يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)

تبيين النصوص أن النصر من عند الله وتحقيقه هو قدر الله وفق حكمه الله ومشئئته فليس للرسول صلى الله عليه وسلم ولا المجاهدون معه في النصر هدف شخصي ولا غايه ذاتيه مثلما أنه ليس لهم دخل في تحقيقه وان هم إلا ستار قدره الالهي التي لايعجزها شي فيحقق الله بهم مايشاء فمن صنع النصر هو الله وفق حكمه الله ومشئئته فأنت عليك البلاغ ف الله يقول إن مساله توبه هؤلاء هو من عند الله لانه سبحانه وتعالى عندما ينجي البعض فلا يقتلوا في المعارك رغم العدواه الشديده منهم للإسلام أمر لله فيه حكمه فلا تتدخل في ذلك فهو سبحانه وتعالى قد ينجيهم كي يتوبوا في المستقبل أو أنه يريد تعذيبهم بما يري فهم مستحقون لذلك لانهم ظالمون

٣

تربط النصوص تدبير الله لأمر البشر بما في الكون فيقول الله تعالى (ولله ما في السماوات وما في الاوض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)

بأنه سبحانه وتعالى له ما في الكون خلقا وملكا وامرا يتصرف بهم كيفما يشاء لا معقب لحكمه فله الملكيه المطلقه

والمشيئة المطلقة وهو يتصرف في عباده كيف يشاء فذكر تقديم المغفرة علي العذاب لبيان ان رحمته سبقت غضبه وان الرحمه مستحقه بلا سبب وان الغضب إنما يحل السخط بسبب أفعال العباد

وعقب (والله غفور رحيم)

أن باب التوبه مفتوحا ليناووا مغفرته ورحمته فالطاعة لاتوجب التوب والمعاصي لاتوجب العقاب ولهذا عليكم التزم الواجب وطاعته ومحبتة وعبادته وتوحيده سبحانه وتعالى وترك ماوراء ذلك لحكمته وقدرته ومشيتته المطلقة من وراء الوسائل والأسباب

القسم الثاني

يايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الي مغفره من ربكم وجنه عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشه أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاءهم مغفره من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين)

أن آيات هذا القسم ابتدأت بالنداء للمومنين (يايها الذين آمنوا)

وفي ذلك لفت انتباه المخاطبين الي اهمية الحديث الذي سوف تتناوله الآيات وأنه يتطلب منك الحضور بالعقل والاذن والفهم فالمسألة مهمه ولهذا فإن القارئ عندما ينتقل إلي ما ذكر بعدها يجد أن الآيات تأتي بالنهي عن الربا و المعاملات الربويه وربطت ذلك بخوف الله رجاء الفلاح واتقاء النار التي أعدت للكافرين وامرت بطاعته الله ورسوله رجاء رحمه الله والحث علي التنافس والتسابق للوصول الي مغفره الله ورضاءه وجنته والتعاون والتكافل بين أبناء المجتمع والتسامح والعفو وذكر الله والاستغفار وعدم الاصرار علي الذنب

وبالوقوف علي النصوص نجد الآتي

اولا

أن الحديث عن الربا والشح والبخل والغيظ والعفو جاء عقب ذكر معركة فيها قتال واشلاء ومواجهه الأعداء وهو أمر يلفت الإنتباه ولا بد أن أي قارئ يتسال ماشان الرباء في هذا المقام ماعلاقه هذا بموضوع الهزيمة والنصر

ولهذا كان لابد من التأمل وامعان النظر لتفهم الاغراض من ذلك والمدلولات التي تحملها النصوص

الأمر الأول

أن المولي سبحانه وتعالى يبين لنا اهمية استغلال المناسبات لتكوين الرأي العام الفاضل وهذا أسلوب مهم لغرس حب الاخلاق الحميده والنفور من الأخلاق المذمومه ولهذا نجد أن النص جاء فيه الدق والطرق علي الاذان بالنداء (يايها الذين آمنوا) وهذا فيه طلب الاهتمام والعناية بالحديث فيقول لهم أن مقتضي الايمان يوجب عليك الإنتباه لما سوف اخبرك به فنجد بعد ذلك يأتي بالنهي عن المعاملات الربويه (لاتاكلوا الربا أضعافا مضاعفه واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين) وهذا عقب تناول احداث غزوه احد التي كان التطلع فيها الي أمر زائد وهو الغنائم أهم أسباب الهزيمة لأن الرماه خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتركوا مواقعهم طمعا وتطلعا في الغنيمه اي انهم كانوا حريصين علي أن يبالوا زياده عما أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك فإن الربا ودوره حركتها أمر ينشاء عن الطمع والتطلع في زياده الفوائد وبما يخالف المنهج حيث أنه كان في الجاهليه اذا استدان شخص مال من اخر وحل الموعد يقول له هات مالي فيطلب الامهال فيرد سوف امهلك

بشروط أن تزيدني مبلغا فوق المال كريح ولهذا وردت النصوص بالنهاي عن أكل الربا اي اخذ الربا وقال تعالى
(اضعا فامضاعفة)

ولا يعني هذا أن الأرباح القليله مباحه فهذا ليس قيذا لأن الآيات في سوره البقره قد دلت علي حرمه الربا كله
(وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين)

وانما أراد المولي سبحانه وتعالى التنفير من النظام المالي الربوي الذي اعتدوا عليه في الجاهليه فاستغل مناسبه
الهزيمه في أحد ليبين لنا أن هنالك معركه مع المال والانظمه الفاسده ينبغي عليكم أن تخوضوها للوصول للنصر ف
اللازم عليكم أن لا تتطلعوا الي المال الزائد من غير جهه مشروعه

ليعرف المتطلع الي المال الزائد من غير جهه مشروعه إنما يعود عليه بالبلاء فاستعمل لفظ (لاتاكلوا)وهو ليس من
المأكولات والمراد أخذه وعبر عنه بالاكل لانه اهم مقاصد أخذه ولان الشره هو الذي يتطلع للاكل زياده عما هو له
فوصفه أضعافا مضاعفه لتشجيع تلك الزياده من غير جهه مشروعه لترسم الآيات فساد تلك الانظمه في جميع
جوانب الحياه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وأنه يفسد الحياه النفسيه

فالله يريد منا أن ننفر من الأخلاق المذمومه ليصير كل واحد منا لايقبل الاخلاق المذمومه ليكون الرأي العام فاض
لا يقر نظام التعاون والتكافل والتراحم يعرف أن التطلع والطمع بالمال الزائد من غير جهه مشروعه أمر يجب نبذه
فلا يقبل به المسلمون فيقمع المسلم غرائز شهوه حب المال بتزكيه وتنظيف نفسه من اوساخ تلك الشهوه
وهذا إنما يكون بتقوي الله (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

يقول لنا الله مثلما خضتم معركه الايمان ضد الشرك بخوف الله ومراقبته فانتم مطالبون بخوض معركه النفس مع
غريزه حب المال

ولأن الباعث لحب المال هو قصور الفهم لدي البعض بالنظر الي أن الربح المتوقع من الربا أنه فيه السعاده يقول
الله انظروا الي ما حدث في أحد كيف انقلبت الموازين من النصر الي الهزيمه والبلاء فليست السعاده في الانظمه
الربويه وانما السعاده الحقيقيه في تقوي الله وامثال امره وهذا هو سلاحكم بمواجهه افه حب المال ومرض
التطلع إلى الزياده من غير جهه مشروعه فقال تعالى (لعلكم تفلحون)

خوف الله هو الوقايه من عذاب الله فقال (لعل)للتعليل اي من أجل تنجوا وتحصلوا علي الفلاح ويزوال عنكم
المكروه

فهو معين يوصل الي الفلاح ومن أهم أسبابه اي أنه مرهون بتقوي الله بتعظيم أمر الله والنظر الي أن الأمر نازال
من الله وقوته وسلطانه سبحانه وتعالى

الأمر الثاني

تبين لنا النصوص أن معركه الاسلام مع الانظمه والمعاملات الربويه

من اهم المعارك التي يجب أن يقف المسلمون لها بحزم فيقول لنا تعالي (واتقوا النار التي أعدت للكافرين)

بعد أن كان تصدير الخطاب يايها الذين آمنوا...اي أن مقتضي ايمانكم يوجب عليكم تنفيذ أمر الله...فجاء بعده
النهاي عن التعامل بالربا ثم أمرهم بتقوي الله فقال تعالي (واتقوا الله لعلكم تفلحون)

رقبوا الله وخافوا عذابه فيما أمر والتي من جملتها تحريم الربا فلا تكون قلوبكم قاسيه لانكم سوف تحملوا
أنفسكم فوق طاقتها من العذاب فأراد تكوين الري العام الفاضل في نفوسهم من خلال تكوين قوه قادره علي الدق

والطرق في نفوسهم علي سبيل التنفير من الأخلاق الرذيله التي لاتشبه مجتمع المسلمين فأخبرهم ان الذي يتعامل بالربا لايتقي الله وليس بمومن ولا يخاف الحساب والعقاب ف جاء بالوعيد والتهديد بالنار التي جهزها الله وهياها لتحرق الكفار فمن تعامل بالربا فقد صار جزء منهم اي من الكفرة فأراد بهذا الحث علي التحرر من متابعة الكفار وما يتعاملون به فاشعارهم بأن مصير من يفعل ذلك هو الشقاوه والعذاب بالنار المعده من الله للكفار

ولهذا فلا بد أن المرء عندما يسمع ذلك يتسال كيف يكون اتقاء الله واتقاء النار فياتي الجواب (واطيعوا الله و
الرسول لعلكم ترحمون)

إذا الوسيله لاتقاء غضب الله وسخطه تكون بالمنهج الرباني الذي يبين لنا الحلال والحرام فاتباع أمر الله وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم المنهج هو الذي يترجم حقيقه الايمان حقيقه الصادق من الكاذب ولهذا أمرهم الله ب الطاعه لله ولرسوله وعلق علي ذلك رجاء رحمته فدل هذا علي أن المجتمع الربوي ليس فيه طاعه لله ولا لرسوله وهذا فيه ارتباط بالاحداث التي حصلت في أحد حيث كان مخالفه الرماه لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم هو سبب الهزيمة

الأمر الثالث

أن المبالغه بالتغليظ بأمر الربا اتبعه بالأمر بطاعه الله ورسوله فيه تعريض بأن أكل الربا منهمك بالمعصيه لاطاعه له ثم علق رجاء رحمه بطاعه الله ورسوله اشعارا بأنه لارجاء للرحمه مع هذا النوع من العصيان فهو يوجب الياس من رحمته للمومنين لامتناعها ولهذا نجد أن النصوص تأتي بعدها بالحث علي المبادرة السريعه الي التوبه من ذلك فقال تعالي (وسارعوا الي مغفره من ربكم وجنه عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)

بمعني اتركوا الانظمه الربويه وبادروا الي الأخذ بالنظام المالي الاسلامي والسرعه هنا تعاني عدم تأخير الأمر لانك لاتدري متي تموت فلاتاخر الأمر

فامرنا الله بالتعجيل الي طاعه الله ورسوله لتحظوا برحمه الله فقال تعالي (الي مغفره من ربكم وجنه... الخ

والمغفره هي ستر الذنوب والتجاوز عنها أي ليس مجرد العفو عن الذنب حيث أن مغفر لفظ يطلق علي ما يوضع في الرأس خال الحرب يستر رأسه به وايضا وقايه له من السهام والايه جاءت بعد ذكر أن طاعه الله توصل لرحمته فدل هذا أن المغفره إنما تكون من رحمه الله وتعالى وذكر لفظ (مغفره) تنكير اللفظ فهو بذلك أراد ذكر المغفره العظيمه لأن الإسلام يجب ما قبله ثم ذكر ما يعقب ذلك هو الجنه التي خلقها الله ليدخل عباده الصالحين فيها

فقال تعالي (وجنه) أي مكان السعاده الابديه لمن اطاع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فذكر وصف سعته فقال تعالي (عرضها السموات والأرض) أي أنها تحتاج الي ثمن وتسابق للوصول إليها تحتاج الي عبور الامتحان بجداره فذكر السعه ليغرس في النفس الزهد عن الدنيا وما فيها فتكون لديه طاقه وقوه تجعله يصبر علي الشهوات والأهواء والمراد بالتشبيه الاغراء علي المسارعه فذكر سعته بالعرض لأن العرض أقل من الطول ليجعلك تشعر بعظمه السعاده فتقول اذا كان هذا هو العرض فكم هو الطول

وقد ذكرت النصوص التخليه قبل التحليه فدل هذا انه لدخول الجنه لابد من مغفره الله لك بستر الذنوب و التجاوز عنها ثم ذكر أن الجنه أعدها الله وجهزها للمتقين الذين خافوا الله ورقبوه في كل أعمالهم فهي لمن اطاع الله ورسوله

ثانيا

أن الأمر بالمسارعه الي المغفره والجنه للوصول إلي القرب من الله تعالي يعني المبادرة الي الأسباب التي يكون بها

الوصول إليهما من الأعمال الصالحة ولهذا نجد المولي سبحانه وتعالى يبين لنا أوصاف المتقون فقال تعالى (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)

الأمر الأول

تبين النصوص طبيعه النظام المالي الاسلامي بأنه يقوم علي التعاون والتكافل والتراحم فابتدات النصوص بالاشاره الي مساله مهمه في حياه المسلم وهي تبني هموم الناس فقال تعالى (الذين ينفقون في السراء والضراء)

فدلت أن المتقون يعيشون هموم الناس في كل الأحوال في وقت الرخاء ووقت الشده أنهم يقدمون المصلحه العامه علي المصالح الشخصية فالفاعليه في الحركه ايجابية لاتوجد انانيه فيهم أنهم في وسط الناس يبذلون كل ما يمكن بذله من أجل التخفيف عن الناس لاتوجد طبقات اجتماعية في كيان المجتمع المسلم فلا توجد جدارن تفصل بين الأغنياء عن الفقراء فكل مسلم يحب الخير لغيره من المسلمين لايهربون من مشاكل إخوانهم اذا كان في مقدوراهم إخراجهم منها لا يختفون عن الأنظار عند تلاطم الهموم بالمسلمين فلا يقولون إن هذه مشكلتكم بل يبذلون قصارى جهدهم لتخفيف الأعباء عن إخوانهم فذكر الله لنا أنهم حاضرون مع إخوانهم بالبذل والعطاء في كل الأوقات في حال السرور وكثره المال والعيش الرغيد واليسر وفي حال الضيق والعسر في الغني والفقير فهم ثابتون في العطاء لاتغيرهم الأحوال فذكر الله اول ما ذكر من أخلاقهم السخاء والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار)

ویدخل في الإنفاق انفاق العلم وقضاء الحوائج للمحتاجين ومساعدته الملهوف ونصره المظلوم

الأمر الثاني

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)

الكظم هو الحبس والغيظ انفعال نفساني يرفع غليان حراره القلب فيحدث فوران الدم من الغضب وهذه قوه موجوده في كل مخلوق والله يريد أن يربي المومنين علي أن يكون الغضب لله تعالى ويقيم بناء المجتمع المسلم علي الوحده والتماسك يريد أن يكون المسلم قادرا علي التحكم في انفعالاته في كل الأوقات فامر الله المسلم بمسك نفسه عند الغضب مع قدرته علي الفعل وهذا يحتاج الي قوه روحيه تجعله يتجرع الغيظ عند امتلاء نفسه منه فلا يخرجها في غير محله واوانه فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (من كظم غيظا وهو يقدر علي إنقاذه ملء الله قلبه امانا وإيمانا) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (ليس الشديد بالصرعه لكنه الذي يملك نفسه عند الغضب)

ولهذا فإن الإسلام يريد تربيته المومنين علي هذا الخلق العظيم فليس المراد بكظم الغيظ تحويله الي حقد ورغبه با لانتقام ولهذا يقول لنا الله تعالى (والعافين عن الناس)

أن تتجاوز عن أخطاء الآخرين واساءتهم ضدك فلا تقابل الاساءه بالاساءه وهذا خلق كريم

ويربط ماسبق بالاحسان فقال تعالى (والله يحب المحسنين)

لماذا

لأن غرض المسلم من التحلي بتلك الاخلاق الوصول إلي محبه الله ونيل رضاه فهم يسرعون الي مغفرته ورحمته

وجنته فهذا هو الهدف من الانقياد التقرب من الله كي ينالوا حب الله ورضوانه وهنا يقول لهم الله أن حب الله مرهون باتقانكم العمل وبذل كل جهدكم في ذلك والإحسان أيضا أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.... فجاء التعبير بحب الله لغرس الرغبة الدافعه في هذه القلوب بأنها الجماعه التي يحبها الله فعليهم الحفاظ علي هذه المكانة بالاخلاص وإتقان العمل ومراقبته سبحانه وتعالى

ثالثا

(والذين اذا فعلوا فاحشه أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاءهم مغفره من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين)

ابتدأت بالعطف فجاء الاسم الموصول معطوفا علي (المحسنين) وقد جاء هذا بعد أن ذكر الله أن الجنة معه للمتقين فذكر الذين يتسابقون علي خدمه الآخرين والإحسان إليهم عطف علي ذلك احسان هؤلاء الي أنفسهم فذكر أنهم إذا ارتكبوا الإثم (الفاحشه) وهو الأفعال القبيحه والمعاصي والذنوب فهي صفة لمتركها واصل الفحش هو الخروج عن الحد المقدار في كل شي واصل ظلم النفس مخالفتها لأمر الله

وقد ذكر أن الايه نزلت في احد الصحابه أخته امراه حسناء تتطلب منه تمرا فقال لها أنه ليس بجيد وان عنده في البيت اجود منه فذهبت الي بيته فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ما حدث فأنزل الله الايه

وهذا فيه

الأمر الأول

أن الإسلام لم يغلق الابواب أمام التائبين الذين يرتكبون المعاصي والذنوب فذكر أنه لم يطرد المذنب وان ارتكب اكبر المعاصي من رحمه الله والوصول الي اعلي المراتب المتقين فلم يسلبهم تلك المرتبه لم يحرمهم من تلك الحقوق فالإسلام دين الرحمه والله يعلم بأحوال الإنسان وضعفه أن هو ضعف أمام الغرائز والشهوات فلم يغلق الابواب أمامه بل فتح له باب الرجاء بأنه إذا عاد إلي الله تائبا وطامعا في المغفره فانه يدلله علي ذلك بشرط أن لا يكون قلبه قد اظلم فإذا كان مازال حيا شاعرا بعظمه الله اي إذا ارتكب الذنب عاد إلي رشده فذكر عظمه الله الموجبه للخشيه والحياء تذكر وعيد الله وعده فحصل له الندم علي ما الفعل الذي فعله وعزم علي تركه في المستقبل

فإن هذا القلب مازال ينبض بالحياه ولم يصاب بقساوه القلب لانه مازال يذكر الله ولاينساه ولايصر علي ارتكاب الخطيئه ويستغفر ويعلم أن الله هو الذي يغفر الذنوب فإن الله يغفر له فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (ما أضر من استغفر الله ثم عاد في اليوم سبعين مره)

والإسلام لايرخص ولايدعو الي التهاون ولايشجع علي المعاصي وانما يقبل عثره الضعيف حتي لاتصاب النفس بـ الياس فهو يدعوها الي الرجاء وطلب المغفره من الله أن تطمع برحمه الله والعفو عنها

والاستغفار هنا أنهم سألوا الله الستر والعفو عن الذنوب فجاء النص (فاستغفروا)معطوفه علي جواب (اذا فعلوا فاحشه... الخ

الأمر الثاني

تبين النصوص أن قلوب هؤلاء ما زلت حيه لم تصاب بقساوه القلوب فقال تعالى (إذا فعلوا فاحشه... الخ

للاشارة الي سرعه الإنتباه منهم عند فعل الذنوب فهم بادروا الي التوبه لا كما يفعل البعض تحت عنوان أن الله غفور رحيم... حيث نجد أنهم يستمرون في ارتكاب الذنوب والمعاصي فهذا لم يفهم حقيقه مغفره الله ورحمته وشروط ذلك

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى ذكر أن العرفان ب الله وعظمته تتطلب منك أن توقره وتقدره حق قدره فتترك ارتكاب الذنوب والمعاصي وتظهر الندم من الفعل والعزم علي عدم ارتكاب ذلك في المستقبل وان الاستغفار ب اللسان يتطلب منك العمل فلا يكفي الاستغفار باللسان فهذا وحده لا أثر له في ازاله الذنب فهذا ليس توبه المتقين وانما توبه الكاذبين أما الصادقين فلا بد من العمل الايماني الصادق

وان عليك أن تطلب المغفره من الله فهو القادر علي ازاله الذنب والعقاب ولهذا جاء النص بصيغه الاستفهام الا نكاري (ومن يغفر الذنوب الا الله)

فالله وصف نفسه بسعه الرحمه وقرن المغفره بذاته وحده لا شريك له لتعلم أنه لامفر من الله الا بالهروب الي الله تعالى كما ورد (اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت)

ولهذا يقول لنا الله أنه لقبول الدعاء وطلب المغفره منه تعالى فهذا يتطلب عدم الاستمرار في ارتكاب الذنوب (ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمون) لأن الذين يصرون علي فعل ما حرم الله وهم يعلمون حرمة فذلك استهزاء بشرع الله وليس هؤلاء نائبون فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا كبيره مع الاستغفار ولا صغيره مع الإصرار)

الأمر الثالث

يقول لنا الله تعالى أن علي الإنسان المسلم ليصل الي مرتبه التقوي التي فيها مغفره من الله ورحمته وجنته وكفي ينتصر في المعركه الحربيه أن يخوض معركه مع نفسه يكون فيها الانتصار علي الشح والانتصار علي الغيظ والا نتصار علي الرغبه في الانتقام بالعفو والانتصار علي الخطيئة لأن هؤلاء كلهم أعداء الإنسان إذا تمكنوا من السيطرة على الإنسان فإنه يكون عاجزا في معركه القتال فجاء العتاب علي المسلمين الذين خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في أحد نتيجته التعلق بالمال ليقول لهم انكم بحاجة الي الانتصار الي البواعث التي جعلتكم تخالفون أمر الرسول أنه التطلع الزائد الي المال من جهة غير مشروعته لأن الرسول منعكم من ترك موافعكم وايضا الاشارة الي ما حصل من ابن سلول الذي كان سببا في العوده بثلت الجيش نتيجته الاعجاب منه بالراي والاعتزاز ب الذات ولهذا نجد أن الله يقول لنا (اولئك جزاءهم مغفره من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين)

أن المتقون وحدهم هم الفائزون وهم المشار الي اوصافهم الذين انتصروا علي الشهوات فهؤلاء جزاءهم اي ثواب أعمالهم التي وصفهم الله أنهم عملوه بالعفو والتجاوز والستر عن الذنوب والعيش في السعاده الابديه فجاء المدح لاجرهم علي أعمالهم كي نقتدي بهم

الأمر الرابع

بالنظر الي النصوص نجد انه ورد فيها مدح مصير المومنين في الاخره مبينه أن ذلك ثوب علي أعمالهم الطيبه بعد أن دلت المومنين علي كيفيه اعمال اخلاق الضغظ والتطلع كلا في مكانه الصحيح حيث أوضحت أن التطلع نحو الزيادة في المكاسب لا ينبغي أن يكون من جهة غير مشروعته لأن ذلك فيه بلاء عظيم فالرماه عندما خالفوا

أمر الرسول صلى الله عليه وسلم نتيجة التطلع الزائد للمال تسببوا بإلحاق الضرر بأنفسهم والمسلمين ولهذا جاءت النصوص تحذر من الربا وتحث علي اهميه تقويه اخلاق الضغط في هذه المواقف وهي لتي تميزكم عن غيركم من المجتمعات الكافره

ثم تأتي النصوص لتضع بين أيدينا صورا لأخلاق التطلع المشروعه والتي نحتاجها للتخلص من اخلاق الضغط المذمومه فذكر اهميه التطلع الي ماعند الله بالزهد عن الدنيا وان هذا يتطلب التخلص من الشح والبخل الذي له اصل في النفس يشكل ضغطا عليها وأن هذا يكون باحساسك بالم الآخرين والسعي للتخفيف عنهم تلك الالم ثم انتقلت النصوص بعد ذلك إلي مساله مهمه يحتاجها المومنون في مثل هذه الأحوال مساله متعلقه بكيفيه التعامل مع بعضهم البعض خاصه اولئك الذين رجع بهم ابن سلول من منتصف الطريق فأخبرنا الله أن مراجعه الأحداث وتقييم الأوضاع لايعني إلقاء التبعيه علي الآخرين أو الحقد علي من أساء وتسبب بجزء كبير من الهزيمه فهناك أخطاء ارتكبت وهنالك غيظ بالذات من هولاء الذين رجعوا من منتصف الطريق لكن لاينبغي أن يكون هذا الغيظ سببا في حدوث فتنه داخل كيان المجتمع المسلم فاللازم عليكم معالجه الموقف بحكمه فقال تعالي (والكاظمين الغيظ)

فأراد بهذا أن يعلمهم التعامل مع الاحداث بمسؤوليه فهم كانوا في غيظ تجاه ابن سلول ومن إليه فأمرهم أن يحبسوا غضبهم لانه لو سمح لهم اظهاره لادي ذلك إلي سفك الدماء ونشوب الحرب الاهليه داخل المجتمع المسلم لأن رده الفعل كانت فيها اضرار بالمسلمين وهو ما كان يخطط له ابن سلول من فعلهم ذلك

ويامرهم بالعفو عن الذين رجعوا مع ابن سلول وعن الذين ارتكبوا الأخطاء

لماذا لأن الحكمه تتطلب التعامل بحنكه وإظهار التسامح فالعفو له أحوال يجب استعماله وهو عندما يكون في ذلك تحقيق مصالح الامه أما إذا كان فيه اظهار عدم الغيره علي الدين فلا يكون ذلك لأن ذلك دياته

فكنتم الغيظ والعفو وسائل علاج يجب استخدامها في الحالات التي يكون فيها معالجه المريض أو الحد من العدوي بالمرض وليس في كل الحالات وهو ما يتطلب مهاره وخبره في التشخيص للمرض وإحسان اختيار العلاج المناسب عندما تكون لك الخيارات متاحه حينها يكون اختيارك الافضل الذي فيه منع الفوضى ولهذا قال تعالي (و الله يحب المحسنين)

اي الذي يتقن عمله ويحسن في أداءه وهذا يكون بإحسان تنزيل الأحكام علي الواقع دون إحداث أضرار ينتج عنها اشاعه الفوضى في المجتمع اي أنه يشعر بالمسؤولية ولايسعي لأغراض شخصية وانما طالبا رضاء الله

فيقول لنا عليك ان تشعر انك تحمل دعوه الله وانك تسعي إلي نشر الخير فلا يكون في فعلك اظهار الدعوه بمظهر غير لائق فأنت تتطلع إلي إرضاء الله وتسعي الي تقديم صوره جميله عن هذا الدين تشجع أصحاب الضمائر الحية علي الرجوع الي الله والاستغفار وطلب التوبه والغفران من الله فلا تكون انت عائقا أمام عوده هولاء الي الله فلا تنظر للأمور نظره شخصية بل انظر الي ما يعود علي الامه ودين الله من كل فعل تفعله فذكر المدح فنعم احمر العالمين

القسم الثالث

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين

هذا بيان للناس وهدى و موعظه للمتقين ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام ندوالها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب

الظالمين وليرحم الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين

ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولم يعلم الله المجاهدين منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون)

اولا

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذابين)

ابتداءت النصوص بجمله محققه (قد خلت من قبلكم سنن)

وقد تفيد التحقيق فالله سبحانه وتعالى يخاطب المومنون انه سبحانه وتعالى جعل الحياه محكومہ بسنن ونواميس مثلما أن الإنسان محكوم بالمنهج الرباني

فالايه توحى أن المسلمين كانوا في حاله اضطراب وغير قادرين علي التعامل مع الاحداث المتعلقة بالهزيمة في أحد ولم يستعبوا الحدث وان ما أصابهم من الجرح والقتل والهزيمة قد أحدث هزه نفسيه فيهم عنيفه وصلت لحد الاستغراب لدي البعض فقالوا (اني هذا) كيف نهزم ونحن مسلمون فهم كانوا يتوقعون النصر مثل بدر

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول يقول لنا أن هنالك سنن ونوميس تحكم الحياه وما فيها وتحولاتها عليكم أن تفهموا اهميه التوغل في تاريخ الشعوب والأمم والحضارات وأسباب سقوطها ونهضتها

فلا يمكن فهم الحياه وما فيها وتحولاتها دون إدراك هذه السنن والأبعاد التي تحكمها فهي مثل معادلات رياضيه أسباب ومقدمات = نتائج

فاستعياب السنن مهم لتكون قادرا علي تسخيرها للوصول إلي إمكانية مغالبه قدر بقدر فلا يمكن القفز فوق هذه السنن والأسباب الي النتائج فانتم بحاجة الي هذه المعرفه لمواجهة الازمات واحتوائها ومعالجه الخلل والحد من آثارها

لأن أي خلل في التعامل مع هذه السنن سوف يؤدي الي الفشل

يقول لنا الله أن السنن أوجدها الله تعالي وهي لاتحابي احد حتي نحن المسلمين المومنين فلكل أمر كوني أو اجتماعي أو نفسي سنن تحكمه وقانونين تنتظمه

اي أن الله يريد أن يقول لنا لاتقفزوا فوق هذه السنن فيامرهم بالسير في الأرض فقال تعالي (فسيروا في الأرض)

والسير يراد به المشي بالاقدام وبالقلوب بالتفكر في أحوال الأمم السابقه من قوم عاد وثمود ولوط وقوم نوح و الفراعنه ... الخ

يقول لنا أنظروا الي أحوال اصطدام أهل الحق مع أهل الباطل

فانظروا في تفاوت حال كل فريق بما كان سببا في هلاك المكذابين

وتعصبتهم لمذميم الاخلاق فعندكم الامثال من بأس الله وقوراعه وأيامه ووقائعه

لتعرفوا الأسباب التي كانت وراء هلك المكذبين لتعرفوا أن العقاب للمتقين

ثانيا

ان المولي يربط الامه بتاريخ المومنين والرسل بالامم السابقه ليكون ذلك تاريخا لنا يصل حاضرا الامه بماضيها لترسم الامه مستقبلا (هذا بيان للناس وهدى و موعظه للمتقين)

يشير إلي ما قبله وهو ما أمرنا فيه أن نتفكر في أحوال تلك الأمم في الخير والشر فامرنا بالحد من ذلك المصير فكأنه قال لنا احذروا أن تكونوا أمثالهم فإذا شاهدتم النهايه التي انتهى إليها كل فريق منهم فالزموا كل أسباب العزه التي ازحت عن أصحابها الأعداء ومدت لهم العافيه ووصلتهم بحبال الكرامه تدبروا أحوال الماضين من قبلكم من المومنين كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء فقد كانوا أضيقت أهل الدنيا حالا لم يكن لديهم أي مظاهر القوه وقد تجرعوا المراره وصبروا وتحملوا وتحملوا القهر والظلم من أهل الكفر حتي اذا راي الله منهم الصبر علي الاذي في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه ابدلهم العز مكان الذل والأمن مكان الخوف ومددهم بحبال الكرامه حتي صاروا ملوكا واهلك اعدائهم فيقول لنا أن السنن أوجدها الله تعالي فانظروا إلي ما وقع في زمانهم بأنه سوف يقع في زمانكم أن انتم أخذتم بالسنن التي فيها النصر والتمكين والكرامه وكذلك أن خالفتم فسوف تكون عاقبتكم مثل عاقبه المكذبين فعليكم الحذر من الانزلاق الي ذلك

فانتم تصنعون مستقبلكم بايديكم ولأن امه العرب لم تكن لها معرفه ولاعلوم بكيفيه التعامل مع الاحداث الجاربه فهي كانت محصوره في نطاق الأحداث بالجزيرة العربية وليس لديها علم بما حدث للأمم السابقه فالله يقول لهو لاء انتم بحاجه الي البيان الذي فيه الشرح والايضاح ويعطيكم التفاصيل عن كيفيه مواجهه الازمات وقراءه الأحداث وتفسير الظواهر الجاربه في الحياه في مجالي الخير والشر فهذه التجارب التي يمدكم بها القران فيها البيان الواضح ومصدر العلم بهذه السنن هو معرفه الوحي فقال تعالي (هذا بيان للناس) ثم جاء العطف (وهدي)

بالاشاره الي أن الوحي الذي أخبرهم عن ماضي الامم هو بوصله الهديه لمعرفه كيفيه التعامل مع مسيره الحياه (وموعظه)وابصار سننها وإحسان تنزيل معرفه الوحي علي واقع الناس

يقول لنا أن الاستدلال علي اطراد الحياه إنما يتاتي من تلك المعرفه والتحقق بفاعليتها إنما تكون من خلال السير في الأرض مع استدعاء معرفه الوحي واستصحابها كدليل عمل وبوصله هدايه فذكر أن المنتفعين بهذا هم المتقون

الأمر الثاني

ولما كان البيان هو الدلاله التي يصدر فيها ازاحه وازاله الشبهات بعد أن كانت حاصله يقول لنا تعالي (هذا بيان للناس) يقول لنا الله أن الوحي قد اختصر لكم الوقت ودلكم علي طريق الهدايه التي فيها الفهم السليم لمعرفه الوحي التي تمنح فقه السنن التي ترشدك الي الطريق المستقيم وتقدم لك النماذج للتدريب والاقتراء وايضا فيه العبر من خلال العيش كائك في الاولين فتخاف أن يصبك ما أصابهم

يقول لنا الله أن تلك التجارب التي وضعتها النصوص بين ايدينا اذا حصل منا المشاركه الشعوريه للأحداث التي وردت فيها تجعلنا نرتبط بالله ونري نهايه كل طريق وبالتالي فإن ذلك يمدنا بقوه وقدره لمواجهه الازمات فذكر اهميه الحفاظ علي قوه الاقدام وقوه الأدبار (ولاتهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين)

لانه قال لاتهنوا اي لاتضعفوا ولا تجبنوا وهذا إنما يكون عن ضعف في معرفه الطريق الموصل الي الله فالفرع و الخوف إنما يكون ناتج من ضعف في قوه التوكل علي الله والاستعانة بالله فيقول لك الله لاتضعف وتتوقف

عن التقدم في مواجهه العدو وكيف يكون منك ذلك إذا كنت تومن أن الله بيده كل شي

وذكر أيضا ولاتحزنوا يأمرهم بالاعراض عن الحزن والاعراض عما ورههم ومافات وعدم الالتفات إليه فلا تحزن علي ماضي فذلك لا يعود عليك الا باجتثاث الهمم والقضاء علي العزيمه وعدم احسان التصرف لأن الحزن يعني القلق والتوتر النفسي وبالتالي يفقده قدره علي انزال الأحكام في موضعها

ولأن هزيمه أحد قد أحدثت هزه نفسيه لدي المسلمين فقد انزال الله الايه لشد العزائم والتثبيات فأخبرهم ان ينتبهوا علي قواهم أن تصاب بالشلل نتيجة الهزيمه فلا تضعفوا أمام الأعداء ولاتحزنوا علي ما اصابكم من القتلي والجرحي ولا ما فاتكم من النصر والظفر

فأخبرهم أنه مادام لديكم منهج الله ومادامتم مومنون بالله وتسجدون له وتعبدونه فانتم بهذا المنهج والعبودية لله لديكم سلاح العز والعلو والكرامه والرفعه وهو الإيمان فلا يليق بكم الضعف والوهن والحزن لانكم متصلون بالله فالإيمان هو شرط العز والكرامه والرفعه

ثالثاً

إن الشرط الورد في الايه (إن كنتم مؤمنين) متعلق بالوعد بالنصر والغلبه والتمكين ومتعلق بالإيمان برؤييه الله وهذا يعني أن المطلوب إيمانا صادقا بيقين الذي لايبقي بينكم وبين الشي الموقن به من النصر والظفر أي وسطه ف المراد بهذه الموعظه والمعلومات التي أمرنا الله أن نأخذها من تجارب الأمم السابقه أن ننتقل الي اعلي درجات الإيمان والعلم حق اليقين وهذا يتجاوز القصص التي تحكي عن الأمم السابقه ويتجاوز مجرد المعرفه العقليه بل تتطلب منك أن تملأ قلبك بحب الله فيكون منك الاقدام علي التضحية بنفسك لله

وهذا يتطلب منك الاحساس بقوه الله وقدرته وكماله وانك في ولايته سبحانه وتعالى ورعايته وان كل شي يتحرك وفق تدبيره سبحانه وتعالى فلا يكفي ايمانك بالله واسمائه وصفاته وأمره ونهيه وآياته وانت تفزع وتجزع اذا اصابك قضاءه وقدره فهذا نقص ايمان لديك في جانب التوكل على الله والاستعانة بالله والانس بالله فاللازم عليك أن تثبت ولا تفزع وقت الشدائد لأن أزمت الأمور بيد الله وكل شي بقضاءه وقدره فكيف تصاب بالاحباط لانك هزمت في هذه المعركه للإسلام حريص علي الصحه النفسيه للمسلمين ويدلهم علي العلاج لتجاوز الصدمه فيقول لهم أن المومن الكامل هو الذي يثبت في الموقف ولايصيبه الجزع والفرع لأنه يدرك أن كل شي بيد الله وان ما اختاره الله تعالى له فيه الخير (وعسي أن تكرهوا شئيا وهو خير لكم ... الخ

ولهذا نجد النصوص فيها العتاب للمومنين فيقول لهم الله (أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله)

لماذا هذا الإحباط هل لما لحق بكم من مصائب في أحد فقال تعالي (أن يمسسكم) اي أن يصبكم قرح وهي الجروح والشهداء من المسلمين فإن هذا ليس سببا دعيا للتقاعس والفرع والخوف فإذا كان المشركون مع كفرهم قد تعرضوا للقتل والأسر والجرح سواء في أحد في بدايه الامر حيث كانت الجوله للمسلمين قبل أن يخالف الرماه أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أو في بدر حيث تعرض المشركون للقتل والأسر مثلما اصابكم ومع ذلك لم يضعف المشركون وهم كفار فكيف يكون منكم الضعف وانتم مومنون بالله

رابعاً

يكشف الله تعالي لنا الحكمه الالهيه من السنن التي تحكم حياه الأمم والحضارات في الرخاء والشدّة والنصر و الهزيمه

المساله الاولى

قال تعالى (وتلك الأيام ندوالها بين الناس)

جاء التعبير باسم الاشارة للبعيد (وتلك) مع انها قريبه وهذا إنما أريد به الاشاره الي السنن التي تحكم الحياه وما فيها وتحولاتها والتي أمر بالتأمل والتفكر فيها فيقول لنا أنه يجعلها دولا بين الناس فقال تعالى (ندوالها بين الناس) فجاء لفظ جعلها دولا بصيغه نون العظمه اشاره لكمال الله وسلطانه وتدييره شؤون الخلق فهو لا يفعل شي عبثا

والمدواله تعني نقل الشئ من يد الي أخرى والمدواله لا يقصد بها الاشاره الي نصر المومنين تاره وفي الأخرى نصر الكفار لأن نصره سبحانه وتعالى منصب شريف فلا يليق بالكافر بل المراد بالمدواله هنا أنه تاره يشدد علي الكفار في المحنه وتاره يشدد في المحنه والمصائب علي المومنين

واراد بهذا أن يبين لنا أن المومنين في كل عصر يعيشون في عصرين عصر المصائب والمحن وعصر النصر والقلبه ولهذا فإن المسلم مطلوب منه أن يتخلق بأخلاق الاسلام في كل عصر

فاخلاق المسلم في وقت وظروف المصائب والمحن أن يتحلي بالتوكل علي الله الصبر وتجنب الفرع والجزع وعدم التكاسل عن العمل وعدم الخوف من العدو والصبر علي الشدئ والآلام

وعند النصر والرخاء لابد أن يتحلي بالجود والعفو والتسامح فقد رأينا كيف تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم في عصر الظفر والفتح علي من طردوه من مكه فقال انطلقوا فانتم الطلقاء

المساله الثانيه

أن ماسبق يبين لنا أن مدواله الشده والمحن والأزمات والنصر والظفر أمر مرتبط بالثواب والعقاب والتكليف فلو جعلت المحنه علي الكفار في كل وقت وحصل الرخاء للمومنين بجميع الأوقات لحصل الاضطراب ولكان الايمان من الناس اضطرارا ولانعدم الحريه في الاختيار وهذا لو حصل لبطل التكليف والثواب والعقاب

وبالنظر الي الأمم السابقيه نجد أن جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام لم يكونوا أولو ضيم وانما كانوا ضعاف من حيث القوه الماديه ولوا اراد الله أن يجعل الوحوش تقاتل معهم لفعل لكن الله اراد أن يكون ايمان الناس بقناعه اراد أن يربي المومنين علي التحمل والصبر في سبيل الله فقد كانت قوه الانبياء بالإيمان بالله والارده القويه و القناعه بما عند الله عما في أيدي الناس

ولهذا وجه الله أنظار المومنين الي التأمل في سنن الله في الأمم السابقيه

فالتوغل في تاريخ الشعوب يجعلك تري كيف أن الله أمد نعمته بالضعفاء من الناس وجعلهم ائمه وابدالهم بعد الذل عزا وجعلهم ملوكا بعدما راي الصبر منهم والتحمل في سبيل الله فالجهاد إنما كتب علي المومنين اختبار وامتحان لهم لمعرفة المومن من الكاذب والنصر انما يكون لمن لا ينظر الي الدنيا وملذتها وان تحقيقه يعود لأمر الله

المساله الثالثه

يقول الله لنا أن قرانكم للتاريخ والتجارب للأمم السابقيه وما أخبركم الله به من العلم عن كل ما أصاب الانبياء و المومنين من شدائد ومحن علي أيدي الأعداء أو بحكم القضاء والقدر فإن هذه التعاليم تبقي في النفوس مجرد معلومات نظريه لابد أن يعيها المومن ذلك ويكون الانتقال الي المرحله العمليه وهذا إنما يكون من خلال مدواله ا

لايام بين الرخاء والشدة يكشف فيها عن معادن الرجال من يثبت علي الحق

فانتم بحاجه الي التمرين والتدريب فلا فائده للعلم النظري الذي لم يقترن بالتمرين فقال تعالي (وليعلم الله الذين آمنوا)

حيث أن المومن الحقيقي هو الذي يبلغ الكمال بسبب ما يصيبه من بلايا وصنوف الالم فالجماعه المومنه بحاجه الي وسيله كسب العلم والتجربة لتكون قادره علي قياده العالم وسبيل ذلك أن يختبر العلم من كل الوجوه اختيارا عمليا فالتطبيق العملي من المسائل المهمه لكشف حقيقه من هو مومن ومن هو كاذب

فجاء باللام التعليل (وليعلم) والله يعلم كل شي والمراد بهذا أنه فعل ما فعله سبحانه وتعالى لتربيته المومنين والا رتقاء بهم بالتمرين التطبيقي والتدريب العملي ليميزهم عن المنافقين الذين اصابهم الوهن والضعف فظهروا للناس وبأن كذبهم

الأمر الثاني

يقول لنا الله أنه جعل سنه مدواله اوقات الرخاء والشدة بين الناس وهذا فيه الخير للمومنين

فاختبار العلم من خلال المصائب والمحن وسيله الارتقاء بالإنسان للوصول إلي الايمان بالعلم اليقين الذي يزيل الا غطيه المانع من الوصول إلى الله للوصول إلي القرب من الله ولهذا يقول لنا في المصائب والمحن خير كثير لماذا

لأن العلم النظري المتعلق بكل ما علمه الله للناس في القران من تعليم متاحا له الفرصه كي يصفلوه بالممارسه العمليه ليجد الطريق الي النور الرباني من هذا العلم

وايضا أنها فيها اختبار لمن يستحق مقام الشهاده فانت عندما تخرج للجهاد في سبيل الله إنما تكون نيتك أما النصر أو الشهاده فالتضحيه بالنفس في سبيل الله فيه إنقاذ البشريه من الشر والدافع هو حب الله والرغبه الشديده في القرب من الله ولهذا يقول لنا الله أن الشهاده في سبيل الله هي مقام تكريم وشرف لماذا لأن الله يستخلص الشهداء لنفسه ويخصهم بالقرب منه فقال تعالي (ويتخذ منكم شهداء)

فجاء التعبير بلفظ (ويتخذ) للترغيب في مواجهه الكفار ونيل الشهاده التي فيها القرب من الله وهذا إنما يكون عن حب الله تعالى لمن يختارهم للشهاده ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يعقب (والله لا يحب الظالمين)

وهذا فيه تحذير لمن يخرج للقتال لأجل الشهره أو الرياء أو العصبية وغيرها بأن هولاء لا ينالون مقام التكريم الذي يحظى به الشهداء المخلصون فيقول عليكم الحذر من افات النفاق والرياء لتنالوا القرب من الله

الأمر الثالث

يقول لنا الله أنه تعالي قادر علي نصره دينه بدونكم ولكنه جعل في التحولات الحاصله بالحياه من تغيير الأحوال من الرخاء والشدة والعكس هو ابتلاء وامتحان فقال تعالي في موضع آخر (ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض)

وهنا يقول تعالي (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين)

والتمحيص في اللغه التنقيه والازاله فالمولي سبحانه وتعالى يبين أن الأحداث والمواقف والصراعات العمليه يكون فيها تربيته الامه وادركها موطن الضعف والخلل في الصفوف واسبابه وكيفية معالجه ذلك لأن الظروف العاديه لا يعرف الإنسان بها حقيقه الاشياء فقد يظن أنه مقدم وشجاع ومخلص ومتوكل علي الله لكن عند الانتقال الي ميادين التطبيق العملي يجد نفسه ضعيفا أمام الضغوط النفسية الناتجه عن تجربته الواقعيه في ميادين المعركه

ولهذا فإن ذلك يجعله يراجع حساباته ويعرف أسباب الضعف لديه وما هو السبيل لمعالجة مثل تلك الأوضاع من أجل النهوض بالمهمة وتجنب ذلك في المستقبل فيكون التمرين والتدريب جزء من تربيته المومنين وتنقيه الصفوف فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (أشد الناس بلاء الانبياء ثم الأولياء ثم الأصالح فالاصح)

فالمراد بهذا أن التجارب الواقعيه تكون محطه لتنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ والأهواء فهي أحدي المحطات المهمه في حياه الجسد المومن كي يجتهد العبد المومن في تصحيح دينه ليصل الي مقام اليقين والتمكين بالمجاهده والصبر علي الشدئد والالام

وهي ايضا تطهر المومنين من اوساخ البطر والبغي والطغيان وفيها أيضا تهنيه الأجواء لظهور القاده الجدد وتزويدهم بالقدرات علي مواجهه التحديات في المستقبل واحتواء آثارها وتحويل المحنه الي منحه كما يدخل ضمن معني التمحيص للمومنين هو التمييز للصف بإخراج المنافقون كما حصل في أحد

ثم يذكر لنا الله أن الازمات يكون فيها محق الكفار اي اهلاكهم أو استدراجهم وهو يعني خروج الشئ من الكمال الي النقص سواء بالهزيمة ونقصان ملك الكفار باستقطاع جزء من أرضه أو اهلاكه بالقتل أو اهلاكه بالكفر من خلا ل الاستدراج

خامسا

بعد أن كشف الله عن الحكمة من مدواله الايام بين الناس بأحوال الشده والرخاء تنتقل النصوص الي تصحيح الأ فكار لدي المسلمين عن سنه الله في الدعوات والنصر والهزيمة والثواب والعقاب فابتدأت بسؤال استنكاري (ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله المجاهدين منكم ويعلم الصابرين)

يقول لهم الله انتبهوا أن الإيمان ليس مجرد كلمه تنقال باللسان فمن ظن أنه يدخل الجنة لمجرد قول كلمه لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا واهم فالأمر لا بد له من العمل الذي يصدقه ولا بد من الامتحان لمعرفة من هو صادق ومن هو كاذب فالمسألة تحتاج الي جهاد النفس ومقاومه الرغائب المذمومه يحتاج الي مواجهه الأعداء يحتاج الي الصبر وقت الشدائد فطريق الجنة محفوف بالمكاره واراد بالعلم هنا إظهاره للناس واقعيًا من خلال الاختبار الذي يعرف به الصادق من الكاذب أما علم الله فهو علم ازالي

وبمناسبة ذكر أن دخول الجنة ليس بالاماني وانما بالأعمال والثبات علي الحق يخاطب الله اولئك الذين كانوا متحمسون للخروج وملاقاه العدو في أحد وهم الذين لم يشاركوا في بدر فيقول لهم (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون)

فقد كان المتحمسون يتمنون لقاء العدو لانهم لم يشهدوا بدر والمراد بتمني الموت هو أسبابه ذلك أن الحرب من أسباب الموت

المهم أن هولاء عندما شاهدوا ضربات السيوف ظهر منهم خلاف ما كانوا يتمنون من قبل

فأراد بهذا لفت انتباه المخاطبين الي أن طلب النفوذ الي الله يتطلب أن تتخلص من حب الدنيا فلا يجتمع في القلب حب الاخره وحب الدنيا

فمن أراد الاخره والجنه فعليه أن يزهد عن الدنيا طمعا في ما عند الله فقال تعالي (ام حسبتم أن تدخلوا الجنة.... الخ

القسم الرابع

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت الا باذان الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نوتيه منها ومن يرد ثواب الاخره نوتيه منها وسنجزي الشاكرين وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت اقدمنا وانصرنا علي القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخره والله يحب المحسنين)

اولا

أن الايه الكريمة (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)

تشير الي واقعه اضطرب المسلمين في احد عندما أشيع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل حيث ورد أن ابن قمييه رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فشج رأسه وكسرت ربايعيته واقبل يريد قتل الرسول صلى الله عليه وسلم فوقف له مصعب بن عمير فقتله فظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمد فشاع الخبر بين المسلمين فحدث الهرج والمرج في صفوف المسلمين فمنهم من رمي السلاح وقالوا علي ماذا نقاتل وقد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض الضعفاء ليت عبدالله بن أبي يعطينا الامان من ابو سفيان والبعض رجع الي المدينة وقال المنافقون أنه لو كان نبي ماقتل

وان مالك بن أنس صار يقول إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات فلنموت علي ما مات عليه وقاتل حتي قتل وبعدها جلس الرسول الي مكان وصاح الي عباد الله الي عباد الله فرآه كعب بن مالك ونادي بالصحابه فاجتمع حول الرسول صلى الله عليه وسلم ابوبكر وبعض الصحابه وقاتلوا حتي انتهى القتال

ولهذا نزلت الآيات القرآنية التي فيها التوبيخ للمسلمين والعتاب والترية لهم فقال تعالي (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)

الأمر الأول

وهذا فيه تصحيح التصورات الفاسده لدي البعض الذين يرون أن النبي لايموت كما حصل من المنافقين عندما قالوا لو كان نبي ماقتل

فابتدات النصوص بتقرير حقيقه ان الرسول صلى الله عليه وسلم بشر سوف يموت مثل بقيه البشر كما قال تعالي (انك ميت وانهم ميتون)

فالموت حق علي كل الرسل والبشرية جميعا ولايبقي الا الله وان النبي صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء الذين مضوا من قبله فيقول لهم الله اين تلك الرسل مثل موسي وزكريا ويحي ونوح ويوسف ولوط.... الخ

أليسوا قد ماتوا أو قتلوا فسنة الله أن يموت جميع الناس والرسل ولهذا فعليكم إن تدركوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يموت مثلهم اويقتل

وهنا عندما يتحدث الخالق عن موت الرسل مثل بقيه البشر لابد أن نفهم أن بقاء الرسل بين الناس مرهون بالغرض والحاجه التي أرسلوا بها الي الناس والمتعلقة بمساله البعته وهي البلاغ والانذار واقامه الحججه علي الناس ب التبليغ لأوامر الله ونواهيه المنهج الرباني وهي المهمه التي حملها جميع الرسل والأنبياء

فالذي يميز الرسل جميعا عن سائر البشر هو الرساله وهي تقتضي البقاء حتي يأتي رسول اخر ينسخ تلك الشرائع ولأن رساله الاسلام هي اخر الرسالات فهي لها البقاء الي قيام الساعه فقال تعالي (قد خلت من قبله الرسل) وهذا فيه

أنها توطئه لما بعده (افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم) فيقول الله لنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يموت ويغيب عن انظاركم بالموت او القتل مثلما مات بقيه الرسل فهو مثل بقيه الرسل اذا قام بالبلاغ انتهى دوره

وبالتالي فإن البقاء لله الذي أرسله والمنهج الرباني الذي حمله اليكم

وهنا يقول الله معاتباً لهم علي ما حصل منهم في أحد هل إذا مات الرسول صلى الله عليه وسلم او قتل مثلما مات الرسل من قبله تتحول مواقفكم وتتركون الدعوه والمنهج الرباني هل تتخلون عن المشروع الرباني ونشر دينه وترجعون الي الورا اي ترجعون الي الشرك والكفر (انقلبتم علي اعقابكم)

الأمر الثاني

بيان اهميه حمل الدعوه ونشرها بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا يقول الله لنا انتبهوا من الرجوع إلي الورا انظروا الي التابعين للرسل هل بعد وفاه الرسل تخلوا عن حمل منهج الخير للناس لا بل تمسكوا بالمنهج واكملوا المشوار بعد موت ووفاه الرسل فعليكم أن تكونوا مثلهم فتمسكوا بدينكم بعد وفاه الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الغرض من البعته هو تبليغ الرساله واقامه الحجه لوجوده بين اظهركم

يقول لنا الله أن الذي يترك الخير الذي ضحي الرسول من أجله و مات من أجل ذلك أمر لا ينبغي أن يصدر من مومن شاهد الرسول وهو يخوض المعارك ويتحمل الالم من أجل إظهار ونشر هذا الخير كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي شج رأسه وكسرت ربيعته ... لقد كان في مقدور الله أن يحمي نبيه لكنه يريد أن يعلمنا أن تحمل الالم في سبيل الله تكريم وشرف لم يرد الله أن يحرم نبيه منه ولهذا يقول لنا هبوا أنه مات أو قتل فلو حدث ذلك أما كان ينبغي منكم أن تحذوا حذوه بحمل الخير وتضحون بأنفسكم مثلما فعل مالك بن انس الذي قال فلنمت علي ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد وهو يظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد مات لانه إدراك قيمه الخير الذي حمله رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأراد الله أن يربي المومنين بهذه الحادثه لأن الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يموت يوما ما فلا ينبغي انهيار دوله الموحدين الاسلاميه بغياب الرسول صلى الله عليه وسلم وفعلا حدثت الضجه في ذلك الموقف لدرجه ان عمر بن الخطاب أنكر ذلك وقال إن الرسول لم يموت وأنه ذهب الي ربه كما غاب موسي وتوعد من يقول بموت الرسول صلى الله عليه وسلم بقطع عنقه لقد عاش المسلمون أثناء موت الرسول صلى الله عليه وسلم صدمه عنيفه لم يستطيعوا استيعابها حتي صاح فيهم ابوبكر الصديق من كان يعبد محمد فإن محمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي دائم لا يموت وقرا هذه الايه (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم... الخ

ورغم أن عمر يعلمها الا شده حبه للرسول صلى الله عليه وسلم جعله يغفل عنها وعندما قراها ابوبكر الصديق كانت تدوي في اذن الصحابه كأنها أنزلت تلك اللحظه وفعلا تجاوز المحنه

الأمر الثالث

أن الايه الكريمه فيها بيان أن المعركه كان فيها تربيته المسلمين فلم يحدث لهم بعد ذلك ما حدث في أحد لقد كان فيها مناعه تمنع سقوطهم في الهزيمه والتفكك في غياب القائد فجاء استغلال الحدث لتربيته المومنين بأنه لا ينبغي أن يكون استمرار الحرب أو عدمه ذو علاقته بوجود القائد أو الرئيس أو الزعيم بحيث إذا غاب بالقتل أو

غيره انهزم الجيش فيقول لنا أن مسيره مدرسه الخير تقوم علي نشر منهج الله وان غياب القائد لايمثل عائقا أمام تقدم العاملين في مدرسه الخير فموته لايعني موت القضييه ولاتنقطع رساله الانبياء والمرسلين بموتهم

لانهم يحملون المشروع الرباني فالنظام الاسلامي لايمثل فيه غياب الاشخاص أمرا مانعا من إكمال المشوار فقد جعل الله لهم المنهج الرباني الذي فيه الكمال الإنساني المنهج الذي يصيروا فيه خلقا سويا ولهذا نجد أن الله يقول للمخالفين في أحد كان الاحري بكم أن تنظروا الي المنهج الذي حملة النبي اليكم فحتي لو مات الرسول عليكم أن ترتبوا احوالكم وتجعلوا منكم قائد يخلفه في قيادتكم نحو السعاده فجاء الاستفهام للانكاري (انقلبتم علي اعقابكم)

يصور فيه الارتداد باقبح وابشع انواع القبح والذم ليقول لنا احذروا من ذلك فهذا لايليق بمومن مادام منهج الله قائما كيف لك أن ترجع إلي الورا وبصرك الي الامام واعقابك هي التي ترجع وتقودك وهو أمر لايقوم به عاقل لانه سوف يسقط ويكون رأسه الي أسفل وعقبه في اعلي فهو منظر قبيح فالانقلاب علي الاعقاب ابليغ من مجرد الانقلا ب لانه يسقط كما قلنا علي قفاه (افمن يمشي مكبا علي وجهه اهدي ام من يمشي سويا)

الأمر الرابع

يقول الله لنا لاينبغي أن تربط أمر العقيد ه بوجود الشخص أو موته وان كان هذا الشخص هو النبي صلى الله عليه وسلم فسنة الله جاريه بشأنه مثل بقيه الرسل فسوف يموت مثلما ماتوا ولهذا فإن المنهج الذي حملوه بأمر الله هو الوسيله الذي يعبدون الله به فالناس إنما تعبد الله والله غني عن طاعه من يطيع فلا ينتفع بطاعه المطيع ولايضره عصيان العاصي والمرتد الي الكفر

وانما الإنسان هو المحتاج الي المنهج الذي يعبد الله فيه ولهذا فإن المرتد إنما يضر نفسه لأن الله غني عن العالمين فالمرتد يعرض نفسه لسخط الله وغضبه والله منزه عن النفع والضرر

ولهذا فعليك أن تفهم أن هذا المنهج من رحمه الله وفضله وانعامه علي الإنسان لانه فيه الإرشاد والهدايه لك من الضلال

فدل هذا أن المرتد غير مقدر لنعمه المنهج الذي فيه سعاده وكماله فهو حين بتخلي عن حمل المشروع الرباني وعن المنهج يعيش في حيره وشقاوه

فنعمه الايمان والمنهج عظيمه انتم المنتفعون بهما ولهذا نجد العدول بالخطاب من الحضور الي الغيبه وصرف من الماضي الي المستقبل لأن السنين للتنفيس وهي تحويل الفعل المضارع ليكون صالحا للحال والاستقبال وهي تدل علي الفوريه أن الله سوف يكافئهم (وسيجزي الله الشاكرين)

فيه بيان لطف الله وانعامه وإحسانه علينا بالمنهج الذي هو رحمه للعالمين

وهذا يتطلب شكر الله علي نعمه الاسلام والمنهج الذي فيه السعاده فأراد بهذا أن يصلهم ب الله تعالي مباشرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم سوف يموت لامحاله فالمسأله ليست متعلقه بوجوده فيهم فأراد ترويض المومنين وتزبيبتهم علي الثبات علي المبدأ

فاتخذ من مناسبه الارتداد بالرجوع الي المدينه وسيله لتربيته المومنين لتشجيع الارتداد الحسي والنفسي لأن خير موت الرسول صلى الله عليه وسلم قد أحدث الفزع في النفوس فأحس البعض أن القضييه قد انتهت بوفاه الرسول صلى الله عليه وسلم ف الله يقول لنا انتبهوا من ذلك التصور فقد أعزكم الله بالاسلام ومنهج القران فعليكم

الشعور بنعمه الاسلام وشكر الله عليها لتحفظوا علي الثواب والجزاء من الله فلاحساس بالنعمه أمر لابد منه فإذا خفيت عليكم تلك الأحاسيس فانتهم حينها تلحقون الضرر بأنفسكم وتحرمون من الثواب

ثانيا

تستمر النصوص في مناقشه ماحدث في أحد من الهرج والمرج لمعالجه الاثار السلبيه الناتجه عن واقعه تفرق المسلمين بسبب اشاعه مقتله وايضا اصابه البعض بالخوف والجبن وما أظهر فيه المنافقون من التذمر لموت البعض فقالوا لو أننا منعهم وعادوا معنا عندما رجعنا مع ابن سلول ما ماتوا وماقتلوا وقالوا لو أن محمد استمع لرأي ابن سلول وقعد بالمدينه ولم يخرج منها ما ماتوا وما قتلوا فجاءت الآيات تتناول قضيه عامه فيها معالجه الداء بعد التشخيص الدقيق للعله فقال تعالي (وما كان لنفس أن تموت الا باذان كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نوتيه منها ومن يرد ثواب الاخره نوتيه منها وسنجزي الشاكرين)

وهذا فيه

١

أن المولي سبحانه وتعالى يعلم بموطن الخلل الباعث علي الخوف من الموت لدي الإنسان فهذا الداء يرجع إلي النفس التي تحب الحياه والعيش والبقاء على الأرض اكبر قدر ممكن ولهذا يخاطب الله النفوس بهذا الخطاب الذي جاء فيه لفظ العموم (وما كان لنفس أن تموت الا باذان الله كتابا مؤجلا)

اي أن الموت علي جميع المخلوقات أمر لابد منه فذكر (لنفس) نكره ليعم المعني جميع المخلوقات والجمادات حتي الموت نفسه له أجل لانه مخلوق (خلق الموت والحياه ليلوكم أيكم احسن عملا)

فيقول الله لنا أن كل من علي الارض سوف يموت وليس الانبياء والبشر فقط بل الكل فعليك أن تدرك أن نشاه الحياه والموت بيد الله فقال تعالي (الا ياذن الله) وهو استثناء مفرع من اعم الأسباب اي وماكان من الموت بأي سبب من الأسباب لنفس من النفوس الا باردته ومشئته سبحانه وتعالى فقال إلا ياذنه...اي بأمره سبحانه وتعالى وقضاه وقدره وعلمه ف الله هو الذي يأمر ملك الموت بقبض الأرواح

وانه سبحانه وتعالى جعل لكل مخلوق أجل مكتوب (كتابا مؤجلا)محدد معلوم عند الله فهو تعالي يقول لنا إذا كان نشاه الحياه والموت كلها بيد الله فعليك أن تتخلص من الجبن والخوف فأراد بهذا الحث علي الجهاد وغرس قوه الشجاعه في النفوس وإخراج الخوف من النفوس

يقول لهم أن الموت يأتي بأمر الله عندما يستوفي المرء عمره فلا ينقص الاقدام من عمر الانسان شيئاً ولايزيد الخوف والهروب من المعركه من عمر الانسان شيئاً ومهما كانت قوه عدوك وضعفك فإنه إذا لم يحل وقت اجلك فلن يستطيع أحد أن يلحق بك شيئاً فكل شي يتحرك وفق تدبير الله سبحانه وتعالى

٢

الأمر فيه الحث علي الجهاد والثبات والصمود في المواجهه ولهذا جاء التعبير فيه اعلام بأن الحذر لايدفع القدر وان لا احد يموت قبل حلول الأجل وأنه إذا جاء فلا فائده من الجبن والخوف (فلا يستأخرون ساعه ولا يستقدمون)وقال تعالي (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها)وهذا فيه تعريض بأهل احد الذين هربوا من المعركه

٣

ان النصوص تبين أن الباعث علي ذلك هو أن للإنسان اردتين أما اردته الدنيا أو اردته الاخره فيقول الله لنا اذا الأ

أجل بيد الله فليُنظر كل واحد ماذا أعد لما بعد الموت أسأل نفسك ماذا تريد بعملك الدنيا أم الآخرة فالنفس الخسيسه تتطلع إلي شهوات الدنيا وأما النفس الشريفه فهي تتطلع الي ما عند الله فالإنسان هو الذي يحدد مستقبله لأن الإنسان حارث همام وكل واحد مبتلي في حرثه ولهذا فإن عمل الإنسان يخضع لارادته فالذي يريد الدنيا وما فيها من ملذات وشهوات فهذا يسهل الله له طريق الشهوات والأهواء فقال تعالي (من كان يريد العاجله عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد)

فهذا نظرتة للدنيا وتحصيل ما فيها من ملذات باي وسيله كانت فهو يسعى الي إشباع رغباته باي شكل كان ولهذا عندما يقول تعالي (نوتيه منها)

لايعني حل الارده للإنسان بعمله وانما فيه بيان أنه يسهل له الطريق للشهوات كما قال تعالي (فنيسره للعسري)

أما المومن فهو الذي يريد بعمله ثواب الآخرة فارادته هي الآخرة فقال تعالي في موضع آخر (ومن أراد الآخرة وسعي لها سعيها وهو مومن. فاولئك كان سعيهم مشكورا)

وهنا يقول تعالي (وسنجزي الشاكرين)

فهذا هو العاقل الذي يتدراك نفسه قبل فوت الاوان فهو يعيش في ترقب الموت في اي لحظه ولهذا يسارع الي الأعمال الصالحة لتكون له رصيد يوم لقاء الله تعالي

ف الله يقول لنا أن الذي أراد الآخرة هو من الشاكرين وان الجزء علي العمل

٤

يخبرنا الله أنه جعل لحرث الدنيا والآخرة أسبابا وطرق فهو تعالي يقول (من كان يريد حرث الآخرة نزيد له من حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوتيه منها وما له في الآخرة من نصيب)

وان المسلم يطلب بعمله إرضاء الله في الدنيا والآخرة (ربنا اتنا في الدنيا حسنه وفي الآخرة حسنه)

ف الله يقول لنا (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)

وهذا فيه ايماء الي الأسباب التي توصل الي كلاهما واخبار لنا أن سعادتنا مرتبط بارتدنا ومقاصدنا وأعمالنا و الناس يتفاوتون بالارادات والمقاصد بناء علي تلك النظرة للحياه فالذين ينظرون لها من زوايه الماده والشهوات و الملذات فهؤلاء ينحرفون عن طريق السعاده الي الشقاء وان الذين ينظرون لها من زوايه أنها دار عمل للوصول إلي دار القرار فهؤلاء يسعون الي رضاء الله والاستقامه علي منهج الله والصبر علي الشدئ ومواجهه الازمات ويقمعون الشهوات والأهواء ويطرودنهم من أنفسهم فإذا تولوا في الأرض لم يفسدوا فيها وانما يقيمون العدل بين الناس فهو لاء قد عرفوا غايه الاسلام فانتهاوا اليها عن علم ودرايه لاتقليد وان الأعمال إنما تكون بالنيه فهي أساس الارده (إنما الأعمال بالنيات فمن كانت هجرته الي الله ورسوله فهجرته الي الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امراه ينكحها فهجرته الي ما هاجر اليه)

٥

أن المولي يريد منك ايه المومن أن تشغل بتطهير نفسك وتزكيتها وان تشغل بعيوبها عن عيوب الناس وأن تشغل بطاعه الله ومقاومه الفساد وقمع الشهوات وان تتهم نفسك اذا وجدت ما يدفعك الي التعلق بالدنيا

عليك تحقير الدنيا وصغر ما فيها فلا تغتر بالمظاهر الخادعه فيها وزينتها وان رزقك الله بها فعليك أن تشكر الله علي ما اعطك فالزهد عن الدنيا لا يعني العزوف عنها لا وانما المراد عدم الطمع أو التطلع الزائد للشئ من جهه غير

مشروعه كحال الرماه الذين تركوا مواقعهم في أحد طمعا بالغنائم بالمخالفه لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا فيه عده دروس

الدرس الاول

اهميه الانتقال من الرغبه في التطور الي مرحله الارده في التطور والوصول الي الكمال فالايه وردت بعد ذكر الله تعالى لنا أن المسلمين كانوا في ضعف ناتج عن ندره الارداه فقال تعالى (ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون)

فاخبرهم أن الحماس الذي اظهروه كان عباره عن رغبه في التطور والرقى بالجهاد في سبيل الله لكنه يفتقد الي ارده التطور

يخبرهم أن الرغبه تختلف عن الارده لأنها تبقي مجرد امانى أو امال ورجاء ونيه حسنه لكنها تفتقر للارداه في القتال فلاتكفي مجرد الرغبه لحصول التطور والرقى فلا بد أن تكون مشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع فقال تعالى (فقد رايتموه وانتم تنظرون)

اي قد شاهدتم أسباب الموت وانتم تشاهدون سيوف العدو تقتل بعضا منكم فهذه التجربه الواقعيه كانت مهمه للا نتقال بالرغبه الي مرحله الارداه

فما الذي حدث عندما حصل الانتقال الي العمل التنفيذي لقد تخاذلتم فلو كانت لديكم ارده قاطعه لما تخاذلتم فدل هذا أن الرغبه لديهم لم تكون قد وصلت الي مرحله الارده القاطعه والتي إنما تكون بالشعور انك اداه ووسيله تحقيق الارده لاغيرك لاتركن علي غيرك هذه هي الارده وانما يكون الاستعانه ب الله تعالى تطلب فيه المدد الذي يشكل دعم الارده بالاصرار المتواصل المقصود فذكر سبحانه وتعالى لنا أن غياب الفهم الصحيح لوسيله السعاده الا بدايه التي تزود العبد بطاقه الاصرار المتواصل المقصود فقال تعالى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين)

بأن عليكم الحذر من تحويل اتجاه قوه التصميم والتطلع الي الأشخاص بدلا عن المنهج الرباني الذي يحقق السعاده الابدائيه فإن هذا الفهم يغفل قوه الارده ويظهر المرء باقبح وابشع الصور وهو الانقلاب بأن يكون رأسه الي أسفل وعقبه في اعلي

فيقول لنا الله أن قوه الاراده تستمد من الشعور بنعمه الاسلام والشعور بواجب هذه النعمه في شكر الله علي هذه النعمه بحيث يكون منك الاستمرار بحمل الفكره ومواصله المشوار حتي وان مات القائد أو قتل لأن أساس التطلع للسعاده يعود إلي المنهج الرباني الذي يبقي ام الاشخاص فهم مصيرهم الي الفناء والموت فلا يبقي الا الله المعبود فأنت بحاجة إلي أن تدرك حقيقه أنك مسافر الي الله والدار الاخره ولهذا فإن نظرتك للحياة تنطلق من اردتك للا خره وما فيها من سعاده

الدرس الثاني

يقول لنا الله أن الارده تنشئ الاداره ولهذا يقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن تحديد الهدف وهو عباده الله ينبغي أن يكون هو الفكره التي تدفعك الي الاصرار المتواصل المقصود والتصميم والتطلع نحو تحقيق هذا الهدف من خ لال وضع اردتك في قالب واحد وهو السعي لتحقيق هذا الهدف من خلال المنهج الرباني الذي هو نعمه من الله تبين لك طريق الكمال والسعاده فهو من لطف الله تعالى فهذا المنهج هو الباقي الي يوم القيامه ولذلك فلا تربط اردتك بتحقيق الهدف بالأشخاص وان كان هذا الشخص نبي الله صلى الله عليه وسلم فهو سوف يموت مثل بقية

البشر فاستغل المولي سبحانه وتعالى مناسبة ما حدث من البعض عندما أشيع عن وفاه ومقتل الرسول صلى الله عليه وسلم فالتحقوا السلاح ومنهم من عاد إلي المدينة فيقول لنا الله أن أي خلل يحدث في الرغبة فإنه يفقد العبد قدرته علي التحرك نحو الهدف ويفسد قوته في مرحله حرجه فيقول لنا الله انتبهوا أن تجعلوا هدفكم هو الأشخاص والزعماء حتي وان كان هذا الشخص هو النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي ربط اراده التطور والرقى بالأشخاص لأن الأشخاص معرضون للقتل والموت في اي لحظه فهل اذا مات او قتل القائد يكون من الإلتباع التراجع عن مواقفهم وعن حمل المشروع الرباني الذي حملة القائد لا ينبغي أن تموت قوه التطوع والتصميم والإصرار المتواصل المقصود الي الفكره والدفاع عنها فهي فيها السعاده الابدايه وليس الأشخاص والزعماء فهو ليسوا الغايه من الحركه الدؤبه فلا تجعلوا الأشخاص هم وسيله الوصول إلي الله وانما الفكره والمنهج الذي يحقق المطلب الرباني فقال تعالي (افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)

يقول لنا أن الاداره الرشيديه مهمه في تنفيذ الخطه فهي تكفل توفير الحد الادني الذي تقتضيه الخطه سواء العسكريه أو الاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والسياسيه فهي ذات اهميه في ضمان تصريف شؤون المجتمع وقياده مخططات التطور والرقى ولهذا فإنه اضاف الي المهمه الرئيسيه سالفه الذكر فالاداره مهمه في المحافظه علي الملائمه التنفيذيه لمفردات هذه المخططات وفي متابعه مسارها ومحاسبه المسؤولين عن اخطاءهم

ولهذا يضرب الله لنا مثلا من الأمم السابقه تبين علاقته بالإلتباع بالانبياء والرسول في حال وجودهم وبعد موتهم فقال تعالي (وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت اقدمنا وانصرنا علي القوم الكافرين... الخ

يقول لنا أن التاريخ ملئ بالامثال لكيفيه انشاء القياده نتيجته قوه الاراده في الأحداث الاستثنائية فذكر وجود الربيون بجانب الرسل والأنبياء في المعارك وهم العلماء والدعاة فجاء الربى منسوب الي الرب حسبما جرت عليه عاده العرب مثل نسب البصري الي البصره فذكر أنهم كثيروالعدد لبيان ان ارده تحقيق الهدف تنشأ الاداره الرشيديه وهي التي ينبغي أن تقوم علي التنظيم الهرمي لماذا ؟

لانه اذا قتل أو مات القائد يكون هنالك البديل الذي يحل محله ويسد الفراغ فلا تعم الفوضي بين الناس ويحدث ا لانتكسار فذكر أنه يجب أن يترك الناس التقليد وان يكون اتباع القائد عن علم ليكون قادرا علي القيام بالمهمه لأن التقليد تفقد المرء توازنه ولهذا خص بالذكر الربيون وهم حسب رأي البعض أنهم الفقهاء والعلماء والقاده التابعين للرسول والمراد بهذا أن العرفان بالهدف الذي يسعى إليه الإلتباع و اراده تحقيقه (في سبيل الله)

في طريق الله أو منهج الله يوحد الناس وينتهي القياده إذ لاتنافس علي القياده وفيه ميزه وهو احترام الهيكل التنظيمي للادراه فلا تقوم الاداره الرشيديه علي شخص واحد حتي ولو كان هذا الشخص هو الرسول صلى الله عليه وسلم

ف الله يقول لنا أن الرغبة الحقيقه التي تصل الي مرحله ارده التطور لايمكن أن تتوقف وتعود الي الوراء لمجرد أن القائد مات فرسمت النصوص لنا صورته التقهقر للخلف بأبشع صورته (انقلبتم علي اعقابكم)

يقول لنا الله أن الموت للقائد لايعني التوقف عن العمل والرجوع إلى الوراء بل الواجب أن تستمر حركه الرقى و التقدم والتطور والمضي قدما نحو تحقيق المطلب الرباني يقول لنا أن الأشخاص بما فيهم الانبياء هم ادوات لنشر الفكره وتحقيقه ولهذا عليكم أن تدركوا قيمه الفكره ودورها في عمليه الانتقال الذي وصلتكم إليه وما تحقق للامه من مكانه وعز وصارت تمشون علي ارجلكم بشكل مستقيم فهذه التسويه هي من هذا الدين الذي حملة الرسول من ربه اليكم فإذا تخليتم عنه فإنكم تفقدون الكرمه وتصيرون في أقبح منظر يمكن أن يشاهد فيه انسان بالانقلا

اب علي الاعقاب

يقول لنا أنه لاتراجع عن حمل المشروع الرباني وتحقيق المطلب الرباني ولاتنافس علي القيادة فالمواقف تبرز الموهب والخبرات القادره علي تحريك عمليه التطور فنحن نعلم أنه في غزوه موته قتل القاده الثلاثه جعفر وأصحابه وصار المسلمين بلا قائد فحمل الرايه سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه

فلا يكون غياب القائد سببا في انهيار الصفوف ولهذا يقول لنا الله أن الربيون الذين كانوا يقاتلون مع الانبياء لم يصيبهم الوهن وهو الضعف الذي يكون مقدمه الفشل والخذلان لما اصابهم فقال (في سبيل الله)

فهم لم تنكسر اردتهم ولم يفتروا ولم تضعف الهمة لما اصابهم اثناء القتال والمواجهه لانهم ايقنوا أن ذلك البلاء في سبيل الله اي في طريق الله فهم لم يتوقفوا عن القتال بل استمروا لم يحصل انشقاق الصف بينهم ولا التنازع علي القيادة نتيجته مقتل الانبياء اذا اخذنا بقراءه من قرأ (قتل معه ربيون)

أنها بالفتح بمعني أنه قتل الكثير منهم مع نبيهم وان الذين لم يضعوا هم الذين لم يقتلوا مع الانبياء وان مقتل الكثير منهم لم يحول دون نصره دينه فقد أفرزت الأحداث قياده جديده حملت المشروع الرباني فلم يضعفوا ولم يستكنوا اي لم يقبلوا الذل فقد حافظوا علي قوه التماسك بينهم والباعث لذلك هو ارده تحقيق المطلب الرباني فيقول الله لنا هذه التجربه لمن سبق لكم من المومنين مع تجربه احد هي لتربيه المومنين لتلافي الأخطاء ومعرفه الخل وكيفيه الخروج من الازمات فذكر أن الموت والحياه بيد الله وان جميع المخلوقات سوف تموت وان دين الله باقي الي قيام الساعه وان عمليه الانتقال من الرغبه الي الاراده لابد أن تمر بإصلاح النوايا وان تكون اردتك هي للاخره وليست الدنيا لماذا؟

لأن الارده تنشئ الاداره وعندما تكون اردتك إرضاء الله تعالي والسعي إلي حبه ورضوانه فإن ذلك يؤدي الي اختفاء صور التنافس علي السلطه علي المناصب وتحول دون ظهور الصراعات علي الرئاسة فخب الفكره والسعي الدؤوب لنشر هذه الفكره والثبات علي المبدأ ينشئ الاداره الرشيديه فلا يشكل غياب القائد ازمه أو مشكله في حياه الشعوب لأن التصميم الداخلي لإنجاح المشروع الذي تحمله الفكره والتطلع الي الثواب من وراء ذلك وأنه سوف يكون في الاخره فاردتك كلها تنجه نحو الاخره تدفعك للمسارعه في تنفيذ الخطط والبرامج من موقعك الذي تقف فيه كنت قائدا أو جنديا ويظهر ذلك الانضباط والرغبه الصادقه في ارده الاخره مواهب قادره علي البدء في تنفيذ الخطط بالشعور بالمسؤولية وانظارهم الي الاجر الحسن أنه في الاخره

ولهذا يخبرنا الله أن الاداره تنتج الخبره التي هي من أهم عناصر التطور والتقدم ولهذا ذكر الله التجارب للأمم السابقيه بضرب المثال فيقول لنا الله إذا كان لديكم نقص في التجارب عن كيفيه مواجهه الازمات فعليكم الرجوع الي ماضي المومنين فقال تعالي (وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

يقول لنا أنظروا الي من قبلكم كيف ثبتوا ولم يصيبهم الوهن اي العجز والضعف ولم يذلوا امام العدو فذكر وما استكانوا لتوبيخ من قال عندما سمع باشاعه موت الرسول صلى الله عليه وسلم ليت ابن سلول يتوسط لنا عند ابوسفيان فنجد الامان

فجاء التوبيخ واستعمل لفظ (وما استكانوا)

فيها الاشاره الي انحطاط مرتبه الذين يذلون للأعداء بما يسمي الخضوع للأمر الواقع

ولفظ استكن من السكون لأن الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريد اي يصير مثل الحيوان الاليف فالجمل قوته اقوي من الإنسان لكنه أليف يسكن لصاحبه الضعيف في الحقيقه ليفعل به مايريد فذكر هذا لتوبيخ المومنين من

التخلي عن الفكره في حاله ربطها بالزعمات بانها تولد الذل والهون وهو ما لاينبغي أن يكون عليه حال المومنون
فليدهم المنهج الرباني الذي يحتمون به من الضعف والعجز والذل ولهذا جاء التعقيب (والله يحب الصابرين)

بيان ان قوه الارده تكمن في الصبر وقت الشدائد

الدرس الثالث

يخبرنا الله أن الارده تنشئ الاداره وان الإدارة تنشئ الخبرات والمهارات وبعدها يكون استثمار طاقات الامه
وإمكانياتها بما يحقق لها السعاده فعند إدراك ذلك يبدأ الاتجاه الحقيقي الصادق نحو تحقيق المطلب الرباني ولهذا
يعطينا الله نماذج للأمم السابقه فابتدات بذكر افعالهم أنهم قاتلوا ولم يضعفوا عندما تعرضوا للقتل والجرح ولم
يعجزوا ولم يذلوا يقول لنا أن ادركهم ضروره وجود عناصر الارده الثابته والاداره الرشيده والخبرات جعلهم
يدركون أسباب الضعف إن وجد في صفوفهم وواجه الخلل فهم لم يتذمروا عند ما حلت بهم المصائب وانما لجأوا
الي الله بالدعاء فقال تعالي (وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت اقدمنا
وانصرنا علي القوم الكافرين)

انظر اخي المسلم الي قولهم لتعرف خبره هولاء ومهاراتهم في مواجهه الازمات العاصفه بالامه فهم قد أدركوا أن
ماحل بهم من ازمه عاصفه إنما هو جرس انذار ومنبه للامه ضروريه لتخرج من سباتها عرفوا أن الأمر يحتاج الي
مراجعته وتوبه فكرية وعملية أدركوا أن هنالك خلل يجب اكتشاف أسبابه فعرفوا أن ذلك عائد الي أنفسهم لم يلقوا
بالتبعية علي الآخرين لم يقول كل واحد منهم أن مانحن فيه يعود إلي أخطاء فلان ووووووو...لا بل اقرؤا أن
الجميع مخطئ وأن هنالك تقصير فلجأوا بالدعاء الي الله (ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا)

فاستعملوا لفظ الربوبية ربنا اي مولانا ومربينا ومالكنا فهذا يناسب الموقف فالرب هو المتصرف بأحوال العباد
وفي ذلك شحذ الفاعليه والهمله ويوصلهم بمصدر القوه فالقوه بالله تعالي فهو اقوي سلاح للفعل والفاعليه فلا
ستعانه بالله معقد الرجاء وسبيل الصمود والثبات علي القيم وعدم الانكسار أمام الازمات

وبعد ذلك نجد انهم ابتدوا بطلب الغفران وهو العفو والتجاوز عن الذنوب فهم قد كان منهم مراجعه المعاصي فهي
التي اهلت لحصول الازمه لقد أدركوا أن الذنوب والاسراف بتجاوز الحد هما من عوامل الفشل والخذلان

فقد طلبوا العون من الله بأن يمدهم بالعلاج لأنفسهم فقد أدركوا أن الخلل بسبب التفريط والافراط منهم في جنب
الله

فهم لم يقولوا ربنا انصرنا كي يخرجوا من الضعف بل ابتدوا بطلب الغفران لأنهم أدركوا أن ذلك التأخير بالنصر
وماهم فيه من بلاء ناتج عن ذنب تقدم فالمعركه اجهدتهم وهذا إنما يكون نتيجة معصيه وغفله منهم فاصلاح
هذا الخلل إنما يكون بالاعتراف بالذنب وطلب العفو من الله لأنهم يدركون أنهم مع وجود آثار الذنوب والمعاصي
ليسوا أهلا للنصر ولهذا يلجأون الي إصلاح الخلل فعندما يغفر لهم الله يصبحون اهلا للمداد والخروج من حاله الا
هتزاز فدلنا الابيه علي سلامه قلوبهم وان تزكيه النفوس والقلوب أساس الثبات ولهذا نجد أنهم بعد ذلك يقولون
(وثبت اقدمنا)

تثبيت الاقدام اي أن يقفوا في مكانهم لا يتزحزون منه فقد طلبوا الثبات للاقدام بمواجهات حصول الشبهات و
الثبات بالاقدام بمواجهات الشهوات والثبات بالاقدام بمواجهات الأعداء في الحروب فالمومن بجاحه أن يثبتته الله
في جميع مواطن الشرور عند القتال وعند الشبهات وعند الشهوات فالمطلوب ثبات الاقدام في كل موضع فانت
في معركه مع الكفر وأهله

وبعدها قالوا (وانصرنا علي القوم الكافرين)

مع أن أعدادهم كثير كما ورد في الآية الكريمة قبلها (ربيون كثير) فانهم يطلبون النصر من الله لأن النصر بيد الله فإذا لم ينصرك الله فإنك لن تنتصر مهما كانت اعدادكم

وهذا فيه بيان لنا أن الدعاء هو السلاح الوحيد في هذه المواقف فهو ليس سلام العاجز وليس تكريسا للعجز كما يحاول البعض تصويره

فأنت تستعين بالله وهو معقد الرجاء وسبيل الصمود والثبات في الدنيا والآخرة ولهذا نجد أن الله تعالى ينقل لنا الصورة الكاملة عن نتيجته ذلك الدعاء فقال تعالى (فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)

١

أنه سبحانه وتعالى اعطي الذين وصفهم بأنهم لم يضعفوا في مواطن الجهاد وصبروا وتحملوا المسؤولية بجداره ولجأوا إلى الله بالدعاء طالبين الاستعانة بالله في جميع أمورهم جزاء الدنيا وذلك بالعز والتمكين وقهر الأعداء والغنيمة والنصر كما قال تعالى في موضع (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم.....الخ

٢

وأما بالنسبة للجزء بالآخرة فهو احسن واجمل بالجنة والقرب والرضوان من الله وخص بالذكر (وحسن ثواب الآخرة)

لعدة أمور منها أنه وصف للايذان بفضله وأنه المعتد به عند الله فأراد الله بهذه تقوية الصبر عند المومنين بالنظر إلى ما عند الله فيحصل الزهد عن الدنيا لأن ما فيها أي الدنيا زائل ولا يخلوا من التنغيص والكدر فأراد بهذا التنبيه على فضله ولأنه فيه مضاعفه الاجر فجزاء الحسنه عشره اضعاف بل تصل إلى سبعمئة ضعف فالثواب عند الله بين العدل والفضل

وفيه أيضا تقريب لما في الآخرة من نعيم لأن ذلك من مسائل الغيب فأراد بهذه الصيغة تقريب صورته للجنة للذهن فهي فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

٣

يقول لنا الله أنهم ما حصلوا على ذلك الثواب الا على صالح أعمالهم الذي كان له احسن الأثر في نفوسهم لانهم عبدوا الله كأنهم يرونه بالشعور بعظمه الله وجلاله وجماله وحسنه وإحسانه فاتقنوا أعمالهم قاصدين نيل حب الله ورضاه

فقد كان منهم الاعتناء بالأعمال وتخليصها من الشوائب من بدايه العمل حتي نهايته لانهم يعلمون أن الله يحب المحسنين فهو يقول جاءني سعيا اتيتته مهرولا ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراع ومن تقرب مني ذراع تقربت منه باع)

فقد أحسنوا الادب فهم لم يطلبوا شيئا لأنفسهم وانما طلبوا النصر على الكافرين أنهم طلاب آخرة واحسنوا الجهاد ولهذا أعلن الله حبه لهم

فيقول لنا هكذا يكون الوصول إلى أعلى المراتب المحسنين

القسم الخامس:

تمضي سياق النصوص بالانتقال الاستنابي من التوبيخ واللؤم والعتاب الي التحذير الذي فيه تصحيح التصورات من خلال استعراض احداث المعركه التي فيها تربيه الضمير بأسلوب ترسم فيه الأحداث بما يجعل السامع يستحضر الاحداث ويعيش كل لحظه من لحظات المعركه كأنك كنت حاضرا فيها التحذير من مزالق الطريق ولفت انتباه المومنون الي المؤامرات التي تحيط بهم والتنبيه الي ما أعد أعداءهم من مخططات للنيل من المسلمين

فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماؤهم النار وبئس مثوي الظالمين ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتي إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل علي المومنين إذ تصعدون لاتلون والرسول يدعوكم في اخركم فاثابكم غما بغم لكيلا لاتخزنون علي ما فاتكم ولاما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنه نعاسا يغشي طائفه منكم وطائفة قد اهتمهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهليه يقولون هل لنا من الأمر من شي قل إن الامر كله لله يخفون في أنفسهم مالايبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شي ماقتلناها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال الي مضاجعهم وليبتلي الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور أن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم أن الله غفور حلیم)

اولا

أبتدأت النصوص بالتحذير للمومنين من طاعه الكفار (المنافقون) بأسلوب فيه التنفير من ذلك بأن طاعتهم تعني ا لانتكاسة بالرجوع الي الكفر بعد الايمان..وبيان أن حمايه والولاية لله هي التي فيها النصره والغلبه وأنه سوف يقذف الرعب في قلوب الكفار فلا يجدون من ينصرهم بسبب الشرك ومصيرهم الي النار ثم ذكر صدق وعد الله في بدايه الامر وان الهزيمة تعود إلي عمل المسلمين الذين فشلوا بالجبن والضعف والاختلاف فيما بينهم وعصيان الرسول بعدما شاهدوا النصر في بدايه الامر وان ذلك يعود إلي النظره للأشياء فالبعض نظر إليها من زوايه الدنيا وما فيها من متاع والبعض الآخر نظر إليها من زوايه اليوم الآخر وأنه بعد هذا الانقسام صرف الله المسلمين عن المشركين ليبتليهم وأنه تجاوز وعفا عنهم فهو يتفضل عليهم بشرط الايمان ونقلت النصوص بعد ذلك جانب من الهرج والمرج التي أحدثتها الازمه في تشويش العقول والرسول يدعوهم أن يعودوا إليه..... الخ

وهنا نجد أن النداء جاء للمومنين (ياايها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)

ولاشك أن المخاطبين هم المومنون الذين شاركوا في احد وقد كان فيهم المنافقون والمترددون الذين لديهم استعداد الاستجابة لمطالب المنافقون ولهذا كان لابد من الوقوف علي نتائج هزيمة المسلمين في غزوه احد وما تعقب ذلك من أحداث قبل تناول الدروس التي تحملها النصوص حيث بالوقوف نجد

أن عصبه العمل الشيطاني وكما هو شأنها في كل زمان ومكان قد أوكلت الي عملائها العاملون في أوساط المجتمع المسلم (المنافقون)

تنفيذ المخططات التي تستهدف احداث الهزيمة النفسيه في صفوف المسلمين باستغلال اي فرصه يرون أنها قادره علي احداث النتيجة التي يسعون الي تحقيقها ولهذا فقد حاولوا استغلال الحدث المتعلق بهزيمة احد فنظروا الي الحادثه من اول وهله أنها ماده اعلاميه كبيره يمكنهم أن يحدثوا الضجيج الإعلامي في صفوف المسلمين خاصة الضعفاء منهم من خلال النفوذ الي نفوسهم وإيقاعهم بالهزيمة النفسيه للوصول إلي مايسمي القبول بسياسيه الأمر

الواقع

حيث أن المسلمون في ذلك التاريخ كانوا مازالوا نبتة غريبه في المدينة المنوره نظرا لانه مازال لاهل الشرك قوه فيها فلم يكن اهل المدينة قد التحقوا بالإسلام وكان هنالك اعداد كبيره منهم كارهين للإسلام والمشروع الذي يحمله لانه جاء يتعارض مع مصالحهم في القيم التي حملها كانت المعركه قويه ويصعب احداث التحول الي المشروع الاسلام كانت الامه تخوض معركه قويه مع أفكار وركام الجاهليه التي يصعب التخلص منها ويجدون مقاومه قويه من أهل الشرك التي كانت تري أن المسلمون بما جاو من قيم ومبادئ لايعرفونها يمثلون خطرا محقق بهم وما الفوه من الآباء والأجداد والتي كانوا ينظرون إليها بمنزله التقديس الذي يعد المساس بها خطرا يهدد كيان وجودهم

اضافه الي أنهم كانوا ينظرون إلي وجود الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرون يمثل خطرا كبيرا لايقدرن علي مواجهته فهم ينظرون إلي ما تمتع به قريش من قوه ونفوذ بين القبائل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا فيرون أن وجود المسلمون بينهم وهم المطلوبون لقريش واحلافها خطرا حقيقيا لايستهدف من أسلم فقط بل خطر يهدد كل شي في المدينة المنوره اذا ما فكرت قريش بغزو المدينة

كان واقعههم يسوده التذمير من أقاربهم الذين أحضروا الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين الي المدينة يرون أنهم لم ينظروا الي عوقب الأمور بذلك الفعل وانهم لاعقول لهم لم ينظروا الي ما سوف يترتب علي استضافه الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين في المدينة من اخطار

يرون أن أقاربهم وضعوهم في وضع محرر وهكذا هي واقع حال الناس عندما لا يحملون القيم والمبادئ ينظرون من زويه الدنيا والمصالح الانانيه

ولاشك أن انتصار المسلمين في بدر كان لها دور في تخفيف الأعباء علي المسلمين حيث بدأ الكثيرون ينظرون في جديه قوه الاسلام والتأييد الإلهي لهم وأن ذلك ادي الي الهدوا النسبي لمدته عام علي الاقل فاحاط المسلمين سياج النصر بالقوه والرهبه منعت الاعتداء عليهم وتوقف أهل الشرك في المدينة عن الكلام الجارح وبدوا يظهرن الا حترام للمسلمين وصاروا يحسبون لهم الف حساب

ولذلك دخل الكثير منهم في الإسلام فصار جماعه الاسلام فيها أصناف متعدده منهم المومنون الصادقون وفيهم المنافقون وفيهم المترددون وضعاف الايمان اضافه الي المكون الذي مازال مشرك وبعيش في المدنيه ولهذا نجد أنه عندما وقعت الهزيمه في أحد فقد كانت ماده وفرصه سانحه للأعداء للتفشي بالمسلمين وإظهار احقادهم ونفس سمومهم اي أنها أحدثت تغيير في المواقف

ابتدأ هذا التغيير من لحظه اشاعه مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء المعركه حيث بدأ المنافقون ينادون الي ترك الاسلام والعوده الي ماكانوا عليه والي إخوانهم الذين لم يسلموا يقولون لهم أن الإسلام كما قال لكم اخواننا العقلاء الذين لم يلتحقوا بالإسلام أنه يمثل خطرا كبيرا علي المدينة لن نستطيع الوقوف أمامه فها هو حاصل ما كانوا يحذوكم منه

وقالوا لو كان محمد نبي لما قتل ولم هزمننا ثم ذهب البعض منهم بالدعوه الي أعمال العقل وتلافي الموقف بسرعه قبل فوات الاوان فقالوا ليس لكم مجال للنجاه الا بالاستعانه بابن سلول كي يتوسط عند أبي سفيان كي يمنحكم الامان

لم يتوقفوا عند هذا الحد بل إنهم بعد ذلك لما رجعوا الي المدينة بدأ المنافقون يحدثون الضجيج الإعلامي ب المناداه بالويل والثبور وأظهر الاسي علي القتلي والجرحي ليزرعوا الخلاف في كل بيت من بيوت المدينة قاصدين تأليب المواقف ضد الإسلام من خلال استثمار الواقعه وتوظيفها للتأثير علي ضعاف النفوس وإلحاق

الهزيمة النفسية الداخلية بما يحدث فجوه بين القيادة والجنود اردوا احداث اختراق لمركز قوه المسلمين وضرب عنصر الارده فالمعركة في حقيقتها معركة ارده أكثر مما هي معركة مواجهه اردوا استغلال وجود المترددون الذين استجابوا لهم أو كانوا علي استعداد للاستجابة والقبول بما يدعوهم إليه المنافقون بالتوسط بابين سلول كي يمنع عنهم الكارثة التي صاروا يروجون لها ولهذا نجد

أن النداء جاء موجهًا بالخطاب الي المومنون الذي من المؤكد أنهم شاركوا في احد وحضروا هذه الغزوه والذين وجد في صفوفهم المنافقون وكذلك المترددون كما قلنا ولهذا فإن النداء بهذه الصفة التي تربطهم بالله تعالي يعني أن المولي يطلب منهم الاهتمام بالنداء والموضوع الذي سوف يخبرهم به تعالي فإن ذلك من مقتضي الايمان وان عدم القبول بما سوف يخبرهم به ينقص الايمان ويخرجهم من دائرته وهذا فيه الآتي

الدرس الاول

اهميه فضيله الايمان في مواجهات الازمات والتحديات ودورها في مقام الإرشاد وتربيته المومنين علي سد الثغور ووضع التحصينات لمنع تسلل عصبه العمل الشيطاني الي مركز القرار لديكم أو تمكينهم من أحداث شلل عقلي أو نفسي لديكم لأن ذلك يعيدكم الي الكفر مبينا لهم أن عصبه العمل الشيطاني تسعى إلي استغلال فرصه الضعف النفسي لديكم في جانب الايمان كي تشل حركتكم فهي تحاول استغلال لحظه الضعف ولهذا نجد أن النداء جاء متبوعا بالتحذير الذي يرسم قبح طاعه الكفار والأعداء فيقول لنا الله انتبهوا من ذلك فإنهم يريدون الآتي

الأمر الأول

اضعاف قدره الجماعه المسلمه من خلال السعي الي تفكيك قوه روح العمل المشترك الذي تمتاز به جماعه الايمان ووسائل ذلك متعددة فقد صنع تلك الخطط مهندسون متخصصون في إعداد الخطط القادره علي احداث النتيجة فهم لديهم مراكز دراسات واستغلال الفرص المتاحة فلا تمكنهم من ذلك فانتم قد رأيتم كيف حاول هؤلاء استعمار واقعه أحد للتخويف من فعل المشركين والتهويل من رده فعل قريش بأنها سوف تغزو المدينة كأنهم يقولون لهم انكم المتضررون أما محمد وأصحابه فسوف يجدون مأوى آخر فقد اعتادوا. علي الترحال من مكان الي اخر وحينها سوف تصبحون فقراء مثلهم لاماوي لكم

اردوا احداث اختراق لمركز قوه المسلمين من خلال بث الفتنة وتقسيم الجماعه ولديهم سياسه خبيثه وخسيسه فهم قد لجأوا الي التعامل مع كل شخص بأسلوب يتناسب مع تفكيره فمن عرفوا أنه لن يستجيب لدعوه العوده الي الكفر مباشرة فقد عمدوا إلي غرس فكره طلب الامان لأنفسهم بالاستعانة بابين سلول كي يتوسط عند المشركين بحيث يكون الصلح والدخول في حلف المشركون

فجاء التحذير (أن تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي اعقابكم فتنقلبوا خاسرين)

بأن هذه هي البدايه فإذا قبل المسلمون بذلك فإنهم رويدا رويدا سوف يتخلون عن العقيدته يحذرهم الله من ذلك مبينا لهم أن هؤلاء لديهم خطه مرسومه مسبقا تهدف إلي ترويض المسلمين بأن يجعلهم مطيعين بالتدريج حتي الوصول لمرحله عدم اظهار كراهيه الشرك المخالف للإسلام

فالطاعه تطلق علي امتثال أمر الأمر أو الدخول تحت حكم الغالب فيقال طاعت قبيله فلان لفلان وطوع الجيش بـ لاد كذا ولهذا جاء التحذير مقرونا بالوصف أنه فيه الانتكاسة والخساره الفادحه في الدنيا والآخرة فالكفار لا يريدون لكم الخير وانما يريدون لكم الشر

يقول لنا الله أن هؤلاء وان أظهروا لكم أنهم مسلمون وانهم يريدون لكم المصلحه فهم كفار ولهذا سمي المنافقون كفارا لأن هدفهم واحد وهو استهداف قوه تعظيم روح الشعور المشترك بين اعضاء الجماعه المسلمه وبالاطار

التي تطرحها الازمه وتنميه مشاعر الاختلاف والتنازع التي كانت أحد أهم أسباب الهزيمة في أحد كما قال لنا المولي سبحانه وتعالى (حتي إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ماراكم ماتحبون)

فسبب الهزيمة كما سوف نوضح تبعا عائدا الي الضعف الناتج عن الرغبة في الغنائم وانقسام المسلمين بين معارض ترك الاماكن التي أمرهم الرسول بها أي الرماه وبين من يري النزول الي الغنائم ولم يفكروا بمصالح الجماعه المومنه وتمزقت الآراء والطاقت الي أشلاء وهذا هو هدف الكفار والمنافقون ولهذا يحذرنا الله من طاعتهم أو قبول آراءهم فيقول لنا أن قوتكم في وحدتكم فهولاء يريدون أن يصبح كل واحد من المسلمين يبحث عن سبيل النجاه والسلامه بعيدا عن الآخرين

الأمر الثاني

يخبرنا الله تعالى أن الهدف الثاني لهولاء هو ضرب عنصر الثقة بالقدرات في نفوس المسلمين يردون أن يجعلوا المسلم منهزم نفسيا

كي يكون منهم القبول بالعيش تحت حكم الغالب (المشركين)بحجه أن هولاء أقوياء لا قدره لكم علي مواجعتهم

يريدون اقناعكم بالقبول بسياسه الأمر الواقع اردوا باثاره الضجيج الإعلامي ايقاع الهزيمة النفسيه في العمق الداخلي للنفس خاصه عند اولئك المترددون ليكون منهم الانسحاب من حركه العمل الايماني

فاستغلوا أحوال الفجايح التي دخلت كل بيت من بيوت المسلمين لاثاره البلبه في الأفكار ومحاولة تميزق الصفوف وصولا إلي القبول بالهزيمة والتخلي عن المطلب الرباني

اردوا اجتثاث العزائم والهمم وغرس الفرع والجزع في قلوب المسلمين ولهذا جاء التحذير من طاعه هولاء في أي أمر من أمور العقيدة يقول لهم الله ولنا انتبهوا أن تقبلوا أو تسمعوا الي مايلقي الأعداء من تعليقات بشأن ما هو متعلق باي ازمه تمرون بها مثل ازمه أحد انتبهوا من الهزيمة الفكرية إذا قدر عليكم هزيمة عسكريه فإن عملاء الكفار في الداخل بينكم سوف يسعون الي القيام بهذا الدور بعد أن ينفذ العدو دوره في إلحاق الهزيمة العسكريه سوف يلجأ إلي الاستعانة باذنابه المنافقون لتنفيذ مخطط إفساد ايمانكم فهم سوف يسعون الي صناعه ايمان مزيف لكم نهايته الخذلان وال فشل أن انتم استجابتم لهم

الأمر الثالث

أن هولاء يسعون الي اغتيال قوه ومصدر الإلهام لكم علي مواجهه الازمات والتي تستطيعون بها تحويل المحنه الي منحه ولهذا فهم يسعون الي ابعادكم عن القيادة التي هي مصدر الإلهام

ففي أحد اردوا أن يحدثوا فجوه بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المسلمين قاصدين من ذلك أضعاف قدره الرسول صلى الله عليه وسلم علي التحشيد وتعبئيه الموارد البشريه المتاحه

اردوا وضع حواجز بين المسلمين والقيادة والتخطيط لثوره مضاده من خلال تقديم ابن سلول أنه منقذ لهم من الهلاك وأنه قائد محنك قادر علي توفير حمايه والامن القومي للجماعه من خلال جذب اكبر قدر ممكن من ضعاف النفوس الي صف ابن سلول خاصه وأنه ظهر كقوه لا يستهان بها إذ أنه عاد بثلت الجيش فضلا عن أنه كان له اذناوب استمروا في صفوف المسلمين اي من ضمن الثلثين الذين شاركوا في المعركه

فقد اردوا أن يكون له الكلمه النافذه بتقديمه أنه بطل قومي سوف يخلصهم مما اوقعهم به الرسول صلى الله عليه وسلم والمهاجرين من مازق فذهبوا ينشرون الشائعات أنهم أن لم يتدركوا أنفسهم بالاستعانة بابن سلول كي يتوسط عند أبي سفيان فإنهم سوف يكونون عرضه للقتل والنهب من قبل قريش

اردوا تقديم ابن سلول أنه البطل القومي الذي سوف يتجاوز بهم المحن

وهنا يريد المولي أن يقول لنا أن هذه الثورات المضادة تعود إلي مخططات معده من قبل الكفار فهي لم تأتي اعتبارا وأنها سوف تستمر في كل ازمه تمر بها الامه ولها مخاطر يجب الإنتباه لها لأن هذه الأفكار اذا لم يتم الإنتباه لها تعود علي الامه بالويل والثبور والشواهد التاريخية كثيره فقد شاهدنا كيف أن الاستعمار عندما خرج من البلدان الإسلامية صنع عملاء له في أوطاننا قدمهم لنا علي أنهم ابطال انقذوا الاوطان الاسلاميه من الاستعمار وهم في الحقيقة اذئاب لهم لقد شاهدنا كيف ان الناس نظروا الي كمال اتاتورك أنه بطل قومي بنظر الكثيرون يرون أنه خلص تركيا من الوقوع تحت الاحتلال لانه وقع مع الغرب وثيقه الاستسلام التي ضمنت محاربتة الاسلا م وقيم ومبادئ الايمان نيابه عن الكفار والاستعمار لدرجه انه منع اعلان الاذن في المساجد وصار المتدين ينظر إليه أنه غبي واحمق وتم عزل القيادة والقوده الصالحه عن الشعوب واستبدالوها بعملاء الاستعمار ولايختلف الوضع في البلدان العربيه عن ذلك بل نالت هي الأخرى مانالت تركيا فقد شاهدنا كيف صارت القوميه العربيه الها يعبده الكثيرون في مصر والعراق وسوريا والعديد من البلدان في حين أن القوده الصالحه زج بها في السجون وأعدم العلماء في مصر والشعوب العربيه تصفق ولم تستفيق برغم النكسه في ٦٧م ظلت الأوضاع علي ماهي عليه كذلك كان الحال في بقية البلدان التي قدم فيها الملوك والرؤساء والزعماء أنفسهم أنهم رعاه الدين وحماته وهم في الحقيقة اذئاب الاستعمار وأدوات تنفيذ مخططات اليهود والنصارى

وقد كان لسلب الامه قرارها ومصادرتة من قبل المنافقون الذين أظهروا أنفسهم منقذون للامه بالتامر مع الأعداء الذين مهدوا لهم بتسليمهم الاوطان لتكون لهم العوده اليها في أي وقت يريدون اثر قويا في إلحاق الهزيمة الفكرية في الشعوب بعد الهزيمة العسكريه حتي اصبحنا نسمع الكثيرون ينادون بأن نقلد الغرب وان يتم تنحيه الدين ومنعه من القيام بدوره في ادارة الحياه لانه بنظرهم سبب التخلف الذي تعيشه الامه اصبح دعاه التقدم والتطور المغشوش ينادون بضرره منع وصول أهل الصلاح والعلماء الي مركز القرار لا يخجلون من الشتم والسب لهم في كل الأحوال في حين يظهرون الود والاحترام لاهل الكفر لدرجه ان تجد أن هنالك من يعلن براءته من الإسلام

الدرس الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى يحذرنا من الانهزام الفكري الذي يلحق بالهزيمة العسكريه حيث أنه بالوقوف علي مجريات أحداث غزوه احد نجد أنها معركة من بدايتها تهدف إلى إحراز انتصار في ميادين المبادئ والقيم تربى المسلمين علي الثبات والصمود أمام العواصف وعدم الإفراط ولا التفريط بالقيم والمبادئ التي تقوم عليها دوله الموحدين من الشوري والوحده والحفاظ علي الشريعه الدستوريه والقيادة فهي معركة اهم وأقوى من معركة الحرب بالسلاح ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يحذر من الهزيمة الفكرية التي يسعي عملاء الكفار الي أحداثها يقول لنا أن الهزيمة الفكرية أن حدثت فهي اقسي وأمر من الهزيمة العسكريه وهو تحذير لك انت ايه المسلم في كل زمان ومكان بضروره الإنتباه من عوقب رده الرجعه الي الورا فيخبرنا الله بنتيجته قبول مايسمي مرونة العرض التي يعرضها اذئاب الكفار أنهم يقصدون بالعوده الي الفوضى والاضطراب فالمضطرب لايمك زمام نفسه والاعقاب هي مؤخره والتقدير أنه يسير في طريق الخساره المزدوجه أنها خساره الدنيا والآخرة خسره الإ نسان لنفسه ونضاله وكفاحه

ولهذا نجد أن الايه تبين أن مقصود الكفار هو أن يردوكم الي الجاهليه والكفر وحاله التمزق والانقسام والطبقية ساده وعبيد ولهذا أسند أمر ذلك لهم (يردوكم علي اعقابكم) ولم يقل ارتددتم

فالشعوب تتطور في أسلوب ميكانيكي متحرك بصفه دينامكيه مستمره وهي لاتتوقف عن الحركة ولاتكف عن

التطور والانتقال الجزئي أو الكلي البطي والسريع من حاله الي آخري بما تحمله معها أثناء انتقالها من ظروف ومفاهيم ومظاهر وعلوم متتاليه تعبر بها مراحل متعاقبه وهي أثناء ذلك تتعرض لعوامل مختلفه ذاتية أو خارجيه لها تأثير متبادله ومتداخله تبطي أو تسرع في حركتها وتطورها ولهذا فإن الإسلام لم يأتي بقواعد فرض مجردة لكيفيه التعامل وانما جعلها مرتبطه بالمناسبات والأحداث ليحصل الاقتناع بها كي تكون مورث لنا نلجأ إليه وقت الازمات

وهنا يقول لنا أن أهداف العدو هو استهداف القيم والمبادئ التي أحدثت نقله نوعيه في تاريخ امه العرب يريدون العوده بكم الي الوراء

فهم اردوا نزع الثقه بالقياده ونزع قوه طاعه المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم من الإلتباع وهدفهم من ذلك ا لاستيلاء علي مراكز القياده الفكرية لديكم وهو أمر في غايه الخطوره سوف يسعي إليه الكفار في كل زمان وهم يدركون أن التسلل الي عقول المسلمين وإقناعهم أن التقدم الحقيقي إنما يكون بترك القيم والمبادئ الإسلامية لابد أن يسبقه صرف أنظار الناس عن القدوه الصالحة والتشكيك بقدرتها ولهذا نجد أن عملاء عصبه العمل الشيطاني لجأوا الي اثاره هزيمه احد بمحاوله اظهار عدم قدره النبي صلى الله عليه وسلم في اداره المعركه فقالوا إن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان قائدا محنك لأخذ برأي العقلاء قاصدين بذلك ابن سلول قاصدين بذلك إقناع المترددين أن ابن سلول كان يريد الحفاظ علي الدماء من أن تسفك عندما عاد بثلك الجيش فأراد اظهار شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه متهور لم يراعي مصلحه الجماعه برغم علمه بنتيجه الخروج ولهذا يقول لنا الله انتبهوا من الوقوع في مصيده هولاء فإن هولاء لديهم مخططات وبرامج وأساليب تتطور أنها تستهدف ضرب القيم والمبادئ يريدون تهيئه أجواء يسودها الفراغ والتسلل

فالرسول صلي الله عليه وسلم أراد تربيته المومنين علي احترام مبدأ الشوري ومشاركه القائد الإلتباع في وضع الخطط والبرامج لمواجهه التحديات والصعوبات واحتواء الازمات

أراد تربيته المومنين علي عدم التردد بعد الشوري وأنه مبدأ عظيم لايجوز الرجوع عنه لأن ذلك يعني الاستهتار بمقررات الشوري التي يجب احترامها فالتردد يقتل العزائم وتظهر القياده بمظهر غير لائق

أراد تربيته المومنين علي احترام الوحده والاخوه وتعظيم مشاعر العمل المشترك وهو ماسعي إلي استهدافه

أراد تربيته المومنين علي الثقه بالقدرات وهو مراد الكفار استهدافه من خلال تصوير مخاوف القتال وعواقب الحرب مع الأقوياء المشركين والتشكيك بجدوي الحرب مع الأقوياء اردوا اعلان القبول بالهزيمة والانسحاب من حركه العمل الايماني

فجاء التحذير من طاعه الكفار مبينا أن ذلك فيه الخساره المؤكده لأنها انقلاب الي الوراء

والتحذير جاء بأسلوب فيه بيان المخاطر والعواقب بصوره حيه تنقلها الآيات بحركات محسوسه تنقل السامع الي مشاهد قادره علي نقل الصوره الي الذهن ثم تدله علي الطريق ويتضح ذلك من الآتي

الأمر الأول

تبين لنا النصوص أن الطاعه المنهي عنها لها صورتان

الاولي

الطاعه الناتجه عن القناعه ببرهان وحجه العدو التي كانت نتيجته فقدان الثقه بالقدرات فالأعداء في كل زمان يسعون الي استهداف القدوه الصالحة والمنهج وصول بالامه ا إلي مرحله ما يسمى العجز عن التعاطي مع مصدر

إلهام الامه كما ذكر المؤرخ الهولندي لانه أن حدث ذلك فإن الامه تبدأ باللف والدوران حولها نفسها لاترواح مكانها عاجزه عن اقتحام ارضيه فكريه جديده أو فتح مسالك جديده للحركه

فنحن اليوم نري أن الإسلام مازال موجودا في كتبه لكن المسلمين ليسوا موجودين فهم مشلولين فقد استولي الغرب علي وجدان المسلمين وأصبحت الشخصيه المسلمه قابله للخرافه لأن مخزون الامه العقلي والروحي قد استهلك نتيجة وقوع مركز القرار والقياده بيد الكفار وتم التفريط بالقيم والمبادئ التي كانت تمد المسلمين بالا فكار والمثل التي تتغذي عليها فصار الانحراف عنها والتضحيه بها بدعوي منطوق للضروره نتيجة غياب روح الاس لام لدرجه اننا صرنا نطلق الاسماء الغربيه علي اولادنا ونتفاخر بها

أن الإسلام لا يحارب الانفتاح مع الآخرين في المجال العلمي والصناعي لكن ينبغي علي المسلم أثناء مد جسور الصداقه مع هؤلاء أن يحذر من استخدام العدو ذلك وسيله لهدم قيم ومبادئ الاسلام

فيجب مقاومه مشاريع الاستعمار بالثقه بالقدرات وحسن التعامل مع مصدر إلهام الامه الفكرية والروحيه والاخلا قي

ولهذا يجب الحذر من تسليم زمام الأمور لعلماء عصبه العمل الشيطاني الذين يشكلون بدايه الهزيمه الفكرية كما حاول المنافقون الترويج لابن سلول فالايه جاءت التحذير من القبول بالانتكاسه والتغيير بالمواقف بالتحول الي ماهو اسوء

الثانيه

وهي مرحله التفريط بالقيم والمبادئ من خلال القبول بمسار التعايش مع الاستعمار والقهر السياسي عمليا ظرفيا في البدايه والتخلي عن الدفاع عن القيم والمبادئ الحريه والشوري والايمان والكرامه والرفعه والعقيده

والتحذير جاء هنا من دعوه الصلح مع المشركين التي رفعها المنافقون والمبرر في نظرهم هو طلب الامان من العدو والدخول في الحلف

الأمر الثاني

يقول لنا الله أن البدايه هي زرع الفتنة بادخل مشاعر الضعف في نفوسكم لتقبلوا الصلح تحت مبرر الضعف وعدم القدره علي مواجهه العدو المنتصر في الحرب فيقول لنا أن هذا الأمر لاسوغ له فلا يجوز التفريط بالقيم و المبادئ

فهذا القبول يعطي الأعداء فرصه لهدم العقيدته فيقول لنا أمامكم طريقين أما الجهاد والنضال للحفاظ علي المكاسب والقيم وأما الرجوع إلي الورا والتفريط بالمكاسب تحت مسمي السياسيه فهذا لاسوغ له فهو يترتيب عليه التنازل عن العقيدته وقيم ومبادئ الاسلام فيصبح قرار الامه بيد العدو فكيف يكون التحرك والتقدم الي الام وبسرعه تواكب التطور والتقدم والظروف المحيطه بذلك وانت ترجع إلي الورا فمن لايتحرك الي الامام فإنما يكون عائدا الي التخلف والجهل

فعليكم تحمل المسؤليه لأن النتيجة الحتميه للتخلي عن ذلك هو الانقلاب وهو تغيير أحوالكم وصورتكم في أقبح صوره حيث انكم سوف تصبحون اعلي مافيكم أسفل منها أنها انتكاسه تصيبكم بعدما كنتم مستقيمين والمراد بهذا تمثيل من يقبل بالتعايش مع القهر بانه يضع اعلي ماهو منه وهو الإيمان فهذه هي الخساره الفادحه خساره الدنيا والآخرة فهم في الدنيا ينفصلون عن العزه والكرامه اي أنهم يعيشون في ذل ومهانته ويتخلون عن دورهم في قياده البشريه

حيث أن أشق الأشياء علي العقلاء هو الانقياد للعدو والتذلل له وإظهار الحاجه اليه فقد جاء التحذير من هذا الانقلا بلاب ولفت أنظارهم الي الأفق البعيدة التي يهدف لها الأعداء فالمقدمه الفتنة ثم الصلح وبعدها السيطرة علي مركز القرار والقياده لدي الامه ليكون الانتقال من الصلح الي الملك فتصير انت مملوكا لهم

ولهذا كما أوضحنا أن هذه المعركة هي معركة انتصار المبادئ والقيم الإسلامية فإننا لو نظرنا الي بدايه الانحطاط والسقوط لدوله الموحدين كما أسماها مالك بن نبي نجد أنها ابتدأت من استغلال معاويه فتنة مقتل عثمان انتقالا الي الصلح الذي فرط المسلمون فيه بمبدأ الشوري مقابل وحده الامه ليكون بعد ذلك الانتقال الي الملك والذي تم التضحية فيه بسياده الامه

ولهذا فقد كان من أهم ماتحملة واقعه أحد من مفاهيم هو تربيته المومنين علي الحفاظ علي القيم والمبادئ واهميه الانتصار في هذه المعركة التي هي اقوي المعارك في حياه الأمم وموتها

أن الإسلام دين الله والمولي سبحانه وتعالى يعلم حقيقة الشخصيه العربيه المتمرده الهمجيه التي تاتي القبول ب النظام وتريد أن تعيش حياه الفوضى وكان فيها منظومه قيم سلبيه سياسيه قبيليه متمرده عاشت حروب مستمره كانت تومن بفكره القدره العمليه التي يجب علي المهزوم القبول بالدخول في صلح المنتصر والحلف معه وهي التي مهدت السبيل للعوده الي مسار التعايش مع القهر السياسي والتضحية بقيم ومبادئ الاسلام بحجه الحفاظ علي الوحده بعد واقعه صفين لتكون النتيجة ضياع وحده المسلمين ووقوعهم تحت سلطه الاستعمار الغربي في نهايه المطاف واصابنا العجز لدرجه ان البعض ذهب الي إضفاء المشروعيه علي الاستبداد بالتبرر الا عتقادي والأخلاقي تحت عنوان (وتلك الأيام ندوالها بين الناس)

فقالوا إن هذا قضاء الله وقدره كتبه علينا من الازال

وهكذا أخطأوا مرتين مره حين نسبوا عجزهم وقعودهم وهو ذنب الي قضاء الله وقدره ومره حين تصوروا أن قضاء وقدره يعفيان الإنسان من مسؤوليته أو يشلان حريته

ولهذا يحذر القران من الاستسلام للهزيمة العسكريه بالقبول بالهزيمة الفكرية مبينا أن ذلك انقلاب خاسر في الدارين وان علينا مقاومه مشاريع الاستعمار وأعوانه

الامر الثالث

تمضي سياق النصوص في معالجه الداء من جذوره من خلال الاهتمام بالباعث الذي قد يحمل البعض علي القبول بدعوه المنافقين للدخول في صلح المشركين وطلب الامان منهم والدخول في الحلف معهم فيقول الله لنا اذا كان الميل الي طاعه هولاء رجاء الحمايه والنصره من هولاء فإن هذا وهم ويدلهم علي الطريق للحمايه والنصره فياتي التعقيب (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)

وبالوقوف علي النص نجد فيه الآتي

المساله الاولى

أنه ابتداء بصيغه الإضراب اي لابطال تلك البواعث ولهذا فهو ابطال لشيء مقدر يظهر فيه قبح اظهار الطاعه للعدو ل لاتي

١

لأن الطاعه هنا من قبيل المولاه والحلف فناسب أبطالها بالتذكير أن مولي المومنين الذي يتجه إليه لطلب الحمايه

والنصره هو الله تعالى

فكان لهذا التذكير موقع عظيم في النفوس لماذا ؟

لأن الولاء والحلف أمر عظيم عند العرب فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حجه الوداع اوفتح مكة أنه قال (أن من ينتسب الي غير أبيه أو انتمي الي غير موليه فعليه لعنة الله والملائكه والناس أجمعين)

فقد أقر الاسلام المولاه والحلف وقرنه بالنسب...والولاء والبراء من اصول العقيدة الاساسيه

ف الله يقول لنا أنه هو القوي القاهر المسيطر الذي بيده مقاليد الأمور فعليكم إن تطلبوا ولايته فلا يجوز للمومن الخروج من ولايه الله ولا أن يخرج من جماعه الايمان ولايسلك غير مسالك المومنين فهو يقول لنا في موضع آخر (لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يودن من حاد الله ورسوله)

٢

ولهذا فإن الإضراب جاء لابطال شي مقدر ومحدد متعلق بالنهي عن طاعه الكفار (أن تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي اعقابكم فتنقلبوا خاسرين)

لأن طاعتنا لهم إنما تكون نتيجة رجاء أو خوف سواء خوف الدخول في الحرب معهم لأن التفوق العسكري لهم أو خوف قطع المساعدات أو رجاء أن بمدونا بالاموال والنصر والحماية كما هو حال الكثير من المسلمون اليوم فالنصر يقصد به دفع الغلب عن المغلوب فيقول لنا الله أن هولاء لن ينصركم بل سوف يردوكم الي الكفر والضعف وما حاجتكم الي الاستعانه بهم مادام الله معكم ولن تحصدوا من ذلك إلا الخساره لأن هولاء أولياء الطاغوت وهم سوف يسعون الي اخرجكم من النور الي الظلمات

بينما ولايه الله تخرجكم من الظلمات الي النور

المساله الثانيه

يغرس الله فيهم الثقه بقدرتهم من خلال الثقه بالله والاستغناء عن مولاه الأعداء فيقول لهم إذا كنتم بحاجه الي المداد والقوه والحماية فعليكم إن تطلبوها من الجهه التي تملكها وهي القوه الالهيه فقال تعالى (وهو خير الناصرين)

لأن النصر دفع الغلب عن المغلوب فمتي كان الدفع اقطع للغالب كان النصر افضل فقال تعالى (وهو خير الناصرين)

وهذا فيه أنه قد يوجد من ينصرك من البشر لكن هذا النصر ضعيف وهو وهمي لا يحظي بشرف لانه ليس قاطع علي الغالب فهو أوهن من خيوط العنكبوت فلا تضعفوا أمام قوه الأعداء فعليكم مواجهه الكفار بالتوكل علي الله لأن قوه الله لاتقف أمامها قوه فلا تخافوا قوه الأعداء وأموالهم فالله يدفع الظلم بقوه فالنصر من الله قاطع لظلم العالمين فيكون موقعه افضل

وقد عرفنا مساله الحوار مع ابوسفیان في هذه الغزوه عندما نادي اين ابن الكبشه اين ابن قحافه ثم لنا العزي ولا عزي لكم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقولوا له الله مولانا ولا مولى لكم وعندما قال الحرب سجال يوم بيوم يقصد أحد بيدرد عليه عمر لسنا سواء قتلاكم في النار وقتلنا في الجنه

فالإسلام يعلمنا كيف نتعامل مع الازمات بحيث يكون لدينا القدره علي احتواء آثارها وتحويلها إلي الاحسن بحيث

يكون لها نتائج إيجابية بإدارتها الاداره الصحيحه والاستفادة منها بتحويل الموقف السلبي الي إيجابي بقوه الايمان والعزم والتوكل علي الله بحيث نربط السنن والنواميس التي تحكم الحياه مع تفعيل الدور الديني الذي يمكن الإنسان من الصمود ومواجهات التحديات كما يفهم من رد سيدنا عمر بن الخطاب ورد الرسول صلى الله عليه وسلم علي ابوسفيان والقران وهو يحذر من العوده الي الورا ان حصلت الطاعه للكفار والقبول بأمرهم في أمور ديننا وقيم ومبادئ الاسلام

ثالثا

يقول لنا الله تعالى اذا كنتم تحتاجون إلي النصر فعليكم الالتجاء الي من بيده مقاليد الأمور فاللازم عليكم التوكل علي الله والانس به بالاستعانة بالله بحيث تكون قلوبكم اشد انسا بالله من كل أليف فالله انس الموجودات وهو أشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه وان صبت عليكم المصائب فعليكم الاستجاره بالله بالعلم القاطع أن ازمه الأمور بيده ومصادرها من قضائه وقدره سبحانه وتعالى

فيقول تعالى بهذه المناسبه (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وماؤهم النار وبئس مثوي الظالمين)

الأمر الأول

الوعد من الله سبحانه وتعالى أن يكون حاضرا معهم بما يكفي المعتمدين عليه في معركتهم مع الكفار فذكر لهم وعده بالقاء الرعب في قلوب الكفار (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب)

وهذا فيه الآتي

١

أن الذي سوف يلقي الرعب هو الله تعالى بعد أن أمرهم بالاحتماء بولايته سبحانه وتعالى ليجدوا الامان و الطمأنينة فقد أراد الله تعالى أن يغرس في الأذهان الاحساس أن كل شي بتدبير الله فأراد أن تشعر بحضوره سبحانه وتعالى فلا تخاف من قوه الأعداء مادام الله معك فالمعركه هي معركه الحق سبحانه وتعالى وانما انت ستار قدرته

٢

أن وعده بالقاء الرعب في قلوب الكفار جاء بكلمه ورد فيها السين (سنلقي) دخلت علي الفعل المضارع وهي تفيد أحد أمرين القرب والتحقيق وهي تختلف عن عمل سوف التي تفيد الامهال والتحقيق

وهذا ماحدث فعلا بعد المعركه مباشره حيث أن المشركون عندما كانوا في طريق عودتهم الي مكه تشاوروا بينهم فقالوا لقد قتلنا من المسلمين ما فعلنا بهم فلماذا نتركهم ولانستاصلهم وقد صار بيدنا الامر فلما عزموا علي ذلك القى الله في قلوبهم الرعب فترجعوا

٣

ذكر كلمه الرعب وهو الخوف الشديد اي اعلي مراتب الخوف وأنه سوف يملأ القلب والمراد بهذا بيان شدته التي تمنع الأعداء من إتمام مقاصدهم وكلمه سنلقي ماخوذه من الإلقاء وهي لاتكون الا لشيء مادي فالله يقول بشأن رمي موسي الألواح (فالقي الألواح) ونحن نقول القى فلان الحجر وقال تعالى بشأن الهام المولي سبحانه وتعالى لام موسي (واوحيننا الي ام موسي أن ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم)

ونسب إلقاء الرعب الي ذاته المقدسه سبحانه وتعالى فأراد بهذا أن تشعر بأن الإلقاء مادي فيقول لك اطمئن وثق بالله تعالى فهو سوف يجمع الرعب ويصنعه في قلب الكافر بحيث يكون له أثر مادي اذا استقر في القلوب فإنه يحدث الضعف والخور والخذلان فماذا تنفع هولاء الاسلحه والقوه الماديه وهم جناء تترتعش اجسادهم وأرجلهم لاتقوي علي حمل الأجساد من شده الخوف

٤

الاشاره الي أن محل الرعب هي القلوب تخصيص أن مكان القاء ه الرعب بالقلب فيه التنبيه للمومنين ضرورة الا هتمام بالقلب وان تكون علي صله بالله علي الدوام فهي محل الرعب والامان والرغبه والرهبه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (قلوب العباد بيد الله يقلبها كيف يشاء)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (ما من قلب الا بين إصبعين من أصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه)

فعلي العبد أن يتضرع الي الله علي الدوام ويسأله الغلبه علي النفس الاماره بالسوء فعليك أن تفهم انك في معركه مع نفسك فأنت بحاجة الي تربيتها وتزكيته فقد ورد عن العارفين الصالحين قولهم إن الافه من ثلاثه سقم الطبيعه وملازمه العاده وفساد الصحبه قيل ماهو سقم الطبيعه قال اكل الحرام وقيل ما ملازمه العاده قال النظر و الاستماع الحرام قيل ومافساد الصحبه قال كلما اشتتت النفس شيئا أعطائها صاحبها الا من وفقه الله تعالى وقرا (بل الله مولاكم)

فهو يخرجكم من الظلمات الي النور ومن ظلمات الشرك الي ربوبيته اما من اتبع هواه وجعل هواه مولي نفسه فلا يستطيع الخروج من الظلمات والتي تكون نار تحترق بداخله وتنقطع الصله التي تصله بمولاه

ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يعقب علي ذلك بقوله (وماواهم النار وبئس مثوي الظالمين)

بيان ان هذه النيران تنتقل معهم من الدنيا فهي ناتجه عن أعمالهم التي تشتعل نار في قلوبهم وتحيط بهم لتكون لهم مستقرا يعذبون بها لانهم ظالمون لأنفسهم فلم يقوموا بتربيته أنفسهم وتطهيرها فاستحقوا ذلك العقاب

الأمر الثاني

أن النص جاء فيه ذكر نون العظمه (سنلقي) فذكر الجمع والله واحد فأراد بهذا أن تشعر أن إلقاء الرعب شديد وقوي في قلوب الكفار لانه فيه اجتماع صفات الله الجبار القاهر القادر العزيز الذي لا يغلب وهي صفات الكمال فكل قلب به كفر يحتاج الي إلقاء الرعب فجاء بنون العظمه لتستوعب كل هذه الصور وكي تنطمئن انت ايه المومن عندما تدرك اجتماع هذه الصفات وتظافرها في إلقاء الرعب

وايضا الاشاره الي أنه اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه وأنه ذو عظمه وسلطان وفعله له تأثير قوي فهو يصيب قلب الكافر بالرعب والانزعاج والاضطراب فذكر السبب الموجب لإلقاء الرعب في قلوب الكفار لنحذر من ذلك فذكر أنهم اتخذوا من دونه أولياء علي حسب أهوائهم وارئهم الفاسده من غير حجه ولابرهان وانقطعوا عن ولايته فالمشرك مرعوب لايعتمد علي ما يركن عليه

فقد ملاء الرعب قلوبهم بسبب الشركاء فكان ذلك موجب لهم الرعب لأن الشرك يقتل قيم الانسانيه في صاحبه ويجعله في الدنيا مضطرب لايستطيع الصمود أمام الازمات والمحن

فذكر لنا أنهم عاجزون عن الوقوف أمام مايقذف الله في قلوبهم لانهم منقطعون عن مصدر الأمن وهو الله ف الوسيله الوحيدة للاتصال بالله تكون بالوحي الذي ينزل من السماء (مالم ينزل به سلطان)

فهم ذهبوا الي التوسط بالاصنام والاولئان لتقريبهم من الله زلفي فكانت النتيجة أنهم ابتعدوا عن الله وانقطعت الصلة بينهم وبين الله فهذا ليس هو الحجة التي توصلهم بالله وانما الحجة التي توصلهم الي ولايه الله هو المنهج الرباني (الوحي الإلهي) الذي يحمله الرسل الي الناس ليعرفوا ربهم ويحبوه ويدعوه ويعبدوه وحده لا شريك له

ولهذا فإن المولي سبحانه وتعالى يدعو المومنين الي الاستعلاء بالحق وان يثق بالله ويتوكل علي الله ويحذرهم من الاستعلاء بالباطل والانخداع بالمظاهر الخادعه من القوه والجاه والمال والنسب والقبيله والسلاح و الرئاسة

فلا تنظر إليها أنها هي التي تحقق النصر فهي أسباب لكنها تعود إلي المسبب الله عز وجل ولهذا يقول الله لنا انتبهوا أن تغتروا بمظاهر القوه الخادعه فإن السبب في امتلاء قلوب الكفار بالرعب يعود (بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا)

اي بسبب شركهم لانهم جعلوا لله شركاء في تحقيق النصر والهزيمة ولهذا فإن هولاء لا يصمدون أمام الازمات لأن تلك الأصنام عندما تسكن قلبه تفقده قيم الانسانيه وتجعله مضطرب يستجدي حضورها وقت الشدائد فلا يجدها

فاعلم أنك إذا هبت رياح العواصف والمحن والمصاعب واصابك الفزع والجزع فكان أول ما فكرت به هو أن يسعفك فلان من الناس أو سلاح أو مال ولم تفكر في الله قبل كل شيء فأنت في قلبك مرض فأنت مثل اولئك المشركون الذين عندما تحل المصائب والمحن ينادون اصنامهم وهي عاجزه عن نصره نفسها فضلا عن مساعدته غيرها فقال تعالى (مالم ينزل به سلطانا)

وهذا فيه أيضا الآتي

١

أن القيد هنا (مالم ينزل به سلطانا) لبيان الواقع وليس الاحتراز فالإيات ترسم لنا حال واقع المشركون بأنهم يصابون بالرعب والخوف عند الازمات لانهم كانوا ينظرون إلي الجاه والسلطان والقوه والمال والنسب والقبيله و السلاح والرئاسة أنها مصدر النصره والحماية وكان منهم الاستعلاء بذلك أنها تمنع عنهم الضرر وقت الحاجه

فأراد بهذا الوصف بيان واقعهم بأنهم مخدعون بالمظاهر الخادعه وليس معني ذلك أنهم لو اشركوا ما أنزل به سلطان لكانوا علي الصواب ليس هذا ولا يمكن أن يأتي سلطان اي حجه تقول أن هنالك شركاء مع الله تعالى

وانما القيد وصف انخداع هولاء ودم حالهم ليغرس في نفوسنا قوه النفور والبغض والكرهية من حالهم فنشهد رويه حالهم بمشاعر البغض والكرهيه لهم ولاعمالهم فنحذر الوقوع فيما وقعوا فيه

مثلما اننا نجد أنه سبحانه وتعالى يأتي بوصف واقع المومنين في موضع آخر بقيد من أجل الحب والاغراء فيقول (ياايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)

٢

يقول لنا الله أنه قذف في قلوب الكفار الرعب وهم استحقوا ذلك لأنهم اشركوا بالله بأن استمدوا القوه والحماية الاستعلاء بالمظاهر الخادعه فتصوروا أن المال والجاه والسلطان والقوه والرئاسة ستمنع وتدفع عنهم الضرر وقت الحاجه وبالتالي فقد كانت تلك الأصنام سببا في هلاكهم وعدم صمودهم أمام الازمات والمحن

بينما المومنون دوما يلجأون الي ولايه الله وهم يستمدون القوه والاستعلاء من الله ويعتمدون عليه سبحانه

وتعالى ولهذا فهم لا يتاثرون بالازمات والمصائب مهما كانت لانهم يتصلون بالله ويتوكلون على الله بالعلم القاطع ان ازمه الأمور بيده ومصادرها من قضائه ولهذا فإن الله ينصرهم ويحميهم فهو اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه أما الأصنام المختلفه فهي عاجزه عن مساعده نفسها فكيف لها أن تنصر غيرها فهم عاجزون ولو كان لهم قوه قادره كما يزعمون لنادوا تلك الأصنام وقالوا إن رب محمد قد فعل بنا كذا وكذا فهل تقفي معنا في هذه المعركه فدل هذا انه لاحول ولا قوه لها فهي عاجزه

٤

نفي عنهم القوه والقدره والحجه والبرهان (مالم ينزل به سلطانا) وحروفه السين واللام والطاء (السلطان) من التسلط فيقال تسلط فلان على قبيله كذا اي ارغمه بقدرته علي أن يكونوا مطعين له ويقال علم فلان جعله يتسلط علي بلاد كذا اي بسببه فالسلطان مادي القهر والقوه التي ترغم الآخرين علي الفعل ومعنوي الحجه والبرهان و المومن له سلطان علي الدوام لأن الله يحميه (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان) أن الخروج عن ولايه الله هي التي تحرم الإنسان من حمايه الله فيكون مطيه للشيطان وإبليس يتخلي عنهم قال تعالي مخبرا عن تبرا إبليس عن اتباعه يوم القيامة فقال تعالي (وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلؤمني ولومؤا أنفسكم)

فالسلطان نوعان

قوه القهر القاطع التي ترغم الآخرين علي الخضوع لسلطانه وهذا النوع سلطان مادي

والنوع الثاني

الاقناع أي أنه يستمد قوته من قوه البرهان والحجه وهذا سلطان معنوي

والفرق بينهما:—

أن الاولي يكون فيها إرغام الشخص بفعل ما أي قوه قاهره ترغمه علي الفعل فمثلا كان نظام الجاهليه أن المنتصر في الحرب يخضع المنهزم وتصير القبيله المهزومه لاحقوق لها مسلوبه الارداه

اما الثانيه فهي سلطان البرهان والحجه التي يحصل بها الاقناع علي الفعل أو الترك فمثلا أن الطبيب عندما يقول للمريض أنه عليك استعمال العلاج الفلاني والامتناع عن الأكل لبعض الاطعمه أو يقول لك أنه لابد من بتر قدمك فإن تقنتك بأنه لديه علم موثوق به أن انت خالفته سوف تلحق بنفسك الضرر تلك القناعه تجعلك تقبل امره.

وهنا يقول لنا الله أن هولاء ليس لديهم مصدر يستمدون منه القوه لا الماديه ولا المعنويه لأن القوه الحقيقيه هي للحق وهو بيده كل شي أما هولاء فإن اصنامهم عاجزه عن نفع نفسها والقوه الماديه العسكريه والسلاح والرئاسة والجاه والمال والنسب والقبيله لاتصمد وقت الازمات وعندها يصابون بالرعب والخوف فيقول لنا أن ما ترونه من قوه لدي الكفار هي مظاهر خادعه غير قادره علي الصمود وقت الازمات فهي تحتاج الي القوه والسلطان من الله وهو سبحانه لن يعطيهم ذلك لأنهم مشركون وهم تابعين للمشروع الشيطاني الذي كما ذكرنا أنه بتخلي عنهم

ولهذا يحذرنا الله من الانخداع بمظاهر قوه الأعداء فتحدث الضعف في نفسك ولهذا يقول لنا أن طاعه الكفار في الحالتين هي تخلي منك عن مصدر القوه الحقيقيه فكيف يكون منك القبول بارائهم ومقترحاتهم وتسمع لاقوالهم وتقتنع بها كيف يكون منك الاقتناع بان طاعتك للعدو هي الوسيله للخروج من الازمه كيف تركز أن قوه العدو هي التي سوف توفر لك الحمايه من الأعداء

ويقول لنا أيضا كيف يكون منك القبول بالحكم للغالب الكافر والدخول في الحلف فتكون مقهورا بالقوه فإن العدو

سوف يذلك ويستعبدك وكيف تتخلي عن الكفاح والنضال للدفاع عن قيم ومبادئ الايمان

ثم إن عليك أن تدرك أنك بهذا تخالف مبدأ الولاء والبراء وهما من الأمور التي أن فرطت بها وصار بينكم المولاه فإن ذلك من أشد انواع الشرك فعليكم الحذر

٦

يقول الله لنا أن هذا الوعد هو الي يوم القيامة فما عليكم إلا أن تثقوا بوعد الله وتطمئنوا بنصره وان لا يكون في قلوبكم أحد إلا الله فإن الله ناصركم ولا بد أن يظهر دينكم وعقيدتكم أن انتم التزمتم بالاعتصام بالله والاعتصام بحبل الله

يقول لنا لاتنخدعوا بما ترونه من مظاهر القوه لدي الكفار فهي مقطوعه عن مصدر القوه الحقيقيه أنها تحتاج الي القوه والسلطان من الله وهم يعبدون الأصنام ولهذا فإن الله لا يمنحهم القوه ولهذا فإن عليكم أن تفهموا قوه الكفار فاعليتها زائفه وسرعان ما تزوال فهي أوهن من خيوط العنكبوت لاشرف ولاقوه لها لماذا ؟

يقول لنا الله أن الخروج عن طاعه الله يعني الخروج عن شرف الخلافه علي الارض ذلك لأن الخلافه هي عن الله فإذا صارت خلافه عن أصنام فإن هذه تجعل صاحبه بلا شرف فقال تعالي (بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) فالمولي هنا يشير إلي شرط الخلافه المقطوع مع ادم حينما تسلم مفتاح الأرض فالشرط هو التوحيد وقال تعالي (فأما ياتينكم مني هدي... الخ بين لادم أنه جعل للاستخلاف علي الارض قانونا وهو أن يكون منهم اقامه أمر الله فهم عند ذلك يجدون وعد الله لهم بالعز والتمكين وان هم كفروا وكذبوا بآيات الله ورسله واشركوا بالله فإنه سوف ياخذهم أخذ عزيز مقتدر

ولهذا يقول لنا الله أنك قد تري من البشر من يفقد صفه الخلافه وتري بعض مظاهر القوه والسلطان والباس فلا تنخدع بها لأن هذه القوه بلاشرف لاتلبث أن تحطم نفسها علي مذابح عباده الذات أو عباده الهوي أو عباده الأوثان

فهم فاقدون للقوه وقد انسحب منهم قانون الخلافه لانهم ظالمون كما ذكر في التعقيب ونحن نعلم أنه لتكون خليفه لابد أن تتخلص من الجهل والظلم (انا عرضنا الامانه علي السموات والأرض والجبال فابيين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

فهم رفضوا الاحتكام لمنهج الله ورفضوا القبول بشرط الخلافه التوحيد ويسعون لهدم قيم ومبادئ الايمان من الحربه والعدل والمساواة... الخ

ولهذا فإن افعالهم وشركهم تكون سببا لقذف الرعب في قلوبهم فسنة الله الجاربه من نوح إلي يومنا هذا بهذا الخصوص أن القانون المبطل بهذا الخصوص أنه سبحانه وتعالى اهلك الظالمين كلهم فاغرقهم بالطوفان وبالريح و البحر.... ولم تنفعهم ما بنوا من حصون كانوا يتصورون أنها مانعه عنهم العذاب فقال تعالي أنهم يتحصنون وراء خيوط واهيه أوهن من خيوط العنكبوت مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت)

ولهذا يقول لنا الله أن هولاء إذا لقوا المومنون فانهم يضعفون لأن قلوبهم مرعوبه لأن سنه الله هي نصر الحق واهلاك الظالم

ف الله سبحانه وتعالى يلفت انتباه المخاطبين الي استدعاء التراث التاريخي كيف كان نهايه المشركين ولهذا عقب بقوله (وماؤاهم النار وبئس مثوي الظالمين)

بأن التاريخ ملئ بالامثال لكيفيه نهايه المشركين الذين رفضوا القبول بالحق فقد طويت صفحاتهم وان الرعب و الخوف انتقل معهم من الدنيا الي الاخره فالنار هي المكان الذي ياؤي إليه هولاء والماؤي يستعمل للمكان الذي يريد الإنسان توفيره لنفسه كي يحتمي من قوراع الزمن فيخبرنا الله أن مستقرهم هو النار وانهم ليس لهم خروج منها فقال تعالي (فبئس مثؤي الظالمين)أشار إلى الخلود فيها بعد ذكر أنها ماؤهم لأن المثؤي مكان الاقامه ويمكن للإنسان أن يخرج منه لكن عندما يقول إنه مثؤي فدل هذا انه لاخروج منه فهم خالدون فيها وذكر أن العله تعود إليهم لانهم ظلموا أنفسهم بتلك الأفعال القبيحه وجاء بأسلوب الذم لكي نشهد صوره الكفار ومالديهم من قوه وسلطان علي سبيل البغض والكرهيه والنفور منهم ومن افعالهم لتحذيرنا من ذلك

رابعاً

تعود النصوص الي واقعه أحد وما كان فيها من أحداث وكيف انقلبت الأحوال من نصر الي هزيمه بالنسبه للمسلمين يعرض لهم المولي مشاهد المعركه لأجل أن يستفيد المومنين من تجربته ويتعلموا كيفيه مواجهه الازمات والتحديات وكيف يكون لديهم القدره علي تسخير السنن والأسباب التي تحكمها يبين لهم اهميه استعياب الأسباب والسنن التي تحكم الواقعه فهي لاتحابي احد حتي نحن المسلمين فلا بد من الأخذ بها مع تفعيل الدور الديني في كل لحظه من لحظاتها فقال تعالي (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتي إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما اراكم ماتحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخره ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل علي المومنين)

لأن المسلمين لما رجعوا الي المدينه وقد اصابهم ما أصابهم في أحد قال البعض منهم من أين حصل لنا هذا وقد وعدنا الله بالنصر

ولهذا نزلت الآيات لتربيته المومنين وتصحيح التصورات لديهم فقال لهم الله (ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه) كانه يقول ان الأمر يحتاج منكم الي اعاده النظر في احوالكم ومعرفه السنن والنواميس والأسباب والمسببات التي أدت إلي الهزيمه

فالله قد جعل للظواهر والأحداث أسبابا وسنن يجب عليكم الأخذ بها وهو سبحانه وتعالى قد وضع شروطا عليكم لتحقيق وعده فقال (بلي أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسه ءالف من الملائكة مسومين)

فقد ذكر لكم أن وعده مرتبط بالوفاء بالشروط الصبر والتقوي والتوكل على الله وامثال أمر الله ومنهجه

ولهذا حقق النصر لكم في بدايه المعركه عندما كان منكم الالتزام بالشروط وحقق لكم الوعد الذي وعده لكم فقال تعالي (ولقد صدقكم الله وعده)

اي أنجز لكم الوعد الذي أخبركم به ثم بين موضع هذا الصدق فقال تعالي (إذ تحسونهم بإذنه)

اي تقتلونهم في أول الحرب وهو ظرف لصدقكم فذكر (بإذنه)

اي بعلمه ومشيتته وقدرته وتدييره

ولأن العوده الي قصه أحد كانت لتربيته المومنين وتصحيح التصورات نجد أنه سبحانه وتعالى استعمل الفعل المضارع (إذ تحسونهم بإذنه)

للتعبير عن الماضي والمراد بهذا أن تكون الصوره حاضره في ذهن القارئ في كل زمان لانه بهذا التصوير يجعل من الماضي كانه حاضرا الحكايه لتقريب صوره الماضي للذهن لأن الماضي اذا انقضي وروبما يصيب الإنسان النسيان

لكن التعبير عنه بصيغه المضارع تجعل الماضي حاضرا

فقد حصل القتل للمشركين في البدايه وفروا من ساحه المعركه وتركوا مواقعهم والغنائم وراءهم وسقط لواء المشركين من بني عبد الدار حتي لم يجدوا من يرفع لواءهم سوي امراه

فالله يقول إنه عندما كان منكم الوفاء بالشروط حصل النصر ولم ينقلب الموقف الا بسبب مخالفه الرماه لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (حتي إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون)

فقد استمر النصر حتي حصل الفشل وهو الضعف الذي أصاب الرماه عند مشاهدتهم الغنائم خاصه عندما شاهدوا الحلي والمجوهرات في اقدام نساء المشركين فقد اغراهم ذلك علي ترك المواقع طمعا في الغنائم فكان هذا بدايه الفشل نتيجه مخالفه الرماه ثم تعقب ذلك التنازع والاختلاف بين الرماه وقائدهم عبدالله بن جبير الذي كان يدعوهم الي الثبات وهو يذكرهم بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ذكر العصيان لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه كان مسببا للهزيمه

فأراد الله بهذا تربيته المومنين علي الاتي

المفهوم الاول

ان المولي سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا حقيقه المفاهيم الايمانيه لأن البعض تصور أنه يكفي لتحقيق النصر أن يكون مسلما ولهذا يقول الله لهم أن ذلك فهم خاطي فليست المفاهيم الايمانيه لأصله لها بالواقع المعيش وانما هي القاعدة الفكرية والقيمه التي تبني علي أساسها المؤسسات الناجحه ولهذا قال (حتي إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون)

أن الفشل والخذلان يعود إلي مخالفتكم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد توقع الخطر الذي يهدد كيان الامه فوضع الخطه التي تمنع أن تتسبب ازمه ما من أن تعصف بالامه وأهدافه فقال للرماه لاتبرحوا اماكنكم حتي أن رأيتم الطير يتخطفنا واختار لهم الموقع فقال تعالى (تبؤي المومنين مقاعد للقتال) جعل لكل واحد مقعد الزمه أن لايتحرك منه لماذا

لانه أراد منع الهرج والمرج لانه اذا حصل فهو يودي الي اختلال النظام علي نحو يصعب الضبط والسيطره علي الوضع

ولهذا فإن اداره المعركه من الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيئه الظروف المناسبه لتحقيق الهدف وتوزيع المهام بين فريق العمل ووضع الخطه الاستراتيجيه القادره علي تحقيق الهدف قد أدت دورها فقد حدث هذا ما جعلكم تشاهدون النصر والظفر الذي تحبونه فقال تعالى (وعصيتم من بعد ما اراكم ماتحبون)

قيد العصيان بعد أن جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم يرون مايحبون وهو النصر والظفر

ولهذا فإن الهزيمه تعود اليكم لانكم خالفتم الخطه التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهه العاصفه فالفشل والاختفاق والاختلاف والتنازع والعصيان منكم هم أسباب الخذلان الذي لحق بكم

المفهوم الثاني

التنبيه من عظم المعصيه بعد مشاهده النصر واثماره فالله يقول لنا أن دوركم هو رفع الظلم عن العالم حتي اولئك الذين هم كفارا فإذا وقع عليهم الظلم فانتتم عليكم مسؤوليه رفع الظلم عنهم انكم بخروجكم للجهاد تبيعون أنفسكم واموالكم لله تضحون بها في سبيل الله ليس المراد من ذلك الغنائم والأموال ولا البطر عند النصر ولهذا

فإنه عند حصول النصر عليك واجب

وهو الامتناع عن المعاصي وجوبا فإذا كنتم قد رأيتم تحقيق نصر الله ووعده فإن هذا كان ابلغ أن تلتزموا بأمر الله فما الذي حدث لقد عصيتم وفشلتم وتنازعتم فكان ذلك سبب الخذلان لأن المعصية بعد النعمة اشد من المعصية قبل النعمة ولهذا صرفكم الله عنهم لتربيبتكم عن ذلك الفعل فجاء قيد العصيان بأنه وقع بعد مشاهدته نعمه الله والمراد بهذا الحث علي إنجاح الكلمة وان يكون العمل بروح الفريق الواحد وطاعه القائد فذلك من أسباب النصر وهذا لا يكون إلا بالاخلاص والتجرد لله في كل عمل

المفهوم الثالث

يضع الله العباد علي حقيقه أسباب الفشل أو النجاح بأنه مرتبط بالاخذ بالاسباب والسنن وايضا الاخلاص والايمان باليقين الجازم والعزيمة والتوكل علي الله

وهنا يخاطب الله المومنين أن عليهم تنقيه اوعيه القلب والعقل والنفس من ركام الفكر الجاهلي اذا اردوا النصر و الظفر ذلك أن وقت الازمات تظهر معادن الرجال ومقاصدهم حيث أن الانانيه وحب الدنيا والرئاسة تبرز اذا لم يقوم الإنسان بتربيته نفسه وربطها بالله وأنه يريد الاجر والثواب من الله أن وجود اوساخ وافكار الجاهليه وعدم الاخلاص يكون سببا باعثا علي الضعف والجبن والعجز عن مواجهات الازمات لأن نظره هولاء تنبع من الشهوات و الملذات فيكون الضعف أمام الازمات والمحن ولهذا فقد نزل الرماه من الجبل طمعا في الغنائم ومازاد من اغرائهم هو مشاهدته الحلي والذهب في اقدام نساء المشركين

فيقول الله لنا أن هولاء كان فيهم نقص فهم لمفاهيم الايمان التي يكون الوصول بها الي العز والتمكين والكرامه و الرفعه فإن من أسباب الفشل أن تطلب الدنيا بعمل الاخره فالجهاد ينبغي أن تطلب الاجر فيه من الله ولا تنظر إلي المناصب والغنائم التي سوف ترجع بها من وراءها ولهذا قال تعالي (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخره)

فالذي يقدر علي الصمود والثبات أمام الازمات والمحن هو الذي يريد الاخره ولا يطلب الجاه والمال ولا يريد المناصب

ولهذا يقول لنا الله ان هذه التجربه لتربيبتكم علي اثار الازمات أن انتم خالفتم وعد الله بالنصر فانتم كنتم بحاجة الي تربيته حتي تكون هذه التجربه درسا لكم في المستقبل تعرفون بها موطن الخلل وأسباب الازمات فتحذروا من ذلك لأن الازمات تحتاج الي خبره ومهاره لمواجهته وإلا فإنها تعصف بالامه كلها وتدمير مكتسباتها فقال تعالي (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم)

صرفكم عن الأعداء لأجل تربيبتكم وتزيدكم بالمهارات التي تجعلكم قادرين علي مواجهه الازمات في المستقبل

فجاء النص فيه الاشاره الي تحول الموقف من جانب المسلمين الي جانب المشركين بهذا البلاء وأنه سبحانه وتعالى يربيهم بهذه التجربه ليتعلموا في المستقبل كيف يكون مواجهه الازمات وتكون لديهم مناعه ضدها ففي هذه الواقعه درسا يمنحكم القدره علي اداره الازمات واحتواء أثارها بالنهوض لمواجهه أثارها بشكل شرعي وقانوني بعيدا عن القرارات الارتجالية الفاقده للخبره والمهارات

المفهوم الرابع

يخاطب الله المومنين أهميه الاعتراف بالخطأ وعدم إلقاء تبعنيه الفشل والخذلان علي الآخرين فالمسؤوليه في الفشل تعود اليكم لانكم خالفتم الخطه التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم لمواجهه مخططات الأعداء حيث انكم تركتم مواقعكم وحصل التنازع والاختلاف والعصيان ولهذا فإن هذا كله موجب للعقاب فانتم المسؤولون عن ذلك فعليكم الاعتراف بهذا والندم وهو أمر واجب علي كل مسلم أن يكون لديه الجراه علي الاعتراف بالخطأ وان

لا يلقي اللوم علي الآخرين أو القضاء والقدر نتيجة تقصيرك ومخالفتك وان اول خطوه تكون بطلب العفو من الله فقال تعالى (ولقد عفا عنكم) لتكونوا في المستقبل مدركين قيمه الصبر. والاتفاق فلا تسمحوا بتمزيق القلوب واهميه وحده الصف وان تكونوا فريق واحد في ميادين الجهاد للدفاع عن القيم والمبادئ والعقيدته فقد كانت هذا العفو لتكون تجربته قوه تمدمكم بالاستعداد والطاقات في معارك الايمان ضد الباطل في المستقبل

وهذا إنما يكون بحسن التقييم للمعركه والاحساس بالمسؤولية والتقصير فقال تعالى (ولقد عفا عنكم)

اي أن العفو حصل بعدما علم الله منكم الندم علي المخالفه وان تجاوزه عن مخالفتكم هو من إحسانه سبحانه وتعالى علي المومنين (والله ذو فضل علي المومنين)

أن هذا رحمه منه لأنه فيه تربيه لكم وهو يعفوا للذين يسيرون علي منهجه ويتلقون الأوامر من منهجه فاذا وقعوا في ضعف رجعوا الي الله بالاستغفار طالبين العفو منه سبحانه وتعالى فحماهم الله بعفوا وراعيته

ولهذا فإن الله يقول لنا أن هذه المعركه له حكمه عظيمه من وراء ها فيها رحمه للمومنين بأن تكون لهم درسا في المستقبل ليحذروا الوقوع في المخالفه

فأنت ايه المسلم في أي زمان اذا تعرضت لهزيمه أمام العدو فاعلم أن هنالك خلافا عائد اليك فعليك أن تستغفر الله وتدعوه وتتعترف بخطاك وتطلب من الله الراعيه وتسير علي منهجه حتي لاتستاصل بالكلية عليك أن تظهر الندم لله والتوبه الصادقه والاستغفار لتنجو من العقوبه

خامسا

(إذ تصعدون لاتلوون علي أحد والرسول يدعوكم في اخركم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا علي ما فاتكم ولما اصابكم والله خبير بما تعملون)

تمضي سياق النصوص في نقل صورته حيه للازمه التي أصابت المسلمين حين ترك الرماه مواقعهم وتنقل لنا ماجري لهم من الهزيمه علي يد المشركين حيث أن الموقف انقلب واستولي المشركون علي مواقع المسلمين وصاروا يعلونهم و تشتت جيش المسلمين حيث ساد الهرج والمرج فقال تعالى (إذ تصعدون ... الخ

الأمر الأول

حيث نجد أن نقل صورته الازمه جاء فيها بيان كيف حدثت وآثارها واخطارها ومراحلها وربطها بالمقدمات التي مثلت الجو الحاضن الذي احدثها

فجاء الظرف (اذ تصعدون) متعلق بقوله ثم صرفكم عنهم... فالنصوص تنقل حال المسلمين وماجري لهم حينما ترك الرماه مواقعهم ومخالفه أمر الرسول وما تعقب ذلك من الهزيمه علي يد المشركين فقد تفاجوا بالابعاد من الأرض حال الهزيمه نتيجة مخالفه الرماه والاختلاف والعصيان لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت هذه مقدمات شكلت الجو الحاضن للازمه فحدث عنصر المفاجاه فقدان القدره علي مواجهه الازمات وحدث فصار في دهشه وهول لم يستطيعوا استيعاب الحدث فهرب بعضهم الي الجبل فوق الصخره من الذعر وقام البعض الآخر بالفرار الي المدينه فقال (إذ تصعدون) اشاره الي الصعود الدال علي هروبهم من عدوهم وهم مسروعين هاربين فدل هذا علي فقدان التوازن لديهم وكانوا لايلتفتون لأحد وراءهم من الذعر والانهازم عندما شد عليهم المشركون (ولا تلوون علي أحد)

اي أنهم لم يكونوا ينظروا لأحد ولا يسمعون للنداء كان هنالك خطر عظيم والحال أنه لم يكن هنالك مايستدعي ذلك لدرجه أنهم لم يلتفتوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم الي عباد الله الي عباد الله أنا رسول

اللّٰهُ من كر فله الجنه... الخ

وبالوقوف علي ماتحملة الصورة البيانيه التي ترسمها النصوص نجد الآتي

١

أن المسلمون كانوا يتحركون بلا مقصود ولا اتجاه يتوجهون إليه ولا يطلبون النجاه من عدوهم إنما كانت حركه فوضوئيه عشوائية لعدد سبعمائة مسلم فذكر إذ تصعدون...بضم التاء وهذا إنما يكون في حاله الإسراع نتيجه الهروب من العدو يكون الاصعاد بتلك الطريقه

٢

أنه لم يكن هنالك ثمه خطر يمكن أن يدعوا الي ذلك الاضطراب وانما هذا ناتج عن تشويش الذهن وعدم القدره التعامل علي الازمه

فأراد بهذا تذكيرهم بتلك الأحوال لتكون الهزيمة حاضره في أذهانهم ليعرفوا أنهم المسؤولين عن حدوثها يقول لنا اللّٰهُ أن بدايه تكوين الازمه كان بحصول مخالفه الرماه والتنازع والاختلاف والعصيان لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم فهذه هي المقدمات التي شكلت الجو الحاضن للازمه وان يتجنبوا أسبابها مستقبلا ليعرفوا أن فعلهم كان عظيم المخالفه فيدركوا نعمه الله عندما قال (ولقد عفا عنكم)

فيقول اللّٰهُ انظروا الي النتائج التي نتجت عن فعل صغير وهو مخالفه الرماه فكان ربط النتائج بالمقدمات التي أحدثت تلك البلبله والاضطراب فهي نشاءت نتيجه المخالفه وترك موقعكم

فكان استيلاء المشركون علي موقعكم ومن ثم حدث الإرباك لديكم نتجيه المفاجاه الغير متوقعة وهي انكم أصبحتم في متناول سهام المشركين خطأ بسيط ادي الي ذلك الاضطراب في حركه المسلمون فجاءت النصوص ترسم لنا مشهد لصوره حيه تبين الآتي

١

أن المسلمون صاروا يتحركون بلا مقصود ولا هدف ولا اتجاه معين يتوجهون إليه ولا يطلبون النجاه من اعدائهم وانما كانت حركه فوضوئيه عشوائية لعدد سبعمائة مسلم فاستعمل لفظ (اذتصعدون) بضم التاء وهذا والمراد بهذا بيان أنهم كانوا مسرعين هاربين في حاله إرباك مسرعا من عدو فدل هذا علي الإرباك وعدم قدرتهم علي التعامل مع الازمه اشاره الي نمو الازمه لانهم لم يتوقعوا حدوث الازمه

٢

أنه لم يكن هنالك ثمه خطر يدعوا الي ذلك الاضطراب فقال تعالي (ولاتلوون علي أحد) أنهم لا ينظرون لأحد ولا يسمعون للنداء لتعرف أن ذلك يعود إلي تشويش الذهن وعدم القدره على التركيز والتعامل مع الازمه

و لبيان مخاطر العجز عن التعاطي مع الازمات واكتشاف الخلل فيها فإن هذا يحتاج الي الاحاطه باسباب الازمه وحسن التأويل والفهم للعناصر التي أحدثتها وهو ما يطلب بقاء الذهن صافيا

أن عدم توقع الازمه وعدم الاستفادة من الإشارات المبكره التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يضع كل واحد في موقعه... فقد كان من مخالفه الرماه لذلك حدوث الفشل والاختفاق حال الهزيمه بالابعاد من الأرض ثم الإخفاق في التعامل مع الازمات أثناء الهروب فقال تعالي (ولاتلوون علي أحد) للتعبير عن الهروب من شدة الرعب والخوف واستعمل لفظ (اللي) للتعبير عن الانعطاف الي الشئ وهذا لا يكون إلا للهروب خوفا من أمر لم يتوقعه وان صاحبه مذعورا فهم لا ينظرون لأحد ولا يسمعون لمن يدعوهم يتحركون كمن لاقائد لهم لبيان خطوره الازمه اذا لم تحسن التعامل معها فالنصوص تبين أنه لولا فضل الله عليهم وإحسانه فإن هذه الواقعة كادت أن تعصف بالمؤسسة كلها فأراد بهذا أن يبين لهم اهميه العمل بروح الفريق الواحد وان الاختلاف من أسباب الخذلان

تبين النصوص خطوره الازمه اذا لم يتم الإلتباه لها فيخبرنا الله أنهم نتيجته الذعر والانهازم جعلهم يسبقون الرسول صلى الله عليه وسلم فقد صار الرسول صلى الله عليه وسلم خلفهم وهم متقدمون عليه اشاره الي حاله اضطراب الجيش لبيان ان الازمه لحظه حرجه وان قوه فعلها تبدأ من تحقيق عنصر المفاجأة والتشويش علي الذهن وهو ما يعصف بالمؤسسه ويحدث الضرر ذلك أن هذه المواقف تحتاج التماسك وان تظل السيطره للقياده وهذا إنما يكون بالانضباط وامتنال الأوامر حرفيا في مثل هذه الموقف فلا يكون اختراق هنا او هناك سببا لفقدان سيطره القياده علي الجنود

أنهم لم يستجيبوا للرسول وهو يدعوهم (الي عباد الله الي عباد الله أنا رسول الله من كر فله الجنة) والحال أن دعوته ملزمه عليهم من جانب شرعي أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جهه اخرى أنه القائد العسكري وهو مايجب امتثال أمره فيجب أن تكون القياده مصدر إلهام لنا فأراد بهذا أن يلفت انتباه المخاطبين الي ان عليهم مواجهه الازمات وعليهم طاعه القائد وان النصر مقرون بالاخذ بالاسباب ولهذا يقول لنا الله أن هذه تجربه لابد أن تكون حاضره في أذهانهم في المستقبل

الأمر الثاني

يقول الله لنا أن الازمه تحتاج الي اداره ناجحه من لحظه انفجارها لمنع نموها واتساعها يحتاج الي معرفه أسبابها والعوامل التي تؤثر فيها وموطن الخلل وان عليك في هذه المواقف التصدي لها بما يحقق احتوائها أو الحد من آثارها يجب مراعاة ما توصف بها أنها أمر غير متوقع الحدوث فلا يكون عنصر المفاجاه سببا للإرباك ولا تسمح لها أن تشوش الذهن ولهذا يقول لنا (والرسول يدعوكم في اخركم)

حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يهرب بل ظل ثابتا في ميدان الجهاد ومعه ابوبكر الصديق وبضع أناس من المسلمين وهو يقول (الي عباد الله الي عباد الله أنا رسول الله من كر فله الجنة)

حيث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يذكرهم أن العز والتمكين والكرامه والرفعه تكمن بالعبوديه لله وليس الهروب من ساحه المعركه فهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهو نهي عن الانهازم والفرار لانه يعلم أن المقدمه التي مثلت الجو الحاضن لنشؤ الازمه ناتج عن حب متاع الدنيا في قلوب البعض

فهم بحاجة الي قوه الصبر فيذكرهم بما عند الله من الجنة بأنها أفضل من الدنيا ومتاعها ليغرس فيهم الشوق الي الله والزهة عن الدنيا يربيههم علي الثبات والصمود وعدم الفرار من المواجهه فقد ظل يقاتل حتي كسر رباعيته

دون أن ينحني

الامر الثالث

تأتي سياق النصوص مبينه لنا جوانب من فضل الله وعطفه وإحسانه علي المومنين في هذه المعركه وكيف تفضل عليهم بانعامه ليتجاوز تلك المحنه ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى بعد أن بين لهم حالهم بعد مخالفه الرماه وماجري لهم من الهزيمه وتوبييخهم علي ماكان منهم من الفرار من المعركه نجد أن النصوص تضمنت تذكيرا لهم بنعمه الله سبحانه وتعالى (ولقد عفاعنكم والله ذو فضل علي المومنين)

بأنه قد انعم عليهم ولم يعاقبهم فذكر ذلك من خلال الآتي

المبحث الأول

قال تعالي (فاتابكم غما بغم لكيلا تحزنوا علي مافاتكم ولاما اصابكم والله خبير بما تعملون)

أن النصوص ذكر فيه (فاتابكم غما بغم)

والثواب في الغالب إنما يطلق علي الخير مالم يقترن بذكر العقاب والا فهو مجازي

والله يخبرنا أنه جزاءهم علي المخالفه وماكان منهم غم مقابل غم قيل إن الغم الاول كان بسبب فقدان النصر و الظفر وان الثاني عندما أشيع عن مقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقيل إن الاول ما أصابهم من الهزيمه والثاني فوات النصر والظفر

وقد ذهب المفسرون وأهل اللغه الي اراء ثلاثه بشأن الباء في (بغم)

فمنهم من قال إنها للمصاحبه وهذا يعني أن الغموم كانت متتابعه عقوبه لهم اي اعطاكم غموم متوصله لم تنقطع

ومن قال إنها بمعني علي اي لاتلزم أن تكون متتابعه

ومنهم من قال إنها بمعني البدل اي غم مقابل الذي حصل منكم اي العصيان الذي حصل منكم

وبالرجوع الي ما بعدها نجد أنها ابتدأت بلام التعليل (لكيلا تحزنوا علي مافاتكم ولاما اصابكم)

حيث يفهم من هذا الآتي

١

أن المولي سبحانه وتعالى يقول أن الجزء بالغم كان تربيه للمومنين يعلمهم كيف يواجهون الازمات واحتوائها وصولا إلي انحسار الازمه فيقول الله لنا أنظروا الي فضل الله عليكم من خلال الغموم التي عوقبتم بها لتكون درسا لكم لمواجهات الازمات(لكيلا تحزنوا علي مافاتكم ولاما اصابكم)

فيقول لنا الله أن هذه التجربه لتدركوا اهميه الحفاظ علي الهدو ومنع عنصر المفاجأة من التشويش علي اذهانكم أو شل حركتكم لترجع كل شي الي قدر الله مع الأخذ بالاسباب

ولهذا فإن الغموم التي حصلت متتابعه امتصت الازمه لماذا ؟

لأن البدايه حصل غم لدي المسلمين لانهم فقد النصر والظفر والغنيمه التي كانوا يطمعون بها بسبب ترك مواقعهم وهذا غم شديد ثم تبع ذلك اشاعه مقتل النبي صلى الله عليه وسلم ولاشك أن هذا الخبر أصاب المسلمين بالفاجعه غم كبير فكان له وقعا كبيرا لديهم

وعندما زالت الغشاواه ووجد الرسول صلى الله عليه وسلم وراه الناس من الموكد أنه زال عنهم غم الحزن علي مافاتهم من النصر والظفر والغنيمه وزال عنهم غم ما أصابهم من القتل والجرح

فكانت تلك الغموم من عوامل علاج الازمه واستطاعوا العوده الي الهدوا الفكري الذي يحتاجونه لاحتواء عامل المفاجاه والتشويش الذان يكونا مصاحبين للازمه وتلافي الاضطراب

وهذا فعلا فضل عظيم كان به استعادة السيطرة والنظام داخل جماعه الاسلام

واهم عوامل انحسار الازمه فأنت مثلا اذا وصلك خبر أن منزلك احتراق فإنك لابد أن تحس بغم المصيبه لكن إذا وصل الي علمك أن منزلك احتراق وبداخله أهلك وأولادك لابد أن الغم عليك سيكون عظيما

فكيف إذا وصل لعلمك أن اولادك واهلك نجوا وان الضرر بالمنزل فقط لابد أنك سوف تفرح وتقول الحمد لله كل شي يتعوض الا الارواح

وكذلك قد يقول لك أحدهم عليك أن تسافر الي مكان ما علي متن سياره وانك عندما تصل إلي هذا المكان سوف يعطيك مبالغ طائلة من الأموال وحدث أن حصلت لك ظروف منعتك من تنفيذ طلبه فإنك لابد أن تكون حزين علي ما فاتك من مكاسب لكن إذا وصل الي علمك أن السياره تعرضت لحادث لم ينجوا منه أحد فإنه سوف يزوال حزنك وتشعر بالفرح لانك لم تسافر حسبما طلب منك

ولهذا يقول لنا الله تعالي عليكم أن تفهموا أن كل شي يتم وفق تدبير الله ولهذا فلا تحزنوا اذا فاتكم اي مكاسب لأن ن ذلك لم يكن مقدر لكم وعليكم أن ترضوا بقدر الله إذا اصابتمكم مصيبه فكل ماياتي من الله هو خير. وبهذا نتجنب الوقوع تحت تأثير المفاجاه والتشويش اللذان يصاحبان الازمه

٢

يقول لنا الله أن ما حدث في أحد هو لأجل أن تتمرنوا علي مواجهه الشدئ بالصبر والتقوي والتوكل على الله والايمان والعزيمه مع الاخذ بالاسباب والسنن هي من الأمور التي تشكل سلاح المومن في مواجهة التحديات واحتواء الازمات

وذلك لأن الكثيرون يعرفون الله بأسماءه وصفاته وأمره وزواجه وآياته ويعبدونه لكنهم ناقصون من حيث التوكل علي الله والاستعانة به فتجدهم يضعفون أمام الازمات ولايصمدون أمام الازمات والتحديات وتراهم يصابون بـ الفزع والجزع فهو لاء وان كانوا حسن النوايا الا أنهم لايعرفون الطريق الموصل الي الله

ولهذا فإن المومن يصبر وقت الشدائد إيمانا صادقا منه بقضاء الله وقدره ويأخذ بالاسباب أن كان بمقدره بالفرار الي قدر الله وقد ورد عن علي ابن ابي طالب أنه سأل ابوبكر الصديق فقال كيف سبقتنا الي المنزله التي سبقت فيها يوم فر الناس قال سيدنا ابوبكر ان ذلك بخمسه أمور الاول وجدت الناس صنفين صنف مريد الدنيا وصنف مريد الاخره فكنت مريدا المولي

الثاني منذ دخلت الاسلام ماشبعت من متاع الدنيا وطعامها قط لاني انشغلت بطلب معرفه الله

والثالث

منذ دخلت الاسلام ماشريت من الدنيا لأن محبه الله كانت هي شرابي

والرابع

كلما تعارض أمرين امامي أمر الدنيا وأمر الآخرة أثرت أمر الآخرة علي الدنيا

والخامس ذكر فيه مصاحبته للرسول صلى الله عليه وسلم

٣

جاء التعقيب (والله خبير بما تعملون)

أنه سبحانه وتعالى مطلع علي المقاصد والبواعث والنوايا لدي المومنين والأعمال فكان فضله وعفوه سبحا نه
وتعالى مناسبا لحالهم وتربيته لهم وان الغم المتتابع كان لأجل تفتيت الازمه وتخفيف تأثيرها رحمه بالمومنين

المبحث الثاني

تاتي سياق النصوص بامتنان الله علي عباده بما أنزل عليهم من السكينه والاطمئنان من الغم وذلك بنعمه النعاس
التي القاءها الله في قلوب المومنين فقال تعالى (ثم انزل عليكم من بعد الغم امنه منه نعاسا)

فإن في هذا النعاس الذي هو اخف من النوم لانه مقدمه النوم اي اعطاكم الله هذه النعمه بعد الهزيمه والرعب
الذيض اصابكم حيث أن ذلك كان فيه اختفاء الازمه لأن النعاس في هذه الموقف فيه طمأنئنه القلب فالخائف لا
ينام لانه مضطرب فدل هذا علي أنه حصل زوال الخوف حيث ذكرت الروايات أنهم ناموا والسلاح في أيديهم
وهذه نعمه عظيمه لأنها تزود المحارب بالطاقه والنشاط والقدرة علي التفكير الهادئ ولفظ انزل يعني أنه ليس له
علاقه بالاسباب الماديه

والنصوص تبين اختفاء الازمه حيث ذكر قبلها مرحله انحسارها

ثم ذكرت النصوص أن المومنين كانوا فريقين عندما القي الله النعاس عليهم منهم المومن الكامل الذي يومن ب
الله ويعرفه بأسماء ه وصفاته وزوجره اي يعبده وايضا يستعين به ويتوكل عليه ويومن بقضائه وقدره فهو لاء
هم الذين انتفعوا بالنعاس فقال تعالى (يعشي طائفه منكم)

لأنهم استسلموا لأمر الله لأن همهم العقيدته هم قد باعوا أنفسهم لله تعالى ولم يستبقوا منها شيئا ولهذا فهم
يعرفون الطريق الموصل الي الله تعالى فهم بذكر الله يجدون الطمأنينة ف الله يقول لنا في موضع آخر (الابذكر
الله تطمئن القلوب)

وأن الفريق الثاني هم الذين لم ينتفعوا بنعمه النعاس فهم كما يبدو من ظاهر النصوص مومنين لكن فيهم ضعف
إيمان في جانب الاستعانه والتوكل علي الله رغم إيمانه بالله وأسماء ه وصفاته وزوجره اي يعبده كما أوضحنا
لكن وقت الازمات يصيبه الجزع والفرع فتراه عاجزا امام عدوه الباطني أو الخارجي فهذا وان كان حسن النيه

فهو لا يعرف الطريق الموصل الي الله

اي أنهم ناقصون من حيث الاستعانه بالله والتوكل على الله والايمان بالقضاء والقدر

فهم مومنون لديهم ضعف ايمان وليسوا منافقون كما ذهب البعض بدليل قوله (قد اهتمهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهليه)

فهم ليسوا أهلا لاستقبال مانزال الله من الطمانينة فأخبرنا أنهم ضعاف أمام عدوهم الباطني النفس والخارجي نتيجته عدم معرفه الطريق الموصل الي الله وذكر أنهم ليسوا أهل جاهليه لكن الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية لديهم فيها شؤائب فلم تتخلص من ركام الفكر الجاهلي وقد ذكر الله في بدايه (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما... الخ

وهذا يعود إلي أنهم لم يكن منهم الاستسلام والخضوع والاذعان والانقياد لأمر الله لم يحصل بعد تسليم أنفسهم لله بالكليه وفقا للصفقه (أن الله اشترى من المومنين أنفسهم.... الخ

فهم لديهم ضعف لانهم لم يحملوا فكره الاسلام ولم يكن الدين هو الهم الذي يخافون عليه لانه لو حصل ذلك لما صار منهم الانانيه بالتفكير في أنفسهم فكان ذلك سببا للضعف والاضطراب ووعدم قدره علي التعامل مع الاحداث ولاتفسيرها

فأشار الي أن السبب همهم أنفسهم لبيان أنهم منشغلون بأنفسهم ولم ينشغلوا بأمر العقيده التي تقتضي التسليم الكامل منك لله فلا تستبقي من نفسك شيئا وهو مايلزمها الرضي والتسليم والقبول بأمر الله

لكن هذه النفوس لم تكن مهتمه الا بأنفسهم فهم مترددون فهناك خلل في تفكيرهم وتصورتهم يرون أنهم دفعوا الي المعركة دفعا رغما عنهم فقد صار الخوف من القتل سببا مانعا من الانتفاع بالنعاس

فالمراد بهذا بيان اهميه تربيته المومنين علي عباده الله والاستعانة به (اياك نعبد واياك نستعين)

ولهذا يقول الله تعالى مبينا لنا أن المتخاذلون عن المنهج ومن لديه ضعف في الإيمان هم المنهزمون لأن المعركة هي معركة مبادئ فقال (يقولون هل لنا من الأمر من شيء)

فالنصوص تبين لنا جوانب من الهزيمة الفكرية والنفسية لديهم فأشارت الي اعتراض هؤلاء علي خطه القتال والقياده والمعركة اشاره الي أن رأيهم كان عدم الخروج من المدينة وهو رأي ابن سلول

فجاء الاستفهام الانكاري نتيجته سوء فهم ما حدث في المعركة فتصوروا أن الهزيمة سوف تعصف بالعقيدة

ولهذا يبين لنا الله اهميه غرس عقيدة الايمان التي تؤدي الي الاستسلام والخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله وربط الأسباب بالله سبحانه وتعالى (قل أن الامر كله لله)

أن اللازم عليكم أن تؤمنوا بالله باليقين وان كل شيء يتحرك وفق تدبير الله وحكمته وبقضاءه وقدره وأنه سبحانه وتعالى ينصر أوليائه أن هم صبروا واحتملوا

فالهزيمة وقعت للمتخاذلين عن منهج الله الذين لم يكن همهم الاسلام ولا الدفاع عنه لانهم طلبوا السلامه لأنفسهم ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا عليكم أن تفرقوا بين المبدأ الاسلامي والمنسبون للمبدأ فلا يمكن أن يكونوا المنسبون حجه علي المبدأ عندما لايتزمون ولهذا يقول لنا الله أن هؤلاء لم يفهموا حقيقه المبدأ الاسلامي نتيجته خلل ناتج عن حاله النفسيه والثقافه التي هي من اثار ركام الفكر الجاهلي فقال تعالي (يخفون في أنفسهم ما لايبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيئا ماقتلناها هنا)

فنفوسهم ملئيه بالوسوس وهم لا يظهرون مافيها من الاحتجاج والاعتراض ولهذا فإن سؤالهم لماذا لم ينصرنا الله ونحن أهل دينه يخفي وراءه الضعف في العقيدة فهم يتذمرون يقولون خرجنا لقتلهم فقتلونا قاصدين بذلك إلقاء التبعية علي الرسول صلى الله عليه وسلم لانه أخذ برأي الشباب ولم يجلس في المدينة فيرون أن الخروج كان خطأ استراتيجي اصابهم بالقتل ويلقون باللؤم علي القيادة ولم ينظروا الي أن لله حكمه وان هذا ابتلاء وامتحان من الله ولهذا تأتي النصوص لتصحيح تلك التصورات الفاسده ولزاله ركام الفكر الجاهلي من الاوعيه القلبية و النفسية والعقلية لديهم فقال تعالي (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الي مضاجعهم وليبتلي الله مافي صدوركم وليمحص مافي قلوبكم والله عليم بذات الصدور)

١

يخبرهم الله أن مساله الحياه والموت بيد الله للرد علي من قال لو كان لنا اختيار في الخروج وتدبير أمر المعركة لم حصل لنا القتل فجاء تلقين الله نبيه صلى الله عليه وسلم (قل)

يعلمه كيف يرد عليهم فيقول قل لهم يامحمد لو أنكم جلستم في بيوتكم ولم تشهدوا الحرب مع المومنين ولم تحضروا ولم تلبوا النداء

فإن الحذر لايدفع القدر ولايقاوم قضاء الله فذكر (لبرز الذين كتب عليهم القتل)

وبرز من الظهور اي لخرج ولظهر الي الموضع الذي كتب أن فلان سوف يقتل فيه فلاسباب وان عظمت لن تنفع ولا قدره لها علي معارضة القضاء والقدر فإن الله سوف يهئ من الأسباب الداعيه الي خروج هولاء الي المكان المحدد في قضاء الله وقدره أنهم يموتون فيه فقال (الي مضاجعهم)الي مكان الاضطجاع لأن الموت مثل النوم والقبر هو آخر مكان يستقر فيه الإنسان في الدنيا ليبدأ حياه أخرى بعدها

والمراد بهذا أن يغرس في النفوس القبول بأمر الله وقضائه وقدره فأنت عليك ان تشعر بضعفك أمام قدر الله وقضائه وليس امامك الا الاستسلام

٢

(وليبتلي الله مافي صدوركم)

أن الله لم يستنصركم بأن شرع الجهاد من ذل فهو له جنود السموات والأرض وهو الغني وانما أراد أن يختبركم فاستعمل لفظ الصدور لكشف حقيقة النوايا وتميز الصفوف ليخرج المنافقون

٣

وليمحص مافي قلوبكم

التمحيص التنقيه للقلوب من الأوساخ العالقة ليري الصابر وقت الشده والشاكر وقت الرخاء اي تمحيص مافي القلب لا القلب نفسه فالازمات كبر الرجال

٤

والله عليم بذات الصدور

أراد بهذا أن تشعر أنك لن غير قادر علي اخفاء شي علي الله فهو يعلم ماخفته في صدرك وما اكنته فكل شي في علمه وحكمه وهو سبحانه وتعالى قد قدر من الأسباب ما يظهر ماتخفي الصدور فيظهرها للناس لأن هذه الأوقات

تظهر المشاعر الخفيه

سادسا

تنتقل النصوص الي مساله الضعف الذي أصاب المومنين نتيجه الهزيمه وما تعقب ذلك من الفرار الي المدينه تاركين الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (أن الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان إنما استزالمهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم أن الله غفور حلیم)

الايه تناقش مساله الذين فروا الي المدينه بعد مخالفه الرماه أو أنها تشير الي المخالفه التي حصلت من الرماه أنفسهم لانهم ظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم سوف يحرمهم من الغنائم اذا لم ينزلوا

ولكن الواضح أن المراد بهذا هم الذين فروا الي المدينه لأن موضوع الرماه قد تناولت النصوص قبل هذا ذكر العفو من الله لهم اضافه الي ذكر مساله التوالي وقت التقاء جيش المسلمين بجيش المشركين وهذا إنما يدل علي الذين فروا وعلي العموم فإن النصوص فيها تصوير لحاله النفس البشريه عندما ترتكب الخطيئة

فالنصوص تبين حاله الضعف أمام العدو الباطني النفس بأن ارتكابها الخطايا تكون من أسباب تسلط الشيطان عليك فقال تعالى (إنما استزالمهم الشيطان)

اي دعاهم الي الزله والزله تعني الخطيئه فالمعاصي تكون مقدمه تفقد النفس قوتها علي مقاومه العدو الباطني و الخارجي فهي تضعف حتي تصبح مطيه للشيطان (ببعض ما كسبوا)

وبالتالي فإذا هزمت فعليك أن تبدأ بالدعاء لله تعالى بالاستغفار لأن الهزيمه من أسبابها المعاصي والذنوب فهي تعطي الشيطان سلطان عليك ف الله يقول (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان)

فعليك أن تسد الثغرات وتعود الي حمي الله ورعايته

وهنا يأتي التعقيب (ولقد عفا الله عنهم)

تجاوز عن أخطاء المومنين الذين خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وفروا هاربين الي المدينه وهذا من رحمته وفضله وانعامه وإحسانه فقال تعالى (أن الله غفور حلیم)

اي أنه حلیم لم يعجل لهم العقاب متي علم من النفوس الندم والتوبه الصادقه وانهم لم يكونوا متمردين ولا معاندين علم أنهم لم يكون منهم الابق والتفلت وانما توبه صادقه فالحلم ناتج عن العلم

القسم السادس

بعد تشخيص النصوص الداء الذي كان يعاني منه بعض المسلمين وهو أن لديهم ضعفا في الايمان من جهه القضاء والقدر فقد تسلل الشيطان الي قلوب وعقول البعض من هذه الثغره فالقي فيها الأفكار الخسيسه الضاره وحال بينهم وبين ما ينفعهم من الأفكار النافعه فحصل من البعض الفرار والتوالي هاربين الي المدينه والخوف الذي منع البعض من الانتفاع بالنعاس فلم يستطيعوا أن يجمعوا عزيتمهم وظهرت بعض صور اللؤم والتردد من البعض فقالوا (ليس لنا من الأمر من شيء... الخ

مثلما ظهر التوالي وعدم استفراغ ما بوسعهم للدفاع عن المبادئ ولم يبذلوا مجهودا يليق بدورهم فذكر الله أن هو لاء كان لديهم خلل يعود إلي المعاصي والذنوب التي مكنت الشيطان من بيت أفكارهم وقلوبهم

وخلاصة القول إن الداء يعود إلي ضعف الفعل نتيجة المعاصي والذنوب التي كانت سبب الخذلان وذكر قبلها أن داء الذين لم ينتفعوا من نعمه النعاس يعود إلي خلل في العزيمه فهم لم يبيعوا أنفسهم لله بالكلية ولهذا فقدوا القوه التي تمنع ضعف الارده والهमे فحدثت النتيجة وهذا كله ناتج عن ضعف في الإيمان من جهة القضاء والقدر

ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بالنداء الذي تدعوا فيه المومنين الي الايمان بالقضاء والقدر مبينا أن الموت و الحياه بيده سبحانه وتعالى كاشفا عن زيف وفساد تصورات الكفار والمشركين فقال تعالى

(يايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم اذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزي لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسره في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير

ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفره من الله ورحمه خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لا لي الله تحشرون)

أولا

أن الدعوه من الله للمومنين للإيمان بالقضاء والقدر جاء مقرونا بالتحذير من التصورات الفاسده التي تشكل أساس تفسير الكفار والمنافقون لمساله الموت والحياه فقال تعالى (يايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم اذا ضربوا في الأرض...الخ

فالله سبحانه وتعالى يقول انتبهوا من الأفكار والخوטר الرديئه التي يروج لها الكفار والمنافقون والتي يراد منها التثبيط للارده والهमे فانتم مومنون وتختلفون عنهم لأن الايمان يعني التصديق الجازم واليقين وبالتالي لا تسمحوا لهذه الأفكار والخوطر أن تغزوا بيت أفكاركم وقلوبكم لأن هذه الأمور الاربعه الفكر والخواطر والارده و الهمة هي اهم الامور في سعادتك أو شقاوتك لأنها هي التي تقربك من ربك ومعبودك ونيل رضاه عنك

أو تبعدك عن ربك وتنال سخطه وفي ذلك شقاوتك

ولهذا قال تعالى (ليجعل الله ذلك حسره في قلوبهم)

لبيان خطوره تلك الأفكار والوسوس والخوطر علي الإنسان أن سمح لها أن تقتحم بيت افكاره فإن هذا الاقتحام يعقبه غزو الارده وقتلها واجتثاث الهمة فتصاب بالخسه والدناه نتيجة الأفكار الخسيسه الضاره فتكون عقوبه الله عليهم اشتعال نيران الضعف في قلوبهم لتحول بين صاحبها وبين ما ينفعه فهو حينها يعيش في جحيم الحسره و القلق والتوتر النفسي والاضطراب

فالخذلان عقوبه لهم فهم يبتعدون عن الله ولهذا تنقطع صلتهم بالله ولايجدون العون عند النوزال

ويعيشون في القلق فقال تعالى (ليجعل الله ذلك حسره في قلوبهم)

وتبين النصوص لنا مصيبه هولاء لنحذر ذلك فيقول لنا الله أن أحوال العبد متقلب بين الأوامر والنوزال والعبد مضطر الي العون من الله عند الأمر والي اللطف عند النوزال فذكر الله (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير)

أنه بيده الحياه والموت وبالتالي فإن هذه القلوب لو كانت موصله بالله لم أصابها فقدان العزيمه والانهييار فعليكم الانشغال بمعرفه الله ومحبهه وتوحيده وطاعته وحقوقه والتفكير في الموت ومابعده بدل الانشغال بالنوزال وان عليك أن تفهم أن الله تعالى مطلع علي الأعمال (والله بما تعملون بصير)

وهذا فيه لفت انتباه المومنون الي الآتي

الأمر الأول

لفت انتباه المومنين وتحذيرهم من الأفكار والخوطة الرديئة التي أحكمت قبضتها علي الكفار فهي قتلت فيهم الا رده والهمه وشلت العزائم وافسدت حياتهم والنص جاء مبينا التصورات التي أفسدت حياه الكفار بشكل عام وليس يقصد منه مازعم البعض أن الكفار الذين لم يلتحقوا بالإسلام كانوا يقولون لإخوانهم في النسب والقرايه والذين أسلموا لتبيطهم اذا اردوا الخروج والسفر للتجاره ونحوه أو للجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وماقتلو...الخ

فهذا القول لا يستقيم طالما أن الله ابتداء النداء للمومنين وذكر (لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم)

فلفظ أنهم قالوا لإخوانهم لا يمكن أن تطلق علي اخوه النسب لأن الإسلام قد جمع المومنين في نطاق اخوه الايمان وذكر هذا يدل أن التبييط كان لإخوانهم في الكفر كما يقول تعالي في موضع (أن الكافرين كانوا اخوان الشياطين)

إلا إذا كان المقصود انهم قالوا ذلك للمنافقين لا تخرجوا للجهاد مع المسلمين أو أنهم قالوا لباء الشهداء الذين قتلوا في أحد لو أننا منعنا اولادنا من الخروج مع محمد ما ماتوا وماقتلو باعتبار أن هؤلاء الآباء مازالوا علي الشرك فيمكن حمل النص علي ذلك المعني

لكن سياق النصوص جاء فيه معني عام يهدف إلي تربيته المومنين وتنقيه الاوعيه القلبية والنفسية والعقلية من الأوساخ العالقة من الفكر الجاهلي

الأمر الثاني

أن المراد بهذا النهي عن التشبه والمماثلة للكفار في الاعتقاد أو التبييط للآخرين من الفاعليه الإيجابية للحركة فيقول الله انتبه أن تمنع ابنك من المشاركة في الجهاد او الحركة في الأرض بالسفر وكسب الأرزاق نتيجة الخوف عليه من الموت في المعركة أو مواجهه مخاطر السفر فأنت ايه المسلم مكلف برفع الظلم عن المظلومين ومكلف ب القيام بالعمران علي الارض

فأنت مومن بقضاء الله وقدره وتدرك أن الحياه والموت بيد الله فكل شي يتحرك وفق مشيئه الله فما ينفعك الجلوس في البيت طالما وكل شي بيد الله

فصاحب العقيدة مطمئن لقدر الله فالله لايسال عما يفعل ولهذا فالمومن لا يصاب بالحسره ولا الفزع ولا الخوف فهو يأخذ بالاسباب ويتوكل علي الله في كل حركة لانه يعبد الله في كل فعل

فهو شاعرا برقابه الله ويدرك دوره في هذا الكون فهو خليفه في الأرض ولا بد من القيام بأمر الله والعمل علي نشر منهج الله فهو ينظر إلي الأمور نظره عميقه أما الكافر فهو ينظر بسطحيه لاتتجاوز الماديات فيتوهم أنه بمقدوره منع القدر أن يحدث فهم في تردد وانهزم فيقول لنا الله انتبهوا أن تصيروا مثلهم

ثانيا

انتهت الايه الكريمه السابقه بالتعقيب (والله بما تعملون بصير) علي دعوته المومنين بالإيمان بالقضاء والقدر وعدم التشبه بالكفار

والنص يفهم منه أن هنالك ثمه تهديد وهو مرتبط بما بعده (ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لمغفره من الله ورحمه خير مما يجمعون)

حيث أن هذا الارتباط ظاهر فهو يقول لنا انتم مكلفون باقتحام ميادين الحياه السياسيه والعسكريه والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعد الأخذ بالاسباب والسنن عليكم التوكل علي الله فانتم في كل ميدان تتحركون فيه

مجاهدون تعبدون الله فعليكم أن تشعروا برقابه الله وان تكونوا صادقين مع الله في جميع أموركم مع صدق العزيمه وصدق الفعل لأن في ذلك سعادتك الحقيقة فعليكم جمع العزيمه الصادقه مع الله وصدقها هو أن لا تتردد ولا تلؤم فهذا أن حصل منع ضعف الارده والهيمه ثم عليك بعد ذلك أن تكون صادقا في الفعل بأن تتوجه به الي الله باستفرغ الوسع وبذل المجهود وهذا ما يمنع الكسل والخمول والفتور فأنت مكلف ولك اختيار فيما يتعلق بالتكاليف الأمور بها وبنفس الوقت انت مجبر فيما هو خارج عن اردتك واحوالك متقلبه بين ذلك أي احكام الأوامر وأحكام النوزال ولايكتمل ايمانك الا بأن تكون صادقا في العبوديه والاستعانة ولما كان العبد محتاجا لاعانه الله عند الامر والي اللطف عند النوزال وعلي قدر امتثال العبد لأمر الله يحصل له اللطف عند النوزال ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يقول (ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لمغفره من الله ورحمه خير مما يجمعون)

فذكر اهميه الاخلاص والتوكل علي الله في العزيمه والفعل بأن يكون مرادك هو ارضاء الله (في سبيل الله)

فإن هذا يعني الاتصال بالله بالمحبه في امتثال أمره فلا تتعلق بشي غيره وإن تتصل العزيمه بالله تعالي وهنا يحصل للعبد عند النوزال السكينه والاطمئنان وتزوال عنه مظاهر القلق فهو يطلب أن يصل الي الله أنه منشغل بمشاهده لطف الله عن شدة ما هو فيه من الالم فالفرح والسرور بنظر المومن يكمن في فضل الله ورحمته لانه لا فرحه الا بعفو الله وتجاوزه عن ذنبك (لمغفره من الله ورحمه خير مما يجمعون)

لأن ذلك يعني الوصول إلي رضوان الله عنك فإذا حصل ذلك نلت السعاده الابديه

وان الخساره الحقيقه هو أن يسخط الله عليك

ثالثا

ان النصوص فيها الترغيب والترهيب فالله يقول إن طالب النفع الي الله والدار الاخره لابد أن يكون شجاعا مقدما له همه عاليه غير مقهور تحت سلطان حب الدنيا يقول إنه يجب أن يكون عاشقا لمحبوبه عارفا بالطريق الي الله فلا يخاف المصاعب ولا لؤمه لائم صابرا لأنه يدرك أن رضاء الله فيه السعاده فهذا هو الذي تتنافس عليه النفوس الشريفه

ولهذا يقول لنا الله (ولئن متم لا الي الله تحشرون)

أن الناس مسافرون في هذه الدنيا وهم سوف يصلون أما إلي الجنه او النار

فعليك أن تدرك أن الدنيا ليس فيها راحه لانك مسافر فيها وأن دار القرار الذي فيها النعيم والراحه أو العذاب والشقاء هي الدار الاخره

وان المسافر لابد أن يعاني المشقه وركوب الأخطار وليس بين المومن وبين الجنه الا ستر الحياه فإذا جاءه الموت انتقل إلي الجنه والنعيم

وأنه ليس بين الكافر وبين النار الا ستر الحياه فإذا جاء الموت انتقل إلي النار

ولهذا فإن المومن لا يخاف الموت لان الشوق الي الله يجعله لا يخاف وهذا الشوق يجعله يزهد عن الدنيا وما فيها ويصبر علي الشهوات والملذات اشتياق لما عند الله وخوفا من العذاب

فالموت حق ويجب علي المومن أن يكون في حاله ترقب الموت ليكون ذلك دافعا له الي المبادرة للأعمال الصالحه قبل أن يدهمه الموت

القسم السابع

فبما رحمه من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله أن الله يحب المتوكلين إن ينصركم فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وما وئنه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

اولا

(فبما رحمه من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله أن الله يحب المتوكلين)

ابتدأت النصوص بالاشارة الي المعامله الحسنه التي قابل بها النبي ص للصحابه علي ما كان من المسلمين من المخالفه لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ومانتج عن ذلك من هزيمه للمسلمين فالنصوص تبين لنا تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم بالحسني مع الصحابه بعد كل تلك الأمور العظام التي ارتكبت منهم والتي من شأنها التعنيف بمقتضي طبيعه البشر لانهم طرحوا النبي صلى الله عليه وسلم في موضع حرج وعرضوا الدوله للخطر وهو يدعوهم الي الثبات والصمود ومع ذلك تعامل معهم بالحسني والبسيير والسهوله لم يستخدم اسلوب الشده في اللؤم بل تعامل بالرفق والقول الحسن وكان شئيا لم يحدث منهم فقال تعالي (فبما رحمه من الله لنت لهم)

١

أن اداره الرسول صلى الله عليه وسلم للازمه بذلك التعامل والسلوك الذي كان فيه احتواء الضرر والحد من اثار الازمه

يعود إلي رحمه التي أودعها الله في قلبك الرحمه والعطف فصارت بها سهلا لينا قريبا من المسلمين فسبب ذلك لم يكن منك الاندفاع وراء الاستفزاز الذي كان يتوقع منك بعد كل تلك الأمور العظام التي ارتكبت من الصحابه و التي من شأنها التعنيف بمقتضي طبيعه البشر لانهم طرحوا النبي صلى الله عليه وسلم في موضع حرج وعرضوا الدوله للخطر في وقت اشد مايكون بحاجه إليهم وهو يدعوهم إلى الثبات والصمود ولم يستجيبوا للنداء ومع ذلك تعامل معهم بالحسني لم يستخدم اسلوب الشده واللؤم فهو لم يرغب أن يوسع نطاق الازمه فيقول الله لنا أن ادركه النبي صلى الله عليه وسلم للازمه كان برحمه من الله الموهوبه منه فاسناد الرحمه إليه لبيان أنها عظيمه فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب للمؤمنين أن الرفق والقول الحسن وبشاشه الوجه الذي عامل به الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه عقب احداث احد وبرغم ما حصل منهم من أخطاء فادحه هي بسبب ما أودعه الله في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فناسب ذلك المهمه التي كلف بها الرسول صلى الله عليه وسلم في التبليغ وتربيته المؤمنين علي كفييه مواجهه الازمات فكان لينا في معاملته وكل أحواله فهانت عليه المصائب وعلمه تعالي مالها وعواقبها

فالله يقول أنه جعل تلك الطاقه التي أودعها في قلب نبيه رحمه منه تعالي بالنبي وأتمته ليكون منهم الاقتداء ب الرسول صلى الله عليه وسلم في معامله الإتياع واداره الازمات

٢

يقول لنا الله أن اداره الازمات أمر في غايه الخطوره اذا لم تحسن التعامل معها واحتواء آثارها فإنها تعصف ب المؤسسة ولهذا يبين أن اخلاق الخير التي جاء بها القرآن لتربيته المؤمنين بالانتقال من حاله الطبيعيه الي الخلق فيقول لنا أن الرفق والقول الحسن تنشأ عنه الطلاقه اي بشاشه الوجه وهذه حاله موجوده عند كل الناس حتي

الطفل الرضيع يظهر البشاشه اذا شاهد شخص يحبه

لكن الوصول إلي خلق الرفق إنما يتولد من استعمال هذه الملكه في موضعها

وهو ما يحتاجه القائد أو الداعيه وصاحب كل فكره فلا بد أن يكون صاحب قلب كبير يعطي ولا يطلب يتبني هموم الجماهير ويهتم بشؤونهم ويعيش أفراحهم واحزانهم

فالقائد يحتاج أن يصل الي قلوب الإتياع ليكون اقناع الآخرين بشخصه وبما يحمله من فكر ودعوه فإذا كسب ثقتهم كان بعد ذلك العمل من أجل إصلاح أوضاع المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية

ولهذا فان إقناع الناس بشخص الداعي وكسب ثقتهم من أهم وأخطر مراحل الدعوه لأن تبليغ الشرائع لاتتم الا اذا مالت القلوب الي الداعيه وسكنت النفوس له ولافكاره

ولهذا يقول الله تعالي لنبيه (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)

لو تعاملت مع الناس بالخشونه في القول وقساوه القلب فإن هذا سوف يولد النفور فقال تعالي (لانفضوا من حولك)

اي لبعدوا ونفروا وقال من حولك ..ولم يقل لانفضوا منك

وفي هذا المبالغه في التباعد لدرجه أنهم لا يقتربون من المكان القريب منه الرسول لبيان خطوره الموقف اذا لم يتم الإنتباه له فأنت بحاجة في هذه الأحوال الي تفتيت الازمه واحتوائها ومعالجه الخلل وتقليل الأضرار بحاجه الي ترميم الأضرار وتحويل الفريق الذي كان أحد الازمه الي فريق يعمل مع المؤسسه ولصالحها

وهو ما يتطلب من القائد الرفق بالاتباع والعمل تلافي ذلك في المستقبل من خلال التحليل للازمه وأسبابها ودراسة أحوال الناس وظروفهم لماذا

لأن استعمال ملكه الرفق في محلها تعني عدم معامله الناس معامله واحده وان اختلفت ظروفهم فلا بد من مراعاة تلك الظروف والعمل علي تربيتهم بما ينسجم مع تلك الأحوال والظروف فالمسلمون كانوا قد اعتادوا علي أموراً من الجاهليه ولذا كان لابد من ازاله ركام الجاهليه واعاده اثاره الاحساسيس لديهم بعملية تربويه تدرك الطبيعه البشريه ولهذا تكشف لنا النصوص جانباً من طبيعه البشر التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمراعاتها وهي أن الناس يالفون من يالفهم ويحسن إليهم ويصفح عنهم ويبغضون ويكرهون حاد الطبع الشرس الغليظ

وهو ما يجب علي كل داعيه أن يدركه وان يحذر من الغلظه في القول وقساوه القلب فإذا كان الله يخبرنا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم صفوه وخيره أهل الإسلام سوف يتفرقون عن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان فظاً غليظ القلب

فماذا تتوقع ايه الدعيه في هذا الزمان من الناس إذا تعاملت

معهم بخشونه القول وقساوه القلب هل تتوقع منهم أن يطيعوك ويتبعوك وانت تصغر خدك للناس من الموكد انك لن تجد منهم إلا المقت والنفور

فقد أخبرنا الله أن الصحابه رضوان الله عليهم لو تعامل معهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخشونه في القول وقساوه القلب بأنهم لن يطيعوه وهو رسول الله وطاعته واجبه شرعاً فاللزام علي كل داعيه أن يفهم ذلك

تبين النصوص اهميه احتواء الضرر والحد من آثاره النفسيه والاجتماعيه و استعادته النشاط وترميم اثار الازمات فبين الأسس التي يجب أن يسلكها كل داعيه بما يودي الي وضع نظام إداري يضمن دوام الالفه

الأمر الأول

فاعف عنهم

العفو عن صاحب الذنب الذي يستحق العقوبه علي فعله فانت هنا تقف بين تنفيذ العقوبه سواء حسب ...الخ

أو العفو وهو التجاوز عن اخطاءهم وهو يتطلب استخدام الملكات في موضعها وهنا ينظر إلي الإصلاح بالنسبة للشخص أو الجماعه هل تنفيذ العقوبه ام العفو ايهما افضل في تحقيق الغرض فجاء الأمر بالعفو لمنع توسيع نطاق الازمه

يقول الله لنبيه ينبغي عليك التحول بحاله الطبيعيه في الرفق والقول الحسن بهم من بشاشه للوجه الي خلق نابع من داخل النفس فأمر نبيه بالعفو والصفح من داخل نفسه عن الذين خالفوا في أحد

فالله يقول لكل قائد عليك أن تعفوا بنيه صادقه وليس مجرد مرحله تجتاز بها الازمه وانت في قراره نفسك تحمل حقدًا تنتظر أن يحل الهدوا لتبدأ بالانتقام من كل من خذلك فليس المراد باحتواء الازمه بدفع الضرر باستعمال العفو ترحيل العقوبه لا بل يجب العمل علي وضع نظام ادري يضمن دوام الالفه

فالعفو المطلوب هو الذي يفتح منافذ قلوب الإلتباع ويزيل دواعي الحسره والألم لخطوره استمرار ذلك لأنه يوصل الي الياس وهذا فيه هزيمه تلحق بالجماعه تقتل الهمم وتقضي علي العزائم والقائد يجمع العزائم لأجل تجاوز الازمه وعدم العفو في مثل هذه الأحوال تنفر ولا تجمع فالعفو جامع مثلما الغلظه منفره فكان لابد من فتح صفحه جديده معهم تفتح لهم الآفاق وتجاوز الماضي فالقائد لا يلتفت الي الورا الا في حاله التقييم والدراسه لأسباب الازمه لمعرفة نقاط الضعف لمنع حدوثها مستقبلا بشرط أن لا يكون تلك العوده سببا لفتح الجراح وانما يقصد منها التحليل بقصد عدم تكرار ذلك مستقبلا أو للتحفيز وشحن الهمم فقط

الأمر الثاني

أن من أهم مهام القائد هو أن يشع الطمأنينه بين الأفراد والاتباع والعمل علي رفع معنوياتهم من خلال عمليات يقوم لترميم اثار الضرر ولهذا يامر الله نبيه (واستغفر لهم)

أن يدعوا الله أن يتجاوز عن اخطاءهم فأمره بالاستغفار وهذا لتحفيز الإلتباع علي ترك العوده للعمل الذي صدر عنهم مره اخري

الأمر الثالث

وشاورهم في الأمر

تأتي النصوص مبينه اهميه مشاركته الإلتباع بالتشاور معهم فيقول الله لنبيه عليك أن تسلك معهم سبيل المشوره التي اتبعتها في أحد وان تدوام عليها فلا يكون الخطأ في الرأي سببا لهدم هذا المبدأ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يري البقاء في المدينة وعدم الخروج فكان إصرار المتحمسون سببا للخروج .. فأراد بهذا التأكيد علي الشوري فلا يكون التفريط به فالشوري ملزم وان اخطئو فيه الرأي لأن تربيتهم علي أن يكونوا مساهمين في صناعه القرار أمر مهم لانه يمنح الاستبداد بالرأي ويصنع الفراغه بالانقياد لأمر الرئيس الذي يستقل برأيه أمر

مذموم وهو يهدد قيم الخلافة التي تقوم علي الشوري فالله سبحانه وتعالى قال للملائكة (اني جاعل في الأرض خليفه)

ليعلمنا الشوري ولهذا فإن الله يأمر نبيه بالمشوره معهم وان يدرهم علي ذلك لأن في ذلك ضمان مستقبلهم ودولتهم أن حافظوا علي الشوري ففي ذلك البعد عن الخطاء وان الخطوره تكمن بالتفويض لأمر الامه لفرد مهما كان حصيل الرأي فإن ذلك يولد الاستبداد فأراد بهذا أن يتمرنوا علي الشوري وأمره أن يتوضع معهم وفي هذا تحويل صانعين الازمه الي فريق عمل لصالح الامه

والنصوص تبين أن عقول الناس تتفاوت واراتهم كذلك فعلي القائد أن يسمع الآراء ويأخذ أفضلها فيكون في ذلك الخير لوجود نظام الالفه ووسائل تنفيذ الشوري تختلف باختلاف أحوال الناس وظروفهم فلم يحدد الرسول صلى الله عليه وسلم قاعده معينه لتنفيذه

الأمر الرابع

تبين النصوص وجوب امضاء العزيمه متي استكلمت شروطها اي بعد المشاوره فعليك امضاء ما عقدت عليه العزم وعليك التوكل علي الله بعد مراعاة الأسباب التي جعلها الله وسيله للوصول إلي المسببات اي اعقلها وتوكل (فإذا عزم فتوكل علي الله)

لأن تقض العزائم تجعل صاحبه غير موثوق به في قوله وفعله وهي تدل علي ضعف النفس والأخلاق فلا يليق بـ القائد ذلك

فعليك الاعتماد علي بالشعور بالحاجه الي معونته واثقا به سبحانه وتعالى

وهنا يأتي التعقيب (أن الله يحب المتوكلين)

يخبرك أنه سبحانه وتعالى يحب المعتمدين عليه فينصرهم ويمدهم بما فيه صلاحهم فهو اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه وهذا إنما يكون للذين يأخذون بالاسباب وليس التوكل مثل التواكل

ثانيا

ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلي الله فليتوكل المومنون

١

أن الايه الكريمة جاءت للترغيب في التوكل علي الله التي اختتمت بها الايه قبلها بعد المشوره والعزيمه الصادقه المترتبه علي الأخذ بالاسباب

فجاءت النصوص لتقرير حقيقه التوكل علي الله علي احوالها فيقول الله لنا أن قوه النصر والخذلان هي قوه الله تعالي فالاسباب ليست هي التي تحدث النتائج فالفاعل المؤثر هو الله تعالي وهو الذي يرتب النتائج بقدرته وعلي أسبابه فعليكم التعلق به سبحانه وتعالى وحده في طلب النصر

٢

يقول الله تعالي لعباده أن النصر والخذلان بيده سبحانه وتعالى فهو سبحانه وتعالى ان الذي ينصره الله لن يغلب وهو يلفت انتباههم الي واقعه بدر حين عملوا بسنته والتزموا بأمر رسوله فقد نصرهم الله بعونه وتوفيقه

وان الذي يخذله الله لا يجد النصر فعندما يمنع الله معونته عنكم كما حصل معكم في أحد لما حصل منكم الفشل و التنازع والعصيان فلا تجدون من ينصركم والمراد بهذا التحذير من أسباب الخذلان فقال (من بعده) استفهام انكاري بصيغه المبالغة أنه لا يوجد من يمدكم بالنصر اذا خذلكم الله فالأمر كله بيد الله والنص فيه التحدي بأنه ولو اجتمعت قوي الأرض كلها فإنها تقف عاجزة

والنصر في الحقيقه هو متعلق بهزيمة العدو سواء الداخلي الباطني والخارجي فأنت بحاجة إلي هزيمة الأهواء و الشهوات وان تصد هجوم الشيطان وسوسه وكذلك العدو الخارجي وهو ما يتطلب منك أن يكون المحل صالحا لا استقبال نور الله الذي يكون فيه النصر علي دواعي الفتن كلها وهذا إنما يكون بمعرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده وطاعته وامتثال منهجه وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم

وأنه إذا كان المخل غير صالح لاستقبال نور الله فإن هذا الشخص يكون مخذول

٣

ولهذا يقول لنا الله (وعلي الله فليتوكل المومنون)

فالمومن يطلب التوفيق والنصر من الله ويعتمد علي الله واثقا ب الله لأنه يملك تسيير الأمور في الدنيا والآخرة وكل شي بيده فلا تطلب لنفسك ناصرا الا الله

ثالثا

(وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)

الغل أمر يستخدم للتعبير علي الحقد واشتمال النفس علي البغض والكراهيه للآخرين

ويستخدم للتعبير علي سرقة الغنائم واخفاءها قبل القسمة

وهذا التعبير هو محل ما تناولته الايه الكريمة وقد جاء ذكره بعد النصر والظفر الذي هو من قوه الغضب بينما الغنائم من الرزق الذي هو من قوه الحب وغالبا ما يذكر النصر الا ذكر معه الرزق

ولأن ترك الرماه مواقعهم كان خوفا أن يحرمهم الرسول صلى الله عليه وسلم من الغنائم ذلك أن المنافقون اشاعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد وزع غنائم بدر وأنه حرم البعض

ولهذا فإن النصوص تعالج تلك التصورات الفاسده التي تكونت نتيجة الاستماع للاشاعات المغرضه فقال تعالي

(وما كان لنبي أن يغفل)

أنه لا ينبغي ولا يكون لنبي أن يخفي شئيا من الغنيمه عن الجنود لنفسه أو لبعض الجنود لأن الغلول نوع من الخيانه وكيف يكون من النبي ذلك وهو معصوم فهذا السلوك ممتنع أن يقع عن الانبياء

وبهذه المناسبة يبين الله لنا حكم الغل

(ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة)

أن الغل جريمته توجب العقاب لأنها نوع من الخيانه للامانه فالقائد يكون حارسا علي المصلحه العامه وهو مؤتمن علي حقوق الجنود ولهذا فإن عليه أن يدرك أنه سوف يفضح علي رؤؤس الأشهاد يوم القيامه أن قام باخفاء شي وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه استعمل رجلا علي الصدقه فجاء فقال هذا لكم وهذا اهدي الي فقام الرسول صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر فقال مابال العامل نبتعته علي عمل فيقول هذا لكم وهذا اهدي الي هلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر ايهدي له أم لا

والذي نفسي بيده لآيات أحدكم منها بشي الاجاء به يوم القيامه علي رقبتة الخ

ففي ذلك اليوم يكون الحساب فالقران يعالج الضعف الإنساني بالتذكير باليوم الآخر فعلي كل من يتولي أمر من أمور المسلمين أن ينظر إلي يوم القيامه كم هي الفضيحه وهو يحمل جريرتة علي رؤؤس الأشهاد وتقع الفضيحه وعليه أن يحاسب نفسه قبل أن يقف بين يدي الله للحساب ففي ذلك اليوم يكون توفيه الحساب لايبخس شيئا و لايتقص منه شي (ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)

فذكر ما يحدث بعد الحشر الي ساحه العرض وهو حكم عام متعلق بالجزء لكل كاسب وان كان جزء الغال ليكون ك الدليل علي المقصود بمن استهان بالجزء

وأنه لا ينقص منه شي وان كان جرمة صغيرا فالغال مع عظم حرمتة أعظم وأولي ولذلك أردف توفيه ماكسبته كما قال تعالي (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يراه ومن يعمل مثقال ذرة شرا يراه)

وان ذلك فيه العدل فالجزء علي العمل فالله لا يظلم احد

رابعا

يقول الله لنا أنه لابد من الجزء علي الأعمال أن خيرا فخير وان شرا فشر فلا يمكن أن يهمل احسان المحسن ولا يمكن أن يترك المجرم بلا عقاب

فيقول الله (افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون)

أنهم لا يستون فهناك تفاوت بين الذي يختار الامانه ويتبع ما أنزل الله في كتابه من تعليمات وسنه رسوله وبين من اختار طريق الخيانه وخالف منهج الله

فالاول سلك الطريق الموصل الي رضوان الله فهذا لابد أن ينال رضا الله ومصيره الي الجنه

وأما الآخر فهو يعيش في سخط الله ومصيره الي النار بسبب أفعاله وهو أقبح مصير

فأراد الله بهذا أن يشهد المومن أفعال الكافر ومصيره علي سبيل البغض والكرهيه والنفور فيحذر أن يقع فيما وقعوا فيه

وان يشهد أفعال المومنون ومصيرهم الي الجنه علي سبيل

الحب لهم ولافعالهم فيكون في هذا دافعا الي الاقتداء بهم ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يخبرنا أن هنالك تفاوت ب المنازل والدرجات بين المومنون في الاخره واعلي مراتب هذا التفضيل من يصل الي منزله الانبياء والصديقين و الصالحين والشهداء (هم درجات عند الله

والمراد بهذا التحفيز علي التنافس للوصول إلي رضا الله

وان الكفار في النار يتفاوتون في الدرجات أيضا ف الله يقول لنا أن المنافقون في الدرك الاسفل من النار..

ويأتي التعقيب (والله بصير بما يعملون)

انه مطلع علي كل مايعمل العبد وبذلك يتقرر منزلته في الاخره وانت لك أن تختار الفوز والنجاح أو الخساره و
الفشل

خامسا

لقد من الله علي المومنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان
كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

أن المولي سبحانه وتعالى يمتن علي امه الاسلام بان اكرمهم ببعثه الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب
التي لم تكن تعرف العلوم ولا تعاليم الأديان ولا الدول فقد علم الله العربي الاداب ثم جعلهم أناسا ثم ارشدهم الي
الاخلاق الفاضله فجعلهم اهلا لقياده العالم

فقال تعالي (من أنفسهم)

اي من بلدهم ومن اوساطهم واللفظ يشير إلي واقعيه الرساله وانسانيه الرسول صلى الله عليه وسلم لانه علي
قدر واقعيه الرساله يكون نصيبها من النجاح وعلي قدر إنسانية الرسول يكون إدراك الناس لطبيعه الرساله
الواقعيه فالناس يعرفون الرساله من خلال شخصية صاحبها لانه قد ينبهر الناس بشخصيه لفته لكن لا يستمر ذلك
علي الدوام وان استمر فذلك يكون للزعامة الموقوته لكن لاتصلح هذه الشخصية للهدايه الموصله والرساله الخالده

فالرسول صلي الله عليه وسلم كان الرسول الإنسان فكانت شخصيته خير دعوه ودعايه لرسالته فيها البساطه الا
سره والإنسانية الغامره والجاذبية

فشخصيته كان يعرض فيها محمد الرسول والإنسان نفسه علي كل إنسان فيها المثل الأعلى القريب الي العقول و
القلوب

وكان مناسبا لطبيعه البئيه العربيه التي انطلقت منها رساله الاسلام شاعرا بهموم الامه فقال تعالي (لقد جاءكم
رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمومنين رؤؤف رحيم)

فالرسول صلي الله عليه وسلم معروف لديهم ومعروف بينهم بصدقه وأمانته فكيف يظن بمن هذا وصفه أن
يخون في تقسيم الغنائم ثم إنهم يعرفونه بانسانيته فهو لا يدعوهم بعجرفه الدعي المتعاضم أو الفارغ الاحمق بل
يحس بالمهم واحزانهم وهمومهم وهو ماينبغي معه أن يكونوا اسرع الناس الي فهم دعوته والاهتداء بهدايته
واقرب الي الثقة بما يدعوهم إليه

فذكر ان الله كلفه بالتبليغ (يتلو عليهم آياته)

اي دوره في تربيته الامه ونقلها من الضلال الواضح ومن الهمجيه الي نعمه الاسلام فالقران جامع لجميع التعاليم
الدينية للوصول إلي منتهي الكمال وهو أن تكون خالصا لله تعالي وحده فذكر (ويزكيهم)

اي يطهرهم من اوساخ الفكر الجاهلي ومن الأهواء والشهوات والعقائد الفاسده والاثوان

لانه لابد من التخليه ليكون التحليه ولأن القران الكريم هو الكتاب الذي تكفل بإصلاح البشريه كلها فقد كان العرب
بحاجه الي أن يتعلموا التعاليم التي جاء بها القران والسنة النبويه للوصول بالإنسان الي منتهي الكمال فكان نزول

القران منجما فالتعاليم هنا لتربيته المومنين وتميزهم وصولا إلي أعلي المقامات الروحانية فهم بحاجة الي هذه التربيته والمعرفه كي يتحملوا المسؤوليه في إيصال رساله الإسلام الي العالم أجمع وبكل وضوح ولهذا لما انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم من مهمته في غرس تعاليم القرآن كان اعلان الله للبشريه أنه اكمل دائره التعليم فقال تعالي (اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) ومنتهي الكمال هو الطاعه وا لاستسلام لله تعالي

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أنظروا الي موقع نعمه الله عليكم ببعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقد جمعكم الله بعد تفرقكم ببركه رساله الاسلام وصارلكم العز والكرامه بالاجتماع حول حبال الالفه الذي ينتقلون في ظله و الطاعه لله ورسوله بعد أن كنتم في الجاهليه منغمسون بالضلال الواضح (وان كنتم من قبل لفي ضلال مبين)

القسم الثامن

أو لما اصابتمكم مصيبه قد اصبتم مثلها قلتم اني هذا قل هو من عند أنفسكم أن الله على كل شي قدير وما اصابكم يوم التقي الجمعان فباذن الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعانكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ماقتلوا قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)

أولا

ابتدأت النصوص بالهمزه (أو لما اصابتمكم مصيبه)

وتلاها حرف عطف اي حلت بكم مصيبه فهي هنا أما معطوفه علي ما قبلها أو علي شي مقدر يناسب المقام وحيث أن ما قبلها ذكر فيه الله تعالي امتنانه علي المومنين بأن أرسل إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم منهم يعلمهم القرآن والسنة ويظهرهم من أفكار وركام الفكر الجاهلي وان مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم وبعثته في امه العرب قد أحدث فيهم تحولا عظيما بما حوي القرآن من أحكام وتربيته الرسول صلى الله عليه وسلم لهم وأن > اللهم كان في ضلال واضح

وانهم مازالوا بحاجة الي تربيته وتأهيل بحاجة الي خبره والمعارف والمهارات لمواجهه التحديات والصعوبات ولهذا نجد أن النصوص تعرض لنا كيف أن الهزيمة التي إصابتم في أحد أحدثت فيهم ازمه كبيره حيث نجد النصوص تعرض لنا حاله الذهول والدهشه نتيجته الصدمه لدرجه انك تسمع من أقوالهم ما يشي بأن هنالك قصور في التصورات وانهم مازالوا بحاجة الي التوعيه والإعداد فهم تنقصهم التجارب لم يدركوا السنن والنواميس التي تحكم الحياه وما فيها وتحولاتها فقد ظهر فيهم الاستغراب والذهول لما حدث فهم لم يتوقعوا الهزيمة فقالوا كيف حدث لنا هذا لايعرفون كيف يتعاملون مع الازمه فقالوا كيف نهزم ونحن أهل الحق ونحن مسلمون وكيف ينتصر علينا أهل الباطل وكيف نهزم والله وعدنا بالنصر فالتعجب من الصحابه هنا ليس للانكار وانما يدل أنهم في ازمه وهم يحتاجون الي التعامل معها وإدارتها فناسب التوجيه بالخطاب الي النبي صلى الله عليه وسلم (قل هو من عند أنفسكم أن الله علي كل شي قدير)

لبيان دور النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر في الايه قبلها أنه يقوم بتعليمهم ونقلهم من الضلال الي نور الايمان

ولبيان أن الازمه تحتاج الي ادارته لتجاوز آثارها

فيقول لهم أن الهزيمة تعود إلي مخالفتكم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله لاخرجكم من الظلام والضلال الي نور الايمان وكان اللازم طاعة الرسول وبالتالي فإنه لاينبغي أن تعجبوا مما حل بكم طالما وأنكم قد خالفتم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فالسبب يعود إلي أنفسكم

أن أول خطوه للمعالجه الصحيحه للازمه تبدأ من الاعتراف بالخطأ وعدم إلقاء اللوم علي الآخرين يقول لهم الله ال لازم عليكم ترويض وتمارين أنفسكم علي الاعتراف بالخطأ وتربيه الأجيال علي شجاعه الاعتراف بالخطأ والاخفاق وتحمل المسؤولية فعليكم إن تدركوا أن الخلل منكم لامن الدين الذي تجاهدون في سبيله

فيقول لهم الله أنه لا يصح لكم إن ياخذكم روح الانهزام الي هذا الحد لمجرد انكم تعرضتم للهزيمه في أحد فقد نصركم الله في بدر وقتلتم منهم سبعين مثل ما قتلوا منكم في أحد بل انكم أيضا اسرتم منهم سبعين فلماذا تنسون فضل الله فلم تذكروه

فيقول لنا الله أنه قد جعل الدين موافقا لسنن الكون وفطره الإنسان فالإنسان في حركه وتطورت والفكر في هذا العالم المتحرك المتغير لابد أن يتحرك ويتغير أيضا

ولهذا فإن استرداد فاعليه الامه الايجابيه انما يتحقق بالعمل العلمي المتخصص القاصد والهدف وامتلاك الادوات التي تمكننا من اكتشاف الخلل والعمل علي وضع خطه متكامله لكيفيه إصلاحه وهذا إنما يكون بالرجوع الي التجارب التي تدلك علي السنن باستدعاء معرفه الوحي واستصحابها كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع مسيره الحياه وحسن التنزيل لها علي الواقع ولهذا يقول لهم الله (قد اصبتم مثلها)

عليكم أن تتذكروا فضل الله عليكم في بدر لتدركوا أن تعدد احوالكم في الهزيمه والنصر هو نعمه من الله فحوضكم التجارب المتنوعه لابد أن يمدكم بالقدره علي التحليل لمعرفة مواطن الخلل والاستفادة من التجارب في مواجهه الازمات والتعامل معها وعدم الانكسار أمام العواصف لكن حاجتكم الي الخبرات والمهارات وعدم الإ حساس بالمسؤولية افقدكم القدره علي التعامل مع الازمه فاصابكم الياس الي هذه الدرجه

ولهذا فإنه إذا أردتم استرداد الفاعليه والقضاء علي الياس فعليكم الرجوع الي بدر بالتحليل لها والمقارنة بين اسباب النصر والظفر فيها وأسباب الهزيمه والخذلان في أحد

لوجدتم ان النصر في بدر كان بسبب صدق ايمانكم وطاعه الرسول صلى الله عليه وسلم وامتثال امره

لقد كان في بدر تغيير إيجابي في النفوس من الضلال الواضح الي نور الايمان لقد أخذتم بأسباب النصر وتوكلتم علي الله فكان لكم النصر

أما في أحد فقد حصل تغيير سلبي في نفوس البعض من مخالفه الرسول صلى الله عليه وسلم وترك المواقع فوقعت الهزيمه نتيجته ذلك التغيير

فكل شي في هذا الكون محكوم بسنن ونواميس واقدار أوجدها الله تعالي وان أي خلل في التعامل مع هذه السنن سيفضي الي الفشل ووقوع الازمات والكوارث فالله يقول (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا

ومصدر العلم بهذه السنن هو الوحي فانتم بحاجه الي هذه المعرفه فهي اي السنن لا تتغير ولا تبدل ولا تحابي احد فالله لا يمكن أن يعطل سننه لأجل انكم مسلمون

وهو سبحانه وتعالى لا يتغير ولا يتبدل فهو القاهر العزيز الذي نصركم وريتموه في بدر وهو كذلك في أحد وانما التغيير والتحول يعود اليكم انتم فالخلل فيكم من أنفسكم اي بسبب مخالفتكم والطمع وحب الماده وقعت الهزيمه بكم فعليكم الاعتراف بالخطأ واستعياب السنن والأخذ بها

فالله لا يبطل سننه من أجل انكم مسلمون فقد جعل السنن ثابتته وهي لاتحابي احد حتي انتم المسلمون

ولهذا فمن غير اللائق أن يشكو الإنسان المصائب الي الناس لأن من أصبح يشكو مصيبه نزلت به فقد أصبح يشكو ربه والجاهل هو الذي يشكو الله للناس وهذا إنما يصدر عن من لم يعرف ربه ولكن اشكو نفسك الي الله واشكوا خلقه إليه

يقول لنا الله أنه عندما امركم بالجهاد في سبيله ليس لانه عاجز عن تحقيق نصر دينه لا فهو قادر أن يحقق النصر بدونكم والأسباب أن كانت ثابتة فهي موصله بالقدره الالهيه فكل شي ينتهي الي الله فلا تتصوروا انها هي التي تحدث الاشياء وانما هي من الله وبالتالي فلا توجد قوه مؤثره تزحزح سنن الله الا باذان الله (أن الله علي كل شي قدير)

فهو قادر أن يحقق النصر بدونكم ولكن الله جعلكم ادوات ستار قدرته وأنه يفعل ذلك لحكمه (ذلك ولو شاء الله لا نتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض)

ثانيا

ولهذا فعليك أن تدرك أنه عندما وضعكم الله في التجارب من النصر والهزيمة إنما هو ابتلاء من الله وله حكمه في ذلك

فقال تعالي (وما اصابكم يوم التقي الجمعان فباذن الله وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا)

ف الله يقول لنا أن ما حدث يوم التقي جيش الاسلام وجيش الشرك في أحد لم يكن مصادفه وانما كان بتدبير الله تعالي وقضائه وقدره وعلمه بأن جعل المسببات نتائج لاسبابها فهو يعلم أنه سوف يحدث منكم كذا وكذا ويعلم بكل شي فذكر الاذن (فباذان الله)

والاذن شرعي وكوني والفرق بينهما أن الاذن الشرعي يكون فيما يحب الله اما الكوني يقع المأذون فيما يحبه وما لا يحبه

والإنسان بحاجه الي معرفه الاذن الشرعي في أفعاله

وبحاجه الي معرفه السنن كونه يتحرك في الكون وهو بحاجه الي أن تكون حركته منسجمه مع حركه الكون فكل شي تحكمه سنن ونواميس لايجوز القفز فوق هذه السنن والأسباب الي النتائج

ولهذا يقول الله لنا الحكمه من ذلك (وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا)

أن الأمر فيه امتحان وابتلاء حيث أنه في هذه الموقف تظهر معادن الرجال فالمومن عندما تحل المصائب فإنه لا يضعف

لانه يري أن قدر الله فوق كل شي وان كل شي يتحرك وفق تدبير الله تعالي والمومن يشعر بالمسؤولية في هذه الموقف و يشعر بالتحدي الذي تمثله الازمه فلا يهرب بل يتحرك علي ضوء ذلك ويبدأ في تحليل الازمه وتفكيكها وارجاعها الي أسبابها وعواملها الاولي ثم يضع الخطط والبرامج المناسبه لإصلاح الخلل ولهذا نجد أن النصوص تلفت انتباه المومنين الي اهميه تذكر فضل الله عند الازمات ليكون في ذلك تسليه لهم يهون عليهم المصائب فجاء تذكيرهم بنصر بدر ليعود ذلك عليك بالصبر وانت شاعر بقدره الله وأنه لا يعجزه شي يقول لاتضعفوا عند الازمات طالما وانتم مومنون أن الله قادر علي كل شي وان الأمور بيده ومصادر الازمات من قضائه

فالمومن في هذه الموقف يبذل جهده وما بوسعه بعد الأخذ بالاسباب وبعد ذلك يطمئن الي اختيار الله وقضاه

وقدره فلا معقب لحكمه

ولهذا فإن هذه الموقف يظهر للناس صدق المومن من الكاذب

فاستعمل لفظ الجمع ان اشاره الي حرص كل فريق علي تحقيق النصر

فأراد الله بهذا تميز الخبيث من الطيب فإذا كانت معركة بدر قد فتحت باب النفاق فدخل في الإسلام من لم يؤمن حقيقه ولم يكونوا معروفين للمسلمين فإن أحد كان فيها كشف المنافقين حيث أن الهزيمة أظهرت مافي قلوب المنافقين والعلم هنا هو الذي يرتب عليه الثواب والعقاب وإلا فإن يعلم كل شي من قبل أن يكون ويعلم ما كتم في الصدور فأراد بهذا العلم الذي يظهر للناس حقيقه كل انسان

ولهذا نجد أنه ذكر المومنين بالوصف بينما ذكر اتي بالفعل في ذكر المنافقين وبصيفه النكره (وليعلم الذين نافقوا.... الخ

وهذا لأن النفاق عارض أي أمر طارئ عليهم لانه قال في موضع آخر (آمنوا ثم كفروا... الخ

ولهذا اتي بالفعل الدال علي التجديد الذي طارئ عليهم وليتناسب مع قوله (وقيل لهم تعالوا قاتلوا... الخ

لأن النفاق يظهر وقت المصائب حيث يبدأ بالمروغه حيث أن لفظ منافق مشتق من النفق وهو المشرب في الأرض النافذ ومنه نافقا اليربوع له حجر في الأرض له منافذين ايهم طلب خرج منه وكذلك حال المنافق ولهذا فهو عند ا لزامات يفتضح امره لانه يكون أمام خيارين إما أن يكون مع اهل الحق أو مع الباطل

ولهذا يقول الله لنا اذكروا ما حدث من هولاء في أحد عندما انصرفوا بثلت الجيش فجاء بالعطف (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعانكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان)

والعطف هنا علي ما قبله (نافقوا)

واستعمل لفظ (قيل لهم)

أن هذا القول كان من مجموعه كبيره من المسلمين وهم عبدالله بن حرم وآخرين عندما شاهدوا رجوع ابن أبي بثلت الجيش قالوا لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله ودينه... فإذا لم تكونوا تحبون الدفاع عن العقيدة والدين فعليكم أن تشعروا بالخطر الذي هو محقق بالمدينه واهليكم واموالكم فعلي الاقل كونوا رجالا ودافعوا عن اعراضكم وكثروا سودنا مما يروع العدو ونكسره

فقد جاء الجواب فيه الدلاله علي كمال النفاق فقالوا (لو نعلم قتالا لاتبعانكم) فاللفظ له معاني متعدده كلها تدل علي أن غرضهم التلبيس والاستهزاء وارده الفشل والخذلان للمسلمين

سواء كان المراد بهذا أنهم قالوا اننا لو نحس القتال أو نقدر عليه لاتبعانكم الي أحد بقصد الاستهزاء

أو قالوا إن قريش لم تأتي للقتال وانما هو استعراض لأجل حمايه القوافل وهذا فيه مرواغه فقد شاهدوا تجمع جيش المشركون فهم اختلقوا الأعذار نتيجه انخذالهم عن نصره الايمان والعقيده فقولهم ذلك علي وجه الخديعه والاستهزاء

أو أنهم قالوا لو نعلم ما يصح أن يسمي قتالا لاتبعانكم إليه لكن ما انتم عليه ليس بقتال وانما إلقاء بالنفس الي التهلكه

فجميع الأقوال تدل علي أنهم في هذا الوقت كانوا اقرب الي الكفر وأهله فهم يريدون أن ينتصر الكفار علي المسلمين فقال تعالي (هم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان)

فرجعهم كان يهدف إلي إلحاق الهزيمة بالمسلمين وان مساله اعلان الاسلام منهم والنطق بالشهادة لا اله الا الله محمد رسول الله

لم تكون إلا نفاق فهم يظهرن خلاف ما يبطنون أنهم كاذبون في ادعاءهم الاسلام فقال تعالي (يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم) ولأن مطلق القول يتوطا عليه القلب واللسان فهؤلاء حريصون علي اخفاء نفاقهم ولهذا نسب المولي القول الي الأفواه للإشاره الي مخالفه الظاهر لما يبطنون بإدعاء الحكمة بأفعالهم وهم في الحقيقة كاذبون وانهم قد أصروا علي المخادعه والمراوغة فذكر أنه سبحانه وتعالى يعلم ما يكتمون من النفاق فلا يخفي عليه شي (والله اعلم بما يكتمون)

ثالثا

بعد أن ذكر ما قالوا قبل القتال يذكر الله قولهم بعد القتال وانتهي المعركه فقال تعالي (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)

أن هؤلاء لم يكتفوا أنهم قعدوا عن القتال لكن حاولوا استغلال احدث المعركه لتثبيط العزائم ولأجل اظهار أنفسهم أنهم أهل حكمه عندما انصرفوا من ارض المعركة فذكر أنهم قالوا لإخوانهم وذلك لانهم كانوا ينسبون الي جماعه ا لايمان فقد ورد عن النبي عندما طلب البعض قتل المنافقين أنه قال لا اريد أن يقال محمد يقتل أصحابه ... فقد سماهم أصحابه

فهم ظاهرهم الايمان وباطنهم الكفر

فقالوا لمن قتل أبناءهم لو أنهم اطاعونا ورجعوا معنا لكان لهم السلامه ولم يقتلوا ..وهذا فيه بيان هدف المنافقون أنهم كانوا يروجون لعبدالله ابن أبي أنه حكيم عندما عاد بثلاث الجيش فقد صان حياتهم من أن تهدر

ولهذا يقول الله لنبيه أن يرد عليهم (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)

إذا كنتم تعرفون طريق السلامه من القتل والموت ومادام انكم تدعون امتلاك وسيله النجاه من القتل فلماذا لا تستعملون الوسيله لتدفعوا عن أنفسكم الموت اذا كنتم صادقين في ما تدعونه وهذا للتحدي

القسم الثامن

ولتحسين الذين قتلوا في سبيل الله اموتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المومنين

الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مومنين)

أن الايات جاء فيها النهي عن حسابان أن الشهداء الذين قتلوا في أحد بأنهم اموتا بعد أن تناولت النصوص قبلها محاوله المنافقون استغلال الم الآباء والأمهات علي الشهداء الذين قتلوا في أحد لتثبيط العزائم وقاصدين من ذلك احداث فجوه بين المومنين وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فاردوا أن ينفر الناس عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم الاستجابة لدعوته لهم للجهاد اردوا تقليص قوه محبه الناس للرسول صلى الله عليه وسلم وإظهار أنفسهم أنهم أهل حكمه عندما انصرفوا من ارض المعركة (لو اطاعونا ماقتلوا) ولذلك نجد أن النصوص جاء فيها التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم أن يرد علي مزاعم هولاء (قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)

فالتحدي يعني أنهم عاجزون وان أقوالهم تلك كاذبه فهم ليس لديهم موازين لحقائق الاشياء فهم كما ذكر من قبل منافقون

ولهذا نجد أن النصوص هنا تركز علي الآتي

الدرس الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن ينقل المومنين الي مرحله جديده من نظرتهم لحقيقه الموت والحياه الاحساس بحياه الشهداء فهو سبحانه قد ذكر في سوره البقره (ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموتا بل أحياء ولكن لا تشعرون) ونفي الشعور يعني نفي الإدراك المادي لديهم لحياه الشهداء

ولهذا جاء النص هنا بالنهي عن الحسابان أن الشهداء اموات

فأراد أن يحس المومنون بالحياه للشهداء فالاولي كان فيها تحديث لغه الخطاب في الحديث عن الشهداء فأمرهم أن لا يطلقوا عليهم القول انهم اموتا وان اللازم عليهم أن يقولوا أنهم شهداء

ولأنه تناول هنا مساله أن المنافقون يظهرون خلاف ما يبطنون (يقولون بافواهم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا... الخ

فذكر المثال الذي يفضح هولاء وهوانهم قالوا لآباء الشهداء لو أن أبناءكم اطاعونا ورجعوا معنا ولم يسمعوا كلام النبي صلى الله عليه وسلم لما قتلوا.. فقد اردوا تثبيط العزائم...

اردوا اتخاذ ما حدث مده لتقليص قوه طاعه الناس للنبي صلى الله عليه وسلم اردوا أن تقليص استجابة الناس لدعوه النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالجهد اردوا اظهار أنفسهم أنهم أهل حكمه عندما انصرفوا من ارض المعركة (لو اطاعونا ماقتلوا)

فجاء التوجيه من الله للرد علي هولاء (قل فادروا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)

فالموت والحياء بيد الله وهم عاجزون عن رد قدر الله وقضاه

ولهذا جاء النهي عن حسابان الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله اموتا فارد بهذا أن ينتقل المومنين من مرحله القول الذي أمرهم في البقره أن لا يطلقوا علي الشهداء اموت وان عليهم أن يسموهم في أقوالهم شهداء الي مرحله الاحساس بأنهم احياء فأراد بهذا أن يحس المومنون بأن الشهداء لم ينقطعوا عن حياه الجماعه الاسلاميه وانهم يتأثرون باحداثها وهم فرحين في حياتهم ويهتمون بما يحدث لإخوانهم ويستبشرون بمصائر من وراءهم فهم احياء لهم خصائص الحياه وان فراقوا الحياه وبعدوا عن أعين الناس فهم احياء إثبات لهم الحياه الكريمه فذكر أنهم (عند ربهم يرزقون) العنديه للقرب من الله يرزقون من ثمار الجنه فقد ورد في الحديث (أن أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقه بالعرش تسرح حيث شاءت ثم تأوي الي تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلعه فقال هل تشتبهون شيئا فقالوا اي شي نشتهي ونحن نسرح من الجنه حيث نشاء ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد ارواحنا في أجسادنا حتي نقتل في سبيلك مره اخرى فلما راي أن ليس لهم حاجه تركوا) فقد أثبت لهم حياه في الحال حياه الأرواح وذكر أن لهم العطاء في الجنه فأخبرنا أنهم فرحين بذلك العطاء الذي هو من فضل الله فدل ذلك علي رضاه عليهم لأنهم قتلوا في سبيل الله فاي شي يفرحهم أكثر من ذلك وانهم في سعاده يستبشرون لإخوانهم الذين لم يلحقوا بهم فهم لاخوف عليهم ولا يحزنون علي ما فاتهم ولأن الحياه للروح لاشك أن السعاده ناقصه لا تكتمل الا بالبعث والتي يكون فيها اعاده الجسد الي الروح فهم قد عرفوا أن مصيرهم الي الجنه ولهذا يستبشرون اي يسرهم يوم القيامه فهم مسررون من رؤيه مصيرهم الذي تنعم به أرواحهم ويريدون أن تقوم القيامه كي ينعموا في الجنه بأرواحهم واجسادهم وان يتفضل الله عليهم بذلك لانهم ايقنوا أن الله لا يضيع اجر المومنين عليك أن تحس بما هم من راحه وسعاده مثلما انك تومن بالامور الغيبيه كالجنه والنار عليك أن تومن بحياه هولاء وتشعر أنهم في نعيم فلا تحزن علي موتهم فلا يوجد ما يستدعي الحسره عليهم بل اللازم أن تفرح لما انتهوا إليه

الدرس الثاني

بمناسبه ذكر الحياه للشهداء تأتي النصوص مبينه أن الحياه إنما تكون بالاستجابة لله والرسول الذي يأمرهم بـ الجهاد حيث أن الايات السابقه قد أخبرتنا بسعادتهم في البرزخ والاخره وهنا تأتي النصوص مبينه فضل الجهاد وا لاستجابته لله والرسول وذلك مرتبط بما قبله لأن المنافقون اردوا كما أوضحنا من استغلال كثره الشهداء في أحد تقليص قوه طاعه الناس للنبي صلى الله عليه وسلم وتقليص استجابة الناس لدعوه النبي صلى الله عليه وسلم لهم للجهاد مره اخري فلجأوا الي محاوله التأثير علي نوي الشهداء ... ولهذا نجد أن النصوص جاء فيها احتواء الموقف الذي يسعى إليه المنافقون فذكرت أن الموت والحياء بيد الله ثم ذكرت حياه الشهداء وهنا تتحدث النصوص عن المومنين الذين يستبشرون بالشهداء بهم فقال تعالي (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) حيث أن المشركون بعدما نالوا من المسلمين في أحد وهم بالطريق قالوا لقد قتلنا منهم الكثير فلماذا تركناهم فهموا بالرجوع فوصل الخبر للرسول صلى الله عليه وسلم بأن قريش تريد غزو المدينة فدعا من شارك معه الحرب في أحد للخروج معه مره اخري غداه معركة أحد وهم مصابون جراحي لم ينسوا هول المعركه ومراره الهزيمة والرسول دعاهم وحدهم فقط ولم يسمح لمن تخلف سابقا أن يخرج معهم

وقد كان منهم الاستجابة والنصوص ذكرت أنها دعوه من الله ورسوله ... وطالما خصها بهذا الوصف فإن المراد بهذا بيان أن هذه الدعوه فيها حياه القلوب والأرواح لانه تعالي يقول لنا في موضع آخر (ياايها الذين آمنوا استجابوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)

ولهذا فإن دعوته الله ورسوله للمؤمنين الذين شاركوا في أحد للخروج في هذه الواقعة رغم ما بهم من جراح هي لأرواحهم بحاجته الي الغذاء الروحاني فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يكون آخر شيء يرسم في أذهان المسلمون ومشاعرهم هو شعورهم بالهزيمة أراد أن يلحق الهزيمة بالمنافقون الذين يحاولون نشر روح الانهزام بين المسلمين أراد أن يغرس في قلوبهم الاعتزاز بالحق فلا يضعفوا أمام عدوهم المنتصر

فقد أراد الله أن يقول لنا أن حياة القلب والروح هي الحياة الحقيقية فالجسد يحتاج الي الصحة التي تجعلك قادرا علي الحركة فانتم تعانون من الالم الجسدي نتيجة ما اصابكم من القرحة القتل والجرح لكن الالم الجسدي سرعان ما تزول لكن الم القلب خطيره ولا بد من علاجه

ولهذا يقول لنا أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله والرسول ظاهرا وباطنا فهو لاء هم الاحياء وان ماتوا وغيرهم اموت وان كانوا احياء الأبدان

وبقدر استجابته الناس لدعوته الله ورسوله تكون حياتهم اكمل لأن ما دعاء إليه فيه الحياة الكامله فقال تعالي هنا (للذين أحسنوا منهم واتقوا اجر عظيم)

فمن فاتته جزء من دعوته الرسول صلى الله عليه وسلم فاتته جزء من الحياة فهذه الحياة بحسب ما استجاب للرسول

فالحياة هي بالاستجابة لدعوته الجهاد الذي فيه العز والتمكين والكرامه والرفعه

وحياة القلوب والأرواح يكون بها تميز الحق من الباطل والغي من الرشاد فيختار الحق علي ضده فأخبرنا الله عن حياة هؤلاء (الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)

أن المنافقين والكفار حاولوا تخويفهم من جمع قريش وجيش ابو سفيان لكن وجدوا ارده قويه ناتجه عن قوه التمييز بين النافع والضار فقد اختار طاعه الله ورسوله نفعهم قوه التمييز في العلوم والارادات والأعمال فهم لا يخافون الاعداء لانهم معتمدون علي الله

أن حياة قلوبهم وأرواحهم أفادت قوه الايمان والارده والحب للحق فزادهم محاوله تثبيطهم من قبل المنافقين ايمانا وثقه بالله فلم يلتفت المسلمون لهم بل زاد ثباتهم علي الحق واطمئنانا بالله واظهروا الايمان والإخلاص وقالوا يكفيننا الله فهو الذي نعمتد عليه

هو أشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه

فدل هذا علي قوه الايمان في القلوب فالله قريب منها ويعلم صدقها فقال تعالي (فانقلبوا بنعمه من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله)

عادوا ولم يصيبهم مما كان يخوفهم منه المنافقون شيء فقد انعم الله عليهم بالسلامه والنجاه الأبدان وفضل أنهم وصلوا الي منطقه فيها سوق تجاري ولم يجدوا المشركين فابتعوا واشتروا وفوق هذا رجعوا برضوان الله الذي فيه الحياة للأرواح لأن الأعمال الصالحة لا بد أن تقطع المسافه بينها وبين القلب ولا بد للقلب أن يصل بها الي الله فاستجاب القلب مهم ولافائده لاستجابته الجوارح اذا لم تحصل استجابة القلب فإن ميل القلب الي ربه يكون فيه حياة القلب بحسب ذلك الميل وهو مرتبط بحبك لله فالجهاد فيه تمحيص النفوس والتدريب علي الصبر وفيها تحرير النفس من حب الحياة والتعلق بها وبيع لها في سبيل الله والجهاد عزه النفس وقوه لها فذكر الله أنهم نالوا رضوان الله وهو مايسعي إليه المومن مبينا أنه سبحانه وتعالى (والله ذو فضل عظيم)

فذكر أن هذه الواقعة التي ابتلي بها المومنون قد أنتجت الهدف منها وحدثت فيهم حياه الأرواح والطاقات وقوت العزائم وايقظت القلوب

ولهذا يختم المولي سبحانه وتعالى النص بالكشف عن العله للخوف والفرع بأنها محاوله للشيطان أن يجعل أولياءه مصدر خوف ورعب من خلال تصخيم شأنهم يحاول أن يلبسهم القوه والقدرة ويجعل لهم هيبه وقوه في انظار الناس وانهم يملكون النفع والضرر يريد أن يصنع منهم اصناما تعبد من دون الله ولهذا فإن المومنون لاينخدعون بمحاولات الشيطان فلا يرهبون أولياء الشيطان لانهم يستمدون العزه والقوه من الحق ولهذا فهم يدركون أن كل شي بيد الله ولا يخافون الا الله فهم بالجهد يتحررون من كل المخاوف التي يروج لها الشيطان وأعوانه ويدركون أن العزه بالايمان بالله والاتصال بمصدر القوه ويدركون أن الجهاد وسيله لتنميه العزه في نفس المومن وتقويه كيانه وتطهير النفس من الذل والمهانه والخمول فالمومن يستمد عزته وقوته من إيمانه بربه وتمسكه بدينه فقال تعالي (وخافون إن كنتم مؤمنين)

ويقول لنا في موضع آخر (ولله العزه ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون)

فخوف الله هو الطريق الي السعاده في الدنيا والآخرة

القسم التاسع

أنه بعد هزيمه أحد أظهر المنافقون نفاقهم وحصل ارتداد البعض عن الإسلام والتحقوا بالكفر وأهله في محاربه الا سلام والوقوف بوجه الايمان فقال تعالي مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم (ولايحزنك الذين يسارعون في الكفر أنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم نصيب في الآخرة ولهم عذاب عظيم)

فالنصوص تبين لنا انسانيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو يحزن ويتالم وهو يشاهد المنافقون وبعض من كانوا قد أسلموا والتحقوا بجماعه الايمان واصبحوا ينسبون الي الاسلام وهم يرتدون الي الكفر فكان يحزن لانه كان يري أنه قد أخرجهم من الظلمات الي النور فإذا بهم يسرعون الي الكفر في انشاشاتهم والنصوص ترسم لنا أنهم يقعون في الكفر سريعا كأنهم يتسابقون في الدخول في الكفر وترسم لنا حزن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يراهم يتسابقون الي الكفر وبذلك السرعه يحزن أن يصيب الشر المسلمين بالاذي أو أن يكون رده هولاء فيها تأثير علي الدعوه وانتشارها فجاءت المواساه والتسليه للرسول صلى الله عليه وسلم أن لا يحزن مهمتك هي البلاغ وان دخول هولاء في الكفر لن يضر الله شيئا فاستعمل (يسارعون في الكفر)

ولم يقل الي الكفر فهم قد دخلوا فيه فصاروا يتحركون داخل الكفر وفي محيطه أنهم يتحركون نحوه كانه غايه وهدف لهم

ولهذا يقول الله للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أن معركه هولاء ليست معكم بل هي معركه مع الله فهم عاجزون أن يضروا الدين أو المسلمين (لن يضروا الله شيئا)

فاللفظ فيه تهوين لشانهم أنه لم يكن لينتفع بهم المسلمون لخبث أنفسهم وفسادهم كما أن حركتهم تلك لن تلحق ضررا بالله ودينه

وذكر أنه سبحانه وتعالى يريد أن يستدرجهم من خلال ذلك لعلمه أنهم لايستحقون الجنه ونعيمها فأراد الله بهذا ا لإسراع فتننتهم وتركهم في طغيانهم يعمهون فلا يكون لهم حظا من رحمه الله وان يكون لهم عذاب عظيم

ثم تأتي النصوص مبينه أن استحقاق هولاء لتلك النهايه المخزيه لانهم اشتروا الكفر مقابل ترك الايمان فقال تعالي (أن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم)

فهم قد آمنوا ابتداءً ثم كفروا... فهو لاء اختاروا الكفر بعد أن عرفوا الايمان وهذا ينطبق علي المنافقين وعلي اليهود الذين اخفوا علامات الرسول صلى الله عليه وسلم ورفضوا القبول بالإسلام وفضلوا الكفر فهذا فيه صفة خاسره حيث أنهم اشتروا الكفر مقابل ترك الايمان فدل هذا علي رغبتهم الشديده في الكفر فطالب السلعه الكفر قد ترك الايمان ثمنا لسلعه الكفر فدل هذا علي خساره هولاء للصفقه ولهذا فإن هذا دليل علي سخف عقولهم والا ضطراب وعدم ثباتهم فجمع في عذابهم العظيم والاليم الي بمعنى مؤلم في إيقاعه

لأن هذا باع نصيبه من الاخره مقابل متاع الدنيا فترك الايمان وذهب في طلب المصلحه والمال والسلطان و الجاه

ثانيا

فالنصوص تنقل لنا الأحوال والظروف والملابسات التي تحيط بالدعوه ورجالها في مرحله الضعف من حيث القوه الماديه لجماعه الايمان حيث انها تتعرض لصدمات تساقط بعض الإلتباع بالتحول الي نصره أهل الكفر وارضاء قاده الكفر والنفاق فتجد التسابق لنيل رضاء هولاء وكسب ودهم لاشك اننا شاهدنا في حياتنا الكثير من هذه الموقف وتجد ذلك التسابق غالبا ما يكون مقرونا بإظهار الكراهيه والبغض لجماعه الايمان بالسب لرموزها والقيم والمبادئ التي تحملها كي يرضي عنهم قاده الكفر والمنافقون فتري من كان يوما يقف معك وينضال لأجل الدعوه أصبح اكبر الأعداء لها ولمن كانوا رفقاءه في الماضي وهنا لابد أن ذلك يحدث في النفس حزن وانت تري من كنت تنظر له أنه لبنه اصليه في البناء الايماني سوف يحمل معك أعباء الدعوه لابد أن تعاني الم ذلك وايضا لابد أن البعض من ضعاف الإيمان يتسال في نفسه فيقول كيف يرضي الله عن الباطل والشر والطغيان أن يسود لماذا لا تتدخل القدره الالهيه لردع الباطل... وايضا فإن أهل الكفر في هذه الأحوال يصابون بالغرور فهم وكثير من الجهلاء ينظرون إلي أن ذلك فيه رضا من الله عنهم أن منحهم المال والجاه والسلطان والقوه فيأتي الرد من الله تعالى لنا علي ذلك (لايحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين ماكان الله ليذر المومنين علي ما انتم عليه حتي يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم علي الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فأمنوا ب الله ورسله وان تومنونوا و تتقوا فلکم اجر عظيم)

اولا

لايظن الكفار ان نعمه الله عليهم في الأموال والأولاد والجاه والسلطان والقوه بأن ذلك من امارات السخط و الرضاء فاعتبروا ذلك أنه من المسارعه لهم بالخير. وانهم يوم القيامه يوتون خيرا مثلما أوتوا في الدنيا جهلا بموقع الفتنة والاختبار في موضع الغني والافتقار فقد قال تعالي في موضع آخر (ايحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون)

فالله سبحانه وتعالى يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم باولياءه المستضعفين في أعينهم ولهذا قال تعالي هنا (ولايحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خيرا لأنفسهم)

باي نعمه انعمها الله عليهم فلا يتصوروا أن ذلك مسارعه لهم في الخير وانما هذا امتحان وابتلاء فقال تعالي (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)

أن ذلك استدراج وفتنه لهم فهو تعالي يقول (ستدرجهم من حيث لايعلمون وأملي لهم أن كيدي متين)

والاستدراج هنا ليزدادوا إثما بالمعاصي ويكمن ذلك الاستدراج هو أنه يصاب بالغرور والكبر فهو لايقوم بواجب

النعمة من الشكر فالاصل أن معرفته النعمة وتعظيمها أن يعظم المنعم فهذا طريق القرب من الله بالشكر والتوضيح
أما هذا فإنه يسلك طريق تباعده من الله ولهذا يتكبرون فيكون الاعتزاز بالمال والجاه والسلطان والقوه سببا لهلا
كهم فيقول الله (ولهم عذاب مهين)

لأن الاختبار من الله لهؤلاء المستكبرين في أنفسهم بمن يرونهم مستضعفين في أعينهم وهؤلاء كفروا استكبارا
وعلوا ولهذا فقد عوقبوا بالعذاب الذي فيه المهانه لهم

ثانيا

تبين النصوص لنا فوائد الابتلاء بالشدئد والمحن والأزمات فهي ماجأت لتهلك وانما هي امتحان لمعرفة الصبر وا
لايمان وايضا هي كير العبد فإما أن يخرج ذهباً اوخبنا ولهذا يقول الله (وما كان الله ليذر المومنين علي ما انتم
عليه حتي يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم علي الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فأمنوا
بالله ورسله وان تومنوا وتتقوا فلکم اجر عظيم)

١

ابتدأت النصوص (وماكان الله ليذر المومنين علي ما انتم عليه...الخ

ولفظ ماكان...يعني أنه ممتنع علي الله غايه الامتناع ليس لعدم قدرته فهو سبحانه وتعالى لايعجزه شي ولكن
امتناع شرعي اقتضته حكمته وسنته سبحانه وتعالى أن جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار للناس بأن يعقد
من هذا الامتحان بالمحنة سببا يكشف بها حقيقه المومن من الكافر والصادق من الكاذب فسنة الله الجاربه أن لا
يترك المومنين في حاله الاختلاط التي هم عليه في التباس الصف بين مومن ومنافق فقال (علي ما انتم عليه)

التفات للمومنين واستحضر منهم ليكونوا في مواجهه هذا الحكم لاهميته كونه متعلق بما يحملون من منهج فهم
مكلفون بحمل الدعوه للعالم أجمع فلا يمكن أن يدع الصف مختلط مومن خالص ومنافق كاذب يقول بلسانه م
ليس في قلبه فالدور الذي مناط لجماعه الايمان يقتضي تنقيه الصفوف ويقتضي أن لا يوجد فيه دخيل تسلل الي
الصف نتيجة ظروف معينة وهؤلاء يشكلون خطوره علي كيان المجتمع المسلم فكان لابد من الابتلاء بالشدئد و
المحن لاجراهم مثلما حدث في أحد حيث كان المنافقون غير معروفون قبل هذه الواقعه

٢

يقول الله أن سنته وحكمته اقتضت أنه لا يترك المومنين علي ما لهم عليه من التباس الصف بين مومن خالص
ومنافق يدعي الاسلام لايعرف منهو المومن من المنافق ولهذا يقول لنا أن الابتلاء بالشدئد والمحن هي لأجل أن
يميز الصف (حتي يميز الخبيث من الطيب)

والتميز هو الفرز والتجنيب الي جهة محده تفصله عن غيره فيقول لنا أن عليكم حسن اداره الازمات وتحويل
المحنة الي منحه فالصدم يكون فيه انكشاف حقيقه المومن من المنافق حيث أن المومن يفرح بنصر الاسلام
وقوته وان المنافق فهو يغتم لذلك

المومن يثبت ويصبر أما الكافر فإنه يظهر كذبه فقد كان المسلمين قبل أحد لايعرفون أن في صفوفهم منافقون
فهم كما قال تعالي (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا)

لكن بعد أحداث احد عرف الصادق من الكاذب

فالازمه بداخلها رحمه من الله بالمومنين لأن التباس مساله المومن من المنافق لها اخطار حيث تجعلك تنق

بشخص عدوا ويكون هناك سهوله اختراق الصف من الكفار لأن الصلاه والصيام أمر يسهل علي الناس القيام به لكن الجهاد والتضحية بالنفس أمر لا يقدر عليه إلا المومن الخالص

٣

يقول الله لنا أنه لا سبيل لمعرفة الصادق من الكاذب الا بالابتلاء لأنه سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أن لا يطلع الإنسان علي أمور الغيب فالمستقبل في الدنيا محجوب عن الإنسان إلا ما وصل لعلمه عبر الرسل (وما كان الله ليطلعكم علي الغيب)

فالإنسان مخلوق مصمم علي عدم معرفته بأمور الغيب ولهذا لولا الشدند لما استطاع أن يعرف منهو معه ومن عدوه

ومسأله عدم معرفه الإنسان بأمور الغيب هي رحمه من الله بهذا الإنسان لانه لو علم مثلا ما سوف يلحق به لادي ذلك إلي شلل الحياه ولفسدت الأرض (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير)

ولهذا فإن حجب المستقبل من رحمه الله بالإنسان وهنا يقول لنا أنه طالما اقتضت سنه الله أن لا يطلع أحد من البشر علي الغيب الا من شاء الله من الرسل فإن المومنون يحاجه الي معرفه الصادق من الكاذب فلا يكفي ما يعلمه الرسول عن المنافقين من الوحي الإلهي لأن ذلك يبقي أمر نظري اذا لم ينتقل إلي العمل التطبيقي وايضا أن الناس بعد عهد النبوه يحاجه الي معرفه المنافقون ولهذا يقول تعالي في موضع آخر (ولونشاء لاريناكمهم فلتعرفنهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول)

وهنا يقول لنا أيضا سوف تعرفونهم في العمل التطبيقي

٤

يأتي بعد نفي اطلاع البشر علي المستقبل الغيب استدرك (ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء)

أن معرفه المنافقين يكون من خلال العلامات والمحن وكذلك أمور الغيب وأنه سبحانه وتعالى يطصفي من رسله من يشاء فيطلعهم علي بعض من أمور الغيب والتعبير بالاجتباء يشير أن الوقوف علي أسرار الغيب أمر اختص الله به نفسه إلا من اختار من رسله فالايه مثل قوله تعالي (عالم الغيب لا يظهر علي غيبه احد إلا من ارتضي من رسول)

٥

كما أن ذكر المولي سنته وحكمته (ما كان الله ليذر المومنين علي ما انتم عليه حتي يميز... الخ

فيه دعوه لاداره الازمه بتحويل المحنه الي منحه فهي كير العبد الذي يخرج به الخبث... وهو سبحانه وتعالى استعمل جمع الرسل هنا للاشاره الي هذه السنه طبقت علي جميع الأمم فقد امتحن الله الرسل وأتباعهم من المومنين بالجوع والعطش والفقر والشده والمكاره فهي تستخلص ايمان الصادقين وتظهر مزياهم العقليه والنفسيه ولهذا أمر الايمان بالله ورسوله (فأمنوا بالله ورسوله)

فسننه الله واحده مع جميع الرسل وأتباعهم فالله لو أراد أن يفتح الكنوز للرسل ويجعلهم أهل قوه لانهزم لفعول لكن ذلك يسقط حكمه البلاء ويبطل الجزء ولهذا يقول إن عليك أن تومن وتتقي لله وربط الايمان والتقوي بوعدده بالأجر الوافر بالجنه والدنيا (وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم) فيقول لنا انه جعل رسله اولوا قوه في عزائمهم وضعف فيما تري الأعين من حالاتهم مع قناعه تملأ القلوب والاعين فالابتلاء هو مقدمه للنصر والعز والتمكين

ابتدأت آيات هذا المقطع

(ولايحسين الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وإن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا إن الله عهد الينا أن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم أن كنتم صادقين فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير)

ابتدأت آيات هذا المقطع بالنهي عن الحساب الكاذب الذي يتوهمه البعض بشأن المال بإظهار الحرص الشديد علي المال

ولهذا ذهب البعض الي قصر الحكم علي اليهود لأن الآيات بعدها تتحدث عن اليهود وفساد تصورات هؤلاء وسوء آدابهم مع الله ورسله ... وهذا القول غير سليم فالحكم عام والآيات مرتبطة بما قبلها وما بعدها حيث أن الآيات السابقة قد تناولت مساله اهميه الابتلاء لتربيته المومنين وتنقيه الصف المومن لمنع التباس الصف نتيجة اختلاط المومنين بالمنافقين فالله سبحانه وتعالى يربط أوصاف المنافقين باليهود ولما كان الله قد أوضح أنه لا يطلع البشر علي الغيب الذي تدرك به مافي ضمائر الناس وأنه أنزل الوحي الإلهي بواسطه الرسل المذكور فيه أوصاف المنافقون لنحذر التعامل معهم ونعرفهم بها فقد ورد في الحديث (إذا رايت شحا مطاع وهوي متبع واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك أن تحتاط لنفسك)

فهو لاء الأصناف الثلاثة يشكلون خطر علي الصف المسلم الشح واتباع الهوي واعجاب كل ذي رأي برأيه يجب الحذر منهم فهؤلاء لا يصلحون أن يكونوا لبنات في بناء المجتمع المسلم لأن هؤلاء ادوات هدم قوي الإنسان الثلاثة العقل والعلم ..والمحبه والبغض فالشح شده الحرص يوجب البخل والظلم وهو يمنع الخير ويكرهه والهوي المتبع يعني محبه الشر واردة والإعجاب بالرأي يفسد العقل والعلم فأخبرنا الله أن مسارعه المنافقون الي الكفر يعود إلي حب الشر واردة الكفر منهم لدرجه انهم اشتروا الكفر بالإيمان واخبرنا أن ذلك أفسد تصوراتهم وقد أخبرنا كيف أن اعجاب ابن أبي برأيه جعله يعود بثلاث الجيش في أحد فقالوا (لو اطاعونا ماقتلوا) فقد أفسد عقله ولهذا قال تعالي (قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين)

واخبرنا أن الحرص علي المال كان من أسباب الخذلان والهزيمه في أحد واخبرنا أن اتباع الهوي جعلت المنافقون اقرب للكفر من الإيمان

ولهذا جاء التعقيب بالنهي عن الحزن لمسارعه هؤلاء الي الكفر لأن اراده العلو في الأرض جعلتهم يسارعون الي الوقوف ضد الحق وشراء الكفر مقابل الايمان فهم يتصورون أنفسهم فوق الناس ولم ينظروا أن ذلك استدراج لهم من الله

فأخبرنا أن لانحزن لمسارعتهم الي الكفر فما الذي يضرك إذا ضل هؤلاء وان لا تترك إيلهم ولا ترغب فيما عندهم لأن ذلك استدراج ودلنا الله علي الثلاث المنجيات

(خشيه الله في السر والعلانيه والقصد في الفقر والغنى وكلمه الحق في الغضب والرضاء) وان تتقوا وتومنوا فلکم اجر عظيم)

فذكر اهميه التقوي والايمان بأن ذلك يكون بتعظيم أمر الله بالخشوع والاذعان فناسب بعد ذكر حق الناس وإحسان إيلهم فناسب بعد تعريف المومنون بمن داخل الصف الانتقال لتعريفهم بمن حولهم

فالنصوص تبين حاجه المسلمون الي التربيه ليعرفوا من حولهم وكيف يفكرون وبواعثهم وطبيعه الأرض الذي يتحركون فيها والافخاخ التي يصنعها اليهود حيث أنهم جزء من مجتمع المدينه وطبيعتهم قريبه من طبيعه المنافقون ولهذا ناسب الانتقال الي تصوير حال اليهود وكشف الافاعيل المخجله عنهم وتاريخهم الاسود بعد ذكر المنافقون

فقال تعالي

(ولاتحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامه والله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير)

١

ابتدأت الآيات بهذا التهديد والوعيد فيه حكم عام يتناول التحذير من الشح الذي هو شده الحرص الذي يوجب البخل والظلم فيكون منع الخير وكرهيته

فذكر فساد الباعث للبخل بأنه يعود إلي توهم هولاء الذين يمتنعون عن بذل المال في سبيل ويمتنعون عن العطاء باعتقاد أن إمساكه ومنع إنفاقه فيه الخير لهم

فقال تعالي (لايحسبن الذين يبخلون .. الخ

اي يحرصون علي منع الانفاق بامسك المال وحبسه نتيجه التوهم أن منع اخراج المال فيه خير له لأن ذلك الفعل بنظره فيه زياده ما يكنز ويرى أنه إذا اخرجه ينقص من ماله

يقول الله أن هذا التوهم له اصل في النفس فهي مجبولة علي حب المال والتعلق به كما وصفها في موضع آخر (وأنه لحب الخير لشديد) اي المال

فالله يقول إن النفس بحاجه الي التزكيه من الشح والبخل وان عليهم البذل والعطاء ولهذا يدعوهم الي العطاء كما قال تعالي في موضع آخر (ها انتم هولاء تدعون لتنفقوا ن في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل علي نفسه)

ولهذا يقول إن العطاء ليس شرا وانما هو خير بل العكس ان الامتناع عن البذل هو الشر الذي يعود علي صاحبه ولهذا يقرر أن الذين يبخلون سوف يطوقون مع ماكنزوه فهذا تهديد مقرر

٢

تأتي النصوص بتشنيع صوره البخل لتغرس في النفس كراهيه البخل والبخلاء فأخبرنا الله أن هولاء يبخلون ليس بمالهم بل يبخلون بمال الله فقال تعالي (بما آتاهم الله من فضله)

وفي هذا توجيه أن عليك أن تدرك أن المال هو مال الله وأنه من عطاء الله للإنسان

فهو سبحانه المتفضل والمنعم والمالك والرزاق فهو الذي وهب الإنسان المال وجعله وديعه للقيام علي مرضاته فهو سبحانه وتعالى يقول لنا في موضع آخر (واتفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه)

ولهذا فإن تكديس الأموال والامتناع عن إنفاقه في سبيل الله ليس خيرا لمن يفعل ذلك فصاحب الرزق هو الله وال لازم عليك شكر المنعم علي انعامه بالانفاق والاعتراف بفضل الله عليك ان تشعر انك تاخذ وانت تعطي عليك أن تشعر انك انت المحتاج الي الانفاق

٣

ولما كان المال مال الله فانه تعالي أمرك أن تنفق فلماذا تبخل

هل البخل يعود الي الظن أن الإنفاق ينقص من مالك فأنت واهم فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (مانقص م ال من صدقه)ويقول تعالي في موضع آخر (وما انفقتم من شي فهو يخلفه والله خير الرزاقين)

فالمال وسيله ينال بها العبد رضوان الله فالمومن ينفق وهو موقن بوعد الله بالرزق الواسع منه تعالي

٤

تأتي النصوص بالوعيد للبخلاء بقوله تعالي (بل هو شر لهم)

اضراب ابطالي لتوهم من يتصور أن انفاق المال ينقصه فيلجأ الي امسك المال

بأن هذا فيه كراهيه الخير وسببا لمنعه فالبخل يلحق بصاحبه الشر لماذا لأنه يستوجب له العقاب ويلحق به سخط الله فالانفاق دليل وبرهان علي ايمان صاحبه واستجابته لأمر الله لقوله تعالي (أن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه) والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (الصدقه برهان)والله قال قبلها (وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم)والتقوي أن تعظمت في القلب حفظت الفطره من الانحراف فهي تحفظ قوه الحب والبغض فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه (من احب لله وبغض لله واعطي لله وامتنع لله فقد استكمل الايمان) ولهذا نجد اجتماع الأمر بالتضحيه بالنفس مع بذل المال فالاولي من قوه المنع الناتجه عن بغض الكفر وأهله وهي أساس الشجاعه والعطاء ناتج عن قوه الحب وهو أساس السخاء

ولهذا نجد المولي سبحانه وتعالى يهدد البخلاء فيقول (سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامه)

انهم سيلزمون وبال ما بخلوا به وإن ما كنزوا سيكون طوقا يلتف حولهم يوم القيامه فتكون اطوق النار التي تربط أعناقكم عند الحساب واستعمل الطوق الذي يربط العنق فيجعل حركته محصوره للاشاره الي ضخامه العقاب والي أن المال امانه في رقبته لانه مال الله وأنه إذا خالفت فإنك تجلب الشر لنفسك فإذا أردت فك رقبته وعنقك من هذا الطوق فإن عليك أن تستغل الفسحه في الدنيا قبل أن يحل الضيق عليك في يوم القيامه

واستخدم السنين للدلاله التي تفيد التحقق اي هولاء سوف يعاقبون لامحاله وحتما وعن قريب فالسين تدل علي قرب تحقق وقوع العذاب

٥

تاتي النصوص تخاطب هذا الإنسان انه سوف يموت ولن يأخذ معه شي من الأموال التي يجمعونها ويكدسونها ولا ينفقونها في سبيل الله

فعليكم أن تدركوا أن شي الي الفناء ولن يبقي الا الله وان كل شي يتورثه الله وحده لا شريك له

فيقول مالكم تبخلون بملك الله ولاتنفقونها في سبيل الله والحال أنهم لاينتفعون بها وسوف يكون المال وبال عليهم عند هلاكهم ويعود عليهم بالحسره والندامه وان الله خبير بما يعملون من المنع والاعطاء والبخل والسخاء

ويجازي كلا علي

عمله

ثانيا

تمضي سياق النصوص في كشف افاعيل اليهود واقاويلهم المخجله علي سبيل الذم للنهي والتحذير من افعالهم وأقوالهم مبينه مافيها من فساد لقوي الإنسان العقليه والنفسيه وقوه الحب والبغض لترسم النصوص قاعده الالم الكبرى بأن سببها هو الانحراف عن منهج الله والسير في طريق معوج ومخالفه وتكذيب الانبياء والرسل فقال تعالي

(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد)

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يربي المومنين ويؤهلهم ويبصرهم بمن حولهم فيكشف لهم طريقه تفكيرهم وتصورتهم الفاسده وايضا يغرس في نفوس المومنين بحضور الله معهم ووقوفه بجانبهم في صراهم مع العدو فعليهم أن يطمئنوا فكل شي يتم بعلم الله وحضوره ولهذا

ابتدأت النصوص بالتعبير عن العلم الإلهي بالسمع (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن اغنياء..)

حيث ذكر أن سبب النزول يعود إلي أن الرسول صلى الله عليه وسلم ارسل ابوبكر الصديق حاملا كتابا الي يهود بني قينقاع يدعوهم الي الاسلام واقامه الصلاه وأيتاء الزكاه وذكر لهم أنه تعالي قال (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)

فقال افنخاص اليهودي أن الله فقير حتي يسألنا أن نقرضه فلطمه ابوبكر في وجهه وقال لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك فشكا اليهود ما فعل ابوبكر الي الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر ابوبكر ما قاله اليهودي فانكرت اليهود ذلك فأنزل الله الابيه تصديقا لابو بكر

وهو ما يفهم منه الآتي

١

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يطمئن المومنين بحضور الله معهم ووقوفه بجانبهم فلا يضعفوا أمام الأعداء ولهذا استعمل السمع للتعبير عن العلم كي تعتز بالله ولا تتأثر بما لدي العدو من قوه فهي كما قال تعالي لموسي وهارون (اني معكما اسمع واري) عندما أخبره موسي أنه يخشي من بطش فرعون فقد أمرهما الله بالذهاب وان لا يخافا منه فعليهم الثقه بالله ونصره فهو يسمع اقوال الأعداء ويرى افعالهم وهنا تأتي الآيات تصديقا لابي بكر الصديق

٢

تكشف النصوص لنا خطوره الاغترار بالقوه الماديه اوالعسكريه أو المال لأنها تسي التقدير للأشياء وتفسد التصورات والإدراك فيقول لنا الله أن اغترار اليهود بالمال الذي عندهم وانهم أهل علم جعلهم يكتمون نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ظنا منهم أن ذلك سوف يمنع انتشار الإسلام وتصورا أنهم إذا اعترفوا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو النبي المذكور في التوراه أقيمت عليهم الحججه وانهم اذا لم يعترفوا فلا حجه عليهم وايضا ولد فيهم ذلك سوء الأدب علي الله فقالوا إنه تعالي والعياذ بالله محتاج يطلب منهم قرض فلا يطلب القرض الا

الفقير وقالوا (ونحن اغنياء) اي لانحتاج الي قرضه

٣

ان التعبير بالسمع عن العلم إيذانا بأن من الشناعه ما قالوا لأن ذلك يدل علي سوء ادب هولاء مع الله فالاصل أن تقابل أمر الله بالتعظيم وهذا حق الله فهم لم يرعوه كما أن جمع اليهود في القول مع أن القائل واحد لأن البقيه كانوا راضين بذلك لتحذر ايه المومن من ذلك السلوك القبيح فإذا رأيت شخص يسيء الادب مع الله فعليك اظهار عدم الرضا بذلك

ف الله يقول لنا أن اللازم عليك أن تستقبل أمر الله بالتعظيم فهو سبحانه وتعالى عندما يستنصركم بقوله (أن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدمكم)

فهو لم يستنصركم من ذل وأنه عندما يستقرضكم (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا)

فهو لم يستقرضكم من فال

أن عليكم أن تدركوا أن من استنصركم من له ميراث و ملك السموات والأرض ومن استفرصكم له خزائن السموات والأرض فهو الغني الحميد فقال تعالى قبل هذه الايه (ولله ميراث السموات والارض)

وانما يختبركم الله بذلك لتظهر حقيقه اعمالكم واقوالكم ولهذا قال تعالى (سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق)

أنه سبحانه وتعالى يسجل عليهم هذه الفريه الشنيعه لبيان أنها فريه عظيمه شنعاء ولهذا ربطها بقتل الانبياء فهي موزايه لها واستخدام لفظ الكتابه وهو سبحانه لا يضل ولا يسيء فأراد بهذا أن يلفت الإنتباه الي شناعه هذا القول فالتكابه هنا للتهديد بأنه يسجل الاصوات للجدل الذي وصل لدرجه الاجتراء علي الذات الإلهية ولهذا قرن هذه الجريمه بما ارتكب من قبل أسلافهم من قتل الانبياء ونسب لليهود في عهد النبوه لم يرتكبوا الجريمه لبيان ان الرضا بالمنكر تجعلك مشاركا أساسي في الجريمه والعقاب فعليك أن تنكر كل منكر فلا تتفاخر بأسلافك وأفعالهم أن كانت افعالهم مخالفه لمنهج الله ويجب عليك أن تنكرها

٥

يبين الله تعالى لنا عقوبه هولاء (ونقول ذوقوا عذاب الحريق)

العذاب الاول إيلام بالقول يلقي إحساسا في النفس بالألم فعبر عن ذلك بالذوق الذي ارتباط بشده وجع الإيلام ف الذوق أنه حريق فيه استعاب الألم لكل جزء من أجزاء الجسم نار محرقة فهو سبحانه وتعالى يقول لنا في موضع آخر (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)

ف الله يقول لا تتجرؤا علي الله فجلودكم الرقيقه غير قادره لا تحمل العذاب فعليك أن تخاف من عذاب الله

٦

تذكر الآيات حيثات الحكم (ذلك) اشاره الي عذاب الحريق بسبب افعالكم التي اقترفتموها من التفوه علي الذات ا لإلهية وقتل الانبياء فالله لا يعذب احد بلا ذنب وفيه أيضا علي القاضي أن يذكر أسباب وحيثات حكمه فقال تعالي (بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد)

واستعمل لفظ الأيدي للتعبير عن الأعمال والاقوال التي تكون سببا في استحقاق العقاب لأن اكبر الأعمال تزوال با لايداي

مبيا أنه سبحانه وتعالى عادل في حكمه فهو لا يظلم احد من عبده

وكذلك فإن النصوص جاء فيها إبراز حقيقه عبوديه الإنسان فعليه أن يتذكر أنه عبدا لله وان عليه تعظيم الله و الخشوع والاذعان والخضوع لله وأنه سبحانه عادل فلا يكون المحسن والمسي بمنزله واحده فلا بد أن يحاسب المسي علي إساءته

ثالثا

تمضي سياق النصوص مبينه أن سبب الازمه لدي اليهود عندما رفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم تعود إلي أن هولاء يريدون الجدل لأجل اظهار الجدل ولا يريدون اظهار الحقيقة ولهذا فإن هولاء إذا كانت الحقيقة خلا فارغباتهم فإنهم يلجأون الي تشويه المعلومه فمن كان جداله تعصبا لفكرته يدخل نفق مظلم لا يجد له مخرج لما ينتج عن هذه الازمه من العناد والتعصب وقساوه القلوب فقال تعالي (الذين قالوا إن الله عهد الينا الان نومن لرسول حتي يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم أن كنتم صادقين)

الأمر الأول

حيث ذكر أن جماعه من علماء اليهود وهم حي بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون جاوا الي الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد انك تقول إن الله أنزل عليك القران وانك رسولا من عنده ... وتطلب منا أن نصدقك ونتبعك وتلؤمننا لأننا لم نفعل ذلك .. وتقول اننا بهذا قد خالفنا أمر الله في التوراه ونحن إنما يمنعنا من ذلك أن الله اوصينا وصيه في التوراه أن لانصدق رسول حتي يأتينا بقربان تأكله النار اي تحرقه فإن فعلت ذلك اتبعنك

والظاهر أن اليهود كانوا في مأزق نتيجه أنهم كانوا يتحدثون عن قرب خروج نبي اخر الزمان وعندما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من العرب ورفضوا الايمان به فقد ظهروا بمظهر قبيح فأرادوا تشويه المعلومات التي طالما قد كان منهم الاعتراف بها ولهذا لجأوا الي هذه الحيله بقصد التعجيز مثلما قال المشركين (لن نومن لك حتي تفجر من الأرض ينبوعا ... الخ

ومن قام بتعليم المشركين طلب تلك المعجزات هم اليهود

ولهذا فإن النصوص تبين لنا ازمه هولاء تعود إلي الحسد في أنفسهم وان هولاء لم يطلبوا هذا من أجل معرفه بل تعنت منهم وإصرار على الكفر فهم يطلبون بالمعجزه الحسيه أن تنزل ويعتبرون ذلك شرطا الايمان ...

متجاهلين حقيقه ان ذلك كان في الماضي معجزه مثل بقيه المعجزات ولا يكون حصرا المعجزات بنوع معين من المعجزات وان الله تعالي قد جعل معجزه النبي صلى الله عليه وسلم هو القران الكريم المعجزه الخالده التي تناسب مرحله انتقال البشريه من الطفوله الي النضوج البشري

فالسؤال لم يكن علي سبيل الاسترشاد وانما قصد به التعجيز والتعنت وتشويه المعلومه لأنها جاءت خلافا لرغباتهم

فذكر (الذين) اي اولئك الذين اجتروا علي الذات الإلهية وقتلوا الانبياء من قبل هم الذين رفضوا الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم رغم علمهم به

الأمر الثاني

يعلمنا الله كيف نرد علي افتراء هولاء أثناء الجدل معهم فيلقن الله نبيه (قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم أن كنتم صادقين)

هب أن ما قلتم صحيح وان الله اوصي اليكم وصيه موثوقه مكتوبه كما زعمتم بعدم التصديق بالرسول الا اذا انزل نار من السماء تاكل القربان فلما كذبتهم بالرسول الذين جاءوا من قبل بما قلتم من القربان وغيرها من البينات الواضحه فلما قتلتموهم

فلا شك أن الذي حملكم علي هذه الافتراءات والرفض لدعوه الاسلام ليس لأن هنالك عهود موثوقه تمنعكم من ذلك وانما هذا يعود إلي كراهيه الحق واتباع الهوى

فقد قال تعالي في موضع (افكلما جاءكم رسول بما لاتهوي أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)

فهو لاء لا يريدون من الجدل اظهار الحق ولا يرغبون به لانهم معجبون بارائهم ولأنهم يتبعون الهوية ومتكبرون (أن الذين حقت عليهم كلمه ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم بكل آيه)

فالله سبحانه وتعالى يقول إن طبع الكفار واحد في كل زمان ولهذا نسب إليهم قتل الانبياء مع أن الفاعل أسلا فهم وذلك لانهم رضوا بذلك

الأمر الثالث

تبين النصوص شأن حمله الرسالات والدعاه الي الخير في كل زمان أنهم يجدون السفهاء يقفون في طريق الخير محاربين للدعوه والدعاه حيث يكون منهم تكذيب الدعوه والاستهزاء بالدعاه والتطاول وخاصه هولاء اليهود فإن تاريخهم حافل بالتكذيب للرسول والانبياء رغم كثرتهم فقال تعالي لتسليه الرسول صلى الله عليه وسلم (فإن كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير)

ولاشك أن أشق شي علي النفس هو التكذيب لمن جاء بالصدق ولهذا تأتي النصوص لموساه الرسول صلى الله عليه وسلم يقول له الله لست أول من كذب من الرسل فطريق الرسل والدعاه واحده فهو لاء أرسل إليهم رسل كثر وكان منهم التكذيب للرساله والاذيه للرسول رغم أنهم حاؤهم بالحجج والبراهين الواضحه والزبراي الكتاب الذي فيه الحكمه ويزبر عن الباطل ويدعو الي الحق وعطف علي ذلك الكتاب المنير لبيان شرفه وفضله

ليبان ان كفر هولاء ليس لنقص الادله أو لنقص إيصال الفكره بل عنادا وتعنتا

القسم الثاني

بعد أن ذكرت النصوص اهميه قراءه الدليل التاريخي وربطه بالمطلب الرباني والنظر الي طريق الانبياء والدعاه وكيف أن عصبه العمل الشيطاني يقفون في طريق الدعوه والدعاه رغم وضوح فتلك هي طريق الدعوه لتأخذ الدروس بالنظر الي كيفيه تعامل الرسل مع تلك الأحوال لبيان اهميه الصبر ولهذا فإن السامع لابد أن يسأل فيقول كيف يكون من هولاء كل هذا الفساد وهم أهل كتاب ثم أنه سوف يتسال ماهي الوسائل التي تزود قوه التحمل وماهو اقسام الصبر وأحواله

فجاء الجواب

اولا

عليك أن تعلم أن هنالك نظرتان للحياه النظره الماديه ..والنظره الإيمانية حيث أن أصحاب النظره الماديه ينظرون إليها من زوايه تحصيل الشهوات والملذات لاينظرون أن هنالك حساب أو عقاب لاينظرون أنهم مسؤولون عن

أعمالهم لا يتصورون أن هنالك يوم آخر ولذلك هم حريصون علي مافيهما من شهوات وتحصيل اكبر قدر ممكن من الملذات العاجله

اما النظرة الثانية فهي نظره المومنون الذين ينظرون أن الحياه الدنيا دار عمل لليوم الآخر وأن النعيم والراحة هي في اليوم الآخر

ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بذكر حقيقه الحياه والموت وحقيقه اليوم الآخر لتبين لنا كيف نصل إلي النظرة الصحيحه لليوم الآخر والحياه الدنيا فيقول لنا الله أن عليك أن تنظر إلي الدنيا بأنها فانيه وناقصه فقال تعالى (كل نفس ذائقه الموت)

فذكر لفظ العموم (كل) وأسند الموت للنفس لبيان اقبال الموت وسرعه زوال الحياه وايضا تشير النصوص الي نقص الحياه الدنيا ونقصها لأن الموت تنغيص للحياه ومافيهما من ملذات ولهذا أسند ذوق الموت الي النفس لانه قهر لها ويقطع اللذه لبيان انه لا بد أن تطعمه وهو يراد علي الروح والجسد فلا بد أن يفارق الروح الجسد فاسناد المذاق للنفس في التعبير عن حلول الأجل بالمذاق لبيان سرعه زوال الدنيا و مافيه من تنغيص الم تشعر وتحس به النفس عند مفارقه الروح للجسد

الله تعالى (كل نفس ذائقه الموت)

فيقول انظر الي سرعه زوال الحياه الدنيا ونقصها ومافيهما من تنغيص ونكد فعندما يقبل الموت ويحل فإنه يعقب ذلك من الحسره والندم والخسران فهو مذاق لما بعده فما روضه من رياض الجنه او حفره من حفر النار

فأراد بهذا أن تنظر إلي اقبال الاخره وأنها فيها السعاده الابديه وأنها دار البقاء فيها التي فيها السعاده الابديه أو الشقاء الابدي فقال تعالى (و إنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز وما الحياه الدنيا الامتاع الغرور)

يقول لك الله أن مجئ الموت لا يكون إهمال الإنسان كما يتصور أصحاب النظرية الماديه للحياه فقال تعالى (وانما توفون أجوركم يوم القيامة)

فجاء العطف علي الموت لتعرف أن هنالك حياه جديده بعد الموت حياه فيها الحساب والعقاب...والمناسبه لهذا أن يغرس فيك الاحساس بالمسؤولية وانك سوف تعاقب علي أفعالك فأنت لست مهملا ف الله لم يخلق أحد عبثا فلا بد أن تعطوا جزاء اعمالكم يوم القيامة لبيان انه لا بد أن يفرق بين المحسن والمسي فكل واحد يجزئ بعمله فلا يمكن أن يكونا بمنزله واحده فذكر التوفيه التكملة الثواب

لأن الإنسان بحاجه الي قوه العلم وقوه الحب التي تمده بقوه مواجهه ما طبع عليه من حب العاجله و النفع العاجل وتفضيلها علي اللذه المنتظره والاجله فهو بحاجه الي أن يري فضل النفع الأجل علي العاجل وتقوي الرغبة بالاجل

فيقول الله لنا أن الدنيا قد يشاهد الكافر لديه مال وجاه وسلطان وقدره في حين يكون المومن ضعيف وفقير وهو مطيع لله تعالى ولهذا يقول الله (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) يقول لاتمدن عينيك الي ما هم فيها فهذا زائل ولا يخلوا من التنغيص والكدر فأنت أجرك سوف يصل إليك في اليوم الآخر لانه يكون وصول بعض أجورهم قبل يوم القيامة فالكافر الذي يعمل الأعمال الخيرية يجد اجره في الدنيا إما في الاخره فليس لهم أي نصيب منها وايضا أنه تعالى يعطي المومنين اجرا في الدنيا وانما التوفيه لما تبقي في اليوم الآخر فأنت تقول وفيت اجر فلان

أي ماتبقي والرسول صلى الله عليه وسلم يقول القبر روضه من رياض الجنه او حفرة من حفر النيران)

ولأن الإنسان بحاجة الي قوه العلم الذي تجعله قادرا علي مشاهده فضل الاجله والنفع الأجل علي النفع العاجل و الدنيا وبحاجه الي تقويه الرغبه التي تجعلك تحب الاخره علي الدنيا...لأن تفضيل الدنيا يعود إلي ضعف الايمان أو فساد العقل ولهذا يقول الله لنا

لا تنتظروا نتيجه ايمانكم في الدنيا فهي وما فيها زائله وانما عليكم انتظار نتيجه الايمان في اليوم الاخر التي فيها البقاء والسعادة الابديه أو الشقاء الابدي فقال تعالي لبيان التفضيل لما في اليوم الآخر من نعيم (فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز)

وايضا فيه اجابه لمن يقول إن انا اطاعت الله وامتلئت امره فما هو الاجر الذي احصل عليه

يقول الله عليك أن لا تنتظر هذا الأجر في الدنيا ولكن انتظر ذلك في اليوم الآخر حيث لك الجنه ولهذا فلا تحزن أن شاهدت احد من الكفر يعيش في الدنيا بهذه الملذات فهي خيالات تخدع الإنسان (وما الحياه الدنيا إلا متاع الغرور)

الأمر الثاني

تبين النصوص اهميه الزهد عن الدنيا وملذاتها فعليك ايه المومن أن عرفت أن الموت سوف يدهمك في اي لحظه أن تسارع الي الأعمال الصالحة قبل أن يلحق بك الموت فهو يسرع نحوك في اقباله ولا مفر منه إلا بالأعمال الصالحة فأنت مطلوب منك أن تكون في يقظه وترقب الموت أن يحل في اي لحظه فلا تشغل بالدنيا وملذاتها فتخدعك عن مافيه سعادتك يقول لنا الله انك بحاجة الي التزود بالطاقه التي تمدك بالصبر فطريق الجنه شاق ولهذا عليك أن تنتظر إلي وجودك في الدنيا انك في سفر الي الله واليوم الآخر وهذا يتطلب تقويه الرغبه بالوصول الي الدار الاخره ولقاء الله

فقال تعالي (فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز)

أن النصوص ترسم لنا اليوم الآخر والنار وما فيها من احوال فالنار تشتعل وهي تريد المزيد من الكفار أن يدخلوا فيها وهي تغيظ وتفور من شده الغيظ علي الكفار ترسمها الآيات بأنها مصدر خوف عظيم يجب الاشفاق علي نفسك من أن تقذف فيها خاصه اذا علمت أن لها قوه جاذبيه تشدك نحوها فقال تعالي (زحزح)

أنها تحتاج الي قوه مقاومه تبعدك عنها بقوه فعليك أن تخاف علي نفسك أن تجذبك النار إليها فالخوف في الدنيا قوه تدفعك عن الوقوع في النيران بالتوحيد والأعمال الصالحه والإخلاص وتزكيه النفس فهذه الصوره التقريبه التي تحملها النصوص عن جاذبيه النار هي نصيحه وموعظه من الله تعالي لعباده فعليكم إن تقبلوا النصيحه وان تنزع مافي نفسك من رغائب فلا بد من كف أنفسكم عن المعاصي ونزع شهوتك التي تجذبك نحوها وقمع الهوي لا بد أن يكون منك مفارقه المعاصي وان تحاسب نفسك وتتهمها بالتقصير في طاعه الله وان لاتثق لوسوسه النفس فهي اماره بالسوء تريد أن تجذبك الي النار وذلك لأن الجنه حفت بالمكراه وان النيران حفت بالشهوات

والله قد دلکم علي مايكره من الأعمال ومايحب ولأنه ما من شي في طاعه الله الا وفيه مخالفه لهوي النفس البهيميه فتكره اتيانه وأنه ما من معصيه الا وهي موافق لميل حيواني فتشتهيه النفس اتيانه ولهذا فإن قمع النفس وقمع شهوتها أمر يحتاج الي الصبر وهذا إنما يتحقق من خلال الاشفاق من النار فيقول لنا الله أن قوه جاذبيتها تعود للمعاصي والذنوب والبعد عن الله لأنه يولد السخط فمصدر الحميم أعمالنا ولهذا فأنت بحاجة إلي احساس بالخوف من عذاب وان تشفق علي نفسك من النار أنها قوه تمدك بالصبر اللازم علي المعاصي فيكون منك مفارقه المعاصي والذنوب الحسيه والمعنويه

وكذلك فأنت بحاجة إلي قوه الرغبه في الأعمال الصالحة ولهذا نجد ان النص جاء فيه الترغيب بالجنه (فقد فاز) عليك أن تشتاق الي الجنه وما فيها من نعيم فهذا الاشتياق للجنه وما عند الله يمدك بقوه الصبر علي الطاعه كما قال الامام علي من اشتاق الي الجنه سلا عن الشهوات ويحصل علي قوه تمدك بالصبر

ويخبرنا الله أنه لا يتم الرغبه في الاخره الا بالزهد عن الدنيا وهذا لا يستقيم اي الزهد عن الدنيا الا بعد النظر إلي الدنيا وما فيها بأنها صاره الي الزوال والفناء والنظر الي الاخره بأنها فيها المتاع الحقيقي والسعادة الابديه فالعقل لا يجري وراء جيفه الدنيا وهي لاتساوي شي امام ما ينتظره في الاخره فقال تعالي (وما الحياه الدنيا إلا متاع الغرور)

تحقيرا لشانها بأنها لاتساوي شي ولاتستحق أن تجري وراءها فأنت أن حرصت عليها تقع في الغفله فتجري الاشياء علي غير حقيقتها فهي تخدع عين المغتر بها فيري المتاع الزائل أنه له قوه وزينه دائمه وهو يولد في صاحبه الغرور والاستهانه بالآخرين واحتقارهم بما عنده من مال وجاه وسلطان يتصور أن ماله أو قوته سوف تحول دون هلاكه فهذا يعيش متبلد الاحساس نتيجته وقوعه في خديعه النظره الماديه للحياه

فالله سبحانه وتعالى يقول احذروا من ذلك وعليك ايه المسلم أن تكون مستقيظا من الركون للدنيا ومتاعها فإنه يخذلك ويجذبك لجهنم

فإذا أردت النجاه فعليك الحذر من ذلك عليك أن تنظر إلي الدنيا وما فيها أنه زائل وانظر الي الاخره أنها فيها النجاه والسعادة الابديه

فاختار ايهما افضل فالمتاع الحقيقي هو الذي يستحق الجهد وتحصيله هو الفوز بالجنه وهو مايولد قوه الرغبه في طاعه الله والزهد عن الدنيا

ثالثا

يقول لنا الله أن الصبر ثلاثه انواع

الصبر علي الطاعه...والصبر علي المعصيه...وهو ما تناولت الايات السابقه بيان كيفية الوصول إليه وبقي النوع الثالث وهو الصبر علي المصائب والاقدار وقد اختتمت الايه السابقه دعوتها بالحث علي الزهد عن الدنيا وما فيها لأ ن ذلك اذا استقر في النفس فإنه يولد قوه تمدك بالصبر قضاء الله وقدره فجاء هذا مناسبا مع تبصير الله الجماعه المومنه بالطريق الي الجنه بأنها ملئيه بالمتاعب والمشقه والابتلاء والامتحان فقال تعالي (لتبلون في أنفسكم واموالكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اني كثير وان تصبروا وتنتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)

لماذا لأن من زهد عن الدنيا استهان بالمصيبات وهذا من مصادر قوه الصبر فالله يقول لك ايه المومن عليك أن تعلم قبل أن تنظم الي جماعه الايمان أن حياتك في هذه الدنيا سوف تكون كفاح ونضال سوف تتعرض للألم و المتاعب فإنه ينتظر منك التضحية بنفسك ومالك واهلك وأحابيك يقول لك الله عليك أن تدرك أنك في امتحان وابتلاء واختبار ولهذا فإن الزهد عن الدنيا يولد فيك قوه تحمل لانك تلجاء الي مصدر القوه وهو الله تعالي

والله يقول لنا أن الجنه ثمنها غالي فالامتحان لابد منه ولهذا فإن الشده المتوقعه التي يخبرنا الله بها عن مستقبل العمل في ميدان الإيمان يولد قوه احتمال يحد من اثار الازمات اذا حلت فلا يكون لها آثار مدمره في حياه الامه لأ ن عدم التوقع وعنصر المفاجاه هما اللذان يصاحبان الازمه ويحدثان آثارها ويصعب عليك احتوائها ويجتث قوه الاحتمال ولهذا ذكر الله الابتلاء بعد الحث علي الزهد علي الدنيا واخبرنا عن المستقبل أنه كفاح ونضال فكل شي متوقع فلا تتفاجوا فانت بعث نفسك لله فلماذا الخوف فقال تعالي (لتبلون في أنفسكم واموالكم)

فعليك أن تشعر أنك في الدنيا في اختبار وامتحان والله عندما يقول لك (لتبلون)

يبين لنا الطريق الذي نسلكه فأنت عندما تقول أنا مسلم عليك أن تكون مستعدا لما بعد هذه الكلمه لانك سوف تعامل من الله معاملة المختبر فسوف تلاقي المتاعب والمصاعب في النفس بالموت والقتل اوغيره أو الأهل أو المال بالتلف والهلاط وجميع أصناف المخاوف والمكاره والله يعلم كل شي ولكن ذلك ليظهر للناس حقيقه أنفسهم ولاخراج الكبر من قلوبكم وإسكان التذلل والخضوع لله في نفوسكم ليجعل من ذلك الامتحان أبوابا تفتح لدخول فضله وأسبابها لعفوه ورحمته

فمن أخذ بتزكيه نفسه وقام بمجاهدتها هانت عليه الشدائد فتصبح الأمور عليه حلوه بعد المراره وتسهل عليه الصعاب فالامتحان اذا اعداد وتهئيه لكم لمواجهه التحديات والصعوبات فلا تنكسروا وتترجعوا الي الوراء ولا تتخاذلوا فهو امتحان لاظهار الصادق من الكاذب

رابعا

يقول لنا الله أن حمل المشروع الرباني والدعوه الي الله طريقها معروفه يعمل معكم ما عمل مع من سبقكم من حملة المشروع الرباني فقال تعالي (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشرکوا اذی كثير)

عليكم أن تدركوا أن أهل الشر سوف يتجمعون في قلب واحد في تكذيب الدعوه واذيه الدعاه فهذا هي حقيقه الطريق فأخبرنا الله بهذا قبل وقوعه لماذا

ليكون التحاقك في جماعة العمل الايماني عن درايه وعلم بالطريق فالله لم يغش عباده بل أوضح لهم المستقبل ودلهم علي الطريق ووضع لهم المعالم التي تمنع عنهم الانحراف اذا اردوا الانضمام الي حركه العمل الايماني يقول لك أن الأعداء سوف يلجأون الي تشويه صوره العاملين في ميدان العمل الايماني أنهم سوف يحاربون العاملين ويمنعون من يسعي الي الالتحاق بكم سوف يصنعون الحواجز بينكم وبين الناس وهم يتطورون في وسائل الشر وأساليبه باختلاف الزمان والمكان وهذا هو مانراه اليوم حيث أصبح المومنون لاحول ولا قوة لهم لايملكون غير ذلك ولايوجد من يدافع عن المسلمين ونجد الغرب وأعداء الإسلام والعملاء الخونه من أبناء الإسلام يحاولون تصوير الاسلام بصور شنيعه من إصاق الإرهاب بالإسلام والتنكيل بأبناء الاسلام والدعاه فقد صارت تهمة الإرهاب وسيله لإسكات اصوات العلماء في إنكار المنكر والوقوف ضد الظلم وهنا يخبر الله عباده أن عليهم الصبر وخوف الله (وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)

أن الصبر والتقوي من عزم الأمور اي من صواب التدبير فعلي المومن أن يتأدب بأداب الرسل فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) فالصبر يمدك بقوه التحمل للمشاق والتقوي اي الخشيه تمدك بقوه خوف الله ببذل الجهد بطلب مرضاته وايضا تقضي علي شهوات النفس في الانتقام فعليك أن تجعل غضبك لله وحبك لله فنفسك لاتستحق أن تغضب لها

القسم الثالث

لما ذكر الله الطريق الذي يوصل الي الجنه ولقاء الله بان طريق الجنه حفت بالمكاره وان النيران حفت بالشهوات واخبرنا الله أن وسيله تجنب الوقوع بالنيران هو بالصبر والتقوي وهذا إنما يكون بصحه اليقين فالصبر ناتج عن سكون القلب الي الثقه بالله والانقياد لأمره والاشفاق والوجل من سابق العلم

وذلك لأن تفضيل البعض الدنيا الزائله علي الاخره التي فيها السعاده الابديه يعود إلي ضعف الايمان أو فساد العقل الذي يكون تسليم القيادة للهوي فينتج عن ذلك سوء الاختيار لأن الهوي يحب العاجله علي الاخره فالاولي ناتج عن ضعف العلم والثانيه ناتجه عن ضعف الحب ولأن اليهود والنصاري أهل كتاب فقد يقول قائل كيف يكون

من هولاء اختيار الدنيا وتفضيلها علي الاخره وهم أهل علم ولهذا يقول لنا الله أن العلم يلا خشيه لاقيمه له فناسب توضيح ذلك بعد ذكر أن الصبر والتقوي من عزم الأمور فقال تعالي (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترتون لاثسين الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والأرض والله علي كل شي قدير)

يخبرنا الله واذ...هي ظرف متعلق بالعلماء والاختبار من اليهود والنصاري فيقول اذكروا العهد المأخوذ من هولاء أنه موثق لتأكيد الزامهم به الزاما مؤكدا بأن عليهم توضيح ونشر مافي التوراه والإنجيل من أحكام بما في ذلك اظهار حقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه النبي الخاتم بنعوته وواصافه والعهد ثقيل فسمي ميثاق فذكر (ولا تكتمونه) اي لاتخفون مافيها من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

حيث أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يلفت انتباه المخاطبين الي أن العلم بدون خشيه وخوف الله لاقيمه له (إنما يخشي الله من عباده العلماء)

ولهذا نجد أن النصوص فيها حكم عام وان كان سبب النزول متعلق باليهود والنصاري فالمراد بهذا التحذير من اخفاء العلم بشكل عام فمن انطبق عليه أوصاف اليهود والنصاري استحق العقاب المذكور في الايه فنحن نري اليوم في امه الاسلام من يدعي أنه من العلماء من يروج للباطيل

ولهذا نجد أن النص جاء فيه التحذير من سلوك وأفعال هولاء فكان الالتفات من الغائب الي المخاطب (لتبيننه).

لتأكيد أنه أخذ الميثاق باعلانهم فهم لم يكونوا غائبين عند أخذه بل كانوا حاضرين مخاطبين بالعهد

فناسب ذلك الانتقال الي بيان كيف تعاملوا مع العهد لبيان أنه لاقيمه للعلم اذا لم يقترن بالخشيه فقال تعالي (فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا)

أنهم قابلوا العهد بالاهمال والترك واخفوه

واستعمل النبذ والذي يعني في اللغه الطرح والأبعاد والرمي

وهنا نجد الضمير يعود علي ما قبله فما هو الذي نبذوه هل هو العهد وحده ام الكتاب التوروه والإنجيل مع العهد

أن النصوص فيها الضمير يعود علي الميثاق بأنهم طرحوه بعد أن أمروا أن يبنوا للناس والذي من ضمنه اظهار حقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم فهم لم يعودوا يبالوا بهذا الميثاق ولا يهتموا

ولهذا فإن ذلك يعني أنهم رموا واهملوا الكتاب أيضا لأن الميثاق هو الذي يعطي العلماء امتثال مافي الكتاب ولهذا ذكر أن طرح هولاء للميثاق المأخوذ عليهم هو طرح للكتاب أيضا كما قال تعالي في سوره البقره(اوكلما عهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ماتتلوا الشياطين علي ملك سليمان...الخ

ولفظ فنبذوه دليل علي كراهيه هولاء للميثاق لماذا لأنه يوجد فيه الشي الذي يبغضونه وهذا الشي الموجود في كتبهم هو ذات الأمر الذي أمروا بإظهار امره للناس وعدم اخفاؤه وهو أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي الخاتم

وسبب الكراهيه والبغض يعود لأن الرسول الخاتم لم يكن منهم وانما كان من امه العرب

فهم في هذا الموقف طرحوا العهد خلفهم وقد امروا أن يجعلوه نصب أعينهم فدل هذا أنهم لا يريدون أن ينظروا اليه ولا يريدون أن يتفكروا بما فيه ولا يريدون أن يعودوا إليه فترسم النصوص مشهد تعاملهم مع العهد بعدم الوفاء به وأنهم قاموا برميه خلفهم الي وجه الكراهيه فهم عندما قالوا إن الله اوصاهم أن لا يصدقوا رسول حتي ياتهم بقربان تأكله النار وقولهم أن الله فقير كل ذلك ناتج عن الاستهانه بميثاق الله والاستخفاف بالتوراه

فذكر الله أن هذا الفعل منهم قد أحدث تحولا في حياتهم بالقيام باستبدال التوراه بالكتب الشيطانيه كما قال تعالي في سوره البقره (واتبعوا ما تتلوا الشياطين علي ملك سليمانالي قوله) ولقد علموا لمن اشتراه ماله في ا لآخره من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)

فذكر أن هولاء فضلوا المصالح الشخصية والدنيا ومتاعها وحب الرئاسة والجاه والسلطان والقياده علي عهد الله فقد اردوا الحفاظ علي الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها من أنهم أهل دين وعلم وما حظوا به من منزله بين الناس ومصالح الدنيا الحقيه التافهه فكان منهم التضحيه بالعهد المقطوع عليهم مقابل ثمن تافه بالقياس لما عند الله (واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون)

فدلت النصوص علي الآتي

١

أن علماء اليهود والنصاري الذين اوكل إليهم امانه حمل العلم ونشر حقيقه النبي الخاتم بنعوتيه وواصفه ونصرتيه عند بعثته والمعلومه وصلت إليهم صحيحة لكن هولاء اتخذوا من الدين وسيله لجلب المصالح الشخصية والامتيازات وادي هذا بهم الخلل الفكري إلي عدم إدراك لقيمه العهد والوفاء به لاستمرار صفه التدين لهم فتجرؤا علي ترك وطرح العهد المقطوع معهم بالتصور أن عدم الاعتراف بنبوه الرسول صلى الله عليه وسلم يعفيهم من المؤخذة عند الله فعدم الإدراك ناشئ عن الثقافه الفاسده التي تكونت لدي بني إسرائيل

يربط الدين بالمصالح والامتيازات في نفوسهم واذهانهم أنهم شعب الله المختار فنظروا للدين أنه جنسيه يتفاخرون بها وحصر صفه التدين بهم ادي بهم هذا الخلل إلي خسه نفوسهم ودنائتها ولهذا كان اختيارهم للدنيا وتفضيلها علي الآخره التي فيها السعاده الابديه وان مافي الدنيا لايساوي شئيا فالحاله النفسيه والذهنيه لهولاء ناتجه عن الحسد ونظرتهم للمصالح الرئاسة والجاه والشهره فباعوا دينهم مقابل تلك المصالح فلم يقبلوا أن تنتقل القياده الدينيه الي امه الاسلام

٢

أن تغلب المصلحه الحاليه النفع العاجل علي المصلحه ذات الأثر الممتد والنفع الأجل لدي هولاء قد نتج عنه تحويل الاداره الدينيه في بني إسرائيل (العلماء والاحبار) الي كيان هش ورخو تتداعي فيه القلوب الي أهواء الباطل و الميل للدنيا والتنافس عليها

٣

أن هولاء لجأوا الي تشويه المعلومه الوراده في التوراه والإنجيل الداله علي صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم لم تناسب رغبتهم لأن الرسول صلى الله عليه وسلم من امه العرب فتركوا العهد وما الزمتهم التوراه وا لإنجيل واستبدلوها بالكتب الشيطانيه وكتبوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم واخفوا نبوته

فكان قيامهم بذلك مصدرا للفرح فاساوا التقدير للأمور فتصوروا أن اجتماع كلمتهم علي ذلك فصيبوا بنشوه ذلك

الفعل فنظروا أن فعلهم ذلك قد قوض رساله الاسلام وأنه حد من انتشاره فشحروا بنخوه فعلهم الذي نظروا إليه أنهم بذلك حققوا النصر علي الاسلام حيث أن هذا الفرح المذموم أخرجهم عن حد الاتزان فتصوروا أن فعلهم ذلك سوف يمنع انتقال القيادة الي امه الاسلام ودفعهم الي الغرور الذي جعلهم يتصورون أنهم لن يعاقبوا ولن يؤخذوا علي عدم الوفاء بعهد الكتاب طالما لم يعترفوا أمام الآخرين أن النبي صلى الله عليه وسلم هو النبي المبشر به في التوراه والإنجيل

فقال تعالي (ولاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا)

أن هولاء واقعون في ازمه الفرح المذموم لانهم يفرحون لأجل الباطل

فهو لاء أصيبوا بالغرور نتيجة نظره الناس إليهم أنهم أهل علم بالاديان وفضل وعفاف فقد كانوا يتظاهرون بالصلاح لأجل الثناء عليهم فاتخذوا من الدين وإظهار الصلاح وسيله لطلب السمعه ولأجل استثمار ذلك في محاربه الاسلام

فقد أساء هولاء التقدير للأمور نتيجة الغرور والإعجاب بالرأي والحكم عام يتناول حتي المسلمين متي كان تصرفهم مثل هولاء لأن المراد بهذا بيان أن هولاء قد فسدت قوه العلم وقوه الارده الحب فاخترهم الادني يعود إلي فساد تلك القوي نتيجة سوء الإدراك والغرور وسوء التقدير للأمور حيث ذكر أن من أسباب النزول ارتباط الآيات بما حصل أيضا من المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد واعتبروا أن ذلك ذكاء منهم لانهم استطاعوا خديعه المسلمين حسب تصوراتهم الباطله

وانهم بعد انتهاء المعركه تظاهروا أن تركهم القتال إنما كان لحكمه وتعقل وحصافه

ولهذا يقول الله (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم)

ذكرت النصوص أنهم لن فعلهم الذي فرحوا به وهو تشويه المعلومه لما جاء في التوراه والإنجيل..والنفاخر منهم أنهم أوقفوا انتشار الإسلام لانهم لم يعترفوا بما جاء في التوراه والإنجيل بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو النبي الخاتم المبشر به في التوراه والإنجيل والماخوذ عليهم العهد أن يظهره امره للناس واعتبروا أن عدم اعترافهم بذلك يوقف انتقال القيادة الي امه الاسلام وايضا أن ذلك يجعلهم ينجوا من العذاب واقامه الحجه فيقول الله أن فعلهم ذلك لن يباعد بينهم وبين العذاب ولن ينجوا منه فالحجه قد أقيمت عليهم وقد جهز الله لهم العذاب الموجه

وقد ذكرت النصوص هنا نوعان من العذاب

الاول

(بمفازة من العذاب)

احتمال أن يكون المراد به العذاب في الاخره ويحتمل أن المراد بهذا العذاب الدنيوي المعهود أنه يأخذ المكذبين و التي تكون حركتهم في الأرض فيها إفساد ونقض العهود الموثوقه فسنه الله أن ينزل العذاب للذين ينقضون عهد الله بعد أخذه منهم بخذلان أهل الباطل ونصره أهل الحق وهلاك المكذبين (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمه أن أخذه اليم شديد)

فالله يقول إن فرح هولاء بمحاربه الاسلام واثاره الشبهات واعتبارهم أن الابتلاء بالشدئ والمحن التي تلحق بـ المسلمين أنها مصدر فخر لهم ويحبون المدح والثناء لهم علي ذلك

فيقول الله أن هولاء لن ينجوا من العذاب لأن من يخرج عن قانون الخلافة المطبق باهلاك المكذبين وتعذيبهم بتمكين المومنين لأن النصوص تتحدث عن انتقال الخلافة من اليهود الي امه الاسلام فيقول الله أن افعالهم تلك لن تمنع انتصار الحق وتمكين المومنين فالله له ملك السموات والارض ولا يعجزه شي وايضا فيه اشاره الي أن نبذهم العهد وراء ظهورهم واستبداله بما فرحوا به من الكتب الشيطانية لن ينجيهم من عذاب الم الهزيمة والخزي والذل عذاب خوف انكشاف أمرهم شأنهم شأن المنافقين الذين يعيشون في عذاب القلق والخوف من فضح أمرهم فقال تعالي في موضع آخر (سنعذبهم مرتين ثم يردون... الخ

فذكر العذاب مرتين يقصد به عذاب خوف أن يكشف نفاقهم ثم العذاب في القبر وبعدها يردون الي عذاب يوم القيامة

ولهذا تبين النصوص أن فرحهم لن يدوم فهم لابد أن يعذبون بالم الحزن عندما يشاهدون انتصار الحق والعز و التمكين وانهم لابد أن يعانون من القلق والتوتر النفسي والاكتئاب فالفرح الذي تراهم فيه لن يدوم

الثاني

ولهم عذاب اليم

ويتنظروهم عذاب موجع مولم في اليوم مجهز ومعد لهم

فالله يقول في موضع آخر (أن الله لا يحب الفرحين)

والخطاب في الايه (فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب.... الخ موجه للرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون يأمرهم بعدم الياس عندما يجدون الحجود وقله الاتباع ووقوف الظالمين ضدكم فعليكم الثقة بوعد الله وتطمئنوا بنصره وان الباطل لابد أن يهزم فلا تتصوروا أن ماهم فيه سيكون مانعا من تحقيق وعد الله ولهذا يقول لنا تعالي (ولله ملك السموات والأرض والله علي كل شي قدير)

يقول لنا الله ثقوا بوعد الله لأنه لايمكن لهؤلاء الكفار أن ينجو من عذاب الله فلا توجد قوه قادره ان تقف أمام قدره الله فعليكم أن تثقوا بزمانه وان يسكن قلبك بالاطمئنان لوعده وان يعظم وعيده في قلبك فلا تقع فيما وقع فيه المكذبين

فالله قادر علي كل شي وله جنود السموات والارض ولا يعجزه شي فهو له السلطان القاهر فعليك أن تثق بنصره ثقه العارف بقدرته فهو سبحانه له الملكية المطلقة فكل شي ملكه وهو يتصرف في ملكه كيف يشاء ومثلما يشاء وله القدره المطلقة فالكون شاهد علي وحدنيته وسلطانه ونفاذ مشيئته وأحكام صنعه وفيها بيان قدرته علي جميع خلقه وحسن تدبيره فهو له الخلق والأمر ولهذا ذكر الملكيه والقدره المطلقه له سبحانه للاشاره الي أنه سوف يحقق وعده بالعز والتمكين والكرامه والرفعه لأوليائه فهو له التمكين من الفعل فلا يعجزه شي فله الملكية المطلقة وله القدره المطلقه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع السابع

اولا

أن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من أنصار

ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فإمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا واتنا ما وعدتنا علي رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف المعياذ)

وبالوقوف علي المواضيع التي تطرحها النصوص للنقاش والقضايا التي تعالجها نجد أنها الاتي

الموضوع الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يدعوا عباده الي معرفته ومحبته وتوحيده بالنظر إلى مفعولاته الي السماء كيف أقامها وكيف إنشأها وابدعها وما فيها من الشمس والقمر والنجوم والمجرات والي العالم السفلي الأرض وما فيها من البحار والمحيطات والوديان والسهول .والي ظاهرتي الليل والنهار وما فيهما من اختلاف وتفاوت في اللون و الظواهر المرتبطة بذلك بأنها آيات داله علي وجوده وإحسانه وجلاله وجماله وحسنه وداله علي صدق القران وما يدعوهم إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حيث انها وردت بعد أن ذكرت النصوص في المقطع السابق ما كان من أهل الكتاب بإنكار بتكذيب الرساله واذيه الرسول صلى الله عليه وسلم واعتراضهم علي مجئ الرساله الاخيره بخلاف سنه ارسال الرسل الذين كانوا يحملون منهج الهدايه والمعجزه الماديه واعتبروا ذلك مبررا لرفض القبول بدين الإسلام حتي يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم بمعجزه ماديه وهي أن يضع قربان تأكله النار فأخبرنا الله أن رساله الاسلام هي اخر الرسالات وان النبي صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء وقد كان أخذ ميثاق الكتاب علي جميع أهل الأديان وعلماءهم بإظهار نعوته وصفاته للناس لانه دين للعالم أجمع وخص به مرحله هامه من تاريخ البشريه أنها مرحله انتقلت فيها البشريه من الطفوله الي مرحله النضج البشري فكان مناسبا أن تكون معجزه هذه مرحله هي عين المنهج اي القران الكريم ذاته هو المعجزه وهو منهج الهدايه فقد جاء مناسبا لهذه مرحله لأ ن المعجزات الماديه تكون لجيل محدد تنتهي بانتهاء ذلك الجيل أما القران فهو معجزه لكل زمان ومكان ولهذا نجد أن الله تعالي يقول لنا أنه جعل لمعرفة ومحبته وعبادته وتوحيده طريقين آياته المشهوده في هذا الكون الفسيح من خلال مشاهده انعامه وإحسانه وحسنه وعظمته والطريق الثاني تدبر آياته المسموعه في القران وقد جعل آياته المشهوده دليل على صدق آياته المسموعه وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول لنا أن مفعولاته ومخلفاته تدل علي انها محدثه وكل حادث لابد له من محدث فالفعل لابد له من فاعل والفاعل لابد له من صفات تبرزها أفعاله وان اول هذه الصفات أنه تعالي موجود قبل الوجود فهو الاول والاخر والظاهر والباطن له صفات الكمال من القدم والبقاء فهو حي دائم لايموت ولهذا نجد أنه سبحانه وتعالى يذكر الظواهر الناتجه عن حركه الشمس والقمر (تعاقب الليل والنهار)بالاشاره الي ما فيها من التغير والتبديل ليخبرنا أنه لا يستحق العباده الا الله يخبرنا أن حركه الكون بتلك الدقه المتناهية تدل ان لها اله حكيم وان له ارده فيما صنع وان سلسله الأسباب و المسببات تنتهي الي الله وكل شي يتحرك وفق تدبير الله تعالي

ف الله سبحانه وتعالى الي يمتن علي عبادته انعامه وإحسانه وحسنه وعظمته في هذا الكون الفسيح وأنه اغدق عليهم بالانعام والتسخير الكوني فيقول لنا أن الذي يشك في ملك الله لما في الكون وقدرته وتدبيره لهذا الكون إنما هو شخص لا يثق حتي في الآيات المحسوسة فهذا أما جاحد مكابر معاند أو فاقد لعقله لاعبره فيه فقال تعالى (لآيات لأولي الألباب)

الدرس الثاني

يلفت المولي سبحانه وتعالى انتباه المومنين الي حاجتهم الي المنهج الرباني الذي يزودهم بالقوه العلميه النظرية فهم محتاجون الي معرفه الله واسمائه وصفاته والطريق الموصل إليه ومعرفه الآفات والأمراض التي يتعرضون لها وكيفيه العلاج منها ومحتاجون الي القوه العمليه التطبيقية اي تقويه الرغبه والارده علي الفعل كي ينتفعون من الآيات فقال تعالى (لآيات لأولي الألباب)

ف الله سبحانه وتعالى يقول لنا أن الإشكالية والازمه عند الذين ذكرت النصوص في المقطع السابق أنهم كذبوا ب القرآن واذوا الرسول صلى الله عليه وسلم برغم أنهم أهل علم (أهل كتاب) أن الازمه لديهم كامنه في في أذهانهم وثقافتهم ونفوسهم حيث أفسد الحسد وكرهيه الحق قوه الحب والبغض وقساوه القلوب لأن الله ارسل الرسول الخاتم من امه العرب قد أفسد واصبحوا يتلذذون بمحاربه الحق واصبحوا يكرهون لقاء الله وكذلك دلت افعالهم فقدانهم العلم والمعرفة بالله بدليل أنهم تجرو علي الله فقالوا (أن الله فقير ونحن اغنياء)

فليس المعرفه والعلم بالله هي معرفه أسمائه وصفاته وأفعاله فقط بل لابد أن تحس بوجود الله ولهذا ذم الله في الآيات السابقه ما كان من اليهود من الفرح بتكذيب الحق وما اختلقوا من الأعذار الكاذبه واعتبروا ذلك ذكاء منهم واعتبروا أن العقل اخفاء حقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم الاعتراف به وانهم لو اعترفوا أقيمت الحجة عليهم فقالوا (اتحدثونهم بما فتح الله عليكم الي قوله (أفلا تعقلون))

فدل هذا أن الإشكالية والازمه عند هؤلاء كامنه في الذهنيه والنفسية فذلك يعود إلي ضعف العلم والمعرفة بالله وضعف الحب لله سبحانه وتعالى فهم يعيشون في عذاب البعد عن الله وان هؤلاء لا يؤمنون بالله واليوم الآخر حقيقه ولو كانوا مومنين بيقين أن مخالفه الله ومعصيته سوف ينزل بهم العذاب لما ارتكبوا المعاصي فهم يفضلون النفع العاجل علي النفع الأجل لانهم لا يؤمنون باليوم الآخر والحساب والعقاب لانهم لا يتصورون أن يكون جمع اجزاء الإنسان بعد اختلاطها الي الحياه ويرون أن الأمر غير متعلق بالقدره ولا يرون أن هنالك فائده من البعث ولهذا ناسب دعوه الله عبادته الي النظر في آياته الكونيه لأن الناس لا ينكرون أن الله خالق الكون والسموات والأرض لكن ينكرون البعث والنشور والشبهه أنهم ينظرون إلي استحاله اعاده الاجسام بعد الموت وأنه لاتعلق للقدره بذلك ويرون أنه لا فائده ولهذا نجد أن تقرير المعاد ياتي مرتبنا بكمال علمه وقدرته وكمال حكمته ولهذا فإن الله تعالى يخبرنا أن هنالك طريقين لمعرفة ومحبتة وعبادته وتوحيده الطريق الاول هو آياته المشهوده في الكون والطريق الثاني هو آياته المسموعه ولهذا قد جعل آياته المشهوده دليل تأكيد صدق آياته المسموعه وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

فالإنسان بحاجه الي معرفه الله واسمائه وصفاته وكماله ويحتاج الي معرفه نفسه بضعفه وافتقاره لربه وحاجته الي معرفه امراضه وافاته وبحاجه الي الطاقه التي تمده بالقوه والنشاط وعباده الله يحتاج الي المنهج الذي يحصل به الانسجام بين حركته وحركه الكون وهذا إنما يحصل بالعلم والمعرفة والحب فالرغبه بالمحبيب و الشوق إليه تابعه لمعرفة الله والعلم به وكمال العبد هي بحسب هاتين القوتين العلم والحب ولهذا يقول الله (لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض)

أن المنتفعون بهذه الايات هم أصحاب العقول المنيره اي الخاليه من الأوهام والخيالات فالعقل له ظاهر ولب فأول الأمر يكون عقلا وينتهي الي اللب والعقل يختلف عن الذكاء اذا أنه قد يكون الشخص ذكي لكن لا يكون له صفه العقل اذا لم يحسن التصرف (اتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)

ولهذا يذكر الله أوصاف هولاء العقلاء الذين ينتفعون بالايات الكونيه (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض..الخ

ف الله يقول لنا أن الايات الكونيه مقدمه انطلاق العقول لمعرفة الله فهذا المستوي هو بدايه الانطلاق وأنه ينبغي ا لانتقال الي مستوي اعلي ليس مجرد رؤيه الصور التي يحصل بها الاستدلال علي المصور بل ينبغي الانتقال الي ماوراء ذلك إذا لا وجود حقيقي الا لله فكل موجود يستمد وجوده من الله وبالتالي فإن هذه المعرفه تقود الي الا قناع الذي يكون ثمرته الايمان باليقين الجازم الذي يجعلك تري في كل مخلوقات الله عظمه الله وتحس بجلاله وتري جماله وإحسانه وانعامه فالنظره في مخلوقاته تكون وسيله تصلك ب الله فدل ذلك علي أنهم يشعرون بلذه رؤيه عظمه الله وقدرته وجلاله وجماله وحسنه بالحب والرغبه في الاتصال به تعالي في كل الأحوال فهم يعيبنون في حب الله لايشغلهم عن الله شي فليس لهم هم إلا الله فهم ينامون وهم يشكرون الله ويصحنون وهم يشكرونه سبحانه وتعالى

فهم في يقظه لا يغفلون عن الله في جميع أوقاتهم لاطمئنان قلوبهم لذكر الله فلا يشاهدون شي الا وشاهدوا فيه شأن من شؤون الله فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (من أحب أن يرتع في رياض الجنه فليكثر من ذكر الله)

فالمولي يقول لنا أن هنالك فرق بين المومن وبين الكافر بالنظر الي الآيات حيث أن نظره المومن تجعله يخيظ بها من جميع جوانبها ويحسن قراءتها وتاويلها أما أصحاب النظريات الماديه فنظرتهم سطحيه ولا يحيطون بها علما وأن وصلتهم المعلومه فإن سوء الفهم والإدراك لما فيها من دلالة تفقد قيمه الدليل ولا ينتفعون بها نتيجة الخلل الفكري والنفسي والذهني فهي حواجز تمنعهم من الانتفاع بالايات فتظل منافذ الهدايه لديهم مغلقة نتيجة سوء الإدراك ولأنهم ليس لديهم استعداد لاستقبال المعلومه واجهزه الفهم غير صالحه لاستقبال انوار الله

نتيجة السقوط بالغفله بموافقته هوي النفس فكونت اغطيه حجبت الرؤيه عنهم

اما أصحاب العقول المنيره فهم لديهم الاستعداد التلقوي والإدراك ولديهم الاجهزه الصالحه لاستقبال نور الله فتكون قراءتهم سليمه للمعلومه فالمومن حبس قلبه ولسانه وجوراجه في طلب ربه دون الالتفات الي غيره حبسهم علي ذكر الله ومايزيد من ايمانهم ومعرفه ربه

فدل ذلك أن الوحي قد اختصر لهم الطريق لقراءه الآيات والظواهر الكونيه وتم تربيتهم وإعدادهم وزودهم بقوه ا لاستعداد للتلقوي والإدراك والفهم والتفكير فقال تعالي (ويتفكرون في خلق السموات والأرض)

وهذا فيه

الأمر الأول

أنهم لا يغفلون عن ذكر الله فهم اذا نظروا الي اصغر شي شاهدوا البرهان علي قدره الله وعجيب صنع

فهم يستدلون بالخلق علي الخالق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (تفكروا في الخلق ولاتتفكروا في الخالق)

فلا سبيل للعقل الي رؤيه الخالق فهو لاتدرکه الأبصار ولهذا نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن التفكير في الله

وأمر بالتفكير في المخلوقات حيث فيها الدليل المحسوس علي الخالق وقدرته وحكمته وعلمه وكمالته وصفاته وهذه المعرفة التي نحتاجها لنحس بوجود الله فليس المطلوب معرفه وجود الله فقط وهذا لا يكون إلا إذا عرف الإنسان نفسه ولهذا أمر الله في الايه بذكره ثم أمر بالتفكير بمخلوقاته

فالفكره تذهب الغفله وتجلب للقلب الخشيه كما ينبت الماء الزرع وهذا إنما يكون بمعرفه الإنسان نفسه ويتفقد أحوالها يبحث عن عقد ضميرها فلا يهملها لانه مشفق علي نفسه خائف عليها من التلف والهلاك (فقنا عذاب الله) فهو يخاف الله خوف من عرف ربه بقدرته عليه وآمن به ايمان من قد عرف ربوبيته ووحدانيته لما ظهر له من مشاهده ملكوته وشواهد سلطانه وكثره الدلائل عليه

فخوفك ينبغي أن يكون خوف من عرف نفسه وضعفه وافتقاره لربه ولهذا فعليك محاسبه نفسك فعليك أن تحذو البصر الي نفسك بعين البصيره فهي العين النافذه للبصر حتي تعرف أفات أعمال نفسك وتعرف فساد ضميرك وتعرف نفسك مايتحرك به لسانها ثم تأخذ بعنان هواها وتكبحها بحكمه الخوف وتردها الرد الجميل بالرفق الي مراجعه الاخلاص في العمل وتصحيح الارده فقال (فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا... الخ

فعليك انا تاخذ بتصحيح ما يصل الي باطنها من غذائها وما تستر به عورتها فعليك أن تكون متقيظا لازاله الغفلات عن قلبك عند كل حركه وسكون والصمت والمنطق والمدخل والمخرج والحب والكراهية والضحك والبكاء فإذا غفلت ووافقت هواها رجعت بالتيقظ الي خلاف هواها فيكون معها الندم علي الغفله ولهذا عليك اتهام نفسك بالتقصير فهو عدو لك عليك الحذر منها

الأمر الثاني

أن الإنسان مخلوق مركب من النفس والبدن وهي بحاجه الي الغذاء الروحاني العباده فذكر عبادته البدن (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم)

فذلك إنما يتم بالجوراح وأعضاء الجسد ثم ذكر عبادته الروح (ويتفكرون في خلق السموات والأرض)

حيث ورد في الحديث أن بلال راي الرسول صلى الله عليه وسلم قام يصلي في جوف الليل ويبيكي فقال يارسول الله لما تبكي يا رسول الله وقد غفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال الرسول صلى الله عليه وسلم يا بلال أف لا اكون عبدا شكورا ومالي لا ابكي وقد أنزلت علي الليله (أن في خلق السموات والأرض...الي قوله) فقنا عذاب النار) ويل لمن قراها ولم يتفكر

وفي الحديث (تفكر ساعه خير من عبادته ستين سنة)

فالتفكير يوصلك الي الله وعبادته ويوصلك الي ثواب الله فتكون شاعرا بوجود الله فهو يعيطك قوه تزيل الأغطية التي تحجب الرؤية فأنت عندما تري الايات الكونيه تري في اصغر شي منها قدره الله وحكمته وعلمه وكمالته فهو يفتح العين والقلب علي المشاهده الجديده فتري عجائب الله

فالمومن اذا نظر اعتبر وإذا صمت تفكر وإذا تكلم ذكر وإذا منع صبر وإذا اعطي شكر وإذا ابتلي استرجع وإذا جهل عليه حلم وإذا علم تواضع و اذا سئل بذل

الأمر الثالث

أن التفكير للمومنين مميز لانه مقرون بالذكر الدائم لله في جميع الأحوال فدل هذا سعيهم الي رضا الله في التفكير وفيه طرد الشياطين وازاله الهم وتقويه للبدن والقلب وينور القلب ويورث محبه الله التي هي روح الاسلا م ويورث المعرفة والانابه والقرب وحياه القلب فهو قوت القلوب ويحدث الانس ويزيل الوحشه فالله وصف

المومنين (إنما المومنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زداتهم إيماناً) فقد وصفهم بالوجل والخوف عند ذكره وذلك لقوه إيمانهم ومرعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه وقال تعالي (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) فهذا يرجع إلي كمال المعرفه وثقه القلب فدوام ذكره سبحانه وتعالى علي كل حال باللسان والقلب والحال فنصيب المحب علي قدر نصيبه من هذا الذكر فهذا من الأسباب الجالبه لمحبه الله والشوق له سبحانه فناسب ذكر بعدها مطالعه القلب لاسماء الله وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفه (ويتفكرون في خلق السموات والأرض) فإن مشاهدته بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنه

ثانيا

يخبرنا الله أن مطالعه القلب لاسماء الله وصفاته ومشاهدتها في آياته الكونيه لدي المومنين نتج عنها رؤيه كمال قدرته وعلمه وحكمته المطلقه سبحانه وتعالى فكانت آيات الله المشهوده دليل صدق آيات المسموعه القران فذكر المولي سبحانه وتعالى لنا تأثر المومنين والانطباع الذي غرسته الآيات في نفوسهم وتفكيرهم

الأمر الأول

(ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانهك فقنا عذاب النار)

الايه تبين أن اتصال هولاء بالآيات الكونيه نتج عنه هذا التأثير والانطباع الذي ورث المعرفه والانابه الي الله فقد حصل لهم الانس بالعلم وباليقين والمعرفه مع الخلوه انس بالله في كل حال فثمره التفكير هو رؤيه حكمه الله المطلقه في الخلق

فقالوا إن تصميم هذا الكون علي هذا الشكل من الدقه المتناهية يدل أن له رب ولرب هذا اراده فقد أراد بذلك الا عتناء والاهتمام بعباده بأن اعطي لكل مخلوق من التكوين الجسدي والنفسي والذهني مايناسب الوظيفه التي خلق لأجلها (ربنا الذي أعطي كل شي خلقه ثم هدى)

فهو سبحانه خلق كل شيء لغايه وارشده للغايه التي خلق لأجلها

فالله لم يخلق شي عبثا فكل مخلوق له حكمه وغايه يسعي إليها الي تحقيقها فقد شاهدوا في الدليل المحسوس الكوني في مخلوقات الله ما فيه تصديق الآيات المسموعه بشأن الجزاء والنواب والعقاب فنتيجته مشاهدتهم هي رؤيه قدره الله وحكمته وعلمه وكماله لأن شبهه المنكرين للبعث والنشور تعود إلي أنهم كما قلنا يرون استحاله العوده الي الحياه ويرون أنه لاتعلق للقدره بذلك ويرون أنه لافائده من ذلك فارشدهم الله الي مشاهدته آياته الكونيه ليروا المبدأ والمعاد فإذا تفكروا فيها فسوف يدركون أن الله لم يخلق شيئا عبثا

ولهذا فإن النصوص تخبرنا أن أعمال الفكر بالتامل أدت إلي سكون قلوب هولاء والايمان باليقين فلا شك لديهم في البعث والنشور فذكرت أن من جمله اقوال أولو الألباب تنزيه الله عن كونه خلق الكون عبثا لا لحكمه لأن الذين يظنون هذا هم الكفار فالله يقول في موضع آخر (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار)

ولهذا نجد أن سكون قلب أولو الألباب الي الثقه بالله والانقياد لأمره جعلهم يقولون (سبحانك)

تنزيه لله فالذكر قد اوصلهم الي اليقين وانشرح صدورهم برؤيه آيات الله فزدتهم إيماناً

كما دلت الايه علي صحه الايمان من هولاء باليقين الجازم باليوم الآخر ولهذا نجد أنهم لجأوا الي الدعاء لله (فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيتهم وما للظالمين من أنصار)

سألوا الله أن يدفع عنهم عذاب فهم مخلصون في عباده الله شاعرون أن ارتكاب المعاصي والذنوب توجب العذاب والعقاب فهم مستغرقون بذكر الله أسنتهم وقلوبهم وجوراحهم بالتفكير في دلائك عظمه الله فذكر سبحانه وتعالى أنهم رزقوا الخشيه والوجل من سابق المعرفه والعلم فالخشيه هي فائده العلم فإذا لم تكون ثمره العلم الخشيه فإنه لا قيمه للعلم ولهذا فإن سابق العلم هو الذي غرس فيهم الخشيه والاشفاق والوجل فهم يطلبون من الله أن يدفع عنهم عذاب النار لانهم يعلمون أنه يجوز علي الله تعذيبهم وان التوفيق هو من فضل الله وقد كان دعاءهم بعد التفكير في مخلوقات الله فجاء بالقاء فقنا ..للدلاله علي علمهم بما لاجله خلقت السموات والأرض فحملهم ذلك علي الاستعاذه ب الله

ودلت النصوص أنهم يشعرون بوجود الله باليقين الجازم فتظهر الايه حياءهم من أن يراهم الله في معصيه حياءهم من الفضيحه والاهانه في اليوم الآخر فهي التي فيها الفضحيه والاهانه والعار الحقيقي فالإسلام يبين للمسلم ماهو العار الذي يجب عليه أن يحرص علي عدم الوقوع فيه ليس العار أن تحفظ نفسك من مخالفه أعراف القبيله وان كانت فيها مخالفه منهج الله لا بل العار والخزي أن يفضحك الله وبذلك ويهنيك يوم القيامة (ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيتهم)

فهذا هو العار والخزي والذل الحقيقي فظهرت النصوص حساسيه هولاء وشده خوفهم وطلبهم الوقايه من هذا الخذلان فدلّت علي طاهره أنفسهم وعقولهم من اوساخ الجاهليه التي كونت تصورات خاطئه عن العار حيث جعلت زوج الساده من العوام عار يلحق بالقبيله يجب غسله ولو بالدم جعلت من ظاهره الثأر والانتقام ورفض العدل والمساواة مساله عار فجاء الاسلام لاعاده تشكيل العقول وبيان حقيقه العار الذي يجب عليك أن تحرص علي أن باتقع فيه أن العار هو أن تدخل النار فعليك ترك المعاصي ولهذا قال (وما للظالمين من أنصار)

لأن كما قلنا إن الجاهلية جعلت معيار ومقاييس للعار يقف أنصار القبيله كلهم حماه لمنع وقوعه فإذا حصل من أحد أفراد القبيله ما يجلب العار والخزي لها بادرت الي منع وقوعه تحت تأثير العصبيه والحميه لكن المومنون قد جعلوا التعصب للأخلاق الحميده والحميه هي ترك المعاصي والذنوب التي تذلمهم وتخزيهم يوم الحشر فهذه هي الفضيحه الحقيقيه

وايضا لأن الطغاه والفاسدون يستمدون قوتهم من المال والجاه والسلطان والرئاسة والاتباع فينظرون أنهم حمايه لهم من اي كارثة قد تحل بهم ولهذا جاءت النصوص مبينه أنه لا توجد قوه ولا اتباع يدفعون عن الظالمون العذاب الإلهي

فهم يسألون الله وحده لا شريك له أن يمنع ويدفع عنهم الخزي والعار بأن يعصهم من الأسباب الموجبة لدخول النار يشعرون بالضعف والافتقار الي الله فلا يوجد ناصر ينصرهم أن خرجوا عن أمر الله شعور بقوه الله وعلمه وقدرته وهيمنته وكماله وهوما احدث في نفوسهم الخوف من النار والحياء من الله

الأمر الثاني

يقول لنا الله أنظروا الي الي ما وصل إليه هولاء من الفهم حتي وصفوا بأنهم أولو الألباب إذا أردتم الاقتداء بهم وان تصلوا الي المرتبه التي وصلوا إليها فعليكم إن تدركوا أن مايصل إليه العبد من الفهم يكون بقدر تقديم عقله

اي بقدر ما ييوثر عقله علي هواه وحظوظ نفسه فعقول هولاء احيائها الله بالعلم بعد الايمان ولهذا فقد استجلب الصدق بمباحث الصدق في موطن التفكير فكان نتيجه التفكير الايمان عندما دعاهم الرسول الي طاعه الله و التصديق (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فإمنا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع ا لابرار)

فقد كانت آياته الله المشهوده برهان صدق القران آيات الله المسموعه وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا فإنه لما سمعوا القران او الرسول يدعوهم الي الايمان فقد استجيبوا للنداء فقد عرفوا الله بالتفكير اي ب العقل واطاعوه بالعلم به وبكماله فذكر العلم (أن آمنوا بربكم)اي آمنوا بمتولي أموركم ..كما قال تعالي في سوره محمد (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك).فذكرت النصوص حصول الطاعه بعد العلم (فإمنا) اي فإمتثلنا لأ مره ثم ذكر المبادرة الي العمل (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار)

فدل هذا أن العلم قد أحدث تقدم في تأثير عقولهم علي قمع أهوائهم وشهواتهم ..فقلوبهم مفتوحه لاستقبال انوار الله حيث تلاحظ الحساسيه الشديده في نفوسهم خوفا من التقصير والمخالفه فهم في معركه مع النفس واهواها يطلبون من الله أن يساعدهم علي الانتصار في هذه المعركه بأن يمحو ذنوبهم سواء الصغائر أو الكبائر لمن قال إن الاولي يراد بها الكبائر والثانيه الصغائر أنهم في جهاد مع أنفسهم فحالههم مراقبه الله ومحاسبه النفوس افنوا بنور العلم شهواتهم ثم ذكر (وتوفنا مع

الابرار)

فقد طلبوا أن تقبض أرواحهم مع الابرار اي مخصوصين بصحبتهم معددون في زميرتهم فالمراد بالمعيه هنا أما انها بيان انهم طلبوا الاستقامه علي كتاب الله وسنة رسوله ولزوم الجماعه والموت علي ذلك مثلما قال يوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين)

أو أن المراد من المعيه ليس المعيه الزمانيه لأن ذلك محال ضروره إنما هو علي سبيل التعاقب فالمراد بهذا من الا تصاف ما اتصف بن الابرار اي توفنا علي ما توفت عليه جملة الابرار ومن تبعهم

الأمر الثالث

تختتم النصوص دعاء أولي الألباب (ربنا واتنا ما وعدتنا علي رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف المعياذ)

فقد طلبوا استجاز وعد الله الذي بلغه رسل الله إليهم لأن الرسل تأتي للتبشير بالجنه والانذار بالنار فالتبشير للمومنين وهم واثقون بوعد الله ولكن الدعاء هنا للتضرع وإظهار الافتقار والضعف أمام الله اظهار الخضوع و التذلل أمام الله فسألوه ماوعدهم من التوفيق لطاعته والعصمه عن معصيته فقالوا (ولاتخزنا يوم القيامة)اصرف عنا كل الأسباب التي تودي الي النار والخزي يوم القيامة فقد كان التحرز بالخوف والعمل بالعلم والغني بالله منهم فهم اشتغلوا بإصلاح أحوالهم في طلب النجاه

القسم الثاني

(فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واذوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الماب

لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خلدن فيها نزولا من عند الله وما عند الله خير للابرار)

الموضوع الاول

أن المولي سبحانه وتعالى يريد أن يعلمك كيف تصل إلي استجابة الله و قبوله لدعائك فقال تعالى (فاستجاب لهم ربهم)

حيث أنه تعالى ذكر أنه استجاب لدعائهم بعد أن تناولت الايه قبلها ذكر أنهم كانوا في يقظه دائمه لا يغفلون عن ذكر الله والتفكير والتدبر بآيات الله ومناجاه ربهم طالبين التوفيق والسداد وأن يبعدهم عن النار بأن يعصمهم عن الأسباب التي توصل إليها حيث أن الايات تنطق بمشاعر المومنين وإحساسهم وارتجاف قلوبهم من الخوف فهم قد تعاهدوا قلوبهم بأسباب الاخره وعرضهم لذلك لقد صنو قلوبهم من أسباب الدنيا فهم يخافون الله خوف من عرف ربه وسطوته وانتقامه واليم عذابه ومثلته واثاره بمن خالف أمر ربه وعصاه فقالوا (ولاتخزنا يوم القيامة)

وطلبوا التعجيل بإنجاز وعده الذي أخبر به رسله فهذا دليل علي أنهم تفكروا بمصير الفريقين يوم القيامة مصير الذين اختاروا الدنيا ومصير الذين اختاروا الاخره فهم يحاسبون أنفسهم علي الدوام وقد جعلوا همهم الاخره

فقال تعالى (فاستجاب لهم ربهم)

الأمر الأول

ولفظ استجاب أخص من أجاب اي اعطي الجواب لأن لفظ أجاب قد يكون تحصيل المطلوب أو لا لاننا نقول بشأن رد المدعي عليها علي دعوي المدعي أجاب اي اعطي المدعي عليه الجواب علي الدعوي والجواب هنا لايلزم أن يكون فيه تحصيل المطلوب لانه غالبا يكون فيه إنكار الدعوي

لكن استجاب تدل دلالة قاطعه علي تحصيل المطلوب فكان المعني واضحا أن المولي سبحانه وتعالى استجاب لدعائهم

وهذا فيه بيان

١

أن علي المومن أن يتصل بربه في كل حركه لأن في كل فكره ادبا وفي كل اشاره علم وانما يميز ذلك من فهم عن الله عز وجل مراده وجني فوائد اليقين من خطابه فجاء مناسبا بعد قوله تعالى (أن في خلق السموات والأرض لآيات لاولي الألباب) أن ذكر المولي علامه ذلك في هولاء الصادقون بأنهم في عبادته في كل الأحوال في السر والعلانية لأعمالهم نقيه عن الفساد زكيه خفيه علي ابليلس خالصه من عوارض العدو ومن هوي الأنفس فناسب هنا قوله (اني لا اضيع عمل عامل منكم) لا اهدره فلا تخافوا ضيع جزيل الثواب لأنها اعمال مستوره عن أعين العباد ويصل إليها العبد قائما وجالسا وقاعدا ومضطجعا أنهم لا يطلبون الشهره ولا حب الظهور والسمعه فالإخلاص حالهم وانظروا الي أحوالهم وكلامهم تكرر الدعاء منهم يقول لنا الله فيه أنظروا الي أحوالهم وكلامهم لتروا علامه صدقهم فهم اذا تكلموا ذكروا الله وإذا صمتوا تفكروا وإذا علموا ازدادوا تواضعا وإذا منعوا صبروا نيتهم افضل من عملهم وعملهم ابلغ من قولهم وموطنه الحق ومعقله الحياء ومعلومه الورع وشاهده الثقه له بصائر من النور يبصر بها وحقائق من العلم ينطق بها ودلائل اليقين يعبر عنها

فذكر الاستجابة بعد ذلك التكرار لبيان ان هذا هو الطريق الموصل الي الله أنه طريق المناجاه والمراقبه بأن تضع قلبك دون العرش فتناجي من هناك حيث يكون ذلك من خلال مراقبه النظر مع تذكر العلم انك في قبضه الله والا حساس بعظمه الله وجلاله وجماله وحسنه وإحسانه فتكون عبادتك لله علي السرور بمولاك ولهذا جاء تكرر ربنا في الدعاء ثم ذكر (فاستجاب لهم ربهم) لان الربوبيه تعني العنايه والرعايه ثم عليك أن تعبد علي التعظيم فقالوا (ربنا ما خلقت هذا باطلا) ثم علي الشكر فقالوا (سبحانك) ثم علي الخوف (فقنا عذاب النار) وآخرها علي الصبر

وانهم لم يسمحوا لدعوه النفس الي ما ينقطع بها عن الاخره فجعلوا بينهم وبين دعوه أنفسهم حكما من الحياء من الله تعالى فحصل لهم الخضوع لله وطاعته ومحبته فقد انشغلوا بمراجعهم أنفسهم والعمل الذي يرضي الله فاتصلوا ب الله ووصل الحوار والمكالمه بينهم وبين الله الي مرحله الكمال فهو إذا سأل الله أجاب الله دعاه فيحس ويشعر بذلك يحصل له الاطمئنان لله وسكون القلب الي ما عند الله ونحن نعلم أن موسى قال عندما بعد قتل القبطي (قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي)

ثم ذكر الله أنه غفر له فعله (فغفر له أنه هو الغفور الرحيم) فقال موسى بعدها (ربي بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) فموسي لم يكن نبيا آنذاك فكيف عرف أن الله تعالى انعم عليه بمغفره فعله فهذا إنما يدل علي النور الذي جعله الله في قلب موسى فوجد الاطمئنان

ولهذا يقول الله تعالى هنا (اني لا اضيع عمل عامل منكم)

اطمنوا فهو سبحانه وتعالى لن يهدر قيمه الأعمال وهو يكفر عنكم الأخطاء ويكرمكم بفضله

٢

ولهذا فعليك أن تكرر الدعاء وتظهر التضرع فقد ورد أن الاستجابة ناتجه عن تكرار الدعاء وقد ذكر عن الجعفر الصادق قوله من نجا خمس مرات انجاه الله مما يخاف وأعطاه ما يريد قيل كيف كان ذلك قال ان شئتم فاقروا (الذين يذكرون الله.... الخ

الأمر الثاني

أن المولي سبحانه وتعالى قال فاستجاب لهم ربهم...ولم يقل استجب لهم بل جعل الاستجابة هي قبول العمل فقال تعالى (اني لا اضيع عمل عامل منكم)

فالمولي لم يجعل الاستجابة لمجرد التذكر والتفكير ولا التدبر ولا ما في القلب من مشاعر وانما ربط بالعمل

فالمولي يقول لنا أن عليك أن تعلم أن انتقال القياده الي امه الاسلام لها قوانين تحقق معاني الخلافه فلا بد أن تتخلص من الجهل والظلم...وهذا يكون بالعلم والعدل والعلم يتحقق بالعلم بالماده والعلم بخالق الماده فذكر أن معرفته ومحبته وتوحيده تكون من خلال الايات المشهوده في الكون بالنظر إليها والتدبر لآياته المسموعه في القران وأن العدل ظاهر فيما بينك وبين الناس. وباطنا فيما بينك وبين الله وطريق العدل هو الاستقامه علي منهج الله تعالى فعليك أن تكره ما يكره الله وان تحب ما يحب الله

والله يقول لنا أن القياده انتقلت إلى أمه الاسلام ولا بد أن يكونوا من أهل العدل وهذا لا يكون إلا بثلاث خصال ب العلم حتي يعلم ماله وما عليه وبالفعل وبالصبر

ولهذا فإن التفكير والذكر ومشاعر الخوف من الله والايمان باليوم الآخر والحساب والعقاب والتصديق بالقران فيه تحقيق الخصله الاولي فهذه هي الخصله الاولي ولهذا يقول لنا الله أن ما ذلك يبقي مجرد علوم نظريه مالم ينتقل إلي ميادين العمل التطبيقي (العمل)

فيقول لك ايه المومن انتبه أن تفكر أن مجرد التفكير دون العمل يمنحك صفه أولي الألباب واحذر أن تفكر أن تدين لله بالعقل فتتصور أن التدين بالعقل والعمل بالهوي فتقبل ما وافق عقلك من أوامر ونواهي فهذا أمر غير سليم فالعقل يتبع الشرع والفاعليه الايجابيه تكون باتباع ماجاء في شرع الله وان خالفت العقل فلا بد من معرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده والحركه في الحياه وفق منهج الله

ولهذا يقول لنا الله أن علمك بما لك وما عليك يجب أن ينتقل الي مرحلة العمل التطبيقي فليس مجرد التفكير و الخشوع والاذعان والذكر وطلب الغفران دون العمل الميداني فهذه تبقي مجرد امانى وتحويل الامانى الي حقيقه تتطلب الانتقال الي العمل التنفيذي والإصرار عليه فكان لابد أن تعرف أنه يجب تحويل المشاعر الي واقع يترجم حقيقه الايمان والارده القويه يترجم حقيقه العقل الذي وصل الي مرحلة الكمال اللب اي العقل الذي يكون ناصحا لصاحبه وليس مكار مخادع فذكر هنا (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واذوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا)

لبيان الأعمال الناتجه عن العقلاء الذين صح علمهم وثبت يقنيهم فعلموا أنه لاينجيهم من الله الا الصدق فسعوا في طلبه وبحثوا عن أخلاق أهله رغبه أن يحيوا قبل الموت ليجدوا السعاده الابدائيه في الاخره بعد الوفاه فباعوا أنفسهم وأموالهم لرهبهم عندما سمعوا (أن الله اشترى من المومنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه)

شعارهم الثقه بالله وحالهم المراقبه فهم يعبدون الله كأنهم يرونه فكان العمل ثمره التفكير التي اوصلتهم الي اليقين والدعاء

فالله لايرضي من العلم والعمل الا ما يثبت باليقين اصله ولهذا ذكر أحوالهم بالذكر والتفكر والوجل والخوف و الرجاء يدلكم كيف تتعلمون اليقين فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول تعلموا اليقين فاني اتعلمه

ولهذا فإن مقام الصدق يتطلب أن ينطبق العمل مع العلم فاصل الفاعليه الإيجابية تعود إلي سلامه العقل وسلامه ا لارده فالعلم فيه سلامه العقل والعمل دليل سلامه الارده بالشعور بالمسؤولية وبالرقابه فانت عندما تشعر بحضور الله والخوف منه والخشيه فإن هذا دليل الايمان وهو أساس الأعمال

ولهذا فإن العمل ثمره التلقي المعبر عن الأساس الذي نتج عنه وهو الإيمان بالصدق والإخلاص في حمل الامانه وهما أصل كل حال فمن الصدق يتشعب الصبر والقناعه والزهد والرضا والانس وعن الاخلاص يتشعب اليقين و الخوف والمحبه والاجلال والحياء والتعظيم

ولهذا ذكر الله تعالى قبل الاستجابة أحوال اولي الأبواب بذكر العبادات القلبيه من الذكر والاستغفار والخوف و التفكير والتدبر وذكر أنها ناتجه عن تأثير العلم فيهم بمعرفه مالهم وماعليهم والانطباعات التي تعبر عن صدق ايمان قلوبهم ونويهم والسكون الي الله والثقه بوعده فذكر أن هذه العباده هي التي يقطع بها العبد المسافه بينه وبين الله

ولهذا فإن ذلك لابد أنه نتج عنه العمل الذي يتطلب أن يقطع العبد فيه المسافه بينه اي العمل وبين قلب العبد لتصل العباده القلبيه الي الله

ولهذا فإن تذوق حلاوة العباده القلبيه إنما تكون بقطع المسافات الفاصله بين الإنسان وعمله وقطع المسافات بين القلب وربّه ولايمكن فصل أحدهما عن الأخرى

فالعمل هو العباده المعبره عن الفاعليه الإيجابية فعليك بعد أن تعمل العمل أن تقف مع نفسك وتنظر ثمره العمل هل أحدثت فيك تغييرا إيجابيا وهل تشعر أنك بهذا الغذاء الروحاني قد قمعت شهوات النفس ام لا

هل تحس انك اتصلت بالله من خلال هذا العمل ام لا

فلا يكفي مجرد التفكير فلا بد أن تري اثار اعمالك في سلوكك وتدوام علي تأديب نفسك وان تجد في طاعه الله لذه وغذاء روحاني يمدك بطاقه وقوه لاتشعر فيه بالمتاعب فلا تحس بالمشقه ولهذا نجد أن الله تعالى يذكر لنا أوصاف الناجحون في ميادين العمل التطبيقي فقال تعالى (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واذوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا)

ذكر أن المهاجرين الذين تركوا اوطانهم فرارا بدينهم الي بلد آخر والذين اخرجوا رغما عنهم من ديارهم وتحملوا الا
ذي في طريق الله بحمل الامانه والدعوه لدينه والذين جاهدوا الأعداء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقتال
وقدموا اروحهم في طريق الله هولاء هم الذين يستحقون إنجاز وعده الذي وعدهم به علي رسله

يقول الله أن هولاء هم الذين استحقوا الاستجابة لدعائهم

فقال تعالي (لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن
الثواب)

١

ذكر المولي سبحانه وتعالى محو السيئات وغفران الذنوب الذي طلبوه بقولهم (فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا)

٢

أعطوا الثواب العظيم وهو دخول الجنة وهذا الذي طلبوه في قولهم (واتنا ما وعدتنا علي رسلك)

٣

أن الثواب مقرون بالتعظيم من عند الله وهو الذي طلبوه (لاتخزنا يوم القيامة)

٤

قوله (ثوابا)

مصدر موكد لمعني ما قبله (لا كفرن الخ

الأمر الثالث

أن المولي سبحانه وتعالى يقول لنا أن عليكم أن تثقوا بعذل الله فهو لايهدر اعمال عباده الذين طاعوه (اني لا
اضيع عمل عامل منكم)

فالله سبحانه وتعالى يقول لنا أن طريق الاخره واحد هو طريق الاستقامة فذكر اهميه العمل الصالح لقبول الدعاء
وكي تناولوا الاستجابة وذكر قبلها التفكير والذكر والتدبر والخوف والرجاء... نظرا لأهمية التطهير قبل العمل و
التطهير يعني الانتقال من الشر الي الأساس الذي يبني عليه الخير فالبناء إنما يقوم علي الأساس الذي كلما كان
قويا كان قادرا على تحمل البناء ولهذا لابد من أحكام الأساس الذي ترفع فوقه بناءك والبناء قد يسقط لكن لا
يسقط الأساس ويبقي البناء ولهذا كان تقديم ذكر الطهارات من التصورات الجاهليه للحياه ونظرتهم للأشياء و
الكون بأن تكون لك نظره مختلفه عنهم لحركه الكون فتتنظر أنها تتحرك وفق منهج الله هي مقدمه قبل العمل ومن
ثم يكون العمل

فالعمل إنما يكون عن معرفه الطريق الموصل الي الله تعالي

فطالب الخير إنما يكون طالبا له بقدر معرفته بمنفعته وعلي قدر ما يرجوا منه فالعلم شي والعمل شي والمنفعه شي وربما كان علم ولم يكن صاحبه عاملا به وربما كان علم وعمل ولم تكن منفعته وربما كان علم وعمل ومنفعه ثم يكون بعد ذلك احباط وابطال ولهذا يقول الله ثقوا بالله فاجرکم محفوظ سوف تجدون منفعته مبينا أن ذلك لمن علم وعمل وانتفع وسلم من الآفات حتي لقي الله فقال تعالي (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا)

لم يريدوا الجزاء والثواب الا من الله تعالي ولهذا يقول لهم الله (لا كفرن عنهم سيئاتهم ولا دخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب)

أنه يكفر عنهم سيئاتهم بالأعمال الصالحة فهو تعالي يقول (أن الحسنات يذهبن السيئات) ويدخلهم الجنة بالأعمال الصالحة (وتلك الجنة اورثتموها بما كنتم تعلمون)

فهذه شريعه العدل (ثوابا من عند الله)

ثم ذكر شريعه الفضل (والله عنده حسن الثواب)

الأمر الرابع

يقول المولي سبحانه وتعالى لنا ان طبيعه حمل المشروع الرباني والدعوه لدينه سبحانه وتعالى توجب عليكم أن تحسنوا قراءه هذا الطريق بان هذا الطريق شاق وسوف تجد المتاعب والمصاعب لأن الأعداء سوف يقفون في طريق الخير محاربين للدعوه والدعاه والأمر يتطلب منك التضحية بنفسك ومالك يتطلب منك أن تهجر العوائد التي اعتدت عليها فقال تعالي (فالذين هاجروا)

انك بحاجة الي التحرر من كافه العوائد التي اعتدت عليها في حياتك فأنت بحاجة إلي التحرر من أمر العاده فأنت سوف تجد قطاع الطرق الذين يحاولون قطع الطريق امامك من السير نحو الغايه والهدف وهو ما منك أن تكون قويا في مواجهه الازمات والتحديات فانت بحاجة الي التحرر من أسر العادات

عليك أن تهجر المعاصي والذنوب وان تفارقها وتهجر الاخلاق الذميمة

وتهجر الاوطان اذا كانت الانظمه فيها مصادرة للحريه وتمنعك من القيام بامور دينك

والهجره من الاوطان التي تخاف فيها علي نفسك من الفتنة عليك أن تعرف انك سوف تجد نفسك غربيا في وطنك وقد تضطر الي الهجره فرارا بدينك

أن هذا الطريق يحتاج منك التضحية فأنت قد تطرد من وطنك والخروج قد يكون بالتضييق عليك حتي تجد نفسك مضطرا الي الهروب بينما الاخراج الذي هو الطرد اشد من ذلك لأنه رغما عنك ليس لديك خير اخر أما التضييق فيمكن أن تصبر علي ذلك وتحمل

وايضا عليك أن تخرج من ديار الطبيعه التي تلازم الإنسان حتي تصل إلي الكمال أولي الأبواب فإذا صعب عليك الأ مر فعليك أن تتذكر أحوال الصحابه الذين ينقل الله صورهم لمعانتهم فقد اخرجوا من ديارهم وتركوا أوطانهم وتحملوا الاذي في سبيل الله بالصبر ففي هذه المرحله عليك الكفاح والنضال في سبيل الله

ثم كان بعد أن صار لديهم القوه الجهاد للدفاع عن النفس والمبادئ والقيم والتضحية بالنفس فأنت عقدت البيعه مع الله وبعث نفسك لله

فهذا هو واقع الدعوه في كل زمان ومعركتها مع الجاهليه فلا بد من الانتقال من مرحله الوجدان والتفكير الي

مرحلة العمل الذي يكون وفق منهج الله وتحقيق له فهو المنهج الذي أراد الله أن يحكم الأرض

فالطريق الاول من حركه العمل هو الكفاح والنضال يحتاج الي صبر وقوه تحمل ثم يكون بعد ذلك الجهاد و التضحيه فهذا هو طريقك ايه المومن

فالله يقول لنا اياكم والعجله بالامور قبل أوانها فعليكم في الكفاح والنضال فالصبر في مرحله الضعف فلا تستعجل أنها مرحله اعداد وتهئيه الظروف المناسبه للانتقال إلى المرحلة الثانية (فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واذوا في سبيلي) فيجب عليكم الصبر في هذه المرحلة وأنه عندما تكون الأمور ممكنه فعليكم عدم التهاون فالأمر هنا يحتاج الجديه والاستعداد (وقاتلوا وقتلوا) أن الصبر لايعني الاسترخاء ولهذا انتبهوا فالمسألة هنا تحتاج منك الشده والاستعداد اي عدم التساهل تتطلب منك اظهار الشجاعه والغضب لله فالنصوص تبين اهميه أن تضع كل أمر موضعه وتوقع كل عمل موقعه فهذا هو العمل المقبول (اني لا اضيع عمل عامل منكم)

فذكر أن هولاء المقبول عملهم فاحوالهم علمتهم اتقان العمل وأن يتفكروا بقصد عباده الله فإذا استوضحت لهم الحقيقه شمروا لتكون حياتهم موافقه له لم يضعفوا (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتنا... الخ عندما شاهدوا آيات الله وذكر أنهم ليسوا من أهل اللجاج بالاصرار علي النزاع يقول لهم الله انتم تزرعون وتحثون في هذه الحياه (عمل عامل منكم) فيجب اخلاص النيه أن تكون لله وان لا تجعل نتيجه الايمان في الدنيا بل يجب أن تطلب الاجر من الله وتثق انك ستجده امامك يوم القيامه يقول إياك أن تظن ان لك شي عند الله يخصك به زياده علي الناس تمتاز به من نسب أو غيره يمنحك الثواب دون العمل(من ذكر او انثى بعضكم من بعض) فالأمر ليس كذلك فالله قد جعل العمل هو أساس الثواب ولهذا عليك أن تعمل لأجل أن تجد الثواب واذا اردت زياده الثواب فعليك أن تسأل الله من سعه رحمته وعظيم قدرته مضاعفه الثواب فهو سبحانه وتعالى يجازي بالعدل ويضعاف لمن يشاء من فضله وكرمه وهذا مايسمي الفضل

الأمر الخامس

يخبرنا الله عن عدله وفضله ورحمته ويضع لنا قانون التعامل وهو أن الجزاء من جنس العمل (اني لا اضيع عمل عامل منكم)

فهو سبحانه وتعالى يجازي علي الأعمال الذي يترجم حقيقه الايمان فهو ثمره الذكر والاستغفار والتفكير والتدبر و الدعاء واستعمل لفظ الربوبيه التي هي ربوبيه خاصه وهي الرعايه الالهيه

وأنه سبحانه وتعالى لا يهدر شي من أعمالهم وان محل التنافس والتسابق بينهم هو العمل الصالح الفاعليه الإيجابية فالله يقبل الأعمال ويستجيب لعباده دون محاباه ولا فرق بين الرجل والمرأة فعليكم إن تدركوا أن الفاعليه الإيجابية ليست مقصوره علي الذكور دون الإناث فمجال العمل الايماني يشترك فيه الذكور والإناث

والناس سواسيه لافرق لعجمي ولا عربي ولا ابيض ولا اسود فالناس كلهم ابناء ادم وحواء فقال تعالي (من ذكر او انثى بعضكم من بعض)

كما قال تعالي (أن أكرمكم عند الله اتقاكم)

فالله يقول لنا كلكم عبيد لله والله عادل لا يظلم احد ولهذا عليكم التسابق علي ماتصلون به الي الجنه فذكر أن الثواب من عند الله فهو فضل وعطاء من الله ثم قال (والله عنده حسن الثواب) فأراد بهذا غرس الرضاء والقناعه بما عند الله والزهد عن الدنيا وهذا فيه بيان أن المسألة تحتاج الي صبر فكان تعظيم الثواب لهدف تقويه الرغبه بما عند الله تعالي لتصل الي مرحله الشوق فهو من دعائم الصبر التي تمدك بقوه مقاومه الشهوات والأهواء وترك الذنوب والمعاصي

تأتي النصوص بعد بيان اهميه تربيته المومنين علي مواجهه التحديات والصعوبات مبينه أن الدعوه تمر بمرحلتين ا لاولي مرحله الضعف والكفاح والنضال فذكرت ما تعرض له المومنون من أصناف العذاب والتنكيل المادي والمعنوي وصل الي الهجره وترك الاوطان وتحمل الاذي في سبيل الله ولا بد أن ذلك قد أحدث في نفوسهم الم واحزان شديده خاصه وهم يشاهدون أعداء الحق يتحركون في البلاد بالانتقال من بلد لآخر بحريه يجدون التسهيلات في الحركه فلا قيود علي حركتهم وهم يتحركون لإفساد الأرض في أن أهل الإيمان حركتهم مقيده أنهم يشاهدون توسع أهل الكفر في أعمالهم التجارية والمكاسب وغيرها من الأمور وهو ما قد يحدث في نفوسهم احزان والم فقال تعالي

(فلا يفرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماوهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خلدن فيها نزولا ً من عند الله خير للابرار

المبحث الأول

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو لم يغتر اطلاقا ولايمكن أن يغتر فهو معصوم لكن المراد هو أن يهتم المومنون بالأمر فلا ينظروا الي مالدي الكفار من أموال وسعه الرزق فيقول الله انتبهوا أن تنظروا لذلك أنه علامه علي السخط والرضاء فلا تنظروا الي تقلب أحوال الكفره من السعه والرزق فلا تغتروا بظاهر ماتري منهم

فالمولي أراد تربيته المومنين علي مواجهه التحديات والصعوبات فلا تؤثر فيهم الظروف الصعبه التي عاشوا معاناتها يخاطب المومنين باهميه أن يتعهد وا بإغلاق الابواب أما م الأعداء وتحصين الثغور يقول لك انك في امتحان وابتلاء واختبار وان الأعداء في استدراج فما تراه من القدره والتصرف علي الحركه لدي هولاء في كافه المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجاه والسلطان والرئاسة والصناعه وغيرها من الأمور المادية ينبغي أن تصون نفسك من الانخداع بها ينبغي أن تحافظ علي قوتك من الضياع نتيجته الاستجابة لوسوسه النفس والشيطان فعليك أن تعلم انك في معركه مع العدو الباطني والخارجي فأراد الله حمايه المومنين تجنب المومنين الظالمين في الفتنة فلا ينتفع الظالمين بهم نتيجته الحاله النفسيه التي عندما تشاهد أحوال الكفار في الدنيا فاستعمل لفظ تقلب اي ترددهم من حال الي حال يقول عليكم بالزهد والقناعه عن ماهم فيه فأشار الي تقلب أهل الدنيا بأهله فأنت مثلا تري في حياتك أناس كانوا أقل شأنا وأقل قدرات ومهارات ومواهب ومهارات أثناء الدراسة وكنت أكثر منهم قدره ومهارات ومواهب... تري هولاء الاغبياء قد صاروا في مراكز حساسه بينما أنت كنت اذكي منهم ولم تحظي بشي لانك لانفوذ لديك ولا وساطه فتشعر بالألم والحزن وانت تري اقبال الدنيا فترى محاسن غيرك وهنا تصاب بافه خطيره أنها افه الشعور بالعجز وتحقير النفس لانك تري نفسك أقل منزله منهم خاصه اذا صاحب ذلك الطمع في ماهم فيه تنظر انك حرمت من أمر كنت الأجدر به وان عدم وجود الجاه والمال والنسب أو غيره من الأسباب التي تمنحك فرصة الوصول لما وصلوا إليه كانت هي السبب فما أنت فيه أو أن ما تحمل من فكره كانت حائل بينك وبين هذه الامتيازات فأنت غير قادر علي الحركه والتردد في الأحوال المختلفه مثل هولاء فتظهر ضعفك للآخرين ولهذا يقول الله لك ايه المومن

١

لاتمدن عينيك الي ما هم فيه فأنت مأمور بالصبر في هذه الموقف فهو شجاعه والزهد فهو ثروه فالدنيا متاعها قليل

فلا تنظر إلي مالدي الكفار فلا تغتر بما أوتي هولاء فتظن أن عطاء الله دليل علي أن هولاء علي الحقيقه وان ذلك دليل علي الرضاء فإن هذا الانبهار بما لدي الأعداء من تطور مادي صناعي أو تجاري او علمي أن حصل فإن وصل

الي الفتنة التي تجعلك تظن أن الدين سبب التخلف والعجز كما حصل في الزمن المعاصر قد جعل المسلمين مطيه يدوسها الأعداء يركبون فوق ظهره كأنه خمار ويحلبون ثروات الشعوب المسلمه لان الانبهار جعلنا نخدع بما هم فيه فاستغل الكفار فتنة الانبهار بما لديهم من حضاره ورقى للانتفاع منك لدرجه ان اصبحت الشعوب المسلمه اليوم مستعبده من الغرب

٢

أن الاغترار بمظاهر الدنيا المخادعه تولد احتقار النفس حتي يصير ذلك الشعور خلقا يسكن داخل النفس وعندها لا يخجل أن يتحدث عن معاناته أمام الآخرين فقد هانت عليه نفسه وأمر لسانه عليها ومن يفعل ذلك فهو يدعو الناس للتهاون به ومن يفعل ذلك فقد رضي بالذل وهانت عليه نفسه

ولهذا يقول الله انتبهوا من ذلك وعليكم بالتقوي فاجعل من صدرك صندوق لسرك فلا تطلع أحد علي ما فيه يقول لك ايه المومن عليك أن تتحمل الاذي فتلك هي القوه فقد قال الحكماء من تحمل الاذي خفيت عيوبه كأنما دفنت في قبر

المبحث الثاني

يقول لنا الله أن قوه تحمل الاذي وتخصين الثغور من أن تسلل إليها الأعداء تكمن في الأمور الاتيه

الأمر الأول

أن عليك أن تتعاهد قلبك بأسباب الاخره وعرضه لذلك وصنه من أسباب الدنيا ومن ذكر ما يجر الي الحرص عليه والرغبه فيها فيقول لك الله أن متاع الدنيا قليل لا يستحق الاعجاب فهي اذا أدبرت سلبتك محاسن نفسك فهي متاع سريع الفناء فعليك ان تنظر إلي النهايه فانظر ماهي نهايه أهل الدنيا

ا (ثم ماواهم جهنم)

ذكر أن الدنيا زائله وذكر بعدها حرف العطف (ثم) للتراخي للاشاره الي أنه مهما طالبت بهم الحياه الدنيا فإنها تتقلب بهم الي جهنم المحرقه فهي نهايه قبيحه فسوف يقبلهم الله في نيران جهنم المحرقه فالمسكن الي يأوي إليه هؤلاء هو النار المحرقه في جهنم فقال تعالي (وبئس المهاد)

والمهاد الفرش الذي يأوي إليه الطفل الرضيع الذي يكون عاجزا عن الحركة لا قدره له فالله يقول لنا أن الجزء ب النار أو الجنه ليس شيئاً جديدا وانما هو اثر اعمالنا في الدنيا فهو لاء كانوا يتحركون في الدنيا بقدره وسعه لكنهم اساوا الحركة فهم في الاخره مثل الطفل يقبلهم الله في جهنم فهي الفرش لهم والمضطجع الكافر نهايته مخزيه أنه مثل الطفل الذي لا قدره له ولاسهه علي الحركة فالطفل ينام في فرشه وأهله يقبلونه فيه وكذلك فإن هذا الكافر يكون في جهنم القدره له علي الحركة فيقلب في نار جهنم جزء علي عمله وه مستسلم غير قادر على المقاومه فهو في فراش النار مضطجع فيه

فأراد الله بهذا أن يغرس في نفسك الاشفاق من النار لتتجنب المحرمات ويمدك بقوة الصبر

الأمر الثاني

يقول لك الله لاتاذن لقلبك في استصحاب ما يعسر طلبه وهو إرضاء الله والجنه يقول لك انتبه أن تتعلق بالدنيا وتغتر بما تري عليه أحوال الكفار وهم يتنعمون في الدنيا فإن ذلك يطفئ نور القلب ولهذا يأتي الاستدرك (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزولا من عند الله

أن عليك أن تالف ما بين قلبك وبين العاقبه المحموده لتكون حريصا علي الاخره عليك أن تخوف نفسك عقوبه الحرص علي الدنيا (لكن الذين اتقوا ربهم)

فلاتشغل نفسك في الفكر بأمر الدنيا والمحبه الزياده لما فيها عليك الشعور بالمسؤولية عن حركتك وسكونك وان تشعر بالرقابه الالهيه عن اعمالك فهذا أساس ايجابيه الفاعليه لأن الاشفاق من النار يحمل النفس علي تحمل مشقه ترك المحرمات ورغائب ويقمع الهوي النار فالله يقول لنا في موضع آخر (فما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنه هي المأوي)

عليك أن تلزم قلبك الفكر في أمر المعاد بحيث لايفارق قلبك

الأمر الثالث

يقول لك المولي سبحانه وتعالى أن عليك الإنتباه من الاغترار بما لدي الكفار حينما تنظر إلي ماهم فيه فالأمر خطير لماذا لأن النفس بنيت علي قوعد الطمع فا لحرص والرغبه من الطمع فقال تعالى (فلا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) فعليك استعمال اداه الطمع في طلب الزياده في الاخره بالأعمال الصالحه والحرص عليها و الرغبه فيها بدل استعمالها في طلب الدنيا فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (وتلك الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون)

فيجب أن يكون الشره والحرص وهيجان الرغبه اداه لتزكبه النفس وإصلاح القلب باستعمالها كأدوات في طلب الاخره والمعاد بالشوق الي الجنه فأنت تحتاج الي هذه الطاقه لتقهر الهوي والشهوات فهي أن قهرتك لتكون حركتك موافقه لها أي للهوي فانك تكون عبدا للهوي وسوف يذلک الهوي ويفضحك أمام الأشهاد في عاجل الدنيا والآخرة (وماوه جهنم وبئس المهاده)

عليك أن تلزم قلبك الفكر في أمر المعاد بحيث لايفارق قلبك ذلك عليك أن تتوهم بقلبك هول المطلع عند مفارقه الدنيا وترك الأهل والأصدقاء وتذكر حال الدنيا انها قليله زائله وان الموت سوف يدهمك سريعا فتعيش في تراقب الموت لتسريع الي الخيرات تذكر احوال يوم القيامه والسؤال في القبر فالله سوف يسالك عن عمرك وعملك وعن مالك كيف كسبته وفيما انفقته وعن علمك وعملك

لتكون في يقظه فلا يموت قلبك نتيجة الغفله فحياه القلب باليقظه والطاعه فيجد النور الذي يري به الاشياء

فانظر الي عاقبه الكفار وعاقبه المومنين بعد الدنيا لتري الفارق بينهما ليكون من ذلك اداه تري بها مستقبلك ولك ا لاختيار

ولهذا نجد أن المولي يذكر مستقبل الذين خافوا الله وراقبوه مختلف فقال تعالى (لهم جنات تجري من تحتها الأ نهار خالدين فيها نزولا من عند الله... الخ

فذكر استقبال المومنين ضيوفا عند الله فذكر (نزولا)

والنزول هو المكان الذي أعد للضيف عند قدومه فالمولي يقول انكم سوف أن اخترتم طريق المتقين سوف تحلون ضيوفا علي الرحمن أنه مستقبل فيه المتاع الحقيقي فيه متاع عظيم وكرامه ورفعته في نعيم دائم فيه الطعام و الشراب وكل الانعام لانهم في ضيافته الرحمن

فما عند الله من النعيم المقيم والكرامه والفضل اعظم واجمل من تقلب الكفار في الدنيا فهو متاع زائل خسيس فقال تعالى (وما عند الله خير للابرار) المطعين وقد ذكر الله تعالى في موضع آخر (أن الابرار يشربون

فالمولي سبحانه وتعالى يربي المومنين علي التمسك بالمبادئ وطلب الثوب من عندالله والحرص على الاخره يقول لنا انتبهوا أن يكون انطلاق أهل الإيمان في حركتهم قائما علي المصالح الدنيويه فهو سبحانه وتعالى يقول للمومنين أن الثوب في الاخره فلم يقول لهم انه سيحقق لهم العز والتمكين في الدنيا لم يقول لهم انه سوف يعيطعم الأموال والقوه بل أخبرهم أنه سوف يجزيهم علي أعمالهم في الاخره فالدنيا وما فيها لايدوم طويلا فأراد بهذا تكوين قوه طاقه تسد بها الثغرات وتوجهه بها الأعداء فأنت في معركه مع نفسك والشيطان والكفار فعليك أن تتعهد حصنك بكل وقت عليك أن تغلق المنافذ التي يمكن للعدو أن يتسلل منها فلا تسمح له أن يقتحم بيت افكارك فعليك أن تنشغل بذكر الله وما اعد الله للمتقين في الاخره

القسم الآخر

(وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل إليهم خاشعين لله ولايشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم أجرهم عند ربهم أن الله سريع الحساب

يايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)

اولا

ذهب البعض الي القول إن المراد بهم هو اصحمه النجاشي وأصحابه لانه عندما مات قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه أن اخاكم النجاشي فصلوا عليه قالوا نصلي علي رجل لم يسلم فقال لهم قد أسلم فنزلت الايه ومنهم من قال انها نزلت في عبد الله بن سلام ومن إليه

وهذا القول غير صحيح فالحكم عام يتناول كل من أسلم من اليهود والنصاري حيث نجد أنها وردت معطوفه علي ما قبلها من النصوص والتي جاء فيه حث المومنين علي التنافس فيما عند الله تعالى فهو فيه الخير للابرار المطعين لله تعالى وأخبرنا الله أن الابرار هم الذين لم ينخدعوا بتردد أهل الكفر وتقلبهم في الأرض ومتاعها من حال الي حال فآخبرهم الله أن ذلك متاع زائل خسيس تكون نهايته وخيمه ثم ذكر حال حال الذين خافوا الله وما انتهوا إليه من النجاح والفلاح فهو سبحانه وتعالى فالمولي عندما يضع امامك هذه النهايه لكل فريق يأمرك أن تنظر لذلك بعين البصيره وفطنه تنظر إلي من كان قبلك من الاولين في الخير والشر فانظر الي أهل الشر وما كانوا فيه من قصور ورفاهيه ثم انظر اين صاروا فالدنيا فانيه وناقصه لقد صاروا تحت التراب ونهايتهم في الدنيا وخيمه وفي الاخره اشد واعتي وانظر الي حال اهل الخير لقد كانوا في ظاهر حالهم اضيق أهل الدنيا حالا تجرعوا المراره وأصناف العذاب وهم لايجدون حيله في امتناع ولاسيلا للدفاع في فقر وضعف لكن النهايه كانت لهم انظر الي موسي وهارون عندما دخلوا علي فرعون لايملكون شيئا إلا عصا يتوكا عليها ويقول لفرعون اذا اردت دوام ملكك وعزك فأمن بالله لم ينخدع بما لدي فرعون من مال وملك ولم يضعف وفي المقابل كان فرعون منخدع ومنبهر بالمال فقال لمن حوله أنظروا الي هذا الفقير الذي لايملك شيئا من حطام الدنيا يزعم أن ملكي الذي تجري من تحتها انهار مصر مهدد بالزوال اذا لم اتبع دينه فهل اعطيتموه ذهب مما لدي المهم كيف كانت النهايه لك لا الفريقين أن تلك النظرة تجعلك تعرف الحكمه من حال المومنين وهو الابتلاء والامتحان وان الغني والافتقار

للكفار هو لأجل الاستدراج يقول لنا خذوا العبره من حال المومنين السابقون لقد كانوا أضييق أهل الدنيا حالا تجرعوا المراره وأصناف العذاب عاشوا في قهر ومصاعب لايجدون حيله تمنع عنهم العذاب ولاوسيله ولا طريق يدافعون بها عن أنفسهم حتي إذا راي الله جديه الصبر منهم علي الاذي في محبته تعالي راي منهم المصابره والإصرار بالاحتمال للمكروه من خوفه تعالي جعل الله لهم من مضايق البلاء فرجا وابدلهم بدل الشقاء سعاده وبدل الذل عزا وبدل الخوف آمنا فصاروا ملوكا وائمه وبلغت بهم الكرامه من الله مالم تبلغ أحلامهم وطموحاتهم وآمالهم إليه

ف الله يقول لنا أن عليكم الاتعاظ باحوال الفريقين وما رزئوا به عند الغفله وما حظوا به عند الإنتباه عليكم ف الوحي ينقل لكم صورته لحقيقة نهايه ومسكن كل فريق في الاخره ولكم الاختيار الاحسن والافضل لتسلكوا طريقهم

فلا يكون التنافس علي حطام الدنيا وانما التنافس علي طاعه الله ولما كان المولي سبحانه وتعالى قد ذكر أحوال اليهود والنصاري فقال تعالي أنهم رفضوا التحول في قراءه المطلب الرباني من التوراة والإنجيل الي القرآن لأن الدين عند الله الاسلام وذكر المولي سبحانه وتعالى أن هؤلاء انقطعت صلتهم بالدين والتدين فقد التحقوا بعصبه العمل الشيطاني وصاروا محاربين لمنهج الله وللمومنين وانهم اتحدوا مع المشركين فقال تعالي (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذي كثير) لانهم اختار الدنيا وما فيها من مصالح واخفوا حقيقه نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم خوفا علي المناصب والرئاسة والمال والسلطان والجاه فهم يتنافسون علي الدنيا فقد كان منهم ايثار الدنيا علي الدين وايثار الجهل علي العلم فخالفوا ميثاق أهل الكتاب وهنا تأتي النصوص

(وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل إليهم خاشعين لله ولايشترون بآيات الله ثمنا اولئك لهم أجرهم عند ربهم أن الله سريع الحساب)

الأمر الأول

تبين النصوص أن هنالك فريق من أهل الكتاب اليهود والنصاري متصف بأوصاف غير ما اتصف به من ذكر أنهم أصبحوا محاربين لمنهج الله فالقران يعلم المومنين اهميه الامانه في نقل وكتابه التاريخ فلم يتحامل علي اليهود والنصاري الذين كفروا وعاندوا ورفضوا التحول في قراءه المطلب الرباني من التوراة والإنجيل الي القرآن الكريم وحاربوا الاسلام والرسول فجاء بالحكم العام الذي يذكر من أسلم من اليهود والنصاري وبيان أنهم التحقوا بمواكب الابرار المذكورين في الايه الكريمه قبلها أنهم أهل عدل وإنصاف وهو حكم عام وليس فيه تخصيص كما ذهب البعض الي القول إنه مقصود بهم اصحمه النجاشي وأصحابه لأن الرسول قال عند موته (أن اخاكم النجاشي مات فصلوا عليه قالوا نصلي علي رجل لم يسلم فقال قد أسلم فنزلت الآيه ومنهم من قال انها نزلت في عبد الله بن مسلام ومن معه.. فحصر الايه فيهم غير صائب وغير صحيح لأن النصوص تتناول حكم عام فيه وصول كل من أسلم من أهل الكتاب الي مقام الابرار الذي حظي به المومنون ولهذا يقول لنا الله تعالي منهم الايمان بالله بتوحيد ه في اسماءه وصفاته فقال تعالي (لمن امن) اشاره الي الايمان الصحيح منهم في الأسماء والصفات والتوحيد وذلك لأن اليهود كانوا يعطلون الصفات ولديهم عقيده التشبيه ولأن النصاري كانوا يشركون مع الله فقالوا إن عيسي اله... وعقيده الثالوث

ولهذا يخبرنا الله أن هذا الفريق قد آمن بالله إيمانا لا تشوبه شائبه ولا يفارقه الإنذاعن الباعث علي العمل فليس منهم من قال الله فيهم (ولا يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون)

فجاء ذكر ذلك بالقسم الموكد (أن) واللام الدال علي القسم (لمن) اي منهم فريق اهتدوا الي الحق وقد التحقوا بمواكب الابرار في حركتهم ونشاطهم وساروا فيما سار فيه الابرار فذكر اوصافهم الخمسه الايمان بالله والايمان بالرسول والقرآن والكتب السماوية والخضوع والاذعان والتسليم والقبول بأمر الله وانهم فضلوا ما عند الله علي

حطام الدنيا

الأمر الثاني

أن ذكر المولي سبحانه وتعالى أن من أوصاف هولاء أنهم صدقوا بالقران الكريم وامنوا بما في كتبهم التوراه والإنجيل فيه بيان أن هولاء لديهم قوه ارده لأن المساله فيها مشقه علي النفس كما ذكر الله في سوره البقره (واستعينوا بالصبر والصلاه وانها لكبيره الا علي الخاشعين الذين يظنون أنهم ملقوا ربهم وانهم إليه راجعون)

فأخبرنا الله أن اختيار طريق الابرار ناتج عن اليقين الجازم بالحساب والعقاب ولهذا هم في يقظه فالمساله شاقه علي النفس تحتاج قوه صبر لأن هولاء كانوا أهل سلطان ورياسه دينيه ولديهم مصالح وامتيازات يحظون بها

أن هذا ابتلاء بالنسبة لهم عظيم فقد كانت نظره اليهود والنصاري الي الدين أنه صفه جنسيه لهم تميزهم علي الآخريين فقالوا أنهم شعب الله المختار

لقد نتج عن تلك النظره العصبية والاعتزاز بالنسب الي الانبياء ولهذا لم يقبل اغلب أهل الكتاب الايمان بالرسول لا نه لم يأتي منهم وقد ذهبوا الي التفريق بين الله ورسله

ولهذا يقول لنا الله أن هذا الفريق المومن منهم لم يفرق بين الله ورسله ولم يفرقوا بين الرسل وقد آمنوا بالقران وامنوا بالتوراه والإنجيل وقبلوا بالتحول في قراءه المطلب الرباني الي القران الكريم لانه الدين المقبول عند الله لم يتعصبوا لحضارتهم

فدلت النصوص أن من سمات من يلتحق بموكب الابرار التخلص من العصبية وان عليك ايه المومن أن تنظر إلي المومنين من ادم الي الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين نظره الود والقرب والحب و الانتساب إليهم وان الابوه الحقيقيه لجماعه العمل الايماني هي أبواه المنهج فهو الذي يتصل به الابرار بربهم فهو أساس الاتصال بالله ولهذا كان حرص هذا الفريق علي الاتصال بالله وخوفهم من عذاب الله سببا لقبول أمر الله بالتحول في قراءه المطلب الرباني الي القران الكريم

فكان منهم حسن الاختيار فقد كان اقتران العلم لديهم ببذل العدل والانصاف للحق فلم يخفوا الحق كما فعل الفريق الآخر بشأن ما ذكر في كتبهم عن النبي صلى الله عليه وسلم

الأمر الثالث

يقول لنا المولي سبحانه وتعالى أن طريق الابرار يكون بالانعان والقبول بأمر الله وانه يلزم لكل صاحب علم أن يصاحبه اضافه الي ماسبق ذكره أن يكون العمل بالخشيه وكف الاذي بقطع الرغبه

ولهذا يقول لنا الله أن من أوصاف الفريق المومن الذي التحق بموكب الابرار (خاشعين لله) أشار إلي هولاء يشعرون بوجود الله و يعظمون الله ويحبونه ويخافونه خوف من عرف قدرته وسطوته أنه خوف العلماء (إنما يخشي الله من عباده العلماء)

فقد تخلصوا من الكبر بينما كان من اسباب رفض الفريق الثاني القبول بالحق هو الاستكبار والحسد لأن الرسول الخاتم كان من امه العرب

فالشعور يدل أن هولاء قد قمعوا أهوائهم وارثهم نتيجة الايمان الصحيح لانهم يوقنون بالحساب والعقاب فنظروا الي النار واهوالها والي الجنه ونعيمها فاختاروا الجنه وما فيها فقد زودتهم الخشيه بقوه الصبر التي دفعتهم الي القبول بالحق وإيثار الدين علي الدنيا فهم لم يخفوا كتاب الله وبينوا للناس الآيات التي فيه الداله علي صدق

الرسول صلى الله عليه وسلم فذكر الله أن هولاء كان منهم ايثار الاخره علي الدنيا فقد دفعهم الشوق الي ما عند الله الي الزهد عن الدنيا لقد كان منهم كف الاذي بقطع رغبه أن يكون الرسول منهم الذي كان الباعث له الحسد فلم يفرقوا بين الرسل وكان منهم العمل نتيجه الخوف من الله وزهدوا عن الدنيا وهذه من الأمور التي يجب أن تصاحب كل صاحب علم فقال تعالي ((ولايشترتون بآيات الله ثمنا قليلا)

اشاره الي أن هولاء نظروا الي الدنيا وما فيها أنها متاع زائل كما ذكر الله (متاع قليل لكن الذين اتقوا ربهم) فأخبرنا الله أنهم بذلوا الإنصاف وبينوا للناس ما جاء في كتبهم عن نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يخفوها

فقد نظروا للدنيا ومتاعها أنه زائل خسيس ذلك أن الفريق الآخر اختاروا الدنيا فآخفوا الآيات الدالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم مقابل عرض الدنيا من الرئاسه والجاه والسلطان لكن هولاء انقادوا لأمر الله وعملوا بما أمرهم الله ويؤثرون أمر الله علي هوي النفس

فأخبرنا الله أن هولاء صاروا جزء أصيل من جماعه العمل الايماني (الابرار) فقد استحقوا الاجر والثواب الذي استحقه المومنون من المسلمون فقال تعالي (اولئك لهم أجرهم عند ربهم) اشاره الي أنهم من جمله الذين اتقوا ربهم واختاروا الاخره علي الدنيا المذكورين في الايه قبلها (متاع قليل لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خلدلين فيها نزولا من عند... الخ

فهولاء من ضمن الاستدرك الذي أخبرنا الله فيه عن الذين وصلوا الي مقام الابرار فأخبرنا الله أن هولاء الذين اتصفوا بهذه الأوصاف الخمسه صاروا منكم ولهم عوض من الله عن أعمالهم التي عملوها وطاعتهم الاجر والثواب الموعود (اولئك يوتون أجرهم مرتين)

وذكر أن الاجر عند الله اشاره الي الخير المعد للابرار والي انهم سعوا بذلك إلي إرضاء الله

فهم قد كان منهم ايثار الطاعه علي المعصيه بالإيمان ب الله والقرآن وكان منهم ايثار العلم علي الجهل فإظهار مافي كتبهم ولم يخفوها عن الناس كما فعل الفريق الآخر فكانوا من الذين اتصفوا بأنهم أولي الأبواب لأن العقل اذا لم يصاحبه ماسبق ذكره كان مكار يخدع صاحبه فاستحقوا التكريم والتشريف فلم يتنافسوا علي الدنيا بل كان الإسراع الي الالتحاق بموكب الابرار لانهم تعمدوا قلوبهم بطلب الاخره وكان منهم تزكيه أنفسهم عن كل ما يجر الي الحرص والرغبه في الدنيا ولهذا يقول تعالي (أن الله سريع الحساب)

فيه اشاره الي أنهم نظروا الي سرعه زوال الدنيا وما فيها فما هي إلا لحظات ثم تموت وتجد حسابك امامك بهذه السرعه فكان قطع الرغبه عن الدنيا بالنظر الي ذلك فقلوبهم متعلقه بالمعاد وفيه أيضا اطمئنان هولاء الي أن الله سوف يجازي علي أعمالهم وان الجزء سيكون سريعا لأن سرعه الحساب يستدعي ذلك ف الله يحاسب عباده كلهم في نصف ساعه وانه تعالي عالم بكل أعمالهم فلا يخفي عليه شي وعالم بما يستحق كل واحد وما يعمل

ثانيا

هذه الايه اختتمت بها السوره الكريمه التي جاء فيها تربيه المومنين وإعدادهم وتاهليهم لحمل الامانه مبينه لهم لاعداء وطبيعة الطريق الذي يوصلهم الي الله بأنه يتطلب منهم الانتصار في المعارك ضد قطاع الطرق الذين يفقون في طريق أهل الحق والحيلولة دون تحقيق النصر الذي طلبوه في نهايه سوره البقره (وانصرنا علي القوم الكافرين)

يقول لهم الله هنالك معارك عديده يجب أن تنتصروا فيها قبل الانتصار علي الأعداء الكفار فانتم لابد أن تنتصروا علي النفس الاماره بالسوء والشيطان والاقتصاد والضمير والعدو الخارجي

ولهذا عرضت السوره لنا كافه المعارك التي يجب علي المومنين أن يخوضوها وتعرض لهم طريق النصر والتأييد مبينه الوسائل والأساليب التي يجب الاستعانه بها عند حلول الازمات والتحديات موضحة اهميه المنهج ودوره في المساهمه بالفاعليه فهو البوصله والدليل الذي يدلك علي الطريق وبدونه تنحرف عن الطريق الصحيح ف المنهج هو القائد الذي يرشدك الي طريق الفلاح والسعادة وعدم الانكسار أمام العواصف والتحديات فلا بد من الانط لاق والتحرك بفاعليه ايجابيه ولهذا ناسب اختتام السوره بهذه الايه التي يقول لك الله فيه أن طريق الفلاح هو لأولياء الله الذين كان منهم الصبر والمصابره والمرابطه والتقوي فقال تعالي (ياايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)

وهذا فيه

أن المولي يتوجه بالخطاب الإلهي بالنداء للمومنين بالصفه التي تربطهم بالله فشمّل هذا المومنون الذين أخبرنا تعالي أنهم (هاجروا وأخرجوا من ديارهم واذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا.. الخ

والمومنون الذين أخبرنا الله أنهم التحقوا بموكب الايمان من أهل الكتاب اليهود والنصاري

يقول الله لهم أن طريق الفلاح والسعادة والكرامه شاق وفيه عوائق وقطاع طرق يحاولون صدكم عن السير ومن الوصول إلي مافيه الفلاح والسعادة والنجاح

يقول لهم الله أن الطريق ملئ بالاشواك والمتاعب والخطاب موجه لمن تجرع التجارب وتذوق مراره الالم والانفعا لات أنهم المومنون الأوائل الذين تركوا أوطانهم وتحملوا الاذي فهم يعرفون حقيقه الطريق ويدركون معني الصبر والمصابره وكذلك يعرفون معني المرابطه واهميه التقوي لقد عاشوا المرحلتين عصر الالم والمصائب والمحن وعصر الفتح والظفر وهنا يقول لهم تعالي (اصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)

دعاهم الي الصبر وهو الحبس للنفس من الجزع في القضاء والقدر والصبر علي الطاعه والصبر علي ترك المعاصي

فأنت تحتاج إلى الصبر فهو الزاد الذي تقاوم به الأعداء النفس والشهوات والملذات والشيطان والعدو الخارجي تحتاج الي الصبر علي الباطل وأهله والصبر علي انفعالات النفس الصبر علي قوه أهل الباطل وضعف المومنين الصبر علي الأقدار الصبر علي كل ما يحتاج الي الصبر

ولأن الدعوه توجه الناس بمنهج واقعي تطلب من الناس إقامة حكم الله وان يكون واقعا يحكم أحوالهم وهو منهج فيه سعادته البشريه كلها لكن سوف يوجد من يكره المنهج ويرى أنه يقوض مصالحهم الشخصية التي تتعارض مع مبادئ العدل والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية التي حملها الاسلام ولهذا سوف يقفون في طريق الدعوه فالمستكبرون يقفون مانعين من ازاله الظلم ونشر العدل ولهذا يقول الله لنا انكم بحاجة الي الصبر و المصابره والمرابطه والتقوي

ولهذا ابتداء النص باهميه توطين النفس علي الصبر لمواجهة التحديات فالمومن بحاجة الي الصبر في أحواله المختلفه فلا يصاب بالياس والقنوط ولا يندفع للانتقام للنفس ولذلك نجد أن هنالك فترتان من حياه الرسول صلى الله عليه وسلم عصر الالم والمصائب والمحن وعصر النصر والظفر لأن المصائب تظهر اخلاق الإنسان وتكشفه بما لايعرف به في الأوقات العاديه

وكذلك تبرز في زمان الظفر والنصر اخلاق الكبر والبطر والانتقام التي لا تظهر الا عند الاقتدار والغلبه وهو ما

يتطلب التخلص من تلك الاخلاق بالعبو والشكر ولهذا كان نجد النصوص تذكر لنا كيف يكون التعامل في كل مرحله فذكر اهميه الصبر وربط ذلك بحسب حال العبد علي العبد الصبر وتحمل المصائب والمحن وقت الشدائد وهو يختلف باختلاف أحوال العبد فالصبر علي داعي شهوه الفرج يسمي عفه وضده الفجور والزنا والعهر وان كان صبرا عن اجابه داعي شهوه النفس وعدم التسرع الي الملذات سمي شرف وضدها خسه ودناءه وان كان الصبر علي اجابه داعي اظهارها لايجب إظهاره من الكلام سمي كتمان وضده الثرثرة واذاعه وافشاء الاسرار وان كان صبرا علي اجابه داعي فضول العين سمي زهدا وضده الحرص والشره وان كان صبرا علي اجابه عدم البذل و العطاء سمي سخاء وضده البخل وان كان صبرا علي اجابه داعي العجله سمي وقارا وان كان صبرا علي اجابه داعي الفرار والهروب من القتال سمي ثباتا وشجاعا وضده الخذلان والجبين وان كان صبرا علي اجابه داعي الانتقام سمي عفوا وضده الانتقام وان كان صبرا علي اجابه داعي التفاخر سمي شاكرا وضده البطرا

٢

فهذه الأحوال التي تبين حاجه العبد الي حبس النفس عن اجابه داعي ما لا يحسن ومنعها من ذلك فإذا صار خلقا وملكه يتمتع بها العبد سمي صبرا وان كان فيه تكلف ومشقه ومراره سمي تصبرا والأمر يحتاج الي تقويه الباعث الذي يكون قادرا علي الانتقال بالطبع من الحاله الطبيعیه للصبر الي أن تكون خلقا وسجيه يتصف بها العبد وهذه الأحوال متعلقه بحال الصابر نفسه اما الأمر الذي بعده فدعاهم الي المصابره وهي حاله في الصبر مع خصمه

لأن المصابره من المفاعله وهي تعني مقاومه الخصم في ميادين الصبر الذين يحاولون التضيق علي المومنين لا صابتهم بالياس والقنوط وهي تستدعي وقوعها بين اثنين حيث يلجأ الأعداء الي سياسيه تضيق الخناق علي المومن تهدف إلي أبعاده عن ميدان العمل اي تحيد حركته

فالمولي يقول لك ايه المومن عليك أن تدرك أنك في سباق مع اعدائك ورهان من يصبر أكثر ينتصر في النهايه فعليك مقابله الصبر بالصبر والجهد بالجهد والتحدي بالتحدي فالعاقبه لمن يثبت أكثر فإذا كان أهل الباطل يصبرون بإصرار وهم علي الضلال فكيف يكون منك الياس والقنوط فاللازم عليك أن تصبر وتكون اشد إصرارا منهم فأنت علي الحق

٣

دعاهم الي المرابطه فانتم بعد النصر والظفر عليكم حراسه الثغور وعدم السماح للعدو بالتسلل الي الي موطن الضعف فيكم فيجب عليكم أن تكونوا في يقظه ومجاهده القوي التي هي مصدر الأفعال المذمومه كالغضب وحب الانتقام وسد الثغور المعرضه لهجوم الأعداء احذروا أن تناموا فالغفله تعني ضياع المكاسب التي تحققت ب النضال والكفاح فالمرابطه هي الثبات والصمود والاقامه علي الصبر والمصابره لانه اذا لم يربط ضاع نضاله ف المرابطه تعني اليقظه عند الوصول إلي النصر تجعلك دائما في يقظه بلزوم سد الثغور تخاف من هجوم العدو من هذه الثغور فاللفظ مأخوذ من رباط الخيل اي أن تكون في حاله استعداد من قبل حصول الهجوم فإذا حلت الازمه فلا تحدث فيك الاضطراب الناتج عن المفاجاه والتشويش نتيجه عدم التوقع بل تنطلق لمواجهه التحديات واحتواء الازمات وآثارها واطارها وتحويل المحنه الي منحه ولانه يمكن أن يكون الصبر والمصابره والمرابطه من غير أن يكون ذلك أمر تعبدي لله تعالي فأخبر الله أن ذلك كله يكون بالشعور بالمسؤولية وبالرقابه الالهيه لا فعالك ولهذا أمر بالتقوي ليكون حارسا في الضمير فلا تندفع الي الانتقام الشخصي عند النصر والظفر فأنت تحمل منهج الله

فلا تسمحوا للانفعالات المتناقضة أن تحيد بكم عن الطريق فانتم بحاجه الي الحارس اليقظ الذي يمنعكم من الحيدان والميل الي الشهوات والملذات (واتقوا الله)

فهذا هو الطريق كي تنتظموا في زمره الفائزين بكل مطلوب الناجين من كل مكروب (لعلكم تفلحون) فهذه الأمور
الصبر والمصابرة والمرابطه والتقوي هي التي تضع قدمك بهم علي طريق النجاح والفلاح والسعاده

١: تفسير ابن كثير.

- ٢٥ تفسير الرزاي
٢٦ ابن تيميه
٢٧ ابن القيم الفوائد
٢٨ الزجاج
٢٩ احياء لغة القرآن
لابو بكر العدائي
٣٠ نهج البلاغه شرح
محمد عبده
٣١ الازمه الد ستوريه
الشنقيطي
٣٢ الازمه عمر عبيد
٣٣ السمعيات
٣٤ الزمخشري
٣٥ صحيح البخاري
٣٦ صحيح مسلم
٣٧ شرح الباري في
صحيح البخاري
٣٨ تفسير بن باديس

المراجع

- ٢ تفسير الجلايين
٣ الظلال للسيد قطب
٤ التحرير والتنوير لابن عاشور
٥ تفسير السعدي.
٦ تفسير ابن عثيمين
٧ تفسير روح البيان
٨ تفسير ابن عباس
٩ تفسير الطبري
١٠ تفسير ابن الخازن
١١ تفسير المراغي
١٢ تفسير البيضاوي
١٣ تفسير القرآن للخطيب
١٤ أوضح التفاسير
١٥ زهره التفاسير
١٦ تفسير سعيد حوي
١٧ تفسير الشعراوي
١٨ تفسير المسعودي
١٩ تفسير الشوكاني.
٢٠ استنابات الشنقيطي
٢١ تفسير طيبه
٢٣ تفسير المنار
٢٤ تفسير الالوسي